

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة بالمدينة المنورة

قسم الاستشراق

مؤتمرات المستشرقين العالمية:

نشأتها - تكوينها - أهدافها

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

- الجزء الأول -

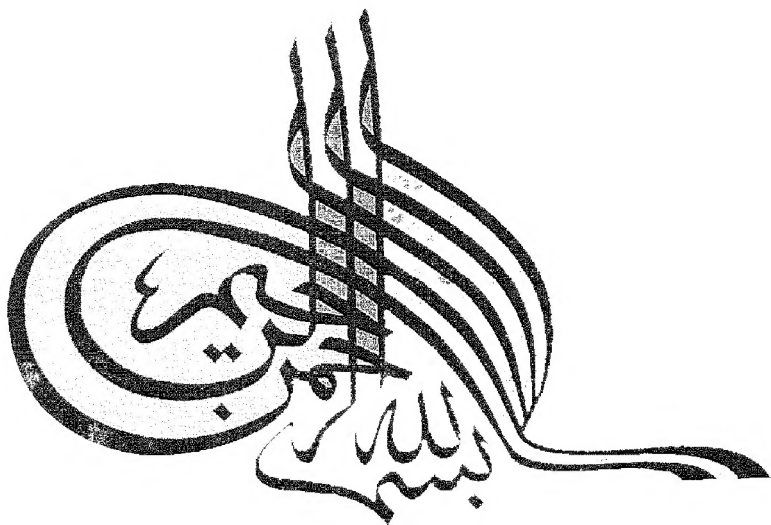
إعداد

الطالب: المحسن بن علي بن صالح سويبي

إشراف

الأستاذ الدكتور: حامد غنيم أبو سعيد

العام الجامعي: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م



شكر وتقدير

الحمد لله وحده على أنعامه، والشكر له على فضله وامتنانه، وله الفضل والمنة أولاً وأخيراً على ما يسر وأعان، وقدر ظهور هذه الدراسة للعيان، ومن تمام شكر الله عز وجل، الاعتراف لكل من كان له مساهمة في هذا العمل، وتقدير ما لهم من مساعدة وفضل.

جاء هذا الإنجاز بعد أن قضى الباحث ردهة طويلة من الزمن، في هذا البلد الكريم الطيب، الذي منحه بعثة علمية، نعم فيها برغد العيش وحسن المعاملة، في ظل حكومة إسلامية رشيدة، وفرت للمقيمين فيه، ولاسيما طلبة العلم، طيب المقام، بوافر الأمن وراحة البال، ولاسيما في طيبة الطيبة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. ومن ثم، يتقدم الباحث للمملكة العربية السعودية، ملكا وحكومة وشعبا، بخالص الشكر والتقدير، على ما لقيه طوال فترة دراسته، والتي بلغت ست عشرة سنة، فلهم الشكر الجزيل على ما قدموه وبقدمونه له ولغيره من طلبة العلم من خدمات جليلة، ومساعدات نبيلة، يعجز المروءون عن عدّها وإحصائها. فبارك الله فيهم وجزاهم عن الإسلام والمسلمين كل خير، وأدام على البلد أمنه ورخاءه واستقراره.

كما يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعلى رأسها معالي الأستاذ الدكتور عبد الله الشبل، هذا الصرح المبارك الذي تبنى الطالب منذ سنة ١٤٠٤هـ، وحصل فيه على شهادتي البكالوريوس ومن ثم الماجستير، فجزا الله القائمين على هذه الجامعة خير الجزاء.

أما كلية الدعوة بالمدينة المنورة، فقد أمضى الطالب فيها أحلى فترات مقامه في هذا البلد المعطاء، ويعجز اللسان عن التعبير بالامتنان والاعتراف بما حصل عليه الطالب من مساعدات قيمة، مما يسر له مساره الدراسي، سواء من القائمين عليها حالياً، وعلى رأسهم فضيلة عميدها الأستاذ الدكتور علي بن دخيل الله الحازمي، وكذلك وكيلها فضيلة الدكتور علي بن عتيق الحربي، أو ممن سبقوهما

في إدارة هذه الكلية، ولاسيما فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي،
وفضيلة الأستاذ الدكتور معيض بن مساعد العوفي، ولا يمكن نسيان فضل عميدها
بالنيابة سابقاً، الأستاذ مصطفى بن عمر حليبي. فجزى الله الجميع خيراً، وبارك
سعيهم.

ويطيب للباحث تقديم شكره كذلك لقسم الاستشراف أساتذته ورؤسائه، وعلى
رأسه فضيلة الدكتور علي بن عتيق الحربي، وكذلك رؤساؤه السابقون، الأستاذ
الدكتور محبوب كردي والأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن والأستاذ الدكتور علي
ابن دخيل الله الحازمي، لما قدموه للباحث من مساعدات وتيسيرات.

وبصورة إجمالية، يقدم الطالب شكره كذلك، لكل من قدم لي مساعدة أثناء
إنجاز هذا العمل، وبارك الله للجميع، وجزاهم عن الطالب خير الجزاء.

قائمة مؤتمرات المستشرقين العالمية

تاريخ الانعقاد		رقم	مؤتمر	تاريخ الانعقاد		رقم	مؤتمر
ميلادي	هجري			ميلادي	هجري		
١٩٥١	١٣٧٠	٢٢	إستانبول	١٨٧٣	١٢٩٠	١	باريس
١٩٥٤	١٣٧٤	٢٣	كنبريدج	١٨٧٤	١٢٩١	٢	لندن
١٩٥٧	١٣٧٧	٢٤	ميونيخ	١٨٧٦	١٢٩٣	٣	سان بترسبورغ
١٩٦٠	١٣٨٠	٢٥	موسكو	١٨٧٨	١٢٩٥	٤	فلورانس
١٩٦٤	١٣٨٣	٢٦	نيو دلهي	١٨٨١	١٢٩٨	٥	برلين
١٩٦٧	١٣٨٧	٢٧	آن آربور	١٨٨٣	١٣٠٠	٦	ليدن
١٩٧١	١٣٩٠	٢٨	كانبيرا	١٨٨٦	١٣٠٤	٧	فيانا
١٩٧٣	١٣٩٣	٢٩	باريس	١٨٨٩	١٣٠٧	٨	ستوكهولم وكريستيانا
				١٨٩٢	١٣١٠	٩	لندن
				١٨٩٤	١٣١٢	١٠	جنيف
			ICHSANA	١٨٩٧	١٣١٥	١١	باريس
١٩٧٦	١٣٩٦	٣٠	مكسيكو سيتي	١٨٩٩	١٣١٧	١٢	روما
١٩٨٣	١٤٠٣	٣١	طوكيو وكيوتو	١٩٠٢	١٣٢٠	١٣	همبورغ
				١٩٠٥	١٣٢٣	١٤	الجزائر
				١٩٠٨	١٣٢٦	١٥	كوبنهاجن
				١٩١٢	١٣٣٠	١٦	أثينا
			ICANAS	١٩٢٨	١٣٤٧	١٧	أوكسفورد
١٩٨٦	١٤٠٦	٣١	هامبورغ	١٩٣١	١٣٥٠	١٨	ليدن
١٩٩٠	١٤١١	٣٣	تورنتو	١٩٣٥	١٣٥٤	١٩	روما
١٩٩٣	١٤١٣	٣٤	هونج كونج	١٩٣٨	١٣٥٧	٢٠	بروكسيل
١٩٩٧	١٤١٨	٣٥	بودابست	١٩٤٨	١٣٦٧	٢١	باريس

مقدمة الرسالة

مقدمة الرسالة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٣).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ورد عن النبي ﷺ أنه قال في حديث مطول: "...السدال على الخير كفاعله"^(٤). والخير كما يكون بفعل الحسنات، ودفع المنكرات، يكون كذلك بكشف الشبهات وما يحاك لهذه الأمة من مخططات وما تخضع له من دراسات وتحليلات. والعلم كما يقال ثغور، وكل ثغر يحتاج من يقف فيه ويؤدي الواجب لسد تلك المهمة. ومن تلك الثغور المعرفية، معرفة ما لدى الآخرين من معارف تفيد المسلمين، من علوم تقنية وميكانيكية وطبية وما شابهها، وكذلك التعرف لما قد يسببونه لها من ضرر، فيعرف قصد التصدي له ودفعه.

والاستشراق أحد تلك المعارف التي اتخذت سبيلا لبسط الهيمنة والسيطرة على هذه الأمة بخاصة، والشرق ككل بعامة، وكما سيأتي تحليله^(٥)، انطلق الاستشراق بعد احتكاك الغرب بالأمة الإسلامية، ثم توسعت ميادينه لتشمل العالم

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) الأحزاب: ٧١، ٧٢.

(٣) النساء: ١.

(٤) مسلم: ١٨٩٣.

(٥) سيأتي الحديث عن هذا بالتفصيل ص ٢ من الرسالة فما بعدها.

كله. ونما هذا التوجه المعرفي واتخذ وسائل وأساليب عدة، وأضحى مرتع الخبراء والسياسة والمستشارين، ودعاة التنصير والاستعمار والمنادين بتغيير موروثات الشرق الحضارية والأخلاقية والمعرفية. ومن هذه الأساليب التي اتبعت، المؤتمرات الدورية التي أسسها المستشرقون الفرنسيون بدعم تام من مستشرفي العالم كافة، والتي انطلقت أول دورة منها سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، ولا تزال تعقد دوراتها حتى يومنا هذا.

هذه المؤتمرات، التي تكاد تكون مجهولة في وسطنا المعرفي، والتي لم يتم تناولها بالدرس إلا نادرا، بل حتى في الغرب نفسه، كثيرا ما سمع الباحث وهو ينقب عن تلك المدونات، إنه أول من يطلع عليها، هذه المؤتمرات، هي التي يسعى الباحث لتقديم صورة عامة عنها في هذا الرسالة، صورة إجمالية مسحية تضيء جوانب عدة من خبايا هذه المؤسسة، وإعطاء فكرة عامة شمولية عنها، عسى أن يتم مستقبلا تناول عناصرها المتعددة، بدراسات تحليلية دقيقة، تلقى بمزيد من الأضواء على حقيقة تلك المؤتمرات. وقد سلك الباحث هذا السبيل، عسى أن يكون ممن قال فيهم رسول الله ﷺ، في الحديث الوارد عن أبي هريرة رضي الله عنه: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة"^(١)، وعسى أن يحذو حذوه آخرون فيواصلوا التحليل، ويعمقوا هذه الدراسة، فيكون دالا على خير؛ وعسى أن يكون كذلك ممن قال فيهم رسول الله ﷺ، فيما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا: "من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"^(٢). هذا والله الميسر، والهادي إلى سواء السبيل.

بين يدي الرسالة:

تعد مؤتمرات المستشرقين العالمية، من أهم المؤسسات التي أنشأها المستشرقون، والتي لا تزال تزاوّل نشاطها منذ ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، تلك السنة التي شهدت انعقاد أول دورة منها، وكان ذلك بباريس، بمبادرة نشطة جدا

(١) مسلم: ٢٦٩٩.

(٢) مسلم: ٢٦٧٤.

للمستشرقين الفرنسيين. ولا تزال هذه المؤتمرات تنشط حتى العصر الحاضر، إذ انعقد خمسة وثلاثون مؤتمرا حتى الآن، آخرها كان بـ"بودابست" بالمجر، صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، وتقرر أن يكون موعد المؤتمر السادس والثلاثين سنة ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ)، بـ"مونتريال Montreal"، بكندا. ونظرا لما لهذه المؤتمرات من أهمية، والحاجة الماسة لتسليط بعض الأضواء عليها، تسعى هذه الأطروحة للقيام ببعض هذه المهمة، وتساهم في التعريف بها، وتقديم فكرة شاملة عنها، ولتكون بإذن الله مدخلا لدراسات عدة أخرى، تحتاجها هذه المؤتمرات، التي لا يمكن أن نقي دراسة واحدة لتوضيحها، وذلك لتشعب دراسات المؤتمرات وتنوعها، وتعدد المدارس الاستشرافية المساهمة فيها، والمؤثرات الخارجية فيها، والمناهج المتعددة التي استخدمت في طرق الدراسات المعروضة، والأهداف الكامنة وراء المؤتمرات، وغيرها من الموضوعات التي تحتاج بيانا وتوضيحا ودراسة وتحليلا.

أما هذه الدراسة التي بين أيدينا، فهي تسعى لتقديم فكرة شاملة وعامة، حول هذه المؤتمرات، من حيث نشأتها، وبعض الخصائص العامة لها، وتتضمن تركيزا خاصا على المؤتمر الأول، ومن حيث الأهداف التي تسعى لتحقيقها، والأطوار التي مرت بها، مع الاطلاع على مساهمات الشرقيين فيها، ولاسيما المسلمون منهم، وعلى المؤتمرات التي عقدت في العالم الشرقي، وبيان بعض المؤثرات في المؤتمرات، وبعض آثارها أيضا. ونظرا لطبيعة الموضوع، فسيتم طرقة وفق الخطة التالية، يتناول فيها الباحث عناصر عدة، وهي كما يلي :

١- أهمية الموضوع وسبب اختياره.

٢- تحديد مشكلة الدراسة.

٣- منهج الرسالة.

٤- الدراسات السابقة.

٥- موضوعات الرسالة.

٦ - أهم المصادر

هذه العناصر، ستبين الطريقة التي ستسير عليها هذا الرسالة، قصد طرق الموضوع. وهذا بيان وتوضيح لها.

١- أهمية الموضوع وسبب اختياره :

نتناول هذا الرسالة مؤتمرات المستشرقين العالمية، من حيث نشأتها وتكونها وخصائصها، دراسة وتحليلا. وهذه المؤتمرات لها أهمية مميزة في دراسة المستشرقين فقد تكونت ليجتمع فيها أقطاب المستشرقين وتلامذتهم، وغيرهم من ذوي الاختصاصات للتباحث وتبادل المعلومات حول مختلف مجالات الحياة الشرقية.

إن مؤتمرات المستشرقين العالمية، محط لجل التخصصات المعرفية، من تاريخ وجغرافية ولغة ودين واجتماع وسياسة واقتصاد وثقافة وفن... وغيرها من الميادين فهي نتاج وخلاصة للدراسات الاستشرافية العامة وتنتظر مستقبلي للإنتاج الاستشرافي اللاحق.

وتمتاز الأبحاث التي تلقى فيها بالتركيز والتدقيق والاختصار. ثم هي تناقش بعد أن تلقى وسط جم غفير من الحضور. لذا، فإن المستشرق يولي دراسته مزيدا من العناية التي قد لا يعطيها لغيرها من أبحاثه، وتكون قناعته بها عميقة، وقد يعد ما جاء فيها هو الصواب والحقيقة.

وتتميز مؤتمرات المستشرقين العالمية أيضا بكونها أسلوبا حديثا نسبيا، من أساليب المستشرقين، ووسيلة من وسائلهم، تساهم في دراسة المجتمعات الشرقية، والتنسيق بين الجهود الاستشرافية، وتعين مستقبل توجهها الدراسي والمعرفي، وتعطيها بعدا عالميا.

عقد أول مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية، بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ-)، ولا يزال يعقد دوريا حتى عصرنا الحاضر. وقد تأثرت المؤتمرات بالواقع السياسي العالمي. فقد توقف انعقاد هذه المؤتمرات مرتين، بسبب الحربين العالميتين.

فبعد المؤتمر السادس عشر الذي عقد في أثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)،
تعطل انعقاد المؤتمرات حتى المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م
(١٣٤٧هـ). أما المرة الثانية، فكانت بعد المؤتمر العشرين، ببروكسيل سنة
١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، ثم استأنفت سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، بباريس.
كما أن الناحية العلمية أثرت في نمط المؤتمرات حيث قرر مؤتمر باريس
سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) تغيير مسمى ((مؤتمرات المستشرقين العالمية)) إلى
((المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية في آسيا وشمال إفريقيا)) ثم إلى
((المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا)) في مؤتمر طوكيو، الحادي
والثلاثين، سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ). وبالتالي دخلت المؤتمرات هذه حقبة
متنوعة من تاريخها. وقد كانت هذه التغييرات مبنية على أسباب علمية ومعرفية،
يود الباحث أن يبين تفصيلها خلال الرسالة إن شاء الله.

وتبدأ المؤتمرات دائما بخطابات افتتاحية ثم يتم تقسيم المؤتمر إلى لجان
دراسية، عدا المؤتمر الأول الذي تمت المشاركات فيه على شكل جلسات جماعية،
ولكل لجنة برنامجها الدراسي، تقدم في آخره توصيات، ثم تدرس التوصيات
جميعها، وما يقره المؤتمر، يصدر في الخطابات الختامية للمؤتمرات.
وتعد هذه الافتتاحيات والتوصيات ذات أهمية مميزة، لكونها تبين توجه
المؤتمر ثم نتاجه، وهو ما سيطرقة الباحث خلال دراسته بإذن الله تعالى.

أما وقائع هذه المؤتمرات، فإنها تعد وثائق ومراجع معتمدة لدى المستشرقين
ومقروءة في الغرب والشرق، ويصعب على القارئ العادي تبين خطورة الأساليب
والمناهج التي يتناول بها بعض المستشرقين أبحاثهم. الأمر الذي قد يؤدي إلى
انتشار الشكوك والأخطاء حول موروثات الشرق الحضارية، وتراثه التاريخي
والديني.

وقد شهدت مؤتمرات المستشرقين العالمية عدة أشكال من التطوير، منذ
نشأتها، سواء في التنظيم أو العمل، منها ما هو إيجابي، ومنها ما هو سلبي. وعلى
الرغم من ذلك، فإن الغرب يوليها أهمية بالغة، بل أعطاها بعدا سياسيا متميزا، في
حين أن الوسط الشرقي لا يزال يعاني من إهماله لهذه المؤتمرات، إذ لا يهتم بها
إلا قلة قليلة من المثقفين والمتخصصين.

ومع ذلك، فليس ثمة دراسة، فيما اطلع عليه الباحث تعطي هذا الموضوع حقه من التحليل. ويبقى الكثير من أعمال هذه المؤتمرات وإنتاجها وأساليبها ووسائلها وأغراضها وأبعادها، ومناهجها خافية، ولا سيما في حقل المعنيين بتأثير هذه المعلومات في العالم الإسلامي.

وتعد نشأة هذه المؤتمرات وتكوينها، تجربة ناجحة في الوسط العالمي عموماً، من حيث التنظيم والإدارة، وهي لا تزال تعقد إلى يومنا هذا، ويمكن الاستفادة منها، في وسائل تنظيم مؤتمرات إسلامية، علمية وثقافية، تختص بعضها في مناقشة مؤتمرات المستشرقين في الموضوعات الإسلامية، فنكون أكثر تنظيماً وإحكاماً منذ انطلاقتها، وتتفادى العقبات الأولى التي وقعت فيها مؤتمرات المستشرقين العالمية.

ومن شأن دراسة مؤتمرات المستشرقين العالمية، أن تبين المزيد من فقه الذات الشرقية لنفسها ومعرفة المزيد عن حقيقة نظرة الغرب لها، فما كان صواباً أيدته وحافظت عليه، أو طورته، وما كان نقصاً أو عيباً وقفت تجاهه وفندته.

والحقيقة أن هذه الرسالة خطوة في طريق المنحى النقدي لمؤتمرات المستشرقين العالمية، التي رأى الباحث ضرورة الاهتمام بها، تمحيصاً ونقداً. ونظراً لاتساع دائرة الأعمال الاستشرافية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية، فقد أثر الباحث أن يبدأ بالجانب التكويني لهذه المؤتمرات، من حيث نشأتها وتكوينها ونظامها الإداري والعلمي، سعياً منه إلى معرفة حقيقتها، وفهم مجريات أحداثها، والوقوف على نمط نظمها وإيضاح ذلك للمعنيين بالدراسات الإسلامية على نحو خاص، من خلال دراسة تحليلية تقويمية، تبين إيجابيات هذه المؤتمرات وسلبياتها، والله من وراء القصد.

٢ - تحديد مشكلة الدراسة:

تمتاز مؤتمرات المستشرقين العالمية بوفرة مادتها العلمية وتعدد ميادينها الدراسية، وتنوع المدارس الاستشرافية، المساهمة فيها، وتباين اللغات التي تلقى بها المساهمات وتنتشر بها وقائعها، كما شهدت إحكاماً في التنظيم واستمراراً في

الاتعداد... ونظرا لصعوبة تناول كل هذه الجوانب في بحث واحد، حدد الباحث موضوع رسالته في النشأة والتكوين والأهداف. أما غير ذلك، فلا يدخل في هذه الرسالة إلا عند الضرورة، من استشهاد أو تعليق أو غيره. وبالتالي يمكن تحديد مشكلة الرسالة فيما يلي :

- ١- ما الخلفية الدينية والثقافية لنشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية ؟
- ٢- ما المراحل التي مرت بها الدعوة إلى عقد مؤتمرات المستشرقين العالمية؟ وما الأهداف الكامنة وراء ذلك؟
- ٣- ما سمات أول مؤتمر استشراقي وخاصيته ؟
- ٤- ما المراحل التي مرت بها الأطر التنظيمية والعلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية ؟
- ٥- ما قيمة المساهمات الشرقية، في مجال التنظيم والإدارة، وفي المجالات العلمية؟
- ٦ - ما سمات المؤتمرات التي عقدت في البلاد الشرقية ؟
- ٧ - ما الأطوار التاريخية التي مرت بها مؤتمرات المستشرقين العالمية، وما خصائص ومميزات كل حقبة منها ؟
- ٨ - ما خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية ؟
- ٩ - ما المؤثرات التي تركت بصمتها في مؤتمرات المستشرقين العالمية؟
- ١٠ - ما أثر مؤتمرات المستشرقين العالمية في العالمين الشرقي والغربي؟

٣ - منهج الرسالة:

يستخدم الباحث، بإذن الله تعالى، المنهج التاريخي لدراسة أصول نشأة المؤتمرات العالمية، والمراحل التاريخية التي مرت بها، من حيث تطورها. كما تشمل هذه الرسالة على جانب وصفي كبير لظاهرة مؤتمرات المستشرقين العالمية، فيسعى لوصفها وصفا دقيقا شاملا جوانبها كافة ومتطرقا لمختلف أبعادها، إذ سيعتمد الباحث إلى جمع المعلومات والحقائق حول المؤتمرات وتصنيفها، وتفسيرها لاستخلاص دلالتها وتحديدتها.

كما يصف ويحلل الأطر التنظيمية للمؤتمرات وعرض ما طرأ عليها من تطورات ومقابلة المساهمات الغربية بالمساهمات الشرقية في الأمور التنظيمية والعلمية، لتحديد قيمة مساهمة شعوب الشرق في هذه المؤتمرات على المستوى الشكلي والمضمون، من حيث تشابه الدوافع والتوجهات أو اختلافها. ويسعى الباحث إلى تحليل كل مرحلة من مراحل تطور المؤتمرات ومقارنتها لاستخلاص مميزات كل طور، وللتعرف على أهم سمات التطور التي مرت بها ظاهرة مؤتمرات المستشرقين العالمية من ناحية الشكل والمحتوى، وذلك من خلال عينات من دراسات المستشرقين. ثم يستخلص خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية ودراسة الظروف المحيطة بها كظاهرة وكشف الحقائق الراهنة التي تتعلق بها، مع تسجيل دلالتها وخصائصها وكشف علاقتها بغيرها.

٤ - الدراسات السابقة :

ليس ثمة دراسة وافية في جوانب مؤتمرات المستشرقين العالمية تتناولها بالتحليل والنقد، إنما هناك بعض التقارير والإشارات لمؤتمرات استشرافية عالمية. فقد شرح ج. هـ. بوسكي Bousquet G.H وجهة نظر الشيخ أمين المدني حول مؤتمر المستشرقين العالمي بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)^(١)، ويسميه حمد الجاسر الشيخ أمين بن حسن الحلواني^(٢) وفي هذه المقالة يبدو الشيخ معجبا بالمستشرقين ومؤتمراتهم أيما إعجاب.

(١) Bousquet G. H.: "Un congres d'orientalistes vu par un lettre musulman" - Bulletin des Etudes Arabes -No 13 - 3eme annee -Mai-Juin 1943 -pp. 67- 68.

(٢) حمد الجاسر: "على هامش مؤتمر المستشرقين : أيام في باريس-٣- - الأديب - ج. ٩ و ١٠ -

١٣٩٤م - ١٩٧٤م - ص ٦٥٢ .

أما محمد أمين فكري^(١)، ومحمد عبد الغني^(٢)، فقد وجها اهتمامهما لمشراكة عبد الله فكري مبعوث الحكومة المصرية في وقائع مؤتمر المستشرقين العالمي الثامن المنعقد في سنكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ). وقد اتخذت الرحلة طابعاً سياسياً أكثر منه علمياً، فكان التركيز على مقابلات عبد الله فكري مع أرباب السلطة بالسويد والنرويج، الملك أوسكار الثاني^(٣) وحاشيته. وأسهب محمد أمين في وصف تشكيلات المؤتمر ونظمه ومكان انعقاده، منبهاً بالمجهودات الجبارة المبذولة في سبيل إنجاح المؤتمر. أما الناحية العلمية والعملية فقليلة، واكتفى بتعليق مطول لمساهمته ومساهمة أبيه عبد الله فكري، رغم أنهما لم تتشرا في وقائع المؤتمر. ولم يتعرض لبقية المساهمات حتى المصرية منها.

وتعرض أنور الجندي^(٤) لتهجم المستشرق "فولرس" على القرآن الكريم واللغة العربية الفصحى في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر، الذي انعقد في الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ). ثم ذكر تصدي بعض الباحثين العرب، لم يذكر اسمه لتفنيد رأي "فولرس" وأمثاله من المستشرقين^(٥).

(١) محمد أمين فكري: إرشاد الألباء إلى محاسن أوروبا - مصر - مطبعة المقطف - ١٨٩٢م - ص ٥٧٥ - ٧٤٥ .

(٢) محمد عبد الغني: عبد الله فكري، عصره، حياته، أدبه - مصر - مطبعة مصطفى البابي وأولاده - الطبعة الأولى - ١٩٤٦م - ص ٣٨ .

(٣) هو الملك أوسكار الثاني، (١٨٢٩-١٩٠٧م) [١٢٥٥-١٣٢٥هـ]، تولى العرش سنة ١٨٧٢م [١٢٨٩هـ]، ملكاً للنرويج والسويد، حتى العام ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، ثم ملكاً للسويد حتى العام ١٩٠٧م [١٣٢٥هـ]. عرف بنزعه المحافظة. وهو ملك مثقف، اشتهر بين العلماء بتأليفه، حتى إن مؤلفاته ترجمت إلى كثير من اللغات، وتسارعت الجمعيات العلمية والنادي الأدبية إلى إثباته في عداد أعضاء الشرف فيها. محمد أمين فكري باشا: إرشاد الألباء إلى محاسن أوروبا - ص ٥٩٩ . وكذلك: منير البعلبكي، المورد - قاموس إنجليزي عربي - بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٨٨م - معجم أعلام - ص ٦٦ .

(٤) أنور الجندي: الإسلام في وجه التغريب، مخططات التبشير والاستشراق - القاهرة - دار الاعتصام - مطابع الناشر العربي - ص ٣٨٢ - ٣٨٤ .

(٥) المرجع نفسه - ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .

أما "مويز شواب" Moise Schwab^(١) فقد ذكر بعض ما عرض في المؤتمر الخامس عشر بكونهاج سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، من محاضرات حول العالم الإسلامي مع عرض وجيز لكل منها، وسرد نجيب العقيلي^(٢) مختلف لجان هذا المؤتمر، وقد مهد له بعرض لمختلف المؤتمرات المنعقدة قبله وأماكن انعقادها^(٣). واستعرضت "ماريا نالينو" Nallino, Maria^(٤) وقائع المؤتمر لتاسع عشر، المقام بروما سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ). وعرضت باختصار لأهم ما درس في كل لجنة من لجانها، مع ذكر تعريف موجز لمعظم الدراسات التي أُلقيت في لجنة الدراسات العربية والإسلامية.

ونشرت مجلة الرسالة^(٥)، خبر افتتاح مؤتمر المستشرقين العشرين في بروكسل وذلك سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، وذكرت بعض المحاضرين العرب وعناوين مساهماتهم، إضافة إلى أهم ما ألقاه بعض المستشرقين حول العربية والإسلام. وحول المؤتمر نفسه، أورد مراد كامل^(٦) موجزا عن أعمال لجان المؤتمر التسع مع ذكر بعض المحاضرات التي أُلقيت في كل لجنة. ثم أسهب في عرض بعض المحاضرات التي أُلقيت حول الإسلام، معلقا بقوله: "وأما القسم الإسلامي فقد كان شاملا جامعا، كثرت فيه محاضراته وتوافر المستمعون لها"^(٧). وعن المؤتمر العالمي الحادي والعشرين، قدم فؤاد أفرام البستاني^(٨)، مندوب جامعة القديس يوسف، دراسة مجملة عن وقائعه. وقد مهد لمقالته بمشاعر أدبية

(١) Schwab, Moise : "Congres des Orientalistes" – Revue du Monde Musulman – no 9 – 2eme annee – Septembre – 1908 – pp. 141 – 151 .

(٢) نجيب العقيلي: المستشرقون – ج ٣ – مصر – دار المعارف – ص ٣٦٥ – ٣٦٨ .

(٣) المرجع نفسه – ص ٣٦٥ – ٣٦٦ .

(٤) Nallino Maria: "Il XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti" – Oriente Moderno – NR:2 – Anno XVI – Febbraio 1936 – pp. 97 – 110 .

(٥) "مؤتمر المستشرقين في بروكسل" – الرسالة – السنة السادسة – العدد ٢٧١ – القاهرة – ١٩٣٨م – ص ١٥١٤ .

(٦) مراد كامل: "مؤتمر المستشرقين العشرون المنعقد في مدينة بروكسل" – الرسالة – السنة السادسة – العدد ٢٧٤ – ١٩٣٨م – ص ١٦١٠ – ١٦١٣ .

(٧) المرجع السابق – ص ١٦١١ .

(٨) فؤاد أفرام البستاني: "مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرين" – المشرق – الجزء الأول – السنة ٤٢ – ١٩٤٨م – ص ٤٨١ – ٥٠٠ .

نحو هذا المؤتمر الذي حضره، ثم سرد أماكن المؤتمرات السابقة وزمن انعقادها واختتم المقالة بتوصيات المؤتمر، وهذا الأمر الأخير أغفله العديد من الكتاب الآخرين. كما قدم "أتوري روسي" Ettore Rossi^(١) ملخصاً عن سير وقائع هذا المؤتمر، وذكر أسماء المحاضرين ومحاضراتهم في كل لجنة من لجان المؤتمر. وحضر فؤاد أفرام البستاني^(٢) المؤتمر الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، وقدم ملخصاً موجزاً لما عرض في لجانته المختلفة.

وكتب "س. أ. حسن" S.A. Hassan^(٣) عن مؤتمر كامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، وهو الثالث والعشرون، ساردا نشاطه الخاص في المؤتمر: لقاءاته مع العلماء هناك، من مستشرقين وشرقيين، وذكر عناوين بعض المحاضرات التي حضرها في لجنة الدراسات الإسلامية. وتحدث محمد الغول^(٤) عن آثار المؤتمر الرابع والعشرين. وقارن في بحثه بين مجهود المستشرقين وإنتاج العرب مشيداً بالأوائل وداعياً العرب لتقصي خطى المستشرقين لكون العرب أحق وأولى بهذه الدراسات من غيرهم. أما وقائع المؤتمر فلم يتعرض لها. وعن هذا المؤتمر نفسه، اهتم يوسف أسعد داغر^(٥) بالحضور العربي فيه، واهتم بمشاركات العرب، ونوه بالمجهود المبذول في تيسير العمل ونظام المؤتمر، ومما جاء في مقالته، أسفه عن عدم اهتمام العرب بالاهتمام الكافي، الذي يتناسب مع قيمة المؤتمرات^(٦).

(١) Rossi Ettore: "Il XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti A Parigi (23 - 31 Luglio 1948)" - Oriente Moderno - NR: 7-9 - Anno XXVIII - 1948 - pp. 153 - 157.

(٢) فؤاد أفرام البستاني: "مؤتمر المستشرقين الدولي الثاني والعشرين، إستانبول ١٥-٢٢ أيلول ١٩٥١م" - المشرق - الجزء الأول - السنة ٤٦ - ١٩٥٢م - ص ١٠٢ - ١١٦.

(٣) Hassan S.A.: "Cambridge International Congress of Orientalists" - The Islamic Literature - Vol. III - No 5 - 1955 - Lahore - pp. 21 - 33.

(٤) محمد الغول: "المستشرق أقل دراية بأسرار اللغة" - دراسات يمنية - العدد ١٤ - ١٩٨٣م - ١٤٠٤هـ - اليمن - صنعاء - ص ١١٨ - ١٢٢.

(٥) يوسف أسعد داغر: "حول مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين" - الأديب - م ٣٢ - ج ١٢ - السنة ١٦ - ١٩٥٧م - ص ٢٢ - ٢٨.

(٦) المرجع نفسه - ص ٢٨.

كما نكلم على هذا المؤتمر "هوبرت فرانكي Hubert Franke"^(١)، فذكر اللجان المختلفة التي انقسم إليها المؤتمر، معلقاً على بعض المحاضرات التي عرضت خلاله. واكتفي ميشال جحا^(٢) بذكر اللجان التي انقسم إليها المؤتمر، وقد سرد قبلها المؤتمرات السابقة وأماكن انعقادها.

وأوردت مجلة "STUDIA ET ACTA ORIENTALIA" مقالاً^(٣) مطولاً حول مؤتمر المستشرقين العالمي الخامس والعشرين، المنعقد في موسكو ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، حاولت المجلة فيه إظهار قيمة الاستشراق الشيعي ومكانته، وأهميته في الدراسات الاستشراقية. فقد اتخذ هذا المؤتمر توجهها سياسياً معيناً منذ بدايته، فكان مواجهة بين الاستشراق الماركسي والاستشراق البرجوازي، كما عبرت المقالة^(٤). بل إن من المستشرقين من شهد بتأثير الجانب الأيديولوجي^(٥) والسياسي على مسار المؤتمر^(٦). حتى إن الصحافة الغربية اضطرت لانتقاد المؤتمر والتوجه الذي سيطر على مساره^(٧). ورغم ذلك، عد المؤتمر نقطة تحول ومرحلة جديدة في إطار تطويره الاستشراق العالمي^(٨)، وبالتالي المؤتمرات.

أما عن المؤتمر السادس والعشرين، المقام في نيودلهي سنة ١٩٦٤م

(١) Hubert Franke: "XXIV^e Congres Internationalen des Orientalistes, Munich 1957" – ZDMG – Band 107 – Neue Folge – Band 32 – 1957 – pp. 18 – 23.

(٢) ميشال جحا: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا – بيروت – معهد الإنماء العربي – الطبعة الأولى – ١٩٨٤م – ص ٨٥.

(٣) Studia et Acta Orientalia: "Le XXV^{eme} Congres International des Orientalistes, Moscow, 9 - 16 Aout 1960" - III - Bucarest – 1960 - Societe des Sciences Historiques et Philologiques de la R.P.R. Section d'Etudes Orientale - Meridiens-Edition . – pp. 299 – 346.

(٤) المرجع نفسه – ص ٣٣٢.

(٥) الأيديولوجيا: علم دراسة الأفكار والمعاني، وخصائصها وقوانينها وعلاقاتها بالعلامات التي تعبر عنها، والبحث عن أصولها بوجه خاص. وتطلق أيضاً على تحليل أفكار مجردة لا تطابق الواقع، وتناقشها. عن المعجم الفلسفي – ص ٢٩.

(٦) المرجع السابق – ص ٣٣٩.

(٧) المرجع نفسه – ص ٣٤١.

(٨) المرجع نفسه – ص ٣٤١.

(١٣٨٣هـ)، فقد قدم ك. أ. نظامي K. A. Nizami^(١) ملخصاً عنه، ذكر فيه افتتاح المؤتمر واللجان التي قسم إليها، وأهم المحاضرات التي أُلقيت في اللجان التي تهتم العالم الإسلامي، وهي لجنة الدراسات المصرية، ولجنة الدراسات الأطلية^(٢) والتركية، ولجنة الدراسات الآرية، وأسهب بعض الشيء في الدراسات الإسلامية. وعن المؤتمر نفسه، اكتفى نجيب العقيقي^(٣) ببرد اللجان المختلفة التي انقسم إليها المؤتمر.

وأورد "آري راشال Arie Rachel"^(٤) مختصراً وجزئاً عن المؤتمر التاسع والعشرين المنعقد في باريس ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، أورد فيه بعض البحوث التي أُلقيت في لجنة الدراسات الإسلامية والعربية، ثم الإيرانية والتركية. كما نشر حمد الجاسر^(٥) مذكرات له تحت عنوان "على هامش مؤتمر المستشرقين: أيام في باريس"، تتعلق بالمؤتمر ذاته، ولم يتناول مجريات شؤون المؤتمر إنما هي خواطر شبيهة بمذكرات يومية للفترة التي قضاها في باريس: لقاءاته وجولاته وزياراته لبعض المكتبات هناك.

أما أحمد سمايلوفيتش^(٦)، فإنه تعرض للكلام عن هذه المؤتمرات باختصار شديد، ذكراً أن الدوافع وراء الدعوة لعقد مثل هذه المؤتمرات صدور ثلاث

(١) Nizami K. A. "XXVI International Congress of Orientalists" – STUDIES IN ISLAM - Vol. I - No 1 – January – 1964 – pp. 117 – 130 .

(٢) متعلقة بجلال آطاي في آسيا الوسطى، والشعوب التي تقطنها.

(٣) نجيب العقيقي: المستشرقون – الجزء الثالث – ص ٢٦٩.

(٤) Rachel Arie: "Le XXIXeme Congres International des Orientalistes" – Boletin de la Asociacion Espanola de Orientalistas – ANO X – 1974 (Madrid) pp. 310 – 312 .

(٥) حمد الجاسر: "على هامش مؤتمر المستشرقين : أيام في باريس -١- - الأديب - ج. ٥ و ٦ -

١٣٩٣م - ١٩٧٤م - ص ٤٦٠ - ٤٧٢ .

- "على هامش مؤتمر المستشرقين : أيام في باريس -٢- - الأديب - ج. ٧ و ٨ - ١٣٩٤م -

١٩٧٤م - ص ٤٨٥ - ٤٩٥ .

- "على هامش مؤتمر المستشرقين : أيام في باريس -٣- - الأديب - ج. ٩ و ١٠ - ١٣٩٤م -

١٩٧٤م - ص ٦٥٢ - ٦٥٨ .

(٦) أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العالمي المعاصر - مصر - دار المعارف

- ص ٨٤.

دعوات في العالم الإسلامي، الدعوة إلى الإصلاح، والدعوة إلى النهضة ثم الدعوة لتكوين الجامعة الإسلامية، وأنه على إثر ذلك، علّت الدعوات إلى اجتماع المستشرقين لتداول الأفكار في إطار دوري الانعقاد^(١)، رغم أن الباحث لم يجد مثل هذه الدوافع فيما تحصل عليه من وثائق.

٥ - موضوعات الرسالة

تتكون موضوعات الرسالة، التي سيتم طرقها، إضافة للمقدمة، على تمهيد وأربعة أبواب. يتناول التمهيد عنصرين هامين في ميدان الاستشراق، وهما نشأة الاستشراق، وتطور أساليبه، وهما عبارة عن مدخل لطرق الموضوع الرئيس، مؤتمرات المستشرقين العالمية، بوصفها إحدى أساليب الاستشراق، وسيتناول بالدرس نشأتها ومسارها، ويبين أهم خصائصها.

يحلل الباب الأول نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية. وفيه ثلاثة فصول، يتناول الفصل الأول منه نشأة التجمعات الاستشرافية، ويتعرض لدراسة مختصرة عن الجمعيات الاستشرافية، ومؤتمرات المستشرقين المحلية والإقليمية، مركزاً على أهمها. أما الفصل الثاني، فيتناول بالدرس فكرة الدعوة إلى انعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية، وبطرق في مبحث أول للفكرة ومراحل الدعوة إليها، مركزاً على المدرسة الاستشرافية الفرنسية، والداعي الأول للفكرة. أما المبحث الآخر فيركز على أهداف هذه المؤتمرات من حيث هي علمية أو دينية أو ثقافية أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية. ويتعلق الفصل الثالث لمؤتمر المستشرقين العالمي الأول، بوصفه نواة هذه المؤتمرات، ويتم تناول انعقاده ونظامه العام، وأعماله الدراسية ونتائجه الإيجابية والسلبية.

أما الباب الثاني، فيتعلق بالأطر الإدارية والعلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية، وفيه ثلاث فصول، يتحدث الأول عن الأطر الإدارية، صفتها وتطورها، وذلك من حيث مسميات المؤتمرات ونظمها العامة والإدارية. ودرس الفصل الثاني الأطر العلمية، صفتها وتطورها كذلك، ويتناول جلسات المؤتمر بأنواعها،

(١) المرجع نفسه - ص ٨٤.

الافتتاحية والدراسات العلمية، والندوات والحلقات الدراسية، وكذلك الجلسات الختامية، كما يطرق الفصل التطورات الحاصلة عليها. أما الفصل الثالث، فخصص للمساهمات الشرقية في مؤتمرات المستشرقين العالمية وفيه ثلاث مباحث، يتعلق الأول بالمساهمات الإسلامية، والثاني بمساهمات الشرقيين غيرهم، فيما تعلق الأخير بالمؤتمرات التي انعقدت في البلدان الشرقية، وهي خمس، في الجزائر وتركيا والهند واليابان وهونج كونج.

ويحمل الباب الثالث عنوان "الأطوار التي مرت بها مؤتمرات المستشرقين العالمية"، وهي أربعة فصول، باعتبار عدد الأطوار التي مرت بها المؤتمرات، وهي: من نشأتها حتى الحرب العالمية الأولى، ثم حقبة ما بين الحربين، ثم من الحرب العالمية الثانية حتى المؤتمر التاسع والعشرين، وحقبة ما بعد ذلك، ويستعرض البحث صفات كل حقبة منها.

أما الباب الأخير، فيتحدث عن خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية. وفيه ثلاثة فصول، يتعلق الأول بخصائص المؤتمرات العامة، من الجانب التنظيمي والعلمي، ويتناول الثاني المؤثرات في المؤتمرات، من الجوانب الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. أما الأخير فهو عن أثر المؤتمرات، الدينية والسياسية، الثقافية، وهذه الأخيرة هي أهمها.

وتختتم الرسالة بخاتمة، تتحدث باختصار عن أهم نتائج الرسالة، وبعض التوصيات العامة.

٦ - أهم المصادر

سيتم الاعتماد في طرق هذه الرسالة على مجموعة متنوعة من المصادر. وهي كل ما يتعلق بموضوع مؤتمرات المستشرقين العالمية. وتشتمل الرئيسة منها وقائع أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهذه هي المعتمدة كمصدر أساس في جل جوانب الرسالة وموضوعاتها. وهذه الأعمال تفاوتت طريقة نشرها، وسيتم التعرض لهذه المسألة لاحقاً^(١). كما أن هناك البعض منها لم يتم بعد نشرها،

(١) سيرد ذلك لاحقاً ص ٢٠٧ - ٢١٠ من الرسالة.

ولاسيما المتأخرة^(١). في المرتبة الثانية، يرد كل ما كتب حول هذه المؤتمرات من نقد وتحليل وتقويم، أو وصف. ويستعان بها لفهم بعض ظواهر المؤتمرات. وبما أن الموضوع دراسة استشرافية، فلا يمكن الاستغناء عن المصادر والمراجع الأساسية في الاستشراق، لاستخدامها عند اللزوم، ولاسيما في الموضوعات الأولى من الرسالة. ثم هناك مراجع في الثقافة العامة، من شأنها أن تكمل تحليل الموضوعات والدراسة^(٢).

من جهة أخرى، تنتشر الدراسات المعروضة في المؤتمرات عادة، بلغاتها التي عرضت بها. وبالتالي توجد لغات متعددة في هذه الوقائع. ومن ثم، سيضطر الباحث ضرورة على الاعتماد على الدراسات المكتوبة باللغتين الفرنسية والإنجليزية بصفة رئيسة، مع الاستعانة قدر المستطاع بالمدونات باللغات الأخرى كالألمانية مثلا. كما سيعتمد الباحث في الترجمة من اللغتين الفرنسية والإنجليزية على نفسه إلا فيما يستعصي عليه ويرى ضرورة الاستعانة بغيره. أما بقية اللغات، فلا بد من الاستعانة بمن يساعده. هذا وسيكون للترجمة الحيز الأكبر في استهلاك الوقت المخصص لهذه الرسالة، بما أن معظم الدراسات المعتمدة هي باللغات الأوروبية بصفة أساسية.

تلك هي أهم القضايا الرئيسية التي سيتم على غرارها بناء هذه الرسالة، الذي يرجو الباحث من الله التوفيق فيها، وأن يكون عمله خالصا لوجهه الكريم إنه على كل شيء قدير.

(١) هما المؤتمران الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون.

(٢) قائمة المراجع الشاملة ص ٨٥٥ - ٨٧٧ من الرسالة.

تمهيد: دراسة عن نشأة الاستشراق وتطور
اساليبيه

تمهيد: دراسة عن نشأة الاستشراق وتطور أساليبه

إن المطلع على المكتبة العلمية العالمية يمكنه أن يلمح، بكل يسر، الحيز الذي تشغله الدراسات الاستشراقية فيها. فقد شهدت اتساعا وعمقا في البحوث والمعارف، ورغم تنامي هذا النشاط المعرفي، والذي لا يزال يتطور ويتبحر، إلا أن نشأته ونقطة انطلاقه لازالت غامضة. وفيما يلي، سيتم إلقاء بعض الضوء على ذلك، إضافة إلى التعرض لبعض الأساليب التي تتبعها الاستشراق، ولاسيما منذ إنطلاقته، حتى الوصول إلى انعقاد المؤتمرات، بوصفها أسلوبا من أساليب الاستشراق.

١- نشأة الاستشراق :

كثيرا ما يهتم الباحثون بالتعرف على البدايات التاريخية لأي ظاهرة حياتية. والاستشراق هو أحد المعارف التي نمت واشتد عودها، وكثرت بحوثها. وكان أن اهتم العديد من الباحثين بمحاولة التعرف على بداياته وانطلاقته، واختلفت مشاربهم في ذلك. وفي هذا المبحث، سيتم إلقاء بعض الضوء على تلك النشأة.

أ - البحث في بدايات نشأة الاستشراق:

تصدى للتعرف على منطلق الاستشراق العديد من الدارسين والباحثين، وهؤلاء اختلفت مشاربهم حول الموضوع: فهناك من يرجعه إلى ما قبل الميلاد، ولاسيما انطلاقا من حملة الإسكندر المقدوني^(١) على الشرق، والتي انطلقت منذ

(١) الإسكندر المقدوني (٣٥٦ ق م - ٣٢٣ ق م)، عرف بنموحه منذ الصغر. تعلم على يد الفيلسوف أرسطو. ملك مقدونيا منذ ٣٣٦ ق م، وقد بلغ العشرين سنة من عمره. ومن أشهر قواد الحرب في

العام ٣٣٤ ق م (٩٨٦ ق هـ)، وما تلاه من غزوات غربية للشرق ورحلات شرقية للغرب^(١). وهناك من يعود به إلى بعثة الرسول محمد ﷺ^(٢)، ومنهم من يراه انطلق مع خروج الغزوات وانتشارها^(٣). وأعاده آخرون إلى القرن الثامن من التقويم الميلادي، بعد دخول المسلمين الأندلس^(٤)، ومنهم من يرجعه إلى القرن العاشر الميلادي، يوم سطع نجم المعارف العلمية من الأراضي الإسلامية^(٥). وغيرهم يراه من انطلاق الحروب الصليبية^(٦)، فيما يعود به البعض إلى عام ٧١٢هـ - (١٣١٢م)، لما عقد مؤتمر مجمع فينا الكنسي، الذي نادى بإنشاء كراس للعبدية والعربية والسريانية في مدن أوروبا^(٧). وقد أرجع انطلاقته آخرون إلى ما بعد الإصلاح الديني الذي نادى به "مارتن لوثر"^(٨) منذ القرن الخامس عشر. ثم

العهد القديم. ثارت عليه القبائل والحاميات، فقاومها وأخمد ثوراتها في وقت قصير. انطلق لاحتلال مملكة الفرس سنة ٣٣٤ ق م، وتم له الاستيلاء على المشرق سنة ٣٣١ ق م. وواصل توغله حتى أرض الهند. وسعى حول إفريقيا ليخضع قرطاجة، إلا أنه مات وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين - بيروت - دار المعرفة - الطبعة الثالثة - ١٩٨١م - المجلد الثالث - ص ٣١١ - ٣١٩ .

(١) مساسي سالم الحاج - الظاهرة الاستشرافية وأثرها على الدراسات الإسلامية - مالطا - منشورات مركز دراسة العالم الإسلامي - الطبعة الأولى - ١٩٩١م - ج ١ - ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) للرأي لعبد السلام هارون - تهذيب سيرة ابن هشام،

(٣) قاسم السامرائي - الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية - الرياض - دار الرفاعي للنشر

والتوزيع - الطبعة الأولى - جمادى الأولى ١٤٠٣هـ - فبراير ١٩٨٣م - ص ١٩ .

(٤) علي بن إبراهيم النملة - "كنه الاستشراق: مناقشات ... " - ص ٣٩ .

(٥) هذا الرأي ذكره العديدون، منهم عبد المجيد النيان "المستشرقون والإسلام"، وأحمد السكندري (وآخرون) في "المفصل في الأدب العربي"، وجورجي زيدان في "تاريخ الآداب"، وغيرهم. نقل ذلك أحمد سمياوفيتش في كتابه فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر - مصر - دار المعارف - ص ٥٤ - ٥٥ .

(٦) محمد البهي: الفكر العربي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - القاهرة - مكتبة وهبة - الطبعة العاشرة - ص ٤٢٩ .

(٧) هذا الرأي قال به كثيرون، جمع العديد منهم علي بن إبراهيم النملة في مقاله "كنه الاستشراق..."، السابقة الذكر - ص ٣٨ .

(٨) المرجع السابق - ص ٤٢٩ .

هناك من يرى أن البدايات الحقيقية للاستشراق ظهرت مع الحملات الاستعمارية^(١)، ولا سيما انطلاقاً من القرن السادس عشر.

وثمة رأي لأربري، يحسن إيرادَه في هذا المكان، يقول فيه: "والمدلول الاصطلاحي (مستشرق) كان في سنة ١٦٨٣م (١٠٩٤هـ)، (أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية). وفي سنة ١٦٩١م (١١٠٢هـ)، وجدنا "أنطوني وود Antony Wood"، يصف "صمويل كلارك Samuel Klark"^(٢) بأنه (مستشرق نابه)، يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. و"بيرون" في تعليقاته على Childe Harold's Pilgrimage يتحدث عن (المستر "ثورنتون"^(٣)) وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق). وفي خلال المجادلة التعليمية بالهند، ... سنة ١٨٣٤م (١٢٤٩هـ)، كان المستشرقون، أولئك الذين نادوا بالتعليم والأدب الهنديين، بينما سمي معارضوهم الذين رغبوا في أن تكون الإنجليزية أساس

ومارين لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) (٨٨٨ - ٩٥٢هـ)، لاهوتي ألماني، درس اللاهوت بداية العام ١٥٠٥م (٩١٠هـ)، وفي العام نفسه عين راهباً. واصل دراسته في الفلسفة الأخلاقية، وحصل على الدكتوراة سنة ١٥١١م (٩١٦هـ) في اللاهوت، وعين أستاذاً للكتاب المقدس. قدم روما سنة ١٥١٠م (٩١٥هـ)، وصدم لما وجد من فساد في المراكز الكنسية العليا، فأبصر يدرس الكتاب المقدس وفق المنهج الذي يراه سليماً، وأضحى بذلك معارضاً للأسلوب القديم، وتوصل إلى أن المسيح وحده هو الواسطة بين الإله والبشرية، الأمر الذي جعله يصطدم باللاهوت التقليدي السائد في أوروبا في العصور الوسطى وعصر النهضة. كما عرف بانتقاده الشديد للبابا والكنيسة، وانتشرت كتاباته في كامل أوروبا، تزعم حركة الإصلاح الديني، البروتستانت، وغير مفاهيم عقيدة الخطيئة والغفران، وأسس الكنيسة الإنجليكانية، وأبطل العديد من ممارسات الكنيسة الكاثوليكية.

Academic American Encyclopedia - Princeton-New - Jersey - Arete Publishing Company - 1981 - Vol 12 - pp. 468 - 469.

(١) علي بن إبراهيم النملة - "العلاقات بين الاستشراق والاستعمار" - التوباد - ج ٢١ - ع ٤ - شوال ١٤٠٨ - ص ٣٨ - ٤٢.

(٢) صمويل كلارك Klark S. (١٦٧٥ - ١٦٦٩م) [١٠٣٤-١٠٧٩هـ]، تخرج من جامعة أكسفورد، وعين أول مشرف على مطبعتها سنة ١٦٤٩م (١٠٥٨هـ). عاون في نشر التوراة سنة ١٦٥٨م، وصنف مقالة عن العروض العربي سنة ١٦٦١م [١٠٧١هـ]، وخلف في المكتبة اليدوية نسخة طبق الأصل لجغرافية أبي الفداء ومعجم الأماكن ذات الأسماء العربية وأجزاء من القاموس الفارسي التركي.

عن نجيب العتيقي - المستشرقون - الجزء الثاني - ص ٤٤ .

(٣) لم أتمكن من التعرف على الشخصيتين: بيرون وثورنتون.

التعليم في الهند (المتجلزون Anglicists)، ومما يؤسف له ما أنتجه هذا النزاع المشهور من الحزازات، قد أُلصقت باسم المستشرق قدرا من القدر والشين^(١)، وبالتالي، فما ظهر مصطلح استشراق حسب رأيه إلا في القرن السابع عشر، وتبلور في القرن التاسع عشر.

وإذا أمعنا النظر في هذه الآراء وتناولناها بالتعليق، فإننا نخلص لما يلي: القول بأن الاستشراق قد يكون انطلق مع حملة الاسكندر المقدوني، إنما هو بحث عن أول تلاق بين الحضارتين الغربية والشرقية، أدى بالغرب إلى أخذ المعلومات عن الشرق. ومن أرجعه إلى بعثة النبي ﷺ فإن هذا لا اعتبار أن هناك ردة فعل تجاه الدعوة الإسلامية وانتشارها، ولا سيما مهاجمة القيصر وكسرى.

أما عملية الإصلاح الديني، فلا شك في أن للثقافة الإسلامية دورا كبيرا فيها، وجاء ذلك بعد الاطلاع على المعارف المختلفة عند المسلمين، فهي وردت في فترة كانت قد انطلقت فيها فعلا الإشارات والبحوث الاستشراقية الأولى.

وإذا نظرنا في مقولة إن أصل الاستشراق يعود إلى الحملات الاستعمارية، ومقولة إنه يرجع إلى منتصف القرن التاسع عشر، وجدناهما جاءا متأخرين جدا، وقد تبلورت البحوث الاستشراقية ساعتهما.

الآراء القائلة بعودة ذلك إلى دخول المسلمين الأندلس، أو سطوع المعارف العلمية في الأراضي الإسلامية، أو انطلاق الحروب الصليبية، أو انعقاد مجمع "فيينا"، فإن هذه تضافرت كلها لتمهد الطريق لانطلاقة استشراقية عميقة. فقد انبهر الغرب بقوة المسلمين العسكرية والعلمية، لذلك بدأ يتقرب للتعرف على تلك المقومات، وانطلق بطريقة محتشمة، ثم أصبح علنيا تنافسيا.

ب - الأطوار التي مر بها الاستشراق في نشأته:

ساعدت الحروب الصليبية في الحصول على مخطوطات وبحوث وآثار، وفي التعرف على المجتمعات الشرقية، رغم استخدامهم الخيال في وصف الشوق

(١) آربي أ. ج. - المستشرقون البريطانيون - تعريب محمد الدسوقي النويهي - لندن - Clark &

Sherwell LTD - Northampton - ١٩٤٦ - ص ٨.

ساعاتها، والمبالغة في تصوير الأحداث حتى إنها تصل إلى حد غير المعقول. إلا أن النتيجة كانت اشتهاً الشرق في الغرب، وتنامي شعبيته تدريجياً هناك. وظلت البحوث فردية وعشوائية، حتى قام مؤتمر "قينا"، الذي حاول تنظيم الدراسات الاستشرافية وتأطيرها.

ولعل أبلغ دراسة تحلل مسار الاستشراق وتبين أطواره، هي دراسة "رنتشارد سوزرن R. Sothorn"، في كتابه "صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى"^(١)، إذ فيه تعمق تاريخي في تحليله لنشأة الاستشراق، لذا يمكن الوقوف معه لكونه توصل إلى بيان كيفية تبلور الاستشراق وتطور مساره.

قسم سوزرن دراسته لثلاث حقبة: حقبة الجهل^(٢)، وعصر التعلل والأمل، ولحظة الرؤيا. والملاحظ أن هذا التقسيم نفسي أكثر منه تاريخي. فالاستشراق، والظاهرة الاستشرافية، إنما هما موقف غربي، كما أن مشكلة مواجهة الامتداد الحضاري الشرقي إنما هي غربية داخلية بحتة، وبالتالي طبع سوزرن هذا التآزم على الواقع بهذه التقسيمات الثلاثة. وحدد لها أزمناً دقيقة.

في حقبة الجهل، يرى سوزرن أن هناك نوعين منه، وهما الجهل الناجم عن ضيق الأفق، بالمعنيين الفكري والجغرافي، والجهل الناجم عن أوهام ومخيلة متسعة. يحتل النوع الأول منهما القرون الأربعة الأولى منذ العام ٧٠٠م (٨١هـ)، وتميزت بالاعتماد على تفسيرات العهدين القديم والجديد، ولم يكن الإسلام عندهم سوى أحد أعداء النصرانية المتعديدين، دون تفريق بين وحدانية الإسلام ووثنية القبائل الشمالية.

أما النوع الثاني من حقبة الجهل، فقد شغل العقود من ١١٠٠م (٤٩٣هـ) حتى ١١٤٠م (٥٣٥هـ)، وفيه سادت أوهام وأحلام المخيلة الخلاقة لأوائل القرن الثاني عشر. فقد كانت الصورة نتاجاً لانتصارات الفرسان الصليبيين في فلسطين. وهذه الحقبة بقيت مؤثرة في الخلفية الفكرية الغربية حتى العصر الحاضر، يعترف بذلك سوزرن قائلاً: "علينا أن نعرف أن هذه الصورة عن الإسلام تركت

(١) رنتشارد سوزرن - صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى - ترجمة وتقديم رضوان السيد

- بيروت - دار الإفتاء العربي - الطبعة الأولى - ١٩٨٤م.

(٢) تفصيل الموضوع في المرجع السابق - ص ٣٥-٦٩.

فينا وفي ثقافتنا آثارا واضحة إلى وقت مبكر^(١). ومن هنا كان حسنا الإشارة إلى هذه الحقبة، لما لها من أثر في توجيه الفكر الاستشراقي.

أما حقبة الأمل و التعقل^(٢)، فتبدو أنها جاءت ردة فعل على ما ساد الوسط الغربي من خيال وتصور، إذ ظهرت كتابات تدل على أن الإسلام دين توحيدي، وتتحدث عن النبي محمد ﷺ، كما نشرت كتب غربية ترد بعضها على بعض، وولجت المخيلة الغربية بالتالي لحقبة تعقل بدرجة ما.

إلا أن الحقبة تلك شهدت ما يسمى هرطقات وثورات ضد الكنيسة، داخليا وخارجيا، وشهدت الحروب الصليبية انتكاسات نكراء، بعد انتصاراتها الأولى، وبالتالي، لم يمكن للحقبة أن تجد للموضوعية مكانا في أبحاثها ودراساتها. فقد استقر في ذهنهم أن الإسلام ما هو إلا هرطقة نصرانية، يجب التعرف عليه للتمكن من مكافحته وحماية النصارى الآخرين من اعتناقه.

أما لحظة الرويا^(٣)، فجاءت بعد أن خابت الآمال السابقة، ولاسيما بعد سقوط عكا الصليبية بأيدي المسلمين سنة ١٢٩١م (٦٨٩هـ-)، وعادت النصرانية تشعر بالخطر يهددها من جديد، بعد اعتناق المغول الإسلام. مقابل ذلك، ازدادت صورة الإسلام والمسلمين وضوحا لديهم، وفتتوا بقيمهم الاجتماعية، لكنهم ظلوا يهاجمون عقيدتهم، وغلب التشاؤم على متفقيهم، وعادت من جديد النعوت الوثنية والسياب والقذف في الكتابات والحكايات.

كما زاد الإيمان بضرورة الدعوة إلى تعلم اللغات الحية، واشتد الضغط إلى أن اقتنعت الكنيسة بذلك، ودعت في مجمع فينا سنة ١٣١٢م (٧١٢هـ-)، إلى إدخال اللغات تلك ضمن البرنامج الرسمي للكنيسة الغربية، في العديد من دول أوروبا. ورغم ذلك تحطمت وحدة الفكر الأوروبي للمرة الأولى في تلك الفترة، وقام عداء مكشوف للإسلام ولكل ما يمت إليه بصلة. ونتج عن ذلك انتقاسات داخل النصرانية، وهناك من أسعده سقوط الكنيسة الغربية أمام الإسلام والمسلمين.

(١) ريتشارد سوزن - صورة الإسلام في أوروبا... ص ٦٨.

(٢) تفصيل الموضوع في المرجع نفسه - ص ٧٧ - ١٠٩.

(٣) تفصيل الموضوع في المرجع نفسه - ص ١١٠.

تلك هي المواجهات الأولى التي بلورت النشأة الاستشرافية، تلك النشأة التي تكونت شيئاً فشيئاً لتكون الظاهرة الاستشرافية، التي نشطت بعمق واتساع، من منتصف القرن التاسع عشر.

وإذا واصلنا تحليل سوذرن، وسرنا على منواله باختصار، فيمكن لنا تعيين أحداث في الغرب، كان لها أثر كبير في مسار الدراسات الاستشرافية، أهمها استيلاء الأسبان على الأندلس، وطرده المسلمين منها، ولا يستبعد أن يكون ذلك قد أوجد متنفساً في الشخصية الغربية، التي أعادت الأمل في نفسها للتخلص من المسلمين، وزاد عداؤها لكل ما يمت للإسلام بصلة، وتواصلت الألقاب والصفات التي نعت بها الدين الإسلامي ومعتقوه، تلك الأمور التي نجدها في أناشيد الملاحم حتى بداية القرن السابع عشر. وكذلك الكشف الجغرافية الكبرى، التي قوت من النفسية الغربية، إذ بينت لها أنه بإمكانها الوصول حيثما شاعت، وكيفما أرادت، دون الاعتماد على ما تعتبره عذوها للدود، وزادها إيماناً بقدراتها تلك الهزائم التي تلاحقت على الخلافة العثمانية في الشرق الأوروبي. وصاحب ذلك كله قوة فكرية، انطلقت من عصر النهضة، وتقوت بالمناهج الفكرية والفلسفية، إضافة إلى التطور العلمي، كل ذلك ثبت إيمان الغرب بقدراته ومؤلاته، وبالتالي رد الاعتبار لنفسه، إضافة إلى التنافس الغربي لتحقيق مصالحه الخاصة، التجارية والاقتصادية والسياسية، وظهرت بالتالي الحملات الاستعمارية التي عدها البعض بمنزلة حلقة أخرى من الحروب الصليبية، انتصر فيها الصايب أخيراً على الهلال^(١).

ج - أثر الثقافة الإسلامية في تنمية الاستشراق

بعد أن أشربت أوروبا الثقافة الإسلامية وقامت بنهضتها، بدأت تنظر إلى الاستشراق بروح أوسع أفقاً^(٢). وبعد أن انطلقت الطباعة، استغلها القرن السادس

(١) رنا قباني - أساطير أوروبا عن الشرق: لفق تمدد - ترجمة صباح قباني - دمشق - دار طلاس

للدراسات والترجمة والنشر - الطبعة الأولى - ١٩٨٨ م - ص ١٩.

(٢) أحمد سمبالوفيتش - فلسفة الاستشراق - ص ٧٧.

عشر أيما استغلال فخطا خطوة كبرى في سبيل تطوير الاستشراق^(١)، فانتشرت المدارس لتعليم العربية في أوروبا، وأقيمت المطابع لإصدار نفائس التراث الإسلامي العام بصفة عامة، والعربي الإسلامي بصفة خاصة، وتسابق العلماء والرهبان لدراستها ونشرها والتعليق عليها، وتوجه الاهتمام إلى المخطوطات اقتناء وشراء وطباعة، "ومنذ ذلك الحين، أصبح الاستشراق شبكة محكمة العرى، حيث توطدت العلاقة بين أصحابه وأتباعه الذين يعملون في أدب وجداد ويتحركون في كل اتجاه، ويستغلون كل سبيل ويستخدمون كل وسيلة للحصول على نفائس الشرق ونشرها"^(٢).

وتكاثرت بالتالي كراسي الدراسات الشرقية، وتعددت المدارس المتخصصة في البحوث المتعلقة بالشرق كذلك، "ولقد كان لتلك المدارس والكراسي أثر كبير في نهضة الاستشراق"^(٣).

وفي ظل الاستعمار، شهدت النفسية الغربية أخيرا متفاسا يرفع عنها ثقل سنوات عديدة من الرضوخ والخوف من القوة الإسلامية. لقي الاستشراق الدعم الكامل، والتشجيع التام، فشهدت الدراسات الاستشراقية ميدانا فسيحا أمامها، فانبرت نقوي من قدراتها وتعمق أبحاثها.

د - محاولات تصحيح صورة الاستشراق ومساره

بعد تحرره ونهضته، أقبل الشرق يعب العلوم عبا، فكان أن وجه انتقادات متواصلة للدراسات التي تتناوله بالتحليل، وقوى ذلك اتساع المكتبة العالمية وتقاربها، وسهولة الحصول على أي مصدر من المصنفات العلمية في أي مكان، وانطلقت بالتالي عملية محاصرة النفسية الغربية المغرضة، بالمنطق والدليل. فما كان من التيار الاستشراقي إلا أن عدل من مساره شيئا فشيئا، وازدادت الحملة الإعلامية الكبرى ضد الاستشراق، ولاسيما بعد أن استغلت أعمال المستشرقين لصالح الاستعمار والسياسة، وبعد أن اتضح أن الكثير من المستشرقين خبراء

(١) المرجع نفسه - ص ٧٧.

(٢) المرجع السابق - ص ٧٨.

(٣) المرجع نفسه - ص ٧٩.

سياسيون واجتماعيون واقتصاديون وعسكريون، متخصصون في المقومات العامة للعالم الإسلامي وقدراته الحضارية وحياته اليومية.

وما لبث الغرب أن شعر بالضيق من هذا المصطلح، وكان لدراسة أنور عبد الملك "الاستشراق في أزمة"، سنة ١٩٦٣ م (١٣٦٣هـ)، ومن سائره، أثرها الكبير حتى في المستشرقين أنفسهم، وفي هذا المجال ينقل الموسوي فيقول: "ولهذا كانت المقالة تنبئ ضمنا بما يعلفه لاحقا مؤتمر المستشرقين التاسع والعشرين في باريس، تموز ١٩٧٣ م (جمادى الأولى ١٣٩٣هـ)، عن موت الاستشراق وحلول العلوم الإنسانية المعنية بالشرق بديلة"^(١). وهكذا حاول المستشرقون تعديل المسار البحثي والسعي لإضفاء الموضوعية على الدراسات، والتخلي عن موروث القرون الوسطى وعصر النهضة. ورغم تلك المحاولات، بقيت الجذور تلك تعمل في دراسات كثيرين، حتى من المعاصرين من المستشرقين، بشهادة أقطاب عديدين منهم، جمع بعضها عرفان عبد الحميد^(٢).

بعد هذه الأضواء على نشأة الاستشراق وتبلوره، بوصفه توجهًا غريبًا في أساسه، فإن فكرة الاستشراق تكونت مع طول الزمن، في فترات متلاحقة، وبالتالي، يصعب تحديد حقبة معينة، أو فترة زمنية محددة، انطلق فيها الاستشراق. أما ما يمكن قوله، هو أن الاستشراق عبارة عن تراكمات فكرية ونفسية واجتماعية، سيرتها عواطف دينية، تكثفت أحداثها وتطورت لينتج عنها ما سمي لاحقا بحقل الاستشراق، وهذا ما ذهب إليه أيضا "رودي بارت" لما قال: "لم يتبع تطور الاستشراق في مراحله الأولى في العصر الوسيط إلى مرحلة التحول النهائي إلى علم قائم على النقد التاريخي، طريقا مباشرة مستقيمة، ولم يتم، للاشتغال بالشرق وبمحمد (ﷺ) وبالدين الذي نشره، التحرر من طريقة البحث اللاهوتية المبنية على الدفع والمشاحنة إلا في العصر الحديث وتدرجيا. لكن الجهود التي بذلت لإنصاف عالم الشرق ورسم صورة مستمدة من المصادر،

(١) المرجع نفسه - ص ٤٦، وسياقي تفصيل ذلك لاحقا ص ١٩٦ من الرسالة وما بعدها.

(٢) عرفان عبد الحميد - المستشرقون والإسلام - بيروت - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة -

١٤١٣هـ - ١٩٨٣م - ص ٤ - ٥.

تعرضت من حين لآخر لاتجاهات اعترضت سبيلها أو غطت عليها وأدت إلى تشويه صورته^(١).

لكن لا يمكن إضفاء صفة علم على هذا الفن المعرفي، لعدم مطابقته لمفهوم العلم، وهذا ما يراه العديد من المستشرقين أيضاً، وصرح لي اثنان من كبار المستشرقين الألمان بذلك، وهما "شتيفن فيلد Stefen Wild" و"رنهارت شولتز Reinhart Shultz"، في مقابلات لي معهم في ألمانيا سنة ١٩٩٥م. بل إنهما يرفضان إطلاق صفة مستشرق عليهما^(٢).

تلك هي مسيرة الأحداث التي أدت إلى أنتاج الأبحاث الاستشرافية، حتى وصلت لما هي عليه اليوم.

٢- تطور أساليب الاستشراق:

مثمنا شهدت نشأة الاستشراق أحداثاً متلاحقة، ساهمت في إنتاج نواة الاستشراق وتطوره، كذلك شهدت الأساليب التي انتهجها تطوراً متناسباً وتناسمي الأحداث المحيطة بكنه الاستشراق. فقد كان لكل حقبة زمنية من حقب الفكر الاستشراقي أساليبها الخاصة بها. ومثلما نتبعنا المسار التاريخي للاستشراق، يمكن مواصلة البحث في مسار هذه الأساليب بالتدرج، ولا سيما في الحقب الأولى من عمر الاستشراق، التي سيتم التركيز عليها، إلى أن أصبحت المؤتمرات إحدى هذه الأساليب، بعد انطلاقها من الخيال الفكري والأدبي.

أ- الخيال الفكري والأدبي:

تمت الإشارة باختصار لهذا النوع من الفكر الغربي، ويمكن تحليل أسلوبه

(١) رودي بارت - الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه) - ترجمة مصطفى ماهر - القاهرة - دار الكتاب للطباعة والنشر - ص ١٥.

(٢) كان ذلك خلال لقائي بسهما سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، وكان تحاورني مع الأول يوم ٩/١٢/١٤١٥هـ (٩ مايو ١٩٩٥م) ببون Bonn، ومع الآخر يومي ١٠-١١/١٢/١٤١٥هـ (١٠-١١ مايو ١٩٩٥م) ببامبرغ Bamberg. وقد سجلت الحوارات على أشرطة سميعة.

في هذا الموضوع. فقد ظل هذا الأسلوب متداولاً لدى الغربيين منذ الاحتكاك بالإسلام، حتى القرن الثامن عشر نفسه^(١). فقد أmeen المجتمع الأوروبي في إطلاق العنان لمخيلته، لتحليل الظاهرة الإسلامية. وكانت العقلية تجعل من غير المعقول معقولاً، ومن غير الممكن ممكناً^(٢). فقد وصم الإسلام مثلاً بالوثنية والهرطقة النصرانية والدنيوية والشهوانية. ووصف المسلمون بأنهم إساحيون وقتالون ووثنيون... وهكذا. فقد كانت تلك الصفات تنقّي بعناية ويروج لها فتنتشر، وعمت جميع فئات المجتمع^(٣).

هذا الأمر لم يتوقف عند حد الخيال الشعبي، بل ولج الكتابات الأدبية نفسها، حيث ظهرت القصة الشعبية وانتشرت ساعته، "وهكذا بقي الإسلام وبقي نبيه عند الغربي العادي مسجونين في الصورة الخيالية الأولى لعدة قرون"^(٤). ذلك هو أثر استخدام الخيال في التعامل مع الإسلام ونبيه ومعتقديه. ومهما كان مصدر الصورة تلك، سواء الصليبيون أو الرهبان أو الأدباء أنفسهم أو الرحالة، فإن هذا الأسلوب طغى وعمر لفترات طويلة من الزمن، ولا سيما في شعر الملاحم الذي تواصل وجوده حتى القرن السابع عشر، وتواصل تأثيره في المخيلة الغربية والخلفية التاريخية للمستشرقين، وغيرهم من الغربيين، علماء وعامة.

ب - تفسيرات الكتاب المقدس وتصوراته:

كانت التصورات والشروح متوازية في وجودها مع الصور الخيالية المنسوبة للإسلام والمسلمين، وهذه الشروح لا تقل غرابة في استخدامها عن التصورات الشعبية. ولم يكن هؤلاء على استعداد للتمييز بين وثنية الأوروبيين الشماليين وتوحيد الإسلام. ولم يكن الإسلام يفترق بالنسبة لهم عن المانوية التي

(١) محمد عصفور - "صورة الإسلام والمسلمين في الأدب الغربي حتى القرن الثامن عشر" - الكويت

- ١٩٨٤ - ص ٥٦.

(٢) ريتشارد سوزنر - صورة الإسلام في أوروبا... ص ٦٥.

(٣) المرجع نفسه - ص ٦٤ - ٦٥.

(٤) المرجع السابق - ص ٦٥.

واجهتها النصرانية قديما. ومن هذا التوجه انطلق المحللون يبحثون في تقديم تصورهم عن الإسلام والمسلمين من خلال الكتاب المقدس. من ذلك مثلا، أنه تمت إعادة أصل المسلمين لجدهم إسماعيل (عليه السلام)، "ونكسرو العهد القديم عن إسماعيل (عليه السلام)" أنه كان بدويا شرسا رافعا يده على الجميع. فهل هناك ما يمكن وصف السرزانيين به أدق مما وصف به جدهم إسماعيل (عليه السلام) ^(١)، وتوصلوا بها حسب زعمهم إلى أن المسلمين ما هم إلا مقدمة لظهور الدجال، ومنهم من نعتهم بأنهم أتباع الدجال. وقد كان مهمهم إقامة تآلف بين ما يتصوروه، وما في الكتاب المقدس الذي كان مرجعهم الوحيد المعترف به لديهم ^(٢) كانت صورة من تحليلات الرهبان النصارى للمسألة الإسلامية، غاهاها الجهل المطبق الذي كانوا يعيشونه رغم تعاملهم ومعايشتهم للمسلمين أحيانا.

ج - الترجمات

شهدت حركة الترجمة نشاطا مطردا منذ القرون الأولى من النقاء المسلمين والغربيين المباشر، ولاسيما في الأندلس، التي قصدها الدارسون الأوروبيون من كل مكان. فقد كان للترجمة هذه أثرها الكبير ليس في تنمية الثقافة الاستشرافية فحسب، بل في النهضة الأوروبية ككل ^(٣).

مرت عملية الترجمة هذه بحقب عدة: فما ترجم في الحقبة الأولى، إلا ما كان له صبغة علمية أو عقلية، من مثل الطب والصيدلة والطبيعة والكيمياء والزراعة والحيوان والبيطرة والفلسفة والمنطق والرياضيات وغيرها ^(٤)، سواء أكانت من الآثار المنقولة من اليونانية إلى العربية، أم الآثار العربية لمؤلفين عرب. وشملت الاختصاصات المختلفة والمعارف المتنوعة ^(٥) "وفي إحصائية عن

(١) المرجع نفسه ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) المرجع نفسه ص ٦١ - ٦٢.

(٣) محمود المقداد - تاريخ الدراسات العربية في فرنسا - سلسلة عالم المعرفة - ١٦٧ - الكويت -

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - جمادى الأولى ١٤١٣ هـ - نوفمبر ١٩٩٢ م - ص ٢٤.

(٤) المرجع نفسه - ص ٢٤.

(٥) المرجع نفسه - ص ٢٤.

القرنين الثاني عشر والثالث عشر فقط، وجد تسعون ترجمة تتعلق بالعلوم الرياضية والفلكية، وستون ترجمة تتعلق بالعلوم الطبية، أربعون ترجمة تتعلق بعلم النجوم والكيمياء السحرية، عشر ترجمات متنوعة^(١). هذه الترجمات وما سواها، كان لها فضل كبير في تنمية الثقافة الغربية، وهو ما أكدّه برنارد لويس أيضا^(٢).

ومع ذلك، فهي ظلت محصورة في كتب العلوم والفنون، ولم يتناول المؤلفات الدينية ولا اللغوية في القرون الأولى، إذ إن هذه المعارف أهملها الغربيون. "أما الأدب العربي والثقافة العربية، الذان نعدهما الآن بلا شك أروع مفرخة للحضارة العربية، فكان الغرب أهملها تمام الإهمال"^(٣).

ولعل أول ترجمة لمصدر إسلامي، هي ترجمة القرآن، التي رعاها بطرس المجل Petrus Venerabilis، وانطلقت في يوليو ١١٤٣م (محرم ٥٣٨هـ—)، وقد قدمت الترجمة القرآنية للغرب الركيزة الأساسية والمأمونة للبدء بدراسات حقيقية حول الإسلام^(٤). ويتضح الهدف من هذه الترجمة في رد بطرس على المعارضين لعمله ذاك من قوله: "فإذا لم يكن بهذه الطريقة إعادة المسلمين إلى النصرانية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء النصارى السذج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم"^(٥). وهذا واضح الدلالة في أن الترجمة كانت تتخذ أسلوبا بحثيا استشرافيا وتنصيريا، لتطوير الدراسات الاستشرافية وتنميتها. ولما تَكَثَّرَت الحملات التي تشن على الكنيسة التي أدت هجها، التُرجمات الفلسفية عن العربية، اضطر علماء اللاهوت إلى أن يكتبوا على دراسة هذه الترجمات ويتوسعوا في معرفة الفلسفة والآراء التي يأتون بها... وقد شجع الباباوات على إدخال العربية إلى أوروبا، إما ليكونوا قادرين على دفع هجوم الفلاسفة، أو لنشر النصرانية في الشرق، وكان ملوك فرنسا يساعدون الإكليزيك

(١) المرجع نفسه - ص ٢٥.

(٢) المرجع نفسه - ص ٢٥.

(٣) أ. ج. آربري: المستشرقون البريطانيون - ص ١٤.

(٤) سولرن: صورة الإسلام... ص ٨٠.

(٥) المرجع السابق - ص ٨١.

- رجال الدين - في هذا النوع من الأفكار^(١)، ومن هنا دخلت اللغة على نحو مباشر أو غير مباشر إلا أن المؤكد إنها فرضت نفسها على الواقع الغربي.

د- التأليف والنشر:

بدأ التأليف والنشر منذ بدايات الالتقاء الحضاري بين الإسلام والغرب، وابتدأت الكتابة بصفة خاصة حول القضية الإسلامية، وممرت بعدة أطوار، وانطلقت من وجهة نظر نصوص الكتاب المقدس. ومما يدل على أن الكتابات اتخذها الغرب أسلوباً من الأساليب التي اتبعتها في مساره الاستشراقي، والذي اتخذ طابعاً نصرانياً في بداياته، قول "سوزن": "فالمصورة صادرة عن رجال كانوا يؤمنون إيماناً عميقاً بما يكتبون..."^(٢) وقوله: "وقد بحثت في المصادر الغربية عن اسم النبي قبل العام ١١٠٠م (٤٩٣-٤٩٤هـ)، فلم أعثر عليه غير مرة واحدة، خارج أسبانيا وإيطاليا الجنوبية"^(٣)، وبذا، دخل التأليف والنشر ميدان خدمة المصالح الاستشراقية والنصرانية واستند المفهوم على المصادر الأدبية، لا على الملاحظة المباشرة الفعلية للمسلمين^(٤).

إن استخدمت الكتابة والتدوين أسلوباً من أساليب التعرف على الشرق، وبالتالي خدمة الاستشراق والمستشرقين. وتلك الكتابات لم تكن مقتصرة على اللغة اللاتينية، بل انتقلت لتكتب باللهجات المحلية كذلك^(٥). واشتهرت بصفة خاصة أناشيد - أو أغاني - الملاحم، والمسرحيات.

فأما الملاحم فاهتمت بالإشادة بانتصارات الفرسان النصارى أمام المسلمين السرزانيين، وفيها بالتالي أوصاف لأخلاقهم وعقيدتهم وتحليلات تتعلق بنبيهم وعبادتهم وعاداتهم.

(١) محمود المقداد: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا - ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٢) المرجع نفسه - ص ٦١.

(٣) المرجع نفسه - ص ٦٤.

(٤) كلامه عند محمد عصفور: صورة الإسلام والمسلمين... ص ٥٢.

(٥) المرجع نفسه - ص ٥٤.

وفي دراسة لـ"شارل بلا" Charles Pellat وابنته عن أغاني الملاحم، استنتجا أموراً عدة منها:

- عدم وجود ذكر لاسم "الله" البتة، رغم أن المسلمين يتلفظون بها دائماً^(١).
- الاعتقاد السائد في وثنية السرزانيين، وأنهم يعبدون آلهة وثنية عدة^(٢).
- ترديد أسطورة موت "ماهون"، حسب معتقد النصارى ساعتها^(٣).
- لم تذكر قضية الوثن والأوثان في الأغاني الملحمية الأولى^(٤)، ولم تنتشر إلا بعد "أنشودة رولان"^(٥).
- السخرية من الديانة الأخرى^(٦).
- تخيلوا وجود معابد تضم أوثاناً لمحمد ﷺ^(٧).
- في الحوارات بين القادة، قد يسلم بعض النصارى، ويعتقون ديانة السرزانيين، وهذا نادر، وأشهرهم - حسب اعتقادهم - واحدة نبيلة، تزوجها السلطان وأنجبت منه ولداً، هو صلاح الدين^(٨). لكن الغالب أنهم يجعلون السرزانيين هم الذين يقومون بتغيير ديانتهم ويعتقون النصرانية "الدرجة أنه لا توجد أي أغنية من أناشيد الملاحم، لم تأخذ بعين الاعتبار الانقلاب الرائع"^(٩)، ولا سيما بين النساء^(١٠).

هذا ما يتعلق بأناشيد الملاحم. أما إذا انتقلنا للمسرحيات، فإننا نجدها لا تكلد تخرج عن تلك النقاط المذكورة، فالمسرحيون مثلهم مثل الشعراء "لم يكونوا يهتمون إلا بالعناصر المثيرة، لذا، فإننا نجد الحرب والغزو وقتل الأخ لأخيه

(1) Pellat, Y. et Ch.: "L'idée du Dieu chez les sarrasins des chansons des gestes" - STVDIA Islamica xxxii G.P. Maisonneuve - MCMLXV - p16.

(2) Ibid. p. 20 - 21.

(3) Ibid. p. 23 ... الحاشية.

(4) Ibid. p. 24.

(5) Ibid. p. 19, and p. 32.

(6) Ibid. p. 24.

(7) Ibid. p. 19.

(8) Ibid. p. 34.

(9) Ibid. p. 34.

(10) Ibid. p. 35 ... etc.

والخيانة^(١)، ولا سيما بين الأتراك^(٢) الذين يعدون الممثلين لهذا الدين. مقابل ذلك يتم إبراز ما لدى النصارى، في زعمهم، من كونهم لا يقبلون الخيانة، حتى خيانة أعدائهم^(٣). كما نجد على الدوام خيانة زوجية، من كلا الطرفين المسلمين^(٤)، كما تسقط الشرقيات سريعا، حتى الأميرات منهن والمتزوجات، في هوى مجرد فارس نصراني، تحاول جاهدة إغواءه^(٥) بكل الوسائل، لكنه يمتنع عنها لئلا يمسكه بمثل ديانته، وغالبا ما تنتهي القصة بترك الأميرة لدينها وفرارها مع معشوقها^(٦).

ويذا يتبين أن الكتابة إنما حقل حاول منه الغربيون الدخول إلى نفسيات المسلمين. هذه البدايات كانت تمهد الطريق لتزدهر الكتابة شيئا فشيئا، و"عندما أشربت أوروبا ثقافة العرب، وقامت بنهضتها، بدأت تنظر إلى الاستشراق بروح أوسع أفقا وأرحب تفكيراً، وإن كانت لا تزال تعاني من إيديولوجيتها النعسفية. وكذا، تواصل الطبع والنشر حتى العصر الحاضر، شمل الفنون المختلفة، والمعارف المتنوعة، المتعلقة بالشرق، وكثرت القواميس والمصنفات والمعاجم والتراجم، ودوائر المعارف، وسأيرت كل فترة الحقبة الزمنية التي تعيشها^(٧).

هـ — إنشاء المعاهد والأقسام والكراسي المتخصصة:

تمكنت الأفكار الإسلامية من إدخال بلبلية على التركيبة الدينية في الغرب، واستطاع الكثيرون الخروج من تحت سيطرة الكنيسة ومراقبتها، والتصرف تجاه الخطر المحدق بهم وفق ما يرونه صالحا. فظهرت المناداة بتعلم لغات المسلمين وعلومهم، وكذلك العلوم المتعلقة بدينهم، منذ عهد مبكر. لكن الكنيسة كانت تصد تلك الأبواب. وكان الرهبان والقسس ينفقون ضد أي مد للعلوم الإسلامية والعربية.

(١) المرجع نفسه - ص ٥٨ وما يليها.

(٢) المرجع نفسه - ص ٥٨ وما يليها.

(٣) المرجع نفسه - ص ٦٣.

(٤) المرجع نفسه - ص ٦٠-٦١.

(٥) المرجع نفسه - ص ٦٠-٦١.

(٦) المرجع نفسه - ص ٦١-٦٢.

(٧) سيتم تحليل ذلك ص ٥٦٣ وما بعدها من الرسالة.

إلا أنهم لقوا بعض التمرد من العديد من المثقفين البارزين. وبالتالي نشأت مدارس ومعاهد وبعض الكراسي المتعلقة بدراسة الشرق منذ القدم^(١). تأسست العديد منابر الدراسات الشرقية، ولاسيما العربية منها، واللغات السامية، قبل مؤتمر فينا، الذي انعقد في العام ١٣١١م (٧١١هـ)، ذلك المؤتمر الذي قام على إثر التحديت الكبرى التي لقيتها الكنيسة، حتى من العديد من أربابها ذاتها، والذين دعوا إلى عقد مراكز للدراسات الشرقية، بعد أن لجؤوا إلى السيف أولا فلم ينالوا ما يبتغون، أن يعمدوا إلى وسيلة أخرى أمر من السيف وأدهى، فقد عقدوا مؤتمرا كبيرا في فينا عام ١٣١١م (٧١١هـ)، وقرروا أن تؤسس في باريس وبولون وأكسفورد وسلمنكة مدارس خاصة تدرس فيها العربية والعبرانية والكلدانية، لتخريج منصرين أشداء^(٢). ومن هنا، انطلقت المراكز الاستشرافية، ودخل الاستشراق حقبة جديدة من مساره وتطوره، رغم الهيمنة النصرانية عليه.

و- جمع المخطوطات وتحقيتها:

من ضمن الأساليب التي اتبعتها الغرب للتعرف على الإسلام والمسلمين، والشرقيين عموما، تجميع المخطوطات. وقد عمت الظاهرة هذه أوروبا بأسرها، وسارع الرحالة والقناصل والباحثون والانتهازيون لمحاولة امتلاك أكبر عدد ممكن من المخطوطات ونقلها لأوروبا. وكان لرعاية أكابر الدول والقسيسين والمؤسسات والأثرياء لهذه الظاهرة وإشرافهم عليها، وتنافسهم في امتلاك أكبر عدد ممكن منها، دورها في تقويتها واتساع نطاقها. واتبعوا في ذلك أساليب شتى، حتى السطو عليها وافتكاكها من أصحابها^(٣).

وهكذا انبرى المستشرقون يجمعون ما يقدرون عليه من مخطوطات، إلا أنهم في مقابل ذلك تمكنوا من المحافظة عليها وصونها، وعملوا على فهرستها، وتقننوا في إخراج الفهارس المتنوعة، حسب المواد والتخصصات التي يهتم بها

(١) المرجع السابق - الجزء الثاني - ص ١٧٣.

(٢) نظر أحمد سمبالفيتش - فلسفة الاستشراق - ص ٧٤ - ٧٥.

(٣) نجيب العقيلي: المستشرقون - الجزء الأول - ص ٤٠٩ - ٤١٠.

المستشرق^(١). كما حاولوا فيما بعد ذلك تحقيقها والقيام بكل ما يتطلبه هذا العمل من تجميع أجزاء المخطوطات ومقارنة بعضها ببعض.

ويصعب تقديم إحصائية كاملة بالمخطوطات الموجودة في أوروبا، والمطلع على البيانات التي قدمها نجيب العقيقي في كتابه "المستشرقون" تهوله تلك الأعداد الضخمة والكميات الوفيرة.

أما من ناحية تحقيق المخطوطات، فللمستشرقين جهودهم الكبيرة في ذلك. وأن اهتمامات المستشرقين توجّهت أساساً للتصوف والفلسفة وعلم الكلام، ثم التراجم والتاريخ، وهذه تعدت ثلثي اهتمام المستشرقين^(٢). أما أقلها جلباً للاهتمام عندهم، فهي العلوم الشرعية الإسلامية، مثل التفسير والحديث والسيرة والفقه^(٣). كما يأخذ على المستشرقين الخروج عن المنهج العلمي في التحقيق أحياناً^(٤).

ز- الرحالة والقناصل:

من أساليب التعرف على الشرق والنفسية الشرقية، معايشتهم للاطلاع على كيفية تسيرهم لأموالهم، وتنظيمهم مجريات حياتهم اليومية. ومن أجل ذلك، انتشرت ظاهرة الرحلات في العصور الأوروبية الوسطى، بشكل لافت للانتباه. بل إن أمنية العديد من المغامرين أضحت توفير بعض المال من أجل القيام برحلة عبر الربوع الشرقية. وقد تميزت في بداية الأمر بالحكايات التي يجلبها حجاج بيت المقدس، فقد "كانت الرحلة إلى المشرق تعد بالنسبة للأوروبيين نوعاً من التكملة للحج إلى الأراضي المقدسة"^(٥)، بل إن "الأكثرية الساحقة من الرحالة

(١) يوجد ذلك في الأجزاء الثلاثة من كتاب "المستشرقون" للعقيقي، كلما تحدث عن المكتبات الشرقية لأي دولة يذكر مستشرقها.

(٢) عبد العظيم الديب: المستشرقون والتراث - البحرين - المحرق - مكتبة ابن تيمية - الطبعة

الأولى - ١٤٠٦هـ - ص ١٥ - ١٦.

(٣) المرجع نفسه - ص ١٥ - ١٦.

(٤) المرجع نفسه - ص ٣٦ - ٤٠.

(٥) جبور الدويهي: "الرحلة وكتب الرحالة الأوروبية إلى المشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر" -

الفكر العربي - العدد ٣٢ - السنة الخامسة - يونيو ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ) - ص ٥٩.

الأوائل كانت من الحجاج ورجال الدين^(١). وزاد من شهرة هذه الرحلات، ازدهار أدب الرحلات أدبا شعبيا رائجا بين الشعوب الغربية، فقد لاقى شهرة كبيرة وتقبلا رحبا لدى الأوروبيين.

من ناحية أخرى، اتخذت الرحلة أساسا للمعرفة ولاسيما من الأطراف التي تملك القوة والسياسة^(٢) وعادة ما يكون هذا النوع من الأنشطة الاستشرافية موجها من جانبين: قوة داعمة وحماسة وطنية، وبالتالي، فلا ريب في أن هذين الجانبين سيكون لهما تأثير على أفكاره وتوجهاته ومشاهداته^(٣).

من طرف آخر، لم تكن الرحلات مقصورة على جانب معين، سواء أكان علميا أم فنيا أم معرفيا، بل تعداه إلى أمور أخرى، سياسية واقتصادية واستعمارية وغيرها^(٤).

أما القناصل فقد كان معظمهم من الخبراء في شؤون العالم الشرقي، من المستشرقين كذلك في أغلب الأحيان. وبما أنهم متمكنون ثقافيا بخصائص الشرق، فعادة ما يكونون هالة من القبول حولهم. وهذا ما تم للمستشرق الفرنسي "روسو"^(٥)، قنصل فرنسا في طرابلس الغرب، بداية القرن التاسع عشر، وهو "عالم مستشرق، سرعان ما أصبح مفضلا ومحترما لدى أهل البلاد، وتوطدت علاقاته مع وزير خارجية الباشا..."^(٦). ومن هنا فقد كان القنصل، عموما، يستغل منصبه من أجل مساعدة الرحالة والمستشرقين والمستكشفين، وكل من يهتم بشؤون الشرق في أعمالهم، لذا، فإن قنصل بريطانيا "كان له الفضل في تهيئة الظروف المناسبة لعدد من الرحالة..."^(٧).

(١) المرجع نفسه - ص ٦٠.

(٢) رنا قيباني: أساطير الغرب عن الشرق... ص ١٣.

(٣) المرجع نفسه - ص ١٣.

(٤) المرجع السابق - ج ١ - ص ٧٧-٧٨.

(٥) كان أحد رجال شركة الهند، ولد بمدينة أصبهان عام ١٧٣٧م [١١٣٩هـ]، وأتقن اللغة العربية، وأصبح من كبار المستشرقين، وكانت له علاقة وطيدة بكبير المستشرقين "دي سامسي". المرجع

السابق - ج ١ - ص ٧٥.

(٦) المرجع السابق - ج ١ - ص ٧٤.

(٧) المرجع السابق - ج ١ - ص ٧١.

إضافة إلى تهيئة الوسائل المادية، يسعى هؤلاء لترتيب التسهيلات الاجتماعية والشعبية والنفسية^(١). ومن مهام القناصل أيضا، جمع المخطوطات. فالقنصل الفرنسي السابق الذكر، "كان يبحث دوما عن المخطوطات والكتب الشرقية البالغة الأهمية"^(٢). وعندما غادر طرابلس، حمل معه أكثر من ستين وأربعمائة مجلد من المخطوطات الثمينة، أصابها التلف جميعا ما عدا ستة وثلاثين، إذ سافر عن طريق البحر^(٣). وكانوا في سبيل الحصول على المخطوطات، ولاسيما الثمينة والنادرة، يتبعون شتى الوسائل، حتى وإن كانت غير أخلاقية. فقد ذكر المستشرق "جربر همساو"، قنصل السويد بطرابلس، أن القنصل الفرنسي "روسو"، استعار مخطوطة تاريخ ابن خلدون التي كانت موجودة بكاملها في طرابلس، لدى حاكمها، ثم رفض إعادتها له^(٤).

من هنا يتبين لنا كيف أن الرحالة والقناصل قاموا بدور كبيرا في تنمية الثقافة الغربية، وبالتالي المساهمة في نمو الاستشراق وتطوره، سواء في الكشف عن جغرافية البلدان ومتعلقاتها، أو اصطحاب كميات من مخطوطاتها وآثارها وموروثاتها للغرب، حتى تتم دراستها.

ح - أساليب أخرى:

كثرت البحوث الاستشرافية واتسعت، ونشطت بحوث الشؤون الشرقية، ومن ثم، رأى المستشرقون ضرورة تضافر الجهود واتحادها، حتى يمكن الرقي بهذا الميدان المعرفي، فانطلقت عمليات تجمعات استشرافية، تمثلت في شركات، كشركة الهند الشرقية، وجمعيات وهي كثيرة، مثل الجمعية الآسيوية Societe Asiatique، بفرنسا، و"جمعية المستشرقين الألمان Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft"، وكلها تهدف للمزيد من التعرف على

(١) المرجع السابق - ج ١ - ص ٧٣.

(٢) المرجع السابق - ج ١ - ص ٧٥.

(٣) المرجع السابق - ج ١ - ص ٧٥.

(٤) المرجع السابق - ج ١ - ص ٧٥.

الشرق ودراسته والبحث في شؤونه. كما برزت ظاهرة المؤتمرات، فكان منها ما هو محلي، وآخر إقليمي، وغيره عالمي.

هذه التجمعات سيتم التعرض لها فيما يلي، بحيث تكون هناك إطلالة مختصرة على الشركات والجمعيات والمؤتمرات الإقليمية والمحلية، أما مؤتمرات المستشرقين العالمية، فهي محور هذه الدراسة، وسيتم التعرض لها بدرجة مناسبة من التفصيل.

تلك كانت أهم الأساليب التي اتبعها الغرب للتعرف على العالم الشرقي، وللاسيما الإسلامي منه، الذي كان منطلق الاحتكاك به، ودافعه على الانطلاق داخل المجتمعات الشرقية. وقد آتت أكلها، وانتقلت بالاستشراق من الميدان الخيالي إلى الدراسات الأكاديمية المتخصصة، وانتشرت أبحاثهم ودراساتهم حتى عمت الكون عامة، سواء الشرقي منه أو الغربي. بل إن دراساتهم وأفكارهم أصبحت معتمدة لدى العديد من المنابر العلمية الشرقية، وقد تقدم أحيانا على الإبداع الشرقي. وتحاول هذه الرسالة دراسة إحدى هذه الوسائل، ألا وهي مؤتمرات المستشرقين العالمية، بعد التمهيد لها بتسليط بعض الأضواء على تجمعات استشراقية أخرى، كما ذكر أعلاه.

الباب الأول: نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية

الفصل الأول: نشأة التجمعات الاستشرافية

الفصل الثاني: فكرة الدعوة الى انعقاد

مؤتمرات عالمية للمستشرقين

الفصل الثالث: مؤتمر المستشرقين العالمي

الأول: باريس ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

الباب الأول: نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية

مدخل:

تحدثنا في التمهيد عن نشأة الاستشراق وتطور أساليبه، وأشرنا إلى أن المؤتمرات ما هي إلا أسلوب من أساليب الاستشراق، شأنها في ذلك شأن أي تجمع استشراقي^(١).

في المؤتمرات يلتقي متخصصون وخبراء وفنانون وباحثون، يندارسون موضوعا من الموضوعات الاستشراقية أو أكثر. كما أن هذه المؤتمرات حاکمة على الماضي، ومنظرة للمستقبل، وبالتالي، فإن لقاء مئات من الباحثين لا بد أن يثمر، إذ المأمول منه أن يقوم معلومات وبحوثا سابقة، ويفتح جوانب تحتاج البحث والتقصي، أو يدل عليها ويشير إليها. و بذلك تتبين بعض مهام المؤتمرات.

والمؤتمرات الاستشراقية أنواع كثيرة: فهناك مؤتمرات محلية، تقام على نطاق مجموعة من خبراء بلد أو منطقة معينة، وهناك مؤتمرات إقليمية، تضم في عضويتها مستشرفي إقليم موسع، كالعالم الأوروبي أو الغربي، أو الأمريكي. وقد يدعى لحضور مداولاتها بعض الباحثين من أقاليم أخرى، لكن يكون دورهم عادة، ثانويا، قد لا يبرز أمام كثرة علماء الإقليم وسيطرة باحثيه. وهناك المؤتمرات العالمية، وهي محور هذه الدراسة.

يسهر على قيام هذه المؤتمرات، في الغالب، جمعيات أو مؤسسات استشراقية. ونشأة هذه الجمعيات سابقة عن فكرة المؤتمرات. ونقد كثرت وأقيمت بصفة خاصة مع الانطلاقة الاستعمارية للشرق، انطلاقا من القرن السادس عشر، وتكثفت في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكان لها دور بارز في تهيئة الأرضية أمام المستعمرين لدخول المناطق الشرقية. وواصلت دورها وعملها إبان

(١) سبق ذكر ذلك ص ٢٠ من البحث.

الاستعمار الغربي. وكانت بعض تلك المؤسسات من ممولات مؤتمرات المستشرقين العالمية، في أحيان عدة، كما كانت ترسل مندوبين عنها. وقبل الدخول في تحليل مؤتمرات المستشرقين العالمية، ونظراً لارتباط المؤتمرات العالمية بتلك التجمعات الاستشرافية، وارتباط الأخرى بها عادة، ولتميز مؤتمرات المستشرقين العالمية عنها، يحسن تسليط الأضواء بإيجاز على نوعيات تلك التجمعات، ثم الانطلاق لتحليل نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، وفق النقاط التالية:

الأولى: نشأة التجمعات الاستشرافية.

الثانية: فكرة الدعوة إلى انعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية.

الثالثة: مؤتمر المستشرقين العالمي الأول: باريس ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ).



الفصل الأول: نشأة التجمعات الاستشرافية

المبحث الأول: الجمعيات الاستشرافية
المبحث الثاني: مؤتمرات المستشرقين المحلية
والإقليمية

الفصل الأول: نشأة التجمعات الاستشرافية

توطئة:

منذ أن تبلورت موضوعات البحوث الاستشرافية، وأطلقت كلمة "استشراق" على هذا الحقل المعرفي، أُرِدفت به كلمة "علم"، إذ كان يعد أحد المعارف العلمية. فقد وجد لكل ميدان علمي رعاة له، ومؤسسات تخدمه، ومؤتمرات تقام له، مهما اختلفت مشاربها، مثل الطب أو الفيزياء أو الفلك أو الكيمياء أو الرياضيات أو العلوم الحربية أو الاجتماعية أو النفسية أو التاريخية، وغيرها من المعارف. وبوصفه علما، وتماشيا مع التيار العام لمسار العلوم، سعى أتباع الاستشراق لأن تكون لهم مؤتمرات يلتقون فيها، يتعارفون ويتبادلون الأفكار والمقترحات. فكان أن تحقق لهم ما كانوا يأملون، وظهرت مؤسسات وجمعيات، وانهقدت بالتالي مؤتمرات استشرافية.

وفي هذا الفصل، وكمنتلق للدخول في الموضوع الرئيس، سيتم التطرق للجمعيات التي كانت تخدم الاستشراق، وكذلك المؤتمرات المحلية والإقليمية. فقد اتخذ الاستشراق هذين الأسلوبين من أجل تنمية قدراته وتقوية دراساته، ومن ثم فرض وجود الثقافة الاستشرافية في العلم الغربي بخاصة، والعالم ككل عامة. كانت الجمعيات هي السابقة في نشأتها وظهورها على الساحة المعرفية. فقد اضطر المستشرقون لتكوينها من أجل القدرة على المزاومة العلمية والمعرفية، ولملمة الجهود المنفرقة. أما المؤتمرات، فنشأت فكرتها لاحقا، تهدف بالأساس لتجميع أكبر عدد ممكن من المتخصصين في هذا المجال، يتبادلون الآراء والأفكار والنتائج البحثية والمعرفية، ومن ثم تبادل الخبرات والتجارب. ونستنتج من هذا أن لكل واحد من التجمعين هدفه وغايته ومهمته.

سيتم تحليل هذا الموضوع وفق ما يلي:

١ - الجمعيات الاستشرافية.

٢ - مؤتمرات المستشرقين المحلية والإقليمية.

المبحث الأول: الجمعيات الاستشرافية

سبقت الجمعيات في نشأتها غيرها من الفعاليات التجمعية الاستشرافية. فما إن توسعت الاكتشافات الجغرافية، وأطلع العالم الغربي على جغرافية المجتمع الشرقي، وتعرف على كنوزه وذخائره، المادية والفكرية والمعنوية، حتى سعى لبسط نفوذه في تلك المناطق، ولاسيما بعد أن امتلك أسس القوة العسكرية والاقتصادية والصناعية. ولم يتخلف المستشرقون عن الاستفادة من هذا التوسع، يسانداهم في ذلك، بالدرجة الأولى، المنصرون وأرباب الكنيسة، ثم رجال المال والأعمال، والساسة وأصحاب المناصب. لقد سعوا لأن تكون لهم قدم راسخة في الشرق، وبادروا بالتالي إلى تكوين جمعيات لهم، ومؤسسات استشرافية، تربطهم مباشرة بالشرق.

١ - أهميتها العامة وأهدافها.

تحدث عن أهمية هذه الجمعيات أحمد سمبالوفيتش فقال: "شرح علماء الغرب في تأسيس الجمعيات العلمية التي كانت بمنزلة نقطة الانطلاق الكبرى للاستشراق، حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمت جميعها إسهاما فعالا في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلا عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية، غير أنها كانت من أقوى البواعث التي ساعدت علماء أوروبا على بلوغ هذه الغاية، بتشكيل جمعيات أسبوعية، يعقد أصحابها جلسات قانونية، وينشرون البحوث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقية"^(١)، قد أدى تأسيس الجمعيات إلى تجمع القوى المتفرقة للدراسات الشرقية، وازدياد نشاطها، واشتداد التنافس بينها، لأن الأعمال الكبرى لا تظهر فائدتها إلا باجتماع القوى المتفرقة"^(٢) إذا، فالجمعيات تسعى لتوحيد القوى

(١) أحمد سمبالوفيتش: فلسفة الاستشراق - ص ٨١-٨٢.

(٢) عن أحمد سمبالوفيتش، المرجع السابق - ص ٨٢ .

الاستشرافية، وتجميع الطاقات العلمية المختلفة، من أجل التعمق في أغوار العالم الشرقي، وبالتالي تنامي النشاط الاستشرافي.

ومن الجمعيات كذلك، من تحاول تحبيب الدراسات الاستشرافية في النفس الغربية، وكذلك تحسين العلاقات بين الشرقيين والغربيين. ذلك ما ذكرته جمعية "الأثيني الشرقية Athenee Orientale"، التي تأسست في فرنسا في العام ١٨٦٤م (١٢٨٠هـ). فقد ورد في بيان تأسيسها "إن مؤسسة الأثيني الشرقية تأسست من أجل نشر محبة الدراسات المتعلقة بالشرق، ولاسيما في الأقاليم والمستعمرات الفرنسية..."^(١).

كما كان من شأن هذه الجمعيات إحياء العلوم الشرقية، أو تنميتها في منطقة غربية معينة، وهذا ما ذكره برنارد لويس عن الجمعية الآسيوية الملكية، حيث قال: "كما أن تأسيس الجمعية الآسيوية الملكية، وهي جمعية المستشرقين الإنجليز، أوجد دافعا جديدا نحو العلوم الشرقية"^(٢). وتخصصت بعض الجمعيات في دراسة منطقة معينة وسعت للعناية بها. وفي هذا المجال ذكر آربري أنه في سنة ١٧٨٤م (١١٩٨هـ)، أسس عدد من البريطانيين الآخرين الجمعية الآسيوية بالبنجال، وكان غرضها القيام بالأبحاث في تاريخ آسيا وآثارها القديمة، وفنونها وعلومها^(٣).

ليست هذه الأهداف العلمية هي وحدها المعلنة، بل إن أحد بنود المؤتمرات الإقليمية الفرنسية، التي تبنتها مؤسسة "الأثيني الشرقية"، يصرح بوضوح: "وله أهمية خاصة، تتعلق بدراسة جغرافية تلك البلدان (أي الآسيوية والمحيطية وإفريقيا)، وعلاقتها بالاقتصاد والصناعة، وقواها المنتجة، وموازينها ومقاييسها، إضافة إلى عملاتها، ويهتم كذلك بالتشريع الاقتصادي والصناعي والبحري لتلك

(١) Congrès Provincial des Orientalistes Français - Compte-rendu de la session inaugurale - Levallois 1874 - Paris - Maisonneuve et Ce - Librairies-Editeurs - 1875 - p.21 .

(٢) برنارد لويس: تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية - ص ٢١.

(٣) آربري أ. ج.: المستشرقون البريطانيون - ص ٢٩.

البلدان»^(١). وبما أن المؤسسة هي التي تتبنى هذه المؤتمرات، وبما أن المقولة السابقة ذكرت في مؤتمرين مختلفين، فهذا ينبئ بأن الجمعية الأم، الأثيني الشرقية، تتبنى المعنى ذاته.

يتبين لنا إذن، أن الجمعيات والتجمعات الاستشرافية، ذات أهمية للغرب، بحيث تحقق أهدافا متعددة ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، ولاسيما أنها نشأت في حقبة غلبت عليها الحمى الاستعمارية، التي غذتها المنتجات الصناعية، والحاجة لأماكن تسويق واستهلاك وتصدير، حتى تتحقق مصالحها القومية العامة. وبالتالي، فإن تكوين تجمعات استشرافية، هو من أفضل الأساليب لتحقيق ذلك، بدراساتها للمجتمعات الشرقية من جميع جوانبها واتجاهاتها وتوجهاتها ورغباتها المختلفة.

٢- انتشارها وتوسعها:

لم تكن نشأة التجمعات أمرا عابرا، بل أضحت ظاهرة غربية شاملة، أدت إلى التنافس في تكوين جمعيات ومؤسسات وشركات استشرافية. ويبدو أن هذه الجمعيات حققت نجاحا محسوسا، مما جعل الدول الاستعمارية، بصفة خاصة، والغربية بصفة عامة، تسعى جاهدة لأن تكون جمعيات مماثلة، بل إن بعض البلدان تكون أكثر من جمعية.

وقد جمع نجيب العقيلي في كتابه مجموعات عديدة منها، تبين بوضوح مدى انتشارها وتكاثرها^(٢) في كافة أنحاء العالم الغربي والأمريكي، وقد تأسست من أجل التعمق في الدراسات الشرقية، وهي تبين بوضوح التنافس بين المستشرقين ومن ورائهم دولهم، في السعي لتكوين جمعيات وطنية استشرافية،

(١) Congres des Orientalistes de Marseille - 2^{eme} session des congres provinciaux des orientalistes - Compte rendu des travaux du congres - 1976 - Marseille - Marius Olive - 1876 - T1 - p. 24 .

and congres provincial des orientalistes - Compte rendu de la troisieme session - Lyon - 1878 - Imp.rimerie Pitrat Aine - 1880 - Tome premier - p.24.

(٢) وردت هذه الجمعيات عند نجيب العقيلي في ثلث أجزاء كتابه "المستشرقون" الثلاثة، كلما تحدث عن بلد من البلدان الغربية.

وذلك لما يرتبط بها من نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية للبلد الغربي الذي تأسست فيه، ولاسيما في القرن التاسع عشر.

٣ - أهم الجمعيات الاستشرافية:

وحتى تتضح حقيقة هذه الجمعيات وأهدافها وتنظيمها وأطرها، يجدر التعرض للبعض منها، ودراستها دراسة موجزة، لكنها وأقية عن حقيقة هذه الجمعيات، وذلك من خلال جوانب متنوعة، قد تختلف من جمعية لأخرى، بحيث نتضح الصورة العامة عنها بعد التحليل الإجمالي للجمعيات الأربع التالية:

- المؤسسة الآسيوية، الفرنسية.
- الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا.
- الجمعية الأمريكية الاستشرافية.
- جمعية المستشرقين الألمان.

هذه الجمعيات التي تم اختيارها، تمتاز بقدراتها البشرية والعلمية، والمادية أحيانا، ولا تزال تعمل حتى العصر الحاضر، وتشرف على تخريج مستشرقين وخبراء في العالم الشرقي، إضافة إلى إشرافها على أعمال استشرافية، وقيامها برعاية أعمال شرقية، سواء منها طباعة نصوص من التراث، أو المحافظة على آثار أو غيرها. هذا وسيتم دراستها وفق التسلسل الزمني لنشأتها، إذ المؤسسة الآسيوية هي السابقة، وآخرها نشأة هي الألمانية، والتي لا تزال تزاوّل أنشطتها.

أ - المؤسسة الآسيوية:

- ظروف نشأتها وتأسيسها: تم تأسيس "المؤسسة الآسيوية La Societe Asiatique" في العام ١٨٢٢م (١٢٣٧هـ)، في حقبة كانت الدراسات الشرقية فيها تجلب اهتمام المثقفين بعمق، وبدأ ظهور العديد من الدراسات التي عدت ساعتها متطورة، بل ثورة في حقل الدراسات الاستشرافية. وظهر أول مخطط لهذه المؤسسة سنة ١٨٢١م (١٢٣٦هـ). وذلك بهدف ضم أكبر عدد ممكن من المهتمين.

أما عن برنامج المؤسسة العملي، فقد ورد فيه ما يلي: "إعداد أو نشر قواعد لغوية، وقواميس، أو كتب أخرى أصيلة، معروفة بفوائدها وأهميتها في دراسة اللغات المدرسة في المنابر الشعبية، والمساهمة في عقد اتفاقيات أو أية طريقة أخرى لطباعة المؤلفات، ذات النوعية نفسها، سواء في فرنسا أو في الخارج، واقتناء مخطوطات آسيوية، أو نسخها كلها أو أجزاء منها، ولاسيما تلك الموجودة في أوروبا، في المنشآت الشعبية، والقيام بعمل ترجمات لها، أو لأجزاء منها، ومضاعفة عددها عن طريق النسخ أو التصوير، أو الطباعة الحجرية، وتوفير الكتابات الهامة حول الجغرافيا والتاريخ والعلوم والفنون، التابعة للبلدان الشوقية، للمؤلفين، وهي إمكانات من شأنها أن تمتع الجمهور بنتاج سهرهم، وجلب انتباهه للمنتجات العلمية والأدبية والشعرية الشرقية، وكذلك تلك الشبيهة لها، التي تظهر في أوروبا، وحول المكتشفات والأعمال المتنوعة التي يمكن أن تكون الشعوب الشرقية موضوعا لها، عن طريق نشر مصنف دوري مخصص للآداب الآسيوية"^(١). ذاك هو الوجه العلمي العملي الذي سطرته المؤسسة الآسيوية لنفسها. وقد تم الاجتماع التأسيسي الأول، في الفاتح من إبريل، سنة ١٨٢٢م (الثلاثي عشر من شوال ١٢٣٧هـ)، برئاسة "سلفستر دو ساسي"، ونوقشت فيه مبادئ المؤسسة، واختير فيه ساعتها أعضاء المجلس والمكتب.

- نظام المؤسسة الإداري: تدار المؤسسة من مجلس تكون من^(٢):

رئيس فخري واحد.	سكرتير مساعد ومكتبي، واحد.
رئيس واحد.	محاسب واحد.
نائب رئيس.	ثلاثة مندوبين للاعتمادات المالية.
سكرتير واحد.	أربعة وعشرين عضوا.

ينتخب الرئيس الفخري والسكرتير مدة خمس سنوات. أما بقية أعضاء المجلس والمكتب، فيتم انتخابهم كل سنة.

(١) Ibid. p. 5.

(٢) Ibid. pp. 7-11.

يخول النظام العام للمؤسسة، اجتماع أعضاء المجلس مرة كل شهر، وكل الأعضاء المقبولين يمكنهم حضور الجلسات وتقديم المساهمات العلمية.

للمؤسسة أعضاء مندوبون، وأعضاء أجانب أيضا، وآخرون فخريون.

ابتدأت المؤسسة اجتماعاتها الشهرية، كل أول يوم اثنين من كل شهر، ثم أصبح ثاني يوم جمعة من كل شهر. أما المكتبة فكانت تفتح أبوابها للعموم كل يوم ثلاثاء وسبت، من الواحدة إلى الرابعة بعد الظهر. وبعد سبع سنوات من تأسيسها، تم قبول المؤسسة رسميا بقرار ملكي بتاريخ الخامس عشر من إبريل سنة ١٨٢٩م (الرابع عشر من شوال ١٢٤٥هـ)، وبذلك أصبح بإمكانها الحصول على مساعدات حكومة. وفي العام ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ)، تم تحويل نظام قانونها العام، وقبلت تلك التحويلات في جلسة العام الذي يليه.

- قائمة رؤساء المؤسسة: إذا أردنا إلقاء نظرة على الرؤساء الذين تعاقبوا على المؤسسة الأسبوعية، وجدناهم كالتالي:

١	سلفستر دو ساسي	Silvester de Sacy	١٨٢٢-١٨٢٩	١٢٣٧-١٢٤٤
٢	ج.ب. أبسال- ريموزا	Abel Remusat	١٨٢٩-١٨٣٢	١٢٤٤-١٢٤٩
٣	سلفستر دو ساسي		١٨٣٤-١٢	١٢٤٩-١٣٥٢
٤	أميدي جوبار	Amedee Jaubert	١٨٣٤-١٨٤٧	١٣٥٢-١٢٦٣
٥	رينو	Rinaud	١٨٤٧-١٨٦٧	١٢٦٣-١٢٨٣
٦	جول مول	Jule Mohl	١٨٦٧-١٨٧٦	١٢٨٣-١٢٩٣
٧	جارسان دو ساسي	Garcin de Tassy	١٨٧٦-١٨٧٨	١٢٩٣-١٢٩٥
٨	آدولف رينيي	Adolphe Regnier	١٨٧٨-١٨٨٤	١٢٩٥-١٣٠٢
٩	إرنست رينان	Ernest Renan	١٨٨٤-١٨٩٢	١٣٠٢-١٣٠٩
١٠	باربيي دو ماينار	Barbier de Maynar	١٨٩٢-١٩٠٨	١٣٠٩-١٣٢٦

١١	إيميل سينار	Emile Senart	١٩٢٨-١٩٠٨	١٣٢٦-١٣٤٧
١٢	سلفان ليفي	Sylvin Levi	١٩٢٨-١٩٣٥	١٣٤٧-١٣٥٤
١٣	بول بيليو	Paul Pelliot	١٩٣٥-١٩٤٥	١٣٥٤-١٣٦٤
١٤	جاك باكو	Jacques Bacot	١٩٤٦-١٩٥١	١٣٦٥-١٣٧٠
١٥	شارل فيرولود	Charle Virolleaud	١٩٥١-١٩٦٤	١٣٧٠-١٣٨٣
١٦	جورج كودي	George Coedes	١٩٦٤-١٩٦٩	١٣٨٣-١٣٨٩
١٧	ريني لابي ^(١)	Rene Labat	١٩٦٩-١٩٧٥	١٣٨٩-١٣٩٥
١٨	كلود كاهين	Claude Cahen	١٩٧٥-١٩٨٧	١٣٩٥-١٤٠٧
١٩	أندري كاكو	Andre Caquot	١٩٨٧-١٩٩٦	١٤٠٧-١٤١٦
٢٠	دانيال جيماري	Daniel Gemaret	١٩٩٦- ...	١٤١٦- ...

تلك معلومات مختصرة عن الجمعية الآسيوية، الفرنسية، التي تجاوزت خمسا وسبعين ومائة سنة من عمرها. ولا تزال تعمل حتى يومنا هذا، رغم أنها لا تزال تعاني من مشكلات عدة، لكن يتعشم القائمون عليها، قدرتها على تخطي الصعوبات التي تعيق مسارها، وذلك لما يتمتع به رئيسها الحالي من صيت وسعة داخل فرنسا وخارجها. هذا ما صرحت لي به أمينة مكتبة المؤسسة.

ب - الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا:

- نشأتها وتأسيسها: تم تأسيس الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا، مساء السبت الخامس عشر من مارس، سنة ١٨٢٣م (الثالث من رجب ١٢٣٨هـ). وكان النصور الأول للجمعية، هو أن تكون "جمعية للبحث في

(١) فيما سبق من الرؤساء حتى روني لابي، وردت أسماءهم لدى Jean Filiozat: La Societe Asiatique ... p. 5. أما الأسماء الثلاث الأخيرة، فتعرفت عليها من "ماري كلود Marie Claude" أمينة مكتبة المؤسسة، في شهر ربيع الأول ١٤١٧هـ - يوليو لعام ١٩٩٦م.

التاريخ المدني والطبيعي والآثار والفنون والعلوم والآداب في آسيا^(١). وأما ميدانها فعرف بأنه "الإنسان والطبيعة: كل ما يقدمه الأول، وكل ما تتجه الأخرى، في الصناعة والزراعة والتجارة"^(٢).

سميت الجمعية في بداية أمرها "الجمعية الآسيوية لبريطانيا العظمى"^(٣). ثم أضيفت "وأيرلندا"، في مارس من العام ١٨٢٣م (رجب ١٢٣٨هـ)^(٤). وفي يونيو (شوال) من العام نفسه، منحت لقب "ملكي"^(٥)، وكذلك استقر مسميها حتى الآن. وبلغ أعضاء اللجنة في بداية تأسيسها ثلاثين عضواً، أما في الاجتماع الافتتاحي، فقد ازداد العدد إلى ثمانين، ثم ارتفع إلى أربعة وعشرين وثلاثمائة، ثم شهد تذبذباً في عدد الأشخاص المنتمين لها، فارتفع أحياناً وينخفض أحياناً أخرى.

تمكنت الجمعية كذلك من استقطاب كبار الساسة. فقد كان هناك سبعة من رؤساء الوزراء أعضاء فيها خلال القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى كثير من كبار الموظفين البريطانيين في الهند، وكثير من ملوك ورؤساء العالم ولاسيما من دويلات الهند ساعتها. كما كان هناك كثير من الأعضاء الشرفيين من الأمراء والملوك الآخرين^(٦).

—النظام المالي: مثل كثير من الجمعيات، لم تكن الجمعية الآسيوية الملكية ثرية، فقد كان دخلها في حدود الألف جنيه إسترليني سنوياً، حتى الحرب العالمية الأولى. ثم تذبذب دخلها بين الارتفاع والهبوط، فقد وصل في أحيان عدة إلى أكثر من ثلاثة آلاف، وكثيراً ما كانت الميزانية تعاني من نقص، بسبب زيادة المصاريف، ليصل في بعض الأحيان إلى أربعمائة جنيه إسترليني. أما مصادر الدخل فكانت متنوعة، منها الاشتراكات وبيع المنشورات، والاستثمارات ومنح من

(1) C.F. Beckingham: "A history of the Royal Asiatic Society, 1823-1973" – The Royal Asiatic Society, its history and treasures – Edited by Stuart Simmonds and Simon Digby - p. 1.

(2) Ibid. - p. 1 .

(3) Ibid. - p. 2 .

(4) Ibid.- p. 3.

(5) Ibid. - p. 3.

(6) Ibid. - p. 5 .

بعض الحكومات والهيئات الرسمية وتبرعات خاصة وبعض الإجراءات. كما كانت تأتيها منح لأغراض محددة^(١).

- أعمال الجمعية وتأثيرها: طورت الجمعية البحث الشرقي بطرق عدة منها^(٢):

* - محاولة نشر الكتب المهمة.

* - مساعدة المستشرقين بصورة شخصية.

* - تشجيع الحكومات على المحافظة على تراثها، ولاسيما المتاحف.

* - الضغط من أجل إنشاء وظائف تدريس باللغات الشرقية في الجامعات البريطانية.

* - الدعوة إلى تأسيس كلية الدراسات الشرقية في لندن. وهو ما تم لها.

وتوجهت الجمعية تلقاء الجامعات، تحثها على الاهتمام بالدراسات الشرقية: ففي العام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، وجه مجلس الجمعية اهتمامه إلى جامعة أكسفورد، وحثها على تدريس أفضل للغات السامية هناك، وحثت على إنشاء كرسي خاص ومنفصل للدراسات اللغوية السامية^(٣). كما كان للجمعية دور في إنشاء الأكاديمية البريطانية في ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)^(٤).

ذاك كان عرضا سريعا عن الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا. ويظهر مما تقدم أنها نشطت نشاطا كبيرا رغم الصعوبات. وتبقى الإشارة إلى أن انتشار كليات الدراسات الشرقية وأقسامها، أضعف من أهمية الجمعية حاليا، وأدى ذلك إلى قلة الإقبال عليها والانخراط فيها^(٥).

(١) Ibid. - pp. 25 - 26 .

(٢) Ibid. - pp. 49 ...etc.

(٣) Ibid. - p. 54.

(٤) Ibid. - p. 53 .

(٥) Ibid. - p. 69...etc.

ج - الجمعية الشرقية الأمريكية:

- نشأتها وتأسيسها: أعلن عن قيام "الجمعية الشرقية الأمريكية American Oriental Society"، في شهر أغسطس من سنة ١٨٤٢م (رجب ١٢٥٨هـ)، بمدينة "بوسطن"، وتمت مناقشة مسودة القانون الأساس للجمعية في السابع من شهر سبتمبر (الثالث من شعبان) من العام نفسه. وتم الإعلان النهائي عن تأسيس الجمعية في الثالث عشر من شهر أكتوبر سنة ١٨٤٢م (التاسع من رمضان ١٢٥٨هـ)، وانتخب "جون بكيرنج John Pickering" أول رئيس لها^(١).
لم يكن كل الأعضاء المؤسسين من الشخصيات العلمية المرتبطة بمجال الدراسات الشرقية التي تعنى بها الجمعية. كما أن الجمعية كانت ذات ارتباط وثيق منذ تأسيسها بالجمعيات التنصيرية الخارجية^(٢).

- أهدافها واهتماماتها: تهدف الجمعية إلى تنمية المعارف في المجالات اللغوية، الآسيوية والإفريقية والبولينية^(٣). أما اهتماماتها ومجالات بحوثها فمتعددة، منها: اللغة العبرية^(٤) والتنصير^(٥) والدراسات المصرية^(٦) وقرطاجة والفينيقيين^(٧) وآسيا الوسطى وبلاد فارس النسطورية^(٨) وبلاد الرافدين والبحوث المسمارية^(٩). هذا إضافة إلى الاهتمام ببقية الفروع الاستشرافية.

^(١) كلمة رئيس الجمعية ، العام ١٨٩٣م [١٣١٠هـ]، W. Hayes Ward ، بمناسبة مرور خمسين سنة على إنشاء الجمعية في :

P.roceeding of the American Oriental Society at its meeting ...in New York, N. Y., March 29th, 30th, and 31st, 1894 - p. lix . (No p.ublishes).

تمت ترجمة المعلومات بمساعدة الدكتور مازن مطبقاني.

⁽²⁾ Ibid. p. lx .

⁽³⁾ Ibid. p. lix

⁽⁴⁾ Ibid. p. lxi .

⁽⁵⁾ Ibid. p. lxii .

⁽⁶⁾ Ibid. p. lxii .

⁽⁷⁾ Ibid. p. lxiii .

⁽⁸⁾ Ibid. p. lxiii .

⁽⁹⁾ Ibid. p. lxiii .

— علاقاتها الاستشرافية الأخرى: أقامت الجمعية علاقات تربطها بجمعيات ومؤسسات استشرافية، في أنحاء العالم كافة. ومن بين تلك الجمعيات، الجمعية الآسيوية بفرونسا^(١)، التي تأسست قبلها بعشرين سنة، والجمعية الملكية الآسيوية بإنجلترا^(٢)، التي تأسست قبلها بتسع عشرة سنة، جمعية المستشرقين الألمان^(٣)، التي تأسست بعدها بسنتين.

أصدرت الجمعية الشرقية الأمريكية، مجلة تحمل اسمها Journal of the American Oriental Society^(٤). كما أن للجمعية مكتبة استشرافية، تتقبل التبرعات والهبات، وفي كل اجتماع من اجتماعاتها، يقدم تقرير يتضمن الجديد من الكتب المقننة، وكذلك المخطوطات والوثائق، والكتب التي أهديت للجمعية، ومنها كمية ضخمة، تم إهداؤها لها سنة ١٨٨٧م (١٢٩٥هـ)^(٥). ولها أيضا أعضاء مراسلون في الدول الأخرى، ولاسيما الشرقية منها، وكانت تصلها تقارير منهم، تقرأ في أثناء اجتماعاتها. وتحرص على تقديم تقارير مالية في كل اجتماع، ومن آثارها التي تراها فعالة، مساهمتها في تأسيس مدرسة للدراسات الإنجيلية والأثرية في بيروت^(٦). تلك كانت نبذة سريعة عن الجمعية الشرقية الأمريكية، التي لا تزال تعد من أكبر الجمعيات الاستشرافية التي نشأت في العالم الغربي.

د - جمعية المستشرقين الألمان:

— نشأتها و تأسيسها: بعد اجتماعات ولقاءات متعددة، تمكن المستشرقون الألمان من تأسيس جمعيتهم الاستشرافية Deutschen Morgenlandischen

(1) Ibid. p. lxiv .

(2) Ibid. p. lxiv .

(3) Ibid. p. lxiii .

(4) Ibid. p. lxiiiv .

(5) American Oriental Society - P.roceeding at Boston - May 11th - 1887 - p. i.

(6) American Oriental Society - P.roceeding at New Haven - October 27th - 1887 - p.ii.

Gesellschaft، بعد مفاوضات ومدارسات وحوارات، بلغت حد الاختلاف فيما بينهم في أحيان عدة^(١). وكانوا يسعون لتكوين "جمعية آسيوية ألمانية"، أسوة بالجمعيات الفرنسية والبريطانية. وفي العام ١٨٤٤م (١٢٦٠هـ)، تمكنوا من تكوين مكتب مؤقت، تحت رئاسة المستشرق "فلايشر Fleischer"، و"روديجر Roediger" نائبا له، إضافة إلى بقية أعضاء المكتب المؤقت^(٢). ونوقش اسم الجمعية، فاقترح تسميتها "الجمعية الآسيوية الألمانية"، أسوة ببقية الدول الغربية، ثم تم اختيار مسمى "الجمعية الشرقية في ألمانيا"، قبل أن تصبح لاحقا "جمعية المستشرقين الألمان"^(٣).

— أهداف الجمعية: تهدف الجمعية إلى تشجيع معرفة آسيا والدول الموجودة بها، في سياق واحد، اعتمادا على كل العلاقات الممكنة، ويعمل المشاركون في ذلك على مستوى الدوائر العريضة. ولذا، فإن الجمعية لا تهتم بالأدب الشرقي فقط، بل بتاريخ كل دولة أيضا، وبحث وضعها في العصور القديمة والحديثة. وتسعى لتحقيق أهدافها بالطرق التالية^(٤):

— جمع المخطوطات والمطبوعات والمشاهد الطبيعية والفنية الشرقية.

— إصدار الأعمال الأدبية الشرقية، وترجمتها واستغلالها.

— إصدار مجلة خاصة بها.

— الإشادة بالمشروعات ودعمها لتشجيع معرفة الشرق.

— التباحث مع الجمعيات المشابهة والعلماء المميزين، في الداخل والخارج، والارتباط بهم.

(١) Von Holger Preissler: "Die Anfänge der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft" - ZDMG - Band 145 - Heft 2 - 1995 - Kommissionsverlag Franz Steiner - Stuttgart 1995 - pp. 241-276.

تمت ترجمة هذه المعلومات بمساعدة الدكتور أحمد هويدي.

(٢) Ibid. p. 277.

(٣) Ibid. p. 281.

(٤) Ibid. p. 286.

- أحوال الجمعية المالية: كغيرها من الجمعيات، كانت تعتمد على اشتراكات الأعضاء فيها، والمساعدات الخارجية والتبرعات، كما أن الحكومة البروسية قررت سنة ١٨٤٨م (١٣٦٧هـ)، تقديم مساعدة مالية سنوية لصالح الجمعية. كما كانت تقدم معونات عند الضرورة، كطباعة كتب أو غيرها من الأعمال الاستشرافية، وكانت تأتيتها مساعدات خارجية أيضا، ولاسيما من ولي عهد السويد والنرويج، وكذلك من النمسا والحكومات المحلية الألمانية^(١).

وخلافا لبعض الجمعيات الأوروبية، فإن جمعية المستشرقين الألمان، لم تشهد عجزا ماليا، ولم تمر بأزمات خانقة، وتفخر بأن هناك على الدوام فائضا من رصيد الجمعية يضاف دائما لميزانية العام الجديد، وما نقص رصيدها مطلقا^(٢).

- مهام الجمعية: لها مهام عدة، أهمها تمويل إصدار نصوص أو مخطوطات شرقية هامة، أو دعمها، سواء عن طريق المشاركة أو المساهمة^(٣).

تلك معلومات سريعة عن جمعية المستشرقين الألمان، في نشأتها وبعض المتعلقات بها، ورغم بعض المشكلات التي واجهتها في النشأة بسبب الاختلاف بين الأعضاء، إلا أنها تبدو أحسن حالا من الجمعيات السابقة لها. ولعل هذا ما يفسر قوتها الفاعلة إلى يومنا المعاش، الأمر الذي دفع "رودي باريت" لأن يصرح عنها قائلا: "تلك الجمعية التي أصدرت مجلة باسمها،...، كما أصدرت "دراسات في علم الاستشراق"، وأثرت في عصرنا الحاضر تأثيرا خصباً هائلاً، حتى إنه لا يتصور تاريخ الاستشراق في ألمانيا بدونها"^(٤).

إن تلك فكرة عامة حول الجمعيات الاستشرافية، وضحت كيفية تأسيسها وبنيت مهامها وأهدافها وأثرها. وحتى تكتمل صورة التجمعات الاستشرافية، يجدر بحث حقائق المؤتمرات المحلية والإقليمية.

(١) Ibid. p. 319.

(٢) Ibid. p. 318.

(٣) Ibid. p. 326.

(٤) رودي باريت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولديكه) - ص ١٩.

المبحث الثاني: مؤتمرات المستشرقين المحلية والإقليمية

من الأساليب التي اتبعتها المستشرقون لتحقيق مزيد من التعرف على الشرق، عقد مؤتمرات استشرافية. وهذه المؤتمرات اتخذت صفات عدة، وتتراوح فترة انعقادها ما بين يوم وعدة أيام، ومنها ما يعقد بمناسبة ما، ثم يتوقف بمرور تلك المناسبة. كما أن منها ما اتخذ صبغة محلية، وأخرى إقليمية، وغيرها عالمية. وبما أن مؤتمرات المستشرقين العالمية، هي موضوع هذه الرسالة، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل، فإن النوعين الآخرين، سيتم الحديث عنهما في هذا المبحث باختصار، وهما المؤتمرات المحلية والإقليمية.

١ - مؤتمرات المستشرقين المحلية:

تتميز مؤتمرات المستشرقين المحلية، بأنها يشرف عليها مستشرقون من بلد ما، وعندما يعقدون مؤتمرا، فهم لا يدعون لحضور فعالياته إلا مستشرفي البلد ذاته. وبالتالي فهي مؤتمرات داخلية بحتة، إشرافا وتنظيما ومشاركة. وتكون غاية مثل هذه المؤتمرات، تنمية العلوم الاستشرافية في ذلك البلد، وتضافر الجهود الاستشرافية المتنوعة فيها، وتبادل المعلومات التي توصل إليها علماء الاستشراق، ذور التخصصات العديدة، وبالتالي، قياس الدرجة التي وصلت إليها تلك المعارف، وعلى أساس ذلك، يتم التخطيط ووضع البرامج المستقبلية، حتى تنمو المعارف الاستشرافية أكثر فأكثر في بلادهم. ويمكن ضرب مثالين موضحين لهذا النوع من المؤتمرات: مؤتمرات كل من المستشرقين السوفييت والأمريكان.

أ - مؤتمرات المستشرقين السوفييت:

يقول المستشرق "غريغوري شرباتوف" عن أحد مؤتمرات المستشرقين السوفيت: "وكان لمؤتمر المستشرقين السوفيت العام، الأول، الذي عقد في طشقند،

صيف عام ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ)، شأن غير قليل في توحيد جهود المستشرقين عندنا، وفي تنسيق عملهم العلمي. فقد ألقى "ب. غ. غافوروف"، مدير معهد الاستشراق، لدى أكاديمية العلوم السوفيتية، تقريراً عن حالة الاستشراق السوفيتي ومهامه. وألقيت في المؤتمر تقارير عن حالة الاستشراق ومهامه في أكبر المراكز العلمية غير الروسية في بلادنا، كأوزبكستان (تقرير س. آ. عظيم جانوفا)، وتركمانيا (تقرير غ. آ. تشاريف)، وجورجيا (تقرير غ. ف. تسيريتلي و س. س. جيكا)، وأذربيجان (تقرير آ. س. سمبات زاده) وغيرها^(١).

أما انطلاقاً من المؤتمر هذا، فيرجعها نجيب العقيلي إلى العام ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، إذ يقول: "وعقدت في روسيا، في لنینجراد مؤتمراً للمستشرقين السوفيت (١٩٣٥)"^(٢).

إذا أردنا مناقشة السنة التي ولدت فيها هذه المؤتمرات، فيظهر أنه كان سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، حسب قول نجيب العقيلي، ولعل "شورباتوف" يقصد بالمؤتمر الأول في طشقند، أول دورة يعقدها المؤتمر في هذه المدينة.

ب - مؤتمرات المستشرقين الأمريكيين:

المثال العملي الثاني عن المؤتمرات المحلية، هي مؤتمرات المستشرقين الأمريكيين، والتي تعقدها الجمعية الشرقية الأمريكية. تعقد هذه الدورات عادة مرة كل سنة أشهر. وقد تزيد المدة عن ذلك وقد تقصر. لكنها حافظت على انعقادها مرتين في السنة الواحدة منذ نشأتها، أما اليوم فقد بلغني أنها تنعقد مرة كل سنة. أما اهتمامات المؤتمرات الدراسية، فقد تحورت، عادة، حول ما يلي:

أ - ترجمات النصوص المقدسة إلى اللغات الشرقية^(٣).

(١) غريجوري شريباتوف: الاستعراب في الاتحاد السوفيتي (١٩١٧ - ١٩٦١م) [١٣٣٥-١٣٨١هـ]، اللغة والأدب - نقله إلى العربية محمد المعصراني - تحت إشراف يغبني بيلابيف - موسكو - دار نشر المطبوعات الشرقية - ١٩٦١ - ص ٦١.

(٢) نجيب العقيلي: المستشرقون - الجزء الثالث - ص ٥٩.

(٣) Proceeding of the Oriental society at its meeting in Boston - May 7th - 1890 - p. iv.

ب - الاهتمام بالآثار^(١).

ج - الاهتمام بالأوضاع السياسية للشرق، ومن أمثلة ذلك العلاقات الصينية اليابانية عام ١٨٧٥م (١٢٩٢هـ)^(٢).

د - الاهتمام باللغات المحلية إلى جانب اللغات العامية، مثل اللهجات الكردية، وكان ذلك في دورة نوفمبر للعام ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ)^(٣).

هـ - الدراسات اليهودية، من ذلك مسألة إعادة المعبد في القدس^(٤).
أما الحاضرون في تلك الاجتماعات، فقد كانوا مختلفين في المشارب والتوجهات والأفكار. فمنهم:

أ - المنصرون، وهم كثيرون، ويتضح أثرهم في افتخارهم بأن عددا كبيرا منهم، ولاسيما من أعضاء الجمعية، علماء بارزون في الكتاب المقدس .

ب - السياسيون، فقد كان عمل المؤتمرات هذه، مرتبطا ارتباطا كبيرا بالحكومات الأمريكية. وكان العديد من الساسة أعضاء وداومون على الحضور.

ج - اليهود، وكان نفوذهم واضحا من خلال الدراسات المعروضة^(٥).
وكان للمؤتمرات هذه، علاقات مع العديد من الجمعيات والمؤتمرات الخارجية، ومع مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي عقدت دورتها السابعة والعشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، بـ"آن آر بور"^(٦).

تلك كانت صورة مصغرة عن مؤتمرات المستشرقين المحلية.

(1) P.ceeding of the Oriental society at its meeting in New York -March-1894- p. ix.

(2) Ibid. - p. ix .

(3) P.ceeding of the Oriental society at its meeting in New Haven - Nov. 1st and 2d - 1876 - no page number .

(4) Proceeding of the Oriental society at its meeting at Boston - May - 1876 - p. xix

(5) Ibid. p. xix.

(6) P.ceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967.

٢ - مؤتمرات المستشرقين الإقليمية :

تتميز مؤتمرات المستشرقين الإقليمية، بأنها يقوم عليها مستشرقو الدولة التي تنبئ ذلك المؤتمر، لكن يدعى لحضور فعاليتها، والمشاركة العلمية في أعمالها باحثون من كافة أنحاء العالم، لكن بعدد محدود، أقل بكثير من الأعداد التي تشارك فعاليات مؤتمرات المستشرقين العالمية، وأكثر من الأعداد التي تحضر فعاليات مؤتمرات المستشرقين المحلية.

وتهدف هذه المؤتمرات إلى ما ترمي إليه المؤتمرات المحلية، إضافة إلى أنها تعرف بالإنجازات الاستشرافية التي بلغتها البلاد المتنبئة للمؤتمر، للمستشرقين والعلماء القادمين من خارج الحدود. كما أن باحثي ذلك البلد، يتعرفون على بعض ما توصل إليه غيرهم من أصحاب المدارس الاستشرافية الأخرى، التي حضر علمواها فعاليات هذه المؤتمرات، كما أنها مناسبة للتعريف بعلمائها المستشرقين للآخرين، وفرصة لمستشرقها كي يحتكوا بغيرهم.

وكمثال على نوعية المؤتمرات الإقليمية، يمكن دراسة "مؤتمرات المستشرقين الفرنسيين الإقليمية"، رغم أنها لم تعمر طويلا، وقد أخبرت صيف ١٩٩٦م (١٤١٧هـ)، أن هناك محاولات لبعث الحياة فيها من جديد.

مؤتمرات المستشرقين الفرنسيين الإقليمية:

أ- نشأتها وتأسيسها: اسم المؤتمر، كما أطلقه أصحابه عليه، هو مؤتمر المستشرقين الإقليمي *Congres Provincial des Orientalistes*.

سنرى لاحقا أن المستشرقين الفرنسيين هم الذين كانوا وراء تأسيس مؤتمرات المستشرقين العالمية^(١)، الذي انعقدت دورته الأولى في باريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، والثانية بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ). هذان المؤتمران كان لهما صدى على الصعيد الغربي عامة، والفرنسي خاصة. ولما راق الفرنسيين هذا الأمر، سعوا على أن يكونوا مؤتمرات إقليمية استشرافية، يقومون

(١) سيرد ذلك لاحقا ص ٦٤ - ٦٧ من الرسالة وما بعدها.

عليها بأنفسهم، وتعتقد في فرنسا، في مدنها المختلفة وفي مستعمراتها. جاء ذلك في خطاب الدعوة لانعقاد المؤتمر الأول: "بعد أن ثمن الإعلام النتائج الرائعة التي جنتها دورتا مؤتمرات المستشرقين العالمية، في باريس ولندن، والآمال المعقودة التي صاحبت إعلان دورة سان بترسبورغ، فإن مؤسسة "الآثيني الشرقية"، رغبت في محاولة تنظيم دورات شرقية في المقاطعة وفي المستعمرات. إنها أفضل وسيلة عملية لتشجيع الميل للدراسات المتعلقة بالشرق وتطويرها، وتهيئة منبر ودعاية جديدين، ضروريين لانتشار أعمالهم^(١)."

ب - نظام المؤتمرات العام: اكتسب المستشرقون الفرنسيون خبرة أولية في بنود نظام المؤتمرات. فهم الذين بادروا إلى تكوين أول نظام عام لمؤتمرات المستشرقين العالمية^(٢). ومن هنا، انطلق المستشرقون الفرنسيون في البحث عن بنود عامة لمؤتمراتهم، واعتمدوا على نظام المؤتمرات العالمية، إضافة إلى بنود نظام مؤسسة "الآثيني الشرقية"، وخرجوا ببند هذه المؤتمرات الإقليمية، صرح بذلك رئيس المؤسسة، "البارون تكستور دو رافيزي"، والذي كان ذاته رئيس الدورة التحضيرية من المؤتمر الإقليمي^(٣).

اقترح "تكستور دو رافيزي"، في الجلسة الختامية لدورة المؤتمر الثانية، تكوين نظام قانوني موحد لجميع المؤتمرات، لكن رأيه هذا رد بقوة، فقد رئي أن مثل هذه الأنظمة الموحدة ستكون حجر عثرة في مسار المؤتمرات، ومن هنا ترك الأمر لكل مؤتمر ليحدد بنود نظامه العام، وفق ما يراه يتماشى ومساره، ورؤية القائمين على أية دورة^(٤).

أما عن محور بنود الأنظمة، ففي عمومها تتعلق بأهداف المؤتمر المنعقد، وزمن انعقاده، ومساره، وجلساته العامة، والنظام المخصص للضيوف، والمساهمين من المستشرقين وحقوقهم، ومسار المؤتمر العلمي، واللجان التي

(١) Athenée Orientale - Congrès Provincial des Orientalistes à Saint-Etienne - 1875 - Règlement - Saint-Etienne - 1875 - T1 - p. 7.

(٢) سيرد ذلك لاحقاً ص ٧٦ من الرسالة وما يليها.

(٣) Athenée Orientale - Congrès Provincial des Orientalistes à Saint-Etienne - 1875 - Règlement - p. 11.

(٤) Congrès des Orientalistes de Marseille - 2ème session du Congrès Provinciaux des Orientalistes - 1876 - p. 151.

سينقسم إليها، وتنظيم العلاقات بين المكتب الإداري والمستشرقين المشاركين في الدورة، والنظام المالي للمؤتمر، وكذلك مطبوعات أعمال المؤتمرات وغيرها^(١). أما إذا ألقينا نظرة على النظام العلمي العملي والثقافي للمؤتمرات، فإن الأعمال سارت عموما وفق اللجان العلمية. أما البرنامج العام فيكون عادة متنوعا^(٢).

وتختلف اللجان من مؤتمر لآخر، فقد تجتمع لجنة مركزية ولجنة تنظيمية معا، أو واحدة منهما فقط، وهكذا غيرهما من اللجان الإدارية. ومع ذلك، ورغم نوع الإحكام التنظيمي، للمؤتمرات الفرنسية، إلا أن المؤتمرات توقفت بعد مؤتمر ليون ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)، ولم أتمكن من معرفة الأسباب، لكن بعض من لاقيتهم في مكتبة المؤسسة الآسيوية في باريس، أخبروني أن اجتماعات تمت، تحاول إعادة المؤتمرات تلك، وبعثها من جديد.

(١) من ذلك على سبيل المثال: *Congres Provincial des Orientalistes - Compte rendue de la troisieme session - Lyon - 1878 - pp. 21 - 24 .*

(٢) من ذلك مثلا *Congres des Orientalistes de Marseille - 2eme session du* *Congres Provinciaux des Orientalistes - 1876 - pp. 41 - 42 .*

الفصل الثاني : فكرة الدعوة إلى انعقاد مؤتمرات عالمية للمستشرقين

المبحث الأول : الفكرة ومراحل الدعوة إليها
المبحث الثاني : أهداف مؤتمرات المستشرقين

الفصل الثاني : فكرة الدعوة إلى انعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

في ظروف عامة صعبة، تحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية، عاشتها أوروبا، ظهرت فكرة الدعوة لانعقاد مؤتمرات عالمية للمستشرقين. ففي هذه الحقبة من التاريخ، شهدت الساحة العالمية ظاهرة المؤتمرات المتخصصة، بحيث إنه كان للأطباء مؤتمراتهم، وللفيزيائيين مؤتمراتهم، والأمم بنفسه بالنسبة للرياضيين والكيميائيين، وكذلك الاجتماعيون والنفسيون، كما شهدت الحقبة مؤتمرات سياسية أيضا، وتعددت جميع تلك المؤتمرات، وتنوعت.

لكن الاستشراق، كان يعتبر علما قائما بذاته لدى المستشرقين، في حين أنه كان مجرد ميدان دراسي لدى غيرهم، وبالأذات السياسيين، الذين كانوا يهتمون بالموضوعات الاستشراقية، بحسب الحاجة، ويبدو أن المساعدات التي كان يتلقاها الاستشراق جاءت أقل بكثير مما خصص لغيره من الميادين، إذ أن الحكومة الفرنسية مثلا لم يكن لها دور كبير في انعقاد مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، الذي تم بمبادرة مستشرقين فرنسيين، كما سيأتي^(١) رغم حاجة السياسيين الملحة للمستشرقين في تلك الحقبة الاستعمارية.

أما أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهو من العناصر الهامة التي تحتاج للكشف عنها، فتعد أشق عنصر في هذا المجال، وذلك لأن الأهداف غير معلنة، وإنما استثنائية، إذ هي مخفية في أغلب الأحيان، وما يعلن منها إنما هو مثالي تماما، كالأهداف العلمية للبحث، لكن المتتبع يجد أهدافا عدة تسمى المؤتمرات لتحقيقها، سواء أكانت دينية أم سياسية أم ثقافية أم اجتماعية أم اقتصادية، وذلك بصفة مباشرة، أو عن طريق الدعاية الخفية لها. لذا، ستكون هناك محاولة للكشف عن تلك الأهداف، أو بالأحرى معضمها.

(١) سيرد ذلك لاحقا ص ١٣٨ وما بعدها من الرسالة.

المبحث الأول: الفكرة ومراحل الدعوة إليها

لم تكن نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية ميسورة، إذ كانت البلدان الأوروبية تعيش تناقضات وحوادث متلاحقة، ما لبثت أن تطورت إلى الحرب العالمية الأولى. وقد انطلقت تلك المؤتمرات بمبادرة فرنسية بحثية، بل ابتداراً من مفكر وباحث استشراقي واحد، هو "ليون دو روسني"، بعد مجهودات مضنية كللت بالنجاح، تمكنت المؤتمرات على أثرها من الانعقاد.

هذه الأسباب، سيتم تناولها في هذا الفصل، وفق النقاط التالية:

- سمات المجتمع الغربي زمن انبعاث فكرة انعقاد المؤتمرات.
- أثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية في نشأة المؤتمرات.
- استقرار الدعوة والعمل على تنفيذها.

١ - سمات المجتمع الغربي زمن انبعاث فكرة

انعقاد المؤتمرات:

كانت أوروبا قد خرجت لتوها من حروب داخلية متعددة ، انتهت بهزيمة فرنسا هزيمة قاسية على يد الألمان سنة ١٨٧٠م (١٢٨٦-١٢٨٧هـ)، وخسرت الأكراس واللوران، قبل أن تنطلق جذوة الحروب ودوامتها مرة أخرى، والتي بلغت حدتها بالحرب العالمية الأولى. وبالتالي كانت الساحة السياسية تشهد تقلبات وصراعات حادة داخلية وخارجية، ولاسيما حول مناطق النفوذ، ومن ثم عرّف العهد بالعصر الاستعماري. وصاحب تلك التحولات تطورات في الجوانب، ولاسيما العلمية والمعرفية، والتي توجت باختراع الآلة البخارية، التي أثّرت تأثيراً كبيراً في الحياة العامة، بما فيها النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية. هذه التفاعلات العامة، التي شهدتها الساحة الغربية، زمن ظهور المؤتمرات، هي ما سيتم تحليله في هذا المبحث، من خلال دراسة السمات المميزة لتلك الفترة.

أ- سمة العصر السياسية:

تميزت حالة العصر السياسية بسمات عدة، هذه الجوانب، تبين البيئة التي نشأت فيها مؤتمرات المستشرقين العالمية، وكان لها تأثير هام في المؤتمرات.

- أثر الثورة الفرنسية في الساحة السياسية الغربية: دخل القرن التاسع عشر التاريخ وقد ورثت أوروبا تركة الحروب العديدة التي شهدتها منذ القرن الثامن عشر. فقد عمت الفوضى جل البلدان الأوروبية، ولاسيما فرنسا، التي ظهرت فيها ثورة أثرت في المسار السياسي في أوروبا بأكملها. فقد خشيت الدول الأوروبية أن يصيبها ما أصاب فرنسا. لذا، فقد ناصبت تلك الثورة العداء، وسارع العديد منهم لمحاولة التدخل من أجل إخمادها في مهدها، ولاسيما بعد ظهور دستورها، ومبادئها لحقوق الإنسان، ثم إعلان الجمهورية. لذا، قامت معارك بين فرنسا من جهة، وكل من روسيا وبروسيا وإيطاليا وبريطانيا وأسبانيا وبولندا وبلجيكا والنمسا وألمانيا وغيرها^(١)، من جهة أخرى، وقد تتحالف بعضها ضدها، وقد تقوم الحروب بينها وبين واحدة منها منفردة.

إلا أن الثورة الفرنسية لاقت قبولا لدى العديد من الأوروبيين، وبرز دعاة لها، وللسير على منوالها. وصاحب هذه الثورة ظهور فلسفات سياسية عدة، عمقتها الديالكتيكية الجدلية، التي ترى أن "الأفكار المتحركة توجد في الواقع وتخلقه، وتدفع بالكائن دوما ليتجاوز باستمرار وضع وجوده"^(٢). إلا أن بعض دعايتها راح ينادي بأن البروتستانتية هي الدولة المثلى لذلك^(٣).

(١) يمكن الاطلاع أكثر في الموضوع لدى: فيشر هـ. أ. ل. - تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٠٥م) [١٢٠٣-١٢٢٣هـ] تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع - مصر - دار المعارف - الطبعة السابعة - ١٩٧٦م - ص ١٤ وما يليها.

(٢) روبرت شتيرب: تاريخ الحضارات العام: القرن التاسع عشر - إشراف مورييس كروزي - نقله للعربية يوسف أسعد داغر وفريد داغر - بيروت - منشورات عويدات - الطبعة الثانية ١٩٨٧م - المجلد السادس - ص ٧٨.

(٣) المرجع نفسه ص ٧٨.

- حمى الروح الاستعمارية: نظرا للحروب الداخلية، والحاجات الأوروبية المتنوعة، واستقلال الدول الأمريكية، والتطور الصناعي العام الذي شهدته أوروبا، جعلتها تفكر في مستعمرات أخرى، وولت وجهها شطر الشرق عموماً، والشرق الأوسط بصفة خاصة. وبالتالي، انطلق الاستعمار من تحقيق مصالح عامة، ولاسيما الاقتصادية منها والسياسية، ليصبح عقيدة سياسية غربية، إذ "سيطرت هذه السياسة واعتمدت أساساً واتخذت قاعدة"^(١)، لدرجة أنهم رأوا أن "الاستعمار إحدى ضرورات الحياة العصرية"^(٢). وكانت المصلحة هي الدافع وراء قيام تلك الحملات المسعورة، "إن المقياس الوحيد الواجب اعتماده في كل مشروع استعماري هو درجة إفادته ومجموع العائدات التي يدرها للوطن الأم"^(٣). وقيل: "حيث تكون المصلحة يجب أن تكون السيطرة"^(٤). وما إن حل القرن العشرون، حتى كانت السيطرة الأوروبية تبسط ظلها على جل أنحاء العالم، "وساد الرأي القائل بأن للتخلي عن المستعمرات عاقبته الانحطاط"^(٥). وقيل: "لا تتخلوا أبداً عن رأس دبوس يحق لكم الاحتفاظ به، وتعتقدون أن باستطاعتكم الاحتفاظ به"^(٦). بل إن الروح تلك استشرت حتى عند العلماء، فقد قرر بعض علماء الاجتماع أن على الدول الصغيرة أن تعمل لصالح الدول الكبرى التي جاءت على أساس إمبراطورية كونية"^(٧)، ورآها آخر بأنها مرحلة ضرورية في حركة تطوير أي جهاز عضوي سليم"^(٨). تلك هي بعض المفاهيم العامة التي يقوم عليها الاستعمار.

(١) روبرت شنيرب: تاريخ الحضارات العام ... - ٦م - ص ١١٩.

(٢) المرجع نفسه - ٦م - ص ٢١٢.

(٣) المرجع نفسه - ٦م - ص ٢١٥.

(٤) المرجع نفسه - ٦م - ص ٢١٩.

(٥) المرجع نفسه - ٦م - ص ٢١٤.

(٦) المرجع نفسه - ٦م - ص ٢١٤.

(٧) المرجع نفسه - ٦م - ص ٥٦٢.

(٨) المرجع نفسه - ٦م - ص ٥٦٢.

انتشار الروح القومية في أوروبا: من مميزات هذا العصر أيضا، ومن إفرزات القرن التاسع عشر، بروز الروح القومية والوطنية الأوروبية، التي قسمت أوروبا إلى شعوب ودويلات متنافرة ومتناحرة، نهضت على أساس وطني قومي. واتسم العصر كذلك بتمجيد القومية، وكانت الظروف المطبوعة على الساحة الغربية، يدعو لنقوية الشعور القومي بين أفراد الشعب الواحد. وبالتالي ظهرت معركة صراع الأعراق، وانطلقت الأبحاث حول نوعية هذا الجنس.

ومن الذين استفادوا من التوجه العرقي والقومي، الصهاينة، الذين استغلوا العنصر اليهودي، معتمدين على الروح التحررية البرجوازية. فقد تمكنت عائلات يهودية عدة، من الاستفادة من التطورات الحديثة، فأثرت ثراء فاحشا، وبالتالي سيطرت على جل الشعوب، مستفيدة أيضا من تماسكها العرقي اليهودي وعاداتها وتقاليدها. هذا الأمر ألّب عليها القلوب، باعتبار عدم أهليتهم وكفاءاتهم العملية، فظهر رد الفعل المتمثل في التمييز ضدهم في جل دول أوروبا. ومن ثم، انطلقت ظاهرة معاداة السامية من ناحية، والدعوة لتكوين وطن قومي لليهود من ناحية أخرى^(١)، انطلاقا من عام ١٨٦٢م (١٢٧٨هـ).

- سمات إجمالية أخرى: من سمات هذه الفترة الزمنية أيضا، ظهور عصور الدساتير، والقوانين، وبروز الجمهوريات والبرلمانات. وشهدت ظاهرة انتشار المؤتمرات السياسية وتعددتها، ومن أهمها مؤتمرات فيينا وفيروسا وميونخ، التي كانت تهدف إلى توطيد أسس الوثام بين الملوك الأوروبيين^(٢).

كما أن ظاهرة الاعتماد على البوليس وقمع الثورات الداخلية عن طريقه، ميزت هذا العصر أيضا، وأشهرها ثورة باريس سنة ١٨٧٠م (١٢٨٧هـ)، بعد خروجها مهزومة من الحرب مع ألمانيا، وفيها قتل البوليس آلاف الثائرين بباريس^(٣).

(١) المرجع السابق - م ٦ - ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

(٢) المرجع نفسه - م ٦ - ص ٨١.

(٣) المرجع نفسه - م ٦ - ص ٧٨.

وأمام تزايد الفروق بين أصحاب رؤوس الأموال والمستخدمين العمال، وتعمقها، برزت إلى الساحة ظاهرة النقابات والوجه الثوري العمالي، التي انطلقت من ألمانيا، ثم تغلغت في سائر بلدان أوروبا، وبالتالي انتشرت ظاهرة الإضرابات واستشرت في الكيان الأوروبي، وبلغت أوجها في سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، الذي سمي عام الإضرابات والاعتصامات، ولم تهدأ تلك التحركات إلا في سنة ١٨٧٥م (١٢٩٢هـ)^(١).

تميزت الساحة أيضا بظهور الحركات الاشتراكية، التي أزعجها كارل ماركس "بكتابه "رأس المال"، والتي ثبتت أقدامها، رغم محاولات جميع الساسة وذوي النفوذ إخمادها في مهدها، وذلك لئلا يمتدحها واستغلالها لظروف العمال والمزارعين المزرية^(٢).

تلك هي أهم سمات المجتمع الغربي السياسية، في الفترة التي نشأت فيها المؤتمرات.

ب - سمة العصر المعرفية:

تميزت حالة العصر المعرفية بخصائص علمية، تتمثل في النكسة التي لاقتها الفلسفة، مقابل التطور العام في العلوم المادية والطبيعية والإنسانية والاجتماعية، وظهر مذهب عدة في الأدب والفن.

- نكسة الفلسفة: عرف القرن الثامن عشر بأنه عصر الفلسفة. لكن بداية القرن التاسع عشر، شهدت صراعا عقليا وفكريا عميقا، كان المستفيد الرئيس منه العلم، الذي أعطى الكلمة الفاصلة في جميع الميادين، وبالتالي شهد العصر الانفصال التام بين العلم والفلسفة، ابتداء من الرياضيات، وانتهاء بخروج العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومن هنا فقدت الفلسفة هيمنتها المطلقة على المعرفة، وظهر التشكيك في إمكان بقائها ودوامها. لكنها احتفظت بموضوعات لم يكن من

(١) المرجع السابق - ج ٦ - ص ٢٨٩.

(٢) المرجع نفسه - ج ٦ - ص ٢٩١.

الممكن إخراجها منها، مثل الأخلاق والبحوث المثالية، كما احتوت موضوعات جديدة، قوت من موقفها وإمكانات دوام بقائها، مثل الإستيمولوجيا^(١)، ونقد العلوم في حقيقتها وأهدافها وأخلاقيها.

إلى جانب ذلك، شهد العصر قدرا من الفلسفة المادية، إلى جانب الفلسفة المثالية، وقام تنافس كبير بينهما. وكانت الغلبة تميل لصالح الفلسفة المثالية، لاعتبارات شعبية وفكرية، ولأن "العصر لم يكن عصر فلسفة، فإن قادة المفكرين آثروا أن يقصروا أنفسهم على ميدان العلم، ولم يبذلوا إلا القليل من الجهد في النظر إلى الصلة بين الكشف العلمية الجديدة والفلسفة، وهم إن خاضوا في الفلسفة لم يظفروا منها بنجاح قليل"^(٢). بل إن الأمر ذهب بالعلماء لعدم التعمق في الفلسفة "إلى حد أن عددا قليلا من رجال العلم في نهاية القرن التاسع عشر، كانوا يفهمون مؤلفات الفلاسفة المعاصرين لهم، وكثير منهم نظر إلى الفلاسفة بشيء من الازدراء"^(٣). فصعوبة الفلسفة وتشعب مفاهيمها، ساهم في انحسارها.

- تطور العلوم: شهد العصر انطلاقة تطور العلوم التجريبية، معتمدة على التطور الذي حققته الرياضيات، والتي ظلت في تطور متصاعد. نشطت الفيزياء، فأمكن قياس سرعة الضوء، واخترع علم الكهرباء المغناطيسي. كما درست الحرارة، وجاءت نظرية الديناميكا الحرارية، وعلى غرارها نشأت الميكانيكا التطبيقية. وطرحت مسألة الطاقة والقوة الحرارية، وتوج الجهد بصناعة التبريد.

وشهدت الكيمياء تطورا مطردا، إذ كشف النقاب عن الكيمياء المعدنية، والكيمياء العضوية، والتفاعلات الكيميائية والكهربائية. كما أمكن تحليل المادة

(١) الإستيمولوجيا Epistemology، دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة وفروضها ونتائجها، وتهدف إلى تحديد أصولها المنطقي وقيمتها المعرفية. وهي أحد فروع الفلسفة الذي يبحث في أصل المعرفة وتكوينها ومناهجها وصحتها. المعجم الفلسفي - القاهرة - مجمع اللغة العربية - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - ص ١.

(٢) هامرتن، السر جون أ.: تاريخ العالم - أشراف على ترجمته إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي - مصر - مكتبة النهضة المصرية - ص ٨٢٢.

(٣) المرجع نفسه - ص ٧١٦.

العضوية إلى عناصرها، وتحقق تركيب الأسيتيلان^(١) سنة ١٨٦٣م (١٢٧٩هـ)، من خلال عناصره، مما أحدث ثورة في علم الكيمياء، ثم تم تركيب البنزين والنفثالين والشحوم، فقام علم حراري كيميائي، إلى جانب علم القوة الحرارية، كما ظهر علم المتفجرات، و"الأوزون" الصناعي، ووسائل تعقيم المياه... وهكذا واصل العلم مساره^(٢).

أما العلوم الطبيعية الحياتية، فقد شهدت أبحاثا ومجالات عميقة. وتميز القرن بطرح قضية النشوء والارتقاء والتطور كمسلمة علمية، بعد أن ظلت مجرد فكرة في القرن الثامن عشر، وأحدثت هذه النظرية جدلا عميقا، ولاسيما في موضوع الإنسان. لكن ما لبث جل المتفقون أن اعتنقوها أو سلموا بها^(٣).

وساعدت العلوم الحياتية على إحداث تطورات في العلوم الطبية أيضا، ولاسيما الجراحة. فقد تمكن الطب من معرفة جسم الإنسان والعوامل المرضية التي تهاجمه، فساعدت بقوة على تخفيف الألم، وبعث الآمال المتزايدة. فقد عانت أوروبا من شتى الأوبئة والطاعون. كما أن المعارك الحربية المنتشرة في أوروبا، التي شهدتها القرن التاسع عشر، كان له دور كبير في تطوير علم الطب، ولاسيما الجراحة، ولذا قيل: "إن الجراحة مدينة بنجاحاتها لساحات المعركة في الدرجة الأولى"^(٤).

وقطع علم الأمراض العضوية شوطا كبيرا في معرفة الأعراض المرضية العضوية. كما شجعت معرفة هضم الشحوم ووظائف الكبد السكرية، المزيد من النجاحات التي أدت إلى كشف الإفرازات الداخلية، كما تطور علم دراسة الغدد، وتم الكشف عن كيفية حدوث التعفن والتخمر، وبالتالي اكتشاف فاعلية الجراثيم،

(١) الأسيتيلان، غاز لا لون له، وذو رائحة خاصة به تميزه. ينتج عن التفاعل بين المساء وكربيد (كربون) الكالسيوم، أو بأكسدة جزئية للغاز الطبيعي. يستخدم في قطع المعادن ولحمها، مثل الألمنيوم، كما يستخدم في التركيبات العضوية.

Collins Modern Encyclopedia – WILLIAM collins Son & Co. LTD – Glasgow and London – 1969 – p. 13.

(٢) هامرتن، السرجون أ. : تاريخ العالم – أشرف على ترجمته إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي – مصر – مكتبة النهضة المصرية – ص ٣٣ وص ١٣٤.

(٣) المرجع السابق – ص ٨٢٨.

(٤) المرجع السابق – ص ٣٢٥.

واكتشف دواء الجدري، ودواء الكلب وبكتيريا دودة القز، وجراثومة السل، وغيرهم. كما انتشرت الأمراض الجنسية انتشاراً بالغاً، واستعصت على الطب طويلاً، فلم تكتشف جرثومة السيلان الأبيض إلا في سنة ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ)، والزهري سنة ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ). كما تطور علم طب النساء، والأمراض العصبية والعقلية، واكتشف "الكلوروفورم" المنوم المخدر، الذي كان له أثره الكبير المساعد في إجراء العمليات الجراحية بأمان^(١). وهكذا يعد تطور الطب أهم منجزات القرن التاسع عشر.

- المعرفة التاريخية والاجتماعية والجغرافية: ظهرت الحاجة إلى تفسير الأحداث تفسيراً دقيقاً، بنجاعة أكبر. فحدث في الوقت نفسه تعمق في البحث وتوسع في الحقل التاريخي، ورئي أن التاريخ ليس مجرد فن، بل علم بحث، في حين رأى آخرون أنه فن وعلم سواء بسواء^(٢). تجرأ التاريخ على معالجة مسألة الأصول الدينية، إذ إنه طبق في معالجة التوراة الطرائق نفسها التي استخدمها في كشف حقيقة نشأة روما، أو المسألة الهوميروسية^(٣). أما أثر العامل الاقتصادي في التاريخ، فلم يظهر إلا ببطء، لكنه شاع وانتشر في أبحاث نهاية القرن، ولاسيما بعد ظهور الماركسية^(٤).

وفيما كان التاريخ يبحث في ماضي الإنسان، جاء علم الاجتماع يبحث في نهجه وأسلوبه، ويكشف العلاقات الموجودة بين الأحداث الاجتماعية التي كانت تبدو مستقلة بعضها عن بعض، وبالتالي أصبح اطراد القانون في الظواهر الاجتماعية حقيقة مسلماً بها لدى الاجتماعيين. وتناول هذا العلم منهج صراع الطبقات، وهناك المذهب التطوري، الذي يكون نتيجة تكيف المجتمعات تدريجياً

(١) روبر شنيروب - تاريخ الحضارات العام ... - ٦ - ص ١٣٥-١٣٩.

(٢) المرجع السابق - ٦م - ص ١٣٩.

(٣) للمرجع السابق - ٦م - ص ١٣٩.

(٤) المرجع السابق - ٦م - ص ١٤٠.

على البيئة، كما ظهر تفسير الأسطورة، ووضعت الشروط التي قد تتنح لعالَم الاجتماع القيام بعمل علمي دقيق وحقيقي^(١).

أما الجغرافيا، فنشطت أيضا في القرن التاسع عشر، سواء في رسم الخرائط الدقيقة، نظرا لما وفرته التقنية العصرية من أساليب دقيقة القياس، سواء في البحر أو في البر، إذ كانت هناك مجاهيل بحرية وبرية لم يتم اكتشافها ومعرفتها^(٢). وتم الكشف عن جل أنحاء الكرة الأرضية ومعرفتها، لدرجة أنه تم قياس الأرض وكذلك وزنها، وظهرت النظريات حول قشرة الأرض والكشف عن خبايا التيارات الهوائية الكبرى، وأنواع الطقس المختلفة^(٣).

- الأدب والفن: شهد الأدب تحولات في مساره على غرار ما شهدته العلوم المختلفة. فلقد تواصل انتشار الأدب الرومنطقي، واتسم به القرن التاسع عشر أيضا، وتجدد بظهور أدب وطني قومي، معتمد على الأحلام والخيالات والحماس الوطني. وظهرت فيه محاولة الهروب من الواقع المعاش، والإشاحة عنه والتحليق بعيدا عنه، بل مقته أحيانا، وفي المقابل أظهر التعلق بالأرض، مع ربط الماضي بالحاضر^(٤).

كما حاولت مذاهب أدبية أخرى شق طريقها بقوة، وسط هذه الروح المرتبطة بالموضوعات الرومنطيقية، التي تعرضت، مع رواجها، لروح عدائية^(٥). فظهرت المدرسة الواقعية، وانتشرت في البلدان التي سيطرت فيها الثورة الصناعية، وحاولت إلغاء الخيال والتخيل واعتماد العيش مع الواقع، مهما كان، بغثه وسمينه، سواء الهيئات السامية فيه أو المشاهد القذرة والخليعة، وكل شيء يمكن أن يكون موضوعا أدبيا. ولا حرج عندها من استخدام اللفظ المبتذل للتعبير عن السامي الجزل^(٦).

(١) عند ريبير شنيرب - تاريخ الحضارات العام ... - ٦م - ص ١٤٠.

(٢) المرجع نفسه - ص ١٤٥.

(٣) المرجع السابق - ٦م - ص ٢٥٧.

(٤) المرجع السابق - ٦م - ص ٢٥٧.

(٥) المرجع السابق - ٦م - ص ٢٥٨.

(٦) المرجع السابق - ٦م - ص ٢٥٧ - ٢٥٩.

ومن المدارس الأخرى التي لاقت رواجاً كذلك في القرن التاسع عشر، المدرسة الانطباعية، وهي مدرسة فنية، أكثر منها أدبية، وترى أن من بين الأمور المستمدة من حياة العصر، أشياء طيبة يمكن إبرازها. وبالتالي، فالشيء المائل على الصورة، هو ذاته في كل الأحوال، إذ إنه لا يتغير ولا يتبدل في ذاته. وهذا كان في أساسه طابعاً يابانياً، لقي رواجاً في فرنسا^(١).

كما ظهرت مدارس أخرى، لم تبلغ مبلغ المذكورة أعلاه، مثل المدرسة الطبية، والمدرسة الرمزية، التي راجت بصفة خاصة، في القرن العشرين.

تلك كانت سمة المعارف الفلسفية والعلمية والأدبية والفنية في القرن التاسع عشر، الذي شهد انعقاد أول مؤتمر عالمي للمستشرقين.

ج- سمة العصر الاقتصادية:

كثيراً ما يقيس الغرب العلاقة بين تزايد السكان والاقتصاد العام، وقد لاحظ أن عدد السكان ارتفع بنسبة عالية. ففيما كان عدد السكان حوالي ستمائة مليون حوالي ١٧٠٠م (١١١١هـ)، تجاوز سنة ١٨٥٠م (١٢٦٦هـ) مائتين وألف مليون نسمة. وهو ما يعادل الضعف، وكان معدل الوفيات مرتفعاً جداً كذلك، بحيث إن من يتجاوزون الستين سنة، لا يتعدون نسبة سبعة بالمائة، ولا يتراوح متوسط عمر الإنسان إلا ما بين عشرين واثنين وعشرين سنة فقط، إضافة إلى أن الكوارث والأوبئة والأجديّة الأرضية كانت تودي بحياة العديدين^(٢). وظلت الشؤون الاقتصادية هاجس المجتمع الغربي، حتى ساهم التطور العلمي في قيام ثورة صناعية عميقة، كان لها آثارها على السمات الاقتصادية الدولية والشعبية.

لم تكن الفلاحة نقي بالحاجة الشعبية رغم تقدم الكشوف العلمية، بسبب تأخر المخترعات التي تنميها، كما أن المحاصيل الإنتاجية كانت تتطلب تدخل الحكومات المباشر، سواء أكان الإنتاج وفيراً أم شحيحاً. بل إن الثورة الفرنسية سنة ١٨٤٨م (١٣٦٧هـ)، كان وراءها الجفاف الذي ضرب أوروبا وفتك

(١) المرجع السابق - م٦ - ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) المرجع السابق - م٦ - ص ١١ - ١٢.

بالمحاصيل، كمؤثر هام جدا^(١). ومن هنا، انطلقت أوروبا تبحث عن طرق وأساليب لتنمية فلاحيتها، فابتدرت مزارع جديدة، جلبتها من الشرق، وقامت بعمليات تهجين للأنعام، والبحث عن أساليب أخرى لرفع مستوى إنتاج الحبوب والكثف عن أسمدة جديدة، ودخلت الآلات البخارية في الاستخدام الفلاحي والغذائي... وهكذا^(٢).

أما الصناعة، فقد تطورت تطورا فعالا، باكتشاف الآلة البخارية. وأسهمت القاطرة المخترعة حديثا في تيسير نقل البضائع والمواد الخام ببسر. وأدخلت تحسينات على صناعة الكتب والجرائد والصور، وانتشر فن صب حروف الطباعة، مما أدى إلى تطور المطبعة، واستخدمت فيها الآلات البخارية، وظهرت الآلات الكتابية، وآلات تسجيل الأصوات ...

وأهم صناعة تميز بها آخر القرن التاسع عشر، فهي الآلات الحربية، إذ إن المعارك والمنافسات والصراعات العرقية والوطنية، قد دفعت إلى تسابق نحو التسلح. ومن هنا ارتفع الإقبال على صناعة التسلح وترويج إنتاجها وبيعه، ولاسيما أن الطلب عليه كبير والربح منه وفير.

أما النقل والمواصلات، فبعد تحسين السيارة، توج العمل بظهور القاطرة، ومن هنا ازدادت العناية بالطرق وازدهرت حركة النقل عن طريق السيارة البخارية، وتوسع مد سكك الحديد في جل البلدان، وأحدثت ثورة كبيرة في النقل والمواصلات. كما دخلت السفن ميدان العمل البخاري، وتطورت آلات تسييرها، كما تحسنت شؤون حمايتها ودفاعاتها، واستخدمت في عمليات الشحن والتجارة ونقل البريد، الذي شهد بدوره تطورا عميقا في وسائله وأساليبه، ولاسيما بعد اكتشاف التلغراف والهاتف.

نتج عن هذا التوسع الاقتصادي والتطور الصناعي توسع التجارة، التي اتخذت اتجاهين متباينين، أحدهما بين الدول المصنعة، نتيجة عدم القدرة على الاكتفاء الذاتي، ثم التجارة خارج أوروبا، بحيث طلبت أوروبا الخامات الزراعية والصناعية، بغية تحويلها بنفسها، من جهة، وتزويد الدول النامية الجديدة

(١) المرجع نفسه - م ٦ - ص ١٧.

(٢) المرجع السابق - م ٦ - ص ١٧٧.

بالمصنوعات^(١). هذا التوسع التجاري، أدى هو أيضا إلى الارتفاع في إنتاج المعادن الثمينة، وظهرت الأسواق المصرفية والمالية، فكان العصر، إضافة إلى كونه عصر الفحم الحجري والحديد، عصر الذهب والفضة أيضا، ثم استحدثت الأوراق المالية.

أما النتيجة الهامة لهذا النظام التصنيعي، فهي ظهور الرأسمالية الغربية، وسيطرة النظام الرأسمالي على جميع شؤون البلد، ليس في الجانب الاقتصادي فقط، بل ولح حتى القرارات السياسية أيضا. وكان له نتائج السلبية كذلك، إذ انقسم المجتمع إلى طبقتين اثنتين، هما طبقة الملاك وأصحاب رأس المال، التي بيدها مقاليد كل شيء، وطبقة العمال والمزارعين والصناعيين، التي اصطُلح على تسميتها بـ«بروليتاريا»، تعيش عيشة نقشف^(٢).

وهكذا فرضت الآلة سيطرتها على المجتمع فرضا واقعيا، بما لها من قدرة وطاقات إنتاجية، وأثرت في العلاقات الاجتماعية بين أطراف المجتمع المختلفة، وأضحى التصنيع هو الأداة المؤثرة بقوة في معالم الحضارة الغربية، وفاققت قصد بانيها، وهيمت المادية الاقتصادية على مرافق العصر.

د - سمة العصر الدينية:

شهدت الحياة الدينية في العالم الغربي أحداث وتطورات، أثرت في أصولها ومسارها. وهذا ما سيتم بيانه باختصار فيما يلي.

— النصرانية: أثرت الأحداث الدائرة على الساحة الغربية على الكنيسة والنصرانية. ودخلت الكنيسة دوامة الصراعات السياسية والاجتماعية، بل الحربية أحيانا. وتعمق الشعور المعادي للكنيسة، إضافة إلى هيمنة النظرة الرومانسية على الساحة والوجدان العام، الذي اهتم بالقيم الجمالية والخيالية، مما

(١) المرجع السابق - م - ٦ - ص ٢٠٤.

(٢) المرجع نفسه - م - ٦ - ص ٢٨٦ - ٢٨٩.

عمق النظرة المادية للحياة والتمتع بملذاتها. واستنفرت الكنيسة قواها محاولة منها للمحافظة على الشعور الديني قدر المستطاع داخل المجتمع الغربي، وبشعر النصرانية خارجه.

أما الساسة، فقد تعاملوا مع الكنيسة بحسب الطرق التي تخول لهم الحصول على مكاسب سياسية، لكن الأصوات التي تفاقمت تدعو لنبد سلطة البابا، كانت تجبر الساسة على أتباعها أحيانا، مما جعل الكرسي البابوي يصر على تحريم المذاهب الفلسفية والجمعيات السرية، وينتقد الحكام ويصمهم بالفتور الديني^(١).

إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فقد أدى انتشار إعلان كون العلمانية أساس القوانين، وأن لكل دولة أحقيتها في أن تتصرف في شؤونها الدينية، إلى قيام ما يشبه العداء للكنيسة، أو الحد من سلطتها، حتى إن فرنسا مثلا ألغت العشور الكنسية، وصادرت أملاكها وأملاك جل الطوائف الكنسية، وتدخلت في شؤون النظام الكنسي، وهي إجراءات استكرها البابا لأنه لم يؤخذ رأيه فيها^(٢).

أما المجتمعات، فقد كثرت فيها الجمعيات والطوائف الدينية، وارتفعت الأصوات التي تدعو إلى التحرر الكنسي، ودعت فِرَق للعودة للكاتوليكية، وأخرى تدعو إلى مناهضة الكنيسة، بينما أسفرت طائفة عن عداها للكنيسة. لذا عجزت الكنيسة عن الصمود في وجه المطالبين بالحرية، ولم تقدر بالتالي على المحافظة على نهجها^(٣).

أما من جانب الاقتصاد الكنسي، فقد تمكنت الكنيسة من توفير طاقات مالية جبارة، قصدت إنفاقها على أعمالها، ولاسيما للتصير الخارجي، وكانت عمليات جمع التبرعات، من أهم الموارد التي تعتمد عليها^(٤). أما الكنيسة، فقد كان لها قسط مالي دائم، تفرضه على العمال فيدفعونه لها، ويبلغ عادة عشر ما يكسبونه.

أما شأن التصير ونشر الديانة النصرانية خارج أوروبا، فقد شهد تسابقا بين الكاثوليك من جهة، والبروتستانت من جهة أخرى. وكلهم كان يعتقد أن الحملة

(١) المرجع السابق - ٦م - ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق - ص ١٨-٢٠.

(٣) المرجع السابق - ٦م - ص ٨٩.

(٤) روبر شنيوب: تاريخ الحضارات ... - ٦م - ص ١٤٨.

الصليبية لم تنته بعد ولم تتوقف^(١). وساهمت الجمعيات الكنسية في محاولة إنجاح هذا المسار، وتضاعف عدد الأفراد والجمعيات التنصيرية^(٢). واتخذت من الخدمات الإنسانية غطاء للقيام بمهامهم التنصيرية، وأهم تلك الخدمات التعليم، ومكافحة الأمراض، ففتحت مدارس ومستوصفات ومستشفيات وملاجئ للأطفال ودورا للأيتام^(٣)، مقابل ذلك هاجموا موروثة الأمم المحتلة وقيمها ودياناتها^(٤). إلا أن النتائج لم تكن بالقدر الذي سخرت له الطاقات، ولا سيما في الشرق المسلم، وأقروا "بأن الإسلام قد صمد في كل مكان، لا بل حقق نجاحات ذات قيمة في إفريقيا، وربما في آسيا، دونها نجاحات النصرانية"^(٥).

- اليهودية: لحق الضعف والخلاف والاختلافات والمجادلات الدينية اليهودية أيضا. فقد تعرضت هي أيضا لهزات عديدة، سببتها الحركة الإصلاحية، التي وجهت انتقادات كبرى وأساسية للتلمود. كما أصيب الولاء للغة العبرية بالترهل، لما أصاب هذه المجتمعات من انحطاط في الغرب^(٦). وابتدأت حركة تحرير اليهود، مع فكرة المساواة التي برزت على الساحة الأوروبية، واستغلت الغزو الرأسمالي أيما استغلال لصالحها. أما في البلدان الشرقية من القارة الأوروبية، فقد تعمقت معاداة اليهودية، ساهم في إذكائها سطوة أقلبياتهم التي كانت قوية النفوذ هناك^(٧).

من مظاهر الفترة كذلك تعاضم قوة الماسونية، التي لم يكن بعد توضيح الدور الذي تقوم به، رغم تعاضم أعداد محافلها وتكاثرها، وضمت في صفوفها الملوك والأمراء البروتستانت وموظفي الحكومات الكاثوليكية^(٨).

(١) المرجع السابق - ٦م - ص ١٤٨.

(٢) المرجع السابق - ٦م - ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٣) المرجع السابق - ٦م - ص ١٥٠.

(٤) المرجع نفسه - ٦م - ص ١٥٠.

(٥) المرجع السابق - ٦م - ص ١٥٠.

(٦) المرجع السابق - ٦م - ص ٢٧٧.

(٧) المرجع السابق - ٦م - ص ٢٧٧.

(٨) المرجع السابق - ٦م - ص ٢٨٢.

تلك كانت صورة إجمالية للأوضاع الدينية زمن انعقاد مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، وبها اتضحت معالم الصورة العامة للمجتمعات الغربية، سياسيا ومعرفيا واقتصاديا ودينيا، تلك المعالم التي نشأت فيها المؤتمرات وشببت وترعرعت.

٢ - أثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية في نشأة

مؤتمرات المستشرقين العالمية:

انطلقت فكرة تكوين مؤتمرات عالمية للمستشرقين من فرنسا. وكان المستشرقون الفرنسيون هم أول من تبنى هذه الفكرة، وسعوا لتحقيقها، ورائدهم في ذلك المستشرق "ليون دو روسني" صاحب انطلاق الفكرة لأول مرة. فكان أن استشار هؤلاء المستشرقون زملاءهم في جل الدول الأوروبية، وبالتالي عملوا على تحقيقها على أرض الواقع.

ومن هنا، بقيت فرنسا تفخر بمبادرتها تلك، حتى أن أحد هؤلاء المبارين "جوليان دوشاتو Julien Duchateau" كتب كتيباً بعنوان "Une creation scientifique francaise: Le Premier Congres International des Orientalistes، مؤتمر المستشرقين العالمي الأول: إنتاج علمي فرنسي"^(١). وظل الفرنسيون يعتزرون بهذه المبادرة، ويرون أنفسهم الساهرين عليها ومراقبتها، حتى إنه حصلت بينهم وبين الإنجليز مواجهات كلامية في المؤتمر التاسع الذي انعقد في لندن سنة ١٨٩٢ م (١٣١٠هـ)^(٢).

ولبيان حقيقة المبادرة هذه، وأهمية المدرسة الفرنسية في نشأة المؤتمرات، يمكن تناولها في الموضوع هذا من جانبين: دور المدرسة الفرنسية في هذه النشأة،

(١) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise: Le Premier Congres International des Orientalistes - Paris - Dentu Librairie - Mai 1874.

(٢) سيأتي ذلك لاحقا ص ٣٣٣ - ٣٣٤ من الرسالة.

وأضواء على صاحب الفكرة وباعثها والمشرّف على أنجاحها، المستشرق "ليون دو روسني".

أ - دور المدرسة الفرنسية في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية:

لا خلاف بين المستشرقين والوسط العلمي، بأن نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، ارتبطت بمبادرة فرنسية صرفة، طرح فكرتها أساسا مستشرق واحد هو "ليون دو روسني"، وعرضها على أقطاب الدراسات الاستشرافية في بلده، فقبلت بالترحاب، وأيدهم مستشرقون من كافة أنحاء العالم.

هذه البادرة، اعتر بها المستشرقون الفرنسيون، ونوهوا بها. وقد تم ذكر كتاب "دو شاتو"، الذي أراد أن ينص على فرنسية المبادرة والانطلاقة. ومما قال فيه: "إن مؤتمر المستشرقين الذي أقيم للمرة الأولى بباريس، من الأول حتى الحادي عشر من سبتمبر الماضي، يدين بالفضل في نشأته أيضا لمبادرة فرنسية صرفة، ولتفاني بعض الرجال المتقنين... ودون التأكد من الرعاية العليا للحكومة"⁽¹⁾.

هذا الترجه نحاه أيضا "أ. لوفابر A. Lefebvre" متحدًا عن خصائص مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، فذكر أن أولها تتمثل في "إنه إنتاج فرنسي ونشأ بمبادرة خاصة، تكاملت بكل حرية فكر، بمؤازرة عدد كبير من العلماء الجديرين بهذا المسمى، ومن أصحاب القلم، جاؤوا من كافة أنحاء العالم"⁽²⁾. بل إنه غالى في موضع آخر، بحيث أكد أن انعقاد المؤتمر في فرنسا إنما هو أمر حتمي، إذ قال: "إنه لمن الطبيعي أن تنشأ فكرة مؤتمر عالمي للمستشرقين بفرنسا، وهذا ما قد حصل فعلا. لقد انعقد المؤتمر بباريس، وقد نجح نجاحا باهرا"⁽³⁾.

أما "لوسيان آدام Lucien Adams"، فعند حديثه عن المؤتمر، يربط بينه وبين مؤسسه الأول، فيقول: "بتقديمي عرضا مفصلا عن أعمال مؤتمر

(1) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... p. 4.

(2) Lefebvre, A.: Le premier Congres International des Orientalistes - Extrait de la Philosophie Positive - Novembre - Decembre - 1873 - p18.

(3) Ibid. pp. 2 - 3.

المستشرقين العالمي الأول هذا، الذي يعود الفضل فيه لإخلاص وتفاني عضو من أعضائنا المندوبين، وأعينه باسمه، إنه "ليون دو روسني"^(١).

كما كان للصحافة لها دور في إبراز الأثر الفرنسي في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية. فالمجلة الرسمية للحكومة الفرنسية *Journal de la Republique Francaise*، أعلنت بتاريخ الثاني عشر من أكتوبر ١٨٧٣م (الحادي والعشرين من شعبان ١٢٩٠هـ)، الآتي "لقد تأسست إذن مؤتمرات المستشرقين، وكان ذلك في فرنسا، فرنسا هذه، رغم بؤسها، لم تفتأ إلا أن تكون واحدة من المراكز الثقافية النشطة جداً، والأكثر إنتاجاً، التي ينعكس شعاعها بأسرع ما يمكن في أنحاء العالم"^(٢). أما جريدة الوطن *Patrie*، فربطت في الرابع عشر من سبتمبر ١٨٧٣م (الثاني والعشرين من رجب ١٢٩٠هـ)، نجلح المؤتمر في فرنسا، بفرنسا كبلد لا كحكومة، لأن الحكومة لم تكن مساهمتها فعالة لإنجاح المؤتمر فقالت: "من الآن فصاعداً، لا يمكن أن نقول إنه لن ينجح شيء في فرنسا ما لم تأخذ الحكومة أو موظفو الدولة المرموقون بيده"^(٣).

من هذا المنطلق، نظر المؤتمر لتلك الميزة بعين الاعتبار، لذلك عدت اللغة الفرنسية أساسية في أعمال المؤتمرات اللاحقة، إضافة إلى اللغة الوطنية للبلد الذي يعقد فيه المؤتمر. وهذا الأمر جعله "البارون تكستور دو رافيزي *Baron Textor de Ravisie*"، جائزة للمبادرة الفرنسية بقوله: "فلنقل في هذا الموضوع إن ممثلي البلدان الأجنبية قبلوا مبدأ أن تكون اللغة الفرنسية هي لغة مؤتمرات المستشرقين العالمية القادمة، تشاطرها بالتداول اللغة الوطنية لكل بلد تعقد فيه الدورة، إنه احترام أجنبي للمبادرة الفرنسية"^(٤).

(1) Lucien Adams: *Congres International des Orientalistes - Premiere session - (Tenue a Paris en septembre 1873) - Discours de la recitation de l'Academie de Stanislas - Nancy - Imprimerie Berger Levraut & cie - 1874 - p. 5.*

(2) De Ravisie, *Le Baron Textor : Le premier Congres International des orientalistes - [Extrait de la 34e livraison de Revue Universelle] - Nantes - Jules Grinsard - Imprimerie Editeur - 1873 - p. 13.*

(3) Ibid. - p. 13.

(4) Ibid. - p. 15.

كما أن المؤتمر أورد في النظام العام الذي أقره كأساس عام ونهائي للمؤتمرات اللاحقة، في البند السادس عشر منه "لا تتم التدخلات الشفوية داخل المؤتمرات مستقبلاً إلا بلغتين فقط، الفرنسية ولغة البلد الذي يقام فيه المؤتمر"^(١)، الأمر الذي يؤيد الرأي السابق في التركيز على أحقية اللغة الفرنسية بالسيطرة على مجريات الدراسات، بوصفها اللغة الرسمية لأول مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية.

من ناحية أخرى، أقر الميثاق ذاك، أحقية كل رئيس مؤتمر على أن يكون عضواً شرفياً في المؤتمرات اللاحقة، لكن عضوي لجنة تنظيم المؤتمر الأول "مادي دو مونجو Madier de Montjo"، و"القبطان لوفالوا Capitaine le Vallois"، استثنيا من التوجه العام، وتقرر أن يكونا عضوي شرف في كل مؤتمر لاحق، نظراً لنشاطهما الخاص، واعترافاً بقيمة المبادرة الأولى، وقد تقرر ذلك في البند الخامس عشر^(٢)، وفي هذا دليل آخر على تكريم المدرسة الاستشراقية الفرنسية.

تلك مجموعة من التصريحات والقرارات المعبرة عن أهمية المدرسة الاستشراقية الفرنسية في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية وانطلاقتها، ويتبين منها دور فرنسا الرئيس والأساس في ذلك، وسيوضح ذلك أكثر عند الحديث عن المؤتمر الأول^(٣).

ب - "ليون دو روسني": الداعي لعقد مؤتمرات المستشرقين العالمية:

يعد المستشرق "ليون دو روسني"، المنادي الأول والرئيس لانعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية. ولقد لقيت وجهة نظره استجابة من نخبة من المستشرقين، قبلوا بمبادرته تلك، وساعدوه على تحقيقها. أكد ذلك "جولييان دو شاتو" فقال: "إن فكرة المؤتمر الأول تعود للأستاذ "ليون دو روسني"، مؤسس

(١) Le Premier Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - p. 14 .

(٢) Ibid. - p. 13.

(٣) سيرد ذلك لاحقاً ص ١٣٦ - ١٥٨ فما بعد من الرسالة.

الدراسات اليابانية في فرنسا، وأحد المتخصصين في الدراسات الصينية المؤثرين. أما تطورها وتحقيقها، فيدين به "دو روسني" للجنة وطنية تصاوت معه، واجتمعت تحت إشرافه^(١). ينحو "لوفابر" الطريق نفسها قائلا: "يرجع الفضل في نشأة هذه المؤسسة لشاب نشط في ميدان اليابانيات، وهو "ليون دو روسني"^(٢).

هذا المبادر لمولد مؤتمرات المستشرقين العالمية، يجدر التعرف على شخصيته وميادين عمله الدراسية. فقد تحدث البارون "تكتور دو رافيزي" عن هذا المستشرق^(٣)، وبين أن "ليون دو روسني"، عالم وأستاذ بمعهد اللغات الشرقية المتخصص، مؤسس مؤتمر المستشرقين العالمي الأول هذا ومنظمه ورئيسه، وذكر أن ذلك يعود لصرخة مسؤولة لهذا العالم [الشاب في عمره، الكبير في سمعته] - هكذا - الذي نتج عنه دعوة مميزة لكل مستشركي العالم، كي يجتمعوا في مؤتمر كبير وافتتاح حقبة حديثة جدا. لقد ولد "دو روسني" في "لووس Loos"، بالشمال في الخامس من إبريل ١٨٣٧م (التاسع والعشرين من محرم ١٢٥٣هـ). لقد حدد منذ صغره ما سيكونه في كبره، بمهارته الفائقة في دراسة القواعد اللغوية والتاريخية. ولما كان طالبا بمعهد اللغات الشرقية المتخصص، برز بمهارته الفائقة في دراسة لغات الشرق الأقصى، وكان الطالب المميز فيها.

في سن العشرين، امتهن حرفة الصحافة السياسية كمحرر على التوالي في "لاپراس La Presse (الصحافة)"، و"كوريي دو ديمونش Courrier de Dimanche (مراسلة الأحد)"، "لو تون Le Temps (الزمن أو الوقت)". كما كان مراسلا عن الحياة السياسية اليومية للعديد من الصحف الأجنبية. وفي سنة ١٨٥٧م (١٢٧٣هـ) نفسها، ونظرا لاهتماماته السياسية، حصل على وسام الأسد والشمس الفارسيين، وبعد ذلك بقليل، حاز على الميدالية الذهبية من أكاديمية العلوم بـ"سان بترسبورغ". لقد منح السعد "دو روسني" عدة أوسمة من عدة

(1) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... pp. 4 - 5.

(2) Lefebvre, A.: Le premier Congres International des Orientalistes ... p. 3.

(3) De Ravisie, Le Baron Textor : Le premier Congres ... pp. 7 - 9.

أنظمة أجنبية، ولا ينقصه سوى الصليب والوسام الشرقي، اعترافا شعبيا له بالمهام اللامعة، التي قدمها للاستشراق ولبلاد.

وفي العام ١٨٥٨م (١٢٧٤هـ)، أرسلته وزارة الثقافة الشعبية لإنجلترا قصد تكوين قاموس ياباني-فرنسي-إنجليزي ضخيم. وفي العام نفسه أسس "المجلة الشرقية الأمريكية" *Revue Orientale Americaine*، وفي عام ١٨٥٩م (١٢٧٥هـ)، أسس "الجمعية الإثنوغرافية" *Societe d'Ethnographie*، وهي مؤسسة رائدة ظل سكرتيرها حتى عام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ). وفيها انتخبه الأعضاء رئيسا لها.

وفي العام ١٨٦١م (١٢٧٧هـ)، حاز جزء من كتابه "تاريخ اللغة الصينية"، على الجائزة الأولى، وقدرها ١٢٠٠ فرنكا، في مسابقة "قولني" *Volney*. وبعد أن عين المترجم الأول للمفوضية الفرنسية بـ"بيدو"، كلفته وزارة الخارجية بمصاحبة أول سفارة يابانية بأوروبا، فجال معها كلا من هولندا وبروسيا وروسيا.

كان معهد اللغات الشرقية ينقصه كرسي للدراسات اليابانية، لهذا استدعى "دو روسني" في عام ١٨٦٣م (١٢٧٩هـ)، ليعين أستاذا حرا فيه، وفي العام نفسه أسس جمعية الآثار الأمريكية *Comite d'Archeologie Americaine*، وكون سنة ١٨٦٤م (١٢٨٠هـ) جمعية الآثني الشرقية...

وفي العام ١٨٦٥م (١٢٨١هـ) كلفت الحكومة الأسبانية "دو روسني"، بترجمة المعاهدة التي عقدتها هذه الدولة مع الصين إلى اللغة الصينية. أما في سنة ١٨٦٦م (١٢٨٢هـ)، فقد أرسلته وزارة الفلاحة والتجارة إلى مرسيليا، لإدارة بعثة مكلفة بفحص دودة الحرير، التي قدمها التايكون^(١) للإمبراطور فرنسا. وهي كلفة ذات أهمية كبرى، نظرا لوجود الوباء الذي يدمر مواطن تربية دود الخبز بفرنسا منذ عشرين سنة. كما قام في هذه الفترة برحلة علمية لكل من سويسرا وإيطاليا، شددت إليه الانتباه. وفي عام ١٨٦٧م (١٢٨٣هـ)، عين عضوا في الجمعية العلمية للدراسات الإثنوغرافية العالمية.

(١) لم أجد مفهوم الكلمة. لكن يبدو من سياق الكلام، أنه الحاكم الثاني بعد الميكادو في اليابان.

وفي عام ١٨٦٨ م (١٢٨٤هـ)، صدر قرار الإمبراطور بتحويل كرسي "سلفستر دو سامي" للدراسات العربية، في معهد اللغات الشرقية المتخصص، إلى كرسي للدراسات اليابانية، وعين على رأسه "دو روسني"، كأول حامل للقب ذلك، وهي مجرد مكافأة له، بنيت أخيراً مكانة هذا الأستاذ الشاب، التي حازها في العالم الاستشراقي. وقد جمع درسه حول "إثنولوجية"^(١) الجنس الأصفر"، الذي افتتحه في "كولاج دو فرانس" في عام ١٨٦٩ م (١٣٨٥هـ) جمهوراً غفيراً. ثم جاءت أخيراً المهمة الكبرى المتمثلة في تنظيم مؤتمر المستشرقين العالمي الأول وإدارته، ليؤكد سمعته، فكان عالماً ومديراً تقديمياً. كما أنه كاتب لعدد كبير من الأعمال المتخصصة في الشرق الأدنى والكتابة اليابانية والصينية والكورية والإينوية، وكلها متميزة لقيمتها العالمية.

مما ذكر، يتبين أن ليون دو روسني"، صاحب الدعوة لانعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية، لم يكن بالمرء العادي، بل كان أحد جهابذة المستشرقين العارفين بخبايا العالم الشرقي، ولاسيما العالم الياباني والصيني والكوري وما جاوره. كما كان له آثار سياسية واجتماعية ومهمات عدة، مما يسر له دعوته تلك، وليس ذلك فيه وحده، بل كانت له علاقات بالدول الشرقية نفسها، فقد ذكر "لوفابر"، أن علاقة "ليون دو روسني" بالوزارة اليابانية من الأسباب الدافعة لمصاداته بانعقاد مؤتمرات عالمية للمستشرقين، وأن تخصص الدورة الأولى منه للدراسات اليابانية^(٢). ولقيت جهوده التقدير والاحترام في عدة ميادين، بل من بين زملائه أنفسهم، فالمفحص لوقائع أعمال مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، يجد العديد من التوجيهات المثنية على أعماله ومهامه. من ذلك ما ورد على لسان المستشرق "هودا Hodas" الذي قال في مفتح جلسة الدراسات السامية، التي رأسها: "فلتسمحو لي سادتي، قبل أن أعطيكم الإنذن بسماع الدراسات الهامة،

^(١) الإثنولوجيا: علم يتعلق بوصف الشعوب. وهو أحد علوم الإنسان، وينصب على دراسة المظاهر المادية للنشاط الإنساني، من عادات وتقاليد، كالمأكل والمشرب والملبس. كما أنه يدرس خصائص الأجناس دراسة تسمح بتصنيفها والتفرقة بينها.

عن المعجم الفلسفي - ص ٣.

^(٢) Lefebvre, A.: Le premier Congrès International des Orientalistes ... p. 3.

التي ستقدم لكم، أن نقضي بعض الدين الذي نحمله في أعناقنا لرئيسنا العلامة، للخدمات التي قدمها للاستشراق، بتنظيمه هذا المؤتمر، فيكون بالتالي، صدى متواضعا للمشاعر المتقدة في قلوبنا^(١).

كما يبدو أنه كان يتمتع بشخصية فذة علميا وسياسيا واجتماعيا، وجاذبة أيضا، لدرجة أنها أثرت في قبول مقترحه بما يشبه الإجماع^(٢).

تلك كانت أضواء على شخصية "ليون دو روسني"، الذي جالد من أجل قيام مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي كتب لها القيام على سوقها، ومواصلتها مهامها حتى يومنا هذا، وقد تقرر انعقاد المؤتمر السادس والثلاثين منها، في "مونتريال Montreal" بكندا، في العام ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ)^(٣).

٣ - استقرار الدعوة والعمل على تنفيذها

بعد أن اقترح "دو روسني" وأصحابه عقد لقاءات استشرافية عالمية، تحت اسم "مؤتمرات المستشرقين العالمية" لقيت هذه الفكرة ترحيبا من قبل العديد من المستشرقين، لذلك سعى "ليون دو روسني" ورفاقه في التباحث حول كيفية ترجمة تلك الفكرة على أرض الواقع. وهذا هو ما سيتم التركيز عليه وتحليله في هذا الموضع.

أ - ثبات فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمرات عالمية للمستشرقين :

بعد أن لقيت فكرة "ليون دو روسني" تأييدا من العديد من أعلام المستشرقين، ولاسيما الفرنسيين منهم، بدأ المستشرقون الفرنسيون برئاسة "دو روسني" نفسه العمل على تحقيق الفكرة عمليا، وانطلقوا في الإعداد والتحضير لتحقيق ذلك الهدف.

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Tome deuxieme - p. 232 .

(٢) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Tome deuxieme - p. 232.

تم تكوين لجنة تنظيمية مؤقتة، تتكون من أبرز مستشاري تلك الفترة بفرنسا، وبدأت تلك اللجنة في التخطيط العملي لانعقاد أول دورة للمؤتمرات، وفعلا وقعت في ذلك، بعد اجتماعات عدة.

أصدرت اللجنة منشورها الأول في السابع من يناير سنة ١٨٧٣م (التاسع من نوفمبر ١٢٩٠هـ). ومما جاء فيه: "يسعدنا دعوة الشخصيات الشغوفة بالدراسات اليابانية، إلى التدبر في فكرة المؤتمر الذي عرضناها. إننا بصدد تكوين لجنة تنظيم، وقد حصلنا فعلا على موافقة مراكز علمية أوروبية"^(١).

وبعد ذكر بعض الموضوعات المقترح تناولها بالدرس^(٢)، والتي تتعلق باليابان وحده، يواصل المنشور كلامه فيرد فيه "يمكن للشخصيات المهتمة بفكرتنا، أن يرسلوا لنا مجرد موافقة، أو أن يرسموا أنفسهم أعضاء في المؤتمر، إن هم أهمهم نجاح مؤسستنا"^(٣).

ثم تكونت لجنة من عشرين عضوا، سميت اللجنة التنظيمية المركزية، كي تتخذ كل التدابير اللازمة لتنفيذ هذا المشروع، وتم إقرار النظام الأساس للمؤتمر، واختيار الأعضاء الداعمين، أو المؤسسين لمكتب اللجنة التنظيمية المركزية^(٤).

أما المنشور الثاني، الذي ورد عن اللجنة التنظيمية المركزية، فهو يتعلق بالنظام الأساس للمؤتمر، الذي أقرته اللجنة، وصدر هذا في الرابع من مارس سنة ١٨٧٣م (الخامس من محرم ١٢٩٠هـ). وهو عبارة عن خمسة عشر بنداً، ويتعلق بالنظام العام للمؤتمر^(٥).

أما المنشور الثالث، فقد ورد في الحادي عشر من مارس ١٨٧٣م (الثاني عشر من محرم ١٢٩٠هـ)، وارتكز على الناحية العلمية الصرفة، في أعمال مؤتمر المستشرقين ومساره العلمي والتنظيمي. وقسم المؤتمر أعماله حسب هذا

(١) Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - pp. III - IV .

(٢) سيرد ذلك لاحقا ص ٧٥ - ٧٦ من الرسالة فما بعدها.

(٣) Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - pp. V - VI.

(٤) Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - pp. VI.

(٥) بنود هذا النظام موجودة بالملحق رقم ١ ص ٥٩٦ من الرسالة.

المنشور إلى جزئين، بحيث تفتتح الفترة الأولى المخصصة للدراسات اليابانية يوم الاثنين، غرة سبتمبر (التاسع من رجب)، وتنتهي في الخامس من الشهر نفسه (الثالث عشر من رجب). أما أعمال الفترة الثانية، وهي التي خصصت لفروع الدراسات الشرقية الأخرى، أيام السادس والثامن والتاسع من سبتمبر ١٨٧٣م (الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من رجب ١٢٩٠هـ)، ولم يتم بعد تنظيم أمرها ساعتها.

وعن نوعية المشاركين، بين المنشور الرابع، بتاريخ الثالث والعشرين من مايو سنة ١٨٧٣م (السادس والعشرون من ربيع الأول ١٢٩٠هـ)، الذي ورد فيه: "...يمكننا أن نعلن أن قائمة المشتركين والمنسويين تكبر يوما بعد يوم، لا بأسماء معظمها من المهتمين بالدراسات اليابانية، ومن العاملين في حقل الاستشراق فحسب، بل بأسماء العديد من العلماء من مختلف فروع العلوم الفلسفية والتجريبية والتاريخية والأدبية والسياسية والتقنية والتجارية:

١- أطباء، طبيعيين، جغرافيون، إثنوغرافيون، جيولوجيون، علماء معادن، فلكيون، رياضيون... إلخ.

٢- فلاسفة، فنيون، أدباء، سائحون، جامعو مواد فنية، مؤرخون... إلخ.

٣- اقتصاديون، أصحاب رؤوس أموال، تقنيون، تجار، فلاحون، ضباط بحريون وبريون... إلخ"^(١).

وإن لم يتعرض هذا المنشور البتة، لبيان الرغبة الملحة لدى منظري المؤتمر الأوائل، في اقتضار المؤتمر على الدراسات اليابانية، فإن ذلك يؤكد تقرير اللجنة التنظيمية المركزية حول خطة برنامج أعمال مؤتمر ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)^(٢). وهذا المنشور الأول أدى إلى رد فعل العديد من المستشرقين الفرنسيين والأجانب. "فقد أكد العديد من الممثلين ضرورة توسيع إطار المؤتمر، وقبول الأبحاث المتعلقة بكل فروع الاستشراق دون استثناء، في برنامج أعماله... لهذه الاعتبارات بصفة خاصة، قررتم أن تكون الدورة الأولى من مؤتمرات المستشرقين، محتوية على ست عشرة جلسة، نخصص السبع الأولى

(١) Ibid. - Tome troisieme - pp. XVII .

(٢) Ibid. - Tome troisieme - pp. XX .

منها للدراسات اليابانية، التي ستكون الموضوع الرئيس لأبحاثنا، أما الحصص التسع الأخرى، فستخصص للفروع الاستشرافية الأخرى^(١).

يتضح مما ورد، مدى الارتباك الذي حصل على مسار المؤتمر التنظيمي، فالقبول بجوانب استشرافية أخرى، غير يابانية، أدى إلى تحويلات كبيرة، ففي برنامج المؤتمر العام، بحيث تم تقليص الحصص المخصصة لليابان، وإعارتها للفروع الأخرى. ويبدو أن اللجنة المنظمة، لم تكن مرتاحة لمثل هذا التوجه، لذا فقد واصل التقرير ملاحظاته ذاكرة: "إن تسع حصص ستكون غير كافية البتة، لكي تفي بالفوائد العلمية لكل ممثلي الدراسات الشرقية، إن كان الأمر يتعلق بالاطلاع بصورة عامة على كل فرع شاسع من الميادين التي درسها الباحثون المتمقون فقط. ونرجو أنها ستفي بإفاء كافيا، كي تبين في أي طريق يمكن أن توجه جهود حاملي المشعل بعدهم"^(٢).

تلك كانت بعض الخطوات التي اتخذها دعاء عقد مؤتمر عالمي للمستشرقين حتى تتجسد الفكرة وتترجم على أرض الواقع. وكان هذا متعلقا بمسارات المؤتمر العلمية، وبالعلاقات الخارجية، ولاسيما تلك القائمة مع المستشرقين الآخرين عموما.

أما في جانب الأمور الداخلية البحتة، المتعلقة بالأمور التنظيمية والإدارية، فقد وردت نبذة من سجل أعمال لجنة التنظيم المركزية، تبين أصول التطورات المدرجة في سبيل الوصول إلى وضوح عام في مسار المؤتمرات. ومما جاء في هذه النبذة ما يلي^(٣):

من جلسة ١٧ مايو ١٨٧٣م (٢٠ ربيع الأول ١٢٩٠هـ):

اقترح الرئيس تعيين مائة ممثل في الخارج، يجمعون الاشتراكات.

— من جلسة ٧ يونيو ١٨٧٣م (١٢ ربيع الآخر ١٢٩٠هـ):

قرأ الرئيس برنامج العمل اليومي لجلسات المؤتمر، وتمت الموافقة عليه.

— من جلسة ١٣ يونيو ١٨٧٣م (١٨ ربيع الآخر ١٢٩٠هـ).

(١) Ibid. - Tome troisieme - p. XIX ...

(٢) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - pp. XXI-XXII .

(٣) Ibid. - Tome troisieme - pp. XIII - XV.

أعلم الرئيس اللجنة أنه طرحت ملاحظات عديدة، ولاسيما حول موعد افتتاح المؤتمر، المحدد له يوم الثاني والعشرين من يوليو (الثامن والعشرين من جمادى الأولى)، ويبدو أنه كان موعدا ثانيا مقترحا). فتلك الفترة هي حقبة اختبارات في العادة، وبالتالي، سيتعذر على أساتذة عديدين حضور الجلسات. واقترح في المقابل تحويل موعد المؤتمر لتاريخ متأخر أكثر من ذلك، وهو يوم الاثنين غرة سبتمبر (التاسع من رجب) ... وبعد ملاحظات عدة... طرح موعد الأول من سبتمبر للتصويت، وأقر بأغلبية عشرة أصوات ضد ثلاثة.

- من جلسة ٢٦ يوليو (الثاني من جمادى الآخرة):

أعلن الرئيس أن وزارة الأشغال العمومية وضعت عدة قاعات من القصر الصناعي Palais de l'Industrie كي تكون موضع معرض المؤتمر الفني.

- جلسة التاسع من أغسطس (السادس عشر من جمادى الآخرة):

عينت لجنة التنظيم مجلسا مخصصا لمكافأة العاملين الذين قدموا خدمات جليلة للدراسات الشرقية.

ب - التباحث حول أسس المؤتمر وأطره:

بعد موافقة معظم المستشرقين على مبدأ انطلاقة انعقاد مؤتمرات عالمية للمستشرقين بدأ التباحث حول أسس هذا الناشئ الجديد وأطره.

تكونت لجنة تنظيمية مؤقتة برئاسة "ليون دو روسني"، وعضوية ثمانية مستشرقين فرنسيين آخرين^(١). هذه اللجنة المؤقتة، بدأت البحث في أصول نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية. أصدرت هذه اللجنة المنشور الأول من خطة المؤتمر، بتاريخ السابع من يناير ١٨٧٣م (التاسع من ذي القعدة ١٢٨٩هـ). كان التوجه ساعته قصر المؤتمر الأول على الدراسات اليابانية.

في منشورها الأول، قدمت اللجنة المؤقتة موضوعات مقترحة، تكون محور الدراسات التي سنلقى في المؤتمر. وهذه الموضوعات الأولية هي كالتالي^(٢):

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome Troisième - p. VI .

(٢) Ibid. - Tome Troisième - pp. IV-V.

- ما روائع الأدب الياباني التي يرى أهمية ترجمتها في هذا الوقت، وما المساعدات الفيلولوجية^(١) اللازمة لإعادة نشرها؟
- مقترح يؤدي إلى ضبط كتابة موحدة، يتم على غرارها نقل النصوص اليابانية إلى اللغات الأوروبية.
- البحث عن المصادر التي من شأنها أن تيسر قوة النصوص، سواء العلمية منها أو الأدبية أو التقنية اليابانية.
- فحص التحركات المعاصرة للحضارة اليابانية، وعلاقتها بالحضارة الأوروبية.
- خصائص الفن الياباني في حقبة المختلفة، والطرق التي يجب اتباعها لدراسته.

- إلى أي درجة يمكن للأدب الياباني الحديث، المشحون بالأفكار الأوروبية، أن يفيد أوروبا، وهل يمكننا الاعتقاد في أن التطورات التي بلغها علماء اليابان، من شأنها أن تساعد التحركات العلمية بين الشعوب الغربية.
كما تناولت اللجنة أسس المشاركة العضوية، إداريا وماليا، إقامة وأجور نقل، وعينت "جوليان دو شاتو" محاسبا ماليا للمؤتمر^(٢).

تكونت بعد ذلك لجنة التنظيم المركزية، من الأعضاء الداعمين لمشروع المؤتمرات والمؤسسين له، وبلغ عدد أعضائها عشرين شخصا، وهذه اللجنة أقرت نهائيا أمر انعقاد المؤتمر نظريا. وفي الرابع من مارس (الخامس من محرم ١٢٩٠ هـ)، استقرت نهائيا فكرة انعقاد المؤتمر عمليا، وعهد للجنة باتخاذ كل التدابير اللازمة لإخراج هذا المشروع لحيز الوجود^(٣). ووافقت على النظام الأساس للمؤتمر وأقرته. وصدر هذا المنشور بالتاريخ نفسه^(٤). وبنيت فروع الدراسات الاستشرافية لأعمال الفترة الثانية^(٥)، وسعي اللجنة لتجهيز جدول

(١) الفيلولوجيا علم يبحث في أصول الكلمات واشتقاقاتها.

عن محمد فريد وجدي - دائرة معارف القرن العشرين - م ٧ - ص ٥٨٠ .

(2) Ibid. - Tome Troisième - pp. V-VI.

(3) Ibid. - Tome Troisième - p. VI.

(4) يمكن الاطلاع على بنود هذا النظام الأولي بالملحق رقم ١ ص ٥٩٦ من الرسالة.

(5) Ibid. - Tome Troisième - p. XII .

أعمالها.

إلا أن الملاحظ أنه لم يرد منشور مخصص للدراسات الاستشرافية العامة الأخرى، عدا اليابانية التي صدر المنشور الرابع مخصصا لها، وذلك بتاريخ الثالث والعشرين من مايو ١٨٧٣م (السادس والعشرون من جمادى الأولى ١٢٩٠هـ)^(١)، وبين أن المشاركين في الدراسات اليابانية متنوعو التخصصات، وأن المشاركة غير متوقفة على المستشرقين والفيلولوجيين المتخصصين في اليابانيات وقد تم بيان نوعياتهم آنفا^(٢).

ونظرا للمداخلات المتلاحقة والمشاركات المتزايدة والمقترحات المتعددة، وبما أن المؤتمر سيكون في انطلاقته الأولى، فقد سعى المنظمون إلى توسيع برنامجهم حتى يستجيب للرغبة المتشوفة للتعرف على إمبراطورية الشمس المشرقة، وأقعها الحالي، ومنتجاتها وحاجياتها من ناحية، وللفضول المتزايد لتلك الإمبراطورية التي ترتقي في سبيل حضارتنا، وتطلب منا لغاتنا وعلومنا وتقنياتنا وفلسفاتنا الدينية والاجتماعية، وطرق إدارتنا ومنتجاتنا في أصنافها المختلفة من جهة أخرى^(٣).

ولهذا اقترحت اللجنة مسائل جديدة وهي كالتالي^(٤):

أ - كيف كانت التركيبة السياسية والدينية والاجتماعية في اليابان قبل الثورة الأخيرة^(٥)؟

ب - ما الخصائص السياسية والفلسفية والدينية والاجتماعية لهذه الثورة؟
ج - ما نتائج هذه الثورة من وجهة نظر العلاقات الدبلوماسية والحياة الاجتماعية والثقافية في اليابان، ومن الجانب المالي أيضا؟

(١) Ibid. - Tome Troisième - pp. XVII - XVIII .

(٢) تم ذلك ص ٧٣ من الرسالة.

(٣) Ibid. - Tome Troisième - pp. XVII - XVIII .

(٤) Ibid. - Tome Troisième - p. XVIII .

(٥) كان ذلك سنة ١٨٦٨م [١٢٨٤هـ]، وهي ثورة فريدة من نوعها، لم تكن نتيجة ثورات ولا انقلابات، بل كانت نهضة ثقافية، اشترك فيها الشعب والحكومة، ونجحت نجاحا أدهش الغربيين، الذين لم يعتادوا على مثلها، وساهم الإمبراطور الياباني في إنجاحها، بتأييده الكامل لها. يمكن الاطلاع على ذلك مثلا عند: روبرت شنيرب - تاريخ الحضارات العام - القرن التاسع عشر - م ٦ - ص ٤٩٩.

- د - الطرق التقنيّة للحكومة اليابانية.
- هـ - النتائج التي تحصلت عليها بهذه الطريقة، والتطوير المرتقب لاحقاً.
- و - الدبلوماسيون والرحالة والطلبة اليابانيون في أوروبا وأمريكا.
- ز - التعليم الأوروبي لليابان، بالنسبة للجيش والملاحة والقضاء والإدارة والتجارة والصناعة والفنون والعلوم.
- ح - ظروف النساء اليابانيات الآنية، وثقافتهن.
- ط - رد فعل الحكومات الأوروبية والشمال أمريكية عن التحولات التي يحدثها شعب اليابان .
- ي - الصناعة والتجارة الأوروبية وممثلوها في اليابان.
- ك - تربية دودة القز في اليابان، والبحث في وسائل الحصول على أفضل بذرة لدودة الحرير في أماكن الإنتاج وفي الأسواق المفتوحة للأوروبيين.
- ثم إن هذه المسائل ليست قطعية ونهائية، بل إنه ترك المجال لما قد يصل للجنة قبل الخامس عشر من أغسطس من ميادين أخرى^(١).
- من جهة أخرى، توصلت اللجنة إلى إصدار نظام للجلسات، يتكون من سبعة بنود، إلا أنها لا تحمل تاريخ إصدارها^(٢).
- توجت اللجنة التنظيمية جهودها بإصدار برنامج العمل والمسائل المطروحة فيه، لتضعه بين يدي الباحثين لدراسته وتحليله. إلا أن اللجنة اقترحت ورجت أن يتم إقراره رغم ما فيه من ثغرات بسبب ضيق الوقت، وحتى لا تفرط في إكثار الجلسات^(٣). وجاء البرنامج اليومي هذا مفصلاً تفصيلاً مطولاً، وقسم الأعمال في أساسها إلى فترتين، تشمل الفترة الأولى الدراسات اليابانية، والصينية والتتارية والهند-الصينية. ذلك هو العنوان^(٤)، إلا أنه في الداخل التفصيلي أضيف إليها الدراسات المحيطية^(٥).

(١) Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome Troisième - p. XVIII.

(٢) توجد بنود هذا النظام الأولي للجلسات بالملحق رقم ٢ ص ٥٩٨ من الرسالة.

(٣) Ibid - Tome Troisième - p. XXII .

(٤) Ibid. - Tome Troisième - p. XXVII.

(٥) Ibid. - Tome Troisième - pp. XXXV - XXXVII .

أما الفترة الثانية^(١)، فهي لا تحمل عنواناً عاماً، إلا أنها شملت ما يلي:

- الدراسات المصرية: الآثار.

- الدراسات الآشورية: الفينيقية والعبرية.

*- الآرامية والسريانية.	*- الآثارية.
*- الآثارية.	*- الآثارية.

- الدراسات الهندية والإيرانية: السنسكريتية.

*- البونوية.	*- الفارسية.
--------------	--------------

- الدراسات الهلنسية الجديدة وأرمينيا: اليونانية الجديدة.

*- الأرمنية.

- دراسات استشرافية عامة.

وفصل البرنامج مواعيد الدراسات وأوقاتها، ووضع عدة مسائل مطروحة وعين لكل موضوع جلسة، ما عدا الجلسة الأولى، ووردت مبينة نظام الجلسات، وهي بيان للالتزامات الداخلية، ويبدو أنها تطوير للنظام السابق، أو هي زيادة توضيح له، ووردت تحت مسمى لائحة.

إضافة إلى البرنامج العام هذا، أصدرت اللجنة موضوعات منفصلة تتعلق ببعض الدراسات التي ستلقى في المؤتمر. ومن ذلك، مجموعة مسائل تتعلق بتكوين نظام موحد لنقل النصوص اليابانية^(٢)، وقد أعدها ثلاثة من أعضاء اللجنة، وهم "لوفالوا"، و"سارازان"، و"أوري"، ومجموعة أخرى تتعلق بالفن الشرقي عموماً، والياباني بصفة خاصة^(٣)، وقد أعدها "جسليين" بتاريخ الثامن والعشرين من يونيو ١٨٧٣م (الرابع من جبادى الأولى، ١٢٩٠هـ)، ثم مجموعة ثالثة تتعلق بتربية دود القز وصناعة الحرير^(٤). وهذه أعدها أعضاء من

(١) Ibid. - Tome Troisième - p. XXXVII - L.

(٢) Ibid. - Tome Troisième - pp. LI - LXI.

(٣) Ibid. - Tome Troisième - pp. LXII - LXVI.

(٤) Ibid. - Tome Troisième - pp. LXVII - LXVIII.

اللجنة، وهم "مادبي" و"دو منجو"، و"أوري"، و"جيران-مينافيو -Guerin Meneville".

تلك هي أهم المباحثات والترتيبات حول ما يتعلق بأسس مؤتمر المستشرقين العالمي الأول وأطره، ويتضح من سياقها مدى الجهد المبذول من أجل تذليل العقبات الواقعة في طريق ميلاد أول مؤتمر عالمي للمستشرقين، رغم أنه لم يتم التخلص من كل العوائق، إذ كانت القرارات نظرية بحتة.

المبحث الثاني: أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية

تعد مؤتمرات المستشرقين العالمية إحدى المؤسسات العلمية الغربية. ولا خلاف في أن لكل مؤسسة نشطة أهداف معينة تسعى لتحقيقها. وبالتالي فإن للمؤتمرات أهدافا تسعى لتحقيقها. وتنقسم هذه الأهداف إلى دينية وسياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية. يجسم هذه الأهداف "لوفابر" بقوله: "لكن مع الأخذ في الاعتبار بكافة الأهداف الحافزة في الشرق، التجارة والاستعمار ونشر الديانة..."⁽¹⁾. كما يمكن استخلاصها من الطرح الأولي لبرنامج المؤتمر الأول العام، فقد وردت التساؤلات التالية عند الحديث عن الدراسات اليابانية "كيف كانت التركيبة السياسية والدينية والاجتماعية في اليابان قبل الثورة الأخيرة؟ ما الخصائص السياسية والفلسفية والدينية والاجتماعية لهذه الثورة؟ ما نتائج هذه الثورة من وجهة نظر العلاقات الدبلوماسية والحياة الاجتماعية والثقافية في اليابان؟ ومن الجانب المالي كذلك؟"⁽²⁾. وقيل الدخول في تفصيل الموضوعات تلك، تجدر الإشارة لنقطتين هامتين تتعلقان بهذه الأهداف:

الأولى: أن هذه الأهداف لا تنفك عن الأهداف الكبرى للاستشراق العام، إذ للمؤتمرات أسلوب من أساليب الاستشراق، ويساهم في تحقيق تلك الأهداف، وذلك ما سيتبين فيما بعد.

الثانية: أن هذه الأهداف غير معلنة في عمومها، فلا نجد الحديث البتة عن تلك الغايات بصيغة الأهداف أو المرامي، بل قد تم استنتاجها واستخراجها من خلال أقوال المستشرقين، سواء من كلماتهم التي ألقوها أمام الجموع في المؤتمرات، أو من خلال الدراسات المقدمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من خلال أنظمة المؤتمرات والقرارات أو التوصيات المتخذة في نهاية كل مؤتمر.

(1) Lefevre A. – Le Premier Congres International des Orientalistes – Extrait de la PHILOSOPHIE POSITIVE – Novembre –Decembre - 1873 – p. 2.

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - p. XVIII.

أما أسباب عدم الإعلان المباشر لأهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية، فهي غير معلومة، وصعب الحصول على أجوبة لهذا الأمر من خلال أعمال المؤتمرات.

١- الأهداف العلمية :

بخلاف الأهداف الأخرى التي تكون استنتاجية عادة، فإن الأهداف العلمية يتم التصريح بها في أغلب الأحيان. فكثيرا ما يصرح المستشرقون بالأهداف العلمية للمؤتمرات. ومن ذلك قول المستشرق "دو روسني في المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩٣هـ): "إن المؤتمرات العلمية مدعوة على ما أظن، إلى إعلان حقبة جديدة في إطار تطوير العلوم المعرفية"^(١).

هذا الادعاء الذي يلقيه المستشرقون عادة، لا يكون صحيحا على الدوام، وما سيمر بنا من مؤثرات متباعدة في المؤتمرات دليل واضح على ذلك^(٢). كما أن الأهداف المتنوعة، الخارجة عن النطاق العلمي التي سترد لاحقا أيضا^(٣)، تعبر تعبيراً واضحاً على أن الالتزام بالهدف العلمي في مؤتمرات المستشرقين العالمية ظل أملاً ما أمكن الوصول إليه دائماً ولا تحقيقه ولا الالتزام به، بمفهومه المطلق. ويبدو أن البارون "تكتستور دو رافيزي"، وفي نفس الفترة تلك، يرى زاوية أخرى في الهدف والعمل العلمي الاستشراقي. فهو يصرح بطريقة أدبية نثرية قائلاً: "إن الاستشراق يحب العلم للعلم... إن المستشرق هو باحث الحقيقة التاريخية الذي لا يعرف التعب. إن الاستشراق الحديث، إنما هو حوار نافع وحركة مثمرة"^(٤).

(١) De Rosney, Leon (Address) Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 421.

(٢) سيرد ذلك مفصلاً ص ٤٦٦ - ٥٣٥ من الرسالة وما بعدها.

(٣) سيرد ذلك ص ٨٠ - ١٣٥ من الرسالة وما بعدها.

(٤) De Ravisie, Le Baron Textor : Le Premier Congres International des Orientalistes- (Extrait de la 34eme livraison de la revue Universelle)- pp15-16.

من جانب آخر، يصرح "صمويل بيرتش" في المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، بأن "معرفة اللغات والأفكار والتاريخ وآثار تلك الأمم ضرورة ماسة وليست مجرد ترف"^(١). فحسب هذا المستشرق، فإن طلب العلم هذا واجب وجوباً فرضياً. كما أن نتائج المؤتمر تصب في مصلحة الاستشراق وتطوره. هذا ما تمناه "كوينن" في المؤتمر السادس بقوله: "إن اللجنة التنظيمية التي أفتشرف بالتحدث باسمها يسعدنا رؤيتكم مجتمعين، وتتمنى أن تكون هذه الدورة من مؤتمرات المستشرقين قادرة على جني ثمرات عديدة قصد تطور العلوم الشرقية، وتقديم ذلك ما كان منتظراً منها"^(٢). كما نجد أن المستشرق "غلان روبلس" لخص الأهداف العلمية في مقولة له في المؤتمر الخامس ببرلين سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ)، وجاء فيها: "إن كان من أهداف المؤتمرات العلمية الأولى التقريب بين علماء شتى البلدان الذين تجمعهم درجة علمية موحدة، بصفة دورية... في هذا التقارب أولوية التعارف وتبادل النتائج التي تتسم أعمالها بالطول والصعوبة، وانتهاز فرصة المعلومات المتوفرة، بتلخيص جهود البعض وتوسيع أفق آخرين وإضافة المجهودات الجماعية المتطورة دائماً، إلى الجهود الفردية، والتعريف بكتاب كل أمة أيضاً ويعلمائها وآمالهم، والموضوعات التي يهتمون بها"^(٣). ويزيد كريم الأمر وضوحاً أكبر بقوله: "وهنا نتدارس الأسئلة الصعبة، والمشكلات المستعصية، وتناقش وجهات النظر المختلفة. إنه هنا أيضاً، حيث يتم إعداد التربة الخصبة للأعمال المستقبلية"^(٤).

من ناحية أخرى، تسعى المؤتمرات لنشر المعارف الاستشراقية في الوسط الغربي. ومن هؤلاء الدعاة "ماكس ميللر"، الذي تعرض لهذا الأمر في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ) فقال: "في إنجلترا، بصفة خاصة، ما يزال

(١) Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 3.

(٢) Kuenen – Adresse – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 – p. 39.

(٣) Guillen Robles F.: "De l'etat actuel des etudes arabes en Espagne" – Verhandlungen des Fuften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881 – T2 – p. 29.

(٤) Von Kremer (Discours) Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol1 – T1 – p. 47.

ينظر للدراسات الشرقية، على أنها من اهتمامات المتخصصين فقط، والبعض يجعلها مقصورة في عمومها على المهتمين ممن هم في مثل سننا^(١)، ويقول أيضا: "عندما قبلت شرف رئاسة هذا المؤتمر، كان أساس ذلك رغبتني في أن يساهم هذا المؤتمر في خلق المزيد من الرغبة لدى دارسي الشرق في إنجلترا^(٢)". وفي المجال نفسه، تحدث "ريمون شواب"، عن ضعف انتشار الثقافة الاستشراقية وتسأل إن كان الوقت لم يحن بعد لإتمام عملية انتشار الاستشراق في الثقافة العامة^(٣).

كما تساهم المؤتمرات في تنمية المعارف الاستشراقية. صرح بذلك "اللورد شالمر"، لما رحب بالحضور الذين جاؤوا من أنحاء الدنيا "يساهموا في نماء المعرفة بالأشياء الشرقية وللتمتع شخصيا بالتعامل مع أعمال زملائهم في فروع الاستشراق المختلفة"^(٤)، وتمنى أن يكون عملهم مفيدا "من أجل تقدم الدراسات التي نسر جدا بنتائجها"^(٥).

من جهة أخرى، تسعى المؤتمرات لحماية الدراسات الاستشراقية من المتطفلين، بقول "ماكس ميللر" في هذا المجال عن الضعف الاستشراقي فيقول: "والحقيقة إنها تعاني كثيرا وباستمرار من الهواة والثرثارين وأنصاف المتعلمين"^(٦). كما أن الالتزام الدقيق والكامل بالهدف العلمي لم تقدر المؤتمرات بصفة عامة على تحقيقه. وهذا الأمر لا يمس المؤتمرات فقط، بل الدراسات الاستشراقية عامة، على ما يبدو. ومن هنا، يأمل المستشرق "دوشاتو" أن تصحح المؤتمرات تشتت الدراسات الاستشراقية فيقول: "من وجهة نظر المعرفة، سيكون

(١) Muller, Max – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol I - p. 34.

(٢) Ibid. p. 37.

(٣) Schwab, Raymond : "Pour l'enseignement d'un humanisme oriental" – Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes -Paris -1948 – pp. 337 -338.

(٤) Chalmer, Lord – Inaugural Address – Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 – p. 42.

(٥) Ibid. p. 42.

(٦) Muller, Max – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol I - p. 34.

لأعمال المؤتمرات من ضمن رغبات أخرى، الاحتجاج ضد انتشار العشوائية في الدراسات الشرقية^(١).

ومن أجل تجاوز مثل هذه العقبات، يقدم "فون كريمر" طريقة سماها "خطة العمل الراقية لأعمالكم الدقيقة في المستقبل: وتتمثل في أن نخرج من مكتبائنا وأكاديمياتنا خباياها، ومن جامعاتنا روح بحثها ونزاهة دراساتها وسلامة نقدها ومحبتها للحقيقة والتطور"^(٢). وينادي "أنجيلو دو جوبارناتيس" بضرورة إعادة النظر في البحوث وتنظيمها تنظيمًا أكثر دقة^(٣).

إذًا، ومما سبق يتبين لنا أن المؤتمرات تسعى لتثبيت الهدف العلمي في دراساتها، كما تحاول في بعض الأحيان بيان العوائق التي تحد من مسارها العلمي، وتسعى لتوضيح سبيل تصحيحها.

٢- الأهداف الدينية:

تطرقت دراسات كثيرة للجوانب الدينية في أنحاء العالم كله. وكان نصيب الأسد فيها للنصرانية. ويتبع الأهداف الدينية، تبين أن معظمها تتعلق بديانتهم النصرانية، وقلة تلك التي تتعلق بالديانات الأخرى. ولتحليل هذا الجانب، يمكن التعرف عليها من جوانب ثلاثة:

أ - الأهداف التنصيرية.

ب - التعريف بالشعوب الشرقية النصرانية والهيئات التنصيرية وأعلامها.

ج - أهداف دينية عامة.

(١) Julien Duchateau: Une Creation Scientifique Francaise: Le Premier Congres International des Orientalistes - p. 5.

(٢) Von Kremer (Discours) Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol1 - T1 - p. 47.

(٣) Gubernatis, conte Angelo de : "Le Folk-Lore Asiatique" - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 814.

أ - الأهداف التنصيرية:

- تتمثل المصلحة الدينية النصرانية الرئيسة في مؤتمرات المستشرقين العالمية في تحقيق ثلاثة أمور:
- نشر الديانة النصرانية.
- نشر الثقافة النصرانية وسط الشعوب الشرقية.
- تقوية مكانة النصرانية بين الديانات الأخرى.

— نشر الديانة النصرانية: يؤكد هذا الهدف المستشرق "سنوك هورخروني" في إشارة خاطفة قائلا: "وبالتدريج توصلنا إلى اليقين بأن دراسة اللغات، والحضارات والتاريخ السياسي والأدبي، ضرورية، وكذلك دراسة المؤسسات الاجتماعية والدينية لكل الشعوب الشرقية الأخرى، التي لم نهتم بها حتى الآن إلا للمصالح التجارية العلمية، أو بدرجة أعمق، من أجل المصلحة التنصيرية"^(١).

ويتحدث دو بوسكي De Bousquet عن مدى إمكان نشر النصرانية، عند حديثه عن اليابان، خلال المؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، بوى أن الشعب الياباني مؤهل اجتماعيا لكي يتقبل الديانة النصرانية بشقيها، حسب تعبير المستشرق، إذ إنه يرى أن تركيبة المجتمع تسمح بذلك، وبالتالي، وجب على الغرب الاهتمام بهذا الأمر، وإرسال بعثات متخصصة لتحقيق هذه الغاية فقال: "لقد أجمعوا تقريبا، على الاعتراف بأنه يجب أولا الاهتمام بمعرفة هذه الأديان التي اعتنقوها، ويصل الأمر ببعض الأعضاء إلى الاقتراح بتسمية كهنة كاثوليك، وقساوسة بروتستانت في المجموعة"^(٢).

كما يصرح "لانجهوف" حول الموضوع ذاته قائلا: "بزيارة بورنيو، أكبر جزيرة في العالم، حققت رغبة جامعة نميتها في نفسي طوال خمس عشرة سنة، وهي الوقوف بنفسي على إمكانات النجاح التي يمكن أن يحققها منصر كاثوليكي

(١) Hurgronje, Snouck C. - Allocation - Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931 - p. 21.

(٢) De Bousquet (Discours) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 149 - 150.

وسط جزيرة شاسعة مكتظة بقياتل "الداياك" ^(١). فهذا المستشرق المنصر ولج ساحة الجزيرة وليس له من هم سوى تحقيق أهداف تنصيرية فيها، وهو ما كان يأمله من زمان بعيد. ومن هنا، يتولى تحليل مجتمع الداياك فيقول: "إنني أشبه شعب الداياك الحر بالأرض كاملة الخصوبة، بالنسبة لإرسالية كاثوليكية. فالداياك كغيرهم من الشعوب البدائية، مثلهون لكل جديد. إن فضولهم الفطري لكل ما هو أجنبي، يجعلهم يستمعون لكلام المنصر بكل لطف. وبما أنهم ذوو ذكاء موهوب، نقي من كل معرفة وآراء سابقة، ومستقيمون وأتقياء أمام الحقائق السامية، والبسيطة للنصرانية، فإنه من الأكيد، من وجهة نظري، أن جهود المنصر المتحمس ستنتج بنجاحات سعيده" ^(٢). فالداياك إذن، تمكن "لأنجهوف" من دراستهم وتحليلهم، وفهم نفسياتهم ومجتمعهم، وتبين له أنه من المتيسر نشر النصرانية بين تلك القبائل.

من هنا، يتضح أن المستشرقين، وبالتالي مؤتمراتهم، يسعون إلى التعرف على مدى إمكان التنصير ونشر النصرانية، من خلال دراسة الشعوب المشرقية. يضيف طائفة من المستشرقين مهام أخرى للاستشراق. فالمستشرق "كويني" الذي وضع بأن الاستعمار يعني العمل الحضاري والتنقيف الشعبي والمهمات العلمية، يرى في موضع آخر أن هذه المعاني ليست سوى وسيلة لا غاية. بل إن المهمة الدينية هي إحدى الأهداف السامية، ويقول: "يمكننا أن نعرض بكل جدارة أمام أعينكم، ما عملته مؤسساتنا التنصيرية عامة، ومؤسساتنا الإنجيلية الهولندية بخاصة، فإنها تملك كل الحق في إرسال ممثلها إلى هذا المؤتمر، و إننا لنشاهد بكل فخر ما تجشموه من أجل ذلك" ^(٣). إذن، المصلحة الدينية وتنصير الإندونيسيين وغيرهم، هو هدف هذه الجماعة العاملة تحت لواء الاستعمار، فقد عبر عنها بمؤسساتنا، مما يدل على وحدة الهدف، أو موافقة هذه الجمعيات على أهدافها، ولاسيما أنها ساهمت في المعرض الاستعماري.

(١) Langenhoff, Labbe (Discours) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premiere - p. 513.

(٢) Ibid. p. 30.

(٣) Kuenen (Adresse), de -Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie - pp. 45 - 46 .

- نشر الثقافة النصرانية: يمكن ضرب مثل في هذا المجال، وهو ما ذكره "جريمال دو جويرودون" عن "مونجو بارك Mungo-Park"، تعجبه من معرفة قبائل إفريقية ما سماه بعض كتب موسى (عليه السلام)، فيقول: "لقد اكتشفت أن الزوج يملكون فيما بينهم ترجمة عربية لخمسة من كتب موسى (عليه السلام)، يسمونها تورا موسى (عليه السلام)،... كما وجدت ترجمة لمزامير داود (عليه السلام)، ولكتاب عزرا... وبواسطة هذه الكتب، فإن الزوج الذين يدرسون المحمدية، تمكنوا من معرفة الأحداث البارزة في العهد القديم..."⁽¹⁾.

قد يسلم المرء بوجود أسفار من التوراة مترجمة للعربية، إلا أن تصريح المستشرق بأن الزوج يعرفون الأحداث البارزة في العهد القديم، نتاجا للثقافة النصرانية المنتشرة، أمر فيه شك. فقد صرح بأنهم محمديون، وهو اللفظ الذي يطلقه المستشرقون على المسلمين. والأمثلة المفصلة التي ذكرها⁽²⁾، وردت قصصها في القرآن الكريم. الأمر الذي يحتم بأن هؤلاء عرفوا القصص هذه من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن الدين الإسلامي الذي يعتنقونه. والذي يدل على ذلك أيضا، تعجبهم الكبير من هذا الذي يعرف نفس الروايات مثلهم، وهو مخالف لديانته.

من هذا يتبين أن البحث عن مدى انتشار الثقافة النصرانية وسط البلدان المشرقية، الأولى به أن يأتي من طرق أخرى مرتبطة تمام الارتباط بالكنيسة وتعاليمها. كما أن الاستعلاء العنصري ليس من مبادئ المناهج العلمية، فأن نجعل النصرانية هي المقياس لكل ما يمت للثقافة الدينية بصلة، أمر غير مستقيم. بل الأولى بحث كل موضوع في إطاره، كأن يبحث المستشرق عن هذه الطرق البعيدة التي ذكرها، واستقى منها المحمديون الزوج فكرتهم حول الأنبياء.

(1) Guiraudon, The Grimal de : "Note des linguistiques - les Pals - Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol2 - T2 - p. 89.

(2) Ibid, p. 89.

- مكانة النصرانية وسط الديانات الأخرى: يجعل المستشرقون المنصرون النصرانية ضحية ومستهدفة على الدوام، ولا سيما أمام الديانة الإسلامية. فهذا "لانجنهوف" يصرخ مناديا: "يجب التعجل والإسراع، فإن كل عام يمر، تحقق بعثات السلطان المحمدي نجاحات مهمة لديانة القرآن، وعلى مدى طويل، سيخضع "الداياك" للجهود المتواصلة لأتباع النبي (ﷺ). وأن أي بعثة كاثوليكية بين "الداياك"، يجب أن تكون مقبولة من قبل الحكومة الهولندية. أما الداياك الذين تحولوا إلى المحمدية، فقد أصبحوا وسائل عمياء ومتعصبة في أيدي المحمديين. وفقراء الداياك هم أغلب المتحولين... أما الداياك الذين سيتحولون إلى النصرانية، فسيكونون وزنا مضادا لحماس السلاطين، ويزيلون مفعول أثرهم وصخبهم المضر"^(١). إذن، فهذا المستشرق يكشف إمكان تحول الداياك، وربما أجمعهم إلى الإسلام، وقابليتهم ذلك. وحسب رأيه أن إسلامهم ليس عن قناعة، بل للحاجة وللطمع والإغراء. وبما أن الكنيسة خبيرة جدا في استخدام هذا الأسلوب، فما عليها إلا أن تجرد سلاحها، لمقاومة المتعصبين المسلمين.

وليس هذا الأمر حكرا على قبائل الداياك فحسب، بل الأمر يتعلق بآماكن أخرى من العالم المشرقي. فهذا "جرimal" يحث المؤتمرين على "تبني نظام يستخدمه المنصرون، سيكون أفضل أسلوب للتوصل إلى تحطيم، أو على الأقل، إضعاف التأثير السياسي والديني للزوايا، التي لا يحتاج مريدوها للركض وراء حاجيات أتباعهم إلا نادرا"^(٢). كلام "جرimal" هذا، كان سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، حيث كانت الزوايا تعيش على الأوقاف والأحباس، والتبرعات الخيرية. فما كان المدرس يحتاج ولا الطالب. هذه الراحة النفسية والمعيشية، كانت أساسا من أسس انتشار الثقافة والعلوم الدينية، لأن لا أحد يملك لقمة عيش غيره، فيربطه بمصالحه الخاصة. ثم ما لبثت الأوقاف، أو معظمها، أن حُلّت، وسمح بامتلاكها، فعجز الطلاب عن الوفاء بمتطلبات الدراسة، فضعت الزوايا، وقل مريدوها، واندثر

(١) Langenhoff, Labbe (Discours) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premiere - p. 530 - 531.

(٢) Guiraudon, The Grimal de : "Note des linguistiques - les Pals - Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol2 - T2 - p. 89.

معظمها. ولعل السبب في ذلك عمل المستشرقين الطويل قصد إزالة الأوقاف، الأمر الذي أدى إلى فراغات دينية واسعة الانتشار. وهذا أمر يهدف له المستشرقون والمنصرون والسياسيون الغربيون منذ زمن طويل. وما دام هناك فراغ فقد جاء دور الثقافة التنصيرية كي تملأه. ولعل هذا ما دعا له "جريمال" من ساعتها، وكذلك من شايحه في هذا الأمر قصد الوقوف تجاه الزوايا الكثيرة والوفيرة، والتي كانت تمثل معين نشر الثقافة الإسلامية في مواطن عدة، ولاسيما في إفريقيا. وهذا أمر فيه مزاحمة لانتشار الثقافة النصرانية وإعاقة توسعها.

ب - التعريف بالشعوب الشرقية النصرانية:

كثيرا ما تسعى دراسات العديد من المستشرقين وأقوالهم، إلى التخصيص على شعوب نصرانية موجودة في الشرق وإبرازها للعيان والتعريف بها، تدور هذه الدراسة على محورين اثنين هما:

- إبراز عراقة هذه الشعوب وأصالتها.

- التركيز على قوة هذه الشعوب الدينية وبطولاتها الملحمة.

ومن خلال العنصرين هذين، يتضح التعاطف القوي مع الشعوب النصرانية الشرقية، ولاسيما أمام النكبات التي أصابها وإظهارها على أنها ضحية، وتقديم أمثلة تبين ذلك.

- تتبين عراقة هذه الشعوب وأصالتها، عند الحديث عن أصالة الشعوب الأرمنية وعراقتها مثلا. يذكر "دسوف" D'essoft، "أن هذا الشعب الذي كانت له على مدى تاريخه اتصالات مع كل الشعوب المهمة في آسيا الوسطى، على مدى أكثر من أربعين قرنا، والذي بقي إلى يومنا هذا طليعة المدافعين عن الكنيسة في آسيا، وواسطة الثقافة الأوروبية، بعد أن لعب دورا، إن لم يكن مهما، فهو لا يخلو على الأقل من أهمية على مدار تاريخ أحداث الشرق"⁽¹⁾، فالمستشرق هنا،

⁽¹⁾ D'Essoff, G.: "Appercu de l'etude de la langue armenienne en Europe" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stokholm et Cristiania - 1889 - Troisieme partie - p. 75.

يرجع الشعب الأرمني إلى أصول موغلة في القدم، إذ يجعل العلاقة بين أرمينيا وشعوب آسيا الوسطى غيرها، كانت قائمة على مدى أربعين قرناً، إضافة إلى أنه عاصر أقواماً راقية جداً، بحيث إن هذا الشعب كان أصيلاً، وذا حضارة، إذ إن علاقاته كانت مع شعوب متحضرة، وأن هذا الشعب لا يزال يتمتع بمسحة حضارية إذ لم ينقطع دوره الحضاري حتى الزمن المعاصر للمؤتمرات.

ونظراً لعدم وجود أدلة على كلامه، أوجد المستشرق لنفسه مخرجاً فاعتذر عن دوره التاريخي، إن لم يكن مهماً فهو لا يخلو على الأقل من أهمية على مدار تاريخ أحداث الشرق. وهذا النوع من الألفاظ الموهمة، وكذلك ذات الصبغة التشكيكية، كثيراً ما يستخدمها المستشرقون عندما تكون القضية التي يطرحونها ظنية، أو تفتقد الأدلة التي تدعمها، وفي هذا الموضع بعدما تحدث عن عراقة الشعب الأرمني، وأوغل به في القدم، دون حجج ثابتة، فقد حاول التركيز على أهمية هذا الشعب بكلام قاطع، حتى إن لم يكن دوره غير بارز عالمياً.

كمثال على بيان عراقة الشعب الأرمني، يتحدث "دسوف" عن الأدب الأرمني فيقول فيه: "مع أن أنقاض الآثار القديمة لهذا الأدب، والتي حافظت على نفسها من عامل الزمن والأيدي البربرية لغزاة أرمينيا، لا تزال غير مقروءة. منذ عشرات القرون... ورغم ذلك، فإن البعض من هذه الأعمال التي تم نشرها، والتي صارت بذلك سهلة المنال للعلماء الأوروبيين، قد جعلت للأدب الأرمني القديم مكانة مرموقة بين الأدبيات الأخرى، ولا سيما الموضوعات التاريخية واللاهوتية"⁽¹⁾، فإن الكاتب جعل للأرمن أدباً موغلاً في القدم، يعود لعشرات القرون، لكنه يستدرك بأن معظم هذا الأدب يعود للحقبة النصرانية، وكلمة "معظم"، لفظ موهوم في الكمية، ويفيد الأغلبية والكثرة، ولا يدل على مقدار معين ودقيق. لكن الحقبة النصرانية حديثة نسبياً، إذ لا تتجاوز قروناً معدودة، ومع ذلك، يتحدث بإصرار على عراقة هذا الأدب، فيجعل له مكانة مرموقة.

إذن، عند حديثه عن هذا الشعب النصراني، يصير الكاتب على أن لهذا الشعب أصولاً وعراقة وحضارة، لكنه لما يصطدم بالواقع التاريخي، يسعى للتخلص منه بطرق فنية أخرى، يتخلص بها من تلك العوائق.

(1) Ibid. pp. 75 – 76.

- عند الحديث عن قوة هذه الشعوب الدينية، يركز المستشرقون في المؤتمرات على مدى شدة تمسكها بعقيدتها، واستماتتها في سبيل الدفاع عن عقيدتها، والإشادة بفضلها في ذلك. فهذا "ألكساندر شاكانوف"، يتحدث عن الشعب الجورجي، فيصرح قائلاً: "دافعت إيبيريا القديمة، على مدى أربعة عشر قرناً عن النصرانية وثقافتها، ضد الغزوات الدموية التي يشنها الكفرة والمحمديون، وأضحى الصليب الأرثوذكسي شيئاً فشيئاً، الرمز القومي لوطن الجورجيين، وأصبحت نصرته النصرانية هدفهم على مدى الحياة..."⁽¹⁾، ولا يكتفي بهذا بل يواصل حديثه قائلاً: "أما بعد سقوط القسطنطينية، في ١٤٥٣م (٨٥٧هـ)، فقد بقيت جورجيا طوال خمسين وثلاثمائة سنة الدولة النصرانية الوحيدة وسط آسيا المسلمة... أمضى هذا الشعب حياته بين الصلاة والمعارك التي يشنها ضد الإسلام، إنه لم يضع أسلحته طوال أكثر من ألف سنة. ولو لم يكن الصليب يوشح رداءه، لكان نقشه في قلبه نقشاً عميقاً"⁽²⁾. فهذه قمة في الإعجاب والإشادة بهذا الشعب النصراني، المتمسك بديانته بعمق، والمقاتل في سبيلها دهرًا طويلاً. وهو أمر يحتاج عملياً الإشادة به عند أوروبا، راعية هذه الديانة، والقائمة عليها، حتى تضع في اعتبارها هذا الأمر، وتعطيه حقه ومستحقه. فالكنيسة هي الملاذ الوحيد في الماضي أمام جورجيا، وعليها أن تكون كذلك حاضراً، ولا سيما أن جورجيا تجاوز شعوباً إسلامية، وقد حافظت قديماً على النصرانية من أن تؤول للسقوط في أيدي المسلمين.

كانت العلاقة متبادلة بين الجانبين، جورجيا من جهة، والكنيسة وأوروبا من جهة أخرى. فقيما حمت جورجيا أوروبا من غزو إسلامي، "ظلت الكنيسة ملجأً آمناً أمام أعين الجورجيين خلال كل تقلبات الدهر، التي ألّمت بجورجيا. فقد حافظت على جذوة مشاعر حقدهم القومي ملتزمة في قلوبهم تجاه النفوذ الإسلامي

(1) Chacanow, Alexandre : "Les influences etrangere sur la civilisation de la Georgie" – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - Quatrieme partie - Section VII - p. 66.

(2) Ibid. p. 66.

القوي. لهذا السبب، فهي تلعب دوراً معتبراً في حياة الشعب الجورجي^(١). ويدعو بالتالي إلى مواصلة هذا المجهود، حتى تتواصل العلاقة القائمة بين الطرفين لحماية الكيانين من الغزوات والمؤثرات الخارجية، "قإن النصرانية، تحت النفوذ الموائم جداً للأقطار الغربية، ستحفظ جورجيا من التأثيرات المقتصرة على الشرق والظلام، وإن الصليب النصراني، الذي انتصب في إيبيريا القديمة، أصبح في الوقت نفسه الرمز الديني، والرأية القومية للجورجيين في معاركهم ضد المسلمين"^(٢). وهذا تقرير ظاهره تاريخي ومعناه معاصر. وهي دعوة لأن تواصل الكنيسة، ومن ورائها الغرب، تقديم الدعم المعنوي والمادي لجورجيا، حتى تبقى سداً منيعاً أمام انتقال الإسلام والمسلمين من آسيا إلى أوروبا، وتحافظ على ولائها لنصرانيتها وتغانيها في الالتزام والتمسك بها. وهي دعوة كذلك للمؤتمرات كي تسلط الأضواء بقوة أكثر على هذا الشعب النصراني، وعلى سواه من الشعوب النصرانية المجاورة للشرق.

وقد يكفي المستشرقون بالإشارة إلى بعض الشعوب أو تعيينها. ففي المؤتمر الحادي عشر بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، ذكر المستشرق "لامى" أن المستشرق "ماكليان" قدم قواعد لغوية بالإنجليزية، للسريانية العامية مثلاً لا يزال يتكلم بها النصارى على ضفاف بحيرة "أورميا Ourmia" في كردستان وفي سهول الموصل^(٣)، ففي هذا التنصيص التعريف بوجود نصارى في المنطقة.

كما كان المستشرقون يسعون لتقوية الأقليات النصرانية في البلدان الشوقية، ولاسيما المسلمة منها وإحلالهم مواطن هامة. ففي إشارة لأقباط مصر تحدث "كارل ببال"، في محاضرة له عن الباحث "أكربلاد Akerblad"، فكان مما قال عنه، وهو يتحدث عن الآثار الفرعونية، إنه "كان يعيش علم الآثار، لدرجة أنه خصص لتلك اللغة، مصريين نصارى. كما يبدو أنه كان يعد كتاباً حول الجغرافية

(١) Ibid. p. 71.

(٢) Ibid. p. 69.

(٣) Lamy Th. J.: "Rapport sur le progres des etudes syriaques depuis le dernier congres" — Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 — T3 — p. 4.

القيبطية، تحتوي على مواد لم تكن في بداية عصرنا هذا، معلومات بطريقة مثالية^(١). فتفضيله لنصرانيين على بقية المصريين، يدل على أنه يسعى لنقل خبراته إليهم، وبالتالي فهو مثال عن نقل الثقافة الغربية إلى أتباع الكنيسة في المشرق، وبالذات الأقباط منهم، لتوطنهم في مصر ذات الأهمية البارزة، تاريخيا وجغرافيا، ثم بحثه عن جغرافية الأقباط، له دلالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية لاهتمام الغرب بهذا المجتمع النصراني الذي يعيش وسط مجتمع إسلامي كبير.

ج - التعريف بالهيئات التصيرية:

تشمل كلمة هيئات كل ما كونه المنصرون من تجمعات ، سواء أكانت مدارس أم جمعيات أم منظمات، والهيئات التصيرية كافة، يحق لها المشاركة في المؤتمرات، ولها حق اختيار من يمثلها. وفي هذا المجال يفخر المستشرق "كوينن Kuenen"، رئيس المؤتمر السادس في لندن سنة ١٨٨٣ م (١٣٣٠هـ) بمؤسسات هولندا التصيرية فيقول: "فإنها تملك كل الحق في إرسال ممثليها إلى هذا المؤتمر، وإننا لنشاهد بكل فخر ما تجسّمه من أجل ذلك"^(٢). فالمنصرون خبراء في استغلال الفرص، لذا، فلا يسمح لأنفسهم بتفويت مثل هذه المناسبة، التي قل أن يوجد التاريخ يمثلها عليهم، فكان لجمعياتهم ومنظماتهم مساهمات فعالة خلال المؤتمرات.

كما أن التنافس بين الهيئات التصيرية التي ترعاها الكاثوليكية وتلك التي ترعاها البروتستانتية، وكل منها تعرض ما قدمته من أعمال لصالح التنصير، وبالتالي لمصلحة الاستشراق، وما يصحب ذلك من نتائج اجتماعية وسياسية، وهو ما أطلق عليه "كوينن": "المصلحة العلمية"^(٣).

(١) Pichl, Karl : "Quelques mots sur la vie et les œuvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Quatrieme partie - III section - p. 64 .

(٢) Adresse de M. Kuenen - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seance d'ouverture - p. 45 - 46.

(٣) Ibid. p. 46.

ولهذه الجمعيات نشاطات متعددة التوجهات، إلا أن تركيزها منصب على الجانب اللغوي، أكثر منه على الجوانب الأخرى، وقد يتباهون بفضل المنصرين السابقين للميدان. فهذا المستشرق "هنري برتود" يصرح بمثل هذا في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ) فيقول: "من بين تلك اللغات التي لا نكاد نعرف أسماء لها، ويجب أن نصفها، لغة "التزونجا" Tzonga، فإنها لم تكن لتأخذ مكانها عمليا، تحت نور شمس الدراسات اللغوية الإفريقية، إلا بفضل المنصرين البروتستانت من سويسرا^(١). وفي حديث له عن اللغات البنغالية العامية، ذكر "والتر إليوت Walter Elliot"، في المؤتمر الثاني المنعقد بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩٣هـ) أن العديد من المنصرين نشروا نتائج دراساتهم للعامية^(٢). وهذا يدل على أن الهيئات العلمية التنصيرية لها موقعها في مؤتمرات المستشرقين العالمية. كذلك الأمر بالنسبة للجمعيات، التي كانت تسعى لتبرز نفسها في المؤتمرات، وتوضح أعمالها وأنشطتها من فوق منبر المؤتمرات. ففي المؤتمر الثامن بمستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، ينوه "دسوف D'Esoff"، بـ "جمعية الدعاية الإيمانية Congregatio propaganda fide"، التي أعدت منصرين عارفين بلغة أرمينيا و"زودتهم بكتب هجائية، ومصنفات في القواعد اللغوية وقواميس أرمينيا وكتبها في اللاهوت"^(٣)، وذلك رغم صعوبات الطباعة التي كانت تخطو مسيرتها الأولية في تلك الفترة، السابقة عن ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ).

وتبين بعض المؤسسات مساهماتها في أعمال أخرى، اجتماعية وثقافية وغيرها. وفي هذا المجال بين "جيرمال دو جويرودان" أنه بعد تصنيفه المصادر في اللغويات، تبين له أن أهم المصادر في اللغويات الإفريقية، قام بها منصرون

(١) Berthoud, Henry: " Quelques remarques sur la famille des langues bamtoug et sur la langue Tzonga en particulier " - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes- Geneve -1894 - Quatrieme partie- Quatrieme partie - III Section - p. 171.

(٢) Elliot, Walter - Address - The Turanian section -Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 59 .

(٣) G. Esoff, G. d': "Apercu de l'etude de la langue armenienne en Europe" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - troisieme partie - p. 77 .

كاثوليك، منتمين إلى جمعية "الروح القدس Saint-Esprit"، وجمعية "قلب مريم المقدس Saint Coeur de Marie"^(١)، ذكر ذلك في المؤتمر السابع بفيينا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ). كما قدم المستشرق "فارلان Farlane"، عضو المؤسسة التنصيرية اللندنية، ورقة عمل حول غينيا الجديدة^(٢)، وذلك في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ).

ولا يقتصر الأمر على الجمعيات الصغيرة العاملة، بل هناك منظمات كنسية كبيرة أيضا. ففي حديثه عن مستشرق كبير، "أنريكو فابيانى Enrico Fabiani"، يقول "كارل بياهل" في المؤتمر الثامن بستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ): "إنه عضو في الإكليروس الكنسي الروماني، وكانت له كالعديد من أعضاء هذه الجماعة المتميزة ذوق غريزي للعلوم... وقد وهب نفسه أيضا للدراسات المصرية"^(٣).

وعادة ما تكون أبحاث هذه الجمعيات أدق من أبحاث غيرها، بصرح بذلك "جريمال"، لما تحدث عن جمعيتي "روح القدس" و"قلب مريم المقدس"، فقال: "إن الأعمال التي قام بها الجنرال "فيلارب Faidherbe" مختصرة جدا، وجافة، وغير صحيحة أحيانا،... أما أعمال المنصرين فهي على العكس من ذلك بالغة الصحة دوما..."^(٤).

كما ساهمت الجمعيات التنصيرية، في ثراء المكتبات العلمية. ففي مؤتمر المستشرقين العالمي السادس، المنعقد في لندن سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ)،

(١) Guiraudon, Th. Grimal de: "Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 56.

(٢) Meeting of Sections - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. xlv1 .

(٣) Piehl, Karl : "Quelques mots sur la vie et des oeuvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Quatrieme partie - III Section - p. 60.

(٤) Guiraudon, Th. Grimal de: "Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 56 .

عرضت جمعية "إخوة سان جوريس" سنة وثلاثين عنوانا، و قدمت "جمعية M. R. N. Crist"، قرابة سبعا وعشرين عنوانا⁽¹⁾.

وتحدث المستشرق "Mehren A. F. مهن"، على مدينة فيرونا، على أساس أنها مركز تنصيري منيع في تاريخ النصرانية، ويقول عنها: "إن هذا البلد الجميل ... كان منذ قرون مركز الدراسات النصرانية، ومن هذا المنطلق كان له إشعاعاته على البلدان المجاورة"⁽²⁾.

د- أعلام التنصير في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

للشخصيات التنصيرية مكانة هامة ومساهمات بارزة في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فمنهم من قدم عملا مباشرا أمام لجان المؤتمرات، ومنهم من كان موضوع دراسات عرضت.

اتسمت أعمال المنصرين في مؤتمرات المستشرقين العالمية، بطابع الدراسة المعرفية، أو بالتجارب الشخصية والمغامرات الفردية، وسط مجتمعات شرقية. وتوجه هذه الدراسات في عمومها لتحقيق مصالح دينية وأهداف تنقيفية ضيقة. فإن القديس "لانتجنهوف" اضطر للدخول وسط مجتمع قبائل "الداواك" المالاويين، المتوحشين كما يصفهم. وكان همه معرفة مجتمعها أكثر وكشف خباياها، قصد الوقوف على مدى القدرة على بث النصرانية فيها، إذ يصرح في المؤتمر الأول سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، قائلا: "بزيارة جزيرة بورنيو Borneo، أكبر جزيرة في العالم، حققت رغبة جامعة نميتها في نفسي منذ خمس عشرة سنة، وهي الوقوف بنفسي على إمكانات النجاح التي يمكن أن يحققها منصر كاثوليكي وسط

(1) Listes des ouvrages offerts au 6eme congres - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 190 - 191.

(2) Mehren, A. F.: "Correspondance philosophique d'Ibn Sab'in avec l'empereur Frederic II" - Atti del IV Congresso Internazionale degli Orientalistic - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 371 - 372 .

جزيرة شاسعة مكتظة بقبائل الداياك التي تقيم فيها بطريقة عشوائية^(١). وكانت للانجنهوف مغامرة خطيرة وسط هذه القبائل، إلا أن حماسه للنشر عقيدته جعله يتجنب كل المخاطر. فقد تسلم بمجموعة من الجواهر الزجاجية، والخواتيم النحاسية، والدرر البلورية، وأم قلب الغابة. ويبدو أنه كان عارفا بأخلاقيات هذا المجتمع أو بعضه. فقد بادر بطلب هدايا ما إن دخل منطقة الداياك، تتمثل في الأرز والدجاج، وهذا يعني لديهم أنه لن يمسهم بسوء. إلا أنهم لم يكونوا ملزمين تجاهه بأي حماية أو التزامات، فكان يتوقع أن يحصل له أي أمر. لذا، فقد استغل فرصة سنحت له فعرض فيها ما سماه "جواز سفر من النوع الرفيع"، فكان أن أعجب الداياك بهداياه البسيطة، فلم يعودوا يحترمونه فقط، بل صاروا يسهرون على حمايته، فكان يقول: "من حسن حظ رأسي أنهم لم يرفضوا أبدا هداياي البسيطة التي طلبتها، فمجرد رفض من جهتهم كان سيكلفني حياتي"^(٢). في هذا إذن، دليل على مدى اهتمام المستشرقين المنصرين بالدراسات الاجتماعية، قصد التوصل إلى المزيد من التعرف على المجتمع الذي يريدون التصوير فيه. وفي هذا المجال أيضا، اهتم القديس "كارلان"، أحد أعضاء "اللجنة التصديرية اللندنية" بمجتمع غينيا الجديدة^(٣).

فقد اضطر المنصرون إلى ولوج معمعة الدراسات الشرقية للضرورة الماسة لذلك. صرح بذلك المستشرق المنصر، "بارتود" من فوق منبر لجنة الدراسات المصرية واللغات الإفريقية، في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، قائلا: "إن مهمتي التصديرية أجبرتني على التميز بحفظ إحدى اللغات الإفريقية غير المعروفة في الدائرة العلمية عن ظهر قلب، والدخول بجديّة، ليس في روح تلك اللغة وحدها فقط، بل في لب لغة البانتو Banto عموما"^(٤).

(١) Langenhoff, L'Abbe - Etude Oceanienne - L'interieur de Borneo - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie - p. 513 .

(٢) Ibid. - premiere partie -- pp. 515 - 516 .

(٣) سبق الحديث عنه ص ٩٥ .

(٤) Berthoud, Henry: " Quelques remarques sur la famille des langues bamtou et sur la langue Tzonga en particulier " - Actes du Dixieme Congres International

وعني القديس "نيوال Newell"، عضو "اللجنة التصيرية اللندنية London Missionary Society" بلغة "الساموا Samoa"^(١).

كما اهتم المستشرقون المنصرون بالآثار والمخطوطات، هادفين البحث عن جذور النصرانية وأصولها والمواطن التي وطلتها. فهذا البارون تكستور دو رافيزي يتحدث عن نقوش أرسلها له منصر رسولي في "مادوري Madure"، كي يقدمها ويدافع عنها في المؤتمرات، وفي غيرها من الهيئات العلمية، إذ يتحدث عن معبد من أوائل المنشآت في أراضي الهند التي أقامها أتباع "سان توماس Saint Thomas"^(٢). وحل المستشرق نفسه في المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩٣هـ)، بعض العصور الهندية عدها نصرانية، واستشهد بمخطوطات عدة أرسلها له منصرون كاثوليك^(٣).

ويتم في المؤتمرات أيضا، تقويم جهود المستشرقين المنصرين، فقد أخذ "لاتجنهوف" على سابقه عدم التدقيق المعرفي والعلمي في معلوماتهم، فيقول: "عندما باشرت رحلاتي كنت أحمل دائما كتبا معي حول البلدان المتوحشة أو غير المعلومة بدقة... والتي كتبها أشخاص، عموما، لم يزوروا هذه البلدان إلا على عجل. بل لا يعلمون حتى لغة تلك البلدان. كما برهنت لي على أن الكتاب الذين سعوا لخداع الشعب إنما خدعوا أنفسهم بالذات..."^(٤). وحين سئل عن الأناجيل

des Orientalistes- Geneve - 1894 - Quatrieme partie- Quatrieme partie - III Section - p. 170 .

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - Meetings of section - p. xli .

(2) Ravisi, Le Baron Textor de - Etudes Dravidienne - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Vol 2 - p333.

(3) Ravisie, Textor de: "L'inscription de la pagode d'Oodeypore (dans le Malva) et la Chronologie hindoue au point de vue de Christianisme" - Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 431 .

(4) Langenhoff, L'Abbe - Etude Oceanienne - L'interieur de Borneo - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie - pp. 513 - 514 .

المت ترجمة للغات الداياك أجاب بأن تلك الترجمة لا تتشابه مطلقا مع داياك الداخل، وإنما للداياك الخاضعين للاستعمار، وهؤلاء اكتسبوا بعض الحضارة^(١).

ومن جانب دراسة أعلام التنصير كموضوعات في المؤتمرات، استشهد العديد من المستشرقين بأعمال قام بها منصفون، وقد تفاوتت الاستشهادات وتنوعت المواد المدروسة. فهناك الدراسات اللغوية والأدبية، وأيضا الدراسات الاجتماعية والجغرافية والآثار، وتوجد رحلات الأوروبيين للمشرق، كما وردت استشهادات تبين بعض الأنشطة التنصيرية. كما تم ذكر بعض المستشرقين المنصرين للاستشهاد بهم.

فحول الدراسات اللغوية، نجد العديد من المنصرين اهتموا بفقه اللغات الإفريقية. فحول لغات البانتو، يورد "بارتود" أنه تم إيجاد قواعد مقارنة لتلك اللغات، تم جمعها في مصنف، ويقول عنه: "وقد نشره الأب "تورانج ج. J. Torrend"، من الإرسالية الكاثوليكية بزامبار"^(٢). فسبق هؤلاء المنصرين إلى ابتداء هذا العلم، وسبقهم في نشر هذا الكتاب المهم، يرجع بالفائدة على الاستشراق والتنصير معا، لذا، يتم التنويه بهذا العمل في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

كما يتضح أثر المنصرين في مؤتمرات المستشرقين العالمية في دعوة "جريمال دو جويرودان"، إلى استئناف أبحاث تحويل كتابة البلد لتكتب بالأحرف اللاتينية، "الدراسات الثمينة التي تمت تجربتها في السينيغال حوالي ١٨٢٠ أو ١٨٢٥م (١٢٣٥هـ أو ١٢٤٠هـ)، تحت التحريض الكبير للبارون "روجر Roger" فإن تبني نظام وطني وملائم لنقل الكتابة سيفرض نفسه أولا"^(٣).

(1) Ibid. - premiere partie - p. 52.

(2) Berthoud, Henry: " Quelques remarques sur la famille des langues bantou et sur la langue Tzonga en particulier" - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - Quatrieme partie - Quatrieme partie - III Section - p. 170

(3) Guiraudon, Th. Grimal de: " Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 95 .

فاستكمال ما لم يتم بعد من أعمال بدأت تحت إشراف منصر كبير، لا يدع أي شك في أن للتصير تأثيراً في الاستشراق عامة، والمؤتمرات بخاصة.

والمستشرقين المنصرين نقان في خدمة اللغات، تعرض كمثال يحتذى حين الممارسة العلمية. فهذا مثلاً "كارل بياي" يستشهد بعضهم الإكليروس البابوي "أنريكو فابيانو" Arrico-Fabiano، الذي وهب نفسه للدراسات المصرية^(١). أما "أكاربلاد Akarblad"، فإنه كان يعشق علم الآثار لدرجة أنه خصص لتلك اللغة مصريين نصارى^(٢). فهاتان دعوتان إلى الحافظ المعرفي، وإلى ضرورة احتكار هذه المعارف لصالح النصارى، ودعوة للاهتمام بشؤون النصارى في كل مكان، وجعلهم يحتكرون أدوات الحضارة وأصولها حتى لا تصل إلى أيدي غيرهم.

كما أن نشر العقيدة النصرانية، أهم دافع لتعلم اللغات، ويبين ذلك من فوق أعلى منبر مؤتمرات المستشرقين العالمية. فهذا الكاردينال الفرنسي "ريشاليو Richellieu"، بعد أن تغلغلت فيه الرغبة الجامحة لنشر العقيدة النصرانية في كل بلدان العالم، ولى وجهه شطر المشرق، حيث ألزم نفسه... إعادة المنشقين إلى العقيدة السليمة... ولهذا السبب، فإن دراسة اللغة الأرمنية بدأت في القرن السادس عشر بروما وباريس وهدفها الوحيد هو نشر الديانة^(٣).

إذن، فالدراسات اللغوية في عمومها، تمت تحت إشراف كنسي، ولاسيما في خطواته الأولى، أما ما جاء بعدها، فهو مبني على أصولها الأولى. فالاستشراق ومؤتمرات المستشرقين، إذن عيال على المنصرين في العديد من الأعمال اللغوية، والعلوم المعرفية. ومن هنا يظهر الأثر النصراني في المؤتمرات.

(١) Piehl, Karl : "Quelques mots sur la vie et des oeuvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Quatrieme partie - III Section - p. 60 .

(٢) Piehl, Karl : "Quelques mots sur la vie et des oeuvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Quatrieme partie - III Section - p. 64 .

(٣) G. Esoff, G. d' : "Apercu de l'etude de la langue armenienne en Europe" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - troisieme partie - - p. 78 .

هـ - أهداف دينية عامة:

مما ورد في هذا المجال، مطالبة المستشرق "جرانت دوف" بضرورة فحص فلسطين الشرقية، "حيث لم نجد بعد أي شيء من شأنه أن يزيدنا توضيحا وفهما دقيقا لأجزاء العهدين القديم والجديد، منذ أن تمت ترجمته إلى اللغة العامية"^(١)، وذلك في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ). وفي بطاقة دعوة المستشرقين الأجانب، للمؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، جاء ما يلي: "إن مؤتمرا عالميا للمستشرقين بروما يجب أن يوجه الانتباه، بصفة خاصة، إلى أصول الحضارات والديانات واللغات وتطوراتها، تلك التي سقت حوض البحر المتوسط"^(٢). فهو يدعو إذن إلى البحث في الأصول الأولى للمقومات الحضارية، ومن ضمنها الدينية. وفي المؤتمر ذاته، قدم المستشرق "بول هوت" المجلدين الأخيرين لمنشوراته النقدية لنص العهد القديم العبري، أشعيا لـ"شاين Cheyne" الأستاذ بأكسفورد، وحزقيال لـ"توي Toy" الأستاذ بكامبردج^(٣).

في المؤتمر نفسه أيضا، قدم "جون ريفيو Jean Reville"، الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات العليا بباريس مساهمة حول "المؤتمر العالمي الأول لتاريخ الديانات Congres International d'Histoire des Religions"، الذي سيعقد في باريس، من الثالث إلى التاسع من سبتمبر سنة ١٩٠٠م (من التاسع إلى الخامس عشر من جمادى الأولى ١٣١٨هـ)، ... حيث لن يحضر ممثلون عن الكنائس المختلفة والديانات المتنوعة، إذ ستكون لهذا المؤتمر صبغة تاريخية وعلمية بحتة، وسنحظر كل محاولة طائفية، وعدا ذلك ستسود مثل هذه الحرية الكاملة، والتي من دونها لا يوجد فعلا أبحاث علمية. إن مؤازرة المستشرقين في

(١) Grant Duff, Sir E. -- Inaugural Address -- Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 378.

(٢) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - T3 - Partie I - p. XV.

(٣) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - T3 - Partie I - p. CLXVI.

هذه المهمة ضرورية، وهم مدعوون بصفة خاصة للانضمام للمؤتمر^(١). فهذا المستشرق سعى للتعريف بهذا المؤتمر الديني، ومحاولة لم مؤازرين حوله، قصد إنجاح أعماله، وحتى يؤمن أسس نجاحه، التي تحمل الصبغة التاريخية البحتة.

٣- الأهداف الثقافية:

بعث مؤتمرات المستشرقين العالمية رجال علم وثقافة بصفة خاصة، وذلك لتناول موضوعات دراسية تتعلق بالشرق، بما فيها الجوانب العلمية والثقافية. وبالتالي كانت للمؤتمر أهداف ثقافية، سعى جاهدا لتحقيقها. وهذه الأهداف عديدة ومتعددة، بحسب الميول الدراسية للباحث، وبحسب المصالح القومية لبلد المستشرق، وبحسب المؤثرات على توجه المشارك أو المؤتمرات نفسها، إذ إن المؤتمرات تخضع في عمومها لمؤثرات خارجية، كما سيأتي^(٢). وسيتم تناول بعض الأهداف الهامة، التي اتضح بروزها من خلال المؤتمرات، وهي:

- عولمة الثقافة.

- السعي لإحلال الحرف اللاتيني كبديل للحروف العالمية الشرقية الأخرى.

- التعريف بالمدارس والجمعيات الاستشرافية.

- التعريف بأقطاب المستشرقين.

- التعريف بأتباع المستشرقين من الشرقيين.

والملاحظ أن هذه الأهداف، الخاصة بمؤتمرات المستشرقين العالمية، جزء لا ينفك عن الأهداف الكبرى للاستشراق عموما، ومن هنا، فإن المؤتمرات، هي إحدى وسائل المستشرقين التي تساهم في تحقيق هذه الأهداف. وهذا ما سيبين فيما يلي.

(١) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - T3 - Partie I - pp. CCXLIV - CCXLV.

(٢) يمكن الرجوع للتعرف على هذه المؤثرات ص ٤٦٦ - ٥٣٥ من الرسالة.

أ - عولمة الثقافة:

حرصا على المصالح الغربية، يسعى المستشرقون إلى فهم الشعوب الشرقية، حتى يمكن لدولهم حسن التخطيط القومي لتحقيق المصالح العامة، سواء منها الدينية^(١) أو السياسية^(٢) أو الثقافية^(٣) أو الاجتماعية^(٤) أو الاقتصادية^(٥) أو غيرها. وهذا الدور لا يُقدر التعمق فيه إلا العلماء الباحثون، ولا سيما المستشرقون. وتختلف هذه المصالح بنوعية البلاد المدروسة.

أما ما يتعلق بالأهداف الثقافية، والتي من شأنها أن تعود على الغرب بالمنفعة، فنجد ذلك بارزا حتى قبل انطلاق المؤتمر الأول، الذي جاء في خطته الأولية، التي ظهرت في السابع من يناير سنة ١٨٧٣م (التاسع من ذي القعدة ١٢٨٩هـ)، ما يلي: "إلى أي حد يمكن للأدب الياباني الحديث، المشبع بالأفكار الأوروبية، أن يعود بالفائدة على أوروبا؟ وهل يمكننا أن نفكر في أن التطورات الحاصلة من قبل علماء اليابان ستساعد تلقائيا حركة الشعوب الغربية العلمية؟"^(١). والمعلوم أن اليابان كان الموضوع الرئيس لأول مؤتمر استشراقي عالمي، وهو مثال عن الشعوب الشرقية المدروسة. ويظهر بوضوح أن الفائدة والمنفعة هما الحافزان لدراسة هذا المجتمع الشرقي، وبالتالي غيره من المجتمعات.

ويبدو أن من أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية، توحيد الثقافة عالميا، أو على الأقل تقريبها. ويقول "كوينن" في هذا المجال، وذلك في المؤتمر السادس سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، فيقول: "في قرننا الذي نعيش فيه هذا، يدعى أن المسافة بين أولئك الذين يملكون والذين ليس لديهم أي شيء، اتسعت اتساعا كبيرا، لكن العكس هو الصحيح في الميدان الذي نتجه إليه دراساتنا... ثم هاهو مؤتمرنا يؤكد

(١) سيأتي تحليلها ص ٤٦٨ - ٤٨٧ من الرسالة.

(٢) سيأتي تحليلها ص ٤٨٨ - ٥٠٢ من الرسالة.

(٣) سيأتي تحليلها ص ٥٠٣ - ٥١٦ من الرسالة.

(٤) سيأتي تحليلها ص ٥١٧ - ٥٣٠ من الرسالة.

(٥) سيأتي تحليلها ص ٥٣٠ - ٥٣٣ من الرسالة.

(6) Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - Projet du congrès - 1ere circulaire - p. V.

ذلك، فلا توجد أي مسافات^(١). فهذا دليل على أن العمل الدؤوب نحو تقريب الثقافات بين الغرب والشرق من أهداف المؤتمرات.

وفي تحليله للعامل الحضاري يبدي "بول" نوعاً من الخلفية التاريخية الازدواجية، الممزوجة بالاستعلاء العنصري، لما قال في المؤتمر ذاته: "هناك قول شائع يرى أن العقلاء يأتون من الشرق... وإني لكم لن تنكروا علي بالتأكيد إذا ذكرت أن الحضارة وجدت سبيل ازدهارها القديم على ضفاف الأنهار الكبيرة في آسيا الشرقية، وفي السهول الواقعة حول دجلة والفرات، وإنه يجب على أوروبا أن تأخذ القسط الكبير من تطورها العلمي من الدروس التي قدمتها لها آسيا..."^(٢)، لكنه يتحول فجأة مصرحاً أن مسيرة الحضارة أحدثت انزعاجاً مفاجئاً: "لكن مسيرة الحضارة كانت غريبة جداً، ومع حسن حظنا نحن، أنها لم تشأ أن تتطور في المناطق التي ولدت في أحضانها، فقد توجب عليها عند كل خطوة عملاقة من التطور، عوامل أخرى لظروف أخرى، وهذه الحاجة جعلتها تبحث عن كل موطن تطور في جميع أنحاء العالم"^(٣). وكنتيجة لذلك، فإن على أوروبا، واثرة الحضارة، أن تصحح مسار الحضارة بكل الطرق. من ذلك عملية التأثير التقني على القابعين تحت الاحتلال الذين "يتنقون بطريقة تضمن خروجهم في النهاية من دائرة الأفكار الضيقة، ومن الاستلاب الذي قبعوا فيه منذ قرون نظراً للتأثيرات المنفعية التي مارسناها عليهم، والتي تمارسها بين الفينة والأخرى دراساتهم..."^(٤). وهكذا مادامت الفرصة وصلت لحوزة أوروبا، وجب استغلالها الاستغلال الكامل، لإبراز دورها على الساحة العالمية، لذلك يسعى المستعمرون إلى محاولة مسح كل الموروثات الحضارية الأصلية، بل حتى اللغة، وسيأتي تحليل ذلك لاحقاً. إذن، إحلال الثقافة والحضارة الغربية محل الثقافات والحضارات الأخرى، هدف آخر من أهداف الاستعمار، حسب مؤتمرات المستشرقين العالمية.

(١) Kuenen (Address) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - p. 53.

(٢) Bool (Discourt) - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie - pp. 224 - 225.

(٣) Ibid. - Premiere partie - pp

(٤) Ibid. - Premiere partie - p. 225.

إلا أن هذا التقارب وجب أن يبقى تحت الهيمنة الثقافية الغربية وتحت إشرافها. فهذا "الكونت أنجلو دو جوبارناتيس"، يتحدث عن الفلكلور، وذلك في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، فيذهب إلى أن دراسة الفلكلور ستؤدي إلى تقارب الثقافات، ثم اندماجها لتتبع من مشكاة واحدة. ويؤكد كلامه هذا قائلا: "الفلكلور لا يرجعنا فقط إلى الصفحات الأولى من التاريخ المدني للإنسانية، ولكن إلى عصر ما قبل التاريخ، لكي نعرفه من بدايته، ونجده ثانية في تظاهراته الأدبية الأولى" ^(١). فالرجوع للبوثة الفلكلورية الأولى، سيؤدي إلى التلاحم والتوحد. لكن لمن ستكون الكلمة العليا لما يتم هذا التجمع الفلكلوري وبالتالي يسيطر عليه ويوزع قيساته؟ هم الغربيون أنفسهم، إذ يقول المستشرق في ختام حديثه: "يجب أن نحفظ للمستشرقين الكلمة الأولى، وإلا فلنكن الأخيرة" ^(٢). فهو صراع ثقافي إذن، فإما أن يقود المستشرقون عالمهم الغربي، ويكونوا الرواد في هذا المسار، نحو السيطرة الكاملة على قيس الثقافة، أو فليكونوا أتباعا منقادين، لأرباب الثقافات الأخرى. ومن هنا، يجعل المستشرقين هم عصب مثل هذا التكامل والتلاحم، وأن المستقبل للاستشرق والمستشرقين، وهي دعوة لتبوء المستشرقين الأدوار الهامة في مجتمعهم وأن يكون زمام القيادة بأيديهم، ولعل هذا ما يفسر وجود العديد من المستشرقين في مراكز قيادية واستشارية عليا.

والمؤتمرات ما هي إلا أحد المنابر العاملة في ميدان الاستشراق، الذي يسعى للتمكن من بسط بعض النفوذ الثقافي، بقدرته على ولوج جميع الميادين الحضارية، وتناولها بالدرس والتحليل، وما بقي له سوى تجميعها وترتيبها، ثم إعادة تشكيلها، ثم عرضها من جديد على الجمهور، بما في ذلك أصحابها الأصليين، تماما كما تصنع المواد الخام. ومن الأدلة على ذلك أيضا، ما ذكره "ماكس ميللر" عند افتتاح مؤتمر المستشرقين العالمي التاسع، فقد أثنى على المستشرقين وحث من شأن العلماء الشرقيين لما قال: "فإنه يجب أن نتأكد دون خوف التناقض، أن معرفتنا حول الوجود اليقيني لأول حقبة، يرجع الفضل فيها إلى اكتشافات الدارسين المستشرقين... أما عن التاريخ القديم للعلماء، فيمكننا أن

(١) Ibid. p. 814.

(٢) Ibid. p. 814.

نقول إنه تم تزييفه من قبل أباي الباحثين الشرقيين...^(١) فـ"ماكس ميللر"، أحد أكابر المستشرقين ورئيس المؤتمر، يتهم المؤرخين الشرقيين بتعمد تزييف التاريخ المتعلق بمناطقهم، وأن الفضل سيعود للمستشرقين الذين سيتولون إعادة تشكيل التاريخ الشرقي وكتابته من جديد وفق المنهج الذي يرونه. وهو مثال من عديد الأمثلة التي يسعى المستشرقون إلى بلورة وجهتها الثقافية، بحيث يتم ترتيبها وفق ما يرونه يخدم مصالحهم، ثم يثبتونها بين الأباي الشرقية.

ومن الأدلة على العمل على عولمة الثقافة، تصريح "سنوك هورخروني" في المؤتمر الثامن عشر بلين سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ) فقال: "إن غايتنا الموحدة، رغم كل شيء، بقيت ثابتة، ألا وهي الاندماج الثقافي بين الشرق والغرب، والذي من شأنه أن يساعد في الأساس على تكوين الوحدة الفكرية السامية للجنس البشري"^(٢). يدعو المستشرق في هذه الكلمات إلى ضرورة المحافظة على الهدف النهائي، وتجنب المعوقات التي تنتصب في طريق تحقيق تلك الغاية. وليس الاندماج الثقافي هو الهدف النهائي فحسب، بل التمازج الفكري وأوحادته أيضا. وهذا التوجه رده وزير المستعمرات الهولندي "جرااف Graaff" في المؤتمر نفسه فقد بين أهمية مؤتمرات المستشرقين، ليس التطور العلمي فقط، لكن للمساعدة في التقارب العملي بين الشرق والغرب^(٣). ويبدو أن هذه الفكرة منثوية بين قادة هولندا ومتفقيها، و يرونها مثالية نوعا ما، ويرى أن أكبر خطر يتمثل في التخصصات التي تشهدها ساحة الدراسات الاستشراقية، وينهي كلامه بطرح تساؤل جاء فيه: "فهل بمقدور جلسات لجاننا والحفلات الرسمية، واللقاءات الخاصة كل الملتقيات التي يوفرها لنا هذا الأسبوع، أن تؤدي بنا إلى تقوية شعور الوحدة في نفوسنا، في دراسائنا الاستشراقية المختلفة"^(٤).

(١) Muller, Max – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 – Vol. I - p. 32.

(٢) Snouck, Hurgronje C. – Allocation – Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931 – pp. 22 - 23.

(٣) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931– p. 24.

(٤) Ibid. p. 23.

وهناك آراء تنادي بدراسة المجتمعات بعيدا عن الغزو الثقافي الغربي، من ذلك ما نادى به لجنة الدراسات الأسترالية والمحيطية، ألا وهو "مباشرة حشد طاقاتها فوراً، لتعزيز بحوث العادات والديانة الفطرية للقبائل في غينيا الجديدة، المعرضة حالياً إلى تغييرات حثيثة، بسبب الحضارة الغربية الغازية"^(١)، ورد هذا في المؤتمر التاسع. فهي دعوة لإشباع رغبة المعرفة لمجتمع من مجتمعات الشعوب القديمة التي تعيش على فطرتها وبالتالي إشباع روح المعرفة والفضول العلمي، ولاسيما أن مثل هذا الأمر اشتهر في أوروبا خلال القرون المتأخرة. فالغرب ينهر بالأساليب القديمة لحياة المجتمعات الشرقية، ويعجب بها كثيراً.

ب - السعي لإحلال الحرف اللاتيني بديلاً للحروف الشرقية:

يشنكي الغربيون من صعوبة اللغات غير الأوروبية. ولذا، فإن المؤتمرات تؤيد الدعوة إلى تبسيط كتابتها. والملاحظ أن الغربيين ينظرون إلى صعوبة اللغات الأخرى بالنسبة لهم. ولا يتكلمون عن صعوبة اللغات الغربية على الشرقيين. فيتذمرون من أشكال الكتابات الشرقية ونوعياتها وطرق تدوينها. ومن ذلك ما ذكره "مادبي دو مونجو" عن العلاقات التجارية من اليابان، في المؤتمر الأول، حين صرح قائلاً: "كل العقود الجارية، مدنية كانت أو تجارية، وهي عديدة وهامة، بين اليابانيين والأوروبيين، هي وسائل لا شكل لها. وليست هذه العقود محررة بعيداً عن مبادئ الحق العام. وهي محررة في لغة نحوية سقيمة متميزة بعلاماتها الموجزة وتعليقاتها المعنوية التي لا يمكن تبريرها..."^(٢). كما يشنكي "فون كريم" في المؤتمر السابع بفيينا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، من صعوبة اللغة الصينية قائلاً: "إن اللغة الصينية صعبة جداً، لدرجة أنه خلال القرون الماضية، لم يقدّر أي عالم أوروبي على فهمها، ما عدا بعض المنصرين، وقد

(١) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol I - p. xlvI.

(٢) Montjau, Ed. Madier de: "De l'écriture des actes sous seign privé au Japon" - Congrès International des Orientalistes - Compte rendu de la première session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 164.

أصبحت موضوع دراسات جدية...^(١). ولذا، فإن من مرتكزات المؤتمرات الأولى نقل الحروب اليابانية والصينية إلى الحروف اللاتينية.

ومن هنا فقد طال الأمر هذا مؤتمرات المستشرقين العالمية، وخصصت له مواطن ضمن دراساتها، وفي هذا المجال، يدعو "صمويل برتش" في المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، إلى إعادة النظر في الموضوع إذ يصرح قائلاً: "أعود للحديث عن نقطة أخرى ستجلب الاهتمام إليها، ألا وهي عملية نقل النصوص الشرقية إلى لغاتنا. أكدت تجمعات دراسية في بعض المقترحات، في صفحات صحف عملية، على اعتماد نظم مميزة لأشكال المساهمات المقبولة"^(٢). فهذا المستشرق يدعو لأن تكون المشاركات مكتوبة بحروف لاتينية، فتكون موحدة في شكلها حتى تكون مقبولة من قبل المؤتمرات. كما دعا إلى الحسم في مثل هذا الموضوع بقوله: "فإن قراراً لمميزا لعملية نقل عالمية يجب أن تراعى فيها الأهمية الكبرى، مثل أن يبطل في حالات عدة، أهمية الاستعارة في صفحات مختلفة وطرق شرقية متنوعة، وبنسق عال وصعب... فإن هذا الموضوع سوف يصبح بلا شك مقبولا حسب اعتبارات موحدة من لجان المؤتمر..."^(٣).

عن هذا الموضوع ذاته، أخذ "جرمال دو جويرودون" على الحكومات الاستعمارية في إفريقيا عدم تفهمها وتقديرها لما يتكبد في هذا الشأن من متاعب ومشاق، وذلك في المؤتمر السابع، ويرى أنها لا تولي الاهتمام الكافي بما يتكبد المنصرون من مشاق "قصد تعليم أطفال إفريقيا قراءة لغتهم المفقولة بالكتابة اللاتينية وكتابتها، دون أن تدع تدريس اللغة الفرنسية أو الإنجليزية..."^(٤). ويضيف: "إلا أن الحكومات الاستعمارية لا يبدو أنها فقهت عظمة ونباله هذه

(1) Von Kremer – Die Eroffnungstizung des congress – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Voll – T1 – p. 38.

(2) Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 5.

(3) Ibid. p. 5.

(4) Guiraudon, The Grimal de : "Notes de linguistique africaine – Les Puls –" – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol. 2 – T2 – p. 93.

المهمة التي تؤدي إلى نتيجة عملية أكيدة...^(١)، هذه المهمة العظمى التي يقوم بها المنصرون، يعدها المستشرق من "أعظم الأعمال على الإطلاق، من أجل التحضير والتحرير الفكري لهذه الأجناس"^(٢). فحسب هذا المستشرق، قضية تغيير الحروف الوطنية إلى اللاتينية، أسلوب من أساليب التطور، وهي وسيلة من وسائل الأخذ بأصول الحضارة والتفكير.

و ذهب "صمويل برنتش" للوجهة نفسها قائلا: "وعندما تنفذ هذه الخطوة بأكملها، لا يبقى شيء يربط الشرق بالغرب، بدرجة أقوى وأعظم من إزالة هذه الحواجز التي تمنع الملكية السهلة لمثل مفاتيح الفكر هذه، وهي ضرورية للفهم المتبادل والسعادة العالمية"^(٣). فوحدة الحروف اللاتينية، حسب هذا المستشرق، وسيلة من وسائل ملكية خيوط الفكر وتوجيهه، وتؤدي للفهم المتبادل والسعادة العالمية. كما أنه يرى أن توحيد حرف الكتابة، طريق للتوحيد الجغرافي، إذ نجده قال قبل هذا أن توحيد كتابة اللغات الأوروبية: تعد أول خطوة نحو وحدة الأقطار الأوروبية، وذلك باعتماد أبجدية موحدة"^(٤)، وحسب تحليله، كان يجب أن تتطلى السعادة العالمية والتفاهم الفكري من أوروبا وفيها، لكن الحاصل أنه قبيل انطلاق المؤتمرات شهدت أوروبا معارك طاحنة على جل الجبهات^(٥)، كما أنه بعد أقل من نصف قرن، حدث دمار كبير في أوروبا بسبب الحرب العالمية الأولى، وبعد سنوات معدودات عاشت أوروبا حربا عالمية ثانية، أشد دمارا من الأولى، ولا تزال الحكومات الأوروبية عديمة الثقة ببعضها، ولا تزال الحروب تعصف ببعض أطرافها، رغم المساعي الحثيثة للتوحد الثقافي والعسكري والاقتصادي، وربما السياسي والجغرافي.

إلا أن هذه المساعي، لا تكاد تخلو من مشكلات متنوعة، من ذلك صعوبة الاتفاق على أبجدية لغوية موحدة، تتماشى مع ألفاظ اللغة الواحدة. فهذا "لوي دو

(1) Ibid. p. 93.

(2) Ibid. p. 93.

(3) Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 6.

(4) Ibid. p. 6.

(5) تم التطرق لهذا الأمر ص ٤٩ من الرسالة فما بعدها.

زيلانسكي" يطرح مشكلة تتعلق بحرف من حروف اللغة اليابانية، وذلك في المؤتمر الأول فيقول: "إنه ليؤسفني أن نظامنا في النسخ يلقى دائما بعض الريب في ما يخص الكلمات التي يوجد فيها "O" الطويل. وبما أن اليابانيين لا يحكمون في هذا الأثناء عن ضرورة نقلها كلها بنفس الطريقة، وجب علينا أتباعهم في هذا الشأن"^(١). ومن هنا يتبين أن عملية نقل الحروف معرضة أيضا لمشكلات عدة، من شأنها أن تخرج عن المألوف لدى اللاتينيين من وحدة الحروف كإضافة أشكال وعلامات على حروف رئيسة. وقد تحدث المناقشات بين المتحاورين حول نقطة من هذا القبيل، مثلما حصل عند الحديث عن أبجدية اللغة اليابانية أو الصينية مثلا^(٢).

من العوائق أيضا، تعدد اللغات وكثرتها، الأمر الذي سيكلف الغرب جهدا جهيدا. وفي هذا الجانب، يقول "صمويل بيرتش": "عله ليس من الضروري للمؤتمر أن يعد درجة الرغبة الجانحة نحو مناقشة مسألة أبجدية لغوية عالمية من شأنها أن تزيل ما لدى الشرقيين أنفسهم من ضرورة كتابة لغاتهم المتعددة، والمتوزعة بطرق مختلفة. أما إذا أمكنها تقسيمها، فإن ذلك يمثل فائدة كبيرة تكتسبه تلك اللغات من الغربيين، فقد تنقضي شهور، وربما سنوات في البحث عن أبجدية رئيسة مقطعية لأنواع اللغات المختلفة"^(٣). فهذا أيضا من العوائق أمام عملية نقل الحروف الشرقية.

ثم هل سيساعد هذا التعدد اللغوي، حتى إن تم نقله للحرف اللاتيني، على التقارب الثقافي كما يصرح بذلك المستشرقون. يبدو أن الأمر صعب المنال. إلا أن الهدف هو رؤية الحرف اللاتيني يحل محل الحروف الأخرى، وأن يصبح الحرف العالمي الوحيد، وهو ما يسعى المستشرقون ومؤتمراتهم ومن يقفون من ورائهم إلى تحقيقه، إذ بذلك يضيع تراث الأمة، وتسلخ عن ماضيها، وتبتعد عن

(1) Louis de Zelinski: "Transcription Européenne des Textes Japonais" – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 392.

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome - 9^{eme} séance – pp. 384 – 417.

(3) Birch, Samuel – Inaugural Address – Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 – p. 6.

أصولها، ساعتها تقع الأمة في فراغ وضياح، يمكن للمستشرقين والغرب من وراثتهم، استغلاله بطرقهم الخاصة التي يرونها، وتتفق ومصالحهم الشخصية والدولية والاستراتيجية^(١)، وأهدافهم الاستعمارية والسلطوية والدينية والثقافية....

ولعل هذا بعض ما تظن إليه المستشرق "ريكمانس Ryckmans"، إذ يرى أنه حتى إن تغير الشكل، فلن تتغير الخصائص، ويقول في المؤتمر التاسع عشر بروما سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ): "النقل إلى الصفات اللاتينية، التي يحاول إدراجها حاليا، لا تخلو من سلبيات: إنها لن تغير الخصائص واتجاه الكتابة، وهي مؤهلة دائما لخلق مبهمات، إن النقل العبري يحتاج علامات شكلية... إن النقل العربي معقد جدا، وتعرضه عقبات الربط، التي لا تتناسب مع الصفات المفردة والكلمات التي تتسم بالنقص أو البتر"^(٢). ورغم ذلك، نجد في المؤتمر نفسه إصرار على ضرورة النقل تلك، يجسم هذا النداء المستشرق "تيشنر Teeschner"، الذي يقدمه كمقترح وفيه: "إن مؤتمر المستشرقين العالمي الثامن عشر بليدن، يرغب في توجيه توصية لكافة المؤسسات العلمية التي تنشر الدراسات الإسلامية، إضافة إلى الدوريات العلمية، التي تستلم مقالات في المجال نفسه، اعتماد طريقة مثالية للنقل العالمي للغات الإسلامية الثلاث، الهامة جدا، العربية والفارسية والعربية"^(٣).

ومع ذلك، نجحت تلك المحاولات مع لغات دون أخرى، كالتركية مثلا، وبعض ما اعتمدوه ظل مستخدما في الغرب دون أن يكون له تأثير مباشر على اللغات الأصيلة، مثل العربية.

ج - التعرف بالمدارس والجمعيات الاستشراقية:

^(١) الاستراتيجية: أصلها فن القيادة العامة في الحرب. وقيل علم. وتطلق عموما على الخطة العامة التي توضع لإحراز هدف معين. عن الموسوعة العربية الميسرة - ص ١٤٠.

^(٢) Ryckmans G.: "Comment realiser un dictionnaire des anciens dialectes Sud - Semitiques" - Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti - Rome - 1935 - p. 445.

^(٣) Teeschner F. - Actes du XVIIIème Congres International des Orientalistes - leiden - 1931 - pp. 96 - 97.

تعمل المؤتمرات على إبراز بعض المدارس أو الجمعيات الاستشرافية، ولا سيما غير البارزة منها، أو العاملة في الخفاء، قصد فهمها وبيان مسار أعمالها أو الدعاية لها، وبيان نقاط الضعف فيها، وإمكان التعاون معها ومساعدتها.

ج - أ- المدارس الاستشرافية:

فمن ناحية المدارس، كثيرا ما تم الحديث عن العديد منها، سواء بصفة مختصرة أو باستفاضة. من ذلك مثلا، أن المستشرق "فون كريمر" تحدث بإيجاز عن المدرسة النمساوية، وذلك في المؤتمر السابع بقيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، وبين أن خرجت من هذه المدرسة مؤسسات أدبية عدة تهتم بالمعارف الشرقية، وبالتالي شهدت "فينا" ثقافة استشرافية متخصصة ومتعمقة ومتعلقة كما وصفها^(١). وتطرق المستشرق "دسوف" للمدرسة الروسية خلال المؤتمر الثامن بستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، وجاء في كلامه: "إن روسيا، المقتنعة برسالتها الثقافية تجاه الشرق، عرفت تدريجيا ضرورة التطوير المتواصل لدراساتها الثقافية، وخلق عدة مجموعات حيث تتمركز دراساتها، كلما توسعت حدودها الإمبراطورية..."^(٢)، وعن المدرسة نفسها تحدث "إيريني دو نوفل Irene de Nauphal"، مبعوث الحكومة القبطية فقال: "أظن أن مهمتي الأولى تتمثل في تأكيد المهمة الكبرى التي توليها روسيا دائما لكل الجهود التي تتمثل مهمتها في البحوث العلمية المتعلقة بالعالم الشرقي القديم. لا يمكننا أن نتناسى أن العناصر الأولى لعملية تثقيفية ضرورية لكنها طبيعية، تم استعارتها من الشرق، وأن روسيا تدين بجزء هام، بل أقول جوهريا أيضا، من تاريخها، سواء السياسي منه أو الديني، بسبب التواصل المباشر مع هذه الجزئية الهامة من العالم العتيق..."^(٣). وفي المؤتمر ذاته، تحدث

(١) Von Kremer – Die Eroffnungsstizung des Congress – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Voll – T1 – p. 42.

(٢) Esoff, G. d' G.: "Apercu de la langue armenienne en Europe" -- Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes – Stokholm et Cristiania - 1889 – Troisieme partie – II section - p. 80.

(٣) Nauphal, Irène de (Discours) Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 – p. 423.

"هنري كورديي" عن الدعم الفرنسي المتواصل لتنمية مؤسسات المدرسة الاستشراقية الفرنسية^(١).

وفي المؤتمر الرابع عشر، بالجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، تحدث "الماركيز دو جريجوريو Marquis de Gregorio" مندوب الحكومة الإيطالية، عن الأهمية التي توليها حكومته للدراسات الشرقية، وقال إنها كونت في جل الجامعات كراسي للسفسكرينية، وفي بعضها كراسي للدراسات المصرية والصينية، وإنها زادت مؤخرًا في عدد الكراسي العربية واللغات السامية المقارنة^(٢).

وفي المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، قدم المستشرق "بريستد Breasted" أعضاء عن المدرسة الاستشراقية الأمريكية^(٣). أما في المؤتمر الثامن عشر بليدن سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، فقد تحدث المستشرق اليوغسلافي "باجراكترافيتش Bajraktrarevic"، عن المدرسة الاستشراقية اليوغسلافية، واهتماماتها بالبحوث الإسلامية فيما بين ١٩١٧م (١٣٣٥هـ)، حتى ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، مبينا العلاقات المميز بين يوغسلافيا والعالم الإسلامي، وأن المواد الإسلامية المختلفة التي تملكها يوغسلافيا، كان لها الحافز الكبير في تنمية تلك الدراسات، وقسم الباحثين اليوغسلاف في هذا المجال إلى مجموعات ثلاث، أولاًها وجهت اهتمامها إلى اكتشاف الآثار والمصادر التركية على الأراضي اليوغسلافية، والثانية اعتنت بالتاريخ الإسلامي والقرآن الكريم والحقوق القانونية والروابط الاجتماعية. والثالثة وجهت اهتمامها للأعمال الأدبية الإسلامية، والتركية منها بصفة خاصة^(٤)، كما ألقاها مرة أخرى في

(١) Cordier, Henry (Discours) Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Hamburg - 1902 - p. 422 .

(٢) Gregorio, Marquis De (Discours) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - p. 83 .

(٣) Breasted J. H. (Address) Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - pp. 100 - 102.

والتركية منها بصفة خاصة^(١)، كما ألقاها مرة أخرى في المؤتمر التاسع عشر بروما سنة ١٩٣٥ م (١٣٥٤هـ)^(٢).

وفي المؤتمر العشرين ببروكسيل سنة ١٩٤٨ م (١٣٥٧هـ)، تحدث كل من وزير التقنيـف الشعبي البلجيكي "دياركس Dierckx"^(٣) والمستشرق "جون كابار"^(٤) عن سمات المدرسة الاستشراقية البلجيكية. وسلط المستشرق الفرنسي "جاك باكو" بعض الأضواء عن المدرسة الاستشراقية الفرنسية^(٥) وذلك في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧هـ).

في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣ م (١٤٠٣هـ)، تحدث رئيسه "ياماموتو تاتسورو" عن تطور نشاط المدرسة الاستشراقية اليابانية، ومما قاله: "إذا تحدثنا تاريخياً، فإن التقليد الدراسي الياباني انطلق من الصينية القديمة والبوذية... لكن في السنوات الحديثة، توسعت جهود باحثينا إلى حد بعيد، لتشمل مناطق آسيا وشمال إفريقيا. وبما أن معظم منشوراتنا كتبت باللغة اليابانية، فإن دراساتنا لم تعرف على نحو كاف لدى المجتمع العالمي، وأتمنى أن يقلص المؤتمر ضعف الدعاية لها. وفي الحقيقة إننا نوافق جداً للاستماع لتقويم الباحثين وانتقاداتهم الذين جاؤوا من خارج اليابان"^(٦) فهذا المستشرق إنز جعل التعريف بالمدرسة الاستشراقية اليابانية والدعاية لها من أهداف المؤتمر هذا.

(١) Bajraktarevic F. "Les etudes Islamiques en Yougoslavie" – Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 – pp. 240 - 241.

(٢) Bajraktarevic F.: "L'Etat actuel des etudes Islamiques en Yougoslavie" - Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti-Rome -1935-pp. 515-520

(٣) Dierckx O. - Discours – Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – p18.

(٤) Capart, Jean- Discourt – Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 – pp. 21 – 24.

(٥) Capart, Jean(Discours) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 – pp. 26 – 27.

(٦) Yamamoto Tatsuro (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 – T1 – pp. 29 – 30.

أما عن المؤسسات الاستشرافية، فقد تعرضت المؤتمرات لبعضها كذلك. ففي أثناء حديثه عن أنشطة المدرسة الهولندية، تعرض "كوينن"، لذكر بعض الهولندية منها، وأهمها^(١):

مؤسسة الفنون والعلوم بباتافيا.	Societe des Arts et des Sciences de Batavia.
معهد فيلولوجية المناطق الهندية الهولندية وجغرافيتها وإثنولوجيتها.	Institut de philologie, de Geographie et d'ethnologie pour les Indes neerlandaises..
المؤسسة الهندية.	Societe Indienne.
المؤسسة الجغرافية.	Societe de Geographie.
معهد دفت للدراسات اللغوية والجغرافية وإثنولوجية الهند الهولندية.	Ecole de Delft pour l'enseignement des langues, de la Geographie et de l'ethnographie des Indes neerlandaises.
معهد موظفي الهند الشرقية.	Ecole des fonctionnaire des Indes Orientales.

وفي المؤتمر الرابع عشر، نوه "بيانفوني-مارتن Bienvenu-Martin"، وزير التقنيّف الشعبيّ والديانات، بمعهد الآداب بالجزائر، بوصفه مركزاً للدراسات العربية، تاريخاً وحضارة وأدباً، ولاسيما ما يتعلق منها بشمال إفريقيا، ودعاه إلى مزيد التركيز على الحاضر والمستقبل، أكثر من الاهتمام بالماضي^(٢). وتحدث "جاك بيران Jacques Pirenne" عن تأسيس مركز لدراسة تاريخ القضاء في العصور القديمة "Centre d'Etudes d'Histoire des Droits Antiques"^(٣). وفي المؤتمر الحادي والعشرين تم الاحتفال بخمسينية "المعهد

(١) Kuenen — (president du congres) — Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes — Leide — 1883 — p. 46 — 47.

(٢) Bienvenu-Martin (Discours) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes — Alger — 1905 — premiere partie — p. 76.

(٣) Pirenne, Jacques : "Annonce de la creation d'un centre d'histoire des droits antiques" — Actes du XXeme Congres International des Orientalistes — Bruxelles — 1938 — pp. 83 — 89.

الفرنسي للشرق الأقصى "Ecole Francaise d'Extreme-Orient"^(١). وفي المؤتمر نفسه، تحدث المستشرق "روبار Robert عن نشاط "معهد الهند-الصينية لدراسة الإنسان Institut Indochinois pour l'Etude de l'Homme"^(٢)، وفي المؤتمر الرابع والعشرين بميونخ سنة ١٩٥٤م (١٣٧٧هـ)، تحدث المستشرق "إدوارد دورم Edouard Dhorme عن "مؤسسة ليدزبارسكي Fondation Lidzbarsky"^(٣)، التي خصصت ميدالية دورية لأفضل بحث استشرافي، والتي سيأتي الحديث عنها^(٤). أما في المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، تحدث المستشرق "إليسييف Elisseeff"، عن أنشطة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق Institut Francaise d'Etude Arabe de Damas^(٥).

وفي المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، تحدثت المستشرقة المكسيكية "جراسيالا دولا لاما"، عن "جمعية أمريكا اللاتينية للدراسات الآسيوية والإفريقية The Latin American Association of Asian and African Studies (ALADAA)"، فقالت: "إن "جمعية أمريكا اللاتينية للدراسات الآسيوية والإفريقية، التي تأسست في العام ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، عقدت ثلاث اجتماعات إقليمية في مكسيكو فكلومبيا، وحديثاً في البرازيل. وعلى سبيل المثال، دعوني أعلن أن أكثر من ثمانمائة شخص يدرسون اليابانية في أمريكا اللاتينية، كما أن العديد من الباحثين يترجمون مصادر النقاليد الآسيوية إلى الأسبانية والبرتغالية. كما أن التاريخ والظروف الاقتصادية-الاجتماعية، والفن في آسيا وإفريقيا وجدت مكانتها في العديد من المؤسسات"^(٦).

(١) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes -Paris-1948 - p27.

(٢) Ibid. pp. 385 - 386.

(٣) Dhorme, Edouard (Discours) Akten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress - Munchen - 1957 - pp. 36 - 37.

(٤) سيأتي ذلك ص ٢٥١ من الرسالة.

(٥) Elisseeff M.: "L'activite de l'Institut Francaise d'Etudes Arabes de Damas (1930 - 1960)" - 25^{eme} Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 - T2 - pp. 96 - 103.

(٦) Lama, Graciela de la - Mexican Ambassador to India, president of the XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico

وفي المؤتمر ذاته، تحدث "أرفيند شارما Arvind Sharma" من أستراليا عن مؤتمر دولي دوري، يتعلق بالمجتمعات الآسيوية والفلسفة المقارنة فقال: "أود أن أحدثكم ، أو بالأحرى ألقى بعض الكلمات عن "المؤتمر العالمي حول المجتمعات الآسيوية والفلسفة المقارنة thetaInternational Conference of thetaComparative Philosophy dSociety for Asian an"، لقد عقدت هذه المؤسسة اجتماعها الأول في "هونولولو Honolulu"، في العام ١٩٨٤م (١٤٠٤هـ)، أما اجتماعه القادم فسينعقد "سيدني Sydney"، من الثامن إلى الثالث عشر من أغسطس سنة ١٩٨٨م (١٤٠٨هـ)"^(١).

تلك إذن مجموعة من المدارس والهيئات الاستشرافية، التي تم ذكرها في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي على سبيل التمثيل لا الحصر. وإلا فالتعرض لمثل هذه المؤسسات الاستشرافية لا يكاد يخلو منه أي مؤتمر.

د — التعريف بأقطاب المستشرقين:

يسعى المستشرقون من خلال مؤتمرات المستشرقين العالمية إلى إبراز دور أكابر المستشرقين، ولأسيما سلفهم. ففي مثل هذه المنابر، تكون الفرصة سانحة كي يتم التعرف على العاملين في الميدان نفسه، فـ"إن انعقاد المؤتمرات عموماً، ومؤتمرات المستشرقين خصوصاً، يهدف أساساً إلى تكوين علاقات بين العلماء الذين يتناولون بالبحث مجالات متقاربة... إلا أن المسافة الفاصلة بينهم لا تمكنهم من التعرف على بعضهم البعض إلا عن طريق مؤلفاتهم وشهرتهم، أما ضرورة التعارف هذه، فقد أصبحت عالمية..."^(٢). هذا ما يصرح به "شارل مونوار"، الذي تحدث عن شخصية استشرافية، كمدخل لتلك الدراسة، وذلك في المؤتمر السادس بلجين سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ).

1976) – Proceeding of the XXXI International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa – Tokyo 1983 – p. 26.

(1) Arvind Sharma (Address) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hambourg - 1986 – p. xxix .

(2) Maunoir, Charle : "Dutreuil de Rhins" – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - p. 41.

تتسم نظرة المستشرقين لأمثالهم وأسلافهم العاملين في نفس الميدان بالاحترام والتقدير. وقد لا يسمح لأي كان بمس من قدرهم وهمتهم وعلمهم. وفي هذا الصدد، يصرح "ماكس ميللر Max Muller" قائلاً: "سأظل أحتج ضد كل محاولة للتقليل من شأن المؤسسين الحقيقيين لعلم اللغات ما دمت حياً، فإن أخطاءهم العديدة، التي تظهر بين الفينة والأخرى، هي أعظم نبوغاً من التصحيحات التي قام بها تابعوهم... وفي مثل مؤتمر المستشرقين هذا، فإن لنا الحق بأن نتساءل عما حصل لهم، فإني أشك على أي حال أن يكون أي واحد موجوداً هنا ينكر أن ذلك يعود بالدرجة الأولى لدارسي الشرقيات، أمثال "سير وليم جونز Sir W. Jones"، كولبروك Colebrooke، شليجل Schlegel، بوب Bopp، بيرنوف Burnouf، لاسن Lassen وكوهن..."^(١).

هؤلاء يعدون أعظم درجة من أولئك الذين جاؤوا من بعدهم، حتى إن وجد في علمهم هنات وثغرات، وفي هذا المجال يقارن بين الطائفتين، فيجعل الفرق بينهما كذاك الواقع بين نبي وتابع له فيقول: "وإن تابعهم غيرهم، وسار على نهجهم، وبين أن الجسارة في الاكتشافات تحوي أخطاء في مسارها بعض الأحيان، دعوهم يجمعوا هذا الرصيد الهام لما قد يضيقونه أو يصححونه أو يرفضونه. لكن موسى (عليه السلام) الذي شق طريقه في البرية، ثم توفي قبل دخول الأرض الموعودة، المملوكة بأسرها، أعظم من يشوع الذي عبر الأردن وقسم الأرض الموعودة. ويعرف العديد من الرحالة اليوم طريقهم بسهولة إلى إفريقيا ومنها، لكن الأول الذي كدح من أجل الكشف عن منابع النيل، رجال أمثال برتون سبيك Burton Speke"، وليفنجستون Livingstone"، يتطلب إيماناً وقوة وشجاعة عظيمة، أكثر مما لدى أولئك الذين يكتشفونها حالياً"^(٢). فالاحترام والتقدير بارزان بوضوح يكاد تصل حد التقديس، لأولئك الذين سبقوهم في الميدان. ويؤكد هذا التقدير العام للمستشرق الياباني "ياماماتو تاتسورو" في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو قائلاً: "إن الدراسات الشرقية الحديثة، بوصفها

(١) Muller, Max – Inaugural Address – Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 17-18.

(٢) Ibid. p. 7.

علم إنساني تطور باكرا في الغرب، وانتشر لاحقا في الشرق، فإنه من الطبيعي جدا أن نتوجه بالشكر إلى الباحثين الرائدین والعلماء والدارسين المرشدين في البلدان الغربية^(١).

منذ المؤتمر الأول يتم التنويه بهؤلاء المستشرقين الأوائل ولاسيما الرواد منهم، فهذا "لوفابر" يصرح قائلا: "يجب أن نعرف أنه قبل "أنكاتيل دوبارون Anquetel Duperron"، و"وليام جونز"، و"شامبليون" و"بوب Bopp" و"أوجان بيرنوف Eugene Burnouf" و"سبيجل Spiegel"، و"راولنسون Raulinson" و"أوبار"، كانت فارس القديمة وهند الفيديين والمائو ومصر الفرعونية وأشور عالما مغلقا عن أوروبا، ولم نستطع الدخول إلا من جانب التحليل المنطقي للغة الذي ابتدأه "بوب" قبل ١٨٠٠م (١٢١٤هـ)^(٢). أما المؤتمر الثاني، فشهد حديثا مطولا عن المستشرق "وليم جونز"، عرضه المستشرق "ماكس ميللر"، ومما قال عنه: "السير وليام جونز، ليس رجل قراءة وذوق مميز فحسب، بل إنه يقينا رجل عظيم، يمثل واحد من المليون. لقد كان دارسا كلاسيكيا، مميزا في المدرسة العتيقة، وقارئاً للتاريخ فطنا، ومحام متمرسا، وسياسيا ذكيا، ورجلا نبيلًا بحق... لقد كان يتحرك في الطريق الصحيح، بل أراه المثقف الاجتماعي الوحيد، والكاتب والمفكر الكبير في تلك الأيام، حيث كان بنصت إليه بكل ارتياح"^(٣).

وفي المؤتمر السادس بليدين سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، تحدث المستشرق "كوينن" عن المستشرق "دوزي". ومما قاله عنه "يمكننا أن نعلن إنه في إطار حدود العالم الإسلامي، قد اختار لنفسه حقل عمل خاص به وحده دون غيره. لقد كان تخصصه"^(٤). وبعد أن ذكر تخصصاته المختلفة والمتنوعة، ختم حديثه قائلا: "ولا يمكن لأحد أن ينافس هذا العالم في لجنة دراسات اللغة العربية والإسلام. لقد

(١) Yamamoto Tatsuho (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa – Tokyo – Kyoto – 1983 – T1 – p. 30.

(٢) Lefevre A. – Le Premier Congres International des Orientalistes – Extrait de la PHILOSOPHIE POSITIVE – Novembre – Decembre - 1873 – p. 2.

(٣) Ibid. p. 181.

(٤) Kuenen – Adresse – Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes – Leide - 1883 – pp. 40 – 41.

كانت له درجة الأمير في ميدانه الخاص به. وهذا ما يجعلنا نشعر بالفخر به أكثر من أننا نملكه، وذلك لأنه حول وجهتنا تلقاء الشرق...إننا نعيد الاعتبار لذكرى "دوزي" ^(١).

في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، تناول "ماسبيرو Maspero" بالدرس والتقويم المستشرق "هنري بروجش" ^(٢). وبعد الحديث عن مسار حياته، ختم كلامه بأن جعله ثالث ثلاثة أسهموا في تنمية الدراسات الفرعونية فقال: "إنهم ثلاثة رجال أسهموا أكثر من غيرهم في الدراسات المصرية: أسسها تشامبليون Champollion"، وخلق لها المنهجية "دو روجي De Roger A"، أما "بروجش"، فقد هيا لها وسائل العمل التي تحتاج إليها، والتي سيتم استخدامها دائما ^(٣).

في المؤتمر الحادي عشر بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، تعرض رينى باسي للحديث عن "جوديفروا -دومومبين" ^(٤). وفي المؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، تحدث المستشرق "فلامينيو سارفي Flaminio Servi" عن "دانتي Dante" باعتباره مستشرقاً فذكر أن دانتي كان عارفاً معرفة عميقة بالكتاب المقدس، وأن رؤيته للحيوانات المتوحشة الثلاث، مثلاً، مرتكزة على نص من الإصحاح السابع من سفر دانييل. كما ذكر نصوصاً أخرى من الكوميديا الإلهية مرتكزة على الكتاب المقدس ^(٥). وفي المؤتمر نفسه، تم تأبين المستشرق "سومان"، الذي كان يرأس لجنة تأليف "دائرة المعارف الإسلامية" ^(٦). وفي المؤتمر الخامس عشر بكونينهاجن سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، تم تكريم المستشرق

(1) Ibid. p. 41.

(2) Maspero G.: "Henry Brugsch" – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - Quatrieme partie - Section IV - p. 95.

(3) Ibid. p. 102.

(4) Basset, Rene : "Rapport sur les etudes Berbere et Haoussa (1881 – 1899)" – Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 – troisieme partie – p. 49.

(5) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 – T3 – p. CLXX .

(6) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 – T3 – p. CLXXIX .

الخامس عشر بكوبنهاجن سنة ١٩٠٨ م (١٣٢٦هـ)، ثم تكريم المستشرق "كارل فارنر Karl Verner"^(١).

في المؤتمر العشرين ببروكسيل سنة ١٩٣٨ م (١٣٥٤هـ)، أبن المستشرق الفرنسي "بول بيليو Paul Pelliot"، المستشرقين الفرنسي سلفان ليفي Sylvain Levy، والبلجيكي "لوي دو لا فالي بوسلان Louis de la Valle Poussin" منوها بأعمالهما الاستثنائية^(٢)، كما أبن المستشرق النرويجي "ليبلين Lieblein" ونوه به وأعماله^(٣). المستشرق "دو لا فالي بوسان"، أبنه المستشرق البلجيكي "جون كابار" أيضا، في المؤتمر نفسه، ولا سيما أنه كان من المفترض أن يكون رئيسا للمؤتمر، بوصفه كبير المستشرقين البلجيكي وأساذهم، إذ كان مستشرفا موسوعيا، رغم تخصصه في الدراسات الصينية والهندية^(٤). "جون كابار" نفسه، تم تأبينه والتويبه بشخصه وأعماله في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧هـ)، إذ قضى نحبه في السادس عشر من يونيو سنة ١٩٤٦ م (السابع عشر من رجب سنة ١٣٦٥هـ)^(٥).

وفي المؤتمر الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١ م (١٣٧٠هـ)، أشاد رئيس المؤتمر "زكي وليدي طوقان" بالمستشرق الفرنسي "لوي ماسينيون" وأعماله في الدراسات الإسلامية^(٦). وتولت "مؤسسة ليدزبارسكي" التويبه بجهود عضو المؤسسة الأمريكي "شارلز كوتر توري Charles Cutter Torrey" وأعماله،

(١) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 48.

(٢) Pelliot, Paul (Parole) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - pp. 33 - 34.

(٣) Ibid. p. 34.

(٤) Capart, Jean (Discours) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - pp. 20 - 21.

(٥) Bacot, Jacques (President) - (Discours) - Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - pp. 23 - 24.

(٦) Togan, Zeki Walidi (Address) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istanbul - 1951 - Vol1 - p. 66.

الذي كان وإفاه الأجل في الثاني عشر من نوفمبر ١٩٥٦م (التاسع من ربيع الأول سنة ١٣٧٦هـ)، ومن ثم تأبينه^(١).

وفي المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، أطرى كل من المستشرقين المكسيكية "جراسيالا دو لا لامبا" والياباني "ياماموتو تاتسورو"، بالمستشرق الفرنسي "جون فليوزا" وأبنائه، منوهان بصفة خاصة على بصماته التي خلفها على المؤتمرات. فقد قالت المستشرقة: "أشير بحزن عميق إلى ما تركه العالم الفرنسي الكبير، "جون فليوزا"، الذي كان رئيسا للمؤتمر بمناسبة ذكره المئوية في العام ١٩٧٣م. لقد قدم إسهامات قيمة من أجل سد الفجوة القائمة بين الشرق والغرب. إننا لم نعرفه على أنه عالم بارز فقط، بل كصديق أيضا، وقائد أنار العديد من الطرق لخطى المؤتمر الذي تعهده كثير^(٢)". أما المستشرق الياباني فقد قال: "أود أن أعود إلى حديث الفقيه الأستاذ "جون فليوزا"، الذي ألقاه في بداية المؤتمر التاسع والعشرين ببريس، عندما احتفلنا بالذكرى المئوية للمؤتمرات، فتحت عنوان "مشروع إصلاح مؤتمرات المستشرقين العالمية"، عرض آراء جذرية جديدة، وهي التي تبنتها اللجنة الاستشارية، لذا، ... إننا لم ننفذ مطلب هذا النص حرفيا، لكني أتفهم أن مؤتمرا يسعى ليكون مكانا لتلاقح المعلومات التي تصل من الجهات المختلفة ومن جميع فروع المعرفة، وتبادلها^(٣)". من هؤلاء المستشرقين الكبار، الذين تم الحديث عنهم كذلك، نجد الألماني "كارل هنريش بيكر Carl Heinrich Becker"، الذي نوه به "سيناتور جرول Senator Grolle"، في المؤتمر الثاني والثلاثين بهمبورغ سنة ١٩٨٦م

(1) Akten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress – Munchen – 1957 – p. 37.

(2) Lama, Graciela de la (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa – Tokyo - Kioto - 1983 – p. 25

(3) Yamamoto Tatsuro (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - p. 32.

(١٤٠٦هـ)^(١)، كما تولى تأييده "دياركس" وزير التنقيف الشعبي، في المؤتمر ذاته^(٢).

تلك كانت عينة من المستشرقين تم التعريف بهم والإطنا ب عليهم ومدحهم، من فوق منبر مؤتمرات المستشرقين العالمية. ولا تتوقف المؤتمرات عند التنويه بأقطاب المستشرقين العاملين مباشرة في الاستشراق. بل قد يصل أثرها إلى المتعاونين في هذا المجال أيضا. ففي أول مؤتمر عقد بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، تم تكريم عاملين متعاونين في حفل الاستشراق^(٣): "فقد أعلن لوي روشي Louis Rochet"، رئيس لجنة الجوائز، أن مؤتمر ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، يرغب في تقديم شهادات شعبية، اعترافا من المستشرقين للعاملين المتواضعين، الذين أسهموا بمهامهم في فن الطباعة الشرقية، ورصد لهم جوائز..."^(٤).

وشملت تلك الجوائز عاملين في المطبعة الوطنية بباريس، ومطابع أخرى سواء في فرنسا أو مستعمراتها، ومكتبات ومؤسسات، فرنسية وأجنبية. وترأحت الجوائز بين شهادات شرف وميداليات برونزية، وقد يحصل العامل على إحداها، أو هما معا. ورصدت ميدالية ذهبية واحدة. وشمل التكريم هذا من كان حيا منهم أو ميتا، بل حتى من لم تعرف حاله، كصاحب الميدالية الذهبية مثلا، التي رصدت لـ "ماريوس نيكولا"، مؤسس المطبعة الشرقية في ميلان. هذا المتفاني في حبه للعلم، الذي "أدى به إلى قبول أعمال لا توفر عائدا كافيا، فباع آلاته وانطلق نحو المستعمرات، وتجهل اللجنة حاله الآن، هل ما يزال على قيد الحياة، إلا أنها تتمسك برصدها كتذكاري لذكراه، وتعين له ميدالية ذهبية،

(١) Grolle, Senator (Discours) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hambourg - 1986 - pp. XVIII - XIX .

(٢) Dierckx O. (Discours) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - p. 17.

(٣) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 52 - 59 .

(٤) Ibid. p. 52.

وشهادة شرف بامتياز خاص للخدمات التي قدمها للاستشراق^(١). لكن تبين بعد ذلك وجوده على قيد الحياة بالجزائر^(٢).

إذن، اتخذت مؤتمرات المستشرقين العالمية منبرا للتعريف بأقطاب المستشرقين والعاملين في مجال الاستشراق والمعارف الاستشرافية.

هـ - التعرف بأتباع المستشرقين من الشرقيين:

يسعى المستشرقون في مؤتمراتهم العالمية إلى إبراز أتباعهم من الشرقيين، بتوضيح ملامح شخصياتهم وأنواع كتاباتهم، مع الثناء عليهم وامتداحهم، والدعوة لاتباع بني أوطانهم لهم. وقد تم التنويه بالعديد من هؤلاء وأعمالهم. من ضمنهم قاسم أمين الذي تناولته المستشرقة "أولجا دو ليبيدو" بكل إعجاب وإطراء، ولاسيما بأفكاره التي نادى فيها بتحرير المرأة، وذلك في المؤتمر الثالث عشر بهمبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)^(٣)، وسيتم التعرض للبعض من أقوالها لاحقاً^(٤). كما أثنى المستشرق "مينورسكي" على الباحث الإيراني "ميرزا محمد خان"، وذلك لأتباعه المناهج الغربية في دراساته، وكان ذلك خلال المؤتمر الثامن عشر بليدن سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)^(٥).

ومن بين الشخصيات التي تم التنويه بها، من فوق منبر مؤتمرات المستشرقين العالمية، "سبيتا بيك Spetta Bek" و"إيليا قدوسي Ilia Quodsi"، وذلك في المؤتمر السادس المذكور سابقاً.

(١) Ibid. pp. 58 – 59.

(٢) Ibid. p. 59.

(٣) Lebedew, Olga de: "Le nouveaux droits de la femme musulmane" – Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Hamburg - 1902 - p. 314

(٤) سيأتي الحديث عن ذلك ص ٥٢٥ من الرسالة وما بعدها.

(٥) Minorsky V.: "Les études historiques et géographiques sur la Perse depuis 1900" – Actes du XVIII^{ème} Congrès International des Orientalistes - Leiden - 1931 - p. 92.

أما "سبيتا بيك"، فقد أعلن رئيس الجلسة الثانية من لجنة الدراسات السامية، المستشرق "شيفر" عن وفاته، مؤدياً له كافة الاحترام لذكراه^(١)، ثم أعطى الكلمة للمستشرق "كارلو لاندبارج Carlos Landberg" الذي تولى تأبينه، والثناء عليه. ومما قاله عنه: "لقد عرف العديد ممن هم بيننا هذا العالم. وكان الكثير منهم أصدقاء له، مقربين منه. بعد أن تخرج من معهد "ليبيريج"، رأيت فيه أمامي مجموعة من الرجال المثقفين، قصد مصر رغماً عنه. لكن الأمر ذاك كان مفيداً للعلم عموماً هناك، وللدراسات في مصر، ولا سيما أنه اتجه إلى المكتبة الخديوية في القاهرة... أما مؤلفه "أرض الفراعنة"، فمعروف لدينا معرفة دقيقة. فهو مهَّد بأن لا تخلد ذكراه... إن "سبيتا" هو المؤسس لفرع علمي جديد يهتماً جميعاً. إن الدراسة العلمية والنقدية للهجات العربية المنطوقة، ندين لـ "سبيتا" بأنه يمثل أول دافع محرك لها. إن القواعد اللغوية للهجة المصرية، تعد صرحاً شامخاً لكل الأزمان. ومع ذلك فإنه مع تطور الأبحاث في هذا الميدان، قد تتغير بعض محتوياته. إلا أنه يبقى على الدوام الكتاب الأساس والمصدر المعلم الممتاز، الذي نرجع إليه عند الحاجة..."^(٢).

هذا بعض التقويم الذي قدمه المستشرق عن "سبيتا بيك"، فإنه بتقبله الاتجاه الغربي في البحث والمعرفة، تهيأت له قلوب المستشرقين كي يثثروا عليه، وأبحاثه التي ذكرها المستشرق خير دليل على التبعية الفكرية.

أما عن المثال الثاني، "إيليا قدسي"، فقد تحدث عنه المستشرق "كارلو" نفسه^(٣)، وكان ساعتها على قيد الحياة. ذكر المستشرق عنه أنه "حصل من الخارج على ثقافة صحية قوية، وأنه امرؤ واعد بحق، لو أراد مواصلة تركيز اهتمامه على العلم. إنني أسعى دائماً لنشر الفكر العلمي الأوروبي في المشرق، وإنني أعجب كثيراً كي أجد من هنا أو هناك طالباً يرغب حقيقة في اتباع نصائحي، وهي توجيهات أعطيت لي من مدرسي الأوروبيين. وأقر بأنني فشلت في ذلك مع

(١) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - p. 77.

(٢) Landberg, Carlos (Discours) - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie- pp. 77 - 78.

(٣) Landberg, Carlos : "Elia Qoudsi" - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 3 - 4.

الأسف. إلا أن "إيليا قدسي"، هو الذي باشر هذه المهمة بحماس فياض، فقد أرسل إلينا مقالاً مهماً جداً، نقرؤه بكل سرور ... إنه ليسعدنا أن نحيا هذا العمل الأول لإيليا قدسي، ونرجو من كل قلوبنا أن يجد أتباعاً له يسيرون على نهجه... فإني أرى عند كتابة هذه الكلمات أن أحث أصدقائي في الجانب الآخر من البحر المتوسط، أن يسيروا على خطى "إيليا قدسي"، لقد افتتح الطريق، وعلى الآخرين اتباعه^(١).

من هذا القول، يمكن أن نتبين سبب عناية المستشرقين بأتباعهم من المستغربين، ألا وهو خلق جيل يتبنى المقومات الغربية في المنهجية والفكر والأسلوب، بل العلم كذلك، وبالتالي التبعية الثقافية والمعرفية. وهذا من باب النظرة الاستعمارية الثقافية، وهي نظرة يتبناها، ويشعر المرء بوجودها عند جل المستشرقين، ويرون أنفسهم النبراس وعلى الآخرين الاقتباس.

ثم هل يرضى المستشرقون هؤلاء عن أعمال أتباعهم الرضاء الكامل؟ لنرى رأي "كارلو" عن مقال "إيليا قدسي"، وعنوانه "نبذة تاريخية في الحرف"^(٢) للمشقية، فهو يقول: "إننا نرى لأول مرة عربياً يقدم عملاً في مؤتمرات المستشرقين العالمية. لا يعني هذا أن هذا العمل نزيه، فقد كان يمكن للكاتب أن يعطي تفاصيل أدق، وكان يمكنه طرق موضوعه طرقاً أحسن من هذا، ولا سيما أنه موضوع ذو فوائد أعمق وأهمية أكبر، لكنه لا يزال شاباً"^(٣). إذن، حتى هذا العمل لم يرض هذا المستشرق الرضاء الكامل. لكن لو تساءلنا عن سبب تقديمه هذا العمل ليقرأ على العموم، نجد الإجابة التالية: "إن هذا الموضوع لم يدر بخلدني إلا مع نهاية المؤتمر... ومع حسن الحظ، فإن المادة كانت مألوفة لدي، الأمر الذي جعلني من جهة أخرى، أكشف للشرقيين بهذا المؤلف الرغبة في أن نراهم يهتمون نوعاً ما بالعلم من أجل العلم فقط"^(٤).

(1) Ibid. pp. 3 – 5 .

(2) جمع حرفه.

(3) Ibid. p. 3.

(4) Ibid. p. 3.

إن، فتقديم المقال جاء في أواخر المؤتمر، وجيء به تشجيعاً فقط، حتى يوجد من يسائر المستشرقين. ثم إن المقال قريب من منهج المستشرقين، لذا استحق الثناء عليه، ولو على استحياء. ثم هو ليس أول عمل يقدمه عربياً، فقد سبقته أعمال أخرى، لكنها لم ترق المستشرقين على ما يبدو، لعدم اتفاقها وما ييغونها. لهذا صدح المستشرق هذا قائلاً في حديثه: "ونرجو من كل قلوبنا أن نجد أتباعاً له يسировون على نهجه. وإننا على استعداد دائم لتيسير الطبع المجاني لأعمالهم، بعد أن نقومها ونراها جذيرة بذلك. فليباشر العلماء الصغار في المشرق هذه المهمة. إلا أننا لن نهتم إلا بالموضوعات التي يعرفونها بعمق، والتي لا يمكن لنا في أوروبا أن نعملها أكثر مما هي عليه، إلا مع بعض المشقة"^(١).

تلك إذن الشروط التي يجب توفرها كي تقبل لدى المستشرقين. وإذا استوفى الباحث الشروط تلك، فسيطبع عمله مجاناً، وما عليه إلا اتباع المنهج العلمي الذي يتبناه المستشرقون. ولا يخفى ما في ذلك من دعوة للتخلي عن القيم والمبادئ المسلم بها في المجتمع الشرقي. وتأكيداً منه لقوله، نشر بحث "إيليا قدسي" ضمن كتاب وقائع أعمال المستشرقين.

تبقى نظرة المستشرقين للشرقيين استعلائية. حتى من يسايرونهم في طرقهم، لا يتقون فيهم تمام الوثوق، بل يضعونهم دائماً تحت عدسة الشك والريبة. وسيتم التعرض للموضوع هذا بصفة أعمق لاحقاً^(٢)، بل حتى "سبيتا بيك"، الذي وصفه المستشرق بالصادق من جهة، نجده يلمزه من جهة أخرى لمزلة خفية، بحيث قال فيه: "وإني أتمسك بالقول، أمام كل الجموع، أن مكتبة القاهرة توجد حالياً في حالة يرثى لها"^(٣)، وقد كان يديرها "سبيتا بيك" كما ذكر من قبل.

ثم إذا أردنا إجراء مقارنة بين تنويه المستشرقين لأقطابهم ولأنفسهم، بطريقة تناولهم بالتحليل أتباعهم من المستغربين، نجد الفرق شاسعاً، مما يؤكد فكرة الاستعلاء العنصري، الذي هو سمة من سمات المستشرقين.

(١) Ibid. p. 4.

(٢) سيأتي ذلك عند تحليل كلام المستشرق "جون فليوز"، ص ١٨٢ من الرسالة فما بعدها.

(٣) Landberg, Carlos (Discours) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 77 - 78.

٤ - الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية:

تعد الأهداف الثلاثة السابقة هي الأهم من غيرها. وتأتي أهداف أخرى، تم استنتاجها من خلال أعمال المؤتمرات. ومن هذه الأهداف ما كان ذا صبغة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ولو بدرجة أخف من الآخرين.

أ - الأهداف السياسية:

تتمثل الأهداف السياسية بصفة عامة بالجانب الاستعماري، وتكريس السيطرة الدولية والهيمنة السياسية التي هي مفهوم أساس من مفاهيم الاستعمار، وهـدف من أهدافه. يوضح هذا "مادي دو مانجو" منذ المؤتمر الأول عند حديثه عن الثورة اليابانية وعمل الدبلوماسيين في شؤونها فيقول: "لم نصل بعد إلى العصر السعيد، حيث ينظر بعض دبلوماسي الدول الغربية إلى بعضهم، ربما على أنهم أوصياء شرفاء على الأمم الصغيرة، لأنه وإجبههم"^(١). فالهيمنة السياسية إذن هي إحدى أهداف المؤتمرات .

يؤيد هذا الكلام أيضا، "غلان روبلس F. Guillen Robles"، في المؤتمر العالمي الخامس ببرلين، سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ)، لما قال: "لنا دافعان بجبرائنا على أن نولي اهتماما جديا فيما يتعلق بالدراسات العربية... فالأول ذو مصلحة أدبية وتاريخية، ولآخر سياسية واقتصادية، أي مصلحة توسعية، هدفها تكوين مجد"^(٢). وبعد تحليله للعامل الأول، يضيف قائلا: "ويرتبط بهذه المصلحة التاريخية الهامة، هدف اقتصادي وسياسي... فبوصفنا مفصولين عن إفريقيا مقدار نراع بحري، كانت لنا على مر العصور علاقات متميزة مع سكان موريتانيا: علاقة هيمنة وتأثير، علاقات حضارية وتجارية، حروب دائمة منذ الأزمان

(١) Madier de Montjau (Discours) La politique chez les Japonais - Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - p. 139.

(٢) Robles, F. Guillen : "De l'etat actuel des etudes arabes en Espagne" - Verhandlungen des Fuften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881 - T2 - p. 30.

السحيفة حتى أيامنا هذه...^(١) وينقل عن أحد ساسة الأسبان الكبار، وهو الكاردينال "فرانسوا دو سزنيروس" Fracois de Cisneros قوله إن مستقبل بلدنا كائن منذ القدم على هذه الأرض الإفريقية^(٢). لكنه يتحسر أن لم يتم العمل بذلك النصيحة قائلا: "إلا أننا نسينا بعده وطنيته المثالية، كما أننا تركنا جانبا فكرة ملكية أراضيها الخصبة، حيث كان يمكن لموطننا أن يشهد قفزة عملاقة نحو حياة فياضة. لقد أهملنا هذه الرغبة السامية لهذا الفرنسيكاني النشيط، هذه الآمال التي كان يمكن أن تكلفنا ثناء أجيال متعددة، إذ كنا سنجلب الحضارة وسط إفريقيا البربرية"^(٣).

من كل ما سبق من كلام "روبلز"، يتضح لنا مدى البعد الاستعماري الذي تفكر فيه أسبانيا، والذي يعني كما صرح بذلك الهيمنة والسيطرة الاستعمارية. كما يقول أيضا: "لقد تحدثت في البداية عن المصلحة الكبيرة التي تعود بها الدراسات حول المغرب على أسبانيا. إن الرأي العام ينظر من قريب لمسألة نفوذنا المشروع في هذه الإمبراطورية، إننا نتفاعل مع كل تحركاته السياسية المتعددة، ونرغب في تطوير علاقتنا التجارية مع سكانه"^(٤). كل هذا يدل على أن الهدف من الاهتمام بالمغرب وإفريقيا هو السيطرة والتسلط، أو تكوين مجد لأسبانيا كما صرح المستشرق. ولذلك، بدأت أسبانيا بالقيام بالأسباب اللازمة لذلك. فقد واصل المستشرق كلامه قائلا عن المغرب: "لنا جغرافيون درسوا المدن والقرى، وفيلولوجي عرفنا لغة البلد، وكتابا نشرنا للتو كتابا حول علاقتنا مع هذا البلد، وعن تاريخه وأخلاقه ووضعيته ومستقبله"^(٥). من هنا يتبين لنا أن الهيمنة والتوسع أو السيطرة، هدف من أهداف الاستعمار، يؤيدها المستشرقون المجتمعون في مؤتمرات المستشرقين العالمية. أما الهدف الاقتصادي الواضح هنا فسيرد ذكره لاحقا.

(١) Ibid. — T2 — p. 31.

(٢) Ibid. — T2 — p. 31.

(٣) Ibid. — T2 — p. 31.

(٤) Ibid. — T2 — p. 45.

(٥) Ibid. — T2 — p. 46.

من الجوانب السياسية أيضا، التي تهدف إليها المؤتمرات، السلام العالمي والمودة بين الشعوب. يقول المستشرق "لمان Lamman" في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨ م (١٣٤٧هـ) بعد أن قدم تهنئته للجنة التنظيم الذين بذلوا مجهودات قيمة "جعلت من هذا المؤتمر من جدير ذكره في التعاون العالمي من أجل السلم والمودة بين بلدان العالم"^(١)، ولأسيما أن المؤتمر انعقد مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى، وبالتالي فإن الحاجة لعودة الثقة بين الدول، قصد تفادي نكسة عالمية أخرى، شأن جل المثقفين الغربيين بخاصة، والعلميين ككل. ومن هنا جاء هذا المؤتمر ساعيا ليكون أحد المساهمين في الوصول لذلك. وهذا ما ذهب إليه في المؤتمر نفسه المستشرق "موري Moret"، إذ يقول: "لقد جنى المؤتمر إذن، نتيجة هامة من أجل المستقبل العلمي،... ومن أجل السلم العالمي"^(٢). وفي المؤتمر العشرين ببروكسيل سنة ١٩٣٨ م (١٣٥٧هـ)، نحا المستشرق "جون كابار" التوجه نفسه فنكر أن اللقاءات بين العلماء هذه بمقدورها أن تمارس ضغوطا "ليس من أجل التطور العلمي فقط، بل تمثين العلاقات الدولية وتطور الإنسانية"^(٣).

وفي المؤتمر الثاني والثلاثين، تحدثت المستشرقة المكسيكية "جراسيلا دو لا لاما"، عن المؤتمرات وآثرها في التحولات الحاصلة في ميدان الاستشراق في أمريكا اللاتينية فقالت "ربما كان أهم دافع ملح لهذا التحول، هو نمو إدراك الحكومات والتجمعات الأكاديمية حول المقصد المشترك الذي يوحد الشعوب الآسيوية والإفريقية وأمريكا اللاتينية، هو الرغبة في استقلال سياستها واقتصادها وأهمية ثقافتنا الخاصة. وأيضا، دعوني أتمنى أن يساهم هذا التجمع عمليا، في نزع فتيل التهديدات الحربية التي تطارد الإنسانية، وخلق ظروف

(1) Lamman C. R. (Discours) Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 109 .

(2) Moret - Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 97.

(3) Capart, Jean - Resume du parole - Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - p. 37.

سلمية يحتاجها كل إنسان^(١)

ب - الأهداف الاجتماعية:

في مجال الدراسات الاجتماعية للشعوب الشرقية، يسعى المستشرقون، من خلال المؤتمرات للاطلاع على أصول المجتمعات العرقية، وحقيقة تركيباتها الاجتماعية، كما تسعى لتناول بعض الظواهر الاجتماعية. وقد انطلقت الأهداف الاجتماعية كذلك منذ المؤتمر الأول، حيث كان التساؤلات عن المجتمع الياباني متعددة، من ذلك التساؤل التالي كذلك: "ظروف النساء اليابانيات الآنية وثقافتها؟"^(٢). كما بين "لوفابر عدة تساؤلات أخرى، تناولها المؤتمر بالبحث، وهي "أما بالنسبة لليابانيين، من أين جاؤوا؟ أمن مغوليا أم من الصين أم من كوريا؟ ألا تقربهم بعض المجانسات من الجنس الماليزي...؟... ما أصولهم العرقية؟ وتاريخهم؟ وديانتهم؟ ولغاتهم؟..."^(٣). وقد سبق القول إنه لم يرد البتة مخطط لكيفية تناول أي مجتمع شرقي بالتحليل والدرس إلا ما أصدره مع الشعب الياباني. وبالتالي فإن هذه العناصر تعد منهاجا عاما للمجتمعات كافة. والمطلع على البحوث الاستشرافية يتبين له ذلك بكل يسر. ومن هنا، نستنتج أن هذه العناصر تمثل مجموعة أهداف تسعى المؤتمرات لتحقيقها. وقد استفاض المؤتمر الأول في الخوض في الشؤون الاجتماعية وفق تلك النقاط.

ومن الأمثلة التي تدل على أهداف المؤتمرات الاجتماعية، نجد "مادبي دو مونجو" منذ المؤتمر الأول يصرح قائلا عند الحديث عن اليابان: "يجب علينا محاكمتهم، ولاسيما فيما يعملونه لصالح المرأة"^(٤) ويوضح هذا الكلام في موضع آخر فيقول: "نتمسك بالتفكير في مقدار ما تبلغه ظروف المرأة في هذا البلد، وما

(1) Lama, Graciela de la - Mexican Ambassador to India, president of the XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - T1 - p. 26.

(2) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - p. XVIII .

(3) Lefebvre A.: Le premier Congres International des Orientalistes - p. 6.

(4) Madier de Montjau (Discours) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 134.

تصله الظروف السياسية والأخلاقية لهذا البلد، إننا ننتظر رؤية ما ستقدمه الثورة للمرأة اليابانية: دراستها وحريتها وأخلاقها وكرامتها^(١).

كما سنتعرض لأقوال المستشرق "أولجا دو ليبيدو"، عن قاسم أمين ومسعاها في سبيل تحرير المرأة الشرقية^(٢)، ومما جاء في كلامها: "أريد أن أتحدث عن محاولات قاسم أمين باي، الذي أصبح اسما كبيرا بوصفه مشرع إسلامي، والذي يعمل للهدف نفسه الذي نسعى إليه نحن أيضا"^(٣).

وتواصلت عناية المؤتمرات بالأمور الاجتماعية، وتنوعت البحوث الاجتماعية، ولا يكاد الأثر الاجتماعي يغيب عن المؤتمرات، وتعددت الموضوعات الاجتماعية وتنوعت. ومن أمثلة ذلك، كلام "هلتون - سنمبسون Hilton-Simpson" حول تأثير ماضي المتوسطيين في الحياة المعاصرة للبربر الجزائريين^(٤)، وذلك في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، ومما جاء في المؤتمر التاسع عشر، المنعقد بروما سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، دراسة المستشرق "إيشتاين Epstein E."، عن مشكلة البدو في الشرق الأوسط^(٥)، وأخرى لـ "هنري ماسي"، وتعلق بالشياطين والجن في المعتقدات الشعبية الإيرانية^(٦). وجاء في المؤتمر الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، دراسة عن الفتوة لـ "لوي ماسنيون"^(٧). وفي المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، عدة دراسات اجتماعية،

(١) Ibid. pp. 138 - 139.

(٢) سيرد ذلك لاحقاً ص ٥٢٥ من الرسالة.

(٣) Lebedew, Olga de: "Le nouveaux droits de la femme musulmane" - Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - pp. 314 - 315.

(٤) Hilton - Simpson, Capt M.W.: "The Mediterranean past as seen in the present life of Algerian Berbers" - Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 48.

(٥) Epstein E.: "The Bedouin problem in Middle-East - Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti - Rome - 1935 - pp. 575 - 578.

(٦) Henry Masse: "Dmons et Genies dans les croyances populaires de l'Iran" - Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti - Rome - 1935 - pp. 594 - 596.

(٧) Massignon L.: "Sur la Futuwwa" - Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istanbul - 1951 - Vol 2 - pp. 277 - 279.

منها دراسة للمستشقة الروسية "لوتسكايا Loutskaia"، حول الهيكلية الداخلية للجمهورية الريفية^(١)، وأخرى لـ"لوي ماسنيون" عن تركيبة المدن العربية^(٢)، وتعرض "موريس دوران Maurice Durand" عن المخيلة الشعبية الفيتنامية^(٣)، ودرست المستشقة الفرنسية "فيفيانا باك Viviana Paques"، الرمزية في الحقول والمدن التقليدية في جنوب الصحراء وفي السودان^(٤). وهناك في أعمال المؤتمرات العديد من الدراسات، عرضت سواء في لجان المؤتمرات أو الندوات، وبالاطلاع على جدول الندوات، نجد العديد من الجلسات الجماعية المتعلقة بالجانب الاجتماعي، ولاسيما المؤتمر الثلاثين^(٥). والمؤتمرات الأخيرة من بعده، والتي غلبت عليها الدراسات الاجتماعية، تماشيا مع تيار الدراسات الاستشرافية، وبخاصة، بعد بروز الاستشراق الأمريكي الغالب على التيارات الاستشرافية الأخرى. وهذه كلها ذات أهداف اجتماعية.

ج - الأهداف الاقتصادية:

بان الهدف الاقتصادي منذ المؤتمر الأول كذلك. فقد ورد في المنشور الرابع أن من بين المشاركين اقتصاديين وأصحاب رؤساء أموال وتقنيين وتجارا وفلاحين^(٦). ومن بين الموضوعات المطروحة مشكلات الصناعة الأوروبية وتجارتها، وممثلها في اليابان، وموضوع تربية دودة القز في اليابان، والبحث

(١) Loutskaia N. S.: "Apropos de la structure interieure de la Republique du Rif" – Le XXVeme Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 – T2 – pp. 26 – 28.

(٢) Massignon L.: "Structure des Cites Arabes" – Le XXVeme Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 - T2 – pp. 32 – 35.

(٣) Durand, Maurice: "L'Imagerie Populaire vietnamienne" – Le XXVeme Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 – T4 - pp. 399 – 401 .

(٤) Paques, Viviana: "Symbolisme du Champ. et de la cite traditionnels dans le Sud Saharien et au Soudan" – Le XXVeme Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 – T5 - pp. 496 – 498.

(٥) يمكن الاطلاع على ذلك بالملحق رقم ١٨ ص ٦٩٣ من الرسالة.

(٦) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. XVII.

عن وسائل الحصول على أفضل بذرة لدودة القز في أماكن الإنتاج وفي الأسواق المفتوحة للأوروبيين^(١). ومما سيدرس في المؤتمرات^(٢)، سيتضح مدى أهمية هذه الجوانب بالنسبة للغربيين، ومدى اهتمام المستشرقين به، ولاسيما دودة القز، مما يوضح أن الجانب الاقتصادي هو أحد أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية. من ذلك مثلا ما قام به المستشرق "بول أوري" الذي تحدث عن المعادن، ولاسيما مناجم النحاس، التي عدد أماكنها، وفرق بين الثرية منها والفقيرة^(٣)، وما ذلك إلا لأهداف اقتصادية بحتة. أما المؤتمرات الأخيرة فغلب عليها البحث في المشكلات الاقتصادية المعاصرة مثل البترول والحاسوبات وغيرها^(٤).

من جهة أخرى، يعد الهدف الاقتصادي، أحد دوافع الاستعمار. ففي كلام "روبلز" السابق^(٥)، تصريح بالهدف الاقتصادي والتجاري مع إفريقيا عامة، والمغرب خاصة. وفي هذا المقام أيضا، يتحدث "إيرون دو فيلافوس" في المؤتمر الرابع عشر في الجزائر سنة ١٩٠٥ م (١٣٢٣هـ) عن رينان بأنه يرى أن غزو فرنسا للجزائر، سيكون مجدا لفرنسا، لما للجزائر من ثروات معدنية وأثرية^(٦). ويؤيد ذلك كلام الوزير "بيانفوني - مارتن" في المؤتمر عينه، لما قال: "لقد جعلتكم تطلعون على الجهود الفرنسية المتواصلة والمبذولة منذ نصف قرن، كي تبرز الثروات الطبيعية القيمة التي تحويها الجزائر"^(٧).

(١) Ibid. p. XVIII.

(٢) سيرد ذلك لاحقا ص ٤٣١ وما بعدها من الرسالة.

(٣) Paul Orey (Discours) Le minéral de Cuivre au Japon - Congrès International des Orientalistes - Compté rendue de la première session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 339 - 340.

(٤) يمكن الاطلاع على مثل هذه النوعيات من خلال جدول على الندوات بالملحق رقم ١٨ ص ٦٩٣ من الرسالة.

(٥) سبق ذلك ص ١٢٨ وما بعدها من الرسالة.

(٦) Villefosse, Heron de (Discours) - Actes du XIV^{ème} Congrès International des Orientalistes - Alger - 1905 - première partie - p. 73.

(٧) Bienvenu-Martin (Discours), Ministère de l'Instruction Publique et des Cultes - Actes du XIV^{ème} Congrès International des Orientalistes - Alger - 1905 - Première Partie - p. 77.

في المجال هذا، تحدث "صمويل بيرتش" في المؤتمر الثاني بلندن، فبين أن تعلم المعارف سببه اقتصادي، وبالتالي فيجب التعرف على خصائص الثقافة الشرقية فيقول: "في هذا البلد، تخنق عصابة إمبراطوريتنا الآسيوية، هذه الروابط التي تعقد تجارتنا مع بقية الأمم في الشرق، لذا، فإن معرفة لغات تلك الأمم وأفكارها وتاريخها، ضرورة ماسة، وليست مجرد ترف"^(١).

تلك إذن هي أهم الأهداف التي تسعى مؤتمرات المستشرقين العالمية لتحقيقها. وهذه الأهداف كما تبين تصب كلها للمصلحة الغربية عامة، إذ ليست كلها ذات صبغة علمية، أو حتى استشرافية صرفة، ورغم التحويرات التي حلول المستشرقون القيام بها في مسار المؤتمرات العلمي والإداري، إلا أن تلك الأهداف لم تمنح بعد من مسار المؤتمرات، إذ لا تزال هناك دراسات تهدف لتحقيق تلك المصالح.

(1) Birch, Samuel — Inaugural Address — Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 — p. 3.

**الفصل الثالث: مؤتمر المستشرقين العالمي
الأول: باريس ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)**

المبحث الأول: انعقاد المؤتمر ونظامه العام
المبحث الثاني: أعمال المؤتمر الدراسية
**المبحث الثالث: نتائج مؤتمر المستشرقين العالمي
الأول**

الفصل الثالث: مؤتمر المستشرقين العالمي

الأول: باريس ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)

توطئة:

استقر أخيرا أمر انعقاد مؤتمر المستشرقين العالمي الأول. وفي غرة سبتمبر سنة ١٨٧٣م (التاسع من رجب ١٢٩٠هـ)، انطلقت أعمال هذا المؤتمر، في جامعة "السربون" بباريس. وبما أن هذا المؤتمر يؤلف أولى خطوات مسار المؤتمرات هذه، والتي لا تزال تنعقد حتى العصر الحاضر، يجدر تسليط بعض الأضواء عليه للتعرف على أبرز سماته وخصائصه وكذلك سلبياته.

من المعلوم أن أصعب الأمور بداياتها. وفي هذا المجال كان هذا المؤتمر هو المحك الذي سينبني عليه مستقبل هذه المؤتمرات. فإما أن ينجح، وتكون له الدعاية الكافية التي ستؤدي إلى استمرار نشاطه، وإما أن يفشل فشلا ذريعا، ويصبح من آثار الماضي، وبالتالي تنطفئ جذوة النشاط هذا من أوله.

ولا شك أن وجهات النظر المختلفة، سيكون مسرحها عند الانطلاقة، لذلك تعرض المؤتمر لمثل هذه المشكلات. والتنظيم الذي وضع ليسير على منهاجه كان نظريا بحثا. والواقع قد لا يصدق النظري، ومن ثم، سيكون هذا المؤتمر تجربيا، ليرى هل هو قادر على تنفيذ ما سطره على الورق، أو يفشل في ذلك. وسينظر أيضا إلى إيجابياته وسلبياته. وهذا المؤتمر الذي استطاع لم شمل أعداد كبيرة من الشخصيات المتخصصة في المجال الاستشراقي وغيرها، سيوضع المؤتمر في عدسة المجهر، وتنتج له الأنظار، ومن ثم يتم تقويمه.

ومن خلال السطور القادمة، سيحاول البحث توضيح هذه الأمور، وبيان العوامل التي أدت لنجاح المؤتمر في مهمته، ومن ثم قدرته على دخول عتبة التاريخ المعرفي من باب الواسع، ودوام نشاطه حتى وقتنا الحاضر، والذي سيتواصل عمله حقبة أخرى من الزمن، وقد تطول أيضا.

المبحث الأول: انعقاد المؤتمر ونظامه العام

اكتملت التحضيرات الأولية، لانطلاق أعمال المؤتمر بباريس. وفي الأول من سبتمبر، عند الساعة التاسعة والنصف صباحا، ابتدأت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر.

١- جلسة المؤتمر الافتتاحية:

إذا قارنا جلسة افتتاح مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، بالجلسات الافتتاحية لسائر المؤتمرات اللاحقة، فإن وقائع جلسة المؤتمر الأول كانت مختصرة جدا: فلم تكن هناك كلمة مطولة لرئيس المؤتمر أو من ينوب عنه، ولا للمندوبين الرسميين، ولا لأعضاء سياسيين أو باحثين مرموقين ومشهورين عالميا. بل إنه المؤتمر الوحيد الذي تغيب عنه السلطة السياسية عند افتتاحه. فقد اكتفى وزير الثقافة، الذي يبدو أنه كان مقرا أن يرأس تلك الجلسة، بإرسال اعتذار عن ذلك، نظرا لالتزامات سياسية يقوم بها في مقاطعة فرنسية، وقال للمؤتمرين في رسالة بخط يده: "ستجدون من ضمن أعضاء لجننتكم التنظيمية رجالا يقومون بمهام الرئاسة، وليس عليكم سوى أمر الاختيار"^(١).

ويبدو من هذا التصرف أن الإدارة السياسية لم تكن واثقة من إمكان نجاح تلك المبادرة، ولا سيما إذا قارناها بتصرف بعض الساسة لاحقا^(٢)، الذين كانوا يخصصون لجلسة افتتاح المؤتمر وقتا خاصا. هذا الشعور لم يكن يخالج الساسة فقط، بل حتى المستشرقون أنفسهم، فقد صرح بذلك "دو شاتو" بقوله: "قدم هذا المؤتمر تطورا آخر للعلم، الأمر الذي نقر بخطئنا من أننا لم نكن واثقين منه"^(٣).

(١) Congrès International des Orientalistes - Compte rendu de la première session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 52 - 53.

(٢) مثال ما قام به رئيس وزراء الهند "نهرو"، الذي أجل جولة سياسية كانت مدرجة في برنامجه، من أجل افتتاح مؤتمر المستشرقين العالمي للمسلم والعشرين، الذي انعقد في "نيو دلهي"، سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ).

(٣) Julien Duchateau: Une création scientifique française ... p. 3.

في مقابل هذا التصرف، نجد المؤتمر ينوه بمبادرة الأمير "دون أغوست" ،
دوق "كوانبر" Don August Duc de Coimbre ، وولي عهد البرتغال، لرغبته
في أن يكون على رأس اللجنة الوطنية البرتغالية، حتى يشجع الدراسات الشرقية
في الدول الغربية، وقرر المؤتمر توجيه شعور امتنانه للأمير البرتغالي، وأرسل
برقية عاجلة في ذلك للمستشرق البرتغالي "دا سلفا Da Silva"، مندوب لجنة
التنظيم المركزية ببرشلونة^(١).

وكان الرأي العام السياسي الخارجي مؤيدا للمؤتمر، إذ سعت مؤسسات
سياسية وعلمية لتمثيل نفسها فيه، فقد كانت قائمة المنخرطين تحتوي خمسين
وأربعمئة اسم أعضاء في مؤتمر المستشرقين العالمي، ومن ضمنهم عدد كبير
من المثقفين العلميين ورجال الأدب الأوروبيين، أساتذة وكتاب روايات. كما أن
العديد من الأكاديميات والمؤسسات العلمية، سعت لتمثيل نفسها في المناسبة،
وكذلك العديد من الملوك والأمراء أيضا^(٢).

من هنا، يبقى السر في تغيب السلطة السياسية الفرنسية عن افتتاح المؤتمر
غامضا، وما يتبادر إلى الذهن، هو الشك في النجاح العلمي للمؤتمر. وقد سبق
بيان أن انعقاد المؤتمر كان بمبادرة شبه بعيدة عن الحكومة^(٣).
ثم افتتاح المؤتمر على جلستين. اهتمت الأولى بأمر انتخاب رئيس المؤتمر
والسكرتير العام، وأعضاء مجلس المؤتمر. وقد تم الانتخاب بعد التتويه
بالأكاديميات والمؤسسات العلمية التي أرسلت مندوبين عنها^(٤).

أما شأن الانتخاب، فلم يمر دون صعوبات، واشتد النقاش^(٥)، الأمر الذي
دعا الرئيس "دو روسني" إلى قطع الجلسة. وبعد محاورات ومناقشات، اقتصر

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 53 - 54 .

(٢) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres ... pp. 3 - 4, and Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 49 - 50.

(٣) مر ذلك ص ٦٦ من الرسالة.

(٤) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 49 - 50.

(٥) دار جدال حول كيفية انتخاب أعضاء المؤتمر، الأمر الذي أجبر الرئيس على توقيف الجلسة لبعض الوقت، حتى يتمكن الأعضاء من التحاور فيما بينهم حول الموضوع.

الاقتراح على اختيار الرئيس والسكرتير العام ومجلس المؤتمر^(١)، وتكونت لجنة نفرز الأصوات^(٢). وعند عودة الجلسة بعد الإدلاء بالأصوات بطريقة الاقتراع السري، أعلن الرئيس نتيجة الاقتراح، فكانت على النحو التالي^(٣):

- الرئيس: ليون دو روسني.

- السكرتير العام: القبطان لو فالوا.

أما المجلس، فيتكون من أعضاء فرنسيين وآخرين من مستعمرات فرنسية، ومن أنحاء أوروبا وأمريكا، وبلغ عددهم ثلاثة وعشرين فرداً^(٤).

في هذه الجلسة، لم يجد رئيس المؤتمر المنتخب الوقت الكافي لإلقاء كلمة ضافية بالمناسبة، فاكتمى بالتعبير عن مشاعره باقتضاب، شاكر أعضاء الاجتماع، ونوه بالمساعدين والمشاريعين له في بعث هذه المؤسسة العلمية، وأعلن عن افتتاح المؤتمر^(٥).

أما الجلسة الثانية، التي عقدت مباشرة بعد السابقة، فقد رأسها الأميرال "روز". وبعد قراءة رسالة الوزير السابقة^(٦)، ألقى الأميرال "روز" كلمة قصيرة، ركز فيها على أهمية الدراسات والأبحاث التي ستلقى في المؤتمر، ومما جاء فيها: "إن الفكر الذي يوجهكم، يملئ حب العلم والإنسانية قبل كل شيء. والهدف الذي تتبعونه مفيد في أساسه كما أن أبحاثكم ستؤدي إلى تأثير ناجع، بعقد المزيد من الروابط التي تصلنا بالشعوب التي ستعرفنا بتاريخها ونبوغها بدقة أكبر. فلنشكر إذن رجال المعرفة، وهم من ضمنكم، الذين يعود لهم فضل المبادرة لهذه المهمة الطيبة ... كما علينا أن نوجه احترامنا للعلماء الأجانب الذين تفضلوا

Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 50 - 51.

(١) Ibid. - Tome premier - p. 51.

(٢) ضمت هذه اللجنة كلا من "كستور دو رافيزي" و"جويدي كورا Guidi Cora"، و"لسمبيني". المرجع السابق Tome premier - p. 51

(٣) Ibid. Tome premier - pp. 51 - 52.

(٤) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome Troisième - p. VI.

(٥) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - pp. 52 - 53.

(٦) مر ذلك ص ١٣٧ من الرسالة.

بالاستجابة لدعوتكم^(١).

تم بعد ذلك توزيع جوائز تقديرية، لمجموعة من العاملين السابقين والمتعاونين في حقل الاستشراق^(٢). ثم قرأ الرئيس جدول أعمال المؤتمر، ورفعت الجلسة بعد منتصف النهار بنصف ساعة. تلك هي خلاصة ما جاء في النصف الثاني من الجلسة الافتتاحية.

٢ - نظام المؤتمر الإداري:

إضافة إلى لجنة التنظيم المركزية، التي تعمل بصورة شبه دائمة، حتى تنتهي مهمات المؤتمر، وتنتقل من بداية التحضيرات الأولية، ولا تنتهي عادة إلا بطباعة أعمال المؤتمر، فقد انتخب مباشرة إطار إداري للمؤتمر. وقد تكون من رئيس وسكرتير عام ومجلس للمؤتمر، وضم المجلس أربعة عشر عضوا^(٣) من جل بلدان أوروبا، إضافة إلى الولايات المتحدة من القارة الأمريكية، ولا يوجد من البلدان الشرقية سوى الياباني "إمامورا وارو"، ولعل ذلك بسبب تركيز الأبحاث على الدراسات اليابانية.

أما الإدارة المالية، فلم يذكر فيها سوى محاسبها "جوليان دو شاتو"^(٤)، وهو مكلف بتسيير الشؤون المالية، من مصروفات وعوائد، سواء منها التبرعات أو المساهمات أو رسوم الاشتراكات، كما أنه مكلف بالبحث في إمكان تخفيض أجور النقل^(٥)، وربما الإقامة، ومصاريف المعرض الذي سيقام بتلك المناسبة. وقدرت لجنة التنظيم المركزية، أن يعين المؤتمر في نهاية جلسته العامة الثانية، لجنة

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 55.

(٢) Ibid. - Tome premier - pp. 57 - 59.

(٣) Ibid. - Tome premier - pp. 50 - 51, and Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres ... pp. 4 - 5.

(٤) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - p. V, and p. XII.

(٥) Ibid. - Tome troisieme - p. XII.

مكلفة بفحص حسابات المحاسب^(١)، كما قررت أنه إذا ما سدد المحاسب كل مصاريف الدورة، فإنه يعهد بما تبقى لصالح الدورة القابلة، ويضعه بين يدي محاسبه، يوم افتتاح أعمال المؤتمر ذلك^(٢).

تلك هي أهم جوانب النظام الإداري، الذي سار عليها مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، وقد تمكن هذا النظام من إنجاح هذا المؤتمر، مما كان له الأثر الفعال، في نجاح ما لحقه من مؤتمرات أخرى.

٣ - نظام المؤتمر العلمي:

اتخذ المؤتمر نظام الجلسات، أسلوباً لمناقشة موضوعاته. كان معدل الجلسات، جلستين كل يوم، وأحياناً ثلاثاً. وتعددت أساليب دراسة الموضوعات. فالظاهرة العامة في الجلسات، أن تبحث الموضوعات بطريقة الحوار المباشر، بحيث يتباحث المؤتمرين حول موضوع ما، وهي الظاهرة العامة: بعض الدراسات تتم بإلقاء محاضرة حولها، ولا توجد مناقشات حول ذلك الموضوع، ربما لوضوحه أو لنفرد المحاضر ببحث الموضوع، أو لبعده^(٣). وهناك دراسات يلقي الباحث فيها تحليله حولها، ثم يبدأ النقاش^(٤). كما أن بعض الدراسات تتم عن طريق التناوب، وقد تتحول الأنظار وأهمية الموضوع من المحاضر الرئيس لتسلط على شخصية أخرى، تحتوي الموضوع تماماً، لتعمقها فيه أكثر من الأول، مثل ما حصل في الجلسة الحادية عشرة، إذ كان المستشرق "دو لوريي"، هو الذي بدأ تحرير الموضوع، ثم أصبح القديس "لونجنهوف"، هو محور الاهتمام، لإلمام الرجل بالعديد من جوانب الموضوع، على نحو أعمق مما لدى المستشرق الأول، بل إنه سيطر على مجريات الجلسة كلها^(٥).

(١) Ibid. - p. IX.

(٢) Ibid. - p. X.

(٣) مثال ذلك: Ibid. - Tome premier - pp. 61-69, and pp. 536-552, and Tome deuxième - pp. 7-36, pp. 252-260, and others.

(٤) مثال ذلك: Ibid. - Tome premier - pp. 69-80, pp. 169-171, and others.

(٥) مثال ذلك: Ibid. - Tome premier - pp. 496-536.

أما الجلسات، فقد كانت إحدى وعشرين جلسة، ليلاً ونهاراً، على مدى أحد عشر يوماً^(١). والملاحظ أن هذه الجلسات، تجاوزت العدد الذي كان محدداً سلفاً. فقد كان من المقرر في البرنامج أن تعقد سبع عشرة جلسة^(٢). لذا، فقد تجاوز المقرر بأربع جلسات، فقد أضيفت جلسة افتتاحية، وجلسة الدراسات الدرافيديّة، والدراسات السنسكريتيّة والدراسات البوذية. كما أنه كان من المقرر أن تشمل جلسة الدراسات الإيرانية، الدراسات الهندية أيضاً، لكنها انفردت بجلسة خاصة بها، وخصصت جلسة مستقلة أيضاً للدراسات البوذية. وأما الدراسات الدرافيديّة، والدراسات السنسكريتيّة، فلم تكن مدرجة في البرنامج أصلاً^(٣)، وكلتاها أضيفت. وفي حين حافظت الدراسات اليابانية على عدد جلساتها، إلا أن موضوعاتها المعنية سلفاً لم تحافظ على ترتيبها حسب البرنامج المعد^(٤). كما أن تفصيلات المسائل التي عبر عنها البرنامج الأولي، لم تطرق برمتها. فهناك موضوعات عدة، لم يتم التطرق لها، والأمر مطرد في كثير من الدراسات، سواء المتعلقة باليابان أو تلك المتخصصة ببقية جوانب الدراسات الاستشرافية، وقد أقر المستشرقون بهذا القصور، رغم النجاح الذي شهده المؤتمر. يقول أحدهم حول الموضوع: "لم يتم التطرق لكل المسائل المدونة في البرنامج. لم يتسع الزمن المحدد لكل جلسة القيام بذلك، لكنها ستأخذ دورها. فهذا المؤتمر ليس سوى أولى حلقات السلسلة"^(٥). إذن، هذا بيان واضح عن عدم التمكن من طرق كل ما جاء في الجدول المعد سلفاً. كما يؤكد هذا الكلام حديث من آخر جاء فيه "لقد تم الوصول للجلسة الختامية، ونحن نعلم أن مسائل عدة، موضوعة في البرنامج ما أمكن طرقها"^(٦). كما أن المباحثات لم تصل إلى نتائج قاطعة في أغلب الأحيان.

(١) Ibid. - Tome premier - pp. XXVII - L.

(٢) Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - pp. XXVII - L.

(٣) Ibid. - Tome troisieme - p. XXII

(٤) Ibid. - Tome premier - pp. 390 - 417.

(٥) A. Lefebvre: Le premier Congrès International des Orientalistes - pp. 3-4.

(٦) L...: Le premier Congrès International des Orientalistes. Discours sur les Tourans en general et sur les Turcs Ottomans en particulier - Paris - E. Dentu, Libraire-Editeur - Palais Royal - 1873 - p. 6.

رغم توضيحها الغموض المحيط بتلك المسائل، وفي هذا المجال يقول "لوفابر"، متحدثاً عن الجلسات اليابانية: "الجلسات السبع، المخصصة لليابان، هذا الكم من دراسات العلماء، والمباحثات العلمية، أدت إلى توضيح المشكلات العسيرة، أكثر مما أوجدت حلولاً لها..."^(١).

أما من ناحية مسار الجلسات، فكل جلسة كان يرأسها أحد أعضاء المؤتمر، وتحصل التدخلات بعد موافقته وبإذنه. ويتم المناقشات باحترام في عمومها. إلا أنها قد تحدث بعض الاعتراضات، كما تحدث مشادات أيضاً، تضطر الرئيس للتدخل أحياناً وإيقاف النقاش. فبعد نقاش مثلاً بين المستشرقين "شافى" و"إيشهوف Eichhoff"، تدخل "ليون دو روسني"، رغم أنه لم يكن الرئيس لتلك الجلسة الخاصة بالدراسات الهندية، ومما قاله في نهاية تدخله: "... أظن أنه من الخطأ أن يدخل المؤتمر في مناقشات من هذا النوع، إذ إنها ستؤدي به خارج الحدود التي رسمت له، ولا يمكنني إلا أن أدعو الجميع لكي يمتسكوا قدر المستطاع بتحليل النصوص الشرقية، التي أسس عليها العلم الذي يسمى الاستشراق"^(٢).

هذه هي أهم سمات نظام المؤتمر الإداري، التي صار عليها مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، وهي في عمومها إيجابية، حققت النجاح العام للمؤتمر، الأمر الذي أدى إلى تواصل انعقاد المؤتمرات اللاحقة، حتى اليوم.

(١) A. Lefebvre: Le premier Congrès International des Orientalistes - p. 7.

(٢) Congrès International des Orientalistes - Compte rendu de la première session - Paris-1873-Tome deuxième - Etudes Indiennes - Discours de Leon de Rosney- p. 407.

المبحث الثاني: أعمال المؤتمر الدراسية

في هذا المبحث، سنتطرق الدراسة لتقديم ملخص مختصر لمجريات دراسات المؤتمر ومسارها. فقد عقدت ثماني عشرة جلسة دراسية علمية، خصصت سبع منها للدراسات اليابانية، منها واحدة تعلقت بالدراسات الصينية. أما الجلسات الأخرى، فقد كانت موزعة على فروع الدراسات الاستشرافية الأخرى.

١- مسار الجلسات العلمية الخاصة بالدراسات اليابانية:

انطلقت الجلسة الأولى من الدراسات اليابانية وكانت الثالثة من جلسات المؤتمر، لتتباحث حول آثار اليابان وفنونه الجميلة^(١). ترأس الجلسة القنصل الياباني "ساميزيما ناومويو". درست في هذه الجلسة الحقب التاريخية القديمة التي مرت بها اليابان.

وتعد الجلسة الثانية، من الدراسات اليابانية، أهم جلسات المؤتمر على الإطلاق، حسب العديد من المستشرقين، إذ تعلقت بالنقل الأوروبي للنصوص اليابانية، والبحث لها عن طريقة أبجدية بالحروف اللاتينية^(٢). وفي الجلسة تلك، صمم المؤتمر على الوصول إلى نتيجة، الأمر الذي مدد الجلسة، لتعقد جلسة ملحقة أخرى، وهي الجلسة الأخيرة من الدراسات اليابانية، التاسعة من جلسات المؤتمر، انطلقت الساعة الثامنة ليلا، وطالت حتى منتصف الليل^(٣). وكان للتوضيحات والتحليلات التي قدمها العديد من المتخصصين، حول القواعد اللغوية والفيولوجية والصوتية، ثم تم التوصل أخيرا إلى اعتماد نظام يتناسب مع رغبات الغرب المختلفة، وفنون طباعته. إلا أن الملاحظ عمليا، أن ذلك بقي حبرا على ورق، أو انحصر في العالم الغربي، إذ لم تأخذ اليابان حتى العصر الحاضر، بتلك

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 60 - 113.

(٢) Ibid. - Tome premier - pp. 114 - 130.

(٣) Ibid. - Tome premier - pp. 391 - 417.

الطريقة ولا غيرها، بل احتفظت بلغتها وأصالتها، وهي الآن من الدول العظمى في العالم.

في الجلسة الثالثة^(١)، التي جلبت جمهوراً من الحضور كبيراً، درست التطورات السياسية والدينية وظروف المرأة اليابانية، والحقبة اليابانية المعاصرة. وقد عبر المستشرقون عن إعجابهم واستغرابهم وخوفهم من التطورات السريعة التي تحصل في اليابان، ولاسيما في الناحيتين السياسية والدينية. كما بين أن التغيير طال الجانب الديني أيضاً، إذ لم يكتف الشعب بإعادة تشكيل إطاره الديني، بل إنه عرض معابد له وآلهة للبيع بالمزاد، دون غيرة، ولا اهتمام. وعن ظروف المرأة، دعا المؤتمر للمزيد من مبادرات تحريرها.

في الجلسة الرابعة^(٢)، درست إثنوغرافية اليابان ولغوياته وآدابه القديمة، بحيث تباحث المؤتمر أصول الجنس الأصفر الياباني العرقية، وصفاته الأنثروبولوجية، ومواطنه الأصلية، وهجراته التاريخية. وخصصت الجلسة الخامسة^(٣) للعلوم والتقنية والمعادن وتربية دود القز وصناعة الحرير باليابان. ولما جاء دور الفلاحة، اهتم المستشرقون فيها بشراء الأرض رغم سوء استخدام السجاد، حسب رأي المستشرقين، وأنه بالإمكان إثراء الأرض أكثر.

أما الموضوع الحيوي الذي شغل المستشرقين، فكان دود القز، الذي أصابته عدوى مرضية في أوروبا، لم تسلم منها ولم تثبت سوى البذور اليابانية. لذا تباحث المؤتمر مطولاً حول أساليب تربية دود الحرير الياباني، وكيفية المحافظة عليه بعد استيراده لأوروبا، ولاسيما أنه تمكن من التأقلم، ونجح نجاحاً باهراً في الإنتاج، وكانت طاقته الإنتاجية مرتفعة. جاء هذا البحث وسط شكوى من ارتفاع واردات الحرير من الصين واليابان ارتفاعاً كبيراً، ورأى المستشرقون ضرورة الاعتماد على النفس في شراء البذور وتنميتها، حتى لا تبقى تجارة الغرب يهيمن عليها غيرهم.

(١) Ibid. - Tome premier - pp. 131 - 168.

(٢) Ibid. - Tome premier - pp. 169 - 288.

(٣) Ibid. - Tome premier - pp. 289 - 345.

كما وضحت الجلسة ثراء البلد المعدني، وأن الأرض اليابانية تحتوي على معادن عديدة، سواء الذهب أو الفضة أو الزنك أو غيرها من المعادن، ولا سيما النحاس، الذي تشهد جل أراضي اليابان وجوده فيها، بنسب متفاوتة، إضافة إلى سهولة الحصول عليه، وقلة المصاريف الضرورية لاستخراجه.

أما الدراسات الصينية^(١)، فبينت أن الصين معروفة لدى الأوروبيين أكثر من اليابان. فقد أمكنهم التعرف على حقبة التاريخ المختلفة، وكذلك ثقافتها وفلسفاتها وأدبياتها. والصين قوم مهاجرون جاؤوا من وسط آسيا. وحتى الشعب الأصلي الذي غلبوا عليه، لقي حضه من البحث، في تقاليده وعاداته وأخلاقه ودياناته ويطولاته.

٢ - الجلسات الخاصة بالدراسات الاستشرافية الأخرى:

على غرار ما تم بالجلسات الخاصة بالدراسات اليابانية، يهدف هذا العنصر إلى تسليط الضوء على مجريات أعمال اللجان المختلفة الأخرى، وأهم الموضوعات التي تناولتها بالتحليل.

أ- جلسة الدراسات التتارية والهند-الصينية^(٢): اهتمت هذه الجلسة بالجانب اللغوي للشعوب المنغولية والتركية والطورانية بصفة خاصة. وتعرضت للهجرات التتارية والمنغولية، وتوزعها في أنحاء العالم، في عصور ما قبل التاريخ. فإن كان انتشار التتار شمل شمال آسيا وروسيا حالياً، بل وشمال أوروبا ومنطقة تركيا، فإن المنغوليين توجهوا تلقاء الهند والصين وجنوب آسيا.

واهتمت الجلسة بظواهر دينية واجتماعية للشعب التبتى البوذي، وكذلك الشعب السيامي، وقدمت نصوصاً مترجمة تتعلق ببوذا والبوذية، ذات أصول تبتية، وتهتم بالجوانب الفلسفية والفكرية للبوذيين والبوذية.

(١) Ibid. - Tome premier - pp. 352 - 389.

(٢) Ibid. - Tome premier - pp. 419 - 496.

ب - الدراسات المحيطية^(١): تتعلق دراسات هذه الجلسة بالمنطقة المالايوية وما جاورها. وقد فاجأ القديس "لأنجهوف" الهولندي المؤثرين بما لديه من معلومات عن قبائل "الداياك Dayak" الموجودة في أدغال "بورنيو Borneo"، وهي منطقة لم يجرؤ أحد على ولوجها من قبل، مبينا أن الحكومة الهولندية منعتة لكنه أصر وصمم على دخول المنطقة. وفي الجلسة، امتدح الداياك الوثنيين وأشاد بلطفهم وطبيعتهم وسجيتهم ورقتهم، في حين وصم الداياك الذين أسلموا بأنهم برابرة ووحوش، ويعود سبب توحشهم، كما يقول، لتأثير المحمدين فيهم، ورأيه هذا من رأي العديد من المستشرقين الذين يتضايقون من كل ما يمت للإسلام والمسلمين بصله، ويضيقون ذراعا بأي مناقسة منه ولو يسيرة. وهذا الشعب استهلك معظم وقت هذه الجلسة.

موضوع آخر اهتمت به الجلسة، يتعلق بملوك "مالاكا Malaka"، التي تأسست في العام ١٢٥٢م (٦٥٠هـ)، وأنها دخلت في الإسلام في عهد ملكها الرابع "رجا كتشيل بيسار Raja Ketchil Bessar"، الذي تسمى بـ "السلطان محمد شاه"، وهو أول ملك مسلم بمالاکا. وسطع نجم المملكة، وهيمنت على الدول المجاورة لها، وانتصرت على البرتغاليين في مواقع، قبل أن تقع بين أيديهم، بعد أن طلب الغزاة مددا خاصا من لشبونة.

كما درست التطورات التاريخية للأدب في جاوة وكاوي، واهتمت الجلسة أيضا بوسائل الدفاع والهجوم عند القبائل المتوحشة في المنطقة.

ج - الدراسات المصرية^(٢): تعد الدراسات المصرية إحدى الموضوعات التي لا تكاد تفارق أي مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين. فقد صادف انعقاد المؤتمر الأول، نشوة الاهتمام القوي بتحليلات الكتابة الفرعونية وقراءتها، والكشف عن المزيد من تلك الآثار، فكانت هي ثمرة العصر الاستشراقية الأولى، لذا، كانت هذه الجلسة مسرحا لتحليلات طويلة ومتعددة الموضوعات.

(١) Ibid. - Tome premier - pp. 497 - 571.

(٢) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 7 - 116

د - الدراسات الآشورية والآثار السامية^(١): افتتح الجلسة "جيل أوبار"، يبحث يتعلق بالتطورات الحاصلة على نقل نقوش الكتابة المسمارية، مرجعاً أصول الاهتمامات بها إلى مجموعة من رحالة القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. وأن الانطلاقة في معرفة تلك النصوص ترجع لوجود أنواع ثلاثة من الكتابات، الفارسية والآشورية والأرمينية، التي كانت تكتب جميعها بالصفات المسمارية، في بعض الآثار الفارسية. ومن ثم سهل حل رموزها، بعد عشرات السنين من البحث.

كما عرضت دراسات أخرى تتعلق بنظام تكون الكتابات المسمارية، وأنظمة نقلها وقراءتها بمختلف الألسن الآشورية، وكذلك دراسة بعض الكلمات والخلافات حولها. ومن بينها مقالة تتعلق بـ"تموز".

هـ - الدراسات السامية^(٢): بدأت المباحثات في هذه الجلسة بتحليل لترجمة حديثة عن الكتاب المقدس، كما تم عرض نصوص من نقوش سامية سريانية وقرطاجية و آرامية. أما البلدان البارزة في ميدان البحوث السامية هي إنجلترا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا والبلدان المنخفضة، وتأتي على قمته إنجلترا، بما أنها أول من بدأ الكشف عن النقوش والكتابات الآرامية، منذ نهاية القرن الثامن عشر، وساعدها وجود مخطوطات وآثار بها كتابات آرامية في المتاحف البريطانية.

كما عرضت دراسة حول اللهجات السريانية المعاصرة للمؤتمر، التي لا تزال توجد في مناطق سوريا، وأخرى حول القصيدة المقدسة عند المارونيين، إضافة إلى مساهمات متنوعة حول قضايا دراسية سريانية.

و - الدراسات الإيرانية^(٣): ترأس هذه الجلسة سفير فارس - هكذا ورد - الجنرال "نازار آغا Nazar Aga". وفي هذه الجلسة عرضت دراسات عدة حول اللغات الإيرانية القديمة، وعن جغرافية بعض المناطق فيها، وعقيدة الوجدانية عند الفرس القدامى، وعن العقيدة الزرادشتية، وأثرها.

(١) Ibid. - Tome deuxième - pp. 117 - 229.

(٢) Ibid. - Tome deuxième - pp. 231 - 313.

(٣) Ibid. - Tome deuxième - pp. 314 - 326.

ز - الدراسات الدراڤيدية^(١): هذه المنطقة من العالم، تعد موطن قبائل بدوية تسمى القبائل الطورانية. وتتكون من الشيت والهنس والهنغاريين والمغول والتتار والترك. وكانت لهم علاقات مع التبت والصينيين والكوريين واليابانيين، وشعوب الهند-الصينية، الذين يشتركون معهم في الجنس الأصفر، تصل حد الانصهار أحيانا. هذه الشعوب تمت دراستها. كما درست اللغات الطورانية في عمومها.

ح - الدراسات الهندية^(٢): بدأت الجلسة بتقرير عن تقدم الدراسات الهندية منذ العام ١٨٦٧م (١٢٨٣هـ)، مبينا أنها لم تتوقف، ولا سيما في ألمانيا، وبخاصة ما يتعلق باللغات، وبالتحديد، السنسكريتية، وكذلك الآداب، عارضا دراسات نشرت في تلك الفترة، وبعض المخطوطات والمعاجم، وأخرى في القواعد اللغوية والشعر، والديانات والعادات، والعلوم والفلسفة، والقانون والفيلولوجيا المقارنة والتاريخ. كما قدم مثال لترجمة نصوص من الأدب الهندي القديم، وأخرى حول نظرية هندية في نشأة الكون.

ط - الدراسات البوذية^(٣): ابتدأت الجلسة بتقرير عن تطور الدراسات البوذية، بداية من العام ١٨٥٢م (١٢٦٨هـ)، مبينا أن هذه الدراسات لقيت حظوة وتطورا في كل من إنجلترا وألمانيا وروسيا والدانمرك وفرنسا، وأن هذه الدراسات توسعت عموما منذ القرن السابع عشر، واتسعت دائرتها بعمق في القرن التاسع عشر.

ي - الدراسات الأرمنية والهلينية الجديدة^(٤): عرضت في هذه الجلسة دراسات حول الكتابة المسمارية الأرمنية ونقوشها وآثارها، كما قدمت دراسة حول العلامات الهيروغليفية في المخطوطات الأرمنية، ودراسات أخرى حول تطور الدراسات المتعلقة بالهلينية الجديدة.

ك - دراسات عامة حول الاستشراق وموضوعات أخرى^(٥): في هذه الجلسة، قدمت مساهمتان، إحداهما تتعلق بالدراسات الشرقية في البرتغال، تبين

(١) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 327 - 354.

(٢) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 355 - 408.

(٣) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 409 - 423.

(٤) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 425 - 462.

(٥) Ibid. - Tome deuxieme - pp. 463 - 524.

مسار تطورها حتى الفترة التي عقد فيها المؤتمر. أما الأخرى فتتعلق بثمانى مخطوطات من أوراق البردي القبطية، الموجودة في المتحف المصري بـ"اللوفر".

وبهذا تم هذا العرض المختصر لأعمال الجلسات المختلفة، التي ألفت أعمدة مؤتمر المستشرقين العالمى الأول .

المبحث الثالث: نتائج مؤتمر المستشرقين العالمي الأول

بعد انتهاء أعمال مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، دخل المؤتمر جلسته الختامية. وفي الجلسة الختامية عادة، تتبين بعض نتائج المؤتمرات من توصيات وغيرها. وحتى تتضح نتائج المؤتمر، يجدر بحث أعمال الجلسة الختامية، ثم بحث النتائج العامة التي توصل إليها، وبيان بعض السلبيات التي وقع فيها.

١ - جلسة المؤتمر الختامية وتوصيات المؤتمر:

على غرار الجلسة الافتتاحية، كانت الجلسة الختامية مختصرة، لم يذكر أنه أُلقيت فيها كلمات أو خطابات تنويهية أو شكرية، أو بيانات تقويمية أو استنتاجات علمية، فلم يرد سوى القليل من التوصيات، في حين أن هناك أمورا عدة ذكرت في المؤتمر، سيتم التطرق إليها فيما يلي.

ترأس هذه الجلسة رئيس المؤتمر "ليون دو روسني"، وبين أن على الجموع، قبل تفرقها، وطبقا للنظام العام الذي أقره الجميع^(١)، أن تتخذ العديد من الإجراءات، حتى تواصل مؤتمرات المستشرقين العالمية أداء دورها^(٢). ووفقا للبلد الثاني من النظام، على الحضور تعيين البلد الذي ستعقد فيه الجلسة الثانية، واختيار رئيس تلك الدورة بعد ذلك.

تقدم لاستضافة المؤتمر اللاحق كل من إنجلترا وإيطاليا وسويسرا، وجاءت نتائج الاقتراع كالتالي: حصلت إنجلترا على أربعة وثمانين صوتا، وإيطاليا على ثلاثة وثمانين، وسويسرا على سبعة^(٣). واختيرت بالتالي إنجلترا مكانا لعقد الدورة الثانية من مؤتمرات المستشرقين العالمية. وبذلك ضمن المؤتمر أولى خطوات استمراريته. أما رئيسه، فتم اختيار "صمويل بيرتش Samuel Birch" من

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - pp. 11 - 15.

(٢) Ibid. - Tome troisieme - p. 5.

(٣) Ibid. - Tome troisieme - p. 6.

المتحف البريطاني، بالإجماع^(١). أما الموضوع الرئيس، فسيكون اللغات الهندوستانية^(٢).

وفق البند الثالث عشر، المتعلق بطباعة أعمال المؤتمر، التي يجب أن توكل للجنة من البلد الذي عقد فيه المؤتمر، فقد وكل أمرها لرئيسه "ليون دو روسني"، إضافة إلى اللجنة الإدارية^(٣).

ووفق البند الثامن عشر، أعلن الرئيس أسماء مندوبي لجنة المؤتمر الدائمة، والممثلين لها بالخارج، وجلهم من بلدان أوروبية، ولا يوجد من الشرق سوى مندوبي كل من الجزائر ومصر. والملاحظ أن مندوبي الدولتين العربيتين الوحيدتين، أجنب أوروبيون. كما دعا الرئيس الدول التي لم تعين لنفسها مندوبها الدائم بعد، إلى فعل ذلك بسرعة، ثم طلب من الحاضرين الموافقة على المعينين، وقد استجيب لندائه هذا^(٤).

كل ما سبق يهدف للمحافظة على استمرار دورات انعقاد المؤتمرات، أما عن المقترحات، فقد رأى المستشرق "دوشانسكي Duchinski"، تقديم شهادة عرفان لأهم منظمي المؤتمر. وتم إقرار المقترح، وكلف المستشرق نفسه بتكوين لجنة للعمل على تحقيقه^(٥).

كما رأى الأعضاء الذين استشيروا حول مهمة اللجنة الدائمة، أنه مع تحديد عمل هذه اللجنة حتى افتتاح الدورة القابلة، فإنه بإمكان الرئيس تمديد عملها من أجل مصالح الطباعة، أو أي سبب يجعل دوامها مهما جد^(٦).

واقترح "شارل روشي" تخصيص جلسة للدراسات الإثنوغرافية، وطالب "جسليين" بجلسة للدراسات الأثرية والفنية، وقد دعم الحضور المقترحين، وتقرر توكيل أمرهما لرئيس المؤتمر القادم^(٧).

(1) Ibid. - Tome troisieme - pp. 5 - 6.

(2) Ibid. - Tome troisieme - p. 5.

(3) Ibid. - Tome troisieme - p. 6.

(4) Ibid. - Tome troisieme - pp. 6 - 7.

(5) Ibid. - Tome troisieme - p. 7.

(6) Ibid. - Tome troisieme - p. 7.

(7) Ibid. - Tome troisieme - pp. 7.

ثم ألقى الأميرال "روز"، كلمة موجزة ختامية، شكر الجموع لتشريفهم المؤتمر، بوصفه رئيس الجلسة الافتتاحية، ومما قاله: "سأترك للنقد العلمي، مهمة الاعتراف بالأعمال، التي ستعرض للجمهور مكثلة بمساهماتكم. أود فقط، قبل افتراقنا، التعبير عن أمني الكبير في أن يصبح مؤتمرنا مؤسسة علمية عالمية، متواصلة ودائمة، وعلى هذه الرغبة، لا أقول لكم الوداع، بل إلى اللقاء"^(١).

ونظرا لأنه لم يطلب أحد الكلمة لبسط ملاحظات تقدم لصالح الدراسات الشرقية عموما، ولمصلحة المؤتمر بصفة خاصة، أعلن الرئيس اختتام أعمال دورة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)^(٢).

تلك هي أهم الأحداث التي تمت في جلسة المؤتمر الختامية، إذ كانت مختصرة في أعمالها، وموجزة في مقترحاتها.

٢ - نتائج أعمال المؤتمر:

لم يرد في مطبوعات أعمال المؤتمر، النتائج التي توصل إليها، ولا حتى في أواخر أعمال كل جلسة. لكن سيتم هنا محاولة استخلاص بعض النتائج التي حصلت في المؤتمر عموما، في انعقاده ودراساته، بالاستعانة بأقوال بعض المستشرقين، ونفحص أعمال المؤتمر.

أولا - تتمثل النتيجة الأولى في التوصل لتجميع عدد هائل من المستشرقين ضمن إطار موحد ومكان واحد، يتبادلون فيه المعارف والمعرفة والآراء. وهذا كان أحد أهداف المؤتمر، وقد صرح به قبل الانعقاد^(٣).

ثانيا - نجاح المؤتمر الذاتي. فقد كانت الشكوك تحوم حول إمكان نجاحه، لدرجة أن السلطة السياسية لم تعتن به العناية الكافية، كذلك التي حظيت بها المؤتمرات لاحقا. وهذا الأمر هو ما دعا صحيفة لأن تقول من أنه لا يقال مستقبلا إنه لن ينجح شيء في فرنسا من غير مساعدة من الحكومة أو موظفو

(١) Ibid. - Tome troisieme - p. 8.

(٢) Ibid. - Tome troisieme - p. 8.

(٣) Ibid. - Tome troisieme - pp. XVII.

الدولة المرموقون^(١)، وقالت أخرى: "لقد تأسست إذن مؤتمرات المستشرقين، وكان ذلك في فرنسا"^(٢)، كما أن مستشرقاً ذكر عن نجاح المؤتمر وجنيته فوائد معرفية "لم تكن واثقين منه"^(٣)، وأكد آخر "لقد انعقد المؤتمر ببافيس، ونجح نجاحاً باهراً"^(٤).

ثالثاً - تحقيق الاستمرار. بضمان نجاح المؤتمر الأول هذا، أصبح استمرار انعقاد غيره من الدورات شبه مؤكد، ونجاح اختيار موطن الدورة التالية، وهي إنجلترا، ووجود دول أخرى ترغب في استضافة المؤتمر، ضمن أمر تواصل حلقاته، وسيكون لها دورها لاحقاً. فقد صرح دو رافيزي قائلاً: "لقد قبل الرأي العام مهمة المؤتمر، التي ستتواصل بانتظام. ففي السنة المقبلة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، ستعقد دورته الثانية في إنجلترا. فهذا البلد قد اختير بالفعل، وفضل على كل من إيطاليا وسويسرا والبرتغال والليكسنبورغ، الذين سيلحقهم دورهم لاحقاً"^(٥). كما أن "لوفابر" عبر بتفاؤل متحدثاً عن المسائل التي لم يتم طردها، بأنها سيأتيها دورها في المؤتمرات القادمة، وقال: "فهذا المؤتمر ليس سوى أولى حلقات السلسلة"^(٦)، كما ذكر في موضع آخر فقال: "لقد ضمن مستقبل هذه المؤسسة"^(٧).

رابعاً - الإفادة العلمية. لم تتعقد المؤتمرات للبروز أو لإثبات وجودها الشكلي، بل يكاد يتفق الحضور والمنايعون له، من وجهة النظر الاستشرافية على الأقل، أنه كان ذا قيمة علمية، وإفادة معرفية، لكافة المهتمين بتلك الدراسات والميادين. وفي هذا الاتجاه يقول "دو شاتو": "قدم هذا المؤتمر تطوراً آخر للعلم،

^(١) هي جريدة الوطن Patrie، وقد سبق ذكر المقالة بأكملها مترجمة ص ١٠٧ من الرسالة.

^(٢) هي المجلة الرسمية للجمهورية الفرنسية. وقد سبق ذكر ما ذكرت ضمن مقولة مطولة ص ١٠٦ --
١٠٧ من الرسالة.

^(٣) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... p. 3.

^(٤) A. Lefebvre: Le premier Congres International des Orientalistes ... p.3.

^(٥) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres ... p. 6.

^(٦) A. Lefebvre: Le premier Congres International des Orientalistes ... pp. 3-4.

^(٧) Ibid. p. 4.

الذي نقر بخطتنا من أننا لم نكن واثقين منه⁽¹⁾. كما ذكرت صحيفة "العالم L'Univers"، بتاريخ الثامن من سبتمبر، أثناء انعقاد الدورة، الأولى، وقبيل انقضائه "لقد اهتمنا بمتابعة أعمال ذات أهمية علمية وصناعية، كانت منذ بدايتها مشهودة قيمتها الحقيقية من قبل العالم. سيجد منصرون وتجارنا ودبلوماسيون مراجع وبيانات مفيدة، أما قراؤنا، فيلقون معلومات طرية حول إثنوغرافية الشرق الأقصى وتاريخه ولغوياته"⁽²⁾.

خامسا: نتائج دراسية عامة:

أ - في مجال الدراسات اليابانية: قدم المؤتمر معلومات هامة لكافة أصناف المهتمين باليابان. فللتجار عرض تحليلات وافية حول موارد اليابان ومنتجاتها، ولأسيما تربية دود القز وصناعة الحرير. وللصناعيين ما يكفي من معارف حول المعادن الموجودة في الأراضي اليابانية. وللمنصرين بين الحقائق الدينية والثورة العقائدية هناك، وللدبلوماسيين قام بتحليل التطورات السياسية والاجتماعية للبلد، وللمؤرخين وضع أنثروبولوجية البلد وتطورها التاريخي، وللفيلولوجيين درس اللغات المختلفة للشعوب اليابانية، وتحليلاتها الفيلولوجية. إلا أن المستشرقين اتفق معظمهم على أن أهم نتيجة توصل إليها المؤتمر هي الطريقة الأبجدية اللاتينية الجديدة، التي تكونت لحل معضلة النقل الأوروبي للكتابات اليابانية، وعدت الطريقة فقرة علمية وحضارية جديدة. فقد قرر "لوفابر" أن هذه الطريقة هي النتيجة العلمية الوحيدة التي توصل إليها المؤتمر إذ قال: "فقد أدت بالمؤتمر للوصول إلى نتيجة علمية على الأقل، ألا وهي ذلك المقترح الأبجدي ... فهو نظام تم اعتماده، يتوافق بدرجة ما مع الطباعة وحقوق اللغويات، والمحاكاة الصوتية. إن انطلاقة مؤتمر باريس، والمهمة التي قام بإنجازها، هي الحدث المهم في الدراسات اليابانية، بل في كل ما يتعلق باليابان نفسه ... إن الأبجدية الجديدة يمكنها أن تصبح أدق وسيلة أكيدة للتنقيف، ونشر التنوير بين الأيادي الثورية الحاذقة، التي تغير حاليا الوضع الاجتماعي القديم لوطنها. وبفضله، يمكن

(1) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... p.3.

(2) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres ... p.13.

لصحافة السياسية أن تنمو في حياة جديدة، سيتحدد بذلك تغيير فكري جديد...^(١).
هكذا يرى المستشرق الوصول إلى هذه النتيجة البحثية.

ولا ينفرد بنفسه في هذا التوجه، بل يؤيده الكثيرون. فهذا "لوسيان آدم" ينوه بالأمر نفسه أيضا، فيقول: "إن المسارعة إلى تخصيص اليابان بكتابة أبجدية كلن إحدى واجبات علماء الغرب العالمية، لقد وفوا مهمتهم تحت إشرافهم، بالتوفيق بين القوانين العلمية والضرورات العملية"^(٢).

أما "لو شاتو"، فهو يراها أساس علاقة متينة بين اليابانيين ودارسي اليابانيات "كان المقصود عقد وفاق بين اليابانيين من جهة، ودارسي اليابان المنتمين لبلدان أوروبية مختلفة من جهة أخرى. والغاية منها اعتماد طريقة موحدة لنقل النصوص اليابانية بحروف أوروبية... إن المسألة التي طرقتها المؤتمر، لم تكن مسألة الأبجدية فقط، بل المقصود هو الوصول إلى نتيجة هامة، وهي التخلص من كل أنواع مسائل القواعد اللغوية والنحوية... مستشرقون جاؤوا من كل قارات العالم، يتناقشون حتى حوالي منتصف الليل بحيوية متماسكة، بحجج قوية، المشكلات اللغوية الدقيقة"^(٣).

تلك إذن هي أهم نتيجة خرج بها المؤتمر، حسب ما رآها المستشرقون، إذ هناك محاولات من قبلهم لتحويل كتابات اللغات العالمية، كي تكتب بالحروف اللاتينية. وكل لغة يتمكنون من تكوين أبجدية لاتينية لها يعدون ذلك نجاحا باهرا. فالخط اللاتيني عندهم عامل تطور، ودخل ذلك في قناعاتهم الشخصية، فيما بقيت الخطوط الأخرى عوامل تخلف، حتى أن أحدهم يتحدث عن أسباب تقهقر للعثمانيين، أرجع ذلك "في جزء منه، إلى استخدام الأبجدية العربية المقتية"^(٤). وفي ذلك دليل واضح على نظرة المستشرقين الدونية للغات الأخرى، وبغضه للغة العربية بصفة خاصة.

(1) A. Lefebvre: Le premier Congrès International des Orientalistes ... p.7.

(2) Lucien Adams: Congrès International des Orientalistes ... p. 7.

(3) Julien Duchateau: Une creation scientifique française ... pp. 8 - 9.

(4) Lucien Adams: Congrès International des Orientalistes ... p. 20.

ب - في مجال الدراسات الاستشرافية الأخرى: لم تذكر نتائج واضحة أعمق من غيرها، بل هي مجموعة فوائد لخصها "لوقابر"، رغم أنه خلطها أحيانا مع الدراسات اليابانية، فقد قال عن المؤتمر: "لقد تناول في دراساته آسيا كلها، والمحيط والسواحل المتوسطية-الإفريقية، واليونان، من وجهة نظر إثنوغرافية ولغوية ودينية.

ففي الجانب الإثنوغرافي، بين خصائص تتعلق بالشعوب الأصلية والمهاجرة، سواء في اليابان أو الصين أو الهند أو ماليزيا أو مصر أو جنوب شرق آسيا. لقد عود أعيننا على الفنون والتقنية في اليابان، وقد استنتج التعقيد المعروض للجماعات الإثنية المتعددة.

في جانب اللغويات حطم هالة المجموعة المتماكة. فبتركه جانبا الوحدة المسلم بها للعائلة الآرية، وتلك التي للعائلة السامية، دون اعتبار الضرر من جراء الخلافات المتفاوتة في عمقها، انناجة عن تكاثر القوميات، فقد أثبت استقلالها عن المجموعات التالية، وهي على التوالي: اليابانية والصينية والطورانية-الفينية-المنغولية، والدرايدية والمالوية. لقد تحصل على نتيجة رئيسة، عرضت وطبقت، وهي أبجدية عالمية لنقل النصوص اليابانية بالصفات الأوروبية، مما يساعد بالتالي على أنتشار الأفكار العصرية في بلد متشوف للحضارة والتطور، بفتح السبيل الممهد، حيث يجب أن يسير اللغويون والفيلولوجيون.

أما في مجال الفلسفة التأويلية أخيرا، فإنه تم توضيح أصول النظام القديم للديانة المصرية والهندية والفارسية والتعقيب عنها، وهي الخاضعة دون إرادة لقانوني الزمن والوسط...⁽¹⁾

هكذا يرى هذا المستشرق نتائج المؤتمر، التي قسمها للجانب العرقي فاللغوي والفلسفي اللاهوتي. وهي في عمومها أهم الجوانب التي اهتم بها المؤتمر، إضافة إلى الجوانب السياسية والاقتصادية.

ذاك أهم ما أمكن استخلاصه من نتائج أعمال المؤتمر الأول من فوائد ومعارف ونتائج. ومع ذلك، ضحت فيها سلبيات عدة أيضا، جديرة بالتعويض عليها، رغم أنها لا تقلل من نجاح المؤتمر فيما سطره لنفسه وخططه.

⁽¹⁾ A. Lefebvre: Le premier Congrès International des Orientalistes...pp.18-19.

٣ - سلبيات في المؤتمر:

وجدت سلبيات في المؤتمر، رغم النجاح الذي أحاط به. وهذه السلبيات ذات شقين: سلبيات في الإدارة، وسلبيات في الدراسات العلمية. كما تنقسم السلبيات في الإدارة إلى جانبين اثنين، وهي السلبيات في التخطيط وسلبيات في التنظيم. والأمر كذلك بالنسبة للسلبيات في الدراسات، فهناك سلبيات في الأهداف، وأخرى في الأساس الفكري. وهذا ما سيتم بحثه في هذا الموضوع.

أ - السلبيات في الإدارة:

تنقسم السلبيات الإدارية إلى سلبيات في التخطيط، وسلبيات في التنظيم، إذ برزت فيهما هتأة وقصور، رغم أنها لم يكن لها تأثير كبير في مسيرة إنجاز المؤتمر. أما السلبيات في التخطيط فتتمثل فيما يلي:

السلبية الأولى: تتمثل أولاها في التردد في تحديد البرنامج الدراسي العام للمؤتمر. فقد كان من المقرر أن تقتصر الدراسات على اليابان فقط، لكن تم بعد ذلك إدخال جوانب أخرى من الدراسات الاستشراقية، ثم توسع الجدول أكثر من ذلك عند انعقاد المؤتمر^(١).

السلبية الثانية: فهي توسيع برنامج الدراسات ليشمل ساحة كبرى من الدراسات الاستشراقية. أمر التوسع هذا، عانت منه المؤتمرات لاحقا، وظلت الشكوى تتردد دوما من ازدحام الموضوعات وتوسع الحقل الاستشراقي، في مدة وجيزة، هي عمر كل مؤتمر، الأمر الذي أدى إلى قرار في العام ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، يقضي باقتصار الموضوعات في المؤتمرات على الدراسات الإنسانية في آسيا وشمال إفريقيا، ثم هو يتعلق حاليا بدراسات آسيا وشمال إفريقيا^(٢)، ولا يستبعد أن يختصر مرة أخرى، لأن المؤتمرات رغم ذلك ما تزال تعاني من الازدحام والطفرة في المساهمات، وقد عاينت ذلك بنفسني في المؤتمر

(١) سبق الحديث عن هذا الموضوع ص ٧٣ من الرسالة.

(٢) سيأتي تفصيل هذه الأمور في مواضع عدة من الرسالة.

الخامس والثلاثين، الذي عقد في بودابست بالمجر، صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ). فقد كان هناك لجان عدة، تعقد جلسات كثيرة في وقت واحد، لدرجة أن المرء يحار أي الدراسات والمساهمات أو الندوات يختار كي يحضرها. وهذا كان يفوت فوائد عدة كان يمكن جنيها في حالة حضور ما تمت التضحية من أجله.

السلبية الثالثة: أن البرنامج وضع على أساس نظري بحث، قبل استلام المساهمات المتعلقة بالموضوعات الرئيسة. هذا الأمر أجبر الإدارة على التخلي عن بعضها عند منطلق المؤتمر، أو دمج أخرى، قد تبلغ أحيانا ثلاثة موضوعات^(١)، أو توسيع دوائر غيرها، وتخصيص جلسات إضافية سواها^(٢).

السلبية الرابعة: كثرة الموضوعات والمسائل وتنوعها، الأمر الذي أدى إلى تجاهل بعضها، مما هو متفق عليه بين المستشرقين عموما. وهذا ما يفسره قول أحدهم " لم يتم التطرق لكل المسائل المدونة في البرنامج، لم يتح الزمن المحدد لكل جلسة القيام بذلك"^(٣).

من جهة أخرى، كان لسلبيات التخطيط انعكاسه على المعرض الياباني المقام بالمناسبة كذلك. فقد حدد له سلفا سبع قاعات من القصر الصناعي، لكن تبين لاحقا أن ذلك لم يكن كافيا، فاضطر المؤتمر لفتح ثلاث قاعات أخرى، إذ ظلت الآثار والطرف تتقاطر على الموضوع حتى انعقاد المؤتمر^(٤).

وهناك من أخذ على المؤتمر إهماله لجوانب استشرافية أخرى، كأمریکا وإفريقيا، وأنه "بطمرها - أي الدورة - الفجوات (أمريكا وإفريقيا) مستقبلا، عندما نتدارك الأخطاء، التي ما كان هناك فرار منها، فسيتم توظيف ما يكتنفها من غموض"^(٥)، فبعكس الآخرين الذين رأوا ازدحاما في الدراسات، يرى هذا المستشرق أن هناك نقصا في الموضوعات.

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 131 - 168.

(٢) Ibid. - Tome premier - pp.390 - 417, and pp. 114 -130.

(٣) A. Lefebvre: Le premier Congres International des Orientalistes ... p. 3.

(٤) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres ... p. 13.

(٥) A. Lefebvre: Le premier Congres International des Orientalistes ... p. 19.

تلك هي أهم السلبيات التي تتعلق بالجانب التخطيطي لمؤتمر المستشرقين العالمي الأول. أما السلبيات في التنظيم فتتمثل فيما يلي:

السلبية الأولى: وظهرت منذ الانطلاقة الأولى للمؤتمر. فقد دبت خلافات حادة في الجلسة الافتتاحية الأولى، حول تعيين الإدارة المسيرة للمؤتمر، الأمر الذي حدا بالرئيس إلى إيقاف الجلسة لبعض الوقت⁽¹⁾. وبذلك يكون الخلاف قد دب بين المستشرقين منذ بداية المؤتمر الأول. لأن الأصل في الاقتراح أن يدلى المنتخب بصوته لمن يعرف. وهذا الاجتماع الأول، ابتدر الحضور بطلب قيامهم بالاقتراح، لكن بعض الأعضاء طلبوا عرض المنتخبين للتعرف عليهم، إلا أن هذا الطلب قوبل بالرفض التام، بحجة أن المؤتمر في بدايته، ولم يأخذ بعد الصيغة الرسمية⁽²⁾. وهذا الموقف يعد إحدى السلبيات الإدارية الأولى، مما يجعل الاقتراح أمرا شكليا، بحثا، وخرج عن مفهومه ومحتواه الحقيقي.

السلبية الثانية: ولا تتضح إلا إذا قارنا هذا المؤتمر بالمؤتمرات الأخرى اللاحقة، ألا وهي عدم وجود ممثل حكومي يشارك أو يرأس جلسة الافتتاح، ولا حتى جلسة الاختتام. وهذا الغياب الحكومي، قد يكون بسبب سوء تقدير المستقبل الذي ينتظر تلك المؤتمرات، الأمر الذي جعل البعض يرى في نجاح المؤتمر، تحديا للحكومة⁽³⁾.

السلبية الثالثة: تتمثل في خروج المناقشات أحيانا عن الحد المناط بها، مما يلزم التدخل لإيقافها، وقد لا يقدر رئيس الجلسة على إيقاف المشادات في بعض الأحيان، بل قد يتدخل بعض أقطاب المؤتمر لإيقافها، أو توجيهه وجهة أخرى، كالحوار الذي دار بين المستشرقين "شافي" و"إيشهوف"، وقد مرت الإشارة إليه، مما أجبر دو روسني للتدخل لبيان خطورة مثل هذا التوجه⁽⁴⁾.

(1) Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 51.

(2) Ibid. - Tome premier - p. 51.

(3) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congrès ...p. 13.

(4) Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome deuxieme - p. 407.

السلبية الرابعة: تتعلق بالمشاركين في المؤتمر. فرغم العدد الهائل الذي تحول إلى باريس، سواء من فرنسا أو غيرها، إلا أن "أكثر من نصف الأعضاء الفرنسيين والأجانب حضروا جلسات المؤتمر"⁽¹⁾، الأمر الذي يبين أن قرابة نصف الحضور لم يشاركوا المشاركة المطلوبة في جلسات المؤتمر. وهو ما يدعو للتساؤل، لكن لم يتم توضيح ذلك.

ويبدو كذلك أن التنظيم في عمومته، رغم نجاحه العام، كان يشكو من بعض السلبيات. فقد ذكر أحد المستشرقين في إشارة قصيرة للأمر هذا بقوله: "إن الوقت القصير الذي عاشه المؤتمر، لم يسمح برفع الاحتجاجات النظامية"⁽²⁾، لكنه لم يفصل تلك الاحتجاجات.

هذا ما يتعلق بالسلبيات الخاصة بالجانب التنظيمي للمؤتمر.

ب - السلبيات في الدراسات العلمية:

تبحث هذه السلبيات في شقيها السلبيات في الأهداف والسلبيات في الأسس الفكرية. وهذان الجانبان من شأنهما توضيح تلك السلبيات وبيانها.

- السلبيات في الأهداف: تشمل في عمومها سلبيات في الأهداف الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية. فالعديد من الدراسات لا تهدف للوصول إلى نتيجة علمية صرفة، بل قد يصرح بعض المستشرقين أن الدراسات الاستشراقية هي ذات أهداف مصلحية كلها. فهذا "لو فابر" مثلاً، يقول حول الموضوع: "لكن مع الأخذ في الاعتبار بكافة الأهداف الحافزة في الشرق، التجارة والاستعمار ونشر الديانة، يجب أن نعرف ... إن فارس القديمة وهند الفيديين والمانو ومصر الفرعونية وأشور كانت عالماً مغلقاً عن أوروبا"⁽³⁾. فالأهداف العلمية جاءت لاحقاً للأهداف المصلحية الأخرى، هذا التزاوج المصلحي دفع صحيفة لأن تصرح قائلة عن أعمال المؤتمر: "سيجد منصرون وتجارنا ودبلوماسيون مراجع وبيانات

(1) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congres ... p. 4.

(2) L...: Le premier Congres International des Orientalistes ... p. 6 .

(3) A. Lefebvre: Le premier Congres International des Orientalistes ... p. 2.

مفيدة^(١)، مما يدل على حقيقة الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها مؤتمرات المستشرقين العالمية في عمومها. فالمصلحة، ولاسيما الاقتصادية، تتردد كثيرا في دراسات المؤتمر.

يقول الكونت "دو مونبلان"، في موضوع المصلحة الاقتصادية: "يبدو لي مما طرح، ومن كل ما رأيت في اليابان أو في أوروبا، عن مراقبة المشترية، أنه من المصلحة أن تعين لجنة لدراسة البذور وتنوير المشترين الموردين"^(٢)، بل إن الدراسات الاقتصادية شملت جل الثروات في اليابان مثلا، حتى إنه ليتم تحديد المناطق الصالحة من تلك التي تسبب عناء أو خسارة في العوائد. ففي حديثه عن النحاس مثلا، يقول المستشرق "بول أوري": "والمادة التي توجد في كل الإقليم بكامله، هي النحاس. فأما الأماكن الغنية جدا أكثر من غيرها، فهي "بيتو" و"أكيتا"، وأما الأماكن الفقيرة جدا، فهي "جيزان" و"تابا" و"تاكو"..."^(٣). فالأمر واضح في هذا المثال أن المستشرق وجه دراسته للمصلحة الاقتصادية كلية. والمتتبع لمثل هذه التصريحات، يجد الكثير منها، بل هناك ما هو أكثر تأكيدا منها، ولاسيما في مجال الدراسات اليابانية، في الجلسة السابعة من جلسات المؤتمر^(٤)، فمن هذه الأقوال ما ذكره "دو منجو" حول ثراء البلاد بأكملها بقوله: "هذا البلد الذي حبيته الطبيعة، يوفر في أيامنا هذه إنتاجه الثري، الأرضي منه والصناعي، للتجارة مع الفارين، وعقد علاقات متتالية مع كل البلدان البحرية، فبأي مقياس وبأي درجة تعد أهمية التجارة والصناعة الأوروبيتين بالنسبة لليابان؟..."^(٥)، وفي مقولة أخرى له أيضا "ستقدم التجارة لليابان، أو بالأحرى، ستأخذ منه ثرواته..."^(٦). تلك كانت بيانات عن الهدف الاقتصادي المتضح من خلال الدراسات المتعمقة في الدراسات اليابانية. وفي هذا خير دليل على أن الاهتمام بالدول الشرقية إنما هو للمصالح

(١) Le Baron Textor de Ravis: Le premier Congres ... p. 13.

(٢) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 325.

(٣) Ibid. - Tome premier - p. 339.

(٤) Ibid. - Tome premier - pp. 289 - 345.

(٥) Ibid. - Tome premier - p. 135.

(٦) Ibid. - Tome premier - p. 140.

الغربية الخاصة لا غير. يدل على هذا قول "مادي": "فما الذي أصبح عليه الترك؟ ومورو الجزائر الأغنى منهم؟ متسولين..."^(١).

أما المصلحة السياسية، فقد وردت هي أيضا بكثرة، ولاسيما في الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر^(٢)، التي تخصصت في دراسة التحولات السياسية والدينية والاجتماعية في اليابان. تلك التغيرات، جعلت المؤتمر يدعو إلى استغلال الفرصة لبسط الهيمنة السياسية في المنطقة تلك. وهذا جعل الغربيين يكتالبون على الحصول على موقع نفوذ، نقل ذلك "دو مانجو" فقال: "أما فيما يتعلق بالحكومات الأوروبية والشمال أمريكية، ماذا نقول؟ دبلوماسيا، وبكافة الأشكال، الهادفة دوما إلى التأثير الفخم، ولاسيما من جانب فرنسا، وهي كلها ذات مصالح جشعة، بالمقابل مع بعض الحكومات الغربية الأخرى"^(٣). إذن، هي دعوة من بين الدعوات التي يطلقها المؤتمر من أجل السعي للحصول على مكاسب سياسية، ويبين النهم السياسي الواقع، والذي يدعو المؤتمر لانتهاجه.

مقابل ذلك، يحذر المستشرقون من بروز حركات سياسية متطرفة في اليابان، كما ظهرت الشيوعية في أوروبا، حيث كانت المواجهة على أشدها ساعتها ضد الشيوعيين، يقول "دو روسني" في إشارة قصيرة لها: "لكن هذه الثورة، التي انبثقت عنها عقائد، لا نجد منها عندنا إلا الشيوعيين المتزمتين جدا..."^(٤). كما وجهت دعوات للهيمنة على مختلف مجريات الأحداث في الشرق، من أمثلة ذلك قول "دو منجو" حاثا على التدخل في دقائق الأمور في اليابان: "يجب أن نحاكمهم، ولاسيما فيما يعملونه لصالح المرأه"^(٥).

كما وردت احتجاجات من المستشرقين على الفوضوية الدبلوماسية في اليابان، فقال أحدهم: "إن الدبلوماسية في اليابان ليست فلسفية ولا علمية ولا شعورية"^(٦)، وذكر أيضا عن عدم فاعلية القنصليات والقناصل فيها، لما كان

(1) Ibid. - Tome premier - p. 335.

(2) Ibid. - Tome premier - pp. 131-168.

(3) Ibid. - Tome premier - p.139.

(4) Ibid. - Tome premier - p142.

(5) Ibid. - Tome premier - 140.

(6) Ibid. - Tome premier - 140.

يتحدث عن شحنات من دود الحرير إلى أوروبا: "إن الختم القنصلي لا دور له سوى إثراء القناصل. إن القناصل لا يفحصون شيئا، ولا يمكنهم مراجعة شيء"⁽¹⁾. إذن، في الأقوال السابقة حث من المستشرقين على العناية بالمصلحة السياسية في البلدان الشرقية، ممثلة باليابان، من خلال بيان السلبيات التي تحيط بالواقع السياسي، موضحين ضرورة المراقبة والسيطرة والهيمنة في جوانب عدة من الشؤون الشرقية.

أما الجانب الديني، فقد أثبت هو أيضا وجوده في المؤتمر. فقد وردت أقوال عدة، تبين علاقة اليابان بالديانة النصرانية الغربية، وعن إمكان دخولها في المجتمع الياباني. ومن هذه التصريحات مقولة "دو بوسكي" التي جاء فيها: "لقد بدأ الحديث عن الديانة إذن... إن ديانتنا سيكون لها منفذ عاجلا أم آجلا"⁽²⁾. أما "لوسيان آدم"، فتحدث عن دخول النصرانية فعلا لليابان، والمواجهة العنيفة التي لاقتها فقال: "ففي فترة من الفترات، ظهرت النصرانية ساعية إلى تنوير هذا التبار الفكري، لكن، ولأسباب غير معروفة بدقة، توقف الإرشاد الديني بطريقة اضطهادية ناجحة"⁽³⁾. أما "مادي دو مونجو"، فيصف انفتاح اليابان لكافة الفروع الثقافية والعلمية والدينية فيقول: "لقد فتح الحقل لعلومنا وصناعاتنا ونظرياتنا وفلسفاتنا الغربية، القديمة منها والجديدة، وللنصرانية نفسها"⁽⁴⁾. من هنا يتبين أن المصلحة الدينية النصرانية كان لها أثرها في أعمال مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، وهو هدف بعيد عن أن يكون علميا بحتا.

وفي الجانب الثقافي، وعلى غرار الصراع السياسي، هناك سعي لتحقيق مصالح، وقد وجد تنافس للهيمنة الثقافية في اليابان مثلا، وساهمت فيه بعض دراسات للمستشرقين أيضا. فهذا "دو شاتو" مثلا، يقول حول اللغات الأوروبية المعروفة في اليابان: "... فعلى مدى طويل، ظلت الهولندية اللغة الوحيدة المعروفة لدى معظم المثقفين اليابانيين. ومنذ انفتاح اليابان، أصبحت الإنجليزية

(1) Ibid. - Tome premier - p. 323.

(2) Ibid. - Tome premier - pp. 149 - 150.

(3) Lucien Adams: *Congres International des Orientalistes* ... p. 10.

(4) *Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 135.*

اللغة الأكثر تعلما في هذا البلد. أما الفرنسية التي بدأت تدخل في الحسبان، فقد فقدت الكثير من أهميتها في أعين المواطنين بعد نكباتنا الأخيرة. أما الألمانية التي لم تدرس البتة في "جيدو"، أضحت يهتم بها العديد من التلاميذ... لدى الشرقيين أمزجة متحولة جدا، وهو ما يكفي لإعادة جزء من امتيازات لغتنا على الأقل^(١)، يقصد الفرنسية.

من جهة أخرى، كان للتحوير الغربي للكتابة اليابانية ارتباطه الوثيق بالمصالح الغربية. فقد كانت الغاية الأساس من هذا التحوير هو إبرام المعاهدات والعقود وربط علاقات اقتصادية وسياسية مع اليابان^(٢). فلم يكن التحوير الوطني لمصلحة اليابان في أساسه، كما يرى المستشرقون، بل إن للمصالح الغربية الاعتبار الأول.

تلك بعض النماذج والأقوال حول الأهداف الثقافية الكامنة وراء النيات العلمية لدراسات المؤتمر، والمطلع على الأبحاث المعروضة يجد العديد من هذه النماذج، ومن غيرها من المؤثرات في الأهداف التي حادت بالمؤتمر عن الهدف المعلن، ألا وهو الهدف العلمي للبحث^(٣).

السلبيات في الأساس الفكري: تتعلق السلبيات هذه بالاستعلاء العنصري بصفة خاصة، وأثره في توجيه الفكر الاستشراقي. يشعر الغرب عموما بالعظمة والتعالي، على العناصر البشرية الأخرى، وبالتالي يحاكمون القوميات والأجناس سواهم من منطلق الفوقية الاستعلائية. ومثل هذا وجد لدى المستشرقين في مؤتمر المستشرقين العالمي الأول. يوضح مثل هذا الشعور "مادي دو مونجو"، طارحا القضية بصفة معاكسة، متسائلا عن نظرة الشرقيين للغرب فيقول: "هلا ينظر إلينا اليابانيون بمقياس ما؟ وكذلك الصينيون، على أننا برابرة راقيون، وصالحون لأن يطع منا أشياء عدة، لكن لا للاقتداء بنا كلية؟ لا! لست بعيدا عن التفكير في ذلك، ولا يمكنني إنكاره، لأنني لست مصابا بتزمت الجنس الأبيض الذي يعرف درجة

(١) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... p. 12.

(٢) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 164 - 166.

(٣) سبق تفصيل الأهداف هذه وغيرها ص ٨٠ - ١٣٥ فما بعدها من الرسالة.

عالية عند الشعوب الأنجلو-ساكسونية والجرمانية^(١). كما أنه عند حديثه عن سعي الدول للحصول على عقود شراء أراض في اليابان، هاجم إنجلترا لتعاملها بوجهين مختلفين، فما تتعامل به في الخارج غير ما تطبقه في بلادها فقال: "إنجلترا، ليس لها حق التحدث في اليابان باسم مبادئها الجذابة جداً، بما أن القانون الإنجليزي لا يزال فيه ما يلي: الأرض الإنجليزية للإنجليز فقط، والمملكة للملك ولأتباعه المخلصين"^(٢)، فيما أن الأراضي الإنجليزية لا يجوز بيعها لغير الإنجليز، فلا يجوز لحكومتها إذن أن تطالب بشراء أراضي الغير. إذن، الاستعلاء العنصري متجسد في الغربيين، وأحد ركائز شخصياتهم، ولا سيما في شمال أوروبا باعتراف منهم.

هذه النزعة تظهر في العديد من الدراسات التي طرحت في المؤتمر، ويجدر إيراد أمثلة ليستبين ذلك، وليتضح أنه عائق علمي، ظاهره خدمة العلم والسعي لتطوير الدراسات الاستشرافية، وفي عمقه إنما هو خدمة المصالح العليا للجنس الراقى، كما يعتقدون، وإظهار احتقار وانحطاط درجة غيرهم.

في جانب اللغة اليابانية، التي وضع لها نظام خطي جديد، يقول عنه "لوسيان آدام": "إن المسارعة إلى تخصيص اليابان بكتابة أبجدية، كان أحد واجبات علماء الغرب العالمية. لقد وفوا مهمتهم..."^(٣). فقله أحد واجبات علماء الغرب، وأيضاً مهمتهم، فيه مسحة من النزعة السلطوية وتصيب النفس مسؤولة عن الآخرين، إذ يمكن طرح تساؤل بطريقة معاكسة، هل إن الأمر سيكون من واجبات الغرب أيضاً ومهامه، لو أن اليابانيين قرروا القيام بالأمر نفسه معتمدين على أنفسهم فقط، وحالفهم النجاح في ذلك؟ والمستشرق نفسه في موضع آخر، يصف الكتابة اليابانية بأنها شبيهة ببطء الناقد على الخشب^(٤). لكن تلك وجهة نظره، بسبب عدم قدرته على استيعاب اللغة اليابانية كاليابانيين الذين ألفوها، وما يزالون

(١) Congrès International des Orientalistes - Compte rendu de la première session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 136.

(٢) Ibid. - Tome premier - p. 335.

(٣) Lucien Adams: Congrès International des Orientalistes - ... p.7.

(٤) Ibid. - Tome premier p. 7.

يستخدمونها حتى الوقت الحاضر، ومن المؤكد أن لهم رأيا مخالفا فسي طريقة كتابتهم، غير رأي المستشرق الأنف الذكر.

ورغم احتجاجه على أصحاب الاستعلاء العنصري ونفيها عن نفسه، إلا أن "مادبي دو مونجو" يسقط في هذا المطب ذاته، فنراه يصم المعاهدات المكتوبة بالكتابة اليابانية بين اليابان وأوروبا بقوله: "كل المعاهدات العلمية، المدنية أو التجارية، وهي كثيرة ومعتمدة بين اليابانيين والأوروبيين، إنما وسائل مشوهة. ليست لكونها مدونة خارج العبارات الأكثر استخداما فقط، بل في إطار لسان قومي تعبير غير جيد، متضمن علامات خطية ذات أشكال مقطعية ومعنوية، يتعذر تبريرها"⁽¹⁾. فهذه أيضا محاكمة ممن لم يتعود على هذه الكتابة، ويقيسها على ما لديه وما تعود عليه من خصوصيات وقناعات، ويتضح ذلك بينا أكثر في مقولة له أخرى جاء فيها: "هل للحكومة اليابانية منهج نقفي؟ لا يمكنني استنتاج ذلك. وفقا للنظرة الأوروبية لا يوجد"⁽²⁾. فهو يقوم الحكومة اليابانية وفقا للاعتبارات الأوروبية، وبالتالي، فإن المنهج الأوروبي هو المعيار الذي تقاس على غرار بقية مسيرات الأمم.

أما المستشرق "بلاز"، فلديه أيضا نوع من هذه النزعة الفوقية، فهو يقول: "...ينبغي علينا أيضا معرفة الطريقة التي نحقق بها السعادة السياسية والاجتماعية لإخواننا في الشرق الأقصى، ولا سيما الشعب الياباني الفائق الذكاء..."⁽³⁾. فالسعادة إذن وتحقيقتها، منطلقه الغرب، ورغم أن الشعب الياباني فائق الذكاء، إلا أنه رغم ذلك، يحتاج للأوروبي ليعلمه كيف يسعد نفسه ويرقيها. في حين أننا نرى اليوم الشعب الياباني فاق الغربيين في مثل عدة، يتخذها الغرب مسارا يتبعونه، قصد تنمية أنفسهم وترقية حضارتهم، ولا سيما قيم العمل والتفاني فيه.

وفي مجال المرأة اليابانية خصوصا، والشرقية عموما، يقول المستشرق "بومفال" حول عفتها وحياتها وأخلاقها: "إنني لم أجد المرأة في أي مكان، اليابان أو غيره، بلغت درجة من العظمة والنبيل مثلما عليه في المجتمعات المتحررة

(1) Ibid. - Tome premier - p. 164.

(2) Ibid. - Tome premier - p. 137.

(3) Ibid. - Tome premier - p. 132.

بالنصرانية^(١). بل إنه يواصل حديثه محتجا بما وصله من الرحالة الغربيين، يبين له انتشار الفساد الأخلاقي عند الشعب الياباني، والمرأة بالذات، التي ليس لها أدنى درجة من الحياء والحشمة^(٢)، فهذا المستشرق نفى العظمة والنبل عن المرأة غير الأوروبية، واستثنى منها تلك المتحررة بالنصرانية. فالأخلاق النصرانية الغربية وظروف المرأة الأوروبية هي إذن المعيار الذي يقاس عليه ما لدى الآخرين. ثم إن المبلغين له رحالة غربيون، بينما يوجد في أوروبا وأمريكا رحالة يابانيون وطلبة دارسون، ولم يصرح بأنه سألهم أو استفسر منهم. فالنفوق العنصري هو الذي يقوده إذن وما يدل على هذا الأمر وبيّنه، هو أن القضية نوقشت، ورد عليه زملاؤه بعامل اختلاف معيار الأخلاق بين الشرق والغرب. كما رد البعض بأن العكس هو الصحيح، وأن المرأة تلك عفيفة وشريفة، ولا يضرها وجود بعض المظاهر العامة المتعارف عليها لدى شعبها^(٣) بل قد سماها الأميرال روز، رغم ما يقال عنها، بأنها "حواء قبل الخطيئة"^(٤).

من جهة أخرى، رغم أن كثيرا من العلماء، أو جلهم، يرى أن عدة معارف جاءت من الصين، إلا أن هناك من يعترض على هذا الكلام. فالمستشرق "لو فالوا"، في أثناء حديثه عن الرياضيات مثلا، يحاول عكس القضية، فيرى أن الصينيين هم الذين أفادوا من الغرب لا العكس. وفي مناقشته لأحد الكتب التي درسها يقول: "وجهة النظر هذه، أعلم أنها متعارضة مع تلك التي نجدها في كل الكتابات تقريبا، والتي نتناول تاريخ الرياضيات، لكنني أعتقد أن المسألة لم يتم دراستها بجدية وتعمق على النصوص نفسها ودون جزئيات معينة"^(٥). ويقطع النظر عن الحقيقة التاريخية، فإن النرجسية الأوروبية واضحة جدا من كلام هذا

(١) Ibid. - Tome premier - p. 159.

(٢) Ibid. - Tome premier - p. 159.

(٣) Ibid. - Tome premier - discours de Bousquet - pp. 159 - 160, and Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise ... Tome premier - p. 13.

(٤) Ameral Roze - Discours - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session- Paris - 1873 - Tome premier - pp. 160 - 161.

ينسب "دو شاتو" في مرجعه السابق في الصفحة ١٣، هذه المقولة لـ"دو بوسكي"، ولعله خطأ.

(٥) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 290 - 291.

المستشرق، ولا سيما في مقولته باقتباس المعلومات الصحيحة الوحيدة. وبالتالي، فالغرب وحده هو الذي امتلك تلك الدقة. بل إن "سيديو" ينحو هذا النهج ذاته ويعمق جذوره، فيرى أن الصينيين أخذوا علومهم وحصلوا عليها من حملة الإسكندر المقدوني، والنفوذ الروماني ومن المغول والعرب الذين كانت تربطهم علاقات مع الغرب. ويبقى الغرب على الدوام هو المعيار، حتى للعرب.

وحول الفلاحة أخيرا، فرغم أن معظم المستشرقين انفقوا على أن بذور دود القز الياباني صمدت أمام الأمراض الأوروبية وأعطت نتاجا جيدا في أوروبا، نجد أن البعض يسير عكس التيار هذا، مثل "جيران مينوفيرو" *Guerin-Meneville* الذي يقول: "أعتقد أن كل أمراض دودنا الأوروبي موجود في اليابان، لكن بدرجة أقل من حالة المستوطنة... لا أعتقد أننا سنجد في اليابان طرقا عديدة يمكن تطبيقها في أوروبا"^(١). لا يستبعد أن يكون كلامه هذا صوابا، لكن طريقة العرض والاعتراض هي التي تشير لأمر الترفع الخاص. كما أن غيره لا يريد أن تصل تجربة دود القز الياباني إلى أوروبا، إلا بعد نجاح تدجينها، حتى إذا ما فشلت التجربة لم تصب أوروبا بخيبة أمل مرة أخرى، بل إنه يرى إجراء التجربة في محطات بسيطة، قبل نقلها نهائيا إلى أوروبا، ويقول: "سأحاول ملاحظة أن البذور اليابانية هي التي نجحت أفضل من غيرها في تجربة التدجين في أوروبا. محاولات الأقلمة تلك غير كافية حتى الآن، بل هي بعيدة عن ذلك. لكن ألا يستخلص بالتالي أن البذور اليابانية، بصفة خاصة، هي التي يجب إخضاعها للتأقلم المتدرج، وفق برنامج إقامة محطات بسيطة في تونس وغيرها..."^(٢)، وبالتالي فما على أوروبا سوى قطف الثمار بعد نجاح المحطة الوسيطة.

إن، وكما كان للمؤتمر إيجابياته، كانت فيه سلبيات أيضا. ومع ذلك، لم تكن لهذه السلبيات تأثير على نجاح المؤتمر، ولا سيما أنه أول مؤتمر انعقد، ومنه انطلقت مسيرة المؤتمرات، التي لا تزال تنشط حتى اليوم.

تلك إذن صورة عامة عن مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، مساره ونشاطه ونتائجه، وإيجابياته وسلبياته.

(١) Ibid. - Tome premier - p. 326.

(٢) Ibid. - Tome premier - p. 319.

الباب الثاني: الأطر الإدارية والعلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية

الفصل الأول: الأطر الإدارية: صفتها وتطورها
الفصل الثاني: الأطر العلمية: صفتها وتطورها
الفصل الثالث: المساهمات الشرقية في
مؤتمرات المستشرقين العالمية

الباب الثاني: الأطر الإدارية والعلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية

مدخل:

بعد التعرف على نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، يجدر التعرض للتطورات التي طرأت على إطارها الإداري والعلمي. ولاشك في أن كل مكتشف بشري، يفتقد دوماً الكمال، ويحتاج المرء لإعادة النظر فيه مرات ومرات، حتى يعدل من مساره ويحسن من نتاجه ويملئ من فوائده. وهكذا كانت المؤتمرات. وقد مر بنا أنه من قبل الاتفاق على انعقاد المؤتمرات، خضعت الأطر العلمية لإحداث تعديلات عليها مرات عدة، فبعد أن كان المؤتمر مقصوراً على الدراسات اليابانية، عدل بعد ذلك ليشمل الدراسات الاستشرافية الأخرى، وحتى تلك الدراسات لم يستوعبها كلها، وانتهت دورته الأولى والحسرة قائمة على ذلك النقص. ومن هنا ظهر للمستشرقين ضرورة إحداث تطويرات على المؤتمر ومساره.

وبالفعل، فقد شهد المؤتمر الثاني صفة أخرى من التنظيم والترتيب، وتغير الأمر كذلك ابتداء من المؤتمر الثالث ليتخذ نمونجا آخر من المسارات، ولاسيما في مجال الجلسات الدراسية. وما هو إلا المؤتمر التاسع، حتى بدأ التنافس حول إحداث التطوير والتغيير والتبديل في مسارات مؤتمرات المستشرقين العالمية، سواء في الناحية التنظيمية الإدارية، أو في الجانب المعرفي الدراسي، بل قد تقع مناقشات ومناقشات تصل إلى درجات عالية من الحدة. ويبدو أنه كان للواقع الأوروبي وللاحداث السياسية الدائرة في القارة، والخلافات التي كانت تتخرب في الجسد الأوروبي أثرها في إنكاء حدة التنافس بين المستشرقين في المؤتمرات، ولاسيما بين الفرنسيين الذين يرون لهم الفضل في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، والبريطانيين الذين سعوا لإخراج المؤتمرات من أحضان الفرنسيين، وقدروا في النهاية بمساعدة المستشرقين الأمريكيين على الاستحواذ الكلي على المؤتمرات، وصيغها حتى اليوم بالمؤثرات الإنجليزية.

هذا التنافس على المؤتمرات، إضافة إلى الضرورات الملحة لإحداث تغييرات على نهج المؤتمرات، سواء منها الدعوات القائلة بتقليص البرنامج أو الداعية لتوسيعه، أثرت في أحداث المؤتمرات وأدخلت تحويرات عدة، سواء في مسماه أو نظامه العام أو جلسات لجانته أو لجانه الإدارية أو غيرها من الإطار الإداري، كما مست الدراسات العلمية، فشهدت تنويعات في الكيفية والشكل. هذه التحويرات هي محور دراسات هذا الباب.

تم اختيار دراسات التطورات الحاصلة على مساهمات الشرقيين في المؤتمرات، بالتركيز على منطقة الشرق الأوسط بالذات، كنموذج أول عن هذه التطورات، للتعرف على مسارها وتطوراتها وتعامل الغربيين معها، ولاسيما أن الشرقيين هم موضوع دراسات المؤتمرات وأبحاثه من جهة، وتقويم المساهمات تلك، ووضعها في إطارها وسط المشاركات الكلية في المؤتمرات.

وكنموذج ثان كذلك، كان من الأجدر إلقاء نظرات على المؤتمرات المختلفة التي انعقدت في البلدان الشرقية، ابتداء من مؤتمر الجزائر سنة ١٩٥٥م (١٣٢٣هـ)، وهو المؤتمر الرابع عشر، وانتهاء بمؤتمر هونج كونج، الرابع والثلاثين، وكان ذلك سنة ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، لتقويم مدى فاعليتها ونجاحها، وقدرة الشرقيين على إدارتها، ومدى مساهمتها في تغيير صورة الشرقي السلبية لدى المستشرقين والغربيين.

هذه العناصر وغيرها، هي ما سيتناوله هذا الباب بالتحليل والدرس، سعياً لبيانها وتوضيحها واستخلاص ما أمكن من نتائج وفوائد منها.

الفصل الأول: الأطر الإدارية، صفتها وتطورها

المبحث الأول: مسميات مؤتمرات المستشرقين
العالمية

المبحث الثاني: النظم العامة لمؤتمرات المستشرقين
العالمية وتطورها

المبحث الثالث: نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية
الإدارية وتطورها

الفصل الأول: الأطر الإدارية: صفتها وتطورها

توطئة:

تميزت مؤتمرات المستشرقين العالمية باهتمامها الدائم بأطرها الإدارية المختلفة، ومحاولة تطويرها كلما تغيرت الظروف أو لوحظ عجز في بعض جوانبها. لذا، فقد عرفت تغييرات وتحويرات متلاحقة على تلك الأطر، التي يمكن إجمالها في ثلاثة أمور: مسميات المؤتمرات ونظمها العامة وتنظيمها الإداري.

أما المسميات، فشهدت تحويرين على المسمى الأول "مؤتمرات المستشرقين العالمية". هذا الاسم لازم المؤتمرات مدة قرن كامل، فهي انطلقت سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) بباريس، تحت الاسم المذكور أعلاه، وفي باريس نفسها، وخلال المؤتمر التاسع والعشرين، لسنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، تقرر تغيير الاسم ليصبح "International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa" المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا". وهذا الاسم نفسه لم يدم سوى مؤتمرين فقط، الثلاثين في مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، والحادي والثلاثين في طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ). وفي هذا الأخير، تقرر تحوير الاسم مرة أخرى ليصبح "International Congress for Asian and North African Studies" المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا"، وعقد تحت هذا المسمى أربعة مؤتمرات، أولها بهمبورغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ) وهو المؤتمر الثاني والثلاثون، وآخرها، وهو الخامس والثلاثون، بـ"بودابست" بالمجر سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ).

أما نظم مؤتمرات المستشرقين العامة، فقد شهدت هي نفسها تطويرات متلاحقة. فأول نظام عام تم إقراره كان في المؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، ومن بنوده ما سمح لمستشاري كل دولة ينعقد فيها أي مؤتمر لاحق، تكوين نظام خاص بهم، وبمتطلبات البلد ذاك، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه لتعدد الأنظمة الخاصة. وألقى الوضع السياسي العام والاجتماعي بظلاله على تلك المؤتمرات، فظهر التنافس في اختيار النظم أيضا، مما أدى إلى تهميش النظام العام. وظهرت آثار ذلك التنافس في المؤتمر التاسع بلندن سنة

١٨٩٢م (١٢١٠هـ)، حيث قرر المستشرقون، والإنجليز منهم بصفة خاصة، تحويل النظام العام من أساسه، فاعترض الفرنسيون، ورغم ذلك تم إقرار نظام آخر بديلا عن الأول. لكن ما إن عادت المؤتمرات إلى باريس مرة أخرى، سنة ١٨٩٧م (١٢١٥هـ)، حتى تقرر تغييره للمرة الثانية، وكان بمنزلة رد فعل الفرنسيين على الإنجليز. هذا النظام الثالث عمر حتى مؤتمر "آن آر بور" بالولايات المتحدة الأمريكية، سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، حيث تم تحويله تحويلا يكاد يكون جذريا. وبالتالي جاءت المؤتمرات بنظام رابع. وقد قامت محاولات عدة لتحويل النظام الثالث قبل "آن آر بور"، لكنها فشلت جميعها بسبب الظروف العامة، ولاسيما الحربين العالميتين.

أما للنظام الخامس، فورد في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو، سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، ويبدو أن التغييرات على الساحة العالمية وكذلك على الساحة العلمية، والظروف التي أحاطت بالمؤتمرات، أجبرت المستشرقين على إحداث تلك التغييرات، وربما ليبرهن الشرقيون أنهم ليسوا أقل قدرة من غيرهم في التخطيط التنظيمي. وما يزال النظام تسير عليه المؤتمرات حتى الزمن الحاضر.

كما أحدثت تغييرات على النظم الإدارية أيضا، سعيا لتطوير مسارها. فقد كانت المؤتمرات تدخل في الهيكلية الإدارية من اللجان والشخصيات ما يتناسب والوضعية التي تسير عليها المؤتمرات، أو التي تؤثر فيها. وكل ما يستجد ويؤى أنه في مصلحة المؤتمر، يتمسك به ويطور: فهناك لجان دائمة الوجود، مثل لجنة التنظيم، وهناك من اللجان ما هو مؤقت، مثل لجنة الثلاثة، وهي لجنة تمثلت مهمتها في زيارة مقر المؤتمر قبل انعقاده، للتأكد من حسن الاستعداد، كما أن هناك لجانا وقتية للباحث حول قضية واتخاذ القرار المناسب فيها، أو إبداء نصح أو توجيه.

هذه الأمور، هي ما سيتعرض له هذا الفصل من البحث، لتحليله وبيان المزيد من تطور المؤتمرات، حتى نتضح تلك البيانات ويتعمق المزيد من فهم فاعليتها وفوائدها الإدارية، وحتى نفهم الأنظمة الإدارية المختلفة التي سارت عليها المؤتمرات.

المبحث الأول: مسميات مؤتمرات المستشرقين العالمية

انطلقت مؤتمرات المستشرقين العالمية^(١) سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) ببافيا. وعقدت تحت مسمائها هذا تسعة وعشرون مؤتمرا، على مدى قرن كامل. ونظرا للظروف السياسية والثقافية والاجتماعية أيضا، رأى المستشرقون ضرورة تحويل الاسم ذلك، ولاسيما أن مصطلح الاستشراق وسم بسمات عدائية للشرق، نظرا للمسار الذي انتهجه المستشرقون في أبحاثهم، وذلك بتوجيه دراساتهم للمصالح السياسية والاستعمارية والإمبريالية الغربية والشيوعية الشرقية. وساهم في ذلك غموض مصطلح الاستشراق العلمي، إذ اتسعت أبحاثه كثيرا، لتشمل أوروبا الشرقية والقارتين الأمريكية والأسترالية كما سيأتي^(٢). ومن ساعته، أصبح المؤتمر يحمل مسماه الثاني "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا".

إلا أن الاسم الجديد لم يدم سوى مؤتمرين فقط، ثم تغير مسماه مرة أخرى. وإذا لم يتم بيان أسباب هذا التحويل في المصادر المتوفرة، إلا أن هناك احتمالات تتعلق بقصر الدراسات على الإنسانية من جهة، فيما المسمى الأخير عمم الأبحاث، أو أن الدراسات المقدمة في المؤتمرين غير مطابقة للمسمى. أما كون التحويل الأخير تم في اليابان، قد يكون من باب وضع اللبس على الشرقية على أعتاب المؤتمرات، ومن باب بيان قدرة الشرقيين على منافسة الغربيين، حتى في إحداث تحويلات وإدخال تعديلات، ثم هو يطلق على مجال واحد من المجالات العلمية العديدة في المنطقة الشرقية. لذلك، نقرر تحويله ليصبح "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا". وعقدت تحت مسماه هذا أربعة مؤتمرات حتى الآن، آخرها في بودابست بالمجر سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ).

في هذا المبحث، سيتم التطرق إلى حيثيات تلك المسميات، وأسباب إحداثها، ومدى مواظمتها لدراسات المؤتمرات ومطابقة الدراسات تلك للاسم المختار.

(١) سيأتي تحليل هذا الموضوع ص ١٧٩ فما بعدها، و ١٨٣ فما بعدها، من الرسالة.

١- مؤتمرات المستشرقين العالمية :

ظل المؤتمر يحمل هذا الاسم على مدى قرن كامل من الزمن، وعقد تحت هذا المسمى تسعة وعشرون مؤتمرا. وشهدت هذه الحقبة توقف أنشطته لفترتين، خلال الحربين العالميتين، دامت الأولى منهما ست عشرة سنة، بداية من المؤتمر السادس عشر المنعقد بأثينا، سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، حتى المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ). أما الثانية فناهزت عشر سنوات، بداية من المؤتمر العشرين، ببروكسيل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، حتى المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ). ثم تواصل انعقاده حتى المؤتمر التاسع والعشرين بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، بمناسبة الذكرى المئوية لنشأة المؤتمرات، وفيه تقرر تغيير مسمى المؤتمر.

وأهم ما ساهم في تغيير مسمى المؤتمر:

أ - المؤثرات البيئية على الاستشراق.

ب - انتكاسة مفهوم الاستشراق.

ج - مؤتمر موسكو وأزمة الاستشراق الغربي.

وهذه من شأنها أن توضح أسباب تغيير مسمى مؤتمرات المستشرقين العالمية، والبحث عن مسميات أخرى.

أ - المؤثرات البيئية على الاستشراق: كانت نشأة المؤتمرات في فترة أُنعت فيها الدراسات الاستشراقية، وهيمنت على الدراسات الإنسانية المتعلقة بالعالم الشرقي. وارتبط تطورها بقيام حركات اقتصادية تجارية، وحملات استعمارية إمبريالية، وهجمات تنصيرية انتهازية، وغزوات ثقافية استيلاية، أخذت اتجاهها من الغرب إلى الشرق. وكان المستشرق يفتخر ساعتها بانتسابه لهذا الميدان الدراسي، بل يعتز بمساهمته في شتى صور الهيمنة الغربية تلك، ولاسيما الاستعمارية منها^(١)، وارتبطت صورة المستشرق بالتألي بهيكلية المتسلط، وأثر ذلك في مساره العلمي أيضا، هذا المسار الذي لم يكن دائما منصفًا، بل يشوبه

(١) التفصيل في أمر الاستعمار عند الحديث عن الأثر الاستعماري في المؤتمرات ص ٤٩٥ فما بعده من الرسالة.

الكثير من الفجوات غير العلمية، ولاسيما في تعاملهم مع الحضارة الإسلامية، دينها^(١) وتاريخها^(٢) وشعوبها^(٣) وغيرها من المقومات.

هذه الصورة التي ألصقت بالمستشرق جعلته يهتز منها ويسعى للتخلص من شوائبها، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا ما يقرره المستشرق الياباني "ياماموتو تاتسورو Yamamoto Tatsuro" رئيس المؤتمر الحادي والثلاثين، فبعد أن قدم ثناءه على الباحثين في ميدان الاستشراق، قال: "ومع ذلك، وفي الوقت نفسه، علينا التأكيد على أهمية الانتقادات الموجهة للدراسات الشرقية، المشوبة بالمركزية الأوروبية والاستعمار"^(٤)، ويضيف بعد ذلك: "لأن كلمة "مستشرق" تتضمن الدلالة على فكرة المركزية الأوروبية"^(٥).

ب - انتكاسة مفهوم الاستشراق: كلمة مستشرق، أصابها الترهل المعنوي، بسبب توجهات المستشرقين القومية والوطنية والعرقية وإسقاط ذلك على الدراسات الاستشراقية. وقد ظهرت محاولات لتحسين صورة التوجه الدراسي الغربي، والغريب أنها جاءت هذه المرة أيضا من وجوه شرقية أيضا، وذلك في المؤتمر السادس والعشرون بنينو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، الذي برز فيه لأول مرة مصطلح "Orientologie علم الشرق"، وجاء على لسان "حميون كبير

(١) على سبيل المثال: G. Weil: "Mohamet savait-il lire et ecrire ?" - Atti del IV Congresso Internazionale degli Orientalisti - Florence - 1878 - Volume primo - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - pp. 357-366.

(٢) يذكر على سبيل المثال: Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - Edited by Denis Senor - Wiesbaden - Otto Harrassowitz - 1971. في لجنة "Near East and Islamic Word".

حيث عقدت عدة جلسات تتحدث عن التاريخ الإسلامي، مثلا:

pp. 173-174, 213-215, 223, 228, 229-235, 236-237...

(٣) يمكن على سبيل المثال ذكر: H.G. Raverty: "On the Turk, Tatars and Mughals" - Travaux de la Troisieme Session du Congres International des Orientalistes - Sts Petersburg - 1876 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - Tome deuxieme - pp. 73 - 149.

(٤) Discours de Yamamoto Tatsuro - Presedent du 31 International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Edited by Yamamoto Tatsuro - The TOHO GAKKAI - Tokyo - 1984 - Tome I - p. 30.

(٥) Ibid. - p. 30 .

Humayun Kabir"، رئيس المؤتمر ذاك^(١)، وتبناه بالتالي الباحثون الهنود^(٢). كما ظهر مصطلح "Oxidentologie، علم الغرب أو الاستغراب"، أطلقه بداية أيضا، حسب المؤتمرات "حميون كبير" نفسه^(٣)، كما جاءت دعوة لإمكان عقد مؤتمرات عالمية للمستغربين^(٤). إلا أن مثل هذه التوجهات لم تفلح في تغيير صورة المستشرق، ولا صورة مؤتمرات المستشرقين العالمية، كما سيأتي لاحقا^(٥).

ج - مؤتمر موسكو وأزمة الاستشراق الغربي: ظلت مؤتمرات المستشرقين العالمية، شبه محتكرة على المستشرقين دون غيرهم من الطوائف الشرقية على مدى ثلاثة أرباع القرن الأول من عمر المؤتمرات. لكن بدأ المنعرج يتسع من مؤتمر موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، وهو المؤتمر الخامس والعشرون لصالح المزيد من مساهمات الشرقيين. فقد حضر هذا المؤتمر أكثر من ألفي عالم ومستشرق وعدد كبير من المدعوين ينتمون إلى أكثر من ستين بلدا^(٦). وهيمن المستشرقون السوفييت على هذا المؤتمر هيمنة شبه كاملة، وأدخلوا لأول مرة لجانا دراسية تتعلق بالتاريخ والواقع المعاش، السياسي والاجتماعي والاقتصادي والإيديولوجي، إضافة إلى اللجان التي اعتادت عليها المؤتمرات. ويعتبر هذا المؤتمر أول من سعى لإبراز الشخصية للشرقية الباحثة، حتى قيل: "لقد كان

(١) ورد ذلك في مواضع كثيرة من خطابه الافتتاحي للمؤتمر:

- Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Rabina Bhavan - New Delhi and Gaha Ray - Calcutta - 1966 - V1 - Inaugural Address - pp. 43 - 47.

(٢) على سبيل المثال: Address of R. N. Dandeker - Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hamburg - 1986 - Frang Steiner Verlag - Stuttgart - 1992 - pp. XIX - XX.

(٣) على سبيل المثال: Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - V1 - p. 59.

(٤) Ibid. - V1 - p. 59.

(٥) يأتي هذا لاحقا من ١٨٣ من الرسالة.

(٦) "Le XXVeme Congres International des Orientalistes, Moscow, 9 - 16 Aout 1960" - Studia et Acta Orientalia - III - Bucarest - 1960 - Societe des Sciences Historiques et Philologiques de la R.P.R. Section d'Etudes Orientale - Meridiens-Edition, p. 304.

لعلماء المشرق المكانة نفسها التي أعطيت لرجال العلم في البلدان الاشتراكية تقريبا^(١).

بالمقابل، ضيق في المؤتمر على المستشرقين البرجوازيين كما سموهم، مما أدى بالعديد منهم إلى التخلي عن بحوثهم الجائرة... كما يجب أن يلاحظ أنه بسبب معارضة المستشرقين البرجوازيين، وبعضهم مشهور جدا، لأن يتدارس المستشرقون الموضوعات المعاصرة، فقد كانوا يوجهون دوماً، خلال المناقشات، إلى ضرورة الاهتمام بالمشكلات الآتية^(٢). بل لقد تجاهلوا مقالاتهم عند النشر، أو مقالات بعضهم^(٣).

ولم تجابه المدرسة الروسية في المؤتمر ذلك وحدها، بل إن الشرقيين أيضاً استفادوا من الفرصة على ما يبدو 'فيفضل بعض المداخلات الحازمة لممثلي البلدان الاشتراكية، ونظرا لكون البلدان الشرقية كانت ممثلة تمثيلا جيدا في المؤتمر، فقد رفضت أطروحات بعض باحثي البلدان الغربية، ويحدث أحيانا أن بعضهم كانوا مضطرين لأن يعدلوا عن بعض قناعاتهم على الأقل، أو عن بعض جزئياتها. كما يجدر بالخصوص، ذكر بعض المبادئ الخاطئة لبعض الباحثين الإنجليز، الذين هزموا أمام الباحثين الهنود المشاركين في المؤتمر^(٤).

"لقد سجل مؤتمر المستشرقين بموسكو طورا جديدا في سلم تطوير الاستشراق العالمي"، هذا ما صرح به "جافاروف Gafarov"، رئيس المؤتمر^(٥). وهذا الطور الجديد رنة غير سارة لدى القائمين الأوائل على مسار المؤتمرات، ولاسيما أن الاختيار بعد موسكو كان "نيو دلهي" بالهند، وهو بلد ينعقد فيه المؤتمر التالي، وهو الذي شهد علماء مشادات مع المستشرقين الإنجليز، وهم أبرز أقطاب الاستشراق.

(1) Ibid. - p. 331 .

(2) Ibid. - p. 331 .

(3) Ibid. - p. 331 .

(4) Ibid. - p. 333.

(5) Ibid. - p. 341.

وما إن عادت المؤتمرات إلى أوروبا مرة أخرى، في مؤتمر باريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، حتى تم الإعلان عن تغيير مسمى المؤتمر، سعياً إلى محاولة تحسين صورة الاستشراق والمستشرق.

٢ - المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا:

تباحث المستشرقون في مؤتمر باريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، في الذكرى المئوية لنشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية، أمر التخلي عن هذا الاسم، والاستعاضة عنه بمسمى جديد. وتكونت لجنة ضمت تسعة وثلاثين مشاركاً في المؤتمر، لبحث الموضوع^(١). وتم حزم الأمر بقرار التغيير، على أثر محاضرة ألقتها المستشرق الفرنسي "جون فليوزا" Jean Filiozat^(٢)، أحد أعضاء اللجنة. وهي محاضرة يجدر الوقوف عندها، لبيان الدواعي التي أجبرت المستشرقين على تغيير مسمى مؤتمراتهم، لعلها تساهم في تماسك المؤتمرات من جديد.

لقد شملت محاضرة "فليوزا" جل النقاط السلبية التي كانت تشغل بال المستشرقين ساعتها، بعد الصدمة التي أحدثها مؤتمر موسكو ومما كان بعده من مؤتمرات، وطرقها موضوعات لم تكن من مشمولاتها سابقاً، وبروز باحثين

(1) Le XXIXeme Congres International des Orientalistes - Paris - Juillet 1973 - L'Asiathèque - Paris - Juillet 1975 - pp. 66 - 67.

(2) Jean Filiozat: "Projet de reforme du Congres International des Orientalistes" - Ibid. - pp. 45 - 46.

والنص الإنجليزي: Project of Reform of the Proceedings of the Congress International of Orientalists - pp. 57 - 63.

والترجمة العربية: "مشروع إصلاح مؤتمرات المستشرقين العالمية"، بحث ألقاه "جون فليوزا"، مدير المدرسة الفرنسية للشرق الأقصى، في المؤتمر التاسع والعشرين للمستشرقين، المنعقد في باريس في ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) - ترجمة المحسن بن علي سويس - دراسات استشرافية وحضارية، كتاب دوري محكم، مركز الدراسات الاستشرافية والحضارية - كلية الدعوة بالمدينة المنورة - العدد الأول ١٤١٣هـ/١٩٩٣م (١٤١٣هـ) - ص ٣٧٥-٣٩٢. أشرف على طباعته إدارة الثقافة والنشر بالجامعة. وهذه هي المعتمدة مرجعاً فيما سيأتي، مع ملاحظة أنه سيتم تصحيح بعض الأخطاء المطبعية الواردة في المرجع، فيما يقتبس من شواهد.

ودارسين جدد، كانوا من قبل مستهجنين، ولاسيما الشرقيين منهم. أما أهم النقاط التي أوضحها فليوزا، فقد تم استنتاجها من كلامه، إذ كان يتحدث باسترسال وهي: أ- الازدواجية في المعايير التي يتعامل بها المؤتمر: وحول بيان حقيقتها، قال "فليوزا" متحدثا عن عوامل دوام المؤتمرات: "من الناحية العملية، تواجهنا صعوبات جمع كل العاملين في الميدان على عمل علمي دقيق... ومن الناحية النظرية، يمكن أن يبدو الأمر عديم الجدوى والمنفعة... ورغم ذلك يوجد العديد من الراغبين في الاجتماع. لذا، يجب علينا أن لا نبني أحكاما نستنتجها مما لدى الموجودين هنا فقط، بل المفروض علينا أن نأخذ بعين الاعتبار تلك المجموعة الضخمة من الذين أبدوا الرغبة في الانضمام إلينا... يجب علينا في المستقبل إذن أن نوفق بين شقي الحاجيات المتعارضة..."^(١).

إذن، فهناك متناقضات جمة، يتعامل معها المؤتمر، قد تضرر بمساره المستقبلي، لذا، نص عليها المستشرق، ودعا لإيجاد حلول لها، أو لبعضها.

ب - غموض مفهوم الاستشراق: في هذا المجال يقول "فليوزا": "إن مفهوم الاستشراق نفسه أوروبي. فآسيا بالنسبة لأوروبا شرقية، لكن بالنسبة للصين، إمبراطورية الوسط، كانت الهند، طبيعيا، قطرا غربيا... وبالتالي، فإن معظم بلدان آسيا، إلى اليوم، تقبل صفة "الشرقية"، على الدراسات التي تخصها، لأنها تعودت على هذه التسمية، التي أصبحت مألوفة لدى الأوروبيين، رغم عدم ملامتها..."^(٢). ويواصل قائلا: "لقد وقع الخلط إذن في أوروبا ولدى الأوروبيين حول الاسم "المستشرقون"، وحول كل ما يهم البلدان الآسيوية، مهما كانت وكيف ما كانت تلك الاهتمامات. فتطلق كلمة "المستشرق" على من ترجم "ألف ليلة وليلة"، أو من أرخ للبوذية، أو من قام بتصوير المدن التركية..."^(٣). أما المستشرق الحقيقي، فهو حسب رأيه ذاك الذي "يجهد نفسه كي يعرف اللغات والآداب الآسيوية"^(٤).

(١) مشروع إصلاح مؤتمرات المستشرقين العالمية - ترجمة المحسن بن علي سويس - ص ٣٧٦.

(٢) المرجع نفسه - ص ٣٧٧.

(٣) المرجع السابق - ص ٣٧٧.

(٤) المرجع نفسه - ص ٣٧٨.

ج - المركزية الأوروبية الضيقة: تتمثل المركزية الأوروبية عنده في العمل على "هامش الحضارة الأوروبية الكلاسيكية، التي تؤخذ على أنها المثالية عموماً"^(١)، إلا أنها فرضت نفسها على المستشرقين رغم أنها "توفر لحمة مزيفة رغم تعارضها مع تقاليدها نفسها"^(٢). وهذه المركزية عريقة في دماء الأوروبيين، وأضحت إحدى مكونات الشخصية الغربية، بحيث يتحركون في دائرتها، ولذا نراه يصرح قائلاً: "إن المركزية الأوروبية التي أكسبتنا هذا الاجتماع وهذه الوضعية، هي ذات أصول طبيعية، بما أن أوروبا نفسها هي التي جاءت بمصطلح "الشرق"، ولنفسها فقط، حين قامت باكتشاف الشعوب الآسيوية، ومع ذلك، فإن المركزية الأوروبية تبدو الآن تحت شكل آخر مخمر في بعض الأذهان التي تأمل في أن تكون الدراسات الشرقية المنتجة من قبل الأوروبيين هادفة إلى إكمال الثقافة الأوروبية العامة، منشئة بذلك ميداناً أوروبياً، يوجب على علماء آسيا أن يقوموا بإحضار وثائقهم الضرورية، لا طرقهم ووجهات نظرهم، ما لم تكن لديهم تلك الثقافة الأوروبية العامة. من جانبهم أيضاً، يقبل علماء آسيا هذه الأفكار على أنها طرق حديثة، مقارنة مع تقاليدهم الوطنية، ويقبلون أن تكون الثقافة آسيوية، أما التحليلات فأوروبية أمريكية..."^(٣).

د - الهيمنة العلمية والتقنية والسياسية: يقول فيها "فليوزا": "أما فكرة التفوق العلمي والتقني، الذي اكتسبته أوروبا مستقبلاً، فقد تبلورت وانتشرت، الأمر الذي أدى ألبا إلى التفوق الثقافي لأوروبا في ميدان الأدبيات والفنون والأفكار"^(٤). أما عن السياسة، الاستعمارية منها بصفة خاصة، فقد صرح قائلاً: "وفي مرحلة نالية فقط، من تطور الدراسات، ظهرت الفكرة القائلة بكون المستشرقين لا يمكنهم أن يقوموا بتحليل الدراسات الشرقية لوحدهم. فقد لعبت الحجج الاستعمارية، والتمييز العنصري أدواراً بارزة في تأكيد وجوب الهيمنة الأوروبية"^(٥).

(١) المرجع نفسه - ص ٣٧٨.

(٢) المرجع نفسه - ص ٣٧٨.

(٣) المرجع السابق - ص ٣٧٩.

(٤) المرجع نفسه - ص ٣٨٠.

(٥) المرجع نفسه - ص ٣٨١.

هـ - انعدام الموضوعية في دراسات بعض الغربيين: وفيها نص المستشرق على أن "بعض العلماء يسعون متباهين للوصول إلى النجاح في مهامهم، دون أية مساعدة من قبل غيرهم من رجال تلك البلاد، أو حتى يكون لهم مجرد معرفة بتلك البلدان، وإنه لمن المؤسف أن لا يوجد لدى هؤلاء مندخل للتعامل مع العلماء الآسيويين، إذ إنهم ينهمكون في أعمالهم لا لبلوغ النتائج الموضوعية في البحث، بل إن الغالب على دراساتهم المآرب الشخصية"^(١) وقال أيضا: "فنحن لسنا متخصصين متعمقين، وإنما مؤهلون للإسهام في تكوين العلوم الإنسانية العامة، سواء منا الكتاب أو الباحثون في كل ما هو كلاسيكي، أوروبيا كان أو آسيويا..."^(٢).

و- ازدياد عدد الشرقيين المشاركين في المؤتمرات: ويقول فيهم "فليوزا": "ثم إن كل مستويات التمييز هذه سقطت - مع حسن الحظ - رغم وجود بعض الشواذ أحيانا. وفي كل الأحوال، لم تمنع تلك التميزات منذ مائة سنة العلماء الآسيويين من أخذ مكانة تزداد كثافة ضمن مؤتمرات المستشرقين، وفي أعمال المجتمعات الآسيوية والمشرقية أيضا، وليست سوى الأوضاع الاقتصادية التي لا تزال تمنعنا من مشاركات العلماء الآسيويين"^(٣).

بعد هذا التحليل، انطلق "جون فليوزا" لبيان الخطوات العملية التي يجب اتخاذها من أجل التجديد في روح المؤتمرات. ومن هذه التحسينات، أمكن استخلاص ما يلي من كلامه:

أ - شفافية المؤتمرات: بحيث تصبح المؤتمرات عادلة في توزيع المساهمات والمشاركات العلمية، وفيها يقول: "يجب علينا مستقبلا أن ننظم مؤتمرات علمية، لا مؤتمرات علماء"^(٤)، ويقول أيضا: "ويتضح الآن يوما بعد يوم أن المؤتمرات لا

(١) المرجع نفسه - ص ٣٨١.

(٢) المرجع نفسه - ص ٣٨٤.

(٣) المرجع السابق - ص ٣٨١ - ٣٨٢.

(٤) المرجع نفسه - ص ٣٨٢.

يمكنها أن تكون مؤتمرات أفراد يعرضون اتصالاتهم الشخصية بموضوعات مختلفة لا تحصى^(١).

ب - تغيير مسمى المؤتمرات: وقال في هذا: "وهذا المؤتمر لا يمكن أن يكون استشرافياً، بل الأولي أن يسمى "مؤتمر العلوم الإنسانية الآسيوية" لأن محتواها يركز على العلوم الإنسانية، بل إنه مستقبل العلوم الإنسانية العامة، الذي نجده هذه الأيام"^(٢).

ج - الاعتماد المحدود لمساهمات الشرقيين: رغم ما يبديه المستشرق من نظرات تصحيحية وانتقادات توجيهية، إلا أنه نفسه تشوبه عقدة التفوق الثقافي والتعالي المعرفي. فهو يقول عن الشرقي إنه "يعمل في الإطار الداخلي لثقافته الأصلية والخاصة، بحيث إن ثقافته العامة محصورة في مجاله... إن ارتباطهم الوثيق والنفسى بعالمهم، يحول بينهم وبين الموضوعية العلمية، ولذا، لا يمكنهم الإسهام إيجابياً في أعمالنا"^(٣).

ويدعو لذلك دعوة محدودة جداً للتعامل مع الشرقيين، وكأنه لا يزال يشير وينص على أنهم حقل التجارب المعرفي للاستشراق مهما بلغت درجتهم الثقافية، ومما جاء في كلامه "لا يجب إهمال علماء آسيا، تحت شعار تحديث المعرفة والعلوم، يجب أن لا نتركهم يذوبون لأنهم أحياء، لن يعمرُوا كالنصب الأثرية التي نحافظ عليها، زيادة على ذلك، فإن لهم قيمة ثمينة جداً، باعتبار أنهم أحياء ناطقون. أما نحن، فلا يمكننا أن ندرجهم معنا ضمن دراساتنا العالمية، حين لا يكونون ممثلين للغة عالمية..."^(٤).

د - التخصص العلمي والتكامل بين العلوم: ذكر عن ذلك "فليوزا" فقال: "إن التخصص أمر ضروري ومحتم، لا مفر منه، لكن التشرد الذي يؤدي إليه، يجب أن يكون متوازناً في مختلف جزيئاته، وهذا الأمر لا يتم إلا بالتعاون بين مختلف الأطراف تلك من جهة، والمتخصصين العديدين الذين يريدون العمل من أجل

(١) المرجع نفسه - ص ٣٨٢.

(٢) المرجع نفسه - ص ٣٨٣.

(٣) المرجع السابق - ص ٣٨٤.

(٤) المرجع نفسه - ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

معرفة الاحتكاكات والتبادلات بين مختلف الثقافات الأخرى، وأخيرا من قبل الذين يرغبون في الحصول على نظرة عامة للمشكلات الإنسانية^(١). ويذهب إلى ضرورة التعاون بين دراسات المؤتمر والدراسات الطبيعية، بما فيها علوم الفيزياء وغيرها من العلوم، كعلم الآثار وعلوم الجغرافيا-الفيزيائية، وعلم النبات وعلم المناخ وأصول الجنس البشري وعلوم البيئة وغيرها من المعارف^(٢).

ذاك هو ملخص المحاضرة المطولة التي ألقاها "جون فليوزا"، تلك المحاضرة التي لقيت صدى واسعا لدى الحضور، وخضعت فكرتها لنقاشات مطولة، أدت في النهاية إلى اتخاذ القرار التالي "إن مؤتمرات العالمية، تحت مسمائها الجديد، "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، سينعقد لاحقا مرة كل خمس سنوات على الأقل، وستضم ندوات متخصصة، لممثلي عن الميادين المختلفة، لمناقشة مشكلات نظامية عالمية وإقليمية. كما أنها ستكون مفتوحة للشخصيات المتخصصة في هذه الميادين المتنوعة"^(٣).

وهكذا دخلت المؤتمرات فترة أخرى من عمرها، باسم وتوجهات جديدة، لكنها لم تدم طويلا كذلك، فما لبثت سوى دورتين فقط، حتى طرأ على مسماها الجديد هذا تحويل آخر.

٣ - المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا

لم يتضح من خلال أعمال المؤتمرات المنشورة الأسباب الحقيقية الكامنة وراء تغيير مسمى مؤتمرات المستشرقين العالمية مرة أخرى، إلا أن التغيير الأول يبدو أنه لم يأت بالنتيجة المأمولة. ومن ذلك قول "ياماموتو": "إن العديد منا يملك فرصة حضور المناقشات المتعلقة بنظريات مختلفة تماما، مثل الاستعمار، الرأسمالية، الشيوعية، الحرية والجبرية أو المزيد من النظري،

(١) المرجع السابق - ص ٣٨٩.

(٢) المرجع نفسه - ص ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٣) Le XXIX^{eme} Congres International des Orientalistes - Paris - Juillet - 1973 - p.26.

والسلوكية والعقلانية وهكذا. لكن تجربتنا تبين أن هذا النوع من مزيد تبسيط المقابلة والمقارنة للأفكار المتباينة، لا يؤدي إلى جني نتائج مثمرة، لذا فإنني أتمنى أن نكون أكثر فطنة في معالجة مثل وجهات النظر الشمولية هذه... إنها أفضل طريقة لجعل مؤتمراتنا تساهم في تسكين الضغوط الاجتماعية-السياسية والخلافات العالمية⁽¹⁾. من هذا الكلام، يتبين أن المستشرقين لم يفلحوا في إزالة العوائق والتخلص من الحواجز التي كانت تعيق مسيرة مؤتمرات المستشرقين العالمية، على مدى عشر سنوات من تغيير المسمى.

لقد ظلت المركزية الأوروبية تبسط ظلالها على البحوث، وما زالت المؤثرات الخارجية تسيطر على مجريات الدراسات. لكن الخط المرسوم للمؤتمرات بمسماها الثاني: "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، لم يتم التمسك به والسير على خطواته المحددة⁽²⁾. ومن هنا يبدو أن عدم التمكن من تنفيذ المأمول من التحوير تنفيذا كاملا، سبب من أسباب تغيير المسمى.

ويبدو كذلك أن الاسم الثاني، قد حصر أبحاث المؤتمرات في الدراسات الإنسانية، ومن شأن مثل هذا الحصر أن يضيق من نطاق البحوث في المؤتمرات، أو أنه لا يتطابق مع ما يقدم من معلومات أو أبحاث، التي قد تتجاوز ذلك الاسم، فلزم أن يكون للمؤتمرات اسم أكثر شمولاً لمحتوياتها وأوسع جمعا لموادها.

ومهما تكن الأسباب، فإن مؤتمر "طوكيو"، جاء بالقرار التالي "لقد نقرر تغيير اسم المؤتمر، من "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا" ليصبح "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا". وقد أيدت جلسة المؤتمر العامة هذا القرار بالإجماع⁽³⁾. هكذا ورد القرار دون شروح وتبريرات وحيثيات.

(1) Discours de Yamamoto Tatsuro - President of 31 International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - 1984 - Tome I - pp. 30 - 31.

(2) Yamamoto Tatsuro (Address) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo - 1983 - p. 32.

(3) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo - 1983 - p. 42.

المبحث الثاني: النظم العامة لمؤتمرات المستشرقين العالمية وتطورها

أصبح للمؤتمرات كيان خاص بها، لذا كان لزاما عليها اتخاذ أسس تقوم عليها وتسير على نهجها، حتى لا تتشعب وتتوسع أو تترهل وتتهار. لذا، فقد سعى المنظمون منذ انطلاق التفكير في عقد المؤتمرات للتباحث حول أسسها. لذلك، ظهرت أسس تنظيمية متعددة، تتغير بتغير نمط التفكير حول ترتيبات المؤتمر، إلى أن توصلت العصابة الفرنسية الأولى إلى الاتفاق على نظام عام للمؤتمرات.

إلا أن هذا النظام لم يثبت على صفته الأولى، بل شهد تحويرات وتغييرات كثيرة، فأضحى الحديث عن نظم المؤتمرات وليس عن نظام واحد، إذ ظهرت خمسة نظم رئيسة معترف بها، آخرها ورد في مؤتمر طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ).

إضافة إلى هذه النظم الرئيسية، ظهرت أنظمة خاصة^(١)، ولاسيما في المراحل الأولى، إذ سمحت الأنظمة الأولى بتكوين أنظمة خاصة بكل دورة، الأمر الذي أدى أحيانا إلى تهميش النظام العام المتفق عليه، مما دعا مؤتمر باريس الحادي عشر سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، إلى محاولة إيقاف مثل تلك الأنظمة الخاصة، قبل أن ينقح هذا النظام أيضا.

في هذا الموضوع، سيتم تناول هذه الأنظمة العامة الخمسة ومسارها والتطويرات التي طرأت عليها، وتحليلها في ذاتها مع مقارنتها فيما بينها.

(١) تفصيلاتها عند الحديث عن الأطوار التي مرت بها المؤتمرات، في مواضع متفرقة، ص ٣٢٢ فل بعدا من الرسالة.

النظام الأول: باريس ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)^(١):

بعد الإجراءات النظامية التي اتخذتها اللجنة الباعثة لمؤتمرات المستشرقين العالمية، بصفة تكاد تكون انفرادية، وتتعلق بالمؤتمر الأول، تم التباحث حول نظام شامل عام لكل المؤتمرات، ولذلك سموه "النظام العام والنهائي الذي تبناه التجمع العالمي international"^(٢)، اعتقاداً من المنظمين أنه سيكون نهائياً فعلاً. إلا أن الثغرات في المبادئ أدت إلى شبه تجاهل لهذه القوانين.

أما ما يلاحظ على هذا البرنامج فهو أنه يهدف إلى:
أ - الاهتمام بالناحية الإدارية العامة.

ب - المحافظة على انعقاد المؤتمر ودوامه من خلال البنود الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والثمان عشر.

ج - التنظيم الإداري العام، من خلال البنود السادس والسابع والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، إلا أن الاهتمام بالتنظيم الإداري الداخلي للمؤتمرات لم يتعرض له النظام هذا بعمق.

د - النظام المالي: من خلال البنود الرابع والحادي عشر والثاني عشر.
هـ - شأن إمكان تغيير هذا النظام: البنود التاسع عشر والعشرون.

أما النقاط المثيرة التي ساهمت في عدم فاعلية هذا النظام، فهي كالتالي:

أ - البند الثاني: الذي يدعو إلى انعقاد المؤتمر كل سنة، فلم يتم سريان هذا البند سوى سنتين فقط. فبعد المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ) (١٢٩١هـ)، لم يعقد المؤتمر الثالث إلا في العام ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ)، فيما انعقد الرابع سنة ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)، والخامس سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ).

(١) وردت هذه البنود في الملحق رقم ٤ ص ٦٠٠ من الرسالة.

(٢) Congres International des Orientalistes - Compte rendu de la premiere session - Paris - 1873 - Volume 2 - Tome troisieme - p. 11.

ب - البند السادس: الذي يرى أن لا تتم التدخلات إلا بلغتين فقط، الفرنسية ولغة البلد المضيف، هذا البند لم يسر كما حدد له النظام مساره. فالمعلوم أن المؤتمرات نشأت وسط صراعات سياسية وقومية وعرقية أوروبية، بل إن فرنسا نفسها كانت ساعتها خرجت مهزومة من حرب مدمرة مع ألمانيا^(١). لذا، كان من الصعب ساعتها فرض سمات وطنية معينة على حساب الأخريات، بما فيها اللغة، واللغة مقوم من مقومات الوطنية والقومية، وقد كان الصراع ساعتها قائما بين ثلاث لغات رئيسية، الفرنسية والإنجليزية والألمانية، كما يمكن إضافة الروسية، ومع ذلك لا يمكن إغفال اللغات الأخرى التي كانت معتزة بنفسها، لذا فقد أضيفت لغات عدة للمؤتمرات كالإنجليزية والإيطالية والألمانية والروسية وغيرها، وسيوضح ذلك لاحقا^(٢).

ج - البند السابع عشر: الذي سمح لكل لجنة مركزية لكل دورة، إعداد قانون تنظيمي خاص بها. فقد فتح هذا البند الباب للنفن في إصدار أنظمة قانونية خاصة للمؤتمرات، وفق نظرة مستشرقي ذلك البلد. ولعل أكبر دافع على الاستمرار في ذلك الأمر، عدم تطرق النظام العام للنظم العلمية والإدارية بالتحقيق، إذ لم يتعرض من الجانب العلمي إلا إلى أمر تخصيص كل دورة بفرع من فروع الاستشراق، ليكون موضوعها الرئيس، وسواء يكون ثانويا. أما غير ذلك فقد أهمله النظام الأساس، ولم يتعرض له، ولذلك، ظهرت أنظمة خاصة بكل مؤتمر، همشت النظام العام، وهو ما سيتم طرقه لاحقا^(٣).

أمام تلك المشكلات التي شهنتها مؤتمرات المستشرقين العالمية، نتيجة للقصور في بعض بنود نظامه العام، كان لا بد من التفكير في تحويرها، حتى تتماشى والمؤتمرات كافة، وظهرت أول محاولة جريئة لإحداث تحويرات على نظام المؤتمر العام، تلك التي تمت في المؤتمر التاسع الذي عقد في لندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ).

(١) مر الحديث عن هذا ص ٤٩ من الرسالة.

(٢) سيأتي ذلك لاحقا عند الحديث عن أطوار المؤتمرات، ومثاله ص ٣٣٢ من الرسالة.

(٣) سيأتي ذلك لاحقا ص ٣٢١ فما بعدها من الرسالة.

٢ - النظام الثاني: لندن ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)^(١):

أمام تلك المعوقات التي واجهت نظام المؤتمرات العام، جعل المستشرقون يتباحثون في إقرار نظام جديد آخر، عسى أن يحل تلك العوائق التي حاقت بالنظام السابق.

المتمعن في بنود النظام الجديد هذا، لا يلاحظ اختلافات جذرية مع قوانين باريس. فقد حاولت هذه البنود سد الثغرات التي تركها النظام السابق. والجديد الذي جاءت به هو تكوين لجنة رابطة بين المؤتمرين المنعقد والذي على أبواب الانعقاد، حفاظا على دوام المؤتمرات، وأسماها لجنة ما بين الدورتين في البنود الخامس والسادس والسابع، إضافة إلى ضرورة البت في انعقاد المؤتمر اللاحق، وأن تعين له لجنة خاصة بذلك أثناء المؤتمر (البند الرابع). أما عدا التنصيب على ضرورة استمرار المؤتمرات، فلا يلاحظ إضافة عميقة لها، بل إن بعضها ركزت على الجانب الشكلي للبحث، بل بالتدقيق في جزئيات شكلية تماما، كالبنود الثلاثة.

أما الجانب العلمي، فلم يوجه إليه إلا البند الثامن، الذي ترك أمر القرارات لكل مؤتمر على حدة، انطلاقا من جلسته الأولى. وبالتالي، ظل هذا النظام قاصرا، ولم يف بالمأمول منه، وهو الأمر الذي ترك الباب مفتوحا لعدم الاقتناع بتلك البنود.

٣ - النظام الثالث: باريس ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)^(٢):

خلال مؤتمر المستشرقين العالمي الحادي عشر هذا، تمت إعادة النظر في نظام المؤتمر العام. إلا أن الوثائق لم تذكر الأسباب الدافعة لهذا التحوير ولا دوافعه ولا حتى مسار البحث فيه، واكتفى بذكر ما يلي كعنوان للنظام الجديد "النظام العام لمؤتمرات المستشرقين، الذي اعتمد خلال الجلسة العامة المنعقدة يوم

(١) هذا النظام وارد في الملحق رقم ٥ ص ٦٠٦ من الرسالة.

(٢) بنود هذا النظام بالملحق رقم ٦ ص ٦٠٩ من الرسالة.

الخميس التاسع من سبتمبر سنة ١٨٩٧م (الثالث عشر من ربيع الآخر ١٣١٥هـ)، خلال مؤتمر المستشرقين العالمي الحادي عشر، الذي انعقد في باريس^(١). إلا أنه من حيثيات ما سبق هذا المؤتمر من تغييرات في النظام العام لكل دورة، إضافة إلى مزاحمة مستشقي إنجلترا، في شأن تعديل نظام باريس السابق، الأمر الذي أعاق فاعلية القانونين المعتمدين، سواء الأول أو الثاني.

وكان المستشرقون الفرنسيون اعترضوا في مؤتمر لندن السابق الذكر على إعادة النظر في النظام العام السابق، فما كان من المستشرقين البريطانيين إلا أن هاجموهم، إذ يبدو أن التنافس بين بريطانيا وفرنسا القائم ساعتها، لم ينحصر في الأطر السياسية، بل ولج النفوس الفردية والعلمية كذلك، ورد فعل "ماكس ميللو"، حول الموضوع، في المؤتمر التاسع، دليل على ذلك، إذ قال: "أحد العلماء الفرنسيين، السيد "دو روسني"، والعديد من زملائه الذين يصرحون بأنهم الممثلون المؤسسون لمؤتمراتنا، وبالتحدث باسم المدرسة الاستشراقية الفرنسية، يجتمعون فجأة ضد توصية المؤتمر كأنما هي فيروس فوقي. إنهم يناشدون بالإبقاء على هيكل النظام العام الذي وضع منذ ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ). لقد نعت السيد "دو روسني" وزملاؤه أنفسهم بأنهم مؤسسو مؤتمرات المستشرقين هذه، تلك التنظيمات المسلم بها حالياً، لم يتم أبداً مناقشتها علنياً، كما لم يتم تصحيحها فيما مضى مطلقاً، في أي مؤتمر لاحق..."^(٢).

إن، يبدو أن هذا المؤتمر ترك بعض الأشياء في نفوس المستشرقين الفرنسيين، ولا سيما بعد الهجمة التي تعرضوا لها من زملائهم البريطانيين، ساهم في مسارعة المستشرقين الفرنسيين إلى التباحث حول نظام عام آخر، ملزم لجميع المؤتمرات، بحيث لا يتم تحويله لاحقاً إلا بأسس معقدة، إضافة إلى محاولة إلغاء الأنظمة الخاصة بكل مؤتمر مخصوص.

(1) Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - Tome premier - p. XV.

(2) Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - vol. 1 - p. 5.

أول ما يشد هذا النظام الانتباه إليه، هو تركيزه للمعاني في عبارات مختصرة. ومع ذلك فهو شامل لكل ما مر بنا من أنظمة عامة وخاصة، ولاسيما النظامين العاملين ضمن بنوده المختصرة، بحيث سعى إلى المحافظة على استمرار المؤتمرات ودوام انعقادها، وذلك من خلال البندين السادس والسابع، ووضع مهمة لجنة التنظيم في الترتيب المعنوي والمادي والعملية، (البند الثاني)، كما جعل شأن ترتيب الجلسات وتنظيمها للجنة التنظيم، ولاسيما في اختيار لغة المؤتمر، أو لغاته، (البند الرابع)، ووكّل للجان العلمية أمر اختيار المزيد من اللغات والإشراف على شؤون عملها الخاص (البندين الرابع والخامس). كما بين عمل لجنة جديدة، هي اللجنة الاستشارية، تتدارس ما يطرأ من مشكلات أثناء انعقاد المؤتمر، (البند الثالث).

هذا النظام حدد إذن، خطوطاً عريضة، وهياً للجلسات شأن التحرك من خلالها، دون التدقيق الشديد في التصرفات ودون ترك الحبل على الغارب. ومع ذلك، يبقى التركيز العام في النظام ينحو تجاه استمرار المؤتمرات، التي تبدو أنها **مِنَحَت** الأولوية في سعي المستشرقين للتشبث بها، سواء الفرنسيين منهم أو البريطانيين، أو غيرهم، إذ احتاط لحدوث أية مشكلات مهما كان نوعها، نص على بعضها النظامان الأول والثاني، فدعا إلى ضرورة تكوين لجنة عالمية، وحدد أعضائها ومهمتها، بحيث تنقذ المؤتمر من أي مطب، وتسهر على حل مشكلاته، وتلك الحلول ملزمة للجميع (البند السابع). كما أنه راعى التوجه العام نحو ترك الحرية العملية للجان، إذ معظم الأنظمة الخاصة نصت على ذلك، عدا مؤتمر "سان بترسبورغ"^(١)، لكن النظام الجديد شدد على أن الكلمة المطلقة والفاصلة في اللجان هي للرئيس، ولعل ذلك من أجل تفادي بعض المزالق التي قد تؤدي إلى خلافات في وجهات النظر حول بعض النقاط الدراسية أو النظامية، كل ذلك مع التنصيص على أن اللجنة التنظيمية هي السلطة العليا في المؤتمر، فهي التي يعود إليها الجميع كلما استفحلت مشكلة أو استعصت على الحل (البند الخامس).

إذن، يعد هذا النظام أفضل من سابقه، إذ هو نتاج لتجربة دامت عقدين ونيفاً من الزمن، أمكن في أثناءها تحقيق خبرة حول سياسة المؤتمر.

(١) يمكن الاطلاع على ذلك بالملحق رقم ١٠ ص ٦٢٤ من الرسالة.

٤ - النظام الرابع: آن آر بور ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)^(١):

بعد محاولات عدة لتحويل نظام المؤتمرات العام الثالث، وبعد أن صمد ثلاثة أرباع القرن، جاء مؤتمر "آن آر بور"، السابع والعشرون، سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، ليحدث على أطول الأنظمة عمرا، تحويلات وتعديلات جذرية. وكانت انطلاقا هذا التحويل من مؤتمر "نيو دلهي"، السادس والعشرون، سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، إذ تكونت فيه لجنة للتعابح الموضوع، ورأس هذه اللجنة المستشرق الأمريكي "براون"^(٢).

وخلال مؤتمر "آن آر بور" هذا، أعد "براون" مذكرة نهائية حول الموضوع، لتكون أساسا للقراءات الختامية. وبعد اجتماع أعضاء اللجنة خلال المؤتمر، أجاز القرار وقدم اللجنة الاستشارية، التي أجازته بدورها. ذكر ذلك "دانديكار" الباحث الهندي وعضو اللجنة، ومما جاء في القرار ويتعلق بالنظام العام ذكر أن البند الثامن من القانون الحالي، يجب أن تعاد صياغته^(٣)، مركزا على كيفية تكوين لجنة استشارية وأخرى تنفيذية، ومبيناً أطرها الإدارية ومهامها العملية وصلاحياتها التنظيمية^(٤).

وقد وافق الحاضرون على التغيير الجديد بالإجماع، وفورا طبقوا القرارات، إذ هو الاجتماع الأخير، ولا يمكن للجنة الاستشارية أن تجتمع مرة أخرى، وتم انتخاب الأعضاء الثلاثة من اللجنة الاستشارية، وبالتالي تكونت أول لجنة تنفيذية في تاريخ المؤتمرات^(٥).

ومع ذلك، فإن هذا التغيير الجديد، لم يكن نظاما جديدا بما في الكلمة من معنى، وإنما هو تنقيح للنظام السابق.

(١) توجد بنود هذا النظام كاملة بالملحق رقم ٧ ص ٦١٣ من الرسالة.

(٢) سيتم تفصيل الموضوع ص ٣٨٨ من الرسالة.

(٣) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - pp. 36 - 37.

(٤) تم إيراد النظام العام هذا بأكمله بالملحق رقم ٧ ص ٦١٣ من الرسالة.

(٥) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - pp. 37 - 38 .

٥ - النظام الخامس: طوكيو ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)^(١):

لم يتبين من الوثائق المتوفرة أسباب هذا التحوير الجديد. إلا أن هناك حدثين هامين، لعلهما السبب وراء تنقيح النظام العام مرة أخرى:

الأول: تغيير مسمى مؤتمرات المستشرقين العالمية، فقد تحولت في باريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) إلى مسمى "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، وفي مؤتمر طوكيو هذا نفسه، تقرر تغيير الاسم مرة أخرى ليصبح "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا"، وربما كان من الضروري تعديل النظام العام ليلتماشى مع تغيير المسمى.

الثاني: أنه كان من المقرر أن انعقد المؤتمر الحادي والثلاثون في طهران بـ إيران في العام ١٩٨١م (١٤٠١هـ)، إلا أن قيام الثورة السياسية فيها أدى إلى عدم إمكان ذلك، فتوجهت الطلبات إلى طوكيو، التي قبلت الأمر شريطة أن يتم تأخير الموعد سنتين آخرين، ولذا تأخر انعقاد المؤتمر ليصل إلى سبع سنوات من بعد مؤتمر مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ). وهذا ما أدى كذلك لإعادة النظر في النظام القانوني العام.

أما التنقيحات، فبما أنها جزئية، فقد جاءت مركزة على تحديد الفترة الفاصلة بين مؤتمرات متتاليين، ووضع المؤتمرات تحت إشراف الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية، ليكون مسؤولاً على تواصل انعقادها الدوري^(٢).

وأعلن الرئيس أنه نظراً لحدوث التغييرات على البند الثالث، ففي نقطتينه الرابعة والخامسة، فإن البند السابع الحالي، يجب أن يتمحور ذاتياً، ليقرأ كما يلي: "بعد اختتام أي مؤتمر، يجب على اللجنة التنظيمية لذلك المؤتمر استبقاء صلاحيات خاصة، بالقدر الذي يخول لها إتمام التزامات المؤتمر ذاك"^(٣).

(١) البند والنظام الكامل في الملحق رقم ٩ ص ٦٢٠ من الرسالة.

(٢) Proceeding of the Thirty - First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - p.

(٣) Ibid. - Tome Ibid. p. - p. 41 .

وبالتالي، فقد تم تحويل النظام السابق في بنوده الأول والثالث في نقطتيه الرابعة والخامسة ج، والبند السابع. ومن خلال تلك التحويلات، نجدها جميعها تسعى لضمان انعقاد الدورة اللاحقة من المؤتمرات^(١).

إذن، تلك هي مسيرة النظام العام لمؤتمرات المستشرقين العالمية، منذ انطلاق أول مؤتمر عالمي للمستشرقين، حتى الوقت الحاضر. فلقد مر بتغييرات وتحويلات عدة لاحقة، وربما طرأ عليها مستقبلا تطويرات أخرى.

(١) تم إيراد للنظام بأكمله بالملحق رقم ٩ ص ٦٢٠ من الرسالة.

المبحث الثالث: نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية الإدارية وتطورها

تنقسم نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية إلى نظامين اثنين، النظام الإداري والنظام المالي. وفيما شهد النظام المالي استقرارا نوعيا في ثباته ومساره، فإن النظام الإداري طرأت عليه تطورات وتغييرات. وفي هذا المبحث سيتم طرق شقي النظام الإداري ومساره، على مدى عمر مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد شهدت المؤتمرات تجديدات عدة في أطرها الإدارية، سواء في اللجان ذاتها، فيتم تطوير بعضها أو بعث أخرى، أو في ما يتعلق بالنظم الإداري للمؤتمرات.

١ - أطر المؤتمرات الإدارية:

ينطلق الإطار الإداري للمؤتمر، من الموافقة على البلد المستضيف. فما إن تم الإعلان عن ذلك، حتى تكونت لجنة سميت اللجنة التنظيمية. ومهمتها الإعداد الكامل للمؤتمر، سواء منها الترتيبات المعنوية أو المادية. ولدى انعقاد المؤتمر، يتم تأطير هيكل إدارة المؤتمر ولجانه الإدارية والعلمية. ويتواصل عمل لجان منها حتى بعد نهاية المؤتمر، إلى أن يعقد مؤتمر لاحق أو تتكون لجنة تنظيمية أخرى، عدا اللجنة المكلفة بطباعة أعمال المؤتمرات، فلا تنتهي مهمتها إلا بظهور المصنف للوجود.

في هذه الفقرة، سيتم التطرق إلى دراسة تلك الأطر والهيكل واللجان وبيان مهماتها، والتطورات الحاصلة فيها، وأسباب ذلك، بحسب ظهورها للعمل الفعلي، انطلاقا من اللجنة التنظيمية، وانتهاء بلجنة طباعة الأعمال.

أ- اللجنة التنظيمية:

انطلقت اللجان التنظيمية، مع بروز أول مؤتمر عالمي للمستشرقين، بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ). فقد ورد في المنشور الأول الذي أصدره "دو

روسني" وزملاؤه قولهم "إننا بصدد تكوين لجنة تنظيم، وقد حصلنا على موافقة مراكز علمية أوروبية..."^(١)، وكان دورها ساعتها يتمثل في إعداد أنظمة المؤتمر، ومركزة المقترحات الواردة، والإعداد للجلسة الافتتاحية الترحيبية، وكيفية الاستماع للقرارات والمساهمات، وتلاوة التقارير التي يعينها المؤتمر، وإعداد التقرير النهائي حول التحضير لانعقاد مؤتمر عالمي آخر للمستشرقين، ومن مهامها أيضاً إرسال التقارير والبرامج المفصلة للشخصيات والهيئات المعنية^(٢). ومن أعمالها أيضاً استقبال طلبات العضوية وإعداد بطاقات في ذلك لأصحابها، والعمل على الحصول على تخفيضات في أسعار النقل والتحول، وتأمين أماكن إقامة أعضاء المؤتمر، كما تستقبل مساهمات المشاركين^(٣)، وعليها توفير إمكانيات نشر أعمال المؤتمر نفسه^(٤)، وتأخذ على عاتقها كل الصلاحيات اللازمة لتأكيد انعقاد المؤتمر، وتجب على المكاتبات التي تردها^(٥)، وإرسال خطابات المشاركين ومركزتها، وطبع برنامج الجلسات وتوزيعها مسبقاً، "وباختصار، من شأن اللجنة اتخاذ كل الترتيبات المادية الخاصة بتنظيم المؤتمر وإدارة جلساته"^(٦). كما أن لها البت في اختيار المدينة التي سيعقد فيها المؤتمر اللاحق، واختيار رئيسها من بين علماء ذلك البلد، وعدد من علماء ذلك الوطن ليكونوا مساعدين له^(٧). وللجنة أيضاً تحديد الموضوعات التي ستطرق في المؤتمر^(٨)، ولها إصدار نظام الجلسات^(٩)، إضافة إلى إصدار البرنامج اليومي للمؤتمر^(١٠).

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - p. III.

(٢) Ibid. - Tome troisieme - pp. III-IV.

(٣) Ibid. - Tome troisieme - pp. XI-XII.

(٤) Ibid. - Tome troisieme - p. XX.

(٥) Ibid. - Tome troisieme - p. VIII.

(٦) Ibid. - Tome troisieme - p. VIII.

(٧) Ibid. - Tome troisieme - p. VIII.

(٨) Ibid. - Tome troisieme - p. XVIII.

(٩) Ibid. - Tome troisieme - pp. XV-XVI.

(١٠) Ibid. - Tome troisieme - p. XXII.

تلك هي السمات العامة للخطوة الأولى في الإطار الإداري، لأي مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي اللجنة التنظيمية.

ب - التشكيل الإداري لمؤتمرات المستشرقين العالمية:

يتكون التشكيل الإداري من درجات إدارية عدة، أبرزها ما يلي:

- **اللجنة الراعية:** وتتكون من كبار الساسة والمسؤولين عمومًا، وقد تتكون من شخص واحد أو من عدة شخصيات. فلم تعقد جلسة مؤتمر واحد إلا تحت رعاية كبار الساسة.

- **اللجنة الشرقية:** وتضم الأعضاء الشرقيين عادة، وهم أيضا من كبار الشخصيات، السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد تشمل أحيانا بعض الأعضاء المندوبين وبعض الضيوف الذين يوجه لهم المؤتمر دعوات خاصة.

- **لجنة الأعضاء المندوبين:** وهم ممثلو الحكومات والهيئات العلمية. ولهؤلاء دور بارز ولاسيما في المؤتمرات الأولى.

- **الأعضاء الممثلون:** وهؤلاء هم ممثلو المؤتمر في الأماكن البعيدة عن موقع الانعقاد، سواء داخل البلد أو خارجه. ويبدأ عمل هؤلاء مع انطلاق أشغال اللجنة التنظيمية، بحيث إنهم يتولون إيصال الدعوات والنشرات واللوائح الخاصة بالمؤتمر أو اللجنة التنظيمية. وهؤلاء قد يشاركون في المؤتمر وقد لا يشاركون. لكن وجودهم من مستلزمات إدارة المؤتمر، من أجل بث الدعاية والتعريف به.

- **الرئيس الفخري للمؤتمر:** وهو إن وجد، يكون إحدى الشخصيات المرموقة. فقد يكون فردا واحدا^(١) أو أكثر^(٢).

والمعلوم أن المناصب المذكورة أعلاه، ليست موجودة على الدوام.

- **رئيس المؤتمر:** ويكون عادة رئيس اللجنة التنظيمية نفسه، وكان يتم انتخابه ليكون رئيسا للمؤتمر بصفة رسمية في الجلسة الافتتاحية، قبل أن يصبح

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. IX .

(2) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Without page.

معينا ومعروفا مسبقا، إذ يتم تعيينه في الجلسة الختامية لكل مؤتمر منعقد، بسبب التحويرات في نظم المؤتمرات. وهو المسير العام والمشرف على مسار المؤتمر، ويبيده الصلاحيات الإدارية الكاملة.

- نائب، أو نواب رئيس المؤتمر: هؤلاء هم عادة نوابه في اللجنة التنظيمية. إلا أن هذا ليس قاعدة، فقد يكونون من خارجها، بل قد يكون بعضهم من خارج البلد موضع انعقاد المؤتمر، وهو نادر الوقوع، وقد يرشحهم الرئيس نفسه للمنصب ذلك. ولا يتجاوزون عادة الثلاثة.

- السكرتير العام: وهو فرد واحد، ويكون عادة هو نفسه السكرتير العام للجنة التنظيمية. وهو المسير الفعلي والعملي للمؤتمر، ويتعامل مع كل ما يطرأ على المؤتمر من أحداث شتى، سواء من داخل المؤتمر أو من خارجه، وسواء مما يتعلق بالجانب العملي أو التنظيمي. ومنها جمع ملخصات المساهمات، وتقارير مسار الجلسات العلمية، وكل مشكلة تستعصي على الحل، وكل مقترح أو رجاء أو ملاحظة أو حتى احتجاج. كل ذلك يودع لدى السكرتارية العامة.

- سكرتارية المؤتمر: وهذه تعمل تحت إدارة السكرتير العام، وتتعلق مهمتها باستقبال المشاركين والسعي لحل كل قضاياهم البديهية أو الطارئة، إضافة إلى السهر على حسن سير أعمال المؤتمر، وإعداد التقارير والبرامج اليومية وطباعتها أو تجهيزها، ومساعدة السكرتير العام في واجباته، وتجميع تقارير اللجان ومساهمات الباحثين أو ملخصاتها، وعرضها على سكرتير المؤتمر.

ذلك هو ملخص الإطار الإداري العام للمؤتمر، وهو إطار حافظ على هذه الهيكلية، منذ انطلاق المؤتمرات في العام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حتى مؤتمرات يومنا هذا. لكن هذا الإطار لا يعمل لوحده في تسيير المؤتمر، بل هناك لجان أخرى تعمل معه على أنجاح المؤتمر.

ج - اللجنة الاستشارية:

ظهرت هذه اللجنة للوجود نظرا للحاجة الماسة التي لمستها المؤتمرات، بسبب المشكلات المتراكمة على مكتبه، مما دعا إلى تكوين هذه اللجنة، التي من شأنها القيام بمهام الاهتمام بتلك المشكلات وغيرها.

لم يظهر هذا المسمى إلا في المؤتمر التاسع^(١)، وهو أول من أطلق عليها هذا المصطلح^(٢). فمصطلح اللجنة الاستشارية ورد عابرا، على سبيل الإمكان. وحددت مهمتها في المساهمة في تعيين المؤتمر اللاحق فقط، زمانه ومكانه. وفي نظام باريس الثاني، أوجبت في بنده الثالث ضرورة تكوين هذه اللجنة، وحدد مهمتها في البيت في التساؤلات التي قد تطرأ خلال الجلسات^(٣). فهذا النظام إذن، حدد مهمة اللجنة في استقبال التماساوات والمشكلات الطارئة التي تحدث داخل الجلسات. وكذلك تواصلت مهمة هذه اللجنة عاملة في تلكا المهمتين الرئيسيتين: ألبت في المشكلات الطارئة أثناء انعقاد المؤتمرات، وتعيين مقر المؤتمر القادم وزمانه^(٤). ومع مرور الزمن، أضيفت لها مهام أخرى، أبرزها تكليفها بالقيام بإعداد مشروع مراجعة مسميات المؤتمرات ونظمها^(٥). ومن المهام الأخرى التي وكلت بها اللجنة الاستشارية، تحييص القرارات والآمال التي توجهها اللجان. ولا يتم عرضها على التجمع العام الختامي للمؤتمر، إلا بعد موافقة اللجنة الاستشارية على ذلك^(٦). ومن مسؤولياتها أيضا، عقد الاتفاقيات التي تخدم مصلحة المؤتمرات والاستشراق، مثل تعاونها مع اليونسكو لتكوين مشروع "اتحاد المستشرقين العالمي International Union of Orientalists"^(٧).

(١) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.1 - p. 1v.

(٢) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.1 - p. 1v.

(٣) Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T1 - p. XV.

(٤) ورد ذلك في العديد من المؤتمرات. مثلا زيادة عما ذكر: Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 42.

(٥) سبق الحديث عن المسميات، ص ١٧٧ من الرسالة، وعن النظم ص ٣٣٧ من الرسالة فما بعدها.

(٦) هكذا القرار على ما يبدو، أو أنه ما دأبت عليه المؤتمرات، ففي مؤتمرات عدة، تصریح على أن تلك القرارات عرضت على اللجنة الاستشارية، قبل عرضها على الاجتماع العام. على سبيل المثال:

Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p.105

(٧) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - Vol.1 - pp. 130-134.

أما عن عدد أفرادها، فقد جاء فيه "تتكون اللجنة من خمسة وعشرين إلى ثلاثين عضوا يمثلون المناطق المشاركة المختلفة، وأن يكون رئيس المؤتمر المنعقد وسكرتيه العام هما رئيس اللجنة وسكرتيها العام"^(١).

ورغم تسميتها سابقا بالعالمية، إلا أن اللجنة لم تأخذ الصبغة العالمية إلا في المؤتمر العشرين، إذ إن عضويتها لم تعد حكرا على أبناء البلد المنظم، بل أصبح أعضاؤها ينتمون لجل أقطار الأرض، وأضحت تسمى "اللجنة الاستشارية العالمية"، ثم تقرر أن تصبح لجنة عالمية دائمة، إذ لا تنقطع مسؤولياتها، حتى تستلم لجنة المؤتمر اللاحق المهام عنها. كما تقرر أن لا ينقص عدد أفرادها، فلإن غاب أو تعذر حضور البعض، عوضوه بغيره مباشرة"^(٢).

د - اللجنة التنفيذية:

طرح قضية تكوين لجنة تنفيذية لأول مرة، في مؤتمر "نيو دلهي"، السادس والعشرين، سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، عرضه أعضاء مستشرقون من الولايات المتحدة^(٣). ففي دعوتهم لإعادة النظر في نظام المؤتمرات وتنظيم اللجنة الاستشارية، طرح المؤتمر قضية "التباحث فيما إذا كان من المرغوب تنصيب لجنة تنفيذية دائمة لمؤتمرات المستشرقين العالمية"^(٤). وتمت دراسة الموضوع. وفي المؤتمر اللاحق بأن آربور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، أقر تنصيبها وهيكله نظامها الإداري^(٥).

أما المهام الدقيقة المخولة لهذه اللجنة، فحددها المؤتمر ذاته في^(٦):

(1) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 36.

(2) Ibid. - p. 38.

(3) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - p. 55.

(4) Ibid. - p. 60.

(5) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - pp. 36 - 37.

(6) Ibid. - p. 37.

" - تعيين المؤتمر القادم إذا لم يتخذ أي قرار في المؤتمر الذي انعقد، وفقا للبند السادس من نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية.

- أخذ المشكلات التي تتعلق بأهداف المؤتمر القادم وصفاته العامة في الاعتبار، تلك التي تتم في شكل توصيات للجنة التنظيم لمؤتمر اللاحق.

- اتخاذ كل المقاييس اللازمة لانعقاد مؤتمر جديد، إذا طرأت بعض العراقيل الخطرة، التي من شأنها أن تعرض للخطر أسس مؤتمرات المستشرقين العالمية ودوامها^(١).

تلك هي خصائص اللجنة التنفيذية ومهامها العامة. إلا أنها ما لبثت أن عهد بمهامها "للاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية International Union for Oriental and Asian Studies"، بداية من مؤتمر طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ).

هـ - الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية:

لم يتم تعريف هذا الاتحاد، ولكن يبدو أنه اسم جديد لاتحاد المستشرقين العالمي^(٢)، يمثل النشاط الاستشراقي في اليونسكو. ويبدو أنه استلم الإشراف العام عن مؤتمرات المستشرقين العالمية، لكن الوثائق المتوفرة لا تسعنا في التأكد من ذلك، لكن المؤكد أنه استلم أعمال اللجنة التنفيذية كافة. جاء هذا في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، فقد حذف البند الخاص باللجنة التنفيذية وأعضائها، وجاء بدلا عنه "إن مكتب الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية، هو المسؤول على تأكيد التواصل بين مؤتمري اثنين"^(٣).

أما عن مهامه، فهي مهام اللجنة التنفيذية نفسها، عدا الأخيرة (ج)، المتعلقة بمعوقات انعقاد دورة لاحقة من المؤتمرات، وجاء فيها "للتحضير لمؤتمر جديد كي ينعقد، إذا طرأت أي حادثة تعيق تواصل عقد المؤتمرات لأي سبب من

(١) هذه النقاط موجودة بالملحق رقم ٧ ص ٦١٣ من الرسالة.

(٢) سيتم التعرض له ص ٣٠٧ من البحث.

(٣) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - p. 42.

الأسباب^(١). ولا يزال هذا الاتحاد هو المسؤول عن تلك المهام، التي كانت خاصة باللجنة التنفيذية.

تلك هي أهم اللجان الإدارية التي كونتها المؤتمرات من أجل أن تسير المؤتمرات المسار الجيد، وتحافظ على دوامها وتأمين انعقاد دوراته.

ز - إدارة اللجان العلمية:

لجان المؤتمر العلمية هي الأقسام التي توزعت على أساسها أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية. وكل لجنة متخصصة في جانب من جوانب العلوم الشرقية، وتكون لها إدارة خاصة بها.

لم تبين أنظمة المؤتمرات العامة كيفية تشكيل تلك الإدارة، ماعدا المؤتمر التاسع، الذي حدد كيفية اختيار الرئيس فقال متحدثا عن دور لجنة التنظيم في ذلك: "... كما يجب عليهم أن يربطوا اللجان أيضا، وأن يعينوا بالتالي رؤساءها، مع ترك اختيار نائب رئيس اللجنة لما بعد الاجتماع الأول للمؤتمر..."^(٢).

أما النظم الخاصة، فقد بين بعضها ذلك السلم الإداري للجان. ففي البند العاشر من لائحة المؤتمر الثالث بـ "سان بطرسبورغ" سنة ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ)، ورد أن "كل لجنة خاصة يقوم بإدارتها رئيس ومساعد رئيس، ينتخبهم المؤتمر، ولا بد أن يكون أحد هؤلاء الثلاثة من بين الأعضاء الروس في المؤتمر"^(٣). أما المؤتمر السادس بليدين سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، فجاء فيه: "تختار كل لجنة من ضمن أعضائها، رئيسا ونائبي رئيس وسكرتاريين. وإذا كانت الجلسة لا تعد أكثر من خمسة عشر عضوا، فلا يتكون مكتبها إلا من رئيس ونائب رئيس

(1) Ibid. - p. 42.

(2) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.1 - p. Liv.

(3) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - V2 - T3 - p. 49.

وسكرتير^(١)، وسار المؤتمر العاشر بـ"جنيف"، سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، على منوال نظام المؤتمرات العام الثاني، فبعد عرض اللجان الثماني التي انقسم إليها المؤتمر، أعلن أن المسار يتمثل في أن "تعين اللجنة التنظيمية رئيس كل لجنة. أما اللجان فستعين نائب الرئيس وسكرتاريه"^(٢). كما أعلن المؤتمر الثاني عشر، أن رئاسة اللجنة تنتقل بالتناوب، حصة بعد أخرى، لأحد الرؤساء المختارين^(٣). تلك إذن بعض الصور عن أطر اللجان العلمية الإدارية.

لم يتم اختيار اللجان وفق قاعدة ثابتة تسيّر عليها المؤتمرات عامة، وبقيت تخضع في أغلب الأحيان لمراد الدولة المستضيفة ومصالحها: ففيما كانت اليابان موضوع المؤتمر الأول، كان شبه القارة الهندية موضوع المؤتمر الثاني، الذي انعقد في لندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، وذلك لأن بريطانيا كانت لها مستعمرات هناك، ولها أطماع في توسيع نطاق نفوذها ومستعمراتها. أما المؤتمر الثالث الذي انعقد في "سان بطرسبورغ" سنة ١٨٧٦م (١٣٩٨هـ)، فكانت المناطق القوقازية هي محور دراساته الأساس. وقد كانت الحكومة القيصرية استعمرت مناطق منها، وتسعى لضم البقية الباقية. وبالتالي كانت هي محور اهتماماتها، وهكذا كان مسار المؤتمرات، حتى جاءت إلى أثينا سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، وفيها عينت الحكومة لجانا ثلاث تتعلق باليونان وعلاقاته بالشرق، وكانت كالتالي: اليونان والشرق في العصر الحاضر واليونان والشرق في العصور القديمة واليونان والشرق في العصور الوسطى^(٤). فاليونان استغلت المؤتمرات للتركيز على دورها الحضاري، في الماضي والحاضر. كما أن الهند توجهت المنحى ذاته، لتركز على البحوث المتعلقة بها، وذلك في المؤتمر الذي انعقد هناك سنة ١٩٦٤هـ (١٣٨٣هـ)^(٥)،

(١) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - p. 23.

(٢) Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - p. 49.

(٣) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - T3 - Partie I - p. XXXI.

(٤) وتوجد بالملحق رقم ١٦ ص ٦٧٣ من البحث.

(٥) سيتم التعرض للموضوع ص ٣٠٩ من البحث

وهكذا. فمن مميزات اللجان العلمية، أن اختيارها لا يخضع لقاعدة موحدة، بل ترك ذلك وفق اختيارات البلدان المستضيفة، وبالتالي هيمن على ذلك المصالح الخاصة بكل دولة يتم اختيارها لاحتضان المؤتمرات.

أما عن تسيير شؤون اللجان العلمية، فتتم عادة حسب الطريقة التالية، والتي تتمثل في أن "يلقي رؤساء اللجان المختلفة خطاباتهم الافتتاحية، ثم تقرأ الأوراق التي تم قبولها"^(١). ومن الصلاحيات الموكولة لرئيس اللجنة، "أحقية تمديد الجلسة في يوم آخر، إن رأى ضرورة ذلك، بحيث تتم قراءة الأوراق الأخرى..."^(٢) وذلك إن رأى أن "عدد المساهمات يتجاوز بكثير تلك التي يمكن قراءتها أو مناقشتها في الجلسات"^(٣). كما أن له اقتراح عدم مناقشة المساهمات إن رأى ضرورة ذلك لربح الوقت^(٤). وصلاحيات التمديد هذه، تكون أحيانا مقيدة^(٥) وأحيانا أخرى مطلقة^(٦).

أما مهمة سكرتاري اللجان، فتتمثل فيما يلي:

- مد سكرتير المؤتمر العام كل يوم بملخص الأعمال اليومية، وبرنامج عمل الجلسة القادمة^(٧).
- استقبال ملخصات المساهمات من أصحابها^(٨).

(١) Samuel Birch - Inaugural Address - Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. 7.

(٢) Ibid. - p. 7.

(٣) Ibid. - p. 7.

(٤) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 144 - 145.

(٥) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - V₂ - T₃ - p. 49.

(٦) Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T₁ - p. XVI.

(٧) ورد ذلك في معظم قوانين للمؤتمرات الصادرة، بل هي من المهام الرئيسية للسكرتارية تلك،

وعلى سبيل المثال: Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes

Leide - 1883 - premiere partie - p 23 .

وغيرها

تلك هي أهم خصائص إدارة لجان المؤتمرات، وقد حافظت على جل اختصاصات وواجباتها منذ نشأة المؤتمرات حتى الآن.

ح - لجنة طباعة أعمال المؤتمرات ومشكلات الإخراج الطباعي:

وكل شأن طباعة أعمال المؤتمرات منذ انطلاقتها للجنة التنظيمية^(١). وتواصل تكليفها بالأمر وتكفلها به حتى المؤتمرات الحالية، إلا أنه قد يوكل بها في بعض الأحيان للجنة خاصة، وقد تكون من أعضاء اللجنة التنظيمية. فقد ورد في بنود النظام الأول "تعهد منشورات أعمال المؤتمرات إلى لجنة مختارة من الأفراد المنتمين للبلد الذي عقد فيه المؤتمر"^(٢). كما أن من شأن تلك اللجنة أن تمحص من المساهمات ما يصلح للنشر عن غيرها "ستكلف اللجنة التنظيمية بنشر أعمال المؤتمر، وهي التي تقرر نوعية الأعمال المكتوبة، وماهية المساهمات التي ستقبل لتتشر ضمن تلك الأعمال"^(٣).

ولقي أمر طباعة وقائع أعمال المؤتمرات مشكلات عدة، جعلت القائمين على المؤتمرات، يسعون للبحث عن مخرج من تلك الصعوبات. وأول من بين تلك الصعوبات، وأشار لبعض الحلول لها المستشرق "إدوارد نافيو Edouard Naville"، رئيس مؤتمر المستشرقين العالمي العاشر. فقد بعث برسالة إلى القائمين على مؤتمر المستشرقين العالمي الثالث عشر بهمبرغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، يتحدث فيها عن تجربته مع المؤتمرات وطباعة أعمالها، عن

(١) هي مهمة رئيسة من مهام الإدارة تلك، فعلى سبيل المثال: Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - T3 - Partie I - p. XXXII وكذلك: Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 premiere partie - p 24 . وغيرها

(٢) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. III. and: Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - p 24 وغيرها

(٣) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. 13 .

(٤) Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - pp. 49 - 50.

سليبات الطباعة، وجاء في رسالته: " لكن التجربة أظهرت أن أولى السليبات تتمثل في أن مجلدات الأعمال لا تظهر إلا بعد عدة سنوات لاحقا، رغم بعض السرعة التي تتحملها اللجنة في تكوين هذا المصنف وطباعته^(١) .

ثم بين أسباب تلك السليبات، فذكر أنها تتمثل في:

- رغبة الكتاب في إعادة النظر في مشاركتهم، وبالتالي يؤخرون تقديمها،

لذا، تجد اللجنة عناء كبيرا في تجميع الكتابات.

- رغبة بعض الكتاب رؤية أعمالهم منشورة بسرعة، لذا يقدمونها لدوريات

أخرى، وإن كانت أقل أهمية من أعمال المؤتمرات.

- ضياع المذكرات الأصول التي نشرت في أعمال المؤتمرات، لذا، يجد

العلماء المشاركون صعوبة في استعادتها. وبالتالي فهي في حكم المفقودة. وهذا

يعيق دفع تطور العمل ذاك^(٢).

ويخلص "نافيو" بالتالي إلى اقتراح للتخلي عن النشر التفصيلي، ويكتفى

بعروض مختصرة للأعمال، وترك شأن نشر المذكرات لأصحابها^(٣).

نتيجة للتباحث حول محتوى هذه الرسالة، والجانب العملي الفعلي لنشر

أعمال المؤتمرات، قرر التجمع العام لمؤتمر المستشرقين العالمي الثالث عشر،

التخلي عن نشر الأعمال المعروضة بكليتها، والاكتفاء بنشر محتويات المذكرات

والمشاركات الشفوية، في أجل أقصاه ستة أشهر.

إلا أن المؤتمر اللاحق، الذي انعقد في الجزائر سنة ١٩٠٥ م (١٣٢٣هـ)،

عاد إلى الطريقة القديمة، واتخذ قرارا بذلك^(٤).

لم تنته القضية عند هذا الحد، ففي المؤتمر اللاحق، الذي انعقد بـ"كوبنهاجن"

سنة ١٩٠٨ م (١٣٢٦هـ)، طرح الموضوع للبحث مرة أخرى. لذا، وباقتراح من

الرئيس، عينت لجنة لمناقشة مسألة نشر أعمال المؤتمر، وتقديم تقرير في ذلك في

(1) Verhandlungen des Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - p. 391.

(2) Ibid. - pp. 391 - 392.

(3) Ibid. - p. 392.

(4) Actes du XIV^{eme} Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - Germany- Kraus Reprint- Nendeln/Liechtenstein- 1968 - premiere partie - p. 71.

الجلسة الختامية^(١). وهذه قررت نشر ملخص مختصر اختصاراً عميقاً، يسرد الوقائع بشكل متسلسل. وجاء القرار النهائي كما يلي: "يُحذف نشر أعمال المؤتمر بكاملها أو بخلاصات مفصلة، وأن يظهر بدلاً منها، مجرد سرد للمسائل المطروقة"^(٢). وبالتالي ظهر مدون أعمال هذا المؤتمر على شكل مذكرة صغيرة الحجم، وتابعها في ذلك بعض المؤتمرات. إلا أنه لم يتم الاتفاق على هيئة نهائية إلا بعد لأي. وفي المؤتمر الثامن عشر بـ"لیدن"، سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، عاد الأمر إلى طباعة ملخص للدراسات، ثم بقرار جاء فيه: "لقد رأى المكتب التنفيذي، أنه من المناسب نشر ملخص للمساهمات العلمية التي قدمت في لجان المؤتمر"^(٣). وكذلك ظل أمر الطباعة بعد ذلك، يتأرجح بين هذه الأنواع الثلاثة، سرد الوقائع فقط، أو سردها مع ذكر ملخصات المساهمات، أو النشر الكامل لأعمال المؤتمرات، أو لبعض الأعمال. لكن ما لبث مجرد السرد أن توقف عن الظهور نهائياً حتى الآن، وبقيت النوعيتان الأخريان اللتان تعملان حتى الآن.

تلك إذن هي أهم سمات الجانب الإداري لمؤتمرات المستشرقين العالمية، ولجانها المختلفة، مع التطورات التي حصلت عليه، فقد كانت له ثوابت إدارية، برزت طوال مسار المؤتمرات، وكانت هناك متغيرات وتطورات، حدثت مع تطور المؤتمرات في مسيرتها الزمنية الطويلة.

٢ - النظام المالي للمؤتمرات :

لم تهتم الوثائق المتوفرة كثيراً بالجانب المالي للمؤتمرات، ولا بإدارتها أو نظامها. ويبدو أن الشكل الإداري الذي اتخذته المؤتمرات منذ نشأتها، تواصل

(١) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 44.

(٢) Ibid. - pp. 80.

(٣) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. VI.

بصفته وترتيبه الابتدائي، ولم يحصل لها تطويرات وترتيبات جديدة، لذا لم يجلب الانتباه إليه ولا الإشارة.

منذ انطلاق الإطار الإداري الأول في باريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، عين محاسب للمؤتمر، وعهد إليه بجمع رسوم المشاركات، وذلك في المنشور الأول بتاريخ السابع من يناير ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حيث ورد فيه أنه يمكن للشخصيات المعنية والمهتمة أن يرسلوا لمحاسب المؤتمر مبلغا قدره اثنا عشر فرنكا، كرسوم مشاركة^(١)، كما ورد مثل ذلك من نظام مؤتمر "سان بترسبورغ" أيضا، في بنده الحادي والعشرين^(٢).

أما المنشور الثاني، الصادر بتاريخ الرابع من مارس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، فجاء في البند الرابع من النظام الأولي للمؤتمر ما يلي: "تتخب اللجنة التنظيمية رئيسا مؤقتا ومحاسبا ذا صفة نهائية للمؤتمر..."^(٣). وفي المنشور نفسه ورد في البند الحادي عشر الآتي: "يعين المؤتمر في نهاية جلسته الثانية، لجنة مكلفة بفحص حسابات المحاسب"^(٤). هاتان النقطتان المتعلقةان باختيار المحاسب بصفة نهائية، وتكوين لجنة مكلفة بفحص الحسابات، لازمنا المؤتمرات كافة، ولزماتها. لذلك جاء في نظام المؤتمر الأول في البند السادس، الذي تحدث عن المحاسب، أنه قد تم "تعيينه فعليا من لجنة التنظيم المركزية، لأن مهامه تتواصل حتى الدورة المقبلة"^(٥). كما ثبت البند الحادي عشر أمر تكوين لجنة تتفحص حسابات المحاسب تلك^(٦)، كما جاء الأمر هذا نفسه في النظام الثاني، في البند الثالث^(٧). ويبدو أن الأمر ثبت على هذا النمط، إذ لم يتم الحديث بعد ذلك عن محاسب المؤتمر ولجنة المحاسبة.

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. V.

(2) Ibid. - Tome troixieme - pp. 50 - 51.

(3) Ibid. - Tome troixieme - p. VIII.

(4) Ibid. - Tome troixieme - p. IX.

(5) Ibid. - Tome troixieme - p. 12 .

(6) Ibid. - Tome troixieme - p. 12 .

(7) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.1 - p. lv.

أما عن كيفية عد المصاريف والمدخليل، فلم تعن بها الوثائق إلا قليلا، فقد ورد تفصيل المصاريف والمدخليل في مرات نادرة جدا. وللوقوف على نوعية ذلك الأمر، يمكن على سبيل المثال، إيراد مثال عن المؤتمر التاسع^(١):

الموارد:	الاشتراكات:	سنت	جنيه -
٣٧٩	عضوا بمقابل جنيه واحد:	٠٠	٣٧٩
٤	عضوات بمقابل جنيه واحد:	٠٠	٤
١٠٣	عضوات بمقابل ١٠ سنتات:	١٠٠	٥١
المجموع:		١٠٠	٤٣٤

التبرعات:	مصادر مختلفة:	الرحلات:	المجموع:
٥٣٠	٤٠٠	١٢	٤٧
١٠	١٩٦		
٩٨٧	١٨٠		
المجموع:			

المأدبة:	اشتراكات:	تبرعات:	المجموع:
٤٥	٠٠	٣٤	٠٠
١٠٦٧	٣١		
المجموع:			

موازنة قدمت للمحاسب:	المجموع:
١٩	٦٨
١٠٨٦	٩٩
المجموع:	

النفقات:	الإعلانات:
٤٤	٥ ٢

(١) Ibid. - Vol. 1 - p. XXV.

٧١	٥	١٠	الأدوات القرطاسية والطوابع وأمور ثانوية:
٢١٠	١٢	٦	الطباعة:
٥٢	٨	٠	الأعمال الإكليريكية...:
١٩	١٨	١	مصرفات قانونية:
٢٧	١٠	٠	الشارات:
٦٠	٧	٠	التزويقات:
٥٤	٦	٨	الرحلات:
٦٨٦	٩	٩	المجموع:
٤٠٠	٠	٠	أودع لدى السادة "دريموند Drummond":
			ملاحظة: لم يتم إدخال ثمن طباعة منشورات أعمال المؤتمرات .
١٠٨٦	٩	٩	المجموع:

ذاك مثال عن حسابات المؤتمرات وكيفية معالجتها. أما ما يتبقى لدى المحاسب من مال خاص بالمؤتمر، فيسلم إلى محاسب المؤتمر اللاحق، يوم افتتاحه أعماله. جاء ذلك في المنشور الثاني من لجنة تحضير المؤتمر الأول، في البند الثالث عشر، عند قوله: "ما إن تسدد كل مصاريف الدورة، يعهد بما تبقى لصالح الدورة القابلة، ويوضع بين يدي محاسبه يوم افتتاح الأعمال"^(١)، وثبت الأمر نفسه في نظام المؤتمرات العام الأول، في بنده الثاني عشر، الذي ورد فيه: "ما إن يتم تسدد كل المصروفات، تحول بقية الحسابات لصالح الدورة الجديدة، وتوضع بين يدي محاسبها الجديد، يوم افتتاح أعمال تلك الدورة"^(٢).

ذاك هو أهم ما ورد من سمات الجانب الإداري للشؤون المالية. ولا يبدو أن هناك تغييرا لهذا الإطار المرسوم، إذ لم يرد ذلك في منشورات أعمال المؤتمرات، ما عدا أمر واحد ورد في نظام "سان بترسبورغ"، حيث نص البند الخامس والعشرون منه على أن عطية هامة قدمتها الحكومة الروسية لصالح

^(١) Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - p. X .

^(٢) Ibid. - Tome troisieme - p.13.

المؤتمر، وبالتالي: "فإن لجنة التنظيم لن تكون محاسبة أمام لجنة المصروفات إلا بالمبالغ المقبوضة والمدفوعة، من ثمن الاشتراكات، والتي تم تخزينها"^(١)، ونص البند السادس والعشرون على أن "ثمن الاشتراكات سيستخدم أساسا لنشر أعمال الدورة"^(٢).

أما عن مهمة المحاسبة، فهي ذاتها الموكولة لأول محاسب في تاريخ المؤتمرات، وقد سبق الحديث عنها^(٣).

وفيما يتعلق بموارد الحصول على المال، فالمصادر شتى، إذ تعتمد المؤتمرات على التبرعات والهبات من ممولين متعددين، حكومات وهيئات ومنظمات وشركات وشخصيات وغيرها. فمثال التبرعات الحكومية، ما جاء في مؤتمر "سان بطرسبورغ"، الذي تسلم هبة مالية كبرى، من الحكومة الروسية، أغنته عن العديد من التبرعات الأخرى^(٤). أما عن الشخصيات والحكومات المحلية، فمثاله يتضح مما أورده المؤتمر التاسع، عند حديثه عن التبرعات، إذ جاء فيه^(٥):

١٢١ ١٧ ٢	Maharaja of Vijianagram	مهراجا فيزيانجرام
١٠٠ ٠٠ ٠	the Thakur Sahib of Gondal	تاكور صاحب جوندال
١٠٠ ٠٠ ٠	Symour King	سيمور ملك
٥٠ ٠٠ ٠	Maharaja of Mysore	مهراجا ميسور
٣١ ١٤ ٠	Rao of Kuton	راوو كوتون
٣١ ٠٣ ٠	Maharaja of Kuon Bihar	مهراجا كوون بيهار
٢٥ ٠٠ ٠	Gaikwar of Baroda	جيكوار بارودا
٢٠ ٠٠ ٠	Maharaja of Travancore	مهراجا ترافانكور

^(١) Ibid. - Tome troisieme - p. 51.

^(٢) Ibid. - Tome troisieme - p. 51.

^(٣) مر ذلك ص ٢١٠ - ٢١١ من الرسالة فما بعدها.

^(٤) ورد ذلك في نظام المؤتمر ذاك، وذلك في البند ٢٥ من الملحق رقم ١٠ ص ٦٢٧ من الرسالة .

^(٥) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol.1 - p. XXV.

Raja of Ruthlam : ٢٠٠٠

راجا روتلام

Raja of Kapurtala : ٢٠٠٠

راجا كابورتالا

Professor Max Muller : ١٠٠٠

الأستاذ ماكس ميللر

٥٣٠٤٠١

المجموع

الملاحظة اللافتة للانتباه، في مصادر التبرعات المالية تلك، أن المتبرعين كلهم، باستثناء الأخير، وقد تبرع بأقل مقدار، كلهم من قادة حكومات محلية، من القارة الهندية، في حين لم تتبرع الحكومة البريطانية ولا الحكومة الاستعمارية البريطانية في الهند، بأي مساعدة، وتلك سمة الاستعمار، ولاسيما البريطاني، فهو يسعى دائما لاستنفاد الموارد الاقتصادية واستغلالها، وهنا الدليل على أنه لا يكاد يدع فرصة ولو للقليل من المال. فرغم غنى الحكومة البريطانية، نجدها تظن بالقليل من المال على هذا المؤتمر، مع أنه يمكن اعتباره من أهم المؤتمرات، بل ومن المؤثرين في مسارها التاريخي، ولاسيما اتخاذه إجراءات حول إعادة تنظيمها وقد تمكن من اتخاذ إجراءات في هذا الشأن لأول مرة في تاريخ المؤتمرات.

من ناحية أخرى، لم تتضح الكيفية التي قدم بها هؤلاء أموالهم، هل هو عن طريق إغراء الحكومة البريطانية، أو بترهيب منها أو تنفيذ أوامر أو هو أمر تلقائي من الحكام والشخصيات. لكن مهما كان الدافع، فإنه يبين مدى خضوعهم للمستعمر، ومدى تنافسهم على نيل رضاه، إذ إن المبالغ المالية متفاوتة وهامة. ومع أن مثل هذه الظاهرة كثيرا ما يعتمدونها المستعمرون في جل البلدان، إلا أن الأمر في الهند له دوافع أخرى، يغلب عليها الطابع السياسي.

فإذا علمنا أن الاستعمار في الهند أزال الملكية التي كانت تحكم باسم الإسلام، والتي كان يخضع لها الهندوس، وإذا علمنا أن جل هذه الحكومات الإقليمية المتبرعة هندوسية، فإننا يمكن أن نستخلص أن هؤلاء كانوا يسارعون لإرضاء المستعمر، حتى يحافظوا على مراكزهم ومناصبهم، وحتى لا يعودوا مرة أخرى للحكم السابق، وربما لكسب نفوذ آخر، كملكية أراض أو توسيع منطقة السيطرة، وهو ما يبين إضافة إلى ذلك، من التحالف الهندوسي الصليبي ضد المسلمين

عموماً، والذي توج لاحقاً بقيام حكومة هندوسية على جل تراب القارة، وهذه تم تقويتها عسكرياً وسياسياً.

هذا من جانب التبرعات لصالح المؤتمر. وهناك نوع آخر من التبرعات، هي التبرعات لصالح المأدبة الفاخرة، التي تقام في كل مؤتمر على شرف المستشرقين. وهذه التبرعات الأخيرة، على خلاف الأولى، جاءت من شخصيات بريطانية عدة، وكانت كما يلي^(١):

١٠ ٠ ٠ : F. F. Arbuthnot	ف. ف. أربوثنوت
١٠ ٠ ٠ : E. D. Morgan	أ. د. مورجان
٥ ٠ ٠ : Mrs Arbuthnot	السيدة أربوثنوت
٢ ٢ ٠ : Professor Sayce	الأستاذ سايس
١ ١ ٠ : Sir F. R. Goldsmid	سر ف. ر. جولدشميد
١ ١ ٠ : Sir A. Lyall	سر أ. ليال
١ ١ ٠ : General Pearse	الجنرال بيرس
١ ٠ ٠ : A. N. Adler	أ. ن. أدلر
١ ٠ ٠ : G. Sir A. Cunningham	الجنرال سر أ. كونينجهام
١ ٠ ٠ : Sir F. Grenfell	سر ف. جرينفيل
١ ٠ ٠ : E. G. Browne	أ. ج. براون

٣٤

المجموع

تلك عينة عن نوعية المتبرعين لصالح مؤتمر المستشرقين العالمي التاسع، وهذه يمكنها أن تعطي صورة عن جل المؤتمرات المنعقدة.

أما عن بقية المنظمات والمؤسسات، فيمكن ذكر مثال عنها ما ورد في مؤتمر إستانبول الثاني والعشرين لسنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، الذي جاء فيه ذكر المساهمات المالية إضافة إلى مساهمة الحكومة، وفيه ساهمت جامعة إستانبول

(١) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol. 1 - p. XXV.

بعشرة آلاف ليرة تركية، لصالح مصاريف المؤتمر، كما ساهمت الحكومة التركية بمبلغ خمسين ألف ليرة. وفي نهاية المؤتمر قدمت سبعة آلاف ليرة لصالح تكاليف إعداد طباعة أعمال المؤتمر. وقدمت اليونسكو مبلغ ألفي دولار، للمساعدة في الرحلات الباهضة الثمن، للعلماء الذين يجدون صعوبة مادية تمنعهم من المجيء إلى تركيا، من بلدانهم البعيدة. ولكنها صرفت لمن مساهمتهم في المؤتمر هامة وأساسية. وهذا ما ساعد سبعة علماء متخصصين في فروع عدة من الدراسات الاستثنائية، ويعيشون في بلدان متفرقة، من أخذ أماكنهم في المؤتمر. وحتى اختتام المؤتمر، فإن الرسوم التي دفعها أعضاء المؤتمر، لمحاسن المؤتمر، بلغت خمسة عشر وثمانمائة وخمسة آلاف ليرة تركية، وهذا المجموع سيخصص لطباعة أعمال المؤتمر^(١).

تلك بعض المصادر التي تعتمد المؤتمر للحصول على مساعدات ومساهمات مالية. وهذه المؤسسات حيوية جدا في هذا الجانب وذلك ما يوضحه نداء "جون فليوزا" في المؤتمر التاسع والعشرين بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، بمناسبة الذكرى المئوية للمؤتمرات، وهذا النداء جاء في خطابه المطول، وقال فيه: "على مؤسساتنا الكبرى التي عودتنا منذ قرون على ضربها المثال في إسهاماتها في الأعمال المختلفة، أن تواصل نشاطاتها الضرورية"^(٢)، وحيث لم يخص نوعية تلك المساهمات، فيمكن أن يدخل الجانب المالي، الذي كان أهم ما ساهمت به المؤسسات الغربية في تأييد الدراسات الاستثنائية، سواء البعثات العلمية، أو الإرساليات الكشفية، أو مساعدة مؤسسات بحثية، أو غيرها من التبرعات للمصالح الاستثنائية.

تلك عينات عن الإطار المالي، ضمن الإطار الإداري، لمؤتمرات المستشرقين العالميين. وبه اتضح الإطار الإداري العام لمؤتمرات المستشرقين العالمية، منذ نشأتها حتى مؤتمرات الوقت الحالي، ونوعيات التطورات والتحويلات التي طرأت عليها في مسارها الطويل.

(١) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istanbul - 1951 - Vol1 - pp. 37-38.

(٢) جون فليوزا: "مشروع إصلاح مؤتمرات المستشرقين" - ترجمة المحسن بن علي سويسبي - دراسات استثنائية وحضارية - ص ٣٩١م.

الفصل الثاني: الأطر العلمية: صفتها وتطورها

المبحث الأول: جلسات المؤتمرات الافتتاحية

المبحث الثاني: الدراسات العلمية في المؤتمرات

ومسارها

المبحث الثالث: ندوات المؤتمرات وحلقاتها الدراسية

المبحث الرابع: جلسات المؤتمرات الختامية

الفصل الثاني: الأطر العلمية: صفتها وتطورها

توطئة:

بعد دراسة النظام الإداري لمؤتمرات المستشرقين العالمية، يأتي دور نشاطها البحثي والمعرفي، للوقوف على مساره وأهميته ونوعياته. من ناحية هيكلية المؤتمرات، تنقسم جلسات المؤتمرات العلمية إجمالاً إلى نوعيات أربع، وهي الجلسات الافتتاحية، والدراسات العلمية، والندوات والحلقات الدراسية، والجلسات الختامية.

هذه الجوانب هي التي توضح مجريبات الشؤون الدراسية لمؤتمرات المستشرقين العالمية، وتحليلها وتفحصها والوقوف عند خاصيتها، العلمية والمعرفية، يتضح مسار المؤتمرات العلمي.

أما الجلسات الافتتاحية، فهي ضرورية لأي اجتماع مهما كان، ولاسيما أن كان يضم مئات الشخصيات، وآلافاً في بعض الأحيان، فهي إعلان عن انطلاق الأعمال الحقيقية، وفرصة للتعرف على القائمين على المؤتمر، وكذلك على بعض الحاضرين، وتقويم من الباحثين منهم. وستأتي تفصيلات محتوياتها^(١).

من الجلسة الافتتاحية، تنطلق البحوث والدراسات العلمية. وهذه مرت بأطوار، فبعد أن كانت جلسات جماعية، متتالية الموضوعات، أصبحت كذلك جماعية، لكن لكل جلسة موضوع، ثم تحولت إلى نظام اللجان العلمية، التي طغت على المؤتمرات حتى الآن، رغم المحاولات المتعددة لتغييرها. ونظام اللجان يتمثل في تقسيم أعمال المؤتمر لعدة لجان، تعقد دراساتها في الوقت نفسه، وعلى المشترك اختيار ما يشاء حضوره من محاضرات.

هذه النوعية من الدراسات، سببت تمللاً في نفوس المستشرقين عامة، مما أدى على الدوام للبحث عن مخرج. ولاسيما أن أحد أهداف المؤتمرات لا يمكن أن يتحقق، إذ إن تعارف الحاضرين بعضهم على بعض لا تتم بتلك الصفة. وهذا ما دعا القائمين على المؤتمرات إلى محاولة الخروج من هذا المأزق، فجاء

(١) سيرد ذلك ص ٢٢١ وما بعدها من الرسالة.

بالجلسات الجماعية، والندوات العلمية والحلقات الدراسية، كمحاولة. لكن كثيرا ما تحولت هذه الندوات لتصبح شبيهة بالجلسات العلمية، ولا تحمل تلك الشعارات إلا في اسمها، إذ إن هذه الجلسات الجماعية، كما تسمى، أصبح نظامها كجلسات اللجان، وتعين لها دراساتها في الوقت نفسه الذي تدار فيه جلسات اللجان، وهذا ما وقفت عليه في المؤتمر الخامس والثلاثين الذي انعقد في "بودابست" في العام ١٩٩٧م (١٤١٨هـ).

أما الجلسات الختامية، فهي موطن عرض خلاصة المؤتمر، من نواحيه الإدارية والعلمية، والتوصيات وإعلان مقر المؤتمر المقبل وزمانه. إلا أن التطورات في هذه الجلسة، جعلتها تكتفي مؤخرا بخطابات قصيرة شبه وداعية، بعد الإعلان عن المقر القادم للمؤتمر وزمن انعقاده. تلك سمات مختصرة عن جوانب المؤتمر الدراسية، وسيتم التفصيل فيما يلي.

المبحث الأول: جلسات المؤتمرات الافتتاحية

درجت مؤتمرات المستشرقين العالمية على عقد جلسة افتتاحية لكل مؤتمر يعقد. فالجلسة الافتتاحية، ضرورية وبالغة الأهمية لكل مؤتمر، مهما كانت نوعية دراساته. فهي عبارة عن مدخل لبقية الأعمال البحثية والدراسية والعلمية والفكرية، وغيرها من شؤون المعرفة، وذلك لأهميتها وقيمتها في الإطارين الإداري والعلمي للمؤتمر. وتعرف حقيقة هذه الجلسات، بالتعرف على أهميتها ومسارها.

١ - أهمية الجلسات الافتتاحية:

لجلسات المؤتمرات الافتتاحية، أهمية كبرى، في الإطارين الإداري والعلمي: ففي الجانب الإداري، يتم في الجلسة الافتتاحية الأمور التالية:

أ - تكوين المكتب الإداري: إذ يتم انتخاب رئيس المؤتمر، واختيار نائب له، وتعيين أعضاء المكتب الإداري، بما فيهم محاسب المؤتمر، كما تتم الموافقة عليهم جميعاً. وهؤلاء يكونون عادة من أعضاء اللجنة التنظيمية نفسها، بحيث يتحول غالباً رئيس اللجنة تلك ليصبح رئيس المؤتمر، كذلك السكرتاريون والمحاسب وأعضاء اللجنة، الذين كانوا معينين، يصبحون أعضاء للمكتب، وقد يضاف إليهم شخصيات أخرى، ولا يمتنع أن تكون أجنبية، عن ذلك البلد^(١)، قبل أن تصبح لجنة التنظيم عالمية، وبالتالي أضحت أعضاؤها من كافة أنحاء العالم، لكن يبقى رئيسها وسكرتاريوها من البلد المستضيف للمؤتمر.

(١) هذه الهيكلية الإدارية، توجد في جل المؤتمرات، وتذكر في وقائع الأعمال، عند الجلسات الافتتاحية، ولا يعين رئيس آخر غيره، إلا إذا منع الأول مانع قاهر، مثل الموت، وهو ما حصل في المؤتمر السادس بـ"لين" سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، إذ كان من المفترض أن يكون المستشرق "رينهارت دوزي Reinhart Dozy" رئيس المؤتمر، لكن وفاته حالت دون ذلك، وحل بالتالي

المستشرق "كوينن A. Kuenen" محله. Actes du Sixieme Congrès International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 39-40.

ب - اختيار أعضاء اللجان المختلفة: وتعيين رئيس كل لجنة، ونائب رئيسها وسكرتيرها، وهذا الأمر هو الغالب، إلا أنه قد يترك أمر اختيار هؤلاء الآخرين لرئيس اللجنة^(١)، وقد يترك أمر اختيار الرئيس نفسه ومساعديه للجنة العلمية نفسها^(٢).

أما من الناحية العلمية، فإن أهمية الجلسات الافتتاحية تكمن في اعتبارها مدخلا لما سيلحقها من جلسات علمية بحثية، إذ تطرح فيها بعض وجهات النظر المتعلقة بفروع الدراسات الاستشرافية عادة، سواء من المسؤولين السياسيين الحاضرين أو من الإداريين، أو من كلمات الوفود، وبعض الشخصيات الاستشرافية. وتتعلق هذه المداخلات عادة، بدور دولة أو مؤسسة أو هيئة، وبأثرها في تنمية الدراسات الاستشرافية.

كان ذلك بيان أهمية الجلسات الافتتاحية وضرورتها، ومدى الحاجة الماسة إليها، لتكون منطلقا لبحوث المؤتمرات ودراسات لجانها. وتتضح هذه الأهمية أكثر بدراسة مسارها ومحتوياتها.

٢ - مسارها ومحتوياتها:

لا يوجد شكل موحد لمسار الجلسات الافتتاحية لمؤتمرات المستشرقين العالمية. أما الغالب على أحداث هذه الجلسات، فهو ما يلي:

أ - الكلمات الترحيبية:

تأتي الخطابات الترحيبية من شخص واحد أو أكثر، وقد يكون من رئيس المؤتمر نفسه^(٣)، أو من نائبه^(١)، أو رئيس المؤسسة التي ينعقد فيها المؤتمر أو مديرها^(٢). كما أنها قد تأتي من أحد المسؤولين السياسيين في البلد المنظم^(٣).

(١) مثل ما حصل في المؤتمر السادس: Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - p. 64 .

(٢) كما حصل في المؤتمر السابع مثلا، : Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. 52 ...etc.

(٣) هذا هو الأصل، ويوجد في كل المؤتمرات عادة.

ويتم فيها إيداء مشاعر الفرحة باللقاء، وتشرف المنطقة باستضافة المؤتمر،
وترتبات التوفيق والراحة، سواء في العلوم والمعرفة، أو السياسة.

ب - خطاب رئيس المؤتمر السابق:

يتم خلال هذا الخطاب التذكير بإنجازات المؤتمر السابق، والتمنيات بنجاح
المؤتمر المنعقد، ثم يعلن تخليه عن الرئاسة وتسليمها للرئيس الجديد. وهذه
الظاهرة ظهرت حديثاً في نسق المؤتمرات، وأثبتت وجودها في المؤتمرات
المتأخرة^(١). أما في المؤتمرات السابقة، فندر أن وجدت مثل هذه الخطابات.

ج - خطابات أو كلمات المسؤولين السياسيين أو رعاة المؤتمرات:

قد تكون مساهمة هؤلاء مطولة، على شكل خطابات^(٢)، وقد تكون قصيرة،
بحيث تكون مجرد كلمات^(٣). ونأخذ هذه المساهمة صبغة سياسية أكثر منها
علمية، وقد تحتوي على نقاط علمية دراسية.

د - خطاب رئيس المؤتمر الحالي أو من ينوب عنه:

تتفاوت نوعية خطابات رؤساء المؤتمرات في الجلسة الافتتاحية. فقد سبق أن
ليون دو روسني^(٤)، رئيس المؤتمر الأول، وأول رؤساء المؤتمرات عموماً، لم يلق
خطاباً البتة، بل رحب بالحاضرين وأعلن عن افتتاح المؤتمر، وطلب التحول

^(١) هذا أمر نادر، وقد تم مثل هذا مثلاً في: Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - pp. xxvi - xxvii.

^(٢) يحدث مثل هذا أحياناً، ويوجد على سبيل المثال في: Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Vol1 - pp. 39 - 40. and Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - p. CV - CVI .

^(٣) هذا الأمر في جل المؤتمرات، ولا يكاد يخلو مؤتمر من خطاب مسؤول سياسي في الجلسة الافتتاحية.

^(٤) ذكرت المصادر حصول مثل هذا الأمر لأول مرة في مؤتمر الهند سنة ١٩٦٢م:

Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Vol1 - pp. 40 - 42.

^(٥) من ذلك على سبيل المثال: Address of Fuad Koprulu - Minister of Foreign Affairs - Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istanbul - 1951 - Vol1 - pp. 40.

^(٦) على سبيل المثال كلمة "إدوارد أوهل" Edward Uhl، في: Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - T1 -Vol. 1 - pp. 47- 48.

لقاعة أخرى لبدء الأشغال^(١). في مقابل ذلك تلقى خطابات مطولة جدا تملأ صفحات عدة. مثل خطاب "كوينن" في المؤتمر السادس^(٢).

هـ - كلمات المندوبين:

ينقسم المندوبون إلى فئات عدة، بحسب انتماءاتهم وتوجهاتهم. فهناك المندوبون السياسيون، وقد يمثلون الحكومات أو الأحزاب السياسية، أو الحكومات الإقليمية، أو مدنا معينة أو حتى بلديات. وهناك مندوبون عن مؤسسات علمية أو اجتماعية أو ثقافية معينة. وهؤلاء يتكلم جلهم باسم من يمثلونه، وعادة ما يتطرق لأثر الممثل في تنمية الدراسات الاستشرافية، أو رغبته في ذلك^(٣)، سواء من الجانب المادي أو المعنوي أو البحثي، أو المساهمات المباشرة في تكوين أفراد ومراكز وجمعيات ومؤسسات متخصصة.

و - تكوين مكتب المؤتمر الإداري:

يتم تكوين المكتب الإداري في الجلسة الافتتاحية، وقد سبق التعرض لمكوناته^(٤). أما ما تجدر الإشارة إليه هنا، فهو أن رئيس المؤتمر كان لابد أن ينتخب في الجلسة الافتتاحية، قبل أن تقترح المؤتمرات المتأخرة أن يتم في نهاية انعقاد أي مؤتمر، تعيين رئيس المؤتمر القادم، حتى يعرف مسبقا. أما إن تعذر ذلك، فتوكل تلك المهمة للجنة من البلد الذي سينعقد فيه المؤتمر القادم. ومهما كانت الطريقة التي يتم بها انتخاب الرئيس، فإنه أصبح اليوم معروفا للمستشرقين وغيرهم قبل انعقاد المؤتمر^(٥). أما الأعضاء الباقون، فقد كانوا هم أعضاء اللجنة التنظيمية.

(١) Congrès International des Orientalistes - Compte rendu de la première session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 53 - 54 .

(٢) على سبيل المثال: Discours de Jean Capart - Actes du XX^{ème} Congrès International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - pp. 19 - 24.

(٣) مثل ما حدث في المؤتمر الحادي والعشرين، حيث عرض مندوب اليونسكو رغبة المنظمة في عقد روابط بمنظمة وموحدة للمستشرقين، وتم على أثرها تكوين اتحاد المستشرقين لتحقيق الهدف.

Actes du XXI^{ème} Congrès International des Orientalistes - Paris - 1948 - première partie - pp. 33 - 35.

(٤) سبق الحديث عن ذلك ص ٢٠٠ من الرسالة.

(٥) سبق الحديث عن ذلك ص ٢٠١ من الرسالة.

ز - تعيين مكاتب اللجان العلمية المختلفة:

لم تخضع مكاتب اللجان المختلفة لقاعدة معينة. فقد يتم تعيينهم من الجلسة الافتتاحية، ويوافق الحضور عليهم، وقد يتم تعيينهم في الجلسة الافتتاحية نفسها، وقد يوكل أمرهم إلى أعضاء اللجنة نفسها. لكن الجلسة الافتتاحية، هي التي تتخذ القرار عادة، في كيفية حدوث ذلك. أما تفصيلات التعيين فقد تم ذكرها سابقاً^(١).

ح - قراءة البرقيات المرسلة:

تتلى البرقيات، التي وصلت للمؤتمر قبل انعقاده، أو أثناء انعقاد جلساته الافتتاحية، على العموم، ولاسيما تلك الواردة من كبار الساسة، أو أقطاب علماء الاستشراق، ومن أولئك الذين تعذر عليهم حضور المؤتمر، والتي لها أثر في دفع عجلة المؤتمر أو التأثير فيه ومساره، أو تشجيع أعماله وتأييد توجهه.

ط - تأيين زملاء سابقين من مستشرقين أو غيرهم:

كثيراً ما يتم تأيين زملاء للمستشرقين، سواء كانوا مستشرقين أو مساهمين في الدراسات الاستشرافية، أو متعاونين أو مساعدين في المجال نفسه، غربيين أو غيرهم. وكثيراً ما يتم سردهم فرداً فرداً^(٢).

ي - الإعلان عن افتتاح المؤتمر:

يتم ذلك عادة في نهاية الجلسة الافتتاحية، إذ يحصل ذلك عن طريق أحد الساسة الحضور، أو أحد كبار رعاة المؤتمر^(٣) أو من ينوب عنه^(٤). ذلك أهم ما يتم في الجلسة الافتتاحية من إجراءات، من شأنها أن تهيئ الجميع للدخول في حقل الدراسات العلمية، ضمن الجلسات أو اللجان المختلفة، أو الجلسات الجماعية أو الندوات، وما شابها من أنشطة علمية.

(١) سبق التطرق لذلك ص ٢٠٥ من الرسالة.

(٢) ورد ذلك في كثير من المؤتمرات. منها مثلاً:

Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo- Kyoto - 1983 - Vol1 - pp. 27 - 28.

(٣) Actes du International des Orientalistes - premiere partie - p. 22.

(٤) هذا هو الأصل المعتاد، وهو أن يعلن الرئيس عن افتتاح المؤتمر، إلا إذا تعذر حضوره، فمن ينوب عنه يعلن عن الافتتاح. كما أنه قد يفتتح المؤتمر نائب الرئيس بحضور الرئيس نفسه، مثلاً: Actes

du XXIeme Congres International des Orientalistes- Paris - 1948 - premiere partie - p. 22 .

المبحث الثاني: الدراسات العلمية في المؤتمرات ومسارها

تعد الدراسات العلمية الركن الرئيس للمؤتمرات، وهي التي تستغرق جل فترات المؤتمر. فهي عصب المؤتمر وعموده، وأساس انعقاده. وقد اختلفت أشكال انعقادها إلى أنماط متعددة، يمكن التعرف عليها في هذا الموقع، سواء من حيث أهميتها وفوائدها، أو من حيث نظامها ومسارها.

١ - أهميتها وفوائدها العلمية:

تعد الدراسات العلمية، باختلاف أنماطها وأنواعها، أساس المؤتمر. فبدونها لن تكون للمؤتمر أي أهمية، بل لن يكون هناك مؤتمر أصلاً. فالجلسات العلمية هي التي تعرض الأبحاث المقدمة للمؤتمر وتناقشها، وتوجهها وتقومها. وفيها تتلاقح الأفكار، وتتمايز الآراء، وتتلذذ الصعوبات، وتحل المشكلات، وتطرح المقترحات، وتقدم للنتائج وتتخذ القرارات الضرورية، وكل ذلك حسب الإمكانيات، وبالتالي، يمكن القول أن الدراسات العلمية، هي المؤتمر ذاته. أما فوائدها، فهي كل ما يجني المؤتمر من فوائد، انطلاقاً من تجمع الباحثين من كل مكان وتعارفهم، حتى القرارات التي تتخذ في الجلسة الختامية.

٢ - تطور مسارها ونظمها:

مرت الدراسات العلمية في المؤتمرات، من خلال مسارها ونظمها، بثلاث مراحل متباعدة:

المرحلة الأولى، وتخص المؤتمر الأول.

المرحلة الثانية، ويمثلها المؤتمر الثاني.

المرحلة الثالثة، وتشمل بقية المؤتمرات أجمعها.

قبل أن تستقر المؤتمرات على مسارها العام، في المرحلة الأخيرة، وهي التي لا تزال على تلك الصفة، حتى يومنا هذا، مع إضافة تطويرات كإدراج الندوات والجلسات العامة في المؤتمرات الأخيرة، فإن شذوذ المؤتمرين الأول والثاني يبدو أمراً طبيعياً، لكونهما يمثلان انطلاقة المؤتمر، والبدائية تخضع دائماً للتجربة والتحسين. هذه المراحل، سيتم طرقيها في هذه النقطة، مع التركيز على المرحلة الأخيرة، لكونها هي المعتبرة حتى المؤتمرات الآتية.

أ - المرحلة الأولى:

وهي كما سبق تختص بالمؤتمر الأول، وقد سبق إبراز أنه تخصص في اليابان ودراساتها، لذا فقد خصص للمؤتمر فترتان، الأولى مجموعها سبع جلسات خاصة بالدراسات اليابانية، وتسع للبحوث الاستشرافية الأخرى، بتوجهاتها المختلفة.

اعتمد المؤتمر طريقة الجلسات العلمية، إذ خصص لكل موضوع جلسة معينة. كما أن كل جلسة تشمل دراسات متعددة، تصب في الموضوع الرئيس المحدد. والوقت المخصص للمحاضر غير محدد، ويمكن مقاطعته ومناقشته ومحاورته. فقد كانت عبارة عن جلسات حوارية أكثر منها خطابية^(١).

وإذا استوفت الجلسة موضوعها، يمكن الدخول مباشرة في موضوع جلسة أخرى. وإذا انتهى وقت الجلسة، دون إنهاء الموضوعات المطروحة، يمكن مواصلتها في الجلسة القادمة، أو يحدد لها موعد آخر لمواصلة دراستها. تلك هي أهم سمات مسار الدراسات العلمية في مؤتمر المستشرقين العالمي الأول، الذي يمثل المرحلة الأولى في أسلوب تنظيمه.

(١) يوجد هذا في جل الدراسات، سواء المتعلقة باليابان أو غيرها. والمتصفح لوقائع أعمال المؤتمر يلحظ ذلك بكل يسر.

ب - المرحلة الثانية:

يمثل هذه المرحلة المؤتمر الثاني. وفيها أُلغيت التداخلات بين الجلسات، وكذلك الجلسات الحوارية، كما أنه اعتمد نظاما وسطا بين الجلسات واللجان. فقد خصص لكل نوعية من الدراسات الاستشرافية يوما خاصا بها، فكانت على النحو التالي^(١):

— ١٤ سبتمبر ١٨٧٤م (٣ شعبان ١٢٩١هـ) : التجمع العام.

— ١٥ سبتمبر (٤ شعبان) : لجنة الدراسات السامية.

— ١٦ سبتمبر (٥ شعبان) : لجنة الدراسات الطورانية.

— ١٧ سبتمبر (٦ شعبان) : لجنة الدراسات الآرية.

— ١٧ سبتمبر (٦ شعبان) : لجنة الدراسات الحامية.

— ١٨ سبتمبر (٧ شعبان) : لجنة الدراسات الأثرية.

— ١٩ سبتمبر (٨ شعبان) : لجنة الدراسات الإثنولوجية.

أما لجنتنا يوم السابع عشر وإن لم يتضح الأمر تماما حول لجنتي يوم السابع عشر، فقد انطلقت لجنة الدراسات الآرية قبل الأخرى، ثم قطعت أعمالها عند انطلاق الثانية، وواصلت تحليل دراساتها في اليوم التالي قبل انطلاق أعمال لجنة الدراسات الأثرية، إذ ابتدأت أعمالها في العاشرة صباحا، في حين انطلقت الأثرية في الحادية عشرة صباحا^(٢)، إذ خول النظام المتبع في المؤتمر لرئيس الجلسة اختيار وقت آخر لمواصلة المداولات إن لم تستوفها في الوقت المخصص لها^(٣).

إذن، فهذه الخطوة كانت منعرجا آخر في شكل مسار الجلسات العلمية في المؤتمر ودراساته. فقد نظمت شكل العرض، إلا أنها ضيق من نطاق اتساع الأبحاث. ولعل هذا ما دعا إلى تغيير نمط الدراسات مرة أخرى.

(1) Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 418.

(2) Ibid. - p. 431 .

(3) Ibid. - p. 7 .

ج - المرحلة الثالثة:

هي مرحلة اللجان الدراسية. هذه المرحلة، هي التي دأبت عليها المؤتمرات، وانبرت تتخذها طريقة في أعمالها حتى المؤتمرات الحالية. وتتمثل هذه الطريقة في تخصيص كل مجموعة دراسية لتكون لجنة مستقلة في أعمالها، كأن نجد لجنة الدراسات العربية مثلا، ولجنة الدراسات الهندية، ولجنة الدراسات السامية، وغيرها من اللجان، التي سيرد ذكرها فيما بعد. وتعد كل لجنة، عموما، مستقلة بذاتها، لها برنامجها الخاص في مواعيد انعقاد جلساتها وموضوعات أبحاثها وأماكن اجتماعاتها... كما أنها حرة في استخلاص نتائج أعمالها وإصدار توصياتها. إلا أن تلك القرارات تعرض في الجلسة الختامية للبت فيها والتصويت عليها.

وتعقد جلسات هذه اللجان في أوقات خاصة بها، وتتدخل مع بعضها، بحيث إن كل اللجان تعقد جلساتها في الوقت نفسه، وعلى المستشرقين والحاضرين اختيار اللجنة التي تروقه، أو الجلسة التي يرغب في حضورها. وبالتالي في حين قد تكتظ لجنة بالحضور، قد لا يحضر جلسة أخرى إلا نزر قليل من المهمين^(١)، حتى إنه قدمت اعتراضات على هذا الشكل من الدراسات، ونودي بتحويل الطريقة والأسلوب^(٢).

إلا أن اتساع المؤتمر، وشموله فروع المعرفة الاستشرافية المختلفة، يقف حائلا دون التخلي عن هذه الطريقة. لذلك، لا تزال متبعة حتى اليوم. بل إن المؤتمر الأخير، وهو المؤتمر الخامس والثلاثين، والذي انعقد في "بودابست" بالمجر، صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، كان فيه ثماني لجان رئيسية، ويندرج تحت

(١) في مؤتمر أثينا، سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، لم تضم لجنة الدراسات الهندية وبرمينيا ومدغشقر وماليزيا، سوى ثلاثة مستشرقين، لذا قرر المنظّمون دمج هذه اللجنة، وهي السادسة، مع اللجنة

الخامسة، الصين واليابان وآسيا الوسطى. : *Congres International des Orientalistes*

XVI^{eme} Session – Athenes - 1912 - 2eme partie - p. 106.

(٢) ورد طلب هذه المراجعة مرات عدة، منها في ختام مؤتمر أثينا السادس عشر سنة ١٩١٢م

(١٣٣٠هـ)، وقد ذكر هذا ص من الرسالة، وفي ختام مؤتمر بروكسل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)،

وقد ذكر هذا ص من الرسالة.

كل لجنة ما يتراوح بين موضوعين إلى ستة موضوعات^(١)، مما يدل على أن المؤتمرات لا تزال تسيّر وفق الطريقة ذاتها.

٣ - أنواعها وتوجهاتها:

للتعرف على أنواع الدراسات العلمية، وتبينها، وتمحيص توجهاتها، يجدر هنا سرد جميع أسماء اللجان، كما وردت في منشورات أعمال المؤتمرات، في جدول يوضح أسماءها، والمؤتمرات التي انعقد فيها. وهذا الجدول يعني بمسميات اللجان، واللجان الفرعية، كما وردت في منشورات أعمال المؤتمرات، دون الاهتمام ميدانيا بالموضوعات، إذ قد ترد لجان عدة، تعنى بالموضوع نفسه، لكن بصياغات مختلفة، كأن ترد لجنة تعنى باللغة العربية، لكنها تحمل مسميات مختلفة، فإن المسميات في هذه الحالة هي التي يتم مراعاتها، دون الاهتمام بالموضوعات. ثم يأتي بعده جدول يبين الموضوعات والمؤتمرات التي انعقدت فيها دون الاهتمام بمسميات اللجان.

من ناحية أخرى، سيتم اعتماد الترجمة العربية لمسميات اللجان والموضوعات في هذه الجداول، دون ذكر صفاتها اللاتينية، وذلك لكثرتها، ولسهولة الرجوع إليها في مظانها، كما أن الجداول لا يتم التفريق فيها بين اللجان واللجان الفرعية، لأنه تبين أن لا فرق بين لجنة ولجنة فرعية إلا بالمسمى، إذ تعامل اللجنة الفرعية على أنها لجنة مخصصة، كاملة الأركان كاللجنة الأم، بل أحيانا لا يكون لها علاقة باللجنة الأم إلا على الورق^(٢).

كما تم تناول الجلسات العلمية وتنوعها، من خلال الموضوعات المطروحة في المؤتمرات. وفيها سيتم اعتبار الموضوعات المشتركة، وعدها على أنها تحمل موضوعا موحدًا، فلجنة الدراسات العربية، ولجنة الدراسات العربية والإسلامية

(١) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme - no number of page .

(٢) الجداول المعنية بالملحقين رقم ١٤ ص ٦٣١ من الرسالة وما بعدها، ورقم ١٥ ص ٦٦٥ من الرسالة وما بعدها.

مثلاً، مشتركتان في موضوع الدراسات العربية، فيما تتفرد الثانية وتزبد عن الأولى بموضوع الدراسات الإسلامية. والموضوعات المتداخلة في لجنة واحدة، بحيث يكون في لجنة واحدة عدة موضوعات، فهذه تحسب لها الموضوعات بحسب تنوعها، فلجنة الأنثروبولوجيا وفلكلور الشرق، نجد فيها موضوعين اثنين: الأنثروبولوجيا من جهة، وفلكلور الشرق من جهة أخرى.

ولا يعد بالتحددات الزمنية التي تصحب بعض العناوين، غالباً، كاجنة "الإثنولوجيا: ما قبل التاريخ والآثار"، فإنها تعد ذات موضوعين اثنين، هما الإثنولوجيا، والآثار. كما أن الحدود الجغرافية، لا يتم اعتبارها غالباً كذلك. فهناك مثلاً موضوع الشرق الأقصى، وموضوعات اليابان والصين وكوريا وغيرها. ففي هذه الحالة، يعد مسمى الشرق الأقصى موضوعاً مستقلاً، واليابان موضوعاً آخر، وأيضاً تعد الصين موضوعاً ثالثاً، فكوريا كذلك.

من ناحية أخرى، هذه الموضوعات تم استنتاجها من خلال العناوين الرئيسة لكل اللجان العامة، واللجان الفرعية فقط، لصعوبة استنتاجها من خلال المساهمات العلمية التي تتجاوز الموضوعات الرئيسة بكثير، ويصعب تحديدها وتجميعها في مثل هذا الموضوع، ثم هي تعد بالآلاف الكثيرة يصعب التدقيق فيها جميعها^(١). وهذا النهج سيتم الالتزام به في كل الجداول التي ستتحدث عن اللجان واللجان الفرعية، أو عن الموضوعات التي وردت في اللجان.

بيانات حول الجداول:

بتصفح الجداول، نجد أن أهم ما شغل المؤتمرات موضوعات عدة، وهذا بيان تحليلي للبعض منها.

- الدراسات السامية: كان للدراسات السامية نصيب الأسد في أعمال المؤتمرات، فقد عرضت ثلاث عشرة لجنة تحمل اسم "الدراسات السامية"، لتقدم دراسات عامة حول اللغات السامية عموماً، وما يتعلق بالساميين. كما وجدت سبع لجان تحمل اسم "الدراسات الآشورية"، وهي إحدى مكونات الدراسات السامية.

(١) الجداول المتعلقة بالموضوعات في الملحق رقم ١٦ ص ٦٧٣ من الرسالة وما بعدها، ورقم ١٧ ص ٦٨٨ من الرسالة وما بعدها

فيما عرضت "اللغات السامية" كلجنة لثلاث مرات، ووردت ثلاث أخرى تحمل كل منها إحدى العناوين التالية "اللغات والشعوب السامية"، و"الدراسات الآشورية والآثار السامية"، و "الدراسات البابلية والآشورية"، ولجنتين مختلفتين حول "البحوث المسمارية"، وآخرين تتعلقان "بالدراسات الحثية"، وأخرى حول "الدراسات السامية والآشورية"، وأيضاً حول "الساميات العتيقة والآشوريات"، وكذلك "السامية والإسلامية"، و"السامية والشرق الأدنى القديم"، و"العبرية"، و"علم الآشوريات وموضوعات أخرى"، وغيرها من الموضوعات المتعلقة بالساميات.

فقد كانت الساميات موضوعاً للدراسات في خمس وعشرين لجنة، والآشوريات في ست وعشرين مرة، والعبرية في سبع، والكتابة المسمارية في خمس، والآرامية في أربع، والفينيقية في ثلاث، وكل من البابلية والحثية مرتان كذلك. ومن هنا نلمس الأهمية الكبرى التي أولتها المؤتمرات للدراسات السامية. أما إذا أردنا التعرف على نوعية البحوث السامية، فإننا نجد أنها وجهت كلها نحو الدراسات اللغوية، والنقوش الكتابية، وقليل منها توجه للتاريخ والآثار.

كان الغرب دائم البحث عن كل متعلقات حضارته القديمة وماضيه التاريخي، ومن ذلك مسار دينه وأصوله. فالمعلوم أن الأصول الرئيسة للمصادر الدينية إما مفقودة، وإما مدونة بكتابات غير مفهومة لدى الغرب، لكونها قد كتبت بلغة ملكت ولم تعد متداولة. وما إن عرفت آثار تلك اللغات ونقوشها، أو بقايا شعوب تحدث بتلك اللغات أو إحدى لهجاتها، حتى وجه الاهتمام إليها، سواء من أرباب الديانة النصرانية، لكشف البيان عن أصل ديانتهم أو البحث عنه، ولاسيما الكتب المقدسة، أو من المعارضين للكنيسة أصلاً، من الإصلاحيين أو اللائكيين، وهدف هؤلاء الكشف عن أصول حضارتهم وتاريخهم. ومن هنا انخرط المستشرقون باختلاف مشاربهم للبحث في تلك اللغات، وكل يستخدمها لصالح مذهبه وميدانه الذي يعمل من أجله: فالمستشرقون النصارى واليهود يبحثون في أصول ما عندهم من كتب ومدونات، والمستشرقون المعارضون للكنيسة يستهدفون توجهاتهم، أما المستشرقون المهتمون بالآثار والمعارف والعلم فيسعون للوصول لتحقيق سبق علمي ومعرفي، والمساهمة في تقوية الاطلاع على العلوم الحضارية القديمة، والتعرف عليها.

ونلاحظ أن المؤتمرات الثلاثة من الخامس عشر إلى السابع عشر، شهدت قمة الانتعاش في البحوث السامية. أما الفترة المزدهرة، فمن الخامس وحتى الخامس والعشرين. أما المساحة الزمنية المطروقة فيها هذه الدراسات، فانطلقت مع انطلاق المؤتمرات حتى المؤتمر السادس والعشرين، ثم توقفت بعد ذلك، عدا مرات معدودات.

ولتحليل هذا الأمر، يمكن القول إن المؤتمرات انطلقت وقد بدأ الاهتمام بالدراسات السامية، سواء الآثار أو النقوش أو بقايا اللغات المنطوقة. وكثيراً ما من اللغات البائدة، صعبت البحوث الأولى على الفهم. وبعد أن تمكن الباحثون من حل معضلة اللغات السامية، ولاسيما النقوش المسمارية وغيرها، ازدهرت هذه العلوم وتطورت، وكثرت البحوث والاكتشافات في ميدان الساميات، ولما انتهت ثورة الاكتشافات تلك، بدأت تلك العلوم في الاستقرار والثبات، وبالتالي بلغت كمالها على ما يبدو. واقتصرت فيما بعد على بعض النقوش أو الآثار أو المخطوطات النادرة، بحسب المكتشفات التي قد تحدث بين الفينة والأخرى. كما أن هذه العلوم انحصرت مؤخراً في أيدي قلة من الباحثين، في حين كانت في أوج العناية بها نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، حيث يتسابق الباحثون قصد تحقيق سبق علمي في هذا الميدان.

- الدراسات الفرعونية: تعد موضوعات الدراسات المصرية، مخصصة جلياً في الدراسات الفرعونية. فقد انطلقت المؤتمرات بعد حوالي عقدين من زمن الكشف عن أوائل أسرار الكتابة الفرعونية^(١)، بعد بحوث مضيئة. فقد كانت الفرعونيّات القفزة العلامة في سماء البحوث الأثرية، بوصفها أقدم الحضارات الإنسانية التي تم الكشف عنها حتى ذلك الحين. وعدت من أعظم إنجازات القرون التاسع عشر. ومنذ اكتشاف النقوش الفرعونية وكتاباتهما، ما فتى العلماء يبحثون وينقبون دون فتور. وما إن بدأ فك رموز الكتابة الفرعونية، حتى كثرت الأبحاث والدراسات وتلاحقت، وشارك معهم العديد من المستشرقين المهتمين، وكان لهم

(١) سبق الحديث عن الكشف عن أسرار هذه اللغة ص ١٢٠ من الرسالة.

باع في ذلك، واستغلوا المؤتمرات أيما استغلال، لعرض نتائج جهودهم. ومن هنا، كانت الدراسات الفرعونية نكهة المؤتمرات، ولا سيما في فتراته الزمنية الأولى. وإذا كان الدافع القوي لدى الغربيين في أبحاثهم للكشف عن الدراسات السامية دينيا بالدرجة الأولى، فإن الأمر يختلف في الدراسات الفرعونية، إذ الدافع الأساس إليها حضاري تاريخي. هذه الدراسات، شهدت كثافة جمة في الأبحاث المقدمة فاقت حتى الأبحاث السامية في العديد من المؤتمرات، وألقت بالأضواء على أغلب جوانب الحياة الفرعونية.

أما الملاحظة البارزة، فتتمثل في توقف العناية بالدراسات هذه في المؤتمر السادس والعشرين، وهو نفس المؤتمر الذي توقفت فيه الدراسات السامية، عدا النواذر من المؤتمرات. ولا شك في أن البحوث الفرعونية، وبعد مرور قرن ونيف من الزمان على فك رموز اللغة الفرعونية، استقرت واكتملت بدرجة عالية.

- اللغويات: من أبرز الاهتمامات الاستشرافية: أمور ثلاثة: اللغويات والتاريخ والديانات. واللغات عادة هي مفتاح جميع المعارف الأخرى، لذا نجد أن المستشرقين يعنون عناية خاصة بالدراسات اللغوية والبحث في أساليبها وقواعدها وفيلولوجياتها. وترتكز الأبحاث الاستشرافية، سواء حول المجتمعات البائدة أو المعاصرة، على معرفة اللغة. ومن هنا، نجد أن المؤتمرات وجهت اهتماما خاصا وعناية مميزة باللغات، الحية منها والميتة.

ظهرت الموضوعات المتعلقة باللغويات عموما، انطلاقا من المؤتمر الرابع وحتى السابع والعشرين، وعادت في المؤتمرين الحادي والثلاثين والخامس والثلاثين، وانقطعت قبل السابع والعشرين في أربع مناسبات، الخامس والتاسع والسابع عشر والحادي والعشرين، وتكاد تتمركز في الحقبة ذاتها التي درست فيها الساميات والفرعونيات.

وإذا تتبعنا جدول الموضوعات المتعلقة باللغويات، فإننا نجد الآريات، قد شغلت تسعة مؤتمرات، والتركيز فيها كان على اللغات الآرية بصفة خاصة، كما أن اللغة، والتركيز على الأبحاث اللغوية، كانت أساسا في الموضوعات التالية: إفريقيا، حيث كان التركيز منصبا على اللغات النبررية وغيرها من لغات إفريقيا الأخرى كالهوسا والأثيوبية وما سواها، وهناك أيضا أمريكا، وجنوب شرقي آسيا،

والصلوات اللغوية، والفيلولوجيا والمالوية واليابان والصين، والموضوعات المتعلقة بالعرب والعربية والتركيات، وغيرها من موضوعات أخرى، كان التركيز فيها على اللغة واضح جداً، إضافة إلى الساميات المختلفة والفرعونيات، وبعض اللجان الأخرى ذات الطابع الفيلولوجي. فهذه كلها يتم البحث فيها فيما يتعلق باللغات وفيلولوجيتها، وأصولها وحقيقتها ونوعياتها، وبذا، يمكن أن ننعت اللغويات بأنها أهم مرتكزات الأبحاث الاستشرافية في المؤتمرات.

وأهم ما يركز عليه المستشرقون في هذا المجال، هو محاولة نقل الحروف المحلية، ليحل محلها الحرف اللاتيني، وفيما فشلوا في نشر ما توصلوا له في ذلك من عمل مع العربية والفارسية والمالوية، وغيرها من اللغات الإسلامية، الآسيوية والإفريقية، وغير الإسلامية، مثل الصينية واليابانية والكورية، فإنهم أفلحوا مع لغات أخرى كالتركية والإندونيسية والصومالية، وأفلحوا في إدخال بلبله لا تزال قائمة في بعض اللغات الأخرى حتى الآن، منها اللغة البربرية.

- الدراسات الدينية: شغل الدين الإسلامي ومتعلقاته حيزاً هاماً في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد اعتمد موضوعاً في واحد وعشرين مؤتمراً، ودرس الأدب الإسلامي مرتين، والحركات الدينية الإسلامية مرة واحدة، وكذلك العلوم الشرعية والقرآن.

والدراسات الإسلامية تشمل جوانب العلوم الشرعية والفكرية المختلفة، عقيدة وقرآن وحديث وفقه، وكذلك الفلسفة والفكر والمجتمعات، وسواها من فنون العلوم الإسلامية، من تاريخ وجغرافيا وقوى عسكرية وسيرة وفن وآثار وغيرها. وشمل العالم الإسلامي عدة أقطار إسلامية، كما أن هناك لجنا عدة تتعلّق بالأقطار الإسلامية، اهتمت في جانب كبير منها بالعالم الديني في تلك المجتمعات، علماً بأن الحيز الكبير من الدراسات الاستشرافية في المؤتمرات وجه للعالم الإسلامي.

أما النصرانية، فوجدت لها حيزاً كذلك في أعمال المؤتمرات، سواء كديانة أو مجتمعات. فنجد أن نصارى الشرق والشرق النصراني، توجهت لهم موضوعات ثمانية من مؤتمرات المستشرقين العالمية، واليونان ثمانياً أيضاً. والعهد القديم كان موضوعاً في ستة مؤتمرات، وكل من أرمينيا وبيزنطة أربعة مرات، وأثيوبيا ثلاث مرات، وأمريكا مرتان، ومرة لكل من الكتاب المقدس وآسيا الوسطى.

انطلق الاهتمام الخاص بنصارى الشرق من المؤتمر التاسع عشر، وتواصل حتى الرابع والعشرين على التوالي، ثم عادت في التاسع والعشرين ثم الثاني والثلاثين، فيما توزعت بقية الدراسات النصرانية على مؤتمرات عدة، فأحياناً ترد في المؤتمرات الأولى وأحياناً أخرى في الوسطى، وترد كذلك في الأخيرة. أما الدراسات اليهودية، فقد اهتمت بها المؤتمرات كذلك، لكن بصفة متأخرة، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى، وإن كانت الدراسات اليهودية دخلت المؤتمرات قبل ذلك، ضمن لجان مختلفة، ولذا لا نجد موضوعات يهودية عامة إلا في خمسة مؤتمرات، وانطلقت من المؤتمر الثامن عشر ببلدين، سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، ثم عادت مرة أخرى في المؤتمر الرابع والعشرين بميونخ سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ)، ثم غابت حتى المؤتمر الخامس والثلاثين ببودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ). كما درست جوانب يهودية في موضوعات العهد القديم، وكذلك العبرية.

أما الديانات الوثنية، فإننا نجد المستشرقين وجهوا اهتماماً كبيراً لديانات الهند، ولاسيما الهندوكية والبوذية. وموضوعات الهند بلغت ثلاثة وعشرين، ونادراً ما خلت تلك الموضوعات من العناصر الدينية للهند. كما أن اليابان، أولى موضوعات المؤتمرات، وجه المؤتمر اهتماماً كبيراً لدياناتها القديمة. بل إن الديانات القديمة عموماً كانت مرتكزاً من مرتكزات المؤتمرات، سواء منها الإفريقية أو المصرية أو الهندية أو الصينية واليابانية والمالايية والكورية والآسيوية، وما قبل الديانات التوحيدية في الجزيرة العربية وغيرها من البلدان الشرقية عموماً. وجل هذه الديانات تم تحليل أصولها، ودراسة التطورات التي طرأت عليها، وحتى أصحابها ومنشئوها، سيرتهم وحياتهم إن أمكن، وكذلك كتبها إن وجدت.

من كل ما سبق، يمكننا أن ندرك الأهمية التي كان يوليها المستشرقون في مؤتمراتهم لهذا الجانب المعرفي، والذي يتعلق بالعقائد المختلفة، ألا وهو الدين، ولاسيما أن المؤتمرات وردت في عصر أخضع الدين فيه للبحث، بين قابل ومؤيد ورافض ومنكر وثائمه وباحث. ومن هنا كان الدين أحد الركائز التي دارت حولها أبحاث مؤتمرات المستشرقين العالمية .

- الآثار والنقوش: اعتمد الاستشراق عموماً، في الكم الكبير من أبحاثه التي قام بها، على الآثار والنقوش، وبالتالي فإنهما يكادان يكونان محور المؤتمرات في القرن الماضي، ومعظم القرن الحالي، حتى حوالي الستينات، وكانت تلك هي الفترة المزدهرة، ولا يزال يتتبع أي أثر جديد يظهر على الساحة المعرفية. وحتى يتم تأكيد ذلك، يمكن تتبع الموضوعات من خلال اللجان المطروحة: فنجد الدراسات السامية والمصرية والآشورية، والآرية واللغوية والصين واليابان والآثار والفنون والعبرية والقوقازية وماليزيا وإندونيسيا والعهد القديم والكتابة المسمارية والآرامية والأرمينية والبيزنطية والسفسكرية والإثنولوجيا والأثيوبية والبوذية والفارسية والفلكلورية والفينيقية والإثنولوجية والأناضولية والأنثروبولوجية والبابلية والحثية والدرويدية والأسترالية... وغيرها، وكل هذه الموضوعات اعتمدت الآثار والنقوش حتى تعالج دراسات وأبحاثها، بل إن اللغات السامية والفرعونية مثلاً، ما كشفت طلائع لغاتها إلا بتتبع النقوش وتحليلها. والصين واليابان والهند وغيرها اعتمدت الآثار للكشف عن حضاراتها القديمة وأصولها.

من جهة أخرى، نجد أن مصطلح الآثار ظهر في المؤتمرات إحدى عشرة مرة. وباعتماد ما مر بنا من تحليلات حول الساميات والفرعونيات، وإذا عرفنا أن جل الموضوعات اعتمدت إما الآثار أو النقوش أو هما معاً، فإنه يتضح لنا أن الآثار والنقوش يعدان ركيزة من ركائز البحوث الاستشرافية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية .

- التاريخ والدراسات التاريخية: كثيراً ما يرى الاستشراق على أنه الدراسات التاريخية. وإذا أردنا تحليل ذلك، من خلال المؤتمرات، فإننا نلمس أن دراسة اللغات وأصولها، سواء منها المنقرضة، أو الحية الموجودة حالياً، وكذلك البحث في الآثار، تعني البحث عن تواريخها وتسلسلها التاريخي.

تعتمد دراسات المناطق عموماً على جانبيين هامين، هما القليلولوجيا والتاريخ، سواء منها المناطق الإقليمية، مثل آسيا الوسطى وإفريقيا والشرق الأدنى وجنوب شرقي آسيا وآسيا الشرقية والقوقاز وأمريكا والبلدان العربية، ودخل آسيا وشمالها والشرق الأقصى وشمال إفريقيا والعالم الإسلامي، وغيرها من المناطق أو البلدان

المذكورة في المؤتمرات، مثل الهند ومصر وإيران والصين واليابان وتركيا واليونان وكوريا وفارس ومدغشقر وأفغانستان والأناضول وغيرها من البلدان الشرقية أو الشعوب المدروسة، من مثل العرب ونصارى الشرق واليهود والبربر والتاميل والتتار والعثمانيين، أو حتى جوانب أخرى مثل الفنون والدين والعادات والفلكلور والفلسفة وما إليها من موضوعات أخرى.

يبرز التاريخ الديني في هذه المؤتمرات أيضا، وقد وجدت لجنات في تاريخ المؤتمرات، تتحدثان عن تاريخ الدين، كما أن الشعوب النصرانية المذكورة، تم التعرض لتاريخها وتاريخ انتشار الديانة فيها، من مثل نصارى الشرق واليونان والأرمن وغيرهم. وتم تناول تاريخ الكتاب المقدس، القديم منه والجديد، والكتاب المقدس القديم، يتعلق كذلك بتاريخ اليهود واليهودية، التي لقيت الاهتمام بها أيضا. كما تتبع تاريخ لغتها العبرية، وتاريخ فلسطين، وعلاقة اليهود بها.

من ناحية أخرى، فإن جل الأبحاث التي تعنى بالتاريخ، شملت أنواعه المختلفة: التاريخ العام والاجتماعي والسياسي والثقافي، بل حتى الفيلولوجي والعرقى. وبهذا، نظهر الأهمية الكبرى التي وجهت للجانب التاريخي في أبحاث مؤتمرات المستشرقين العالمية، بحيث إنه لا غنى لها عن البحوث الاستشرافية. بل إن اللجان التي تتناول الاستشراق بالدرس، قد اهتمت بتاريخ الاستشراق والأطوار التي مر بها، كما أن البحوث التي تلقى حول المدارس الاستشرافية، لا بد من أن تتناول تاريخ مسارها كذلك.

من هنا يتبين لنا أهمية التاريخ والدراسات التاريخية في مؤتمرات المستشرقين العالمية .

-أصول الشعوب العرقية: ما من شعب يتناوله المستشرقون بالدرس في المؤتمرات، إلا وتطرقوا لأصوله العرقية وصفاته الإثنولوجية. فمنذ انطلاق المؤتمرات، وبداية من المؤتمر الأول، تم تناول الشعب الياباني بصفة خاصة، والشعب الصيني فالكوري والهندي والتركي والقوقازي، وغيرها من الشعوب، بالدرس والتحليل، قصد معرفة خصائصه الإثنية وأصوله العرقية. وكذا كان الأمر مع جل الشعوب الأخرى، التي درست، كالآريين والعرب والمالايين والأرمن وغيرهم. وهي معايير يتم تصنيف الناس وفق أسسها. ومن ثم ظهرت

الخصومات حول أي جنس من الأجناس هو الأرقى، ولا سيما بين الجنسين السامي والآري. ويذهب العديد من المستشرقين إلى القول برقي الجنس الآري، إلا أن الخصومات داخل الجنس الآري نفسه، قامت حول نوعية العرق الأسمى، حتى إنها تسببت أحيانا في قيام حروب بين الشعوب الغربية، وقد قوي هذا الأمر وهذه الأبحاث في القرن التاسع عشر، ومن ثم دخلت هذه الدراسات لدى المستشرقين أنفسهم، وطبقوا تلك الإجراءات على شعوب الشرق، وتعمقت بصفة خاصة، خلال المؤتمرات الأولى.

- المقومات الحضارية: تناولت المؤتمرات المجتمعات ذات الحضارات العريقة، بالتحليل، من مثل الفرعونية والآشورية. وهذه يتم الكشف عنها وتحليل مقومات وأصول نموها وعلو نجمها. كما سعت المؤتمرات إلى الكشف عن جل الحضارات القديمة والمعاصرة، ولاسيما تلك التي لم تتصادم مع الغرب، من مثل اليابان والصين والهند وفارس وبابل. كما درست مقوماته الحضارة الإسلامية كذلك، ومنها العثمانية. وهذه الحضارة، يتم التقليل من قيمتها وقدرها، ولاسيما في مؤتمرات ما قبل التاسع والعشرين. والسبب في ذلك أن هذه الحضارة كانت لها مصادمات وصلت حد الحروب والصراع حول الأراضي، سواء في أوروبا أو في الشرق، ولاسيما مع العثمانيين، ومن هنا، وجهت لها جل عوامل التشويه الحضاري، وهو ما لا نراه مع الحضارات الأخرى، التي بالغوا في الإغلاء من شأنها.

من جهة أخرى، تمت دراسة مقومات الحضارات من لغات وتاريخ وآثار وفنون وثقافة ودين وآداب وفلسفة وفلكلور ومجتمعات. كما تمت دراسة الصراعات الثقافية وصلاتها، والصلات اللغوية بينها أيضا، وطرحت علوم ومعارف عدة، تعد من مقومات الحضارات. كما طرحت مسألة الهوية الثقافية. أما عن مقومات الحضارة في العصر الحديث، فينظر المستشرقون دوما إلى كيفية نشر الخصائص الغربية بين الشعوب الأخرى، بحجة تدينها وتحضيرها، وإن لزم الأمر استعمارها واستعبادها. ويظهر ذلك منهم عند دراسة الشعوب الآسيوية والإفريقية، ولاسيما تلك التي لا تزال تعيش حياة بدائية.

تلك هي أهم المراكز التي تقوم عليها جل دراسات المستشرقين في المؤتمرات. وهي كما نرى، تهتم بصفة عامة، بالعتيق والقديم، لذا نراها من خلال الجداول، في المؤتمرات الأولى والوسطى بصفة خاصة. ونراها تعود في المؤتمرات المتأخرة أواخر الثمانينيات .

أما أواخر الستينيات وأوائل السبعينات، فنجد أن هناك مزجا بين الدراسات العتيقة والدراسات الحضارية المعاصرة. وقامت ساعتها محاولات للاهتمام بالقضايا الحضارية المعاصرة: ففي المؤتمر الثلاثين طرحت قضايا وموضوعات معاصرة، ولاسيما في جانب الندوات، وكان ذلك في مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، كما أنها تظهر واضحة في مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، إذ نجد فيه لجانا وموضوعات وندوات جديدة.

وبعد مؤتمر طوكيو، عادت مؤتمرات "همبورغ" الثاني والثلاثين، سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، وتورنتو الثالث والثلاثين، سنة ١٩٩٠م (١٤١١هـ)، وبودابست الخامس والثلاثين سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، للمزج بين القديم والحديث، في حين لا يمكن الحكم على المؤتمر الرابع والثلاثين، سنة ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، لعدم نشر وقائع أعماله، لكن سيأتي أن رئيسه دعا إلى التمسك بالأسول التي قامت عليها المؤتمرات^(١)، وهو ما يوحي بأن الخلط بين القديم والجديد هو الذي تم في المؤتمر ذاك.

تلك هي أهم السمات النوعية والخصائص المميزة للجان والموضوعات المختلفة، في مؤتمرات المستشرقين العالمية .

(١) سيرد ذلك ص ٣١٩ - ٣٢٠ من الرسالة.

المبحث الثالث: ندوات المؤتمرات وحلقاتها الدراسية

تتعد على هامش مؤتمرات المستشرقين العالمية، دراسات جماعية، يفرغ في أثنائها المؤتمرون من اجتماعات اللجان ليحضروها. وقد مرت مثل هذه التظاهرة بمرحلتين اثنتين، تمتد الأولى من نشأة المؤتمرات حتى المؤتمر الخامس والعشرين الذي انعقد في موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، وتشمل الثانية ما تبقى من المؤتمرات حتى يومنا هذا.

أما الفترة الأولى فتقسم هي كذلك لشقين، ما قبل المؤتمر الثاني عشر المنعقد في همبرغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، وما بعده. أما الشق الأول فلم تكن تعقد في أثنائه جلسات جماعية مخصصة للدراسات والمباحثات، وأما الثاني فانطلقت فيها مثل هذه البحوث والجلسات. وأما المرحلة الثانية فقد اعتمدت الجلسات الجماعية أساسا من الأسس البحثية، لكنها دقت في المسميات، وأضحت تسمى ندوات أو حلقات دراسية أو جلسات وغيرها من المسميات.

وتكمن الأهمية العلمية لمثل هذه النوعية من الدراسات، في أنها تضم معظم الحضور، أو من شاء منهم، للاستماع لمحاضرة أو أكثر، تدور حول موضوع موحد، ذي أهمية وفائدة قيمة بالنسبة للتوجهات الاستشراقية، وللحضور من المستشرقين أو غيرهم، أو المعنيين بالموضوعات المتنوعة والمختلفة، التي تحنويها الجلسات الجماعية.

ويلقي هذا المبحث بسطة عن كل نوع من الفترتين، مبينا الفروق بينهما، كما يقدم الموضوعات العامة التي تم تناولها في تلك الجلسات الجماعية، سواء الأولى منها أو الثانية.

١ - الجلسات الجماعية العامة:

يتفحص وقائع أعمال المؤتمرات، نجد أن بواكر هذه الظاهرة، انطلقت من المؤتمر الثاني عشر، والذي انعقد في روما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ). أما ما قبله، فلم تكن قد تخصصت فيه جلسات جماعية للتباحث الدراسي، بل كانت تلك

الجلسات لمناقشة أمور تتعلق عادة بشؤون المؤتمرات وبالاستشراق عموماً في أحيان كثيرة.

أما الصفة العلمية الواقعية، فلم تبدأ إلا مع المؤتمر الثاني عشر، وكانت بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ). وكانت تلك الاجتماعات تحمل مسمى "جلسات اللجان العامة الموحدة" Seances generales des sections reunies^(١). وانعقدت أيام السابع والثامن من أكتوبر صباحاً، ويوم الثالث عشر من الشهر ذاته، في جليتين صباحية ومساءية، والأخيرة يوم الرابع عشر صباحاً. وهذه الجلسات كانت متنوعة الموضوعات، ألقاها متخصصون في ميادين استشرافية مختلفة، بحسب تخصصاتهم.

ونجد لأول مرة كلمة "مداولة" Conference، ترد في المؤتمر الرابع عشر، المنعقد سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ) بالجزائر، وقد عقدت لسماع محاضرة حول الموسيقى العربية للمستشرق "رواني" Rouanet^(٢).

وفي المؤتمر الخامس عشر بكونينهاجن سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، أقيمت مثل هذه الاجتماعات تحت مسمى "جلسات اللجان العامة" Seances des sections reunies^(٣)، يوم السابع عشر من أغسطس (العشرين من رجب)، وكانت لسماع دراسات متنوعة أيضاً. وكذا كان الأمر في المؤتمر السادس عشر بأثينا، سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، إذ انعقدت فيه ثلاثة اجتماعات عامة، أيام الثامن والتاسع والعاشر من إبريل (الحادي والعشرين والثاني والعشرين والثالث والعشرين من ربيع الآخر)، أُلقيت خلالها بحوث متعددة أيضاً^(٤).

أما مؤتمر بروكسيل، العشرون، سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، فقد عقدت فيه

(١) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - premiere partie - pp. CCXXII - CCLVIII .

(٢) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T1 - pp. 89-91.

(٣) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 78.

(٤) Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 2eme partie - pp. 41- 48.

جلستان جماعتان عامتان، خصصت الأولى لسماع محاضرتين^(١)، والثانية لسماع محاضرة مع عرض شريط سينمائي، حول مكتشفات أثرية في أفغانستان^(٢).

وفي المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، أقيمت ثلاث جلسات عامة، أولاها يوم الخامس والعشرين من يوليو (التاسع عشر من رمضان)، وتمت لتخليد الذكرى الخمسين لتأسيس المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، والذي أقيم في "سايجون" Saigon، سنة ١٨٩٨م (١٣١٦هـ)^(٣). أما الثانية، فكان محورها نقل النقوش الحديثة، وأثرها في ميدان دراسة الشرق الأدنى^(٤)، والثالثة تمت بمناسبة الذكرى الألف للعالم العربي البيروني^(٥).

وفي إسطنبول، سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، أقيمت جلستان عامتان في مؤتمر المستشرقين الثاني والعشرين، تتعلق الأولى بدراسات إسلامية متنوعة^(٦)، وتتمحور الثانية حول موضوعات مختلفة من الدراسات الآسيوية^(٧).

وأخيرا، وفي كامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، وهو المؤتمر الثالث والعشرون، عقدت ثلاثة تجمعات عامة، تمت الأولى منها لسماع محاضرة لـ "بيرسن" Pearson، حول "دور المكتبة في الدراسات الشوقية" The role of Library in Oriental studies^(٨)، والثانية كانت مفتوحة، وتتعلق بـ "التاريخ والاستشراق" History and Orientalism^(٩)، واستمع الحاضرون لمحاضرة للمستشرق البولندي "ستيفن سترالتسين" Stefan Strelcyn، وعنوانها "عشر

(1) Actes du XX^{eme} Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - p.35.

(2) Ibid. p.35.

(3) Actes du XXI^{eme} Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 27.

(4) Ibid. p. 27.

(5) Ibid. pp. 28 - 32.

(6) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - pp. 66 - 99 .

(7) Ibid. pp. 100 - 128 .

(8) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. 34 - 42.

(9) Ibid. pp. 42 - 43.

سنوات من الدراسات الاستشرافية في بولندا الشعبية Dix ans d'Etudes
Orientales en Pologne Populaire^(١).

ذاك ما تم طرحه من اجتماعات عامة، تحت مسمى جلسات جماعية، في
مؤتمرات المستشرقين العالمية. وهي تمتاز بشموليتها وعموميتها، وعدم تحديدها
لموضوع معين، يكون محور الدراسات، عدا ما خصصته البعض منها لسماع
محاضرة واحدة خلال الجلسة.

من جهة أخرى، لا يتضح الغرض من عقد مثل هذه الجلسات في هذه الحقبة
الزمنية، لكن يبدو أن الفرقة التي نتجت عن تعدد اللجان وتباينها وتنوعها، كانت
قد أخلت بإحدى الغايات التي أقيمت من أجلها المؤتمرات، ألا وهي تعارف
الباحثين والعلماء بعضهم ببعض، ولاسيما أصحاب التخصصات المتباينة، فلعنه
رئي أن هذه الجلسات قد تخفف من ذلك التباين، وتساعد في تحقيق ذلك العرض.
كما من شأن هذه الجلسات أن تفتح الأذهان على معارف وأفكار أخرى، بل
وميادين ونقاشات وحوارات آخر، كي تتنامى المعارف الاستشرافية لدى الجميع،
ولا يتفوق كل باحث في تخصصه البحث.

ويبدو أن هذه النوعية من الدراسات أثبتت جدارتها، لذا، نجدها تأطرت في
المؤتمرات اللاحقة، ونظمت أكثر، واتخذت أشكالاً أخرى أكثر تنظيماً، وأصبحت
لا تكاد تنفك عنها، وهذا ما سيوضح فيما يلي.

٢ - الندوات والحلقات الدراسية:

انطلاقاً من المؤتمر السادس والعشرين بنينو دلهي، سنة ١٩٦٤م
(١٣٨٣هـ)، اتخذت الجلسات الجماعية أشكالاً أكثر تنظيماً، وخصصت لها
أوقات وحصة خاصة بها، وأطلقت عليها مسميات دقيقة ومتنوعة من مثل:
- Symposium: وهي ندوة يتحدث فيها مجموعة من المتكلمين عن
موضوع معين، أحاديث قصيرة.
- Conference: وهي مداولة حول موضوع ما.

(١) Ibid. p. 43 .

- Colloquium: جلسة يقيمها جماعة لمناقشة موضوع ما باستفاضة.
- Seminar: وهي حلقة دراسية نتباحث موضوعا ما.
- Panel: وهي ندوة حوارية، تتم فيها مناقشة عامة حول موضوع ما، يديرها شخص أو أكثر.

في مؤتمر نيو دلهي، سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، عقدت ندوتان اثنتان، تتعلق الأولى بدور الدراسات الشرقية في المعارف الإنسانية Role of Oriental Studies in the Humanities^(١). أما الثانية فتتعلق بالتحويلات في القانون الشخصي عند المسلمين Changes in Muslim Personal Law^(٢).

وهكذا تواصلت الندوات والجلسات الجماعية، ففي مؤتمر آن آر بور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، نظمت فروع أربعة من الندوات الحوارية، ودام عملها خلال كامل الأسبوع، أيام المؤتمر، وسميت الندوات أ وب وج ود. وقد عقدت كل واحدة منها أربع جلسات، أيام الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والثامن عشر من شهر أغسطس (العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من جمادى الأولى)، مساء، ما عدا Panel D، فكانت خلال الأيام الثلاثة الأولى المذكورة. وتناولت بالتحليل الموضوعات عدة^(٣).

وفي المؤتمر الثامن والعشرين بكمبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)، عقدت ثمانين حلقات دراسية^(٤). كما عقدت على هامش المؤتمر نفسه أربع ندوات أخرى تتعلق بموضوعات متنوعة^(٥).

كما نظم الاتحاد العالمي للمكتبيين الشرقيين International Association Of Orientalist Librarians (IAOL)، مجموعة من الحلقات الدراسية^(٦).

(١) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - pp. 65 - 78 .

(٢) Ibid. pp. 79 - 101 .

(٣) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - أولا - ص ٦٩٣ .

(٤) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - ثانيا - ص ٦٩٥ .

(٥) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - ثالثا - ص ٦٩٦ .

(٦) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - pp. 297 - 300.

وكذلك اتحاد مؤرخي ما قبل تاريخ الشرق الأدنى Far-Eastern Prehistory Association (FEPA) ^(١).

وفي المؤتمر التاسع والعشرين بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، عقدت
جلستان دراسيتان وخمس حلقات دراسية ^(٢).
وعقدت في المؤتمر الثلاثين بمكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، عدة
ندوات أيضا ^(٣).

وفي مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين، سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، نلاحظ
وجود نوعين من التجمعات العامة أيضا، وهما:

- الحلقات الدراسية Seminars.

- الجلسات الدراسية Colloquia.

وانقسمت الحلقات الدراسية إلى فئتين أ و ب، عقدت الأولى ست جلسات،
فيما جلست الثانية مرتين. أما الجلسة الدراسية، فقد عقدت جلستان اثنتان أ و
ب ^(٤).

أما الحلقة الدراسية ب؛ فقد خصصت للدراسات اليابانية ^(٥).

وبالنسبة للجلسة الدراسية، فتمت تحت عنوان عام:

Exchange of Information on source materials publications,
and Academic Organizations.

تبادل المعلومات حول المصادر المادية والمنشورات والمنظمات
الأكاديمية ^(٦).

ولوفرة الدراسات فيها، قسمت هذه الجلسة الدراسية إلى فرعين:
Colloquium A ^(١) و Colloquium B ^(٢)، دون أن يعين لكل منها عنوان
فرعي، كما فعل مع السابقتين.

^(١) Ibid. pp. 301 - 303.

^(٢) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - رابعا - ص ٦٩٦.

^(٣) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - خامسا - ص ٦٩٧.

^(٤) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - سادسا - ص ٦٩٨.

^(٥) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - سابعا - ص ٦٩٩.

^(٦) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Vol. II - p. 1087.

وفي المؤتمر الثاني والثلاثين، سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ) بهمبورغ، جاءت الندوات الجماعية تحت اسم Panels، وقد تقرر عقد ست عشرة جلسة فيها، إلا أن الجلسة الخامسة منها لم تتعقد، فيما تمت الجلسات الحوارية الأخرى^(١). وإذ لا يتبين الأمر عن المؤتمرين الثالث والثلاثين بتورنتو سنة ١٩٩٠م (١٤١١هـ)، والرابع والثلاثين بـ"هونج كونج" سنة ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، لعدم التمكن من الحصول على وقائع أعمال الأول، ولعدم نشر ذلك بالنسبة للثاني، فإن عدد الندوات نقص كثيرا في مؤتمر بودابست الخامس والثلاثين، لسنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، وكانت تحت مسمى "Symposia"، وكانت منهما اثنتان خاصتان، واحدة خاصة بالاتحاد العالمي للمكتبيين الشرقيين (IAOL)^(٢)، وأخرى خاصة بـ (CIEPO)^(٣)، وثلاثة عامتان^(٤).

تلك هي مسيرة الجلسات العلمية الجماعية، التي تمت في مؤتمرات المستشرقين العالمية. ونرى أنها تنامت عبر الزمن، وأصبح لها صيت وهيمنة في المؤتمرات الأخيرة، باستثناء الأخير الذي لا يمكننا التعرف على إمكان حدوث تقهقر في عدد من الندوات الجماعية، أو شذوذ عنها، لعدم توفر المعلومات عن المؤتمرين السابقين له.

إن الصيت الذي أخذته الجلسات الجماعية، بعد أن كانت عبارة عن بضعة كلمات تلقى على المسامع، أنها أضحت لها جلسات مخصصة ولقيت عنايته مميزة، وتنامت عبر الزمن لتصل في المؤتمر الثاني والثلاثين بهمبورغ إلى ست عشرة ندوة، وقد يكون ذلك لما حققته من نجاحات ساعتها، إذ جاءت فجأة فغيرت بعضا من نمط المؤتمرات. لكن ما لاحظته في مؤتمر بودابست الذي شهدت

(١) Ibid. Vol. II - pp. 1087 - 1106 .

(٢) Ibid. Vol. II - pp. 1106 - 1130 .

(٣) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - ثامنا - ص ٦٩٩.

(٤) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme - p. 65 .

(٥) Ibid. p. 66 .

(٦) توجد موضوعات هذه الندوات في الملحق رقم ١٨ - تاسعا - ص ٧٠١.

أعماله، أن الهالة التي قامت حول الجلسات هذه والدعوات التي نادى بها، ليست كما هو متوقع منها، فقد حددت لجلسات الندوات هذه أوقات متوازية مع دراسات اللجان، وخصص برنامج لا يختلف عن مسار اللجان العلمية، ولم تكن مؤهلة بنوعية تسمح لمن أراد من الجموع حضور دراساتها، بل قد لا يزيد من شهيد جلسة إحدى الندوات عن العدد في اللجان الأخرى، إذ قد تكون هناك دراسة في لجنة أهم من تلك التي تعرض في الندوات. لقد عوملت الندوات كمعاملة اللجان. فإذا كانت الجلسات الجماعية بهذه الطريقة فقد فقدت الأهمية التي وضعت من أجلها، ولا سيما أنها في أول انبعاثها كانت تخصص للجميع، بحيث تعطل أعمال اللجان أثناء انعقادها، أما إذا كان الأمر شاذاً في مؤتمر بودابست، فالمهم أن هذا النوع من النشاط في المؤتمرات، لا يزال ثابتاً، ولعل الأمر يتضح لاحقاً من خلال المؤتمرات القادمة.

المبحث الرابع: جلسات المؤتمرات الختامية

يتم التعرف على هذا النوع من الجلسات بدراسة أهميتها من ناحية ومسارها العام ومحتوياتها من ناحية أخرى. وبهذين الجانبين نتضح السمات المميزة لهذه الجلسة.

١- أهميتها:

بعد انتهاء جلسات المؤتمر الدراسية والعلمية تتعقد الجلسة الختامية، التي لا تقل أهمية عن سابقتها، ولا سيما أن لها أهميتها الخاصة إذ هي تمثل عصارة المؤتمر. وتكمن أهمية الجلسة الختامية لأي مؤتمر في كونها يتم من خلالها عرض نتائج الجلسات، وما اتخذ من قرارات، إضافة إلى اختيار مكان المؤتمر اللاحق، وبيان ما قد يتخذ من إجراءات من أجل تطوير مسار المؤتمرات، وتنمية الدراسات الاستشرافية. وهذه كلما تعددت عن خلاصة جلسات متلاحقة ومتعددة، خلال أسبوع كامل هو مدة انعقاد مؤتمر واحد.

٢ - مسارها العام ومحتوياتها:

تحتوي الجلسات الختامية على جوانب عدة، فهي على شاكلة الجلسة الافتتاحية، غير أنها توديعية، وقصيرة، لكنها تضم عدة جوانب يمكن الحديث عنها بإيجاز فيما يلي:

أ - إعلان القرارات العامة المتعلقة بالاستشراف: كثيرا ما تدعو المؤتمرات إلى اتخاذ إجراءات معينة، تهتم بتنمية الاستشراف وتطوير مساره ودراساته، كتكوين مؤسسات^(١)، أو المحافظة على موروثة تاريخية^(١)، أو دعم مراكز

(١) من ذلك على سبيل المثال: Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - p. 820، فيه دعوة إلى تكوين هيئة مهمتها نشر

الفلكلور الشرقي.

استشارية^(٢)، وغيرها من القرارات المتعلقة بالاستشراف والدراسات الاستشرافية، والتي سيرد الحديث عنها في أماكن عدة في هذا البحث، وهذه الدعوات قد تلقى آذانا صاغية، وقد تبقى حبرا على ورق، حسب نوعية الدعوة وكيفيةها، ولمن يتم توجيهها.

هذه القرارات يتم التصويت عليها، وما وافق عليه الأغلبية، يتم تمريره. أما ما لم يحصل على موافقة الأغلبية، فيتم رفضه وعدم إقراره، كما أن بعض القرارات ترسل لمسؤولين لدراساتها والبت فيها^(٣).

ب - إعلان التوصيات الخاصة بالمؤتمرات: مرت مؤتمرات المستشرقين العالمية بحالات تطويرية عدة، تتعلق بمسارها وكيفية انعقادها، وقوانينها وأنظمتها، بل حتى في مسمياتها كذلك^(٤). تلك القرارات تعلن في الجلسة الختامية، ويتم البت فيها. كذلك شأن طباعة أعمال المؤتمرات^(٥). وكل هذه القرارات يتم إقرارها بعد التصويت عليها.

ج - تقرير السكرتارية العامة: يشمل مثل هذا التقرير عادة ملخص مجريات أحداث المؤتمر، ومسار جلساته ولجانه المختلفة، إضافة إلى ما اتخذته كل لجنة من قرارات وأعلنته من آمال، ويوضح ما أجز منها ليعرض في الجلسة الختامية.

د - تقرير اللجنة التنظيمية، أو الاستشارية: كانت التقارير تقدم باسم اللجنة التنظيمية قبل ظهور الاستشارية، ثم انفردت الاستشارية بتقديم مثل هذا التقرير. ولا تقدم هذه التقارير دائما، إذ قد ينوب عنها تقرير السكرتارية العامة، ولا

(١) من ذلك على سبيل المثال: Congrès International des Orientalistes - XVIème Session - Athenes - 1912 - 1ère partie - pp. 183 - 184 . ففيه توصيات تتعلق بجمع

المواد التراثية والأثرية البيزنطية، وتخصيص مكان خاص بها.

(٢) يمكن الاطلاع على هذا التوجه مثلا، ص ٥٤٦ من الرسالة.

(٣) مثل التوصية السابقة في المؤتمر السادس عشر، إذ وجه الاقتراح للحكومة اليونانية لتخصيص متحف للآثار البيزنطية الموزعة هنا وهناك، وتجميعها فيه. ومثل هذا كثير في كثير من جنبات المؤتمرات، ولا سيما الأولى منها.

(٤) سبق طرق هذا الموضوع ص ١٧٧ من الرسالة فما بعدها، وكذلك ص ٣٣٧ فما بعدها.

(٥) هذا الموضوع سيتم الحديث عنه ص ٢٠٧ من الرسالة فما بعدها.

يختلف كثيرا عنه، إلا أنه قد يزيد بإلقاء أعضاء أخرى على نشاط اللجنة المعنية بتقديم التقرير.

هـ - تقرير المحاسب المالي: يعرض المحاسب تقريره المالي، وذلك بعد أن توافق اللجنة التي يعينها المؤتمر لتفحص حساباته وللتأكد من صحة بياناته، ويبين فيه المصاريف والمدخلات، وما فضل منها، وكيفية تحديد مكان صرفه.

و - إعلان مكان انعقاد المؤتمر اللاحق وزمائه: يعلن عادة عن مكان انعقاد المؤتمر اللاحق وزمائه، بعد أن تقدم طلبات الدول المستضيفة، إذ يتم الاختيار بينهما، وإن لزم الأمر يتم ذلك عن طريق الانتخاب. فإن تعذر الاختيار، يوكل الأمر للجنة تبت في الأمر وتعلن عن اتخاذ القرار لاحقا. كما كان الجموع يقترعون على اختيار البلد المفضل إن تعددت الدعاوات. هذه الإجراءات كانت في المؤتمرات الأولى. أما المسار الحالي فيتمثل في أن اللجنة الاستشارية العالمية هي التي تختار البلد في اجتماعاتها التي تعقدها أثناء المؤتمر، ويكتفي الحضور بسماع قرارها النهائي في الجلسة الختامية.

ز - كلمة مندوب البلد المستضيف للمؤتمر اللاحق: بعد أن يتم اختيار البلد المستضيف، يلقى مندوب ذلك البلد عادة، كلمة ترحيبية وشكرية، مبينا الأسباب التي دعت بلده للدعوة لاستضافة المؤتمر، وما يمكن أن يقدمه بلده من خدمات وتسهيلات في هذا المجال.

ح - توزيع الميداليات المرموقة والجوائز التقديرية: تضع بعض المؤسسات ميداليات أو جوائز ترصدها لأفضل العاملين أو أرقى الأعمال الاستشرافية، التي يتم إنجازها في هذا المجال. وفي المؤتمر الأول، تم تكريم العديد من العاملين والمساهمين في الدراسات الاستشرافية، وقدمت لهم ميداليات وجوائز⁽¹⁾.

أما أشهر ميدالية تقدم لأفضل بحث في الدراسات الاستشرافية، فهي ميدالية "ليدزبارسكي"، تقدمها "جمعية المستشرقين الألمان"، التي انبثقت عنها جمعية "مؤسسة ليدزبارسكي"، وانطلقت منذ المؤتمر الثالث والعشرين بكامبريدج سنة

(1) Congrès International des Orientalistes - Compte rendu de la première session - Paris - 1873 - T1 - pp. 56 - 59.

١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)^(١)، والبحوث المعنية بهذه الميدالية هي من منجزات الفترة الفاصلة بين مؤتمرين.

كما رصدت ميدالية أخرى متأخرة عن السابقة بزم، وهي ميدالية "جورجيو ليفي ديلا فيدا Georgi Lyvi Della Vida"، أعلن عنها انطلاقاً من المؤتمر الثامن والعشرين بكمبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)، وأعلن أن العمل بها بدأ منذ ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، وتقدم كل سنتين لأفضل عمل استشرافي، ويشرف عليها مركز الشرق الأدنى التابع لجامعة كاليفورنيا. وفي مؤتمر كمبيرا، قدمت الجائزة الثالثة منها^(٢). إلا أنه لم يذكر شيء عن الميداليتين في مؤتمر "بودابست" لعام ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، ولم يتبين هل ما تزالان تقدمان أو توقفاً، أو فك ارتباطها بالمؤتمرات.

ط - تأبين الزملاء المتوفين: يحصل هذا في الجلسة الختامية أحياناً، ما لم يتم ذلك في الجلسة الافتتاحية. ومن المعلوم أنه لا يتم العمل بهذا الأمر في كسل مؤتمر، إذ هناك مؤتمرات لم يظهر فيها التأبين سواء في الجلسة الافتتاحية أو الختامية.

ي - الكلمات الختامية: يلقيها عادة مجموعة من المستشرقين والمندوبين، وتكون قصيرة، يتم التتويه فيها بالبلد المستضيف وإدارة المؤتمر ومسار البحوث فيه وحسن تنظيمه، والدعوة للاستفادة من القرارات والعمل على تنفيذها، وضرورة حسن التعامل معها.

ق - الإعلان عن اختتام المؤتمر: يعلن عنه عادة رئيس المؤتمر أو من ينوب عنه، ونادراً ما يقوم به أحد الساسة أو رعاة المؤتمر.

إلا أن الملاحظ أن المؤتمرات الأخيرة تخلت عن جل هذه الجوانب التي كانت تميز جلسات المؤتمرات الختامية. فقد أصبحت تكفي بذكر مكان المؤتمر القادم الذي اختارته اللجنة الاستشارية، وزمائه المعين له، وبعض الكلمات من الضيوف المستشرقين أو المندوبين أو الأعضاء الشرفيين، وكلمة للرئيس القادم،

(١) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - pp. 43 - 44.

(٢) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - pp. 27 - 28.

الذي أصبح يعرف مقدما، وكلمة الرئيس الحالي. ومثل هذا حصل في الجلسة الختامية للمؤتمر الخامس والثلاثين ببودابست سنة ١٩٩٧م (١٨٤١هـ)، حيث ابتدئت الجلسة بالإعلان عن أن أهم ما في الجلسة الختامية هو الإعلان عن اختيار مكان المؤتمر القادم، وفي كلمة قصيرة للشكر والتهنئة، بمناسبة اختتام المؤتمر ذلك، ألقاها رئيس المؤتمر "جيورجي هازاي Hazai Gy."، أعلن أن المؤتمر السادس والثلاثين، سيكون في "مونتريال Montreal" بكندا، في العام ٢٠٠٠م، ثم أعطى الكلمة للرئيس القادم، وهو المستشرق الكندي "ش. لو بلان Ch. Le Blanc"، الذي ألقى كلمة شكر فيها هذا الاختيار، ورحب مقدما باسم بلده بالذين سيكونون هناك عام ٢٠٠٠م. ثم أعطيت بعض الكلمات القصيرة لبعض الحاضرين، من المجريين وغيرهم، أعلن بعدها عن اختتام المؤتمر. وفي هذا دليل واضح على فقدان الجلسات الختامية العديد من سماتها القديمة

تلك هي سمات الجلسة الختامية للمؤتمرات، وبه وضحت الأطر العلمية لمؤتمرات المستشرقين العالمية، انطلاقا من الجلسة الافتتاحية التي تكمن أهميتها في أنها مدخل المؤتمر، والجوانب العلمية الدراسية التي هي عصب المؤتمرات، بشقيها اللجان والجلسات الجماعية، وكذلك الجلسة الختامية التي تبيين عصارة المؤتمر، وحبل تواصله مع المؤتمر القادم.

**الفصل الثالث: المساهمات الشرقية في
مؤتمرات المستشرقين العالمية**

المبحث الأول: المساهمات الإسلامية
المبحث الثاني: المساهمات غير الإسلامية
**المبحث الثالث: مؤتمرات المستشرقين العالمية في
البلدان الشرقية**

الفصل الثالث: المساهمات الشرقية في مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

تتناول مؤتمرات المستشرقين العالمية الشرق بالدراسة والتحليل. لذا، فلا غرابة أن يكون للمستشرقين نصيبهم من التمثيل الرسمي في المؤتمرات. وإذا تحدثنا عن الشرق بصفة عامة، فإن المشاركات الشرقية انطلقت منذ المؤتمر الأول. فذاك المؤتمر خصص معظمه للدراسات اليابانية، ولذا ظهرت فيه بعض المساهمات اليابانية، إدارية منها وعلمية. وقد ترأس السفير الياباني بفرنسا جلسة المؤتمر الثالثة، وهي أولى الجلسات العلمية، إذ الجلستان السابقتان افتتاحيتان، كما أن سفير إيران "نزار آغا" رأس الجلسة الخامسة عشرة من جلسات المؤتمر، وهي المتعلقة بالدراسات الإيرانية، ثم تلاهت المشاركات الشرقية بصورة تدريجية، إداريا ودراسيا.

كانت المساهمات في المؤتمرات الأولى قليلة، سواء من الناحية الإدارية أو العلمية. إلا أن المشاركات تزايدت لاحقا، وشهدت منعرجا في اتجاه تكاثرها انطلاقا من مؤتمر موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ). فقد أصبح للمستشرقين صوته، وأثبتوا وجودهم وظهرت مساهماتهم العلمية، وبرزت مقدرتهم في تبنى مراكز إدارية على صعيد المؤتمرات، أدت إلى قيادتهم مؤتمرات عقدت على أراضيهم.

وإذا كان المؤتمر الأول لم تلق فيه سوى بعض المشاركات من الباحثين اليابانيين، لا تكاد تتجاوز عدد أصابع اليد، وكانت على سبيل مداخلات، فإن المؤتمر التاسع والعشرين بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، تجاوزت المشاركات العلمية الشرقية فيه ما يفوق أربعمئة دراسة، ضمت جل البلدان الشرقية، وتجاوز مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، هذا العدد بكثير، وهكذا نمت المساهمات الشرقية بترج، وتكاثر في المؤتمرات

المتأخرة، سواء من المسلمين والباحثين من الشرق الأوسط، أو من الشرق الآسيوي والإفريقي عموماً.

من جهة أخرى عقدت بعض المؤتمرات في الدول الشرقية. وإذا استثنينا مؤتمر الجزائر، الذي انعقد في العام ١٩٥٥م (١٣٢٣هـ)، زمن الاحتلال الفرنسي، حيث كانت الجزائر تعد جزءاً من فرنسا، وتولى الإشراف العام عليه آنذاك فرنسيون، فإن كلا من مؤتمر إسطنبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، ونيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، وطوكيو عام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، قام على إدارتها العامة شرقيون من البلدان المضيفة. ولا يتضح الأمر بعد لمؤتمر "هونج كونج"، لعدم نشر وقائع أعماله، لكن رئيسه من أصيلي البلد نفسه، وهو "شيو لنج-يونج" Chiu Ling-Yeang.

كذلك تطورت مساهمات الشرقيين في المؤتمرات، لدرجة أن عهد إليهم الإشراف على عقد المؤتمرات. وكان من المقرر أن تنظم إيران أحد هذه المؤتمرات، وذلك في العام ١٩٨١م (١٤٠١هـ)، غير أن الثورة السياسية هناك حولت الوجهة لليابان للعام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ).

وحيث إن الشرق ممتد شاسع، حسب أبحاث المؤتمرات، فسيبحث الموضوع هذا من ثلاث جهات:

- المساهمات الإسلامية في المؤتمرات، ويطرق بشيء من التفصيل والتركيز، لارتباطها المباشر بتقافتنا وبيئتنا.

- المساهمات غير الإسلامية في المؤتمرات، وفيه دراسة مشاركة نصارى الشرق، والاستشراق الصهيوني الإسرائيلي، بصفة موجزة. ثم مساهمات الشرقيين الآخرين، وهي عبارة عن إطلالة موجزة عن تطور هذه المشاركات عبر تاريخ المؤتمرات.

- دراسة وصفية للمؤتمرات التي عقدت في البلدان الشرقية. هذه الجوانب الثلاثة، من شأنها أن توضح درجة مشاركة الشرقيين في المؤتمرات وتناميها عبر الزمن، وأهميتها.

المبحث الأول: المساهمات الإسلامية

تنقسم المشاركات الإسلامية في المؤتمرات إلى شقين: المساهمات في إدارة المؤتمرات والتمثيل الرسمي فيها، سياسيا كان أو علميا، من جهة، والاهتمام بالجانب الدراسي والمعرفي من جهة أخرى. وقد كان للمسلمين أدوار متباينة في هذه الجوانب.

كغيرهم من الشرقيين، كانت المساهمات الإسلامية قليلة جدا ونادرة في المؤتمرات الأولى، وحتى ما يقدم من جهود، ولاسيما العلمية منها، لا ينشر منها إلا ما يروق للقائمين على المؤتمر، وكثيرا ما تهمل تلك المساهمات. لكن المؤتمرات الأخيرة أعطت بعض الحظوة للمشاركات الإسلامية، كي ترى النور وتظهر بين دقات وقائع أعمال المؤتمرات، ولاسيما بعد نجاح مؤتمر إسطنبول الإداري والعلمي، وتدعيم مؤتمر موسكو للأبحاث الشرقية، بما فيها الإسلامية، التي استفادت من الانشقاق الحاصل بين شقي الاستشراق الغربي والشيعي، وإنبرت تثبت وجودها عن طريق بيان قدرتها على العطاء الكفء، سواء بتحمل المسؤوليات الإدارية أو بتقديم المساهمات العلمية في لجان المؤتمرات وندواته.

١- المساهمات الإدارية والتمثيل الرسمي للمسلمين في المؤتمرات

إذا استثنينا مساهمات الشرقيين الإدارية في المؤتمرات التي انعقدت في بلدانهم، والتي سبأت الحديث عنها لاحقا، نجد أن المشاركات في إدارة المؤتمرات الأخرى ليست عميقة في عمومها، فقد اقتصرت مشاركة المسلمين والبلدان الإسلامية في معظم المؤتمرات الأولى على الممثلين الرسميين والمندوبين السياسيين. إلا أن هؤلاء كثيرا ما يكونون من الغربيين والمستشرقين، ولاسيما الدول المستعمرة.

أ- المشاركة عن طريق المندوبين والممثلين في المؤتمرات:

تأتي مصر على رأس قائمة المشاركات هذه، إذ نادرا ما يخلو مؤتمر من بعض المندوبين أو الممثلين المصريين، ويتفاوت عدد المندوبين المصريين في المؤتمرات، فقد يقتصر الأمر على مندوبين فقط^(١)، وقد يناهز الستة^(٢). كما أن الخديوي محمد توفيق^(٣) كان من ضمن اللجنة الراحية لبعض مؤتمرات المستشرقين العالمية^(٤)، ولأسبما أن هناك لجنة لا تكاد تنفك عن الوجود إلا نادرا، وهي لجنة الدراسات المصرية، واهتمامها منصب على الفرعونيّات بوجه خاص. تأتي تركيا في المرتبة الثانية من حيث المندوبون والممثلون، والتي لها صيتها ودورها الفعال في المؤتمرات، وكثيرا ما توجد لجنة تحمل اسمها أيضا، وفي حالة ما لم تكن هناك لجنة، تكون هناك موضوعات تتعلق بتركيا، حتى إن ممثلها استطاعوا استضافة المؤتمر الثاني والعشرين^(٥)، وهو ما لم تقدر عليه مصر، رغم أنها قدمت طلبات استضافة المؤتمر مرات عدة^(٦).

(١) مثال ذلك: Proceeding of the Twenty-Third International Congress of

Orientalists - Cambridge - 1954 - p. 11.

(٢) من ذلك: Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in

Wien Im Jahre - 1886 - T1 - Vol 1 - p. 7.

(٣) هو الخديوي محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي (١٢٦٩-١٣٠٩هـ/١٨٥٢-١٨٩٢م). ولد وتعلم بالقاهرة. أحسن العربية والتركية والفرنسية والإنجليزية. تقلد مناصب عدة قبل أن يتولى منصب الخديوية بعد عزل أبيه سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م. أحدث إصلاحات عدة في عهده. تَكَثَّرَت الأحداث في عهده، أهمها ثورة عرابي باشا سنة ١٢٩٩م. توفي بالقاهرة.

عن الأعلام للزركلي - ج ٦ - ص ٦٥.

(٤) كان ذلك في المؤتمر الثامن بـستوكهولم وكريستيانا. ورد ذلك في الوثيقة التالية:

Huitieme Congres International des Orientalistes qui siegiera a Stokholm et a Christiana - du 2 au 13 Septembre 1889 - Nouvelle Edition - p. 1.

(٥) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists-Istambul - 1951.

(٦) قدمت مصر طلب استضافة المؤتمر مرات عدة، لكن رفض طلبها دائما، ومن بينها الطلب المقدم في المؤتمر السادس عشر بأثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ):

Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes- 1912 - deuxieme partie - pp. 178 - 179 .

ومنها أيضا الطلب المقدم في المؤتمر الثامن والعشرين بكامبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ):

Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p. 24.

تليهما إيران، التي سعت ليكون لها دور مميز في المؤتمرات، ولها لجنة تحمل اسمها، وإن كانت أقل وجوداً من المصرية والتركية، رغم أن لها أهمية كبرى أيضاً، وقد تمكنت من الحصول على موافقة المؤتمرين على استضافة المؤتمر الحادي والثلاثين، إلا أن قيام الثورة السياسية حال دون ذلك.

تأتى بعد ذلك دول شمال إفريقيا، فنجد على رأسها الجزائر ثم تونس فالمغرب، إلا أن الممثلين الأوائل لها كانوا من المستشرقين والمستعمرين، بفعل عامل الاستعمار، ونادراً ما مثلها محليون في المؤتمرات الأولى، ولاسيما الجزائر، التي استطاعت استضافة أول مؤتمر يعقد خارج أوروبا. أما تونس والمغرب، فما لبثا أن أصبح تمثيلهما مشتركاً بين المحليين والمستشرقين، قبل أن يصبح ذلك من المواطنين الصرف، ولاسيما بعد الاستقلال.

أما الدول العربية الأخرى، كسوريا ولبنان والعراق، فمشاركتهما متأخرة، وغير مستقرة، ومثلها في البداية مستشرقون من الدول المستعمرة، ثم ظهر من أهلها من شارك في المؤتمرات ممثلاً لها. لكن برز من الممثلين نصارى سوريا ولبنان كما سيأتي. ومن ناحية السودان وليبيا وموريتانيا، فتكاد تكون مشاركتها نادرة جداً، إن لم تكن منعدمة.

وإذا انتقلنا للقارة الهندية، نجد أن المسلمين الهنود كانت لهم مشاركات قليلة عند انطلاق المؤتمرات، ولعل ذلك بسبب الاستعمار، ثم ما لبثوا أن أثبتوا جدارتهم، حتى إن رئيس المؤتمر السادس والعشرين في نيودلهي، كان عالماً مسلماً، وهو حميون كبير، كما سيأتي لاحقاً. أما الباكستان، فتأخرت مشاركتها، وهو أمر طبيعي أيضاً نظراً للظروف السياسية التي مرت بها، وتأخرت كذلك مشاركات الأفغان في المؤتمرات.

وإذا ألقينا نظرة على بلدان جنوب شرقي آسيا، نجد أن مشاركتها وتمثيلها الرسمي جاء متأخراً كذلك، لكنها تزايدت بشكل ملحوظ في المؤتمرات الأخيرة. تلك كانت نظرة متحفظة للمشاركات عن طريق المندوبين والممثلين في المؤتمرات.

ب - المساهمات الإدارية في المؤتمرات:

جاءت المساهمات الإدارية متأخرة كذلك، ومحدودة أيضاً، حتى مؤتمرات العصر الحالي. وما أصبح للمسلمين بعض الاعتبار في إدارة المؤتمرات إلا بعد مؤتمر إستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، أما قبل ذلك فاقترصت مشاركاتهم الإدارية في إدارة جلسات علمية معدودة، ولهم مشاركات في بعض اللجان التي كونتها المؤتمرات.

انطلقت مساهمة المسلمين في إدارة بعض جلسات المؤتمرات، منذ المؤتمر الأول سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، الذي ترأس فيه سفير إيران بفرنسا، "نزار آغا" للجلسة الخامسة عشرة، المتعلقة بالدراسات الإيرانية، لزم القفز بعد ذلك إلى المؤتمر التاسع عشر، سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، لنرى طه حسين يترأس الجلسة الأولى من لجنة الدراسات الإسلامية، وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من سبتمبر (الخامس والعشرين من جمادى الآخرة)^(١). ويأتي بعده المؤتمر الحادي والعشرون سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، الذي ترأس فيه ثلاثة مسلمين ثلاث جلسات من المؤتمر. ففي لجنة الدراسات الإسلامية، والتي تفرعت إلى أربع لجان مختلفة، رأس الشيخ "محمد الفاضل بن عاشور"^(٢)، من تونس، جلسة يوم السابع والعشرين من يوليو (الحادي والعشرين من رمضان)، في لجناتها الفرعية الأولى والتي تحمل عنوان "القرآن والعلوم الشرعية". وفي هذه اللجنة الفرعية نفسها، ترأس "الشريف عبد الحي الكتاني"، من المغرب جلسة التاسع والعشرين من يوليو^(٣) (الثالث والعشرين من رمضان). أما اللجنة الفرعية الرابعة، من الدراسات الإسلامية، والتي تحمل عنوان "الفن والآثار"، فقد ترأس منها "مهدي بهرامي" من طهران جلسة يوم التاسع والعشرين من يوليو أيضاً^(٤).

(1) Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalistic - Rome - 1935 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. 515.

(2) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 279.

(3) Ibid. - p. 291.

(4) Ibid. - p. 329.

ولعل قمة المشاركات في هذا المجال بلغت أوجها في المؤتمر الثالث والعشرين بكامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، الذي رأس فيه سبعة من المسلمين جلسات مختلفة، فقد شهدت لجنة الدراسات الإسلامية رئاسة كل من:

- عفيفي إ.، من مصر، جلسة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من أغسطس (الخامس والعشرين من ذي الحجة) المسائية^(١).

- محمد خلف الله، من مصر، جلسة الأربعاء الخامس والعشرين من أغسطس (السادس والعشرين من ذي الحجة) المسائية^(٢).

- حسن حسني عبد الوهاب، من تونس، جلسة الجمعة السابع والعشرين من أغسطس (الثامن والعشرين من ذي الحجة) المسائية^(٣).
كما أن كلا من :

- حسن سليم، من مصر، ترأس جلسة الرابع والعشرين من أغسطس الصباحية، من لجنة الدراسات المصرية^(٤).

- سيد حسين نقي زاده من إيران، جلسة السابع والعشرين من أغسطس الصباحية من لجنة الدراسات الإيرانية والأرمنية ووسط آسيا^(٥).

- زكي وليدي طوقان من تركيا، جلسة السادس والعشرين من أغسطس (السابع والعشرين من ذي الحجة) الصباحية، من لجنة الدراسات الآلأطية^(٦).

- كورات أ. ن.، من تركيا، جلسة السابع والعشرين من أغسطس الصباحية من لجنة الدراسات الآلأطية أيضا^(٧).

وهكذا تواصلت مشاركات المسلمين في هذا المجال، وشهدت المؤتمرات اللاحقة مشاركات قوية للمسلمين، فقد تغيرت الظروف والأفكار عما كانت عليه في المؤتمرات السابقة.

(١) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - p. 311.

(٢) Ibid. - p. 315 .

(٣) Ibid. p. 354.

(٤) Ibid. - p. 60 .

(٥) Ibid. - p. 174 .

(٦) Ibid. - p. 207 .

(٧) Ibid. - p. 209 .

أما عن المشاركات في اللجان المنبثقة عن المؤتمرات، فلم تظهر إلا في المؤتمرات المتأخرة. وتظهر لنا أولى المساهمات الإسلامية، في لجان المؤتمرات التنظيمية، من المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧هـ). فنجد كلا من "مهدي بهرامي" من إيران، و"رشاد نوري جونتاكين"، من تركيا، و"طه حسين" من مصر، أعضاء في اللجنة الاستشارية العالمية، ممن ضمن أربعة وعشرين عضواً^(١). ومن أعضائها أيضاً، في المؤتمر السابع والعشرين، كل من "محمد خلف الله أحمد"، من مصر، و"سيد حسين نصر" من إيران، و"زكي وليدي طوقان"، من تركيا^(٢).

أما المؤتمر الثامن والعشرون، فقد كان من أعضاء لجنته الاستشارية العالمية، "أحمد أ. ف. س." و"فرزاد ح." من إيران، و"كورات أ. ن." من تركيا، و"شنيي س. م." من الجمهورية العربية المتحدة، و"سويكمونو" من إندونيسيا، و"محمد طيب بن عثمان" من ماليزيا^(٣). ومن أعضائها في المؤتمر الثاني والثلاثين بهمبورغ سنة ١٩٨٦ م (١٤٠٦هـ)، كل من "فيروز باقرزاده" ويبدو أنه من إيران ومقيم بفرنسا، و"تفضلي أ." من إيران^(٤).

ويضاف إلى ما تقدم أن المؤتمر الأخير الذي انعقد بـ"بودابست" بالمجر سنة ١٩٩٧ م (١٤١٨هـ)، كان كل من الأمير "الحسن بن طلال" من المملكة الأردنية الهاشمية، والأمير "سعود الفيصل"، من المملكة العربية السعودية، من ضمن رعاية المؤتمر ذلك. وإضافة إلى دوره راعياً للمؤتمر، نزل الأمير "الحسين بن طلال"، عضواً وضيافاً شرفياً له. أما أعلى درجة يمكن أن يبلغها مسلم في الإطار الإداري التنظيمي للمؤتمرات، فهو ما تقرر من أن يكون الأستاذ "عبد الجليل التميمي" من

(١) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 8.

(٢) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - pp. 9 - 10.

(٣) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p. 8.

(٤) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hamburg - 1986 - p. VIII.

تونس، أحد نواب رئيس المؤتمر السادس والثلاثين، الذي سينعقد بـ"مونتريال" بكندا سنة ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ).

تلك كانت أسماء المسلمين الذين أسهموا في عضوية لجنة المؤتمر الاستشارية. وهي كما وضحت ضعيفة نوعا ما، ولم تبلغ درجات عليا في إدارة المؤتمرات التي انعقدت. إلا أنه لا يجوز إهمال كون المؤتمرات هذه إنتاجا استشرافيا غربيا، تهتم بأبحاث غربية استشرافية، تتعلق بالشرق، لذا من البدهي أن يسيطر أصحاب المؤتمر على جل شؤونه الإدارية، وإشراك قلة من الشرقيين، بمن فيهم المسلمون، معهم في إدارة بعض جوانب المؤتمر، لعلها للبرهنة على عالمية المؤتمرات. لكن هذا لا يبرر عدم سعي المسلمين لإثبات جدارتهم وبيان قدرتهم في الإدارة، ومحاولة التغلغل في أطر المؤتمرات الإدارية، وعسى أن تكون خطوة تعيين مسلم نائبا لرئيس المؤتمر القادم نقلة نوعية في هذا الاتجاه.

٢ - المساهمات العلمية: تطورها وطبيعتها وميزاتها:

إذا كانت المساهمات الإسلامية الإدارية في مؤتمرات المستشرقين العالمية محدودة وذات نطاق ضيق، فإن المشاركات العلمية كانت أهم منها، وشهدت المساهمات الإسلامية العلمية نوعا من الوجود على صعيد المؤتمرات. هذا إذا ما قارناها بالمشاركات الإدارية. أما إذا قابلناها بمساهمات الشرقيين غير المسلمين، فإنها أقل بكثير مما قدمته الطوائف الشرقية الأخرى.

أ - تطور المشاركات الإسلامية العلمية:

مرت المشاركات العلمية الإسلامية في مؤتمرات المستشرقين العالمية، بمراحل عدة، من حيث وجودها وكثافتها. فانطلاقا من المؤتمر الأول، وحتى المؤتمر السادس بـ"لين" سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، كانت المشاركات الإسلامية شبه منعدمة، ولم ينشر في وقائع الأعمال أية دراسة علمية قدمها مسلمون، وكان لزاما انتظار المؤتمر السابع حتى تظهر للعيان بعض المساهمات الإسلامية. ففي هذا المؤتمر الذي عقد في "قيانا" سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، نجد مساهمتين

إسلاميتين، نشرت إحداهما، ونص على الأخرى ذكرا فقط. فأما المنشورة فهي لـ"حفي أفندي ناصف" من مصر، وتتعلق بكتاب "مميزات لغات العرب"^(١)، وأما الأخرى، فهي لـ"رشاد أفندي"^(٢)، ويبدو أنه من مصر أيضا، ومساهمته تتعلق بنظام التعليم في مصر من الفتح العربي حتى العصر الحاضر.

ثم يأتي المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، وكانت فيه مساهمتان إسلاميتان أيضا، لكل من "هرمزد رسام" من إيران، وتتحدث حول المحافظة على الآثار الآشورية والبابلية^(٣)، وأحمد باي عكايف من مصر وتكلم على المعتقدات المزدكية في المنطقة الشيعية^(٤). ثم تكثفت المساهمات الإسلامية بعد ذلك وتلاحقت، فنجد أن المؤتمر العاشر الذي انعقد بـ"جنيف" سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، شهد عددا من المشاركات بلغت سبعا، وفي الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ) ست، وثلاث في "همبورغ" في المؤتمر الثالث عشر سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، واثنان في الخامس عشر بـ"كوبنهاغن" سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ). أما المؤتمر السادس عشر بـ"أثينا" سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، فشهد عشر مساهمات، وكذلك السابع عشر بـ"أكسفورد" سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ). وألقيت في المؤتمر الثامن عشر اثنا عشرة مشاركة، وكان ذلك في "لين" سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ). وشهد الأمر ترجعا في المؤتمر التاسع عشر، إذ لا نجد فيه سوى خمس مشاركات، وهو مؤتمر "زومبا" لسنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ). وفي مؤتمر "بروكسيل" العشرين، سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، نجد ثماني مشاركات.

ونجد انتعاش ظهرت في المؤتمر الحادي والعشرين بـ"باريس" سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، إذ قفزت مساهمات المسلمين إلى ثلاثين وعشرين مشاركة، وارتفعت في مؤتمر "كامبردج" سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، وهو الثالث والعشرون، إلى سبع

(1) Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - 26.

(2) Ibid. - p. VolI - T1 - p. 28.

(3) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. XXXV and Vol2 - pp. 187 - 189 .

(4) Ibid. - p. VolI p. XXXIX and Vol2 - pp. 505 - 514 .

وعشرين مساهمة. وكانت المساهمات بالمؤتمر الرابع والعشرين بـ"ميونيخ" سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ)، كثيرة قياسا بغيرها، إذ بلغت إحدى وخمسين مشاركة. وارتفع العدد ذلك في "آن آر بور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، وهو السابع والعشرون، فوصل إلى ثلاث وستين مساهمة، وانحدر العدد إلى ثماني وثلاثين في المؤتمر الثامن والعشرين بـ"كمبيرا"، سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ). لكنه ناهز الخمس والسبعين في مؤتمر باريس التاسع والعشرين سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، ونزل مرة أخرى إلى اثنتين وعشرين مشاركة في المؤتمر الحادي والثلاثين بـ"همبورغ" سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ).

تلك إذن العوامل التي أدت إلى تفاوت المساهمات الإسلامية بخاصة، والشرقية بعامة، بحيث أصبحت تتكاثر، بعد أن كانت لا تكاد تذكر. هذا إضافة إلى عوامل أخرى مساعدة، فقد تيسر النقل أكثر من ذي قبل، وأضحى التحول إلى أي بلد أوروبي أو غيره من الدول الغربية، أو حتى الشرقية، حيث ما يعقد المؤتمر ميسورا، كما أن الأزمة الخانقة التي مرت بها أوروبا، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، مقابل الانتعاش التي ظهرت في الشرق، جعلت الشرق يشارك الغرب حتى في استضافة المؤتمرات.

ب - طبيعة المساهمات الإسلامية:

إذا تطلعنا إلى طبيعة المساهمات الإسلامية، نجدها تنوعت تنوعا كبيرا. وإذا حاولنا تصنيفها، بحسب درجة الاهتمام، فنجدها إجمالا توزعت على نحو سبع وستين موضوعا. أما تفصيلا، فقد كان هناك واحد وخمسون وستمئة موضوع تم طرقيها من المجموعات التي تم فحصها، واعتمادا على منشورات أعمال المؤتمرات، باستثناء المؤتمرات التالية: الثلاثين، لأن ما حصلت عليه هو منشورات الندوات فقط، والمؤتمر الرابع والثلاثون والمؤتمر الخامس والثلاثون، لعدم نشر وقائع الأعمال بعد.

بالتركيز على الموضوعات الإجمالية نجد أن النسبة الأعلى من البحوث تركزت حول البلدان والمدن والمناطق الجغرافية، تليها السير والتراجم والشخصيات، فالأدب ثم الحركات والفرق والملل والنحل، وهكذا.

أما من الناحية التفصيلية، فكانت قمة الموضوعات تلك التي تتعلق بالدراسات التاريخية، وبلغت سناً وخمسين دراسة، فالسياسية وفيها سبع وأربعون، ثم الأدب العربي وله ثماني وثلاثون، فالمصنفات والمصادر وفيها سبع وثلاثون، ثم إيران، أربع وثلاثون، فالهند، ثلاثون، ثم المجتمع ست وعشرون، فالفرق خمس وعشرون، ثم تتواصل الموضوعات تكرر، حتى نجد أن ثمانية وسبعين موضوعاً تكرر كل واحد منها مرتين، وثمانية وثلاثين وثلاثمائة، مرة واحدة فقط لكل موضوع.

هذه المشاركات، تركزت في اللجان العلمية المتعلقة بالإسلام، والعالم الإسلامي، جغرافيته وتاريخه ولغاته، بصفة خاصة، ونادراً ما تقدم في لجان أخرى، فإن حصل هذا الأمر، فعادة ما تكون البحوث تلك متعلقة بالعلاقة بين تلك المناطق والعالم الإسلامي، أو أن موضوعات تلك اللجنة، متعلقة كذلك بالعالم الإسلامي.

نجد لجان الدراسات الأدبية والإسلامية، والتاريخية وآسيا الوسطى وآسيا الغربية وإيران وتركيا، والعربية والإسلامية، والشرق الأدنى وجنوب شرقي آسيا، والفن الشرقي، والفيلولوجيا العربية، واللغات الإسلامية، وغيرها من اللجان.

وحتى تتضح الصورة بدقة أكبر وأشمل، سيتم عرض جداول تبين المساهمات الإسلامية في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وموضوعاتها التفصيلية والإجمالية: جدول المساهمات العلمية هذه، وتم إعداده حسب الترتيب التصاعدي للمؤتمرات. أما جدول الموضوعات التفصيلية، الذي تم استنتاجه من خلال عناوين المساهمات، حسب الجزئيات البارزة فيها، مثل ما تم سابقاً عند دراسة اللجان. أما الموضوعات الإجمالية، فتتمثل في تجميع الموضوعات المتقاربة بعضها ببعض، فقد ذكرت في الموضوعات التفصيلية مثلاً مدن متعددة، مثل المدينة المنورة ودمشق وبغداد والمهدي وغيرها، وبلدان، مثل إيران والهند ومصر ويوغسلافيا وألمانيا وسواها، ومناطق مثل الجزيرة العربية والأندلس

وأفريقيا وهكذا، كلها جمعت تحت موضوع "بلدان ومدن ومناطق"، كما أن مختلف العلوم والمعارف، مثل الفلسفة والطب وما إليها، تم عدها ضمن "علوم ومعارف"، فيما جمعت العلوم الشرعية من قرآن وحديث وفقه في "علوم إسلامية" وهكذا العمل في كل عنصر^(١).

- دراسة تحليلية مختصرة للجدول الأول:

إذا أردنا تحليل الجداول، فإن أول ما نلاحظه أن الدراسات أقيمت في لجان مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمنطقة الإسلامية وثقافتها وحضارتها وتاريخها ومقوماتها. فعلى سبيل المثال، أقيمت إحدى وستين ومائتي دراسة في اللجان التي تحمل كلمة "إسلام" أو إحدى مشتقاتها، في حين أن اللجان المتعلقة بالموضوعات الإيرانية مثلاً بلغت ثمانياً ومائة، وثلاثاً وسبعين للدراسات المتعلقة بتركيا، وثلاثاً وأربعين للغة العربية وأربعاً وثلاثين في لجان الأدب العربي. وهناك اللجان المتعلقة بمناطق آسيا المختلفة، وغيرها من الموضوعات الثقافية.

- الملاحظة الثانية، هي أن الغالب على اللجان التي تتعلق بالمناطق الآسيوية، يكون المشاركون فيها من نفس تلك المناطق: فنجد الغالب على الدراسات الإيرانية، يشارك فيها إيرانيون بصفة بارزة، وكذلك الدراسات التركية، فأغلب المساهمين فيها أتراك، وهكذا وغيرهم من أصحاب المنطقة، والأمر نفسه يقال عن جنوب آسيا وكذلك الشرق الأدنى، وهكذا الأمر مع غيرها. أما الدراسات ذات الموضوعات المشتركة، مثل الدراسات الإسلامية، والدراسات الفنية وما سواها من الموضوعات الثقافية والحضارية، فالمساهمة فيها مشتركة، تشمل جل المسلمين الحاضرين للمؤتمرات، إذ هي تهتمهم بأجمعهم، وإن كان الغالب على المشاركين ينتمون إلى البلدان العربية، فشبّه القارة الهندية، ثم جنوب شرق آسيا.

- الموضوعات الأدبية، هي كذلك بحسب نسبة الأدب لموطنه الجغرافي، إذ الغالب على المشاركين في الأدب العربي من العرب، وعلى المشاركين في الأدب

(١) الجداول المعنية في الملحق رقم ١٩ ص ٧٠٢ من الرسالة، ورقم ٢٠ ص ٧٤٧ من الرسالة، ورقم ٢١ ص ٧٦٥ من الرسالة.

التركي أترك، وكذا الأمر بالنسبة للأدب الإيراني يقوم به إيرانيون، والشأن نفسه يقال عن الأدب الكردي والمالاي وغيرهما.

- من خلال الموضوعات المطروقة، نلاحظ أن معظم الدراسات اهتمت بالجوانب الاجتماعية والأدبية، كالتاريخ والسياسة والأدب واللغات والمصنفات والمصادر والسير والتراجم، والموضوعات الخاصة بالبلدان والمناطق. فهذه تجاوزت كثيرا نصف المشاركات، وهو ما يدل على محاكاة المسلمين للنيارات العلمية المعاصرة، والتي نما فيها علم الفيلولوجيا والنقد الأدبي، كما أن العصر علوم الاجتماعية.

- يلاحظ أيضا تكاثر الوطنيات وتنوعها، والدراسات القومية كذلك. فنجد الدراسات الخاصة بتركيا وإيران ومصر والهند ومالايو والباكستان والمغرب وتونس واليمن وغيرها، ويقوم بها في العادة مواطنوها المحليون. وتشمل تلك الدراسات ماضي تلك البلدان وحضاراتها القديمة وثقافتها المعاصرة.

- أما القوميات، فهناك عشرة موضوعات إجمالية، تناولتها بالدرس في صميمها: فهناك دراستان تحدثتا عن القومية الإسلامية، واثنان عن القومية العربية، وأخران عن الإيرانية، وموضوع عن كل من القومية التركية والإندونيسية والهندية والألمانية، وهي مساهمة للحياة السياسية العامة.

- من الملاحظات الهامة كذلك، الاهتمام الكبير بالسير والتراجم والشخصيات، التي بلغت إجمالا ثمانين وتسعين ومائة، مع أنه لم يتم عد الشخصيات السياسية الكبرى من ضمنهم، ولا سيما الخلفاء المذكورون، ومعظمهم عثمانيون، إذ تم عدهم من ضمن الموضوعات السياسية، لتعلق الحديث عنهم عادة بالجانب السياسي البحث. والعدد المذكور يقارب ثلث الموضوعات المطروقة، لذا، لا يجب إهمال مثل هذا الاهتمام. وتنقسم الشخصيات إلى أنبياء وفقهاء ومحدثين ومفكرين إسلاميين، وأدباء وفلاسفة وقادة فرق، وشخصيات غربية.

- التوجه السياسي لبحوث عدة، تجاوزت إجمالا سبعين دراسة، تناولت السياسة مباشرة، أو جوانب منها. أما التي تخصصت في السياسة بصفة غالبية على موضوعها، فبلغت سبعا وأربعين. هذه الموضوعات عرضت كلها، ماعدا ثلاثة منها، بعد الحرب العالمية الثانية، وهي الحقبة التي طرحت فيها

الموضوعات السياسية على الساحة العالمية بقوة. فقد تفككت الوحدة السياسية للخلافة العثمانية، وثار الشعب على الاستعمار.

- الموضوعات الاقتصادية، وإن كانت المساهمات فيها قليلة نوعاً ما، فقد تجاوزت العشرين دراسة. وهذه تحدثت عن الاقتصاد في العالم الإسلامي بصفة خاصة، سواء في الماضي أو الحاضر. تناولت خمسة عشر منها الموضوع الاقتصادي بصفة عامة، وتحدثت ثلاثة منها عن الفلاحة، واثنان عن المنسوجات الإسلامية، وواحدة عن دودة القز وكذلك المنسوجات الهندية. وهذه الموضوعات قليلة جداً، رغم أن الاقتصاد هو موضوع العصر، والذي تقوى منذ نهاية القرن الثامن عشر، إلا أنه لم يطرح بالقوة ذاتها التي طرح بها في أوروبا، إذ الاستعمار نادراً ما يوجه أهل البلد لأخذ بزمام المعارف. من جهة أخرى، قليل هم أهل الاختصاص الاقتصادي، الذين يشاركون في المؤتمرات، إذ الغالب على المساهمين من الأدباء ورجال الفكر والفلسفة، والمفكرين الدينيين، وكذلك الاجتماعيين، وغيرهم من ذوي مثل هذه الاختصاصات.

- أما الدراسات الاجتماعية الدقيقة، التي من شأنها أن تنمي القدرات والصلات الاجتماعية وتقويها، فهي قليلة أيضاً، فباستثناء الموضوعات التي تتحدث عن مجتمعات سواء في القديم أو الحديث، وهي وصفية في مجملها، لا نجد الكلام عن الروابط الاجتماعية إلا نادراً، فلم يبلغ الحديث عن العادات والتقاليد عشرة، كذلك الأمر بالنسبة لموضوعات الأخلاق والقيم، فيما كان الحديث عن المرأة، التي يجعلها الغرب موضوعاً لبحوث عدة، لم يتجاوز الحديث عنها ست مرات، أما الإدارة فأربع فقط، وكذلك القانون والقضاء، واثنان لكل من الزواج والطلاق والتنظيم العائلي، وواحدة عن حقوق الإنسان، وأخرى عن الرفاهية العائلية، ودراسة تناولت موضوع العنصرية.

- لم تعد الموضوعات الثقافية والتعليمية ثلاثة وعشرين، تحدثت سبعة عشر منها عن جوانب ثقافية، وستة عن مؤسسات تعليمية، وهي أرقام تدل على ضعف الاهتمام بهذه القضايا.

- أما إذا تحدثنا عن الموضوعات المتعلقة بالإسلام والمسلمين، فهي بلغت أربعة وعشرين، تتحدث بعضها عن الإسلام، معناه وحقيقته وأهميته، وأخرى عن الإسلام وأثره في المجتمع، وكذلك عن المجتمع والاقتصاد، والإسلام والعلوم،

والإسلام والنصرانية، والجغرافيا، واللغة، والعروبة ... وهذه الموضوعات، رغم قلتها، فهي تحاول طرح موضوعات معاصرة للدراسة، ولاسيما في علاقة الإسلام بقضايا عصرية، وليبيان دور الإسلام وأثره فيها، أو علاقته بها أو رأيه فيها.

- وإذا تناولنا العلوم الإسلامية بالدرس، فإننا نجدها متنوعة جدا: فقد تناولت ثلاثة عشر منها الأبحاث القرآنية بالدرس، وثلاثة لكل من السنة والسيرة والعقيدة، وواحد لكل من الإجماع والإعجاز والألوهية والتفسير المجازي والعرف. كما أن هناك موضوعات تناولت الحضارة الإسلامية وكذلك فنونها، والأدب الإسلامي وتاريخه أيضا.

ورغم قلتها، فإن المشاركات الإسلامية يمكن اعتبارها حيوية وضرورية، وتحفز للمزيد من المشاركات والمساهمات حتى لا تبقى الشعوب الإسلامية متأخرة عن أخذ المبادرة.

المبحث الثاني: المساهمات غير الإسلامية

شهدت مشاركات الشرقيين غير المسلمين وفرة أغزر بكثير من المشاركات الإسلامية. وعلى غرار المساهمات الإسلامية، كانت الدراسات الشرقية الأخرى نادرة في المؤتمرات الأولى، فلم تتجاوز عشر مداخلات في المؤتمر الأول، وكانت من نصيب خمسة يابانيين فقط، إذ كانت اليابان موضوعه الرئيس. أما المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، فلم يكن فيه سوى ثلاث مشاركات، هندية ومصرية. أما المؤتمر الرابع بـ"فلورنسا"، سنة ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)، فلا نجد فيها إلا مساهمة شرقية واحدة، وثلاثا في المؤتمر الخامس سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ)، ببرلين.

وتواصلت المساهمات على هذا النحو، حتى المؤتمر الحادي والعشرين، إثر الحرب العالمية الثانية مباشرة، سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) بباريس، إذ تجاوزت تلك المساهمات عشر دراسات، وناهزت خمس عشرة في المؤتمر الثالث والعشرين بـ"كامبردج"، سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ). وازداد ارتفاع عدد المساهمات، حتى إنها بلغت حوالي السبعين ومائة في المؤتمر السابع والعشرين بـ"آربور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، ثم هي قاربت الثلاثمائة في المؤتمر التاسع والعشرين سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) بباريس، وارتفع العدد أكثر من ذلك بكثير في المؤتمرات اللاحقة، قبل أن ينخفض انخفاضاً عميقاً في المؤتمر الثاني والثلاثين بـ"همبورغ" سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ).

هذه المساهمات، جاءت من كل الجهات الشرقية غير الإسلامية، ويمكن تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات رئيسة، بحسب ارتباطها بعالمنا الإسلامي، وهم نصارى الشرق الأوسط، والاستشراق الصهيوني الإسرائيلي، وهؤلاء هم الذين لهم احتكاك حضاري مع العالم الإسلامي، ومساهمات الشرقيين الآخرين، والتي تضم كل الطوائف الأخرى، اليابانيين والهنود والصينيين والكوريين والأفارقة وغيرهم من المشاركين من الدول الشرقية ومن الطوائف غير الإسلامية. وعلى ضوء دراسة الأطراف الثلاثة هذه، يتم التعرف على أهمية هذه المساهمات، ومدى أثرها في القيمة العلمية للمؤتمرات.

١ - مساهمات نصارى الشرق:

لم تكن مساهمة نصارى الشرق بالكثرة التي توازي دراسات المسلمين في مؤتمرات المستشرقين العالمية، فهي أقل بكثير منها، لكنها لقيت حظوة لدى القائمين على المؤتمرات أعمق مما حصلت عليه الأخرى. من الناحية التاريخية، نجد أن مشاركات نصارى الشرق، ولا سيما العلمية منها، أسبق من مشاركات المسلمين. كما أن معظم أعمالهم ظهرت في طبعات أعمال المؤتمرات، على حين كان ظهور طباعة دراسات المسلمين متأخرا نوعا ما. ومن هنا، يرد أيضا أحد أسباب تخصيص هذه الجزئية من البحث بنصارى الشرق. فإضافة إلى تلك الخطوة، لمشاركة هؤلاء، نجد أنه قد ظهرت لجان تحمل اسم "نصارى الشرق"، أو "الشرق النصراني"، أو ما شابه ذلك^(١). وتوجد دراسات عدة تتعلق بهذه الفئة، حتى في المؤتمرات المتأخرة. لذا، فإن مثل هذه الإجراءات تشجع نصارى الشرق على المشاركة والمساهمة في دراسات هذه المؤتمرات، وأن يكونوا عناصر فعالة، أو ربما مؤثرة أو على الأقل لإثبات ذاتهم ووجودهم.

أ - المساهمات الإدارية:

تميز نصارى الشرق بالمساهمات العلمية، أكثر من المشاركات الإدارية. فلم يصلوا في السلم الإداري لأرقى مما وصل إليه المسلمون. فهناك بعض المندوبين في بلدانهم، إذ نجد مثلاً القديس "روحاني ف"، كان مندوبا لبلاده لبنان في المؤتمر السابع عشر^(٢)، و"أنيس فريحة"، في المؤتمر الثامن عشر^(٣).

(١) الجدول الخاص باللجان الدراسية بالملحق رقم ١٤ ص ٦٣١ من الرسالة.

(٢) Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 13.

(٣) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes-Leiden-1931-p.9.

و"موريس شهاب" في المؤتمرين الحادي والعشرين^(١) والرابع والعشرين^(٢). وكان "قواد البستاني" مندوبا كذلك في المؤتمر الحادي والعشرين^(٣)، بينما كان "نيقولا زيادة" مندوبا في المؤتمر الثاني والعشرين^(٤).

وترأس بعضهم بعض الجلسات العلمية، مثل "سامي جبزا" من مصر، الذي ترأس الجلسة الصباحية من يوم الحادي والثلاثين من يوليو من جلسة الدراسات المصرية، في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧هـ)^(٥)، و"قواد البستاني" الذي أدار جلستين علميتين في المؤتمر الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١ م (١٣٧٠هـ)، في لجنة دراسات نصارى الشرق، الأولى يوم الأحد السادس عشر من سبتمبر صباحا^(٦)، والثانية يوم الخميس العشرين من سبتمبر، وانضم للجنة تلك لجنة الدراسات البيزنطية^(٧).

أما قمة المساهمات في هذا المجال، فكانت في المؤتمر السابع والعشرين بـ"آن آربور" سنة ١٩٦٧ م (١٣٨٧هـ)، الذي نجد فيه أربع جلسات ترأسها نصارى شرقيون، وذلك في لجنة دراسات الشرق الأدنى والعالم الإسلامي. ففي جلسة عن الدراسات اللغوية، ترأس "قرحات زيادة" جلسة الاثنين، الرابع عشر من أغسطس الصباحية^(٨)، وهي أولى جلسات هذه اللجنة. وفي جلسة "تاريخ الشرق الأدنى، كانت لـ"عزيز عطية"، رئاسة جلسة الرابع عشر من أغسطس

(١) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 14.

(٢) Acten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress-Munchen 1957-Germany - Kraus Reprint - Nendeln/Liechtenstein - 1968 - p. 11

(٣) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 14.

(٤) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - p. 8.

(٥) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 83.

(٦) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - p. 184.

(٧) Ibid. - Vol1- p. 185.

(٨) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 157.

المسائية^(١)، وتولى "جورج حوراني" رئاسة جلستين، الأولى حول مشكلة القيم في الإسلام يوم الاثنين نفسه مساء^(٢)، والثانية حول الفلسفة الإسلامية ليوم الخميس عشر من أغسطس مساء^(٣).

تلك هي أهم الإسهامات الإدارية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي شغلها نصارى الشرق .

ب - المساهمات العلمية:

انطلقت مساهمات نصارى الشرق في مؤتمرات المستشرقين العالمية مبكرا. فمُنذ المؤتمر الثالث بـ"سان بطرسبورغ" سنة ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ) ، قدم "كارل سلمان" دراسة حول مخطوط نثري^(٤). ثم مساهمة "وليام سبيطة باي" في الخامس ببرلين سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ)، بعنوان "جغرافية بطليموس عند العرب Die Geographie des Ptolemius bei den Araben"^(٥).

وظهر "إيليا قدسي" في المؤتمر السادس بـ"لندن"، سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، ليقدم دراسة بالعربية بعنوان "نبذة تاريخية في الجرف المشقية"^(٦). ثم نجد عدم وجود لنصارى الشرق في المؤتمرات من السابع إلى العاشر، بل إن حضورهم انعدم، إلا في المؤتمر السابع، الذي حضره "إيليا قدسي"، لكنه لم يقدم مشاركة على ما يبدو من أعمال المؤتمرات.

(١) Ibid. - p. 173 .

(٢) Ibid. - p. 175.

(٣) Ibid. p. 221.

(٤) Travaux de la Troisieme Session du Congres International des Orientalistes - Sts Petersburg - 1876 - V2 - p. 491.

(٥) Verhandlungen des Fufften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881-Germany-Kraus Reprint -Nendeln/Liechtenstein- 1968 -V2 - pp. 19 - 28.

(٦) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - deuxieme partie - pp. 1 - 34.

وفي المؤتمر الحادي عشر، بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، كانت هناك مشاركة لـ"لويس شيخو"^(١)، ثم نلاحظ غياباً آخر، علمياً وحضورياً، حتى المؤتمر الخامس عشر الذي انعقد سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) بكونهاجن، الذي لم يشهده سوى "لويس شيخو" وقدم فيه مساهمة^(٢)، ثم المؤتمر الثامن عشر بـ"لين"، سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، وكانت فيه دراسة لسامي جبر^(٣). ثم غابت المشاركات بعده، حتى المؤتمر العشرين ببروكسيل، سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، لما قدم كل من عزيز سريال عطية^(٤) وسامي جبر^(٥) مساهمة دراسية.

وإن هذا المؤتمر، نلاحظ وجوداً شبه متواصل للنصارى الشرق في كل المؤتمرات، عدا المؤتمر السادس والعشرين، بنيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، الذي لا نجد لهم فيه مشاركات علمية. أما سواه، فنلقى خمس مساهمات في المؤتمر الحادي والعشرين المذكور، وثلاثاً في كل من الثاني والعشرين بإستانبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، والثالث والعشرين، سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، بكامبردج، وهكذا تواصلت مساهمات نصارى الشرق في المؤتمرات.

وحتى تتضح صورة هذه المشاركات بدقة أكثر، يجدر الاطلاع على الجدولين المتعلقين بها، الأول عن مساهماتهم، حسب الترتيب الزمني للمؤتمرات، والآخر عن الموضوعات المطروقة، مرتب حسب كثافتها العددية^(٦).

ج - تحليل الجدولين:

(١) Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T3 - p.125.

(٢) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 71.

(٣) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931- p 79.

(٤) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes-Bruxelles - 1938- p.339.

(٥) Ibid. - p. 65.

(٦) الجدولان المعنيان في الملحق رقم ٢٢ ص ٧٦٨ من الرسالة، ورقم ٢٣ ص ٧٧٢ من الرسالة.

إذا تأملنا الجدول، يمكننا الخروج بملاحظات عدة، أهمها ما يلي:

— تفاوتت مشاركات نصارى الشرق في المؤتمرات. فأكثر عدد شارك به فرد، هو أربع مرات، وكان لخليل سمعان، وشارك كل من جورج فتواتي وسامي جبرا وعزيز سريال عطية، وفؤاد البستاني وموريس شهاب وبتر عبود ثلاث مرات. وساهم كل من إجناس عبدو خليفى وألكساندر بدوي وبول حرب وجورج حوراني ولويس شبخو ونيقولا زيادة بمشاركتين، أما البقية فكانت مشاركة لكل واحد منهم. ولا يعني أن حضور هؤلاء مرتبط بهذه المساهمات، بل هناك منهم من يحضر دون أن يقدم مشاركة، مثل أنيس فريحة في المؤتمر الثامن عشر، وألبرت الحوراني في الخامس والعشرين.

— يعد المؤتمر التاسع والعشرون بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، أكثر ما شهد كثافة مساهمات نصارى الشرق. فلقد أُلقيت فيه تسع دراسات، يليه في الترتيب كل من المؤتمر الحادي والعشرون والرابع والعشرين والثامن والعشرين بخمس دراسات. ثم الخامس والعشرين بأربع مشاركات، ثم المؤتمر الثاني والعشرون والثالث والعشرون، حيث قدم في كل منها ثلاثة بحوث. ثم المؤتمر العشرين فالثاني والثلاثون بدراستين لكل منهما، ثم دراسة في كل من المؤتمرات الأخرى.

وإذا ما عرفنا أن المؤتمر الحادي عشر والحادي والعشرين والتاسع والعشرين، عقدت في باريس، وأن معظم مساهمات نصارى الشرق العلمية أُلقيت فيها وبلغت خمس عشرة دراسة، وهو حوالي ثلث الدراسات، وأن نصارى لبنان هم الذين برزوا فيها بوجه خاص، أمكننا استنتاج ما تحظى به هذه الفئة من عناية في فرنسا، وهو امتداد للأثر السياسي، حيث يلقي نصارى الشام الرعاية الكبرى من السلطات الفرنسية. والأمر بدهي، إذ إن فرنسا تعدهم امتدادها الحضاري في المنطقة، وهم كذلك يعتمدون على فرنسا في أمور عدة، ولاسيما الدعم السياسي.

— يأتي في المرتبة الثانية من حيث الكثافة، مدينة "ميونيخ" الألمانية مقرر المؤتمر الرابع والعشرين سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ)، وكمبيرا بأستراليا، مقرر المؤتمر الثامن والعشرين سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)، وهاتان المدينتان تعددان موطني هجرة العديد من أهل لبنان، وتتمركز فيها جالية لبنانية كبرى. وهكذا غيرها من البلدان، التي لقيت مساهمات نصارى الشرق فيها حظوة هامة. وبدعم

توجه المؤتمرات هذا، استحداثها لجنة خاصة من ضمن دراساته، تهتم بالنصاري الشرقيين. وفي هذا دليل على الأثر النصراني في المؤتمرات^(١).

— أما إذا تفحصنا اللجان التي أسهم فيها نصارى الشرق بدراساتهم، فإن المقام الأول كان للجان التي يكون الإسلام أحد موضوعاتها. فهناك عشرون محاضرة عرضت في لجنة تحمل في مسماها الدين الإسلامي. ثم تليها تلك المتعلقة باللغة العربية وآدابها، وبلغت عشر دراسات، في اللجان التي تحمل مسمى إحدى الكلمتين، اللغة أو الأدب، أوهما معاً، وسبع لجان عن الدراسات المصرية والفرعونية، وقدمت ست دراسات في اللجان المتعلقة بنصارى الشوق، وتوجد ثلاث دراسات تتحدث عن الساميات، ودراسة في الحاميات، وعن الشرق الأوسط الحديث، وهكذا.

— أما الموضوعات المطروقة في دراسات النصارى الشرقيين، فقد بلغت ثلاثين موضوعاً، يتصدرها التاريخ، الذي بلغ عدده عشرة، يليه الدراسات الفرعونية، وعددها سبعة، فالموضوعات المتعلقة بالشخصيات الإسلامية وبلغت خمسة، ثم المخطوطات وهي خمسة، فالأدب واللهجات العربية، ولكل واحدة أربعة، ثم التصوف الإسلامي والشخصيات النصرانية والفرق الإسلامية واللغة العربية، ولكل منها ثلاث دراسات، ثم الدين الإسلامي والآثار والفلسفة الإسلامية والفن المعماري والاقتصاد، ولكل منها موضوعان، وواحدة لكل موضوع من الموضوعات الأخرى، كما هو موضح في جدول الموضوعات.

بتحليل هذه النقطة، نلاحظ أن نصارى الشرق يهتمون بالتاريخ بصفة عامة، وتتعلق بالتاريخ الإسلامي والعربي، وهذه هي الأكثر والأهم، وتتحدث عن التاريخ السياسي والاقتصادي، ولاسيما المناطق التي يوجد فيها نصارى الشرق، من ناحية أخرى، نرى أن دراسة الشخصيات الإسلامية والمخطوطات والموضوعات الأدبية واللهجات والتصوف والفرق والشخصيات النصرانية وشؤون اللغة وغيرها من الموضوعات، لا تختلف عن دراسات المسيحيين الشرقيين، ولاسيما أن معظم هذه الشخصيات من نصارى الشرق، يعيشون في الغرب، بل بعضهم يأتي مندوباً عن المواطن التي يقطنها، مثل فؤاد البستاني، الذي كان

(١) سيأتي تفصيل الحديث عن هذا الأثر لاحقاً وذلك ص ٤٦٩ من الرسالة فما بعدها.

مندوبا عن فرنسا في المؤتمر الحادي والعشرين^(١)، ونيقولا زيادة، جاء المؤتمر الثاني والعشرين مندوبا عن الولايات المتحدة^(٢).

والملاحظ أيضا، أن التركيز في دراسات نصارى الشرق مرتكز على العروبة واللغة العربية، ونسمح أبحاثهم الماضي السحيق حتى العصر الحاضر. كما تعرضوا في دراساتهم لشخصيات نجد أن جلهم معزلة أو فلاسفة أو أدباء، وهذا مماثل لما عليه الاستشراق العالمي، والبحوث الاستشراقية في المؤتمرات. في جانب اللغة والأدب، نجد أن ربع ما قدم في موضوعات الأدب واللغة والمخطوطات واللهجات العربية، يتعلق باللهجات. وهذا تيار طغى على أبحاث المستشرقين أيضا، ولاسيما في حقبة ما قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها بفترة، في مؤتمرات المستشرقين عامة. كما نجد دراسات تتعلق بالأصول العرقية العربية وهي كذلك مسيطرة للبحوث الغربية ولاسيما الاستشراقية. ومن تناولهم المصادر الإسلامية، نجد مقالة "لويس شيخو"، حول بعض الأساطير الإسلامية، التي تعود لما قبل الإسلام، وذلك في المؤتمر الخامس عشر بكوبنهاجن سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)^(٣)، وهي مقالة مسيطرة للتيار التشكيكي في أصالة الديانة الإسلامية، كما أقيمت بحوث عن الفرق والتصوف الإسلامي، وهي مسيطرة للتيار الاستشراقي أيضا، الذي يصور المجتمع الإسلامي منقسما على نفسه إلى تيارات واتجاهات مختلفة ومتخالفة ومتناقضة في مبادئها وأصولها وتفكيرها.

أما الدراسات المصرية، التي شغلت تسعة موضوعات، فلا يحتاج لكثير من التحليل، إذ إن الموضوع هذا، هو أحد أهم الدراسات التي ركزت عليها المؤتمرات، ولا يكاد يخلو مؤتمر منها، عدا المتأخرة الحديثة. كما أنه أحد الموضوعات الرئيسة للاستشراق العام، منذ حلت مشكلة الحروف الهيروغليفية، قبيل منتصف القرن التاسع عشر. ومع أنه يمكن اعتبار هذه البحوث مسيطرة للتيار

(١) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 11.

(٢) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - VolI - p. 14.

(٣) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 71.

الاستشراق العلمي ، إلا أنها جاءت متأخرة جداً، إضافة إلى أنها لا تكاد تذكر أمام أبحاث المستشرقين التي ظهرت في هذا المجال عالمياً.

أما بقية الموضوعات الاستشراقية، فإن اهتمام نصارى الشرق بها غير عميق، وانحصرت أبحاثهم في المنطقة والبيئة التي يقطنونها، ويبدو أن اهتمامهم منصب على محيطهم، وتهدف إلى إثبات الذات، وبيان حق المشاركة الحضارية والثقافية في المنطقة، ودورهم فيها تاريخياً، وأثرهم فيها أيضاً. أما ما عدا ذلك من الموضوعات فهي بعيدة عن هذا المجال، وتبدو مسابرة للتيارات الفكرية والبحثية التي سادت المنطقة في القرنين الماضي والحالي.

وبما أن المؤتمرات إنما هي بيان لعينة من دراسات نصارى الشرق، وإذا ما عممنا الملاحظات السابقة على الدراسات الأخرى كافة، يمكننا تلمس المبررات التي دعت العديد من المتخصصين في الدراسات الاستشراقية إلى اعتبار هذا التيار استشراقاً وأصحابه مستشرقين، مثل الاستشراق الماروني.

٢ - الاستشراق الصهيوني الإسرائيلي:

ظهر هذا النوع من الاستشراق متأخراً في زمن المؤتمرات. وما ظهر اسم "إسرائيل" ممثلة في مشاركين منها، إلا في مؤتمرات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك ابتداء من المؤتمر الحادي والعشرين، الذي انعقد في باريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)^(١)، أي بعد فرض قيام الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة. كما ظهر في المؤتمر نفسه اسم "تل أبيب"^(٢)، لأول مرة، ومثلها في ذلك المؤتمر المستشرق "مينز إرنست Mainz Ernest".

رغم حداثة مشاركة هذه الفئة من المستشرقين، إذ لم تبدأ مساهماتهم إلا من سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، وبذلك لم يتعد حضورهم خمسة عشر مؤتمراً، إلا أنهم

(١) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 395.

(٢) Ibid. - premiere partie - p. 398 .

كانوا شعلة من النشاط، بحيث حاولوا، أو هم قاموا فعلا، بتغطية أو تعويض ما فاتهم من مؤتمرات، ولاسيما إذا ما قارناهم بغيرهم من مسلمي الشرق الأوسط أو نصرانيه. ونلمس هذا بكل يسر، سواء في المساهمات الإدارية أو الدراسات العلمية. ولعل التوجهات السياسية العالمية التي تساند الكيان الصهيوني، والتأييد الدولي له، إضافة إلى الحروب التي عايشها، والعداوة الإسلامية والعربية لقيامه، ووقوف المنظمات اليهودية العالمية، وراء الكيان وتأييدها له وشدها من أزره، وذلك بسيطرتها على معظم الموارد الاقتصادية والتجارية العالمية، بل السياسية أيضا، كان لكل ذلك أثره في المؤتمرات، وجعل للقادمين من هذا الكيان حظوة أرفع مما أعطيت للآخرين. وسيزداد إدراك هذا من خلال التحليل التالي.

أ- المساهمات الإدارية:

لم تبلغ مشاركات القادمين من الكيان الصهيوني درجات أرفع مما لدى الشرقيين الآخرين، ولاسيما الشرق أوسطيين منهم، فهناك مندوبون عن الكيان الصهيوني الإسرائيلي، وهناك مشاركات في لجان إدارية، وكذلك رئاسة جلسات علمية. إلا أنها أكثر كثافة من الآخرين.

- المشاركة عن طريق المندوبين والممثلين في المؤتمرات: أما عن المندوبين عن الحكومة، فما يكاد يخلو مؤتمر عن مندوبين عنها وعن مؤسساتها العلمية، والثقافية، ولاسيما المختصة في مجالات الاستشراق. وقد يرتفع هذا العدد كثيرا في بعض المؤتمرات، وقد يتجاوز عدد مندوبي البلدان العظمى.

في المؤتمر الحادي والعشرين، بلغ عدد مندوبي الكيان الصهيوني ثلاثة من ضمن ثمانية أشخاص مشاركين. وقد وردت أسماؤهم في أعمال المؤتمر تحت اسم فلسطين^(١). وفي المؤتمر الثاني والعشرين بتركيا، كان العدد عشرة مندوبين^(٢) من ضمن خمسة عشر مشاركا، أرسلتهم إسرائيل، مع أنه ينعقد في عاصمة آخر

(١) Actes du XXII^{eme} Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 14.

(٢) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Voll - pp. 11 - 12.

خلافة إسلامية، في حين نرى هذا العدد يتقلص إلى ستة في المؤتمر الثالث والعشرين بكامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)^(١)، رغم حضور أربعة عشر شخصا. ولم يكن المندوبون في المؤتمر الرابع والعشرين سوى اثنين^(٢) من مجموع خمسة عشر مشاركا، وفي حين لا يتضح الأمر في المؤتمر الخامس والعشرين، رغم أن عدد الحضور كان ستة عشر باحثا، فإن المؤتمر السادس والعشرين بنيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، شهد حضور عشرة مندوبين^(٣)، من بين أربعة عشر مساهما، وهو عدد يتساوى مع مؤتمر تركيا، والهند بلد يشترك مع إسرائيل في نوعية العداء للجيران المسلمين، بل حتى القاطنين منهم داخلهما.

أما المؤتمر السابع والعشرون الذي انعقد بـ"آن آربر" بالولايات المتحدة الأمريكية، فلم يشهد سوى مندوبين اثنين^(٤)، رغم أن المشاركة كانت هامة جدا، سواء من حيث العدد، إذ حضره عشرون شخصا، أو من حيث المساهمات العلمية كما سيأتي^(٥). وهذا العدد اليسير من المندوبين يدعو للتساؤل، إذ إن الولايات المتحدة الأمريكية، تعد الراعي الأول للكيان الصهيوني، ولعل هذا ما يدعو إسرائيل إلى عدم إظهار الذات بعدد هام من المندوبين، كما في المؤتمرات الأخرى. أما معهد الدراسات العبرية، في المؤتمر نفسه، فتقول عنه أعمال المؤتمر إن أسماء هؤلاء غير متوفرة، فهو إما أنه لم يرسل مندوبين عنه أو أن القائمة لم تصل للمنظمين^(٦).

لم يذكر أي مندوب عن الكيان في المؤتمر الثامن والعشرين الذي انعقد في كمبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)، رغم حضور ستة عشر مشاركا فيها. أما في

(1) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - p. 15.

(2) Acten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress-Munchen - 1957 - p. 10.

(3) Acten des Vierundzwanzigsten Internationalen Orientalisten-Kongress-Munchen - 1957 - p. 10.

(4) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 15.

(٥) سيرد ذلك ص ٢٨٥ وما بعدها من الرسالة.

(6) Ibid. - p. 15.

المؤتمر الحادي والثلاثين في طوكيو، فلم يشارك من الكيان سوى ستة باحثين، ولم تذكر أعمال المؤتمرات أسماء المندوبين عموماً، لذلك لا يمكن معرفة عددهم بالضبط، كذلك الأمر بالنسبة للمؤتمر الثاني والثلاثين الذي حضره سبعة عشر باحثاً.

- المساهمات في لجان المؤتمرات الإدارية: فيما يتعلق باللجان الإدارية، اقتصرت المشاركات على اللجنة الاستشارية العالمية. وأول عضو للكيان الصهيوني فيها، ابتداءً من المؤتمر الثاني والعشرين باستتبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، وكان "ماير ل. أ. L. A. Mayer"^(١). ثم نجد "أوريال هايد Uriel Heid"، عضواً فيها في المؤتمر السابع والعشرين بـ"أن آر بور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)^(٢)، و"حاييم رابين Chaim Rabin"، في المؤتمر الثامن والعشرين بـ"كمبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)"^(٣)، و"زوي ويربلووسكي Zwi Werblowsky"، في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)^(٤)، وفيما لا يوجد أحد عضواً في هذه اللجنة في المؤتمر الثاني والثلاثين، كان "جاكوب لاندو Jacob Landaw"، كبير المستشرقين الصهيونية، كما تبين لي، وأحد مرجعهم وموجههم، أحد المستشارين في المؤتمر الخامس والثلاثين الأخير بـ"بودابست" سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ). أولئك هم من شارك في عضوية اللجنة الاستشارية العالمية^(٥).

أما المساهمات في إدارة لجان علمية في المؤتمرات، فمنذ المشاركة الأولى، في المؤتمر الحادي والعشرين، نجد مندوب الكيان الصهيوني "ل. أ. ماير"، يرأس جلسة علمية للجنة فرعية من لجنة "الدراسات الإسلامية" بتاريخ الرابع والعشرين

(١) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istanbul - 1951 - Vol1 - p. 15.

(٢) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p.9.

(٣) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p. 8.

(٤) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - T1 - p. 6.

(٥) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme - No pages of page.

من يوليو سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ) وتحمل عنوان "فن وآثار"^(١)، كما أن المستشرق نفسه أدار يوم الجمعة السابع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، اللجنة الفرعية المتعلقة بـ"اللغة والأدب والفن"، من لجنة "الدراسات الإسلامية"، في المؤتمر الثالث والعشرين^(٢). وفي هذا المؤتمر ذاته، رأس "شمويل إيفين Shmuel Yeiven"، جلسة الدراسات المصرية ليوم الأربعاء الخامس والعشرين من أغسطس الصباحية^(٣).

وشهد المؤتمر السابع والعشرون قمة ثراء هذه المشاركات، فقد ترأس خمسة من المستشرقين الصباحية خمس جلسات علمية، منهم ثلاثة رؤسوا ثلاث جلسات علمية في لجنة دراسات الشرق الأدنى القديم، واثنان منهم في لجنة دراسة الشرق الأدنى والعالم الإسلامي، وكانوا كالتالي:

أولاً: في لجنة "دراسات الشرق الأدنى القديم".
— "شمويل إيفين"، لجلسة الثلاثاء الخامس عشر من أغسطس مساءً، وكانت تتعلق بـ"الآثار"^(٤).

— "دوفو ر. De Vaux R."، يوم الأربعاء السادس عشر من أغسطس صباحاً، في الجلسة المتعلقة بـ"الدراسات السابقة عن ظهور النور"^(٥).
— "جوشن جوتلشتاين Goshen-Gotlstein"، يوم الخميس السابع عشر من أغسطس في الجلسة الصباحية التي تحمل الموضوع نفسه كالسابقة^(٦).
ثانياً: في لجنة دراسات الشرق الأدنى والعالم الإسلامي:
— "أوريال هايد"، يوم الثلاثاء الخامس عشر من أغسطس مساءً، وتعلقت بـ"المجتمع العثماني وإدارته"^(٦).

(١) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p 323.

(٢) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - p.322.

(٣) Ibid. - p. 69 .

(٤) Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - p. 322.

(٥) Ibid. - p. 85.

(٦) Ibid. - p. 104.

— "جاكوب لاندو"، يوم الثلاثاء السابع عشر من أغسطس مساءً، وتعلقت بموضوع "تاريخ الشرق الأدنى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"^(١).

وفي المؤتمر الثامن والعشرين، رأس "بيلاس د. D. Pellas"، جليستين علميتين من لجنة "دراسة غرب آسيا"، وكانت الأولى بعنوان "الشرق الأوسط القديمة"، وخصصت بـ "الدراسات المصرية"، وذلك يوم الخميس السابع من يناير صباحاً^(٢)، والثانية يوم الاثنين الحادي عشر صباحاً أيضاً، وكانت بعنوان الدراسات العبرية، وموضوعها "الدراسات التوراتية"^(٣).

أما المؤتمر الحادي والثلاثون، فشهد رئاسة "زوي وربلويسكي" جلسة الجمعة الثاني من سبتمبر صباحاً، في لجنة "التحولات الاجتماعية والدينية"^(٤).

وفي المؤتمر الثاني والثلاثين بـ "همبورغ"، أدار ثلاثة إسرائيليون ثلاث جلسات:

— "أيالون دافيد Ayalon David"، جلسة الأربعاء الثامن والعشرين من أغسطس صباحاً، من لجنة "الدراسات الإسلامية"^(٥).

— "جاكوب لاندو"، الجلسة الصباحية من يوم الخميس السابع والعشرين من أغسطس للجنة "دراسة الشرق الأدنى والشمال الإفريقي"^(٦).

— "شلوني بن أمي Shillony ben Ami"، رئيساً للجنة 'شرقي آسيا'، في لجنتها الفرعية عن "الدراسات اليابانية"، وذلك يوم الخميس مساءً^(٧).

(١) Ibid. - p. 216.

(٢) Ibid. - p. 262.

(٣) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p.33.

(٤) Ibid. - p. 68.

(٥) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - T2 - p. 860.

(٦) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hamburg - 1986 - p. li.

(٧) Ibid. - p. liii.

(٨) Ibid. - p. xlviii.

ذلك هو ملخص المساهمات الإدارية التي برز فيها الباحثون الإسرائيليون، وظهروا بها على ساحة المؤتمرات، وهي في عمومها هامة، مقارنة بالفترة القصيرة التي ساهموا فيها في أعمال المؤتمرات.

ب - المساهمات العلمية:

بلغت مساهمات المستشرقين الصهاينة الإسرائيليين، من خلال أحد عشر مؤتمراً، أربعاً ومائة مشاركة، وذلك اعتماداً على ما ذكر في أعمال المؤتمرات، وقد يكون العدد أكبر من ذلك، كما أنه لم يتم اعتبار المؤتمرات المنعقدة، وتورنتو وهونج كونج، لعدم التمكن من الحصول على وقائع أعمال الجلسات أو لأنها لم تنشر، وإلا لازداد العدد عن ذلك، إذ إن نشاطهم الذي عاينته في "بودابست"، كلن كثيفا، وكانت المساهمات العلمية عديدة. وبالتالي، ستكون هذه الدراسة عينة، حيث بلغت نسبة المشاركة فيها (٩،٤٦) في المؤتمر الواحد، وهي نسبة هامة وملفتة للانتباه، ولاسيما إذا ما قورنت بنسبة مشاركة نصارى الشرق، الذين شاركوا منذ انطلاق المؤتمرات، فلم تصل نسبة مشاركتهم مساهمتين في كل مؤتمر، (١،٤ فقط).

وحتى تتبين أهمية المشاركات الصهيونية الإسرائيلية، يجدر الاطلاع على الجدولين الواردين حول ذلك، كي يمكن تحليلهما ثم الحكم على مساهماتهم^(١).

ج - تحليل الجدولين:

من خلال الجدولين السابقين، يمكن استخلاص استنتاجات عدة، وتلخيصها كما يلي:

— أبرز المشاركين في المؤتمرات مشاركة علمية، المستشرق "أيلون دافيد"، الذي كانت له ست مساهمات، ثم "جوتايين شالومو"، وله خمس دراسات، ثم "أوريال دابن" و"أوريال هايد" و"جوشووا بلو" و"تسنار بساه"، ولكل منهم أربع

(١) الجدولان المعنيان بالمحلق رقم ٢٤ ص ٧٧٤ من الرسالة ورقم ٢٥ ص ٧٨٢ من الرسالة.

دراسات، ثم "إيفين شمويل"، و"جوتهود واول" و"جاكوب لاندو"، ولكل منهم ثلاث مشاركات، ثم "بول ليفي" و"بولياك أبراهام"، و"حاييم رابين"، و"حاييم هيرشبارج"، و"آرون داتان"، و"شمعون شامير" و"شموويل موراد"، و"شيرمان ج"، و"شاكيد حاييم"، و"رافائيل جيفون" و"روث أميران" و"فنجاس أرتزي" و"ميناحيم حران" و"ميناحيم قداري". ولكل منهم مساهمتان. أما البقية فنصيب كل واحد منهم مشاركة واحدة.

— إذا تفحصنا دراسات أبرز المشاركين، نلاحظ أن جل اهتمامات هؤلاء الباحثين، متوجهة لدراسة العالم الإسلامي، الذي يحيط بالكيان الصهيوني الإسرائيلي، ماضيه وحاضره وواقعه، حتى جزئياته، كما أن البقية غير هذه المجموعة، تنوعت دراساتهم وشملت مجالات عدة، بما فيها العالم الإسلامي بصفة عامة، والشرق الأوسط، المركز، عليه بصفة خاصة، إضافة إلى نواح علمية أخرى متعددة^(١).

— شهد كل من المؤتمرين السابع والعشرين المنعقد في "آن آربر" بالولايات المتحدة، سنة ١٩٦٨م، ومؤتمر باريس التاسع والعشرين بمناسبة الذكرى المئوية لانبعاث المؤتمرات، وذلك سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، قمة مشاركة المستشرقين هؤلاء. فقد قدموا في كل مؤتمر منهما ثماني عشرة دراسة. ولا عجب في هذا، فلأكثر السياسي دوره في الأول، بما أن الولايات المتحدة الأمريكية هي السند الأساس لهذا الكيان، فكان للدولة المدللة كل الرعاية، بما فيها الثقافية. أما المؤتمر الآخر، فغلب عليه الجانب الثقافي، إذ إنها مناسبة عالمية كبرى في عالم الاستشراق، وهو أضخم مؤتمر وأثراها على الإطلاق حتى الآن، فكان لا بد من إبراز الدور وإثبات الذات في مثل هذه التظاهرة الفريدة، حتى يعلم أن لهذا الكيان أثره الفعال في نشر الفكر الاستشراقي ودراساته، وأن مدرسته لا تقل أهمية عن غيرها من المدارس الاستشراقية.

— أما عن التوجهات العامة للبحوث الاستشراقية لديهم، وأولويات اهتماماتهم، فقد كانت مركزة على الدين الإسلامي والعالم الإسلامي واللغة العربية، وهذه تعد أهم اهتمامات المستشرقين هؤلاء، فالموضوعات القضائية

(١) يمكن التعرف على ذلك بكل يسر من خلال الجدولين، وسيأتي التخصيص على أهمها فيما يلي.

والفقهية والتاريخية، هي أهم عندهم من غيرها، ثم الواقع الاجتماعي، المعاصر، أو القريب من المعاصر، ولا سيما الجانب العسكري، ودرست فيها وضعية اليهود في العالم الإسلامي أيضا، وهذه بلغت في مجملها حوالي خمس وأربعين دراسة. يليها في الترتيب الدراسات المتعلقة باللغات السامية المختلفة، ولا سيما العبرية وما يتعلق بالتوراة، وهذه بلغت حوالي أربع وثلاثين دراسة. كما تناولت شؤون المناطق المجاورة الأخرى وتاريخها، ولا سيما العثمانية والتركية منها، وعلاقتها بفلسطين، ولهذه حوالي ست عشرة دراسة. ثم الدراسات الفرعونية، وبلغت ستا، ثم الصين وعليها دراستان، فالقوقاز والهند وعن كل منهما دراسة واحدة.

من هنا نلاحظ أن ما يقرب من نصف الدراسات تتعلق بالعالم العربي الإسلامي، ولو أضفنا الدراسات المتعلقة بتركيا وبالدولة العثمانية، لتكتمل المنطقة الإسلامية ككل، لأصبح العدد حوالي الستين، وهو أقل بقليل من ثلثي مساهماتهم في المؤتمرات. أما إذا تجاوزنا الدراسات الفرعونية، وكذلك السامية، فإن جل الدراسات تتعلق بمنطقة الشرق الأوسط، وبالإسلام وما قبله وما بعده.

وإذا أمعنا النظر أكثر عمقا وتدقيقا، ودرسنا الموضوعات من جهة أخرى، فيمكن الخروج باستنتاجات عدة منها:

— اتساع نطاق الدراسات الاستشرافية الإسرائيلية-الصهيونية. فقد وصات الموضوعات إلى ثمانين وتسعين، بحثتها أربع ومائة دراسة.

— لم تقتصر دراسات هؤلاء المستشرقين على موضوعات محددة بمحيطهم، بل إنها تنوعت تنوعا كبيرا، وشملت العالم التركي كافة، بما فيها القوقاز، وكذلك اليابان والصين والهند، وشملت المعارف المختلفة والمتنوعة بما فيها الفنون وفن العمارة والمسرح والموسيقى، واللغات العامة، إضافة إلى الساميات واللغة العربية، درست التركية والصينية واللهجات اليهودية في العالم العربي، وأنواع الآداب العربية واليهودية واليونانية والفرعونية وغيرها.

— للشخصيات الإسلامية، ولا سيما العثمانية منها، نصيب الأسد من الموضوعات المطروقة، بلغت أحد عشر موضوعا. ثم تأتي الدراسات التاريخية، فالمجتمعات، وهي تتعلق بالعالم الإسلامي واليهود، ولكل منها سبعة موضوعات،

ثم الثورات العسكرية الإسلامية والفرعونيات، ولكل منها خمسة موضوعات، ثم الأدب العربي والأدب العبري اليهودي، والاقتصاد، فسوريا والقانون العثماني والمماليك، ولكل أربعة موضوعات، وهكذا حسب ما هو موضح في الجدول.

— اهتم هؤلاء المستشرقون بعدة دول ومدن إسلامية، فهناك تركيا وفلسطين وسوريا والعراق ومصر والأردن والمغرب والجزائر، وكان الشرق الأوسط عامة موضوعاً لدراستين. ومن المدن تناولوا بالدرس القدس وبغداد وعكا والقاهرة وجزيرة كريت، وهناك دراسة تناولت المدن الإسلامية عامة. كما أن هناك دراسات درست دولاً أخرى، مثل اليابان وروسيا وجنوب شرقي آسيا، والقوقاز والهند والصين. كما كانت أوروبا موضوعاً لثلاث دراسات، وآسيا لموضوعين، ولا نجد دراسات أو موضوعات حول إفريقيا السوداء.

— ظهرت في المؤتمرات لأول مرة دراسات حول الأدب المبتذل والهرطيقى، أوردها هذا الاستشراق. وذلك في دراستين، تتعلق الأولى بصورة أبي حنيفة في هذا الأدب، والأخرى عن موقف الإسلام منه.

— يعد هذا الاستشراق من أعمق من درس العسكرية الإسلامية تاريخياً، ولاسيما في عصر المماليك، ولعل ذلك لما قدموه من دور زمن الحروب الصليبية، وتمكنوا به من دحر الغزاة. كما أنهم أعمق من درس المشكلات القائمة بين دول المنطقة.

من خلال الملاحظات السابقة، يمكن الخروج بما يلي:

— لقد استغل المستشرقون الصهاينة الإسرائيليون المؤتمرات أفضل استغلال، وبيّنوا مدى عمق الأفاق الممتد لموضوعات دراساتهم، وبرهنوا على أنهم لا يقلون أهمية في ميادين البحث الاستشراقي، إذ غطت دراساتهم كل المناطق الآسيوية وشمال إفريقيا، وشملت الماضي والحاضر، بما فيه من ثقافة وسياسة وفنون وآثار ودين... وهكذا.

— دققوا بصفة لافتة للانتباه، في المناطق القريبة جداً من كيانهم، فتناولوا الدول والخلافات بينها، وتاريخ بعضها، وتاريخ اليهود فيها، وكذلك المدن الرئيسية هناك، مما يدل على مدى الاستعداد للانقضاض عليها، وتحقيق مبدأ "من القرات إلى النيل".

— اهتمامهم الخاص بالجانب العسكري، مساهمة منهم في معرفة أسس القوة الإسلامية العسكرية وأصولها واستراتيجيتها، ومواطن القوة فيها وعمقها، حتى يمكن التخطيط المستقبلي لتفادي نكسات الماضي.

— فيما يتعلق بدراسة اليهود وتاريخهم في المدن الإسلامية، فلعلة لتحقيق هدفين اثنين:

الأول: تأكيد الزعم أن لليهود قدما راسخة في تلك المدن، وأن لهم شأنًا في عمرائها، فلا يجب إغفال دورهم في بناء الحضارة الإسلامية، وبالتالي من حقهم الآن الاستقرار داخل العالم الإسلامي، وأن لهم الحق في استرداد دين الماضي، وذلك بالاعتراف بحقهم في المنطقة، ومن ثم وجب حصولهم على دولة معترف بها، وسط البلدان والعالم الإسلامي.

الثاني: لبيان اهتمام الكيان الصهيوني ببقايا اليهود هناك، وإظهار التكاتف والتكافل العالمي اليهودي، وأن الكيان الصهيوني لن يفرط فيهم ولا في مستحقاتهم التاريخية، وبالتالي الضغط على أهل البلد لحفظ مصالح اليهود وتحقيق أسباب منافعهم.

— أما النقطة الرئيسة، وهي اهتمامهم بالعالم الإسلامي ككل، دينا وتاريخا ومجتمعًا وثقافة، وعسكرية كذلك، فيبدو أنه بسبب المصادمات التاريخية العديدة بين المسلمين واليهود، ولاسيما في العهد النبوي، واستغلال للماضي التاريخي العدائي والعسكري بين الغرب والعالم الإسلامي، والذي فشل فيه الغرب بصفة عامة، عدا الفترات الأخيرة، التي ظهر فيها الغرب على العالم الإسلامي، فهي مساهمة في إبراز نقاط الضعف حتى يتم السعي للحيلولة دون عودتها. فهناك خمسون دراسة تتعلق بهذا الجانب، وتردد في الدراسات ثمانين وثلاثين ومائة مرة. وهذه الظاهرة لم تنفرد بها هذه المدرسة، بل هي ظاهرة استشرافية عامة، فهي مزيد من العناية والاهتمام والإسهام، ولاسيما بعد الحروب العديدة المعاصرة التي قامت بين الكيان والعالم العربي في بداية القرن، لبث المزيد من الحيلة والاستعداد.

— أما أفراد هؤلاء المستشرقين ببعض الدراسات، فلها غاياتها، مثل إبراز المبادرة والسبق، وإثبات الذات، والمساهمة في البحث في الجوانب المجهولة، لما لها من غايات وأهداف اجتماعية، كاهتمامهم بالأدب المبثّل مثلاً، إضافة إلى

مبادرتهم وسبقهم، هو من باب السعي لنشره أو تكوينه أو بعثه من جديد، ولا سيما إذا وجد من لديه استعداد لذلك.

وبهذا، اكتمل بيان أهم السمات الظاهرة للمساهمات الصهيونية الإسرائيلية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

٣ - مساهمات الشرقيين الأخرى:

بما أن مؤتمرات المستشرقين العالمية تعنى بدراسة شؤون آسيا، وشمال إفريقيا بخاصة، فقد لزم الاطلاع على مساهمات الشرقيين الأخرى، في مؤتمرات المستشرقين العالمية، في شكل إطلالة مختصرة، تبين دورهم ومشاركاتهم في المؤتمرات.

إجمالاً، انطلقت مشاركة الدول الآسيوية، غير الإسلامية، والخارجة عن إطار الشرق الأوسط، منذ المؤتمر الأول. وفي حقب المؤتمرات الأولى، اقتصرت المشاركات عموماً، على السياسيين الدبلوماسيين، أو دارسين أو قاطنين في أوروبا، أو مستعمرين مسؤولين في تلك البلدان، وهؤلاء الآخرون هم البارزون، ولا سيما عن الهند وبلدانها، ومقاطعات الهند-الصينية.

ومشاركات هذه البلدان غير مستقرة في عمومها، عدا اليابان التي لا يكاد يخلو مؤتمر من وجود ممثلين عنها، وهي أغزر مشاركة من غيرها، لا تنافسها في ذلك، إلا الهند، ولا سيما بعد استقلالها، وقد تمكنت كلتا الدولتين من استضافة المؤتمر ليعقد في أراضيها.

كغيرها من البلدان، اقتصرت مساهماتها الإدارية، على المشاركة في اللجان المختلفة، أو رئاسة جلسات من لجان المؤتمرات باستثناء مؤتمري نيو دلهي وطوكيو. وأبرز هؤلاء على الإطلاق، الباحث الهندي "دانديكار"، الذي كان نشطاً جداً في المؤتمرات، ولا سيما مؤتمرات نيو دلهي وآن آربور وكمبيرا وطوكيو وهمبورغ كذلك، وشارك في لجان عدة، وكان من ضمن اللجنة التي بحثت تغيير نظام المؤتمرات للمرة الرابعة^(١).

(١) سيأتي ذكر ذلك ص ٣٨٩ من الرسالة.

أما الدول التي شاركت في المؤتمرات، فهي كما يلي:
- برمانيا، أو بورما، ظهر اسمها منذ المؤتمر الأول أيضا، ثم في التاسع، ولم يظهر بينهما ولا بعدهما.

- تايوان: ظهر مشاركون عنها منذ المؤتمر الأول، إلا أن نشاطها تركز وكثر منذ المؤتمر الرابع والعشرين، وتكثفت مساهمات ممثليها العلمية، حتى إنهم يكادون يتفوقون في عدد البحوث على الإسهامات الصينية، التي تلقى معها في البحث عن الأصول الصينية المختلفة، ثقافيا وعرقيا ولغويا واقتصاديا وسياسيا، وعن علاقاتها مع الخارج، وهي نفس البحوث التي برز فيها الصينيون أنفسهم، والذين شهدوا جل المؤتمرات.

- جزر موريس، أو موريشيوس، وظهر اسمها منذ المؤتمر الأول وكذلك الثاني، ثم غابت عن الوجود.

- سيام، أو تايلند، عرفت مكانها منذ المؤتمر الأول، ثم السابع ثم الحادي عشر، فالثالث عشر، ثم في السادس والعشرين وما بعده، لممثليها مشاركات علمية تتعلق جلها بالثقافة التايلاندية، وتاريخها ولغاتها وآدابها ودياناتها.

- هونج كونج، انطلقت مشاركاتهما من المؤتمر الأول، ولم تكن مشاركاتهما ثابتة، وانطلاقا من المؤتمر الرابع والعشرين، انتظمت وكثرت دراساتهما العلمية. وتتعلق بالاقتصاديات في شرقي آسيا بصفة خاصة، إضافة إلى البحث في الأصول التاريخية والثقافية والعرقية للجنس الصيني عامة، ولاسيما هونج كونج، وتمكنت من استضافة الدورة الرابعة والثلاثين سنة ١٩٩٣م (١٤١٣هـ).

- سيلان، أو سريلانكا، انطلقت مشاركاتهما منذ المؤتمر الثاني ثم الثالث عشر، فالخامس عشر والسابع عشر والثامن عشر، ثم الرابع والعشرين وما يليه. ولمنسوبيها مشاركات تتعلق بالمنطقة وآدابها ودياناتها وثقافتها وتاريخها.

- سنغافورة، بدأت مشاركاتهما انطلاقا من المؤتمر العشرين، ثم الثالث والعشرين فالرابع والعشرين، ثم تواصلت بعد ذلك مشاركاتهما بكثافة أكثر، وبدرجة أهم. واهتمت في مشاركاتهما العلمية بالمنطقتين المالايوية والصينية، وهي دراسات شبيهة بالذي ذكر قبلها.

- فيتنام، أول مشاركة باسمها تمت في المؤتمر الحادي والعشرين، فالرابع والعشرين فالسابع والعشرين فالثامن والعشرين ثم توقفت.

- كوريا، ظهرت المشاركات الكورية متأخرة، منذ المؤتمر الرابع والعشرين. لكن مساهماتهم كانت فعالة، فانطلاقا من المؤتمر السابع والعشرين، ازدادت فعالية مساهماتهم العلمية، وهي متعلقة بالمنطقة، على غرار غيرها من المناطق، في البحث عن أصولها العرقية والثقافية، وغيرها من المقومات الحضارية، إضافة إلى التباحث حول علاقاتها بجيرانها، ولاسيما الصين واليابان. - الفلبينيين، ابتدأت مشاركتها متأخرة أيضا، منذ المؤتمر الرابع والعشرين، ولممثلها مساهمات علمية، تتعلق في معظمها بالفلبينيين ومشكلاته وموروثاته، وعلاقاته بغيره وأصوله.

- منغوليا، لم تظهر إلا في المؤتمر السادس والعشرين بمشاركتين، ثم توقفت.

- النيبال ورد اسمها لأول مرة في المؤتمر السادس والعشرين، ثم المؤتمرين الذين يليانه فقط.

- جزر فيجي وغينيا الجديدة وكمبوديا وباكستان، لم يظهر اسمها إلا في المؤتمر الثامن والعشرين.

- الهند، كثرت مشاركتها، ولا سيما بعد استقلالها، وكثر المشاركون من جهتها، سواء من المسلمين أو من غيرهم، وما يهمنا هنا هم غير المسلمين. فلقد تميزت مشاركتهم بتمحورها حول متعلقات الهند بصفة خاصة. فقد سلطوا الضوء على تاريخ الهند وثقافتها وفلسفتها ودياناتها وإمبراطورياتها وآثارها وسياساتها وعلومها ومعارفها، وعرفياتها وأصول لغاتها، وعلاقاتها بالثقافات والحضارات العتيقة والحديثة. وكان نشاطهم في هذا المجال كثيفا جدا. وأظهروا من أنفسهم جدارة، لدرجة أنهم تمكنوا من الحصول على موافقة على استضافتهم المؤتمر السادس والعشرين سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، ونجحوا في إدارته.

أما اليابان، فهي أولى المشاركات، وصاحبة أكثر المساهمات في مؤتمرات المستشرقين العالمية. وقد تم تأخير الحديث عنها، لما امتازت به عن غيرها من الدول الشرقية الأخرى، كما أنها لم تكف بالبحوث الذاتية من الخاصة بها كغيرها من الدول الشرقية، بل تعد منوعة في بحوثها، فشملت كل الميادين الاستشرافية، فبحث في الدراسات الهندية والصينية والقوقازية، والجهات الآسيوية المختلفة، والفرعونية والسامية والإسلامية والتركية. وانكشفت اهتمامات اليابانيين وبأن أفق

دراساتهم وعمقه بصفة خاصة، في المؤتمر الذي استضافوه في طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، ففيه برهن اليابانيون عن ثرائهم الدراسي الشرقي العام. وحتى يستبين أمر المشاركات اليابانية هذه، يمكن تحليل بعض مساهماتهم المتعلقة بالعالم الإسلامي^(١). فمنها يمكن أن نلاحظ بوضوح مدى النشاط الذي يقوم به الباحثون اليابانيون عن العالم الشرقي، واهتماماتهم بمكوناته المختلفة، الدينية والأدبية والفلسفية والعقدية، وهذا في جانب العالم الإسلامي، وهي عينة صغيرة جداً، مما يدل على أن ما عداها أوسع منها بكثير. ولعل هذا ما دعا البعض إلى إطلاق مصطلح الاستشراق الياباني على مثل هذه النوعية من الدراسات^(٢). ولعل الجدول يؤيد مثل هذا التوجه، بل إنه يبدو عميقاً أيضاً، إذ يبدو أنه بدأ متأخراً، ومن خلال ثلاثة مؤتمرات فقط طرحت عشرون دراسة، تتعلق بالعالم الإسلامي فحسب، أي بمعدل سبع دراسات في كل منها، فالنسبة تكون أعلى بكثير لو تفحصنا كل الدراسات الاستشرافية.

أما الأفارقة، من غير شمال إفريقيا، فإن مشاركتهم في المؤتمرات قليلة جداً، بل هي معدودة على الأصابع، ولا نجد سوى بعض الأسماء القليلة. فأول مشاركة إفريقية جاءت في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، وجاءت من جنوب إفريقيا، واسم الشخص الفريد "فيلجوين Viljoen"، ثم القديس "هائنل Rev. Bishop, Nanlen" من أوغندا في المؤتمر الحادي عشر، ولعلهما ليسا من أصيلي المنطقة، ثم نجد أربعة أشخاص في المؤتمر السابع والعشرين، اثنان من غانا، وواحد من كينيا وآخر من أثيوبيا، كما نجد شخصين من جنوب إفريقيا وآخر من الكامرون في المؤتمر الثاني والثلاثين. وتوجد لبعض المذكورين مشاركات علمية. ذاك كل ما ظهر من مساهمات الأفارقة في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

(١) الجدول المتعلق بدراساتهم في الملحق رقم ٢٦ ص ٧٠٨ من الرسالة.

(٢) من ذلك على سبيل المثال: أحمد فؤاد الأهواني: "ما يقال عن الإسلام: مستشرق من اليابان يكتب عن الله والإنسان في القرآن" - الأزهر - العدد ٣ - جمادى الأولى ١٣٨٤هـ، أكتوبر ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ) - ص ٣٦٠ - ٣٦٥.

تلك إذن صورة وصفية إحصائية عن مشاركات الدول الشرقية خارج نطاق العالم الإسلامي والشرق الأوسط، وبها كمل الحديث عن مساهمات الشرقيين العلمية في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي تبين أن لهذا الشق من العالم دور يتنامى في إطار المشاركات العلمية في المؤتمرات، وأن دورهم لم يعد خافيا على المشاركين والمطلعين.

المبحث الثالث: مؤتمرات المستشرقين العالمية في البلدان الشرقية

عقد في الشرق خمسة مؤتمرات عالمية للمستشرقين، أولها كان في الجزائر في العام ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، والثاني في إسطنبول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، والثالث في نيو دلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، والرابع في طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، وآخرها في "هونج كونج" في العام ١٩٩٣م (١٤١٣هـ). وفي هذا المبحث، سيتم إعطاء نبذة موجزة عن كل من هذه المؤتمرات.

١ - مؤتمر الجزائر:

انعقد هذا المؤتمر في العام ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، وهو المؤتمر الرابع عشر، وثاني مؤتمرات القرن العشرين.

في تلك الفترة، كانت الجزائر تقع تحت نير الاحتلال الفرنسي، وكانت تعج بالمستشرقين الفرنسيين، كما كانت تعد امتدادا لفرنسا فيما وراء البحار. لذا، رغم أن المؤتمر عقد في الجزائر، إلا أنه لم يخرج عن صبغته الاستشراقية ولا عن الهيمنة الاستعمارية ولا عن سمات التفوق العرقي والعنصري، وهي السمات التي ميزت مؤتمرات تلك الحقبة.

في نهاية المؤتمر الثالث والعشرين، اتخذ المؤتمر قرارا يقضي باختيار الجزائر مقرا للمؤتمر الرابع عشر، وهو بذلك يخرج من حدود القارة الأوروبية لأول مرة. وانطلقت أعماله من التاسع عشر من شهر إبريل حتى السادس والعشرين من الشهر ذاته.

حضر المؤتمر أكثر من ستمائة مشارك^(١). وهو عدد يعد محترما قياسا بتلك

(١) ذكرت مجلة Revue Africaine أن الحضور كانوا خمسمائة، ولعلها تقصد الوافدين من الخارج، ولفظها يوحي بهذا، وهذه ترجمته "... لقد ضم مؤتمر المستشرقين العالمي خمسمائة عضوا جاؤوا من أنحاء المعمورة كافة..."

الفترة، حيث كانت مشكلة النقل عويصة^(١). كما أن بعض المؤتمرات في أوروبا نفسها، تراوح عدد المشتركين فيما حوالى المائتي مشارك^(٢). وقد شارك من الجزائر حوالى خمسة وثمانين ومائة، قرابة الخمسين منهم من أصيلي الجزائر، لم يكن لهم دور فعال في المؤتمر، ولعل حضورهم كان لغاية سياسية بحتة، وبيان الديمقراطية الفرنسيين، وتبرير حجتهم بتقييد أهل البلد وتنويرهم. والباقي من المستشرقين والمستعمرين الفرنسيين.

أ - نظام المؤتمر الإداري:

تكون النظام الإداري للمؤتمر في الجلسة الافتتاحية، وكان كما يلي:
- رئيس المؤتمر: "رينيه باسي Rene Basset"، مدير المعهد العالي للآداب بالجزائر.

- نواب الرئيس :

* - ماسبي Maspe: أستاذ بالمعهد العالي للآداب	
* - لوسيانى Luciani: مستشار حكومي.	* - بوكندورة: مفتي الجزائر

- السكرتير العام: إدمون دوتي Edmond Doutte .

- السكرتاريون المساعدون:

إيفي Yver: أستاذ بالمعهد العالي	شامبيج Chambige: رئيس مكتب
للآداب.	سكرتير الحكومة العام.

49 - No 258 - 259 . 3eme et 4eme trimestre - 1905 - p. 263.

(١) تمكن المؤتمر من الحصول على تخفيضات هامة، على وسائل النقل الحديدية والبحرية، ورغم ذلك لم يكن الإغراء دافعا لتدفق المستشرقين على الجزائر.

Revue Africaine, publie par la Societe Historique Algerienne - 14 Annee - Vol 48 - Alger - 1904 - Germany - Kraus Reprint - Nendeln/ Liechtenstein - 1971 - pp. 198 - 200.

(٢) يمكن التعرف على ذلك ببسر في Atti del IV Congresso Internazionale degli Orientalistic - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 338 - 344 .

Actes du Sixieme Congres - وكذلك: وكذا: ولم يحظروا كلهم. International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp.5 - 21

فقد سجل ٤٥٣ عضوا أسماءهم ، ولم يحضر سوى ٢١٩ ، pp. 33 - 35 .

مارسي Marcais: مدير "المدرسة بالجزائر La Medersa d'Alger". الشؤون البلدية.	شارشلي Charchelly: ملحق بإدارة
جودفروا دومونين Gaudefroy- Demonbines: سكرتير معهد اللغات الشرقية الحية.	دو كالاسنتي مونتيانسيكي De Calassanti-Motyliniski: مدير "المدرسة" بقسنطينة.

-- محاسب المؤتمر: دافيد David، مستشار الحكومة، رئيس السكرتارية
الخاصة للمقيم العام.

إلى جانب ذلك، عين المقيم العام كلا من مفوضي الحكومة^(١):

— المقدم لأكروا Lacroix، مندوب المؤتمر العام.

— الضابط المترجم ميرنت Mirante، مندوب المؤتمر المساعد.

إضافة إلى الإدارة العامة للمؤتمر، توجد لجان أخرى لتأييد المؤتمر
وإنجاحه. فقد عقد المؤتمر تحت إشراف حاكم الجزائر العام "جونار Jonnart"^(١)،
ووضع تحت الرئاسة الفخرية لملك السويد أوسكار الثاني^(٢)، أما راعي المؤتمر
فهو الأرشيدوق ريني Rainer حاكم النمسا^(٣).

فيما سبق أن تكونت لجنة شرفية برئاسة إيتيان، النائب بالبرلمان ووزير
الداخلية^(٤)، ولجنة دعم برئاسة "باريي دومينار Barbier de Meynard"، عضو
المؤسسة ومدير معهد اللغات الشرقية الحية، والأستاذ بـ"كولاج دو فرانس"^(٥)،
هذا إضافة إلى السكرتاريين الممثلين للمؤتمر خارج الجزائر العاصمة وخارج

(1) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 -
premiere partie - p.3. and "Les cngres d'Avril 1905 aAlger et la visite du
ministre de L'instruction publique" - Revue Africaine - 49eme Annee Vol. 49 -
No 258 -259 . 3eme et 4eme trimestre - p. 268.

(2) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 -
premiere partie - p. 1.

(3) Ibid. - premiere partie - p. 1 .

(4) Ibid. - premiere partie - p. 1 .

(5) Ibid. - premiere partie - p. 1 .

(6) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 -
premiere partie - p. 2.

حدود الدولة^(١).

لو تصفحنا هذه القوائم، من الأسماء في سلم الإداريين، يمكن استخلاص عدة ملحوظات، ومن ثم تلخيصها فيما يلي:

- لا نجد من ضمنها سوى اسم عربي واحد، وهو "بو كندورة"، مفتي الجزائر، الذي عين في منصب ثالث نواب رئاسة المؤتمر، مما يبين بوضوح درجة الهيمنة الاستعمارية في المجتمع الجزائري، وأما حضور حوالي خمسين جزائرياً ما هو إلا دعاية سياسية لفرنسا الدولة المستعمرة.

- الهيمنة السياسية على المؤتمر، فاللجنة الشرفية تتكون في معظمها من السياسيين، ومن ضمنهم وزراء، إضافة إلى تدخل حاكم الجزائر الفرنسي، وتعيينه مندوبين خاصين له في المؤتمر.

- هيمنة المدرسة الاستشرافية الفرنسية على إدارة المؤتمر، إذ إن كل المعينين من الفرنسيين ومن مستشرقينهم. فما عدا الجزائري الوحيد، ومندوب المؤتمر بواشنطن، فكل البقية فرنسيون، سواء المقيمون منهم في الجزائر أو العاملون في فرنسا.

ب - أعمال المؤتمر ومساره العلمي:

انقسم المؤتمر إلى سبع لجان علمية، وهي:

الهند واللغات الآرية واللغات الهندية ^(١)	اللغات السامية ^(٢)
اللغات الإسلامية: عربية، تركية، فارسية ^(٣)	مصر؛ اللغات الإفريقية، مدغشقر ^(٤)
الشرق الأقصى ^(٥)	اليونان والشرق ^(٦)

(١) Ibid. - premiere partie - p. 4.

(٢) Ibid. - premiere partie - p. 6 .

(٣) Ibid. - premiere partie - p. 6 .

(٤) Ibid. - premiere partie - p. 7 .

(٥) Ibid. - premiere partie - p. 9 .

(٦) Ibid. - premiere partie - p. 10 .

نظمت أعمال المؤتمر على شاكلة لجان، وقد ركز اهتمامه على الدراسات اللغوية عموماً، والإسلامية منها بصفة خاصة^(٢)، وهي اللجنة التي كانت ثرية بالمحاضرات أكثر من غيرها من اللجان^(٣). ولتبيين نوعية الأبحاث التي عرضت، يمكن الاطلاع على ما عرض في لجنة الدراسات الإسلامية، كعينة، وذلك لارتباطها الوثيق بمنطقتنا^(٤).

ومع ذلك، لم يعمل بالبرنامج المعلن أساساً حرفياً كما خطط له، بل أضيفت له دراسات أخرى، ألفت أثناء انعقاد المؤتمر^(٥). وهذه الظاهرة تكاد تصحب كل مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية، بحيث إنه يأتي أصحاب البحوث ولم يكونوا قد أرسلوا دراساتهم، ويطلبون بإدراج مساهماتهم في القائمة. وقد ذكر مثل هذه الظاهرة الشيخ حمد الجاسر في مؤتمر باريس التاسع والعشرين، سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)^(٦)، ولمسته بنفسه في مؤتمر بودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، وقد مر أن مهام اللجنة الاستشارية البت في مثل هذا الأمر^(٧).

كما قدم الشيخ عبد العزيز جاويش، وكان ساعته أستاذاً يأكسford^(٨)، مداخلة نقد فيها آراء المستشرق "فولرس"^(٩)، متخلياً عن مساهمته الأصلية، والتي كانت

(١) Ibid. - premiere partie - p. 10 .

(٢) Ibid. - premiere partie - p. 11 .

(٣) Revue Africaine, publiée par la Société Historique Algérienne - 14eme Année - Vol 48 - Alger - 1904 - p. 199.

(٤) Actes du XIV^{eme} Congrès International des Orientalistes - Alger - 1905 - troisieme partie and troisieme partie (Suite).

(٥) جدول المساهمات تلك في الملحق رقم ٢٦ ص ١١٢٦ من البحث.

(٦) هذه الدراسات بالملحق رقم ٢٧ ص ١١٣٨ من البحث.

(٧) حمد الجاسر: "على هامش مؤتمر المستشرقين - أيام في باريس - ٢"، العرب اللجنة التنفيذية جزء ٨٧ - محرم وصفر سنة ١٣٩٤هـ/فبراير ومارس ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٨) تم الحديث عن ذلك ص ١٢٥ من البحث.

(٩) Ben Chenab, Mohammed: "III^{eme} Section: Langue Musulmane" - Revue Africaine - 49eme Année - Vol 49 - Alger 1905 - p. 320.

(١٠) ورد عنوان هذه الدراسة بالملحق رقم ٢٦ ص ١١٢٦ من البحث.

بعنوان "الإسلام ديانة فطرية، ودور المرأة المسلمة"^(١). ولعل الشيخ هذا هو الذي عناه أنور الجندي، ذاكرا إنه تصدى لتناول "قولرس"، على القرآن الكريم^(٢)، إذ إن مساهمة "قولرس" أحدثت ردة فعل غاضبة لدى المسلمين الحاضرين، حتى أنهم هموا بمغادرة قاعة المحاضرة، وطالب العديد منهم بترجمة المقالة تلك، حتى يمكنهم الرد عليها بالحجج القاطعة^(٣).

أما عن مسار المؤتمر العلمي، فقد انطلقت أعماله يوم الأربعاء التاسع عشر من إبريل، في التاسعة والنصف صباحا، بالجلسة الافتتاحية، ودامت ساعتين. أما أعمال اللجان، فابتدأت في اليوم نفسه مساء، ابتداء من الساعة الثالثة بعد الظهر. وعقدت يوم الخميس الموالي حصتان علميتان، صباحية ومساءية، ثم يوم السبت الثاني والعشرين، والثلاثاء الخامس والعشرين، حصة صباحية، وكذلك يوم الأربعاء السادس والعشرين عقدت جلسة صباحية للجنة الدراسات الهندية فقط، كما عقدت جلسة جماعية، وهي ندوة للمستشرق "رواني"، ألقى فيها محاضرة عن الموسيقى العربية^(٤).

أما الجلسة الجماعية الختامية، فكانت يوم الأربعاء السادس والعشرين من إبريل، في تمام التاسعة ونصف. وفيها تداول المؤتمر أمر اختيار مكان انعقاد المؤتمر القادم، واتفق على أن يكون بـ"كوبنهاجن"^(٥). ثم ناقش الجمع شأن طباعة أعمال المؤتمرات، وتقرر العود إلى الطباعة الشاملة للأعمال، بخلاف القرار الذي اتخذ في مؤتمر هامبورغ، الذي دعا إلى اختصار الوقائع^(٦)، وسيأتي تفصيل الحديث عن هذه النقطة^(٧).

(١) Ben Chenab, Mohammed: "IIIeme Section: Langue Musulmane" - Revue Africaine - 49eme Annee - Vol 49 - Alger 1905 - p. 320.

(٢) سبق ذكر كلام أنور الجندي في المقدمة ص ١١ في مقدمة البحث .

(٣) Ben Chenab, Mohammed: "IIIeme Section: Langue Musulmane" - Revue Africaine - 49eme Annee - Vol 49 - Alger 1905 - p. 320.

(٤) Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - p. 89.

(٥) Ibid. - premiere partie - p. 70 .

(٦) Ibid. - premiere partie - p. 71 .

(٧) سيأتي ذلك ص ٤٩٨ من البحث.

أما النقطة الثالثة، التي درستها الجلسة، فتتعلق بالبيبلوغرافيا الاستثنائية، وطالب المؤتمر الحكومات المساهمة في تحريرها، وعينت الجلسة اللجنة التي ستهتم بالتحرير والنشر^(١). كما درس مقترح طباعة مصنف الإدريسي، الذي أعده "سايبولد"^(٢)، وقدم رجاء يتمثل في تقديم مساهمات للطباعة التي تتم شيئا فشيئا^(٣). وبحث رجاء قدمته وزارة المستعمرات الفرنسية، وتتعلق بالبحث العلمي لأصول 'البهلس' Peuhls^(٤).

أما أيام الحادي والعشرين والثالث والعشرين والرابع والعشرين، فلم يذكر عنها شيء في أعمال المؤتمر، ولعلها كانت زيارات ورحلات وضيافات داخل الجزائر، على العادة في كل المؤتمرات.

ج - مميزات المؤتمر:

يمتاز مؤتمر الجزائر بأنه أول مؤتمر عقد خارج أوروبا، كما إنه أول مؤتمر يعقد في بلد شرقي، يمثل أحد موضوعات للمستشرقين الدراسية، كما إنه المؤتمر الذي تعمق أكثر من غيره من المؤتمرات السابقة والعديد من اللاحقة، في الدراسات العربية والإسلامية والإفريقية.

ورغم إنه عقد في بلد مسلم، إلا أن القائمين عليه مستشرقون مستعمرون، وهو ما لم يحصل في بقية المؤتمرات التي عقدت في الشرق، كما سيأتي، ولعل ظروف الجزائر الاستعمارية هي التي حتمت ذلك، وربما ما كان المؤتمر لينعقد في الجزائر، لو لم تكن مستعمرة، والحجة أن مصر طلبت مرات عدة استضافة المؤتمر، لكن طلباتها لم تلب.

حاول المستشرقون الذين يعيشون في الجزائر وسائر إفريقيا، أن يثبتوا أهميتهم وحقيقة تواجدهم، على الساحة الاستثنائية، حتى أنهم عارضوا بعض ما

(١) Actes du XIV^{eme} Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - p. 71.

(٢) Ibid. - premiere partie - p. 71 .

(٣) Ibid. - premiere partie - p. 71 - 72 .

(٤) Ibid. - premiere partie - p. 72 .

اتخذهُ أسلافهم من قرارات، مثل شأن طباعة أعمال المؤتمرات.
من جهة أخرى، نلمس تناقضات بين درجات أهمية المشاركات الإسلامية، ولاسيما الجزائرية منها، ففي حين يقف الشيخ عبد العزيز جاويز ليفند آراء جهابذة المستشرقين، لدرجة التتويه به^(١)، نجد شخصا آخر، يتقدم بمجرد قصيدة يمدح فيها المؤتمر ويكيل المديح لحاكم الجزائر، المستعمر "جونار"، لدرجة إنه يقول فيها:

"جونار ذاك الشهم من به ارتفعت جزائر وسما لها المقدار"^(٢).

كما أن الصبغة السياسية كانت مسيطرة على مسار المؤتمر، فنجد حاكم الجزائر هو الذي يعين اللجنة التنظيمية التي أعدت لانعقاد المؤتمر^(٣)، وهو الذي انعقد المؤتمر تحت رعايته، وابتدع منصبين في الإطار الإداري، وهما منصبان لم يوجدوا قبله ولا بعده. كما ترأس الجلسة الافتتاحية. أما الجلسة الختامية، فقد ترأسها وزير التتقيف الشعبي الفرنسي، الذي جاء لزيارة الجزائر، وحضور بعض فعاليات المؤتمر واختتامه.

تلك كانت فكرة عامة عن مؤتمر الجزائر، أول مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية، يعقد خارج أوروبا.

٢ - مؤتمر إستانبول:

انعقد المؤتمر هذا سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، وهو ثاني مؤتمر يعقد جلساته في دولة شرقية، تشغل حيزا كبيرا في دراسات المستشرقين، وهو المؤتمر

(١) من هؤلاء مثلا إسماعيل العربي، الكاتب الجزائري، الذي علق على نتيجة كلام "فوارس" فقال: "فضح الحاضرون لهذا القول ضجيجا، وثار ثائره لهذا المنكر من القول والזור، وفي مقدمتهم الشيخ عبد العزيز جاويز، ققام ورد ردا عنيفا على الأستاذ فوارس، ردا أخذ بمجامع قلوب الحاضرين...". ورد هذا في كتاب إسماعيل العربي: الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - الجزائر - المؤسسة الوطنية للكتاب - ١٩٨٧م - ص ٧٤. وقد سبقت الإشارة لرأي أنور الجندي، وستأتي الإشارة لرأي محمد بن شلاب.

(٢) Ibid. - premiere partie - p. 70. وكان قاضيا على تلمسان.

(٣) "Les Congres d'Avril 1905 a Alger ..." - 49eme Annee - Vol 49 - p14.

الثاني والعشرون، وانعقد في آخر عاصمة للخلافة الإسلامية حتى الآن.

حضر المؤتمر أربعة وعشرون وخمسمائة مؤتمر، من ضمنهم خمسة وتسعون من تركيا^(١). أما من الدول الإسلامية الأخرى، فقد حضر واحد من كل من الجزائر وإندونيسيا، واثنان من السودان، وثلاثة من العراق وأربعة من تونس وعشرة من لبنان وتسعة من باكستان، وأحد عشر من إيران، وستة عشر من مصر^(٢). أما الممثلون الرسميون من الدول الإسلامية، فهم واحد من كل من مصر ولبنان والسودان، واثنان من باكستان وثلاثة من تونس^(٣).

ومما يلفت الانتباه في هذا المؤتمر، تواجد كثافة عديدة إسرائيلية، بلغت خمسة عشر شخصا، منهم خمسة مندوبون عن الحكومة الإسرائيلية^(٤)، وهو ثلثي أكبر عدد من الحضور الشرقي بعد مصر. أما الدول الشرقية الأخرى، فقد أرسلت الهند ثلاثة عشر باحثا، أما اليابان فمثلها واحد فقط مندوبا عن الحكومة^(٥). أما الدول الغربية، فأكبر عدد ورد من ألمانيا، وبلغ ثلاثة وسبعين مستشقا، تليها بريطانيا بعدد ستين، وفرنسا خمسة وخمسين ثم إيطاليا اثنين وثلاثين، وبعدها الولايات المتحدة الأمريكية وعدد مشتركها أربعة وعشرون مستشقا، فيلجيا ثلاثة وعشرون، أما بقية الدول فيتراوح عدد المشتركين منها ما بين عشرة إلى شخص واحد فقط^(٦).

أ- نظام المؤتمر الإداري:

انعقد المؤتمر تحت رعاية رئيس الجمهورية التركية "جلال بيار"، وتكونت لجنة راعية رئيسها "عدنان مندريس"، رئيس الحكومة، ومن أعضائها وزير الشؤون الخارجية، ووزير التعليم ورؤساء جامعات إستانبول وأنقرة والتقنية،

(١) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istanbul - 1951 - Vol1 - p. 37.

(٢) Ibid. - Vol1 p. 37.

(٣) Ibid. - Vol1 p. 37.

(٤) Ibid. - Vol1 p. 37.

(٥) Ibid. - Vol1 p. 37.

(٦) Ibid. - Vol1 p. 37.

وحاكم إستانبول^(١). أما اللجنة الشرفية، فقد ضمت مجموعة من الشخصيات المعرفية المشهورة عالمياً، منهم طه حسين من مصر^(٢).

أما اللجنة التنظيمية فكانت على النحو التالي^(٣):

- الرئيس: زكي وليدي طوقان.

- نائب الرئيس: ضياء الدين فخري فنديكوجلو، وكورت بيقال.

- السكرتارية العامة، وبها كل من: بولات داوران، ودوزنت فاخر إز.

- الأعضاء: ألكيم بهادر، ورشيد رحمت أرات، سعد الدين بولوتش، وعفيف

إرزن، وكلهم من جامعة إستانبول.

كما تكون مجلس استشاري ضم ثمانية عشر عضواً، اجتمع اثنتي عشرة مرة، فيما بين الثاني والعشرين من ديسمبر ١٩٥٠م، حتى الثالث عشر من أغسطس ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)^(٤). وهذا المجلس هو الذي عين اللجنة الشرفية^(٥).

وضم مكتب اللجنة التنظيمية، فتكون من مجموعة من الشخصيات، وزعت مهامها بإحكام^(٦). أما رئاسة المؤتمر فوكلت لـ"زكي وليدي طوقان"، والسكرتارية العامة لـ"فاخر إز"^(٧). وتكونت اللجنة الاستشارية من مجموعة من الباحثين من جل أنحاء العالم^(٨).

ب - نظام المؤتمر العلمي:

أما أعمال المؤتمر ونظامه العلمي، فقد نظمت خمس عشرة لجنة، وانقسمت بعض اللجان إلى لجان فرعية، بلغت حد الأربع أحياناً، وعين لكل لجنة، ولجنة

(١) Ibid. - Vol1 p1.

(٢) Ibid. - Vol1 p1.

(٣) Ibid. - Vol1 p. 2.

(٤) Ibid. - Vol1 p2.

(٥) Ibid. - Vol1 p1.

(٦) Ibid. - Vol1 p. 3.

(٧) Ibid. - Vol1 p. 4.

(٨) Ibid. - Vol1 p. 4.

فرعية، رئيس لها. وجاء التقسيم والتعيين على النحو التالي^(١):

الشرق القديم	أناضوليا القديمة: * - الآثار، * - الفيلولوجيا،
الدراسات السامية	الدراسات الإسلامية: * - اللغة العربية وآدابها، * - التاريخ، * - الدين، * - المشكلات الاجتماعية
الشرق الأقصى: * - الصين واليابان، * - المالايو وإندونيسيا،	آسيا الوسطى
الدراسات التركية: * - التاريخ، * - فيلولوجيا، * - المشكلات الاجتماعية	الدراسات الهندية
الدراسات الإيرانية	نصارى الشرق
العهد القديم	الدراسات الإفريقية،
الدراسات المصرية	الدراسات البيزنطية الإسلامية
الفن الإسلامي: * - الفن الإسلامي، * - الفن التركي والفارسي	

الملاحظ في رؤساء اللجان هؤلاء، باستثناء علي أصغر حكمت الإيراني، الذي عين رئيساً للجنة الدراسات الإيرانية، وفؤاد البستاني، وهو نصراني شرقي، وعين رئيساً للجنة دراسة نصارى الشرق، فإن بقية اللجان أعطيت رئاستها كلها لمستشرقين، بينما كان من المؤمل أن يكون رؤساء اللجان شرقيين، أو على الأقل رؤساء اللجان المخصصة للدراسات الإسلامية والتركية، ولا سيما أن المؤتمر يعقد في بلد إسلامي شرقي، حتى ينتقي أمر احتكار الغربيين للهيمنة على قيادة هذه الدراسات، وتوجيهها حسب مرادهم. إلا أننا لا نرى ذلك، بل أعطيت تلك الرئاسة لمتخصصين غربيين.

(١) Ibid. - Vol1 pp. 4 - 5.

أما أعمال المؤتمر فقد تمت على شكل لجان. وانصب اهتمام المؤتمر الأساس على الدراسات التركية والأناضولية، وما يتعلق بها، ثم الدراسات الإسلامية، لارتباطها الوثيق بالدراسات التركية. وإذا أردنا التعرف على عينة من الدراسات التي قدمت في المؤتمر، في لجنة الدراسات الإسلامية، وما عرض فيها من أعمال، في لجائنها الأربع، فيمكن الاطلاع على ما قدم فيها من الدراسات، التي لم تعط لها عناوين، بل تعريفات قصيرة بموضوعاتها^(١).

ج - مميزات المؤتمر:

أما عن مميزات المؤتمر، فإن أهمها قيام إطار شرقي مسلم، بالإشراف عليه. فباستثناء اللجنة الاستشارية العالمية، التي اتخذت أصلاً صبغة عالمية، ورؤساء اللجان، فإن الإطار الإداري كله تركي. وقد نبين حسن الترتيب والتنظيم، وذلك بالدقة في توزيع المهام بتوكيل كل عضو من أعضاء اللجنة التنظيمية بمسؤولية خاصة به.

وإثر دعوة من مندوب اليونسكو "فأوتيري" Fawtier^(٢)، نقضي بمحاولة إيجاد منظمة عالمية توحد المستشرقين، وتعمل تحت إطار منظمة اليونسكو، أو بالتعاون معها، كي يمكن للمستشرقين الاستفادة من حصة من موارد اليونسكو المالية، يوظفونها لأعمالهم. نجح المؤتمر في تكوين إطار نواة وأساس لـ "اتحاد المستشرقين العالمي"، وقدمت عريضة حول قواعده العامة^(٣).

تباحث المؤتمر كذلك عملية إخراج دائرة معارف تتعلق بالعالم الناطق بالتركية، ولاسيما الفيلولوجيا والتاريخ التركي، واتخذت الخطوات اللازمة لذلك^(٤).

(١) يمكن الاطلاع عليها في الملحق رقم ٢٧ ص ١١٣٨ من البحث.

(٢) كلمة "فأوتيري" في المؤتمر، موجودة في

Fawtier (Address) - Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istanbul - 1951 - Vol1 - pp. 60 - 61 .

(٣) Ibid. - Vol1 pp129 - 137 and 207 - 208.

(٤) Ibid. - Vol1 pp. 137 - 138 and 208.

والأمر الثالث الذي تميز به المؤتمر ونجح فيه أيضا، لجنة ثالثة تكونت لتبحث تكوين هيئة من شأنها توحيد الأعمال العلمية المتعلقة بالدراسات الإسلامية، واستطاع هذه اللجنة إنشاء أساس لـ "اتحاد الشراكة العلمية للدراسات الإسلامية Union for Scientific Collaboration in Islamic Studies"، وحددت برنامجها العلمي^(١).

وعموما، تميز مؤتمر إستانبول بنجاحات عدة، على الصعيد الإداري والعلمي، وحتى الزيارات والمعارض التي أقيمت على هامش المؤتمر. وأثبت المؤتمر هذا قدرة الشرقيين بعامة، والمسلمين بخاصة، على قيادة تجمعات عالمية وإدارتها وتنظيمها، ولعل هذا ما شجع على انعقاد ثلاثة مؤتمرات أخرى في البلدان الشرقية.

أما النتائج الأخرى، التي خرج بها المؤتمر، فهي توصيات من عدة لجان دراسية، تتعلق بموضوعات خاصة بتلك الدراسات. ومن أبرزها، وصية اللجنة الثالثة باستحداث لجنة للدراسات اليهودية، انطلاقا من المؤتمر الموالي، وأن يتغير مسمى لجنة دراسة العهد القديم لتسمى "العهد القديم والدراسات اليهودية Old Testament and Jewish Studies"^(٢)، وأوصت اللجنة الرابعة بمزيد العمل في دائرة المعارف الإسلامية، حتى تكتمل في أسرع وقت ممكن، كما عبرت عن رضاها في مسارها حتى ذلك الوقت^(٣)، وأعلنت اللجنة الخامسة عشرة، والتي تدرس الفن الإسلامي، عن أملها في تذييل الصعوبات أمام المستشرق الصهيوني الإسرائيلي "ماير"، الذي بدأ بحثا عن سيرة الفنانين المسلمين ومسار الفن الإسلامي، حتى يكتمل عمله هذا، ليكون مرجعا عن سير الفنانين المسلمين^(٤). كما نادت بمساعدة المستشرق "شارلز كوانتز Charlz Kuentz"، مدير معهد الآثار الشرقية بالقاهرة، في مهمته المتمثلة في إعداد ببليوغرافيا

(١) Ibid. - VolI pp138 - 141 and pp. 208 - 209.

(٢) Ibid. - VolI p. 211.

(٣) Ibid. - VolI p. 211.

(٤) Ibid. - VolI pp. 211 - 212.

سنوية عن الفن والعمارة الإسلامية، وتوفير مواد البحث له، حتى تتحقق المهمة^(١).

ومن التوصيات أيضاً، اختيار معهد الدراسات التركية بإستنبول، ليكون مقراً للجنة العمل في الـ Grundriss^(٢) ومعهد الدراسات الإسلامية، بكلية الآداب والفنون، مقراً "لاتحاد الشراكة العلمية للدراسات الإسلامية"^(٣).
تلك كانت خلاصة موجزة عن مؤتمر إستانبول، وأعماله ومميزاته ونتائجه.

٣- مؤتمر نيودلهي:

انعقد هذا المؤتمر سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ). وهو ثاني مؤتمر يعقد خارج حدود أوروبا^(٤). وهو ثالث مؤتمر ينعقد في إحدى البلدان الشرقية، وأول مؤتمر ينعقد في آسيا. حضر جلسات المؤتمر سبعة وخمسون ومائة وألف، منهم سبعة وسبعون وخمسمائة، جاؤوا من خارج الحدود، والباقي ثمانون وخمسمائة، من داخل الهند. واظلب على حضور الجلسات من المجموع ثلاثة وثلاثون وألف، ينتمون إلى اثنين وخمسين بلداً^(٥). وبلغ عدد العناوين المقدمة للمساهمات، ما مجموعه اثنان وثمانون وثمانمائة عنواناً^(٦)، مما قرئ أو لم يقرأ. أما المندوبون فلم يذكر منهم إلا المندوبون عن المؤسسات، حضر من العالم الإسلامي منهم،

(١) Ibid. - Vol1 p. 212.

(٢) Ibid. - Vol1 p. 212.

(٣) Ibid. - Vol1 pp. 212 - 213.

(٤) نجد في وقائع أعمال المؤتمر أن "حميون كبير"، رئيس المؤتمر يقول إن هذه هي المرة الأولى التي يعقد فيها المؤتمر خارج أوروبا. ولعله نسي مؤتمر الجزائر، أو أنه اعتبر الجزائر امتداداً لفرنسا، أو لأن المؤتمر انعقد في فترة الاستعمار وسهر عليه مستعمرون. - Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 لكن تورمان يراون يصحح ذلك في المؤتمر نفسه، ولا أدري أقصد ذلك بسبب كلام حميون أم أنه تكلم سليقة، وقال إنه المؤتمر الثاني أو الثالث الذي يعقد خارج أوروبا، ونص على الجزائر وإستانبول.

Ibid. - Vol1. - p. 51

(٥) Ibid. - Vol1 - p34.

(٦) Ibid. - Vol1 - p34.

واحد من إندونيسيا، وإثنان من كل من أفغانستان والعراق وتونس، وأربعة من ماليزيا، وتسعة من الجمهورية العربية المتحدة، وخمسة عشر من إيران. وكما لاحظنا في مؤتمر إستانبول سابقاً، نجد هنا أيضاً وجوداً إسرائيلياً موسعاً، إذ بلغ عدد مندوبيها عشرة^(١). وشهد المؤتمر حضوراً مكثفاً للمندوبين الروس، ومن الولايات المتحدة، وبريطانيا والألمانيين وفرنسا^(٢). أما اهتمامات المؤتمر، فهي موجهة بالخصوص للدراسات الهندية، وقد انقسمت لجنة الدراسات الهندية إلى خمس لجان فرعية^(٣) كما سيأتي.

أ - نظام المؤتمر الإداري:

لم تذكر اللجان الراعية ولا الشرفية للمؤتمر. إنما تم الاكتفاء بذكر الإطار العام للمؤتمر، فكانت اللجنة التنظيمية على النحو التالي^(٤):

رئيس المؤتمر: حميون كبير.

السكرتير الإداري: جوش أ. ك. Ghosh A. K.

السكرتير الأكاديمي داتديكار ر. ن.

المحاسب: بادهي ر. ب. Padhi R. P.

السكرتير المساعد: كابيل فاتسيايانا Kapila Vatsyyayana.

وساعدتهم في ذلك أعضاء آخرون.

أما اللجنة الاستشارية العالمية فتكونت من مجموعة من الباحثين العالميين^(٥).

والملاحظ أن الإطار الإداري للمؤتمر، فكله من الهند، أما اللجنة الاستشارية، بما إنها عالمية، فقد ضمت مندوبين من كافة أنحاء العالم، وهي الملاحظة ذاتها عن مؤتمر إستانبول.

(١) Ibid. - Vol1 - p. 23.

(٢) المعلومات هذه في 31 - 12 - Vol1 - Ibid.

(٣) Ibid. - Vol1 - p. 37.

(٤) Ibid. - Vol1 - p. 11.

(٥) Ibid. - Vol1 - p. 36.

ب - نظام المؤتمر العلمي

انقسم المؤتمر إلى عشر لجان، تفرعت منها اللجنة السادسة المتعلقة بالدراسات الهندية، إلى خمس لجان فرعية. وهذه اللجان كانت كما يلي^(١):

الدراسات المصرية	الدراسات السامية
الدراسات الحثية والقوقازية	الدراسات الآطية وتضم تركيا
الدراسات الإيرانية	الدراسات الهندية: * — الدراسات الفيدية * — السنسكريتية القديمة * — ديانة وفلسفة * — تاريخ وثقافة * — اللغات الهندية الحديثة وعلم اللغويات
دراسات جنوب شرقي آسيا	دراسات شرقي آسيا
الدراسات الإسلامية	الدراسات الإفريقية

مما يلاحظ في الإطار الإداري للجان العلمية في المؤتمر ، إنه لم يرأس أي هندي أي واحدة منها، فيما كان كل السكرتاريين من الهند. كما إنه فيما جعل رئاسة اللجان ذات المسميات الجغرافية لأصيل من تلك المنطقة، عدا الهندية، نجده في المجالات الأخرى جعلها كلها لممثلين من متخصصين، كالدراسات السامية، والإسلامية، وفروع لجنة الدراسات الهندية.

أما عن مسار الدراسات، فتمت على شكل جلسات اللجان. وسيرا على المنوال المتبع، يمكن الاطلاع على عينة من الدراسات التي قدمت في المؤتمر، وذلك في لجنة الدراسات الإسلامية^(٢).

وإضافة إلى ما تم عرضه في لجنة الدراسات الإسلامية من أبحاث وقد وجدت دراسات أخرى قدمت للمؤتمر قصد تقديمها في اللجنة ذاتها، ولكنها لم تعرض في أثناء الجلسات لأسباب خاصة بالمؤتمر، كتأخرها عن الوقت المحدد

(١) Ibid. - Vol1 - p. 37 - 38.

(٢) Ibid. - Vol1 - p. 118 - 120.

والجدول الخاص بهذه الدراسات في الملحق رقم ٢٩ ص ١١٤٧ من البحث

نوصول المشاركات، أو لازدحام الدراسات في اللجان، أو غيرها من المعوقات. وقد بلغ عددها اثنتين وعشرين دراسة^(١).

ج - مميزات المؤتمر:

فيما يتعلق بمميزات المؤتمر، فأولها تتمثل في حضور عدد كثيف جلساته الدراسية، أكثر من نصف عددهم من الهند نفسها، وهو ما يعبر عن الصيت الذي لقيه المؤتمر في هذا البلد. كما امتاز بكثافة الدراسات التي قدمها شريقيون، ولاسيما من الهند نفسها. ولا عجب في ذلك، فإن مؤتمر الهند هذا، جاء بعد مؤتمر موسكو مباشرة الذي انعقد سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، وكان نقطة تحول في مسار المؤتمرات كما مر معنا^(٢). فقد حاول مؤتمر نيو دلهي جاهدا إظهار قيمة علماء الشرق المعرفية، وسعى بالتالي إلى تجسيد الجهود التي بذلت في مؤتمر موسكو عمليا، ومنه انطلقت الشخصية الشرقية تفرض نفسها على الساحة العلمية في المؤتمرات، حتى أنها تكاد تفوق دراساتها المقدمة عدد ما يقدمه الغربيون. أما ساعتها، فقد نتج عنه أن أحدث تدمرا لدى المستشرقين وبدؤوا بدعون للبحث عن معايير تقبل على أساسها مساهمات الشرقيين، ولاسيما فيما يخالف التوجه الفكري والمنهجي الغربي، وتجسد ذلك في محاضرة "فليوزا" في باريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، بمناسبة مئوية المؤتمرات خلال المؤتمر التاسع والعشرين^(٣).

وعلى شاكلة مؤتمر إستانبول، شهد مؤتمر نيو دلهي نجاحا كبيرا في الإدارة والتسيير، مما زاد من تقوية ثقة الشخصية الشرقية بنفسها، وبرهنتها على ذلك للآخرين، وبأهليتها لتحمل المسؤولية. ولذا، لم يلبث الأمر طويلا حتى تم اختيار إيران مكانا لانعقاد المؤتمر الحادي والثلاثين، فلما تعذر ذلك لاحقا، حوِّلت الوجهة لليابان، وهو بلد شرقي كذلك.

(١) Ibid. - Vol4 - p. 370.

(٢) سبق الحديث عنه ص ٢٠٠ من البحث وما بعدها.

(٣) مر الحديث عنها وتحليل كلام "فليوزا" ص ٢٠٤ من البحث وما بعدها.

ومن مميزات المؤتمر كذلك، وأهم نتائجه، إنه وكل إليه أمر القيام بمراجعة شاملة لنظام المؤتمرات العام. وقد تكونت لجنة تدارست الأمر، وتمكنت من الخروج ببنود نظامية جديدة، تسير عليها المؤتمرات لاحقاً^(١). وتعتبر أهم نتائجه وتوصياته، إضافة إلى اتخاذ قرارات وتوصيات أخرى على عادة المؤتمرات^(٢).

٤ - مؤتمر طوكيو-كيوتو:

انعقد هذا المؤتمر في مدينتي يابانيتين اثنتين، وهما العاصمة الحالية لليابان، طوكيو، والعاصمة التاريخية للإمبراطورية اليابانية، كيوتو. لكن المؤتمر اشتهر باسم مؤتمر طوكيو اختصاراً، وهذا ما سار عليه هذا البحث.

انعقد هذا المؤتمر في العام ١٩٨٣ م (١٤٠٣هـ)، وهو المؤتمر الحادي والثلاثون، وثاني مؤتمر يعقد في آسيا، والرابع الذي يفتح أعماله في بلد شرقي، وهو البلد الذي كان وراء فكرة الدعوة لانتعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية، وخصص له معظم أبحاث المؤتمر الأول سنة ١٨٧٣ م (١٢٩٠هـ):

هذا المؤتمر هو الثاني الذي انعقد تحت المسمى الجديد "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، والأخير الذي يحمل هذه التسمية بعد مؤتمر مكسيكو، الذي انعقد سنة ١٩٧٦ م (١٣٩٦هـ)، إذ اتخذ القرار في مؤتمر طوكيو بتغيير الاسم مرة أخرى^(٣).

حضر المؤتمر أكثر من ١٨٥٠ باحثاً، حسب القائمة المنشورة في وقائع أعمال المؤتمرات^(٤). وعلى غرار مؤتمر الهند، الذي ظهرت فيه أعداد كبيرة من الباحثين المحليين، شهد هذا المؤتمر أيضاً كثافة عديدة من الباحثين اليابانيين. كما أن أعداد القادمين من المنطقة الآسيوية، المجاورة لليابان، ككوريا والصين

(١) سبق للكلام عنها ص ٢٢٣ من البحث وما بعدها.

(٢) Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istambul - 1951 - Vol1 - pp. 60 - 61.

(٣) مر الحديث عن ذلك ص ٢١١ من البحث.

(٤) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - Vol1 - p. 42.

والمنطقة المالايوية والفلبين وغيرها، كانت هامة كذلك. وكانت كثافة مساهماتهم ملحوظة، ولاسيما الكوريين، بعد اليابانيين طبعاً، وكذلك الصينيين.

أ - نظام المؤتمر الإداري^(١):

انعقد المؤتمر تحت شرف رئاسة الأمير الياباني "ميكاسا تاكاهيتو" Mikaso Takahito.

- رئيس المؤتمر هو المستشار الياباني "ياماموتو تاتسورو" Yamamoto Tatsuro والذي كان رئيس اللجنة التنفيذية أيضاً.

- السكرتير العام هو "تاكاساكي جيكيكو" Takasaki Jikido.

والملاحظ أن هذا المؤتمر كون عشرة لجان، كل منها متخصصة في جانب تنظيمي معين، بطريقة محكمة، تدل على البراعة الإدارية، يمكن أن تتخذ إطاراً نموذجاً لحسن التسيير، وبالتالي تعددت المناصب الإدارية^(٢).
أما اللجنة الاستشارية العالمية، فتكونت من واحد وثلاثين عضواً عالمياً^(٣).

من هذا التوزيع، يتجلى إحكام التنظيم ودقته مرة أخرى، قصد إنجاح المؤتمر. ونلمس ذلك السعي منذ الوهلة الأولى التي طلب لليابان فيها عقد الدورة، بعد أن تعذر الأمر في إيران، فقد اشترطت تمديد فترة انتظار المؤتمر لمدة سنتين كاملتين، حتى يمكنها الاستعداد التام لاستقباله^(٤). وكان لا بد من الاستجابة لطلبها. ويبدو أن علماء اليابان المعنيين، أدركوا أهمية الفرصة هذه، ودقة الموقف، ولاسيما أن بلادهم سيضم بذلك نخبة كبيرة من أبرز المتخصصين في الدراسات الشرقية، وإنهم ربما سيضعون أمام محك اختبار. وبما أن لليابان صيتها على الصعيد التقني والتجاري والاقتصادي، وبسبب استثنائ هذا الجانب بالرفع من صيت اليابان، أمام التوجهات المعرفية الأخرى، ولاسيما الفكرية والإدارية، فهي

^(١) Ibid. - Vol1 - p. 5.

^(٢) Ibid. Vol1 - pp. 7-12.

^(٣) Ibid. - Vol1 - p. 6.

^(٤) Ibid. - Vol1 - p. 29.

فرصة لإبراز قدرات اليابانيين الإدارية والتنظيمية، إضافة إلى مقدرتهم العلمية والمعرفية. لذا، فقد تنوعت اللجان والمهام وتعددت، وانتظم أمر إدارتها بكل دقة. وكان أن جنت الدورة ثمار ذلك كله، إذ تم لها النجاح في الجانبين البشري والعلمي. ويعتبر هذا المؤتمر من أهم المؤتمرات التي عقدت على مدى تاريخها، ومنذ نقطة انطلاقها.

والملاحظة الأخرى، إنها على خلاف مؤتمرات الشرق الأخرى، فإن اليابانيين هم المهيمنون على الشؤون الإدارية كلها، وتولوا جل المهام التنظيمية. أما اهتمامات المؤتمر الرئيسة، فكانت الشؤون الآسيوية، ولاسيما الشرق الأقصى، وبدرجة ثانية، الموضوعات المعاصرة، التقنية والأدبية والاقتصادية.

ب - نظام المؤتمر العلمي:

تمت دراسات المؤتمر على شكل لجان علمية، وانقسم المؤتمر لذلك إلى

تسع عشرة لجنة، وكانت على النحو التالي:

المدينة فيما قبل العصور الحديثة ^(١)	دراسات في تاريخ المدن في غرب آسيا وجنوبها وجنوب شرقها ^(٢) ؛ * - تاريخ المدن في شرقي آسيا ^(٣)
الحكومات الملكية والتقاليد الاجتماعية الدينية في الشرق الأدنى القديم ^(٤)	انتشار البوذية والثقافة الهندية في آسيا ^(٥)
الكونفوشسية والطاوية في شرقي آسيا وجنوب آسيا ^(٦)	الحركات الدينية الإسلامية ^(٧)

(١) Ibid. - Vol1 - pp. 65 - 95.

(٢) Ibid. - Vol1 - pp. 66 - 80 .

(٣) Ibid. - Vol1 - pp. 81 - 95 .

(٤) Ibid. - Vol1 - pp. 97 - 116 .

(٥) Ibid. - Vol1 - pp. 117 - 243 .

(٦) Ibid. - Vol1 - pp. 245 - 274 .

(٧) Ibid. - Vol1 - pp. 275 - 313 .

تاريخ الشعوب الآلوية وثقافتها ولغاتها ^(١)	العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الشرق والغرب ^(٢) : * - الطرق البحرية ^(٣) ، * - الطرق البرية ^(٤)
المعادن الثمينة والنقود في المراكز المهنية في شرقي آسيا وجنوبها وجنوب شرقيها ^(٥)	العلوم التقليدية والتكنولوجيا ^(٦) : * - تاريخ العلم والتقنية المقارن، * - العلم والقنية في الإسلام، * - العلم والتقنية في الصين، * - العلم والتقنية في اليابان ^(٧) .
التقاليد الأدبية وتحولاتها ^(٨) : * - الأدب الياباني ^(٩) ، * - الأدب الصيني ^(١٠) ، * - الأدب الهندي ^(١١) ، * - الأدب في غرب القارة الآسيوية وجنوب شرقيها ^(١٢) ، * - الأدب المقارن بين اليابان والصين ^(١٣) .	العلاقات القائمة بين النص والمعنى في الفن (ومن ضمنها الفن المعماري والحرف) ^(١٤) : * - آسيا الشرقية (اليابان) ^(١٥) ، * - آسيا الشرقية (سيراميك وبرنز) ^(١٦) ، * - آسيا الشرقية (كوريا والإيقونات البوذية) ^(١٧) .

* آسيا الشرقية (الصين، توهوانج
Ibid. - Vol1 - pp. 341 - 362.

(2) Ibid. - Vol1 - pp. 363 - 434 .

(3) Ibid. - Vol1 - pp. 363 - 393 .

(4) Ibid. - Vol1 - pp. 393 - 434 .

(5) Ibid. - Vol1 - pp. 435 - 446 .

(6) Ibid. - Vol1 - pp. 447 - 485 .

(7) Ibid. - Vol1 - p. 447 .

(8) Ibid. - Vol1 - pp. 487 - 572 .

(9) Ibid. - Vol1 - pp. 489 - 580 .

(10) Ibid. - Vol1 - pp. 508 - 531 .

(11) Ibid. - Vol1 - pp. 531 - 551 .

(12) Ibid. - Vol1 - pp. 551 - 564 .

(13) Ibid. - Vol1 - pp. 564 - 572 .

(14) Ibid. - Vol1 - pp. 573 - 643 .

(15) Ibid. - Vol1 - pp. 581 - 593 .

(16) Ibid. - Vol1 - pp. 593 - 603 .

(17) Ibid. - Vol1 - pp. 603 - 609 .

<p>آسيا الشرقية (الصين، توهوانج وترفان)^(١)، * - آسيا الشرقية (الصين)^(٢)، * - جنوب آسيا وجنوب شرقيةا (الهند، تايلند، ماليزيا)^(٣)، - "غرب آسيا والساحل الشرقي من البحر الأبيض المتوسط"^(٤).</p>	
<p>الأدوار التي لعبها المتقنون في القانون والسياسات^(٥)</p>	<p>العلاقات التقليدية والعلاقات القائمة بين الثقافات في الموسيقى والرقص والمسرح^(٦): * - الموسيقى^(٧)، * - الرقص^(٨)، * - المسرح^(٩)، * - فلكلور النكوين الفني^(١٠)، * - Noh and Kyogen^(١١).</p>
<p>دور الاقتصاديات في الدراسات الآسيوية والإفريقية^(١٢): * - النظام الاقتصادي في المؤسسات التقليدية - مهامها في آسيا وإفريقيا في العصر</p>	<p>التطور الاقتصادي والصراعات الثقافية^(١٣): * - التطور التقني والتحويل الثقافي^(١٤)، * - التعاون الاقتصادي والصراع الثقافي^(١٥)، * - الأنشطة</p>

(١) Ibid. - Vol1 - pp. 609 - 614 .

(٢) Ibid. - Vol1 - pp. 614 - 625 .

(٣) Ibid. - Vol1 - pp. 625 - 630 .

(٤) Ibid. - Vol1 - pp. 630 - 643 .

(٥) Ibid. - Vol2 - pp. 645 - 692 .

(٦) Ibid. - Vol2 - pp. 646 - 663 .

(٧) Ibid. - Vol2 - pp. 663 - 667 .

(٨) Ibid. - Vol2 - pp. 667 - 672 .

(٩) Ibid. - Vol2 - pp. 672 - 682 .

(١٠) Ibid. - Vol2 - pp. 683 - 692 .

(١١) Ibid. - Vol2 - pp. 693 - 737 .

(١٢) Ibid. - Vol2 - pp. 739 - 778

(١٣) Ibid. - Vol2 - pp. 743 - 766 .

(١٤) Ibid. - Vol2 - pp. 766 - 770 .

الاقتصادية في الأوضاع العرقية المتعددة ^(١) .	الحاضر ^(٢) ، * - التغيير الحديث في المؤسسات التقليدية - التصنيع، التمدن، المقاولات والبناء القومي ^(٣) .
الصلات اللغوية والثقافية بين الشرق وشعوب جنوب شرقي آسيا ^(٤) :	التاريخ العرقي ومشكلات الهوية في جنوب شرقي آسيا ^(٥) .
التحولات الاجتماعية والدينية في آسيا ^(٦)	التمثيل المسرحي في ظل التطور السياسي في آسيا وإفريقيا ^(٧)

إضافة إلى اللجان العلمية هذه، انعقدت عدة ندوات وحلقات دراسية^(٨). أولى الملاحظات حول هذا المسار العلمي الدراسي، أن جل الموضوعات تهتم بقضايا حضرية وحيوية، ولاسيما الجانبين الاقتصادي والثقافي وأثره في المجتمعات. ومثل هذه القضايا، سعى المستشرقون إلى إحلالها مكان اللجان التقليدية، ولاسيما انطلاقاً من المؤتمر التاسع والعشرين، ونجح في ذلك، لكن الأمر لم يدم طويلاً، فبعد مؤتمر همبورغ الذي يأتي مباشرة بعد مؤتمر طوكيو، وذلك سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، مزج بين القديم والحديث. ولا يتضح الأمر مع المؤتمرين اللاحقين، إلا أن المؤتمر السادس والثلاثين ببودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، كانت له عودة شبه كاملة للطريقة العتيقة، وهو المؤتمر الأخير إلى حد الآن، وذلك من حيث تسمية اللجان. أما الدراسات، ففيها مزج بين القديم والقضايا الحيوية.

(١) Ibid. - Vol2 - pp. 770 - 778.

(٢) Ibid. - Vol2 - pp. 779 - 780.

(٣) Ibid. - Vol2 - pp. 780 - 793.

(٤) Ibid. - Vol2 - pp. 793 - 800.

(٥) Ibid. - Vol2 - pp. 801 - 835.

(٦) Ibid. - Vol2 - pp. 837 - 855.

(٧) Ibid. - Vol2 - pp. 857 - 889.

(٨) Ibid. - Vol2 - pp. 891 - 906.

(٩) تم ذلك في ص ٢٩٧ من البحث وما بعدها.

الملاحظة الأخرى، هي تولي يابانيين، من أصيلي البلد، رئاسة جميع اللجان، وهو ما لم نشاهده في المؤتمرات الشرقية الأخرى، بل ولا حتى في البلدان العالمية الأخرى، إذ نادرًا ما يستأثر أهل بلد واحد برئاسة اللجان العلمية، انطلاقًا من المؤتمر الأول، وعادة ما يكون المستشرق المشهور بأنه أبرز المتخصصين في الميدان المذكور هو رئيس اللجنة. لكن هنا نجد أن كل الرؤساء من اليابانيين، وقد سبق الحديث إنه تبين أن اليابانيين كونوا متخصصين في جل الميادين الاستشرافية، ولعل هذا دليل آخر على مسار المدرسة اليابانية الاستشرافية.

ولتقديم عينة عما قدم عن الشرق من دراسات، وكما تم مع المؤتمرات الشرقية السابقة، يمكن الاطلاع على ما تم عرضه في اللجنة الخامسة، عن الفرق الإسلامية، إذ هي اللجنة الوحيدة التي تخصصت في الدراسات الإسلامية^(١).

كما أقامت اللجنة ندوة حوارية حول "الحقبة المعاصرة للتطرف الإسلامي The Current Phase of Islamic Radicalism"^(٢) وأقيمت فيها الدراسات

التالية:

الأصولية الإسلامية - مثال الثورة الإسلامية الإيرانية - .	Islamic Fundamentalism – The case of the Iranian Islamic revolution - ⁽³⁾	كاجايا هيروشي Kagaya Hiroshi
النهضة الإسلامية - مقارنة تتركز على إيران ومصر .	Islamic Revivalism – A comparison Stressing Iran and Egypt ⁽⁴⁾ .	نكي كدي Keddi, Nikki
الانبعث الإسلامي في باكستان المعاصرة .	Islamic Resurgence in contemporary Pakistan ⁽⁵⁾ .	نعيم قرشي

(١) هذه المساهمات في الملحق رقم ٣٠ ص ١١٥٧ من البحث.

(2) Ibid. - Vol1 - pp. 306 - 311.

(3) Ibid. - Vol1 - pp. 306 - 308 .

(4) Ibid. - Vol1 - pp. 308 - 309.

(5) Ibid. - Vol1 - pp. 309 - 311.

والملاحظ حول هذه الدراسات، أن التي أُنْغِيت في اللجان، تتعلق في عمومها بقضايا تاريخية قديمة، واتجاهات عصرية، ولاسيما ما يتعلق منها بالفرق والحركات المتواجدة حديثاً، أو التي تعيد تنظيم نفسها، أو التي تنبعث من جديد، فيما ركزت الندوة على قضايا حيوية عصرية، تهم الشرق والغرب، وتتماشى مع التيار الاستشراقي الذي دعت المؤتمرات المتأخرة لانتهاجه، لمواكبة التوجهات على الساحة الاستشراقية الحديثة.

تلك هي نوعية الدراسات الإسلامية التي عرضت في المؤتمر هذا، في لجنة الحركات الدينية الإسلامية.

ج - مميزات المؤتمر:

أما عن مميزات المؤتمر، فإنه، وكما مر معنا، يعتبر من أهم المؤتمرات التي انعقدت منذ نشأتها. فلقد كان ثرياً بالأعداد البشرية التي شهدته، وبعدد اللجان التي انقسم إليها، والمحاضرات والندوات التي عرضت فيه، وكذلك دقة تنظيمه وإحكامه. كما تميز بكثرة المشاركات اليابانية، والبلدان المجاورة لليابان، ككوريا والصين ودول جنوب شرقي آسيا. فقد كانت فرصة لهم لإظهار الدرجة العالية لتقافتهم المعرفية.

من الخصائص التي انفرد بها هذا المؤتمر أيضاً، تركيزه على الناحيتين الاقتصادية والثقافية وتأثيرها في المجتمعات. وهذا يعود لطبيعة البلد الذي تغلب عليه الناحية الاقتصادية، إذ هي قوة البلد ومعجزته في القرن العشرين بصفة خاصة، نافس بها أكبر الدول الاقتصادية، وسبب لها العديد من المشكلات. وبالقوة التي رمت اليابان نفسها فيها في الاقتصاد، هيأت لنفسها منهجية ثقافية لا تقل قدرة عن قوتها الاقتصادية، إلا إنها لم تظهر مثلها لغلبة الجانب المادي للعصر على الناحية الثقافية. ومن هنا جعلت جل اللجان تبحث في الناحيتين هاتين، لما لهما من أهمية في اليابان، دون إهمال أهمية الجوانب الأخرى من دراسات المؤتمر .

ومن نتائج المؤتمر الهامة، إعادة النظر في نظامه العام، وقيامه بتحويلات عليه، واعتماد تلك التغييرات، إضافة إلى تباحثه مسمى المؤتمر، وتقرر تغيير

اسمه مرة ثانية، من "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا" إلى "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا"^(١)، ولا يزال المؤتمر يسير وفق تلك التحويلات، ولا يزال يحمل الاسم نفسه، وهو مرة أخرى دليل على مقدرة الشرقيين على الإدارة والتنظيم والتسيير، وحتى إحداث تطوير وتحوير على التنظيم العام. ولعل هذا ما شجع على الموافقة على انعقاد المؤتمر مرة أخرى في الشرق.

٥ - مؤتمر هونج-كونج:

حتى كتابة هذا البحث، لم تصدر وقائع أعمال المؤتمر. وقد سألت رئيسه الذي حضر مؤتمر بودابست صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، عن ذلك فأجاب بأن التكاليف المادية أخرت طباعته، وإنه لم يصدر بعد، ولا يعرف متى سيكون ذلك. ولذا لم يكن من الممكن الحصول إلا على معلومات يسيرة جدا عنه. انعقد المؤتمر هذا^(٢) في أغسطس من العام ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، وهو يحمل الاسم الحديث الذي اختير في مؤتمر اليابان، وهو الثالث الذي يعقد في آسيا، والخامس الذي يعقد في بلد شرقي. وفي تلك السنة، بلغت المؤتمرات عشرين ومائة سنة على نشأتها. وانعقد في جامعة "هونج كونج"، التي كانت تحتفل آنذاك بمرور ثمانين سنة على تشييدها. وناهز عدد الحضور مائتين وألف باحث، قتموا من سبعة وستين بلدا، وعرضت فيه أكثر من أربعمئة دراسة^(٣). وجهت اهتمامات المؤتمر، إلى الدراسات الكلاسيكية بصفة خاصة، إضافة إلى دراسة الشرق وشمال إفريقيا، ماضيها وحاضرها، والحضارتين الإسلامية والنصرانية. كما اعتنى بالدراسات الصينية والتاوانية والكورية والفلبينية^(٤).

(١) مر تحليل هذه النقطة ص ٢١١ من البحث.

(٢) Julia L. Y. Chan: International Association of Orientalists Librarians, Ninth General Meetings at The 34 ICANAS, 24-25 August 1993 - Hong Kong (Proceeding) - "Welcome Address - Prof. Chiu Ling-Yong, Presedent of the 34 ICANAS" - pp. xvii - xviii .

(٣) Ibid. - p. xvii .

(٤) Ibid. - p. xvii .

انعقد هذا المؤتمر تحت رعاية حاكم "هونغ كونج"، "السورد ولسن أوف تليرون Lord Wilson of Tillyron"، ونائبه "كريستوفر باتن Christopher Patten"^(١). أما رئاسة المؤتمر فكانت لـ "سيو لنج-يونج Chieu Ling-Yong"^(٢).

اعتبر المؤتمر هذا فرصة أخرى للأسويين كي يثبتوا تواجدهم ويظهروا قدراتهم، وسط متغيرات عالمية كبرى، لا غنى لهم عن مواكبتها، وشق طريقهم وسطها^(٣).

هذا ما أمكن الحصول عليه من معلومات حول مؤتمر "هونغ كونج". لكن يمكن استنتاج بعض الأمور منها. فالعدد البشري الذي حضر المؤتمر هام جداً، إذا ما قورن بمؤتمر الجزائر مثلاً، مما يعني أن المؤتمر كان نشيطاً وشهد تظاهرة ثقافية هامة، بدليل عدد المساهمات المرتفع.

وببدو أن المؤتمر عاد للطريقة القديمة في العمل، وهو ما يؤكد رئيسه، إذ يرى أن انطلاقة المؤتمرات كان في زمن يبحث فيه المستشرقون عن معرفة عدد أكبر من اللغات الميته، ويرى أن هذا التقليد يجب أن يتواصل عمله ويأخذ حيزاً كبيراً ضمن الدراسات الشرقية^(٤).

تلك هي السمات العامة لمؤتمرات المستشرقين العالمية التي انعقدت في البلدان الشرقية، بعد أن تم تناول دور الشرقيين في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وأثرهم في دراساتها، ورغم إنها متنوعة التوجهات الوطنية والفكرية والسياسية والثقافية، فإنها مع ذلك تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والتطويع والتأطير والتكثيف، ولاسيما أن المؤتمرات الأخيرة تحوي مساهمات شرقية أكثر وأغنى مما كانت عليه الحال أوائل العهد بها.

(١) Ibid. - p. xviii .

(٢) Ibid. - p. xvii.

(٣) ورد هذا على لسان وكيل جامعة هونغ كونج في: Ibid. - Welcome Address - Professor :

Wang Gungwu , vice Chancellor - University of Hong Kong - p. xxii .

(٤) Ibid. - Welcome Address - Prof. Chiu Ling-Yong - p. xvii .

الباب الثالث: الأطوار التي مرت بها مؤتمرات المستشرقين العالمية

الفصل الأول: مؤتمرات المستشرقين
العالمية من نشأتها وحتى الحرب
العالمية الأولى

الفصل الثاني: مؤتمرات المستشرقين
العالمية في فترة ما بين الحربين
العالميتين

الفصل الثالث: مؤتمرات المستشرقين
العالمية من بعد الحرب العالمية الثانية
حتى مؤتمر ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

الفصل الرابع: مؤتمرات المستشرقين
العالمية بعد ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

الباب الثالث: الأطوار التي مرت بها مؤتمرات المستشرقين العالمية

مدخل:

انطلقت المؤتمرات منذ العام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ). وعقد منها حتى ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، خمسة وثلاثون مؤتمراً. إلا أن هذه المؤتمرات لم تمض على وتيرة واحدة، بل مرت بفترات عدة، تميزت كل منها بخصائص معينة. فالمعلوم أن الاستشراق يعد من العلوم الاجتماعية والإنسانية، وبالتالي فهو متأثر بالواقع والأحداث الإنسانية والبشرية، وكذلك كانت المؤتمرات. فهذه الأخيرة أثرت فيها الأحداث العالمية والاجتماعية بصفة خاصة. وبالتالي مرت بمراحل عديدة، يمكن إجمالها في أربع مراحل:

١- المرحلة الأولى: وتبدأ من انطلاق المؤتمرات سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حتى الحرب العالمية الأولى عقد في هذا الطور ستة عشر مؤتمراً، تأثرت المؤتمرات فيها بالصراعات الداخلية الأوروبية والحملات القومية الغربية، والتي ظهرت في ثانيا أحداث المؤتمرات. ولم تشهد المؤتمرات استقراراً عاماً في توجهاتها ولاسيما أنظمتها ولجانها الإدارية منها والعلمية. أما الدراسات العلمية، فبقيت مرتبطة بتيار البحوث الاستشراقية التي كانت سائدة حتى ذلك الوقت، وهو ما يسميه المستشرقون بالاستشراق القديم الذي يهتم بالفيلولوجيا والدراسات التاريخية والعمل الموسوعي.

امتازت هذه الفترة إذن، بالحركية الدائبة التي جعلت المؤتمرات تشهد تحولات متلاحقة، فيكاد يظهر الجديد من المقترحات والتحويلات في كل مؤتمر. وحتى المؤتمر السادس عشر نفسه، وهو آخر مؤتمرات هذه الحقبة، كان قد طوح بموضوع تحويل نظام المؤتمرات. إلا أن الأحداث الخارجية كانت أقوى تأثيراً من التحركات الداخلية في المؤتمرات، وأوقفت الحرب العالمية الأولى مسارها.

٢- المرحلة الثانية، وهي فترة ما بين الحربين، من سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وحتى سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ). انطلق أول مؤتمر في هذه

المرحلة بأكسفورد، سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وعقد فيها أربعة مؤتمرات فقط. كان هم المستشرقين في هذه الحقبة إعادة انطلاق نشاط المؤتمرات، الذي تأخر كثيرا، إذ كان آخر مؤتمر انعقد في الحقبة الماضية سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ). وبالتالي فإن الفترة الفاصلة، كانت ست عشرة سنة. وفيما شهد المسار العام للمؤتمرات استقرارا بحيث خفت المنافسات الداخلية في المؤتمرات، إلا أن الأحداث الخارجية كان لها آثار عميقة في المؤتمرات، فقد سيطرت البحوث اليهودية والصهيونية على كافة مؤتمرات هذه الحقبة، وهذه السنوات شهدت أحداثا متلاحقة في فلسطين، وتقاطر الصهاينة يؤمنون القدس، ولاسيما بعد وعد بلفور، فيما قام الشعب الفلسطيني بحركات رد فعل. كما أن الحقبة شهدت تملل الدول المحتلة للتخلص من نير الاستعمار، وظهر الاستعمار الياباني بصفة قوية. أما القضية الكبرى فهي ظهور المد الشيوعي الذي حاولت الدول الغربية جاهدة محاصرته في مهده. كل هذه الأحداث ظهرت آثارها في المؤتمرات ودراساتها.

هدأت إذن حركة المؤتمرات في هذه الحقبة، وشهدت انتظاما في أنظمتها واتجاهاتها. كما كانت العزيمة القوية من المستشرقين قصيد إعادة المؤتمرات لانضمامها متكاتف، لدرجة أن ألمانيا المهزومة في الحرب العالمية الأولى، شاركت بأكبر عدد من المندوبين والممثلين، وكانت مساهمتها بنفس القدر والحماس الذي جاء به بقية المستشرقين، الذين قدموا من كافة أنحاء العالم.

إلا أن الأحداث الخارجية الكبرى ما لبثت أن أثرت في مسار المؤتمرات. فما إن شهدت المؤتمرات استقرارا عاما في انطلاقها، حتى جاءت الحرب العالمية الثانية لتوقف مسارها، وقطعت الجهود المتكاثفة التي بذلها المستشرقون بالسير بالمؤتمرات بعيدا عن الخصومات السياسية في أوروبا.

٣- المرحلة الثالثة: ابتدأت هذه المرحلة بالمؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، حتى المؤتمر التاسع والعشرين سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، وعقد في هذه الحقبة تسعة مؤتمرات. فقد تمكنت المؤتمرات من العودة للاتقاد بعد عشر سنوات فقط من توقفها سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ). وكان للظروف المحيطة أثرها في هذه العودة السريعة، فبينما واجهت أوروبا تحديات صعبة بعد الحرب العالمية الأولى، لاعتمادها على ذاتها ومستمراتها من أجل إعادة بناء نفسها، نجدها بعد الحرب العالمية الثانية اعتمدت كليا على الولايات

المتحدة الأمريكية، التي ساعدتها على إعادة البناء، مما طور اقتصاد أوروبا بسرعة فائقة. وبما أن المؤتمرات متأثرة دوماً بما يحيط بها فإن سرعة عودتها كانت مرتبطة بسرعة عودة الهدوء إلى أوروبا، ولا سيما الاستقرار الاقتصادي.

تميزت هذه الحقبة بانتشار الوعي العام، ولا سيما في الدول المحتلة، التي بدأت تستقل الواحدة تلو الأخرى، وعرفت الخبايا الاستشراقية، ولا سيما المستشرق الجاسوس والعميل والخبير السياسي والعسكري، وبانت للعالَم صورة العلاقة القائمة بين الاستشراق والاستعمار والسياسة. وكان للأثر السياسي العام دوره في هذا التوجه، وظهر ذلك واضحاً خلال المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، حيث وقع خصام قوي بين طرفي الاستشراق الشيوعي والإمبريالي، كان الانتصار فيه للشق الشيوعي، الذي استغل نفوذه على المؤتمر كي يضم في صفه الطوائف الشرقية، وأدخل بقية المستشرقين في شبه عزلة، ثم كان أثر مؤتمر نيو دلهي اللاحق لمؤتمر موسكو، وكان انعقاده سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، وواصل الشرقيون إثبات قوتهم، وطرحوا عدة موضوعات وأصدروا عدة قرارات حيوية، أهمها ضرورة تغيير نظام المؤتمرات. هذه الأمور أثرت في سمعة الاستشراق، حتى لدى المستشرقين أنفسهم، الذين سعوا في هذه الفترة للدفاع عن أنفسهم وعلومهم وأبحاثهم، والتبرؤ من الاستشراق الذي صنفوه قديماً، بل رفضوا حتى كلمة مستشرق، وقد لمست ذلك بنفسه في مقابلات لي مع مستشرقين ألمان، سبق ذكرهم^(١). وإنما يسمون أنفسهم متخصصين في علم كذا ولا يقبلون كلمة "مستشرق"، فيقول أحدهم مثلاً: أنا متخصص في الدراسات الإسلامية، والآخر يرى نفسه متخصصاً في الدراسات العربية... وهكذا. وكذلك كانت المؤتمرات. فقد انزلت في التيارات السياسية، ولا سيما الاستعمارية، وبدأ التملل من مسماها ونظامها، فسعت أولاً لتحوير نظامها العام، سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، بأن آرپور، وما إن عاد المؤتمر لأوروبا، خلال المؤتمر التاسع والعشرين، حتى تقرر تغيير مسمى المؤتمر نفسه في المؤتمر التاسع والعشرين ببائرس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، وانطلاقاً من المؤتمر الثلاثين دخلت المؤتمرات الطور الرابع، حاملة اسماً جديداً.

(١) ورد ذلك ص ١١ من الرسالة.

٤- المرحلة الرابعة: انطلقت هذه المرحلة من المؤتمر الثلاثين الذي انعقد في مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، ولا زالت متواصلة حتى الوقت الحاضر. والدافع لإبراز هذه المرحلة ليس توقف الحرب وأنماط خاصة من المؤثرات العامة، بل يكاد يكون نمطا وحيدا ثقافيا بصفة خاصة، وهو السمعة السيئة التي واجهت المستشرقين ومؤتمراتهم. ومن هنا، سعى المستشرقون لمحاولة تحسين صورتهم وتلميع مؤتمراتهم باتخاذ إجراءات تحسينية، لتغيير النظرة المصوبة نحوهم. ومن هذا المنطلق، تغير مسمى 'مؤتمرات المستشرقين العالمية'، في هذه الفترة مرتين، فالاسم الجديد الأول كان 'المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa'، وعقد تحته مؤتمران فقط، الثلاثون سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ) بمكسيكو، والحادي والثلاثون بطوكيو-كيوتو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ). وفي هذا المؤتمر تقرر تحويل مسمى المؤتمر مرة أخرى، ليصبح 'المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا International Congress for Asian and North African Studies'، وعقد تحت المسمى هذا أربعة مؤتمرات إلى حد الآن.

ومن الملاحظات التي تؤخذ من هذه الفترة، أن أربعة مؤتمرات من ستة، عقدت خارج أوروبا، كما أن المؤتمر السادس والثلاثين الذي تقرر انعقاده في العام ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ)، سيكون في 'مونتريال' بكندا. وهي نقلة كبرى في مسار المؤتمرات، إذا علمنا أن في الفترتين الأولى والثانية، لم تخرج المؤتمرات من أوروبا رغم الطلبات المقدمة، هذا إذا ما استثنينا المؤتمر الرابع عشر الذي عقد بالجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)^(١). أما المرحلة الثالثة، فقد غادرت المؤتمرات أوروبا أربع مرات، لكل من تركيا والهند والولايات المتحدة وأستراليا. وإذا عدنا الأخيرين امتدادا للغرب، فإن المؤتمرات لا تكون خرجت من الغرب سوى مرتين فقط.

شهدت البحوث العلمية في هذه الحقبة نوعا من التجديد، إذ سعت المؤتمرات

(١) كانت النظرية الفرنسية آنذاك تعد الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا.

إلى طرح موضوعات معاصرة، تعبر عن مشكلات في آسيا وشمال إفريقيا، بل وإفريقيا ككل أحياناً، كالقضايا المتعلقة بالبترول واللاجئين وغيرها، مع أنها كانت تتفاوت من حيث الموضوعات من بلد إلى آخر. ففيما ركز المؤتمر الذي انعقد في مكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، على موضوعات جلها معاصرة وحيوية، اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، نلاحظ أن المؤتمر الثاني والثلاثين المنعقد بهمبرغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، عاد إلى بحث موضوعات اجتماعية وسياسية ذات تأثير عام في أوروبا، كقضايا الحركات الإسلامية وغيرها، من جهة أخرى، ظهر تطوير جديد، أصبح التركيز عليه هاماً جداً، ألا وهو اعتماد الندوات العلمية كأساس مهم في الأبحاث العلمية في المؤتمرات. فقد أثبتت وجودها بقوة، وأصبح الاهتمام بها لا يقل عن الاهتمام بالجلسات العلمية.

تلك هي الأسس العامة للمراحل التي مرت بها المؤتمرات، وهي التي سيتم تحليلها في هذا الباب، وفيه تسليط الضوء على سمات المؤتمرات في كل حقبة، والمؤثرات الخارجية العامة عليها، ومساراتها الإدارية والعلمية، والتطورات التي أحدثت عليها.

**الفصل الأول: مؤتمرات المستشرقين العالمية
من نشأتها وحتى الحرب العالمية الأولى**

المبحث الأول: مسار المؤتمرات الإداري وتطوره
المبحث الثاني: مسار المؤتمرات العلمي وتطوره

الفصل الأول: مؤتمرات المستشرقين العالمية من نشأتها وحتى الحرب العالمية الأولى

توطئة:

تعد هذه الفترة، حقبة التأسيس والسعي نحو الاستقرار. وحاول القائمون على المؤتمرات تجاوز العقبات التي اعترضت سبيلها، فكان النجاح أحيانا، والفشل في أحيان أخرى. ومع ذلك، تركت مؤثرات عدة، بصماتها في مسار المؤتمرات وتطورها، ولاسيما الجانب السياسي، وليس أدل على ذلك من إجبار المؤتمرات على التوقف فترتين زمنيتين. هذه الحقبة شهدت تحولات عدة، وتأثيرات واسعة على مسار المؤتمرات وتطورها. وقبل الدخول في تحليل ذلك، يجدر إلقاء بسطة مختصرة هاهنا، عن الحالة العالمية، التي انعقدت فيها هذه المؤتمرات.

تميزت هذه الفترة بتحولات سريعة، في ميادين مختلفة، أثرت في المسار العالمي ونشاطاته. ففي الجانب المعرفي، تميزت الحقبة هذه بكترة المخترعات، ولاسيما النقل والمواصلات والاتصالات، وأهمها القطار والطائرة والتللكس ثم الهاتف. وكان لاكتشاف الكهرباء منافعها التي لا تحصى، وأثره البالغ في ازدياد أنشطة البحث والمعرفة.

وعرف العصر بعصر الفولاذ، واستفيد منه في جل الميادين، ولاسيما الأسلحة البرية والبحرية والجوية. كما نمت الصناعات واحتدمت في الوقت نفسه المنافسة الاقتصادية، بين الدول الأوروبية الكبرى، ويرجع ذلك إلى الصعوبات والعراقيل التي اعترضت سياساتها التوسعية. وظهرت بالتالي أزمات اقتصادية عدة، ولاسيما الركود الفلاحي، والحاجة إلى الحصول على الخامات والمواد الأولية، الفلاحية والصناعية. ونتج عن هذا التنافس المحموم انتشار النزعات القومية والوطنية، وهوس سباق التسلح، ونمت ذلك وقوته وسائل الدعاية والإعلام، وانعدمت الثقة حتى بين القادة السياسيين، أنفسهم، وقوي الاعتقاد بأن البلد الذي يفرض احترامه على الآخرين، هو البلد المدجج بالسلاح مع نبض الروح العسكرية في شعبه. وكثرت التحالفات وتنوعت، واحتدمت الصراعات

الاقتصادية والتجارية، وتوجهت معظم ميزانيات الدول نحو التسليح العسكري. انتشرت كذلك ظاهرة النقابات والدعوة إلى حقوق العمال، وامتدت ظاهرة الإضرابات، انتعم جل بلدان أوروبا وأمريكا الشمالية، وبالتالي، صاحب الصراع الخارجي لجل البلدان صراع داخلي وانشقاق اجتماعي وسياسي مريع في أغلب الأحيان.

إلى جانب النقابات، شهدت الاشتراكية نجاحاً مشهوداً، وحقت مكاسب جوهرية، حتى أضحت الشغل الشاغل لأمريكا وأوروبا الغزو الماركسي، ولاسيما بعد النجاحات التي حققتها في روسيا أقطاب الفكر الماركسي، رغم التصادم الدموي الذي نشأت عليه الدولة الاشتراكية بروسيا، ونجحت الشيوعية، وبسطت سيطرتها، رغم فشلها في إزالة الانتماءات العرقية.

أمام ذلك التنافس والتصادم والتناحر المتنوع في كافة أنحاء أوروبا، كانت الحرب مخيمة على الأجواء والعقول، وتوشك أن تشتعل في أية لحظة. وقامت دعوات من أجل السلام ونزع السلاح والتحكيم الدولي. وقامت محكمة دائمة للتحكيم الدولي. لكنها كانت غير ذات فاعلية. أما الحد من التسليح، فقد باء بفشل ذريع. وحتى قبيل الحرب، كانت أوروبا تعد مصنع العالم ومصرفه وموجهته، لما لها من تفوق مادي ومالي وفكري، إلا أنها لم تستطع السيطرة على الاضطرابات ذات الطابع الثوري في الداخل، ولا على حل المشكلات القائمة بين الدول، والتي بلغت حداً فاض منه الكيل، أدى إلى تفجر شرارة الحرب سنة ١٩١٤م (١٣٣٢هـ)، معلنة بداية انهيار السيادة الأوروبية على العالم، ذلك الانهيار الذي سيكتمل ويمحي أثره بعد ذلك بأربعين سنة^(١).

تلك هي أهم سمات الوضع الغربي العام الذي زامن انعقاد مؤتمرات هذه الحقبة الزمنية. فلم تكن الأوضاع العامة مستقرة، فلا عجب إذا انعكس طابعها على مسار المؤتمرات، الذي سيتم دراسته من جانبه الإداري ثم العلمي، وتطورهما العام.

(١) للمزيد من التعرف على تفصيلات الموضوع، يمكن الرجوع مثلاً إلى: روبير شنيرب: تاريخ الحضارات العام - ج ٦ - القرن التاسع عشر.

المبحث الأول: مسار المؤتمرات الإداري وتطوره

سبق الحديث عن الانطلاقة الأساسية الأولى للمؤتمرات، والأحداث التي مرت حتى انعقاد المؤتمر الأول، كما سبق الحديث بالتفصيل عن هذا المؤتمر من الناحيتين الإدارية والعلمية، وبالتالي التعرض لجوانب عدة من التأطيرات الإدارية على مدى مسار المؤتمرات. إلا أنه لم يتم التطرق للحديث التي أدت إلى إحداث تلك التغييرات والتحويلات والقرارات. وفي هذا الجانب سيتم التطرق إلى ذكر تطورات الأحداث وتسلسلها، والكيفية التي أدت إلى حصول تلك القرارات والتطورات.

١- التطويرات الإدارية:

حافظ مسمى المؤتمر في الحقبة هذه على ذاته، ولم تطرح قضية تحويل الاسم، ولم تشهد الفترة تمللا منه ولا تبرما، إذ كان ساعتها مدعاة فخر وتميز. أما التغيير فحصل في أنظمة المؤتمرات العامة وفي اللجان الإدارية التي نشأت في هذه الفترة من أجل تيسير إدارة المؤتمرات .

أ- تطور نظم مؤتمرات المستشرقين العالمية:

شهدت هذه الفترة أكبر عدد من المؤتمرات المنعقدة حتى الوقت الحالي، والتي بلغت ستة عشر مؤتمرا. وسبق ذكر التطويرات التي طرأت على الأنظمة العامة^(١)، وما تم عليها من تحويلات متلاحقة. إلا أنه لم يرد الكلام على الأسباب التي أدت إلى قيام مثل تلك التحويلات الجذرية أحيانا، والجزئية أحيانا أخرى. كما تمت الإشارة إلى وجود تنظيمات خاصة ببعض المؤتمرات، لكن لم يتم الحديث المفصل عنها، وهذا ما سيتم التطرق إليه هنا لتحليله وبيان الأسباب التي أدت ببعض المؤتمرات في هذه الحقبة إلى اتخاذ تنظيمات خاصة بها.

(١) مر ذلك ص ١٨٨ من الرسالة.

أ-أ - ظاهرة الأنظمة الخاصة للمؤتمرات:

بعد تحليل نظام المؤتمر الأول، تبين وجود ثغرات عدة فيه. تلك الثغرات ألفت بظلالها على الطرق ونوعيات فهمها، مما جعل العديد من المؤتمرات، بل كلها في هذه الحقيقة، تسعى لسد ذلك الفراغ وتلك الثغرات، وتباينت بالتالي نوعية تلك الإضافات، لدرجة أن بعضها تخطت حتى الخطوط العريضة التي رسمها النظام الأساس العام. فمنها من دقق حتى جزئيات الأنشطة الإدارية والعلمية، وجعل لها قيودا دقيقة جدا، ومنها من أطلق لكل مسؤول إداري، سواء في إدارة المؤتمرات أو اللجان، حرية التصرف وفق ما يراه صالحا في مجاله الخاص. وبين هذين النوعين، تباينت أنماط أنظمة المؤتمرات القانونية.

ويمكن ضرب مثالين على ذلك، فالمثال الأول نجده في مؤتمر "سان بترسبورغ" بروسيا، وهو المؤتمر الثالث، الذي انعقد سنة ١٨٧٦م (١٢٩١هـ)^(١)، وهو مثال على النوعية الأولى، التي دقت وفصلت. ومن خلال هذا النظام، نرى أن المسؤولين شددوا كثيرا في جل تفاصيل الأنظمة الإدارية والعلمية. فمن الناحية العلمية اهتم النظام بما يلي:

أ- لجان المؤتمر وموضوعاته: وظهر ذلك من خلال البنود الثاني والثالث والرابع.

ب - نظم اللجان العلمية والدراسية: وتتضمنها البنود التالية: العاشر والحادي عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر.

أما النظم الإدارية فاحتوى النظام منها اتجاهات عدة:

أ- إدارة المؤتمر وأعضاؤها ومكتبها: وهي البنود السادس والسابع والثامن.

ب- الجلسات العامة: البنود العاشر والحادي عشر.

ج- إدارة اللجان العلمية ومسارها، وهي مشتركة مع النظم الدراسية في البنود الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر.

(١) نظام المؤتمر هذا مذكور في الملحق رقم ١٠ ص ٦٢٤ من الرسالة.

د- ما يتعلق بأعضاء المؤتمر: في البنود الحادي والعشرين والثلاثين والعشرين والثالث والعشرين والرابع والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين.

هـ- الإطار المالي: من البنود الثامن والتاسع والحادي والعشرين والخامس والعشرين والسادس والعشرين.

و- المعرض المقام على هامش المؤتمر، ويتعلق به البند العشرون.

ز- نظام المؤتمر عينه، وقد تحدث عنه البند السابع والعشرون.

ح - قضية نشر أعمال المؤتمر، وكذلك الهدايا المقدمة بالمناسبة، وورد ذكرهما في البند السادس والعشرين.

ذاك مجمل ما اهتم به نظام مؤتمر "سان بترسبورغ"، إذ حاول القائمون عليه التدقيق في جل شؤون المؤتمر وما يتعلق به من أطر إدارية، مركزية وفرعية، وأطر علمية، ومتعلقات المؤتمر ذاته.

أما النوعية الثانية، المتعلقة بالإجمال العام في التنظيمات، فمثاله المؤتمر السادس الذي انعقد في "لندن" سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ)^(١). وهو على عكس المؤتمر الماضي تماماً، فقد جاء مجملاً في تحديد شؤونه كما يستبين ذلك من بنوده. فهذا النظام العام الداخلي، فيه توسع ومرونة في إطاره العام. فاللغات المقبولة في هذا المؤتمر ست، في حين أن النظام العام يفرض اثنين فقط. كما أن برنامج المؤتمر اليومي ترك للجنان حرية التصرف في مسار جلساتهم، فهو مشابه للبرنامج العام الذي لم يتطرق لتحديد تلك المسارات، في حين قيدها برنامج "سان بترسبورغ"، أما بقية البنود، فتركزت حول القوانين الأخرى، عن كيفية قبول المساهمات ومساها، حتى يتم نشرها، بالإضافة إلى شأن تنظيم اللجان الإدارية، وأمر طبع الكتب والمطبوعات الأخرى.

إن، من خلال بنود هذين النظامين، يتضح لنا التباين الواضح بين القرارات المتخذة. فالأول ضيق في التصرفات والمسار، والآخر وسع في التحركات والأعمال، والأول دقيق وشد، والثاني أجمل وأطلق. وبين هذا القسائل وذاك التشدد، ظهرت الأنظمة الخاصة للمؤتمرات الأخرى، قبل ظهور النظام العام

(١) نظام المؤتمر هذا مذكور في الملحق رقم ١١ ص ٦٢٨ من الرسالة.

الثاني، بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)^(١).

أ- ب - دوافع البحث في أنظمة عامة جديدة:

إضافة إلى المشكلات التي ذكرت سابقاً^(٢)، والتي ذكرت أعلاه، ظهرت قضية أخرى، عجلت في البحث عن نظام بديل يحل محل النظام الأول. ففي مؤتمر "ستوكهولم"، سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، تباحث الحاضرون حول مكان انعقاد المؤتمر اللاحق. ونظراً لتعدد الدعوات، لم يبت في الموضوع وترك الأمر. ذكر ذلك "ماكس ميللر"، في المؤتمر التاسع الذي انعقد في لندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، إذ قال: "في نهاية مؤتمرنا العظيم، كانت هناك العديد من الدعوات الرسمية من حكومات وجامعات، تسأل انعقاد مؤتمرنا القادم في واحدة من العواصم الأوروبية الكبرى أو أكثر. ولم تقبل أي واحدة منها، وقررنا عن مؤتمرنا السكوندينافي بعد أن اقترح العديد من الأماكن بصفة سرية"^(٣). أما السبب في ذلك فيوضحه ماكس ميللر مصرحاً: "بما أنه لا توجد لجنة دائمة فإن قراراً قد تم تمريره للمؤتمر اعتماداً على الحالة الآتية، وبالإجماع عدا صوت أو صوتين لبعض الأعضاء المعارضين. ويقضي بأن المطلوب من رؤسائنا المتتورين تكوين مثل هذه اللجنة، لأجل الغاية الوحيدة، المتمثلة في الحصول على تلك الدعوات التي أرسلت إليهم، سواء قبلت الدعوة أو رفضت"^(٤). وانطلاقاً من البحث في هذا الموضوع، يبدو أنه تم التطرق إلى التباحث في شأن تنقيح النظام العام أو تغييره. فمباشرة بعد الكلام السابق، دخل "ماكس ميللر" في مناقشة أمر تنقيح النظام العام أو تغييره.

لكن هذا الأمر لم يتم بسهولة، فقد لقي معارضة من المستشرقين الفرنسيين الذين يعدون أول من جاء بذلك النظام العام. لذا، فإن "ماكس ميللر"، قبل الانتقال

(١) ذكرت بنود هذا النظام في الملحق رقم ٥ ص ٦٠٦ من الرسالة.

(٢) مرت معنا تلك المشكلات ص ١٩١ - ١٩٢ من الرسالة.

(٣) Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - VolI - p. 4.

(٤) Ibid. - VolI - p. 4.

للحديث عن ذلك التحوير، شن هجوما حادا في خطبته تلك، بوصفه رئيس المؤتمر، على "دو روسني" وجماعته. وقد جاء في كلامه ما يلي: "إن أحد العلماء الفرنسيين، "دو روسني" والعديد من زملائه الذين يصرحون بأنهم الممثلون المؤسسون لمؤتمراتنا، يتحدثون باسم المدرسة الاستشراقية الفرنسية، والعديد من هؤلاء العلماء الفرنسيين يميلون لقبول 'دو روسني' ناطقا باسمهم، يحتجون فجأة ضد توصية المؤتمر، كأنما هي فيروس فوقي. إنهم يناشدون الإبقاء على هيكل النظام العام، الذي وضعه منذ سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، "دو روسني" نفسه، وأولئك الذين نعتوا أنفسهم بأنهم مؤسسو مؤتمرات المستشرقين هذه. تلك التنظيمات المسلم بها حاليا، لم يتم أبدا مناقشتها علانية كما لم يتم أبدا تصحيحها في ما مضى، في أي مؤتمر لاحق. ثم كيف يمكن لنظام غير منقح أن تكون له أي صفة قانونية، أو خصائص رابطة؟ لكن، مع افتراض أن تلك النظم التي لا يعرفها معظم أعضاء مؤتمراتنا، والتي لم تقدم احتجاجات ضدها من قبل، رغم أننا نراها تخترق سنة بعد أخرى، حتى من قبل كاتبها الحقيقيين أنفسهم، يمكننا أن ندعي أي شرعية قانونية، أن ما يصلح لها هو أن تناقش بقوة، بحيث إن من حق أي عضو مشترك، والذي بمقدوره هو أيضا، أن يضع نظاما، له الحق كذلك في أن يمنع أو يطلب إعادة قراءتها علنا من قبل الأغلبية المقترعة"^(١).

أول ما يؤخذ من هذا الهجوم من المستشرق الإنجليزي على المستشرقين الفرنسيين ومدرستهم، وتهويله من باهرتهم في نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية هذه، ووصفه للنظام العام بأنه فردي ومفروض، انعكاس التنافس العام بين فرنسا وإنجلترا في تلك الحقبة من العصر، ولاسيما حول المصالح السياسية والاستعمارية والثقافية والاقتصادية، وفق ما رأيناه سابقا عن البيئة العامة التي نشأت فيها المؤتمرات وترعرعت^(٢). فلقد ألقى هذا التنافس الكبير بين الدولتين الاستعمارييتين والصنعتين، والقويتين عسكريا وماديا ونفوذًا، بظلاله على مسار المؤتمرات وتطورها، حتى في شأن قوانين أنظمتها العامة. ويزداد هذا التنافس وضوحا إذا

(١) Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol 1 - p. 5.

(٢) سبق ذلك في ص ٤٩ من الرسالة فما بعدها.

تأملنا أمرين اثنين حاقا بهذا النظام الجديد، الذي اتفق عليه في لندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ):

يمثل الأمر الأول في أن هذا النظام لم يتم احترامه هو ذاته. فمؤتمر "جنيف" الذي انعقد مباشرة بعد مؤتمر لندن، ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، هيا لنفسه نظامه الخاص به، وقوانينه التي سيعتمدها. وهذا يعكس مدى التوتر العام القائم في أوروبا، وانعكاس تلك الخلافات والصراعات على المؤتمرات.

أما الأمر الثاني، فيتعلق بالمؤتمر التالي لمؤتمر "جنيف"، والذي انعقد في باريس في سنة ١٨٩٨م (١٣١٥هـ). ففي هذا المؤتمر، جاء بنظام عام آخر للمؤتمرات، نسخ تماما النظام السابق، وكأنما هو رد فعل واعتبار عما حصل للمستشرقين الفرنسيين من غمط لحقهم وهيبته وشخصيتهم في مؤتمر لندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، وكأنما ليدمغوا المؤتمرات ببصماتهم، إذ هم يعدون أنفسهم مبدعي هذه المؤتمرات وأنهم حارسوها والمدافعون عنها.

فإضافة إلى السلبات التي تم ذكرها سابقا^(١)، هذا التجاهل للقانون الجديد والنظام الخاص بالمؤتمرات، وبالتالي فهو لم يف بالمأمول منه، وترك المجال مفتوحا لعدم الاقتناع به. فما إن انعقد المؤتمر اللاحق له، حتى طرح أمر مراجعة النظام العام مرة أخرى، في إشارة قصيرة وردت في منشورات أعمال مؤتمر "جنيف" دون تفصيل، إذ جاء: "بعد بضع الكلمات من "جيل أوبار Jules Oppert"، معبرا عن رضاه لرؤية مسألة مراجعة النظام العام مذكورة في القرارات"^(٢).

ومع ذلك اتخذ المؤتمر لنفسه نظاما خاصا به^(٣). والمتمعن في بنوده يلحظ بسرعة أن هذا النظام ركز على الترتيبات الداخلية، العلمية والإدارية. وهو دليل على الحاجة للوصول إلى نظام دائم وشامل وجامع، وهو الأمر الذي ظل معلقا حتى المؤتمر التالي، والذي ظهر فيه النظام العام الثالث للمؤتمرات، والذي عمر

(١) تم ذلك ص ١٩١ من الرسالة

(٢) Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - p. 129.

(٣) ذكرت بنود هذا النظام في الملحق رقم ١٢ ص ٦٢٩ من الرسالة.

طويلا كما مر بنا رغم المحاولات التي عملت من أجل تحويله. وتلك المحاولات سيتم التعرف لها في هذا الباب كل واحدة حسب الحقبة التي وردت فيها، حتى مؤتمر "آن آر بور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، الذي ظهر فيه النظام الرابع.

أ- ج - تطور مسار النظام العام بعد قانون باريس الثاني:

أجمع المستشرقون على نظام باريس الثاني، وهو النظام الثالث في تاريخ المؤتمرات، وقد سبق تحليله وبيان إيجابياته وسلبياته^(١). والستزمت المؤتمرات اللاحقة لمؤتمر باريس الحادي عشر، بالنظام الأخير هذا، حتى تم تغييره في مؤتمر آن آر بور، ولم يشذ إلا المؤتمر الثاني عشر، المنعقد في روما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، الذي أوجد لنفسه نظاما داخليا خاصا، حصره في الجلسات، وأسماء "نظام الجلسات"، حيث وضع تفاعلات الجلسات الإدارية والعلمية، ولعله تأول البند الخامس من النظام العام، الذي ينص على جعل السلطة المطلقة للجلسات بيد رئيسها، سواء منها التنظيمية أو العلمية. أما إذا استعصت عليه قضية، فيعود بها إلى لجنة التنظيم^(٢). لذا، جاء هذا النظام الخاص بين نظام الجلسات وعلاقاتها بإدارة المؤتمر^(٣). ومن خلال بنوده يتضح انصبابه الكلي على الأمور الداخلية للجان العلمية والأبحاث الدراسية ولسات المؤتمر المختلفة، فهو شبيه ببرنامج عمل أكثر منه نظاما. إلا أن اللجنة التنظيمية أسمته نظاما، لذا، كان من المناسب إيراده هنا.

أما بعد هذا المؤتمر، فقد ظل الأمر مستقرا وسائرا وفق النظام السابق، نظام باريس لسنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، ولم تطرح قضية تحويله حتى المؤتمر السادس عشر، الذي انعقد في أثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ).

(١) تم ذكر بنود هذا المؤتمر في الملحق رقم ٦ ص ٦٠٩ من الرسالة. أما للتفصيل والتعليق، فنضت في ص ١٩٢ - ١٩٣ من الرسالة.

(٢) هذا البند مذكور في الملحق رقم ٦ ص ٦٠٩ من الرسالة.

(٣) ذكرت بنود هذا النظام في الملحق رقم ١٣ ص ٦٣٠ من الرسالة.

٢ - مسعى مؤتمر أثينا:

يبدو أن التطورات العصرية، والأحداث على الساحة السياسية، ألقت بظلالها على المؤتمرات مرة أخرى. ففي مؤتمر أثينا، طرحت قضية مراجعة بنود النظم مرة أخرى. ولم يذكر سبب ظاهر لهذه المراجعة، لكن يبدو أن أثينا، التي شهدت وانتعاشة سياسية، ولاسيما بعد بضع الانتصارات العسكرية على تركيا المجاورة، وأثينا تتفاخر دائما بأنها أم الحضارة الأوروبية، سعت على أن يكون لها أثر في توجيه المؤتمرات، بل إن معظم المسؤولين عن إطار المؤتمر الإداري، كانوا سياسيين، حتى إن رأس المؤتمر كان وزير التتقيف الشعبي "أبوستول أليكساندريس Apostole Alexandris"^(١). ومما يدل أيضا على هذا الشعور الكبريائي، عنايتها الخاصة بلجنة اليونان والشرق"، التي كانت لجنة عادية في بعض المؤتمرات السابقة، فقد قسمتها في هذا المؤتمر إلى لجان ثلاث وهي^(٢):

*-اليونان والمشرق في العصور القديمة.

*-اليونان والمشرق في العصور الوسطى.

*-اليونان والمشرق في العصور الحديثة.

ويبدو أنه نظرا لهذه الأسباب، ولإبراز الشخصية الاستشرافية اليونانية على الساحة العالمية، سعى هذا المؤتمر إلى طرح مراجعة بنود النظام العام للنقاش والتحليل مرة أخرى.

وقد ساعدهم في هذا المسار، الظروف التي حاقت بالمؤتمر، إذ ظهرت فيه خلافات عدة، من بينها خلاف حول اختيار مقر انعقاد المؤتمر اللاحق. لذلك، فقد استغلت هذه الشرارة، من أجل المرور إلى النقطة التي سترك بصماتها في تاريخ الاستشراق والمؤتمرات، فتكتب للاستشراق والمستشرقين اليونانيين، ولاسيما أن بنود النظام العام ساعتهما، لم تقدم حلوًا لمثل المأزق ذلك.

ففي جلسة رؤساء اللجان ونوابهم، ظهر القرار التالي "بما أن المناقشات لا

^(١) Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 1ere partie - p. 5, and p. 24.

^(٢) Ibid. 1ere partie - p. 7.

يمكنها أن تصل إلى قرار نهائي حول موضوع مكان انعقاد المؤتمر اللاحق الذي سيقدم لمجلس المندوبين، فإنه تقرر الأخذ بمقترح "بول هوت Paul Haut"، الذي يرى تكوين لجنة عالمية، يخول لها عقد الانفاقيات الضرورية، من أجل الوصول إلى قرار نهائي، كما أن هذه اللجنة سيوكل لها مهمة مراجعة بنود نظام المؤتمر العام...^(١). هذا القرار وافق عليه المندوبون في جلستهم^(٢)، وبالتالي أصبح أحد قرارات المؤتمر في الجلسة الختامية، الذي جاء فيه: "أعلن سكرتير المؤتمر العلم للمؤتمرين، القرار الذي اتخذ في جلسة الرؤساء وجلسة المندوبين، بتعيين لجنة عالمية، من شأنها أن تراجع بنود نظام المؤتمر العام، وحل مشكلة موضع انعقاد المؤتمر القادم..."^(٣).

ويبدو أنه تم الاعتماد على البند الثامن من نظام المؤتمر العام، لتعيين هذه اللجنة التي ضمت كلا من المستشرقين "هوت" و"كوهن" و"لامبروز Lambros"، و"رايس دافيد" و"سنوك هورخرونييه"، وترك المجال لدخول آخرين. وهذه اللجنة اجتمعت وقررت عدم تعيين رئيس لها، والاكتفاء باختيار سكرتير عام، هو "رايس دافيد"، كما قرروا أن لا يدخل اللجنة العالمية تلك، سوى مندوب واحد فقط من كل بلد من البلدان الأخرى^(٤). إلا أن الحرب العالمية الأولى حالت دون مواصلة هذا المسار، وانصب الاهتمام على عملية استمرار المؤتمرات، وإعادة فاعليتها، ولم يظهر وجود محاولات لمثل هذا التفتيح إلا في المؤتمر العشرين، كما سيأتي^(٥).

ذاك هو المسار التطوري لنظام المؤتمرات العام، والتحويلات التي طرأت عليه طيلتها. ومنها يتبين أن الرأي لم يكن مستقرا حول هذه النقطة، كما ظهر أيضا أن المستشرقين لم يكونوا على قلب رجل واحد. بل كانت الخلافات والعصبيات تجول في نفوسهم، وهو انعكاس للحياة العامة، والظروف السياسية، التي كانت تعيشها أوروبا، والتي مست حتى الشخصيات العلمية فيها.

(١) Ibid. 2eme partie - p. 178.

(٢) Ibid. 2eme partie - p. 179.

(٣) Ibid. 2eme partie - pp. 184 - 185.

(٤) Ibid. 2eme partie - p. 185 .

(٥) سيرد الحديث عنها ص ٣٦٦ من الرسالة وما بعدها.

المبحث الثاني: مسار المؤتمرات العلمي ونظوره

لم تخضع الدراسات العلمية لمسار واحد، بل مرت عليها تطورات عدة. فلم تكن ثابتة لا من حيث طريقة سيرها، ولا من حيث ثبات الموضوعات فيها، ولا في النتائج التي توصلت إليها.

فمن حيث مسارها، مر بنا التطورات التي حصلت في طريقة عرض الدراسات. ففيما كانت مخصصة بحسب الجلسات الجماعية، في المؤتمر الأول، بحيث يخصص كل موضوع لجلسة مخصصة، وإذا لم يسعف الوقت لإنهاء المداخلات، ترجأ للحصة اللاحقة بقية المساهمات ما لم تكن كثيرة، أو يعهد لها بوقت آخر، وأما إذا ما انتهى موضوع وفي الوقت فسحة، يتم الدخول في الموضوع اللاحق مباشرة^(١)، فإن المؤتمر الثاني جعل لكل يوم موضوعا مخصصا به^(٢)، وانطلقت فيما بعد اللجان العلمية المخصصة، وكل لجنة لها جلساتها الخاصة بها^(٣).

وحتى يتضح الأمر حول دراسات الفترة العلمية في هذا المجال، يجدر إيراد بعض الملاحظات حول جدولين خاصين بهذه الحقبة، يتعلق الأول بأسماء اللجان المختلفة التي ظهرت في هذه الحقبة، ومرات تكرارها، والمؤتمرات التي انعقدت فيها^(٤)، وآخر يتعلق بإيراد الموضوعات بدلا عن أسماء اللجان^(٥)، وهذه الموضوعات تم استخلاصها من عناوين اللجان وأسماء اللجان الفرعية. وهذه الموضوعات، هي التي يتم الاعتماد عليها في تحليل الدراسة أكثر من التركيز على اللجان؛ إذ هي تبين الحقائق وتوضحها أكثر من الأخرى، وذلك لأنها تعبر عن المعروض من البحوث بصفة أدق.

(١) سبق تفصيل الموضوع ص ٢٢٧ من الرسالة.

(٢) سبق تفصيل الموضوع ص ٢٢٨ من الرسالة.

(٣) سبق تفصيل الموضوع ص ٢٢٩ من الرسالة.

(٤) يوجد هذا الجدول بالملحق رقم ٣٢ ص ٨١٦ من الرسالة.

(٥) يوجد هذا الجدول بالملحق رقم ٣٣ ص ٨٢٢ من الرسالة.

١ - الملاحظات المستنتجة من الجدولين:

إذا تأملنا الجدولين المتعلقين باللجان العلمية وبالموضوعات التي طرقت في المؤتمرات، نلاحظ أن هناك تفاوتاً، سواء بين اللجان العلمية أو بين الموضوعات. ففي حين أن بعضها لم يرد سوى مرة واحدة، نجد أخرى لا تكاد تخلو منها المؤتمرات.

أكثر الموضوعات وجوداً هي الدراسات السامية، التي أثبتت وجودها طوال خمسة عشر مؤتمراً، ولم تغب إلا في المؤتمر الثالث، وتليها الدراسات الإفريقية والدراسات المصرية، وكل منها ترددت ثلاث عشرة مرة في المؤتمرات، لكن فيما شملت الدراسات الإفريقية موضوعات متعددة، مع أن الاهتمام انصب على الدراسات البربرية، تعلقت الموضوعات المصرية بالفرعونيات بصفة خاصة، ونادراً ما تناولت أبحاث حول موضوعات مصرية أخرى. والموضوعان المذكوران لم يغيبا عن المؤتمرات إلا في الثاني والثالث والخامس. ثم تأتي الدراسات اللغوية، التي وردت إحدى عشر مرة، وهي موضوعات تشمل تحليل اللغات القديمة والحديثة، من كل أنحاء العالم، سواء في آسيا أو إفريقيا أو أمريكا، وحتى أوروبا الشرقية واللغات الآرية أيضاً.

ثم الموضوعات الهندية، التي وردت في تسعة مؤتمرات، وهي انطلقت من المؤتمر الثالث بـ"سان بترسبورغ" سنة ١٨٧٦م (١٢٩١هـ). تليها الموضوعات المتعلقة بالدراسات الآرية، وكذلك آسيا الوسطى، وهذه ترددت كل منهما ثماني مرات، وظهرت الآريات انطلاقاً من المؤتمر الثاني، فيما انطلقت الأخرى من المؤتمر الثالث. وعرضت الدراسات الآشورية والموضوعات الأثرية، وكذلك الشرقيات واليونان، وتكررت كل واحدة منها في سبعة مؤتمرات، وفيما بادرت الموضوعات الآشورية بالوجود منذ المؤتمر الأول، وظلت تغيب أحياناً وتظهر أخرى، تكثفت الموضوعات الأثرية في المؤتمرات الأولى، لتغيب انطلاقاً من المؤتمر الخامس، كي تعود مرة أخرى في المؤتمر الحادي عشر فالرابع عشر فالسادس عشر. وانطلقت الدراسات المتعلقة بالشرق ابتداء من المؤتمر العاشر،

وتواصلت حتى نهاية الحقبة، وابتدأ ظهور الدراسات اليونانية، من المؤتمر التاسع، حتى النهاية أيضاً، لكنها غابت في المؤتمر الثالث عشر.

يوجد أربعة موضوعات ترددت كل منها ست مرات: فالدراسات الإسلامية انطلقت من المؤتمر الثامن، في حين ظهرت إيران في المؤتمر الرابع ثم عادت بعد ذلك ابتداء من المؤتمر الثاني عشر. أما موضوعات الشرق الأدنى، فبعد المؤتمر الثالث تركزت في المؤتمرات الوسطى، من السادس حتى الحادي عشر، بينما ابتدأت الدراسات المتعلقة بماليزيا من المؤتمر السادس. وترددت ثلاثة موضوعات خمس مرات، وهي الصين والهند الصينية واليابان، وتركزت بصفة عامة في المؤتمرات الوسطى لهذه الحقبة، عدا اليابان التي ظهرت في المؤتمرات الختامية أيضاً. وورد ذكر الدراسات البولندية والدراسات العربية أربع مرات، وتمحورت في المؤتمرات الوسطى.

وثمة أحد عشر موضوعاً، ترددت كل منها ثلاث مرات. ومن الملحوظات الهامة على هذه المجموعة، أن إثيوبيا لم تنطلق الأبحاث عنها إلا في المؤتمر الحادي عشر فالخامس عشر فالسادس عشر، بينما جاءت تركيا انطلاقاً من المؤتمر الثالث، ثم تعود الموضوعات المتعلقة بها في التاسع ثم في الرابع عشر. كما أن العبرية لم تنطلق إلا ابتداء من المؤتمر الحادي عشر فالخامس عشر والسادس عشر، تماماً كالموضوعات الفينيقية. وانطلاقاً من المؤتمر الثاني عشر فالرابع عشر فالسادس عشر ظهرت الدراسات الخاصة بمدغشقر.

ومما يلاحظ على المجموعة التي ترددت مرتين فقط، والتي بلغت ثلاثة عشر موضوعاً، ظهور الأدب الإسلامي في المؤتمرين السادس والسابع، ووردت أمريكا في الثاني عشر والسادس عشر، بينما العلاقة بين الشرق والغرب وردت في الحادي عشر والثاني عشر. أما العالم الإسلامي، بهذا المسمى، فلم يرد إلا في المؤتمرين الثاني عشر والسادس عشر.

ومما يمكن الإشارة إليها منها، ظهور الدراسات الاستراتيجية في المؤتمر التاسع، وآسيا الغربية في الثالث عشر، والجزيرة العربية في المؤتمر الثالث، وكذلك سيبيريا. وجاء موضوعاً الطورانية والعرقية في المؤتمر الثاني، وشمل المؤتمر الخامس موضوعات فلسطين، بينما شهد المؤتمر الثاني عشر الموضوعات الكورية، ودرس المؤتمر الثالث منطقة ما وراء القوقاز.

تلك هي جملة من الملاحظات المأخوذة من الجداول السالفة، حول دراسات المؤتمر. وهذه من شأنها أن تثير تساؤلات حول طريقة اختيار هذه الموضوعات وتعيين تلك اللجان. وهو ما سيتم التعرض له بالبحث والدرس فيما يلي.

٢ - تحليل ومناقشة:

أولى الملحوظات التي تحتاج لتحليل ومناقشة، هي غلبة الدراسات السامية والمصرية والإفريقية على غيرها من الموضوعات الأخرى. ولفهم ذلك يمكن تناول الموضوع من شقين: الدراسات السامية والدراسات المصرية من جهة، والدراسات الإفريقية من جهة أخرى.

فالمعلوم أن الدراسات السامية شغلت المستشرقين والفيلولوجيين والمؤرخين، وكذلك اللاهوتيين، منذ مدة طويلة، سابقة عن المؤتمرات. ولكن فك رموز الكتابة المسمارية، ما برزت بعمق إلا خلال القرن التاسع عشر، ونشطت في النصف الأخير منه. لذلك، كانت تلك البحوث مثمرة في هذه الحقبة، بوصفها ثمرة إنتاجية حديثة وجديدة. فقد كانت الدراسات السامية بالتالي، إضافة إلى الدراسات المصرية فتحتا من فتوح العصر العلمية.

الدراسات المصرية أيضا، وهي الفرعونية بالتحديد، شغلت الباحثين من مدة طويلة، ولم يمكن حل طلاسمها إلا حوالي منتصف القرن التاسع عشر، عن طريق الباحث الفرنسي "شامبلين" كما ذكر سابقاً^(١). ولذلك، كان العصر ثريا وموسعا في الدراسات الفرعونية. إذ، فلا عجب إن يهيمن هذان المجالان على غيرهما من المجالات، طوال هذه الفترة الزمنية الطويلة، ولاسيما أن الغرب يبحث في أصوله وأعرافه وتاريخه. فالدراسات السامية تبين شؤون الغرب العقدية والدينية واللاهوتية، والتاريخية، إذ توضح التطورات التي حدثت على تلك الموروثات، وسيرة الأنبياء والتقدمين والرجال المرموقين في تاريخه الغابر.

أما الدراسات المصرية، فمن شأنها أن تخدم أمورا عدة، منها إشباع فهم الغرب بالتعرف على الشعوب البائدة، وعلاقتها بالغرب، إضافة إلى بحث عوامل

(١) سبق الحديث عن الموضوع ص ١٢٠ من الرسالة.

قوة تلك الشعوب وأسباب ضعفها، وفيه ما لا يخفى من الدروس في أصول دوام قوة أمة ما وأسباب نهقرها، مما يستفيد منه الباحثون، وأصحاب القرارات. وإذا انتقلنا إلى إفريقيا، نجد أن الدراسات البربرية سيطرت على بحوثها، ويسأل أن يتساءل عن أسباب ذلك، ولعل ذلك يعود لعاملين اثنين: - استعمار فرنسا للجزائر، وسعيها لبسط نفوذها على أبحاثها المختلفة، ولاسيما بعد المقاومات العنيفة التي لاقتها.

- هيمنة المستشرقين الفرنسيين العامة على مؤتمرات هذه الحقبة. أما استعمار الجزائر، فمذ وصول الفرنسيين إلى المنطقة سنة ١٨٣٨م (١٢٥٤هـ)، لم يستتب لهم الاستقرار، بسبب الانتفاضات التي كانت تقوم بين الفينة والأخرى. فكان لا بد من كسر اللحمة الشعبية، عن طريق إيقاظ الفروق الشعبية، ولاسيما البربرية-العربية، وتدعيمها وتعميقها. أما العرب، فهم مدروسون أصلا في محافل عدة، ولا يزالون. أما البربر، فهم يقطنون داخل البلد بعيدا عن السواحل، لذلك لا يمكن الوصول إليهم ببسر، كما هو متيسر مع غيرهم، إضافة إلى أنهم كانوا خاضعين للعرب، فتلقت الاستعمار هذه الفرصة، وسعى لتعميق الفروق والحساسيات، حتى يمكنه إلهاء الشعبين بالخصومات بينهما، كي يتمكن من الهيمنة ويحكم سيطرته. ولهذا شجع الدراسات البربرية، وبث وسطهم مستشرقين عديدين يركزون على الميزات البربرية ويبرزونها، ويعلنون من شأنها، ويعملون على ربط البربر بالأوروبيين وبالثقافة الغربية، وبالتالي المساهمة في إجحاح تلك للنعرات العرقية، وتعميق العداء البربري-العربي.

وبما أن فرنسا هي المستفيدة من تلك النواحي الثقافية والاستعمارية والسياسية كافة، وبسبب هيمنتها في هذه الحقبة، فإنها فرضت بطريق غير مباشر، توسع هذه الدراسات وانتشارها وتعميقها، بل كانت ضمن قمة الموضوعات المدروسة في المؤتمرات، وبالتالي كان انتشار الموضوعات البربرية ودوامها، ناتجا عن تأثير سياسي استعماري فرنسي في المؤتمرات.

ليست هذه هي المؤثرات السياسية في المؤتمرات وحدها، بل هناك أمور أخرى، منها ما رأيناه في التوطئة^(١) من أن العصر يعد عصر ضيق أوروبي في

(١) سبق الحديث عن الموضوع ص ٣٢٨ من الرسالة وما بعدها.

منطقتهم، وانطلاقة الحمى الاستعمارية الكبرى في كافة أنحاء العالم. والحاجة لمعرفة تلك الشعوب، حتى يمكن السيطرة عليها، أظهر ضرورة تعلم لغاتها. وهذه النزعة انطلقت لغايات دينية تنصيرية، ثم سياسية اقتصادية تجارية، ثم الاستعمارية. وفي خضم تعلم اللغات تلك، ظهر متخصصون عديدون، واختلطت الحاجات السياسية بالغايات العلمية، لكنها تصب كلها لمصلحة الاستعمار. وكانت المحاولات نشطة لإحلال الخط اللاتيني محل الحروف الوطنية، وبالتالي، كان للمؤتمرات نصيبها في تناول تلك الموضوعات بالدرس، فكانت اللغويات إحدى أهم العناصر التي اهتمت بها المؤتمرات، ولاسيما في هذه الحقبة.

من السمات المميزة للعصر كذلك، العنصرية وحمى العرقية والوطنية والقومية. فكان أن جعل العرق الأري أرقى الأجناس، ومن هنا لقي الموضوع هذا نصيبه من البحث في مؤتمرات هذه الحقبة. وأول من أدخله للبحث هم الإنجليز، منذ المؤتمر الثاني، بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ).

كما كانت الهند من أهم الدول التي اشتد التنافس حول استعمارها، حتى روسيا كانت لها مطاعم فيها، ومن هنا كانت أول من طرحها موضوعا للبحث منذ المؤتمر الثالث سنة ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ) في سان بطرسبورغ. كما كانت تسعى حديثا لترسيخ استعمارها آسيا الوسطى، وكانت ساعتها اقتطعت مناطق عديدة منها، فروسيا كانت تسعى لفرض نفسها على الساحة الاستعمارية والعلمية والعلمية أيضا، إذ لم يكن ينظر إليها بنفس الدرجة من المساواة مع الأجناس العرقية الأوروبية، وكانت خرجت من حروب مع دول أوروبية، ولا تترك مناسبة سائحة إلا وتثبت فيها شخصيتها، لذا نراها تطرح موضوعات مرتبطة بها ارتباطا وثيقا منذ المؤتمر الثالث، من ذلك آسيا الوسطى، التي ضمت معظم أراضيها، وستضمها كلها لاحقا، كما طرحت موضوع القوقاز لأول مرة، وموضوع سيبيريا، وهو المؤتمر الوحيد الذي عرض فيه طوال هذه الحقبة. كما طرح مؤتمر "سان بطرسبورغ" موضوعي تركيا وإيران، التي كانت خاضت معهما حروبا، ولم تكن معهما على وئام. وفي المقابل، نجد البلدان الأوروبية الأخرى، التي تستضيف المؤتمر، تطرح موضوعات جيران روسيا المستعمرة وغيرها، ومنها آسيا الغربية في المؤتمر الثالث عشر، والبقية نص عليها في موضعها.

التوجهات العامة في أوروبا، جعلت موضوعات الشرق تدرس بعناية،

ولاسيما الآثار، في المؤتمرات الأولى، ثم بقية الدراسات المتعلقة بكافة جوانب الشرق، ولاسيما زمن الهجمة الاستعمارية، بعد الهدنة الحربية القصيرة الموقعة ساعتها بين الدول الأوروبية.

وفي الوقت نفسه كانت القوميات في أوروبا تنمو وتتجمع وتتقاتل، ولاسيما تلك التي كانت خاضعة للحكم العثماني، وأقواها في ذلك الحين اليونان، التي تمكنت من السيطرة على أراض عدة، وتحقيق انتصارات على الحكومة العثمانية. لذلك كانت اليونان من الموضوعات التي اهتمت بها المؤتمرات، وعادة ما كانت تعد من الشرق.

ونظرا للعداء الذي كان موجهًا للخلافة، وللمقاومات العنيفة التي لاقاها الاستعمار في البلدان الإسلامية، ظهرت الموضوعات المتعلقة بها، فقد طرحت الموضوعات الإسلامية انطلاقًا من المؤتمر الثامن. وطرحت موضوعات المناطق الجغرافية الإسلامية منذ المؤتمر الأول، كما أن المؤتمر السادس الذي انعقد في هولندا سنة ١٨٨٣م (١٣٠٣هـ)، اهتم اهتمامًا خاصًا بموضوعات جنوب شرقي آسيا، وبخاصة ماليزيا أو بولينيزيا أو غيرها من المناطق الخاضعة استعماريًا لهولندا، يعود بعضها للقرن السادس عشر، أو تلك التي تسعى هولندا في استعمارها، وبالتالي نشطت هذه الدراسات لديها، سواء من أجل إتمام استعمارها، أو توقي خطرها، كما من شأن ذلك أن يظهر للعالمين نشاط المدرسة الهولندية.

نرى أيضًا وجود الموضوعات الصينية، وهي كالهند الصينية، كانت موضع اهتمام الغرب المستعمر، وقد احتلت فعلاً بعض أراضيها، هذا بالإضافة إلى عراقة التراث الصيني الموهل في القدم، سواء لغاتها وفلسفتها وحكمها وآثارها، وغيرها من المقومات الحضارية الصينية.

وقريباً من الصين توجد اليابان، واليابان فاجأت أوروبا كلها بانطلاقتها من عزلتها خلال القرن التاسع عشر، وما فتئت تنافس أوروبا في جميع الميادين، الاقتصادية منها والتجارية والعلمية، بل السياسية أيضاً، لدرجة أنها أضحت من البلدان الاستعمارية الكبرى، احتلت أراضي لجيرانها الكوريين^(١) والصينيين

(١) يمكن التعرف على التفصيلات لدى موريس كروزي: تاريخ الحضارات العام، العهد المعاصر -

٧م - الطبعة الثانية - ١٩٨٧م - ص ٦٦٠ وما بعدها.

والروس والفلبين وجنوب شرقي آسيا وغيرها، وكونت نفسها إمبراطورية استعمارية كبرى^(١)، قبل أن تهزم في الحرب العالمية الثانية، ورغم ذلك أصبحت إمبراطورية تجارية-اقتصادية. ومن ديدن أوروبا منذ القدم أنها تغافاً بكل شعب جديد تكتشفه، أو يظهر فجأة على الساحة العالمية^(٢)، وذلك بسبب الضيق الجغرافي في الفكر الغربي. ولعل هذا ما حصل لها باكتشافها للشعب الياباني وخصائصه. وسرعان ما ظهر تبرمها وعظمت دهشتها من هذه المزاحمة في الميادين المختلفة. لذا، سارع الغربيون لتناول هذا الشعب بالدرس والتحليل محاولة لاحتوائه، حتى بتغيير كتابته لتأخذ الصفات اللاتينية، بل كادت أن تخصص له المؤتمر الأول بكامله له. وقد ظهر بالتالي متخصصون عديدون في الدراسات اليابانية، وطرحت الموضوعات اليابانية بالتالي في مؤتمرات عدة.

كان للموضوعات العرقية والنعرات الوطنية داخل الخلافة العثمانية نصيبها من البحث في مؤتمرات المستشرقين العالمية، فالخلافة العثمانية التي وجدت نفسها مجبرة على السعي من أجل المحافظة على حدود الخلافة خارجياً، أمام الأخطار التي تتهددها من جوانب عدة، لم تقدر على المحافظة على وحدة الأمة داخلياً، إذ كانت الأزمة شديدة وعاتية، ومن هذه الأزمات قيام النعرة العربية أمام القومية الطورانية، وغيرها من القوميات، وبالتالي تناول الغرب هذه القوميات بالدرس والتحليل، والمساعدات أحياناً، ومن هنا، نجد المؤتمرات تناولت موضوعات عديدة من هذا القبيل، من مثل العربية والتركية الآلوية والتتارية والقوقازية والمالايية وغيرها من الموضوعات العرقية، التي نشأت في العالم الإسلامي.

تظهر إثيوبيا للمرة الأولى في أعمال المؤتمرات في المؤتمر الحادي عشر الذي انعقد في روما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، ثم ظهرت ثانية في الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، فأثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ). ويرتبط ظهور هذه اللجنة بحدث سياسي استعماري هام، ألا وهو قيام الحملة الاستعمارية الإيطالية على

(١) يمكن الاطلاع على المرجع نفسه - العهد المعاصر - ٧ - الطبعة الثانية - ١٩٨٧م - ص ٨٦٩

وما بعدها.

(٢) كما حصل لهم لدى ظهور المغول مثلاً، ذكر ذلك رتشارد سونرن - صورة الإسلام في أوروبا...

ص ٨٤ وما بعدها.

الحبشة، وكان ذلك في العام ١٨٩٩م (١٣١٧هـ). لكن هذا الولوج لم يكن ميسورا، إذ إن هذه الحرب كانت إحدى ثلاث خاضتها أوروبا وفتلت فيها، فأثرت فيها سلبيا، وهذه شهدت انكسار أوروبا أمام الحبشة، سنة ١٨٩٦م (١٣١٤هـ)، ومن هنا فرضت إثيوبيا نفسها على الساحة العالمية، وبالتالي ظهرت دراسات في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

أما أن يطرح الموضوع في مؤتمر أثينا، فيبدو أن له أصولا سياسية ودينية وتاريخية. فقد تقاربت أثيوبيا واليونان سياسيا، لدرجة أن "كاسا"^(١) الذي فرض نفسه على إثيوبيا، وتسمى النجاشي "تيودوروس"، بعث رسالة إلى القيصر^(٢)، يقترح فيها ميثاقا موحدا ضد الإسلام والمسلمين، وكانت الساحة اليونانية ساعته في حروب ومعارك وخلافات مع تركيا، وقامت أثينا تحاول إعادة مجدها للقيصري السابق والاستحواذ على مقفوداتها من أراض وحضارة، ولاسيما أن نموذج أثيوبيا كان قد سبقها في ذلك، فهذه الدولة الإفريقية سيطرت على الأراضي المتاخمة لها، والتي هي في معظمها أراض إسلامية، وموقعها مشابه لموقع اليونان نفسها من حيث الاستراتيجية والديانة، والحدود المتاخمة لها. ولعل دراسة اليونان لعوامل التفوق الأثيوبي، تساعدنا في لعب الدور ذاته على الأقل في شرق أوروبا، كما أن الماضي التاريخي يبين أنه كان هناك تحالف قوي بين البلدين، قبيل ظهور الديانة الإسلامية.

أما مدعشقر، التي ظهرت الدراسات حولها في المؤتمرات الثاني عشر سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ) والرابع عشر، سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، والسادس عشر

(١) تولى الإمبراطور "كاسا" الحكم سنة ١٨٥٥م (١٢٧١-١٢٧٢هـ)، وتمكن من توسيع حدود مملكته بعد أن أوقف الصراعات الداخلية المتلاحقة. حاول إقامة علاقة وثيقة مع الغرب الذي تكالب على احتلال المنطقة. لكن سوء تفاهم عميق بينه وبين بريطانيا، جعله يقدم على الانتحار سنة ١٨٦٨م (١٢٨٤-١٢٨٥هـ)، ويمكن الاطلاع على المزيد في - The New Encyclopaedia Britannica Vol6 - p. 1010، والمعلومات التاريخية عند روبرت شنيرب: تاريخ حضارات العالم - ٦ - ص ٤٤٧.

(٢) عايش الإمبراطور "كاسا"، ملكين من ملوك اليونان، هما الملك "أوتو الأول Otto I" الذي أطيح به سنة ١٨٦٢م (١٢٧٨ - ١٢٧٩هـ)، ونصب مكانه الملك جورج الأول حتى العام ١٩١٣م (١٣٣١هـ)، ويبدو أن الأول هو الذي راسله "كاسا".

Academic American Encyclopedia Vol. 9 - p. 328.

سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، فيبدو أنه كان لمصالح سياسية ودينية، ولأهداف مصلحية بالطبع. فقد كان هناك تنافس غربي على مدغشقر، ولاسيما بين الإنجليز والفرنسيين. وقد عرفت مدغشقر زمنا طويلا كيف تستغل هذا التنافس، وتستفيد من خدمات الأوروبيين دون التسليم بشروطهم، حتى تمكنت بريطانيا من الاستحواذ على البلد عن طريق الخبراء في الأمور المتعددة، ولاسيما العسكرية منها، حتى إذا ما اعتمدت مدغشقر كليا على بريطانيا، سحبت بريطانيا دعمها للجزيرة بمجرد أن هاجمتها فرنسا، فوقعت الجزيرة تحت النفوذ الفرنسي سنة ١٨٨٥م (١٣٠٤هـ)، ثم تم استعمارها تماما بعد ذلك بعشر سنوات.

ويبدو أن عرضه في مؤتمر روما، كان لأطماع إيطالية في الجزيرة، ولاسيما أنها لا تبتعد كثيرا عن شواطئ الصومال التي كانت تحتلها. إذ إن التسابق في الاحتلال بين فرنسا وبريطانيا من جهة، وإيطاليا من جهة أخرى، قائم بقوة وحمية، فقد كانت إيطاليا تطمع في استعمار شمال إفريقيا ككل، لكن احتلال فرنسا للمنطقة أغضب إيطاليا وجعلها تدخل في ليبيا بقوة، ومنها اندفعت لأواسط إفريقيا. ولا إندهاب في طرح الموضوع في الجزائر، فهي إحدى مستعمرات فرنسا الإفريقية، والجزائر هي الساهرة على ممتلكاتها في إفريقيا، ثم إن المؤتمر ركز على الدراسات اللغوية والدراسات الإفريقية، ودقق بالخصوص على الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي.

أما عرضها في مؤتمر أثينا، فلا يتضح من خلال المؤتمرات ومن خلال الوثائق التاريخية إن كان له مؤثرات غير علمية في الأمر. فهل اليونان، المستقلة حديثا، ترفض الاستعمار أيا كانت أشكاله، ولاسيما أنها لا تزال مهددة في ذلك الوقت من جل جيرانها، بما فيهم إيطاليا والمجر وغيرها، أم هي تقرب من فرنسا وبريطانيا، لكسب تأييدهما في قضيتها، أو هي مجرد دراسات علمية متنوعة وقليلة في كميتها، إذ ضمت موضوعات مدغشقر في لجنة واحدة مع مجموعة من بلدان شرقي آسيا وجنوب شرقها تحت عنوان "الهند الصينية، برمانيا، مدغشقر، ماليزيا"، ومن هنا ضمت مع بعضها؟ لا يمكن تقديم إجابة قاطعة لمثل هذه التساؤلات. إلا أن إمكان الإجابة عن سبب ضم مدغشقر علميا لتكون مع هذه الدول المذكورة. ففي الجزيرة جاليات آسيوية كبيرة، وسيطر هؤلاء النازحون على جل مناطق الجزيرة، لذا، فقد قارب العديد من الباحثين بين اللغات والأجناس

تلك، وقاربوها لآسيا أكثر منها لإفريقيا، وفي هذا المجال يقول "روبير شنيرب":
"إن مدغشقر أكثر انتسابا إلى الأراضي المتناثرة في المحيط الهندي، وحتى
المحيط الهادي، منها إلى إفريقيا التي تُولف جزء منها"^(١). فتل هذا هو سبب ضم
هذه الموضوعات بعضها ببعض.

أما الملاحظة اللافتة للانتباه أيضا، طرح الموضوعات الخاصة بالعبرية، في
المؤتمرات نفسها التي درست فيها الحبشة. وإذا ذكرت العبرية، يرد على الذهن
اليهود أيضا. والمعلوم أن الصهيونية نشطت في ذلك الوقت، ولاسيما بعد انتشار
كتاب "هرتزل"، "الدولة اليهودية"، سنة ١٨٩٦م (١٣١٤هـ)، وكثرة نشاطاته
ولقاءاته واتصالاته ومؤتمراته التي عقدها. وفي تلك الفترة، صرف نظره عن
فلسطين، بعد الفشل الذريع الذي لاقاه، فاضطر للقبول بوطن لليهود في أوغندا.
لكن ما لبث الصهاينة أن تراجعوا عن ذلك وأصرروا على فلسطين.

ازداد النشاط الصهيوني بعد ذلك، وأنشئ الصندوق الوطني اليهودي سنة
١٩٠١م (١٣١٩م)، وخصص لتكوين مستعمرة صهيونية في فلسطين، وتم تأسيس
معهد فلاحي يهودي في فلسطين، وكان منطلق نواة استعمارية في فلسطين. وشهد
العام ١٩٠٣م (١٣١١هـ)، انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي. وبالتالي، فقد
فرض الصهاينة أنفسهم على الصعيد العالمي، ولاسيما أن معظم قادتها ومموليها
من رجال الأعمال الذين يتحكمون في اقتصاديات معظم البلدان الغربية مثل
بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وغيرها من الدول، بدرجات
متفاوتة.

أما لماذا لم يطرح الموضوع اليهودي في المؤتمر الثالث عشر
بـ"مبورغ"، سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، فيبدو أن السبب هو الروح المعادية
لليهود التي كانت تشهدها الساحة الألمانية، التي عمتها مظاهرات وتوجهات معادية
للأفعال والتصرفات اليهودية، التي استغلت كل الظروف من أجل تنمية ثرائها
وسيطرتها على الألمان، الذين كانت متعمقة فيهم عقدة التفوق العنصري الألماني
على سائر الأعراق، ولاسيما اليهود.

يبقى موضوع الدراسات الأمريكية، التي وردت مرتين، في مؤتمر روما

(١) تاريخ حضارات العالم - القرن التاسع عشر - م ٦ - ص ٤٥٠ .

الثاني عشر، وفي أثينا في المؤتمر السادس عشر، ويبدو أن الأثر السياسي الكامن وراء التأثير في اختيار مثل هذه اللجنة مختلف في الحالتين، نظرا لاهتمام كل دولة بأمريكا لمصالحها الخاصة: فإيطاليا كانت دولة مصنعة وقوية، وبالتالي صارت استعمارية. وشهد القرن التاسع عشر انعقاد الدول الأمريكية، من تبعيتها للدول الأوروبية، لذا، فإن إيطاليا يهتمها أن توجه اهتمامها لتلك المنطقة للحصول على مصالح تجارية واقتصادية، وسياسية أيضا. لذا، فزمن التحرر الأمريكي، ولاسيما الجنوبي، عاصر انعقاد المؤتمر الثاني عشر، سنة ١٨٩٩م (١٣٠٧هـ)، الذي تزامن مع هزيمة أسبانيا النكراء في كوبا، مما قد يؤهل لقيام تحالفات أخرى^(١).

أما ما يتعلق بالمؤتمر السادس عشر، والذي أدخل الدراسات الأمريكية، ضمن موضوعاته، فيبدو أن ذلك يتعلق باليونان ذاتها. فاليونان تعد نفسها خارجة من احتلال تركي، وليست بالدولة القوية، ولا المصنعة، وهي مجموعة عرقيات وحدت نفسها رغما عنها للمصلحة المشتركة. وقد حصلت على مساعدات أوروبية عدة، لولاها ما وقفت في وجه الأتراك. لكنها ترى حمى الصراعات والمنازعات والتسابق نحو التسلح وتحرش الدول بعضها ببعض، هذا الوضع، والظروف التي تعيشها اليونان، يبدو أنها جعلتها تبحث عن حليف قوي ومستقر، ولزم أن يكون بعيدا عن أوروبا، وذا ميول أوروبية، وما كان ذلك إلا من الدول الأمريكية، ولاسيما الولايات المتحدة، التي انطلقت شرارة سيطرتها على العالم، وبالتالي أصبحت الدول الضعيفة والفقيرة تسعى للاعتماد عليها، فكان أن طرح الاهتمام بأمريكا على الساحة اليونانية.

في الوقت نفسه، كانت الولايات المتحدة، تنتظر فرصة الحصول على دور رائد على الساحة العالمية. وكانت منشغلة كثيرا بالقضايا الأوروبية، وبالمنازعات القائمة فيها، ولاسيما الدول المستقلة حديثا، واهتمت بقضية العرقيات والقوميات التي كانت تنهش الكيان الأوروبي. وبذلك على ذلك ما سمي لاحقا بالبنود ولسون^(٢)، ورأى فيها الأخذ بمبدأ احترام مطالب القوميات الوطنية، وبالتالي الاعتراف باستقلال هذه الشعوب، التي لا تزال تعاني من الاحتلال الأجنبي لها،

(١) روبرت شنيرب: تاريخ الحضارات العالم - م ٦ - ص ٥٧٣ - ٥٧٤ .

والقضاء على كل مبرر لسياسة الضم القومية^(١). وهذا ما سينتج لاحقا، بعد الحرب العالمية الأولى، صدور قرار يخدم مصلحة اليونان، ويتمثل في العناية بالدول المستقلة حديثا عن تركيا^(٢). واليونان التي كانت في حالة حرب مع تركيا وتطالب بأراضي تركية، سعت للاهتمام بالجانب الأمريكي كحليف يقيني، فانتشر الاهتمام بالواقع الأمريكي لدى كل الأطراف الفاعلة هناك، بما فيها الاستشراق.

أما العالم الإسلامي، الذي ظهر في المؤتمرين نفسيهما، فقد كان فيه من التحولات السياسية ما يجلب الاهتمام. ففي تلك الفترة انطلقت فكرة انقوميات والانفصالات، إضافة إلى الاحتلال العسكري لجل الأقطار الإسلامية، والسعي لخلعها عن الخلافة العثمانية، بل انطلقت بوادر التخطيط للإجهاد على منصب الخلافة، وهذه التغييرات السياسية، طرحت موضوع العلاقات بين الشرق والغرب أيضا. لذا، لزم بحث التطورات التي قد تحدث لاحقا على هذا المسار من العلاقات بين العالم الإسلامي الجديد والمجتمع الغربي. هذا إضافة إلى كون العالم الإسلامي هو موضوع الاستشراق الرئيس، ومن ضمنه المناطق المدروسة التالية، آسيا الغربية والجزيرة العربية وفلسطين، ومناطق القوقاز وما وراءه، والقوميات الناشئة في العالم الإسلامي، والنزعات العرقية فيها، بما فيها الطورانية والمالايوية والعربية وغيرها.

تلك هي مجموعة من التحليلات للمؤثرات السياسية التي يمكن أن تكون أثرت في اختيار اللجان والموضوعات الدراسية، إذ لم تكن المؤتمرات حرة تماما ومستقلة عن المؤثرات العديدة، والسياسية أهمها، لكن ليست وحدها، بل هناك المؤثرات الدينية أيضا، وتوضح باختيار الموضوعات المتعلقة بنصارى الشرق أو اليهودية أو الكنتب المقدسة، إضافة إلى الأثر الثقافي، كظاهرة الأدب الإسلامي في المؤتمرين السادس والسابع، وهي فترة ترجمت فيها نبذ من الأدب الإسلامي إلى اللغات الأوروبية، واشتهرت من ضمنها شهرة عميقة مجموعة "ألف ليلة وليلة"^(٣)،

(١) يمكن الاطلاع على ملخص هذه البنود في تاريخ الحضارات العام - ٧م - ص ٤٣.

(٢) للمرجع السابق - ٧م - ص ٤٦.

(٣) قال عنها عمر فروخ: "أما ألف ليلة وليلة، فسليلة من الحكايات الطوال في موضوعات غريبة، مبنية على الخرافات والمبالغات. والكتاب يرجع إلى أصل فارسي... فسماء العرب "ألف ليلة"، ثم جعل

التي شغف بها الغرب شغفا كبيرا، مما جعل الموضوع جذيرا بطرحه للدراسة والمناقشة في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

ومع ذلك لا يمكن إغفال الجانب العلمي والمعرفي وحب الاستكشاف والاطلاع على هذه الدراسات أيضا، ولا سيما الموضوعات المتعلقة بالنقوش والآثار وبحث الحضارات، فرغم التوجهات المعرفية المختلفة، والمدارس الدراسية المتنوعة، التي تناولت تلك الموضوعات سواء كانت تلك الهيئات الباحثة فنية أو أدبية أو دينية أو تاريخية أو غيرها، فإن دراساتهم لا تخلو من السهدف العلمي أيضا.

هذا ما يتعلق بالجانب الدراسي لمؤتمرات هذه الحقبة. هذه المؤتمرات، التي تمثل أساس انطلاق مسار المؤتمرات وثباتها، هذه المؤتمرات التي نشأت في حقبة زمنية توالفت فيها الأحداث المتنوعة، سواء السياسية منها أو الاجتماعية أو المعرفية أو غيرها، وتواصلت تلك الظواهر مع مسارات المؤتمرات، حتى إن هذه الأخيرة لم تستطع أن تبقى بمنأى عن تلك التطورات، فشابهها التنافس بين المستشرقين، وبرزت المصالح الوطنية الخاصة، التي اضطرب بها مسار المؤتمرات، بشقيه الإداري أو العلمي، إذ إن دراسات مؤتمرات المستشرقين العالمية إنسانية في عمومها، وبالتالي، فإن الأحداث الإنسانية كان لها التأثير الكبير في مسارها.

المتأخرون اسمه "الف ليلة وليلة"... وقد خضعت لزيادات مختلفة في الأعصر المتعاقبة... ففي "الف ليلة وليلة"، من أجل ذلك أساليب عديدة، تختلف بين نثر مرسل صحيح العبارة، وبين نثر متكلف سقيم التركيب. وفي الزيادات المتأخرة مدارك جنسية فاحشة، وألفاظ بذئية وقدر بارز من قصص الجن...".
في كتابه تاريخ الأدب العربي - بيروت - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة - ١٩٨١م - الجزء الثالث - ص ١٥١ .

الفصل الثاني: مؤتمرات المستشرقين العالمية في فترة ما بين الحربين

المبحث الأول: مسار المؤتمرات الإدارية وتطوره
المبحث الثاني: مسار المؤتمرات العلمي وتطوره

الفصل الثاني: مؤتمرات المستشرقين العالمية في فترة ما بين الحربين

توطئة:

مع انطلاقة الحرب العالمية الأولى، توقف نشاط المؤتمرات، بعد أن كان مخططا انعقاد المؤتمر السابع عشر منها في العام ١٩١٥م (١٣٣٣هـ-)، وهي أول عامل خارجي يتمكن من التأثير تأثيرا مطلقا في المؤتمرات. فالمؤثرات الخارجية الأخرى، رغم قدرتها على ترك بصماتها في المؤتمرات إلا أنها لم تتغلغل لدرجة التأثير في مسارها، ولم تقدر، بل لم تحاول إيقافه. لكن هذا الطارئ الجديد استطاع قطع نشاطها وإيقاف مسارها. ولم تقتصر فترة الانقطاع على الحقبة الحربية فحسب، بل زادت على ذلك أكثر بكثير، فلم تعاود نشاطها إلا في عام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ-)، وهو ما يعني عشر سنوات بعد توقف الحرب. لم تسنح الظروف في هذه الحقبة إلا لعقد أربعة مؤتمرات فحسب. فما لبثت أوروبا أن عادت إليها الحرب ثانية، فقد قامت فيها حرب عالمية أخرى توقفت بسببها المؤتمرات مرة أخرى.

تميزت حقبة ما بين الحربين بثبات نظامها العام القديم، واحتفظت باتجاهاتها ومسارها العام. وفيها لملم المستشرقون صفوفهم ثانية، حتى ألمانيا المهزومة في الحرب شاركت بعدد كبير من المستشرقين، بأكبر عدد من المندوبين عنها، مقارنة بسائر المؤتمرات الأخرى. فقد حاول المستشرقون جاهدين تحدي الظروف التي حالت دون عودة انعقاد المؤتمرات، ولاسيما المشكلات السياسية على الساحة الأوروبية، وتجاوز الحواجز الدبلوماسية، ولاسيما الخصومات الداخلية للبلدان، والمشكلات الحدودية، وحاولوا تغليب الجانب المعرفي للمؤتمرات على الظروف الراهنة.

أما ما تميزت به الناحية العلمية في هذه الفترة، فهو طرح الموضوعات اليهودية بقوة، ولاسيما في المنطقة الفلسطينية، إذ إن المؤثرات السياسية لا زالت تحدث أثرها في مسار المؤتمرات، فقد شهدت الحقبة ازدياد قوة حملة اللوبي

اليهودي الصهيوني، من أجل قيام وطن مستقل لليهود في فلسطين.

ومع ذلك، ما إن تهادأ أمور المؤتمرات وينتظم مسارها، حتى تطرح من جديد قضية إعادة النظر في أنظمة المؤتمرات، وذلك في آخر مؤتمرات هذه الحقبة. ولكن ما إن انقضى المؤتمر ذاك، حتى قامت الحرب العالمية الثانية، وأعيق للمرة الثانية بحث الموضوع هذا.

تلك التفصيلات والموضوعات، يمكن التعرف عليها من خلال العنصرين التاليين: المسار الإداري للمؤتمرات، وكذلك مسارها العلمي. وقبل الدخول في طرقيهما، يجدر إلقاء نظرة سريعة على الأحوال العامة، التي أحاطت ببيئة المؤتمرات في حقبة ما بين الحربين العالميتين، حتى يمكن وضع المؤتمرات في إطارها العام.

كانت أيام الحرب مروعة جداً، أدت إلى حدوث أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية عدة. وهذه الأزمات برزت منذ أيام الحرب، ولاسيما خلال العامين، ١٩١٧م (١٣٣٥-١٣٣٦هـ)، فقد هرب العديد من الجنود وفروا من ساحة القتال، وتمرّدوا أحياناً. أما في داخل البلدان فقد قامت إضرابات عمالية واحتجاجات اجتماعية مع ضيق المعيشة وكثرة القتلى والأسرى، وتصادعت الأصوات تطالب بالصلح. وقام الاتحاد السوفيتي الذي جاءت به الثورة البلشفية العامة سنة ١٩١٧م (١٣٣٥هـ).

ومع ذلك كانت صناعة الأسلحة في ازدهار وتكاثر دائم وتكسّد مستمر، وكل داع وصوت مضاد للحرب، وكل حركة تدعو إلى السلم، يتم قمعها ودحرها. عم البؤس جل البلدان، وتفاقم الغلاء ومعه الفوضى السياسية، وحاولت البلدان جاهدة قمع الثورات الشعبية، ولاسيما الشيوعية منها، التي أرادت أن تحذو حذو الثورة البلشفية، التي حاولت الدولة القيصريّة قمعها بكل ما أوتيت من قوة، لكنها انكسرت أمامها، الأمر الذي نَمى الخوف في النفوس منها، وأثّرت الشكوك حولها. ونظراً لشدة الحركات الشعبية، سقطت الأنظمة الملكية المهزومة. أما الدول الغالبة، فقد سارعت إلى قمع الإضرابات الشعبية، وفي الوقت نفسه لبست لشعوبها بعض المطالب، كنظام الثماني ساعات عمل، والإصلاح الزراعي...

أمام التحديات الكبرى، سعت الدول إلى تكوين عصابة الأمم، ومهمتها حماية

الأقليات واتخاذ الإجراءات الاقتصادية والعسكرية ضد أي دولة تعلن الحرب على الأخرى. إلا أنها سرعان ما همش دورها، ولم تتمكن من إثبات فاعليتها. وترأست ديون الدول الأوروبية مما جعلها في تبعية للولايات المتحدة الأمريكية، التي خرجت المستفيدة الكبرى من الحرب، إلى جانب اليابان. إلا أن الأمر لم يستقر لا في الدول المهزومة ولا المنتصرة، فقد انبعثت القوميات بقوة في الدول الخاسرة، واحتدم التنافس الاقتصادي والتجاري بين الدول المنتصرة، التي كانت تسعى جاهدة لإعادة بناء نفسها. وتقلت الإهانات وتزايدت على الدول المهزومة، ولاسيما عدم احترام الاتفاقيات المعقودة معها، وهذه ساهمت بعمق في انعدام الثقة بين الدول، وانصب الاهتمام مرة أخرى على التسليح وتطويره وتكديسه من جديد.

تفاقمت المشكلات الاقتصادية، وارتفعت أسعار المواد الخام والمحاصيل الزراعية، وارتفع الاستيراد مقابل تدني حركة التصدير، فانهارت العملات مقابل الدولار، وتلاحقت إفلاسات المؤسسات والبنوك، وشان الأمر الأزمة الكبرى ليوم "الأحد الأسود"، الرابع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٩م (الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٤٨هـ)، التي عمت بلواها أنحاء العالم كافة، وتعاطفت قسوتها على كل من فرنسا وإيطاليا، بينما كانت أرمتها أخف على بريطانيا من غيرها، بسبب نوع من الاستقرار السياسي.

نمت كل من ألمانيا وإيطاليا من جديد شيئاً فشيئاً، وكونت كل منهما قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية. إلا أن اقتصادهما، كان موجهاً للحرب، وكذلك اليابان، التي كانت في حالة حرب مع الصين. وكان الرأي السائد عموماً أن التسليح وحده هو الذي يكمن وراء ازدهار عملية إنتاج المواد الأولية. واشتد التنافس في هذه الفترة على السيطرة على العالم مرة أخرى، سواء من الناحية السياسية أو التجارية أو الاقتصادية، وعادت من جديد الخصومات بين الدول، واتقدت الروح الوطنية، وعم سوء النية، ورجعت التحالفات المتعددة، واحتدم العداء بين الأطراف، وارتفعت درجته شيئاً فشيئاً حتى انطلقت حرب عالمية جديدة، بأسلحة فتاكة أكثر ضراوة من الحرب الماضية^(١).

(١) للمزيد من التفصيل، يمكن مراجعة تاريخ الحضارات العام - ٧ - ص ٨٦٩ - ٨٨٠.

المبحث الأول: مسار المؤتمرات الإداري وتطوره

أدى قيام الحرب العالمية الأولى إلى توقف المؤتمرات عن الانعقاد، كما أن الفترة الزمنية الطويلة، الفاصلة بين توقفه عند آخر مؤتمر عقده قبل الحرب سنة ١٩١٢م (١٣١٧هـ)، وحتى انعقاد المؤتمر اللاحق له سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، غيرت الكثير من الشؤون العالمية، من ضمنها النواحي المادية والمعرفية والسياسية والاجتماعية وغيرها. كما ظهرت حاجات وضرورات جديدة، تناسبت مع الوضع الجديد الراهن، وتحولت الجوانب المعرفية، وشهدت توجهات جديدة، سواء العلمية الطبيعية منها، أو الفكرية والفلسفية والأدبية. كما قضى العديد من المفكرين نحبتهم بسبب الحرب أو بعامل السن، ومن هؤلاء العديد من المستشرقين، ومن بقي منهم، وبالكثافة مع غيرهم، سعوا جاهدين لاستعادة حياة مؤتمراتهم.

حقيقة تلك الجهود، وما كان لها من أثر في انعقاد المؤتمرات وفي مسارها الإداري، يمكن الوقوف عليها وفق العناصر التالية:

- أسباب تأخر عودة المؤتمرات للانعقاد بعد الحرب.
 - مساعي إعادة مسار انعقاد المؤتمرات.
 - مساعي تطوير أنظمة المؤتمرات في هذه الحقبة.
- وبهذه العناصر، نتضح الرؤيا العامة للمسار الإداري للمؤتمرات في هذه الحقبة

١- أسباب تأخر عودة المؤتمرات للانعقاد بعد الحرب:

من المعلوم أن الحرب العالمية الأولى توقفت في عام ١٩١٨م (١٣٣٦هـ)، ومع ذلك لم تتطلق المؤتمرات من جديد إلا في عام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وهو ما يعني ركود المؤتمرات عشر سنوات بعد الحرب. ولم ننكر المؤتمرات أسباب هذا التأخير، عدا الحرب ومحاولة استشارة المتخصصين في كافة أنحاء أوروبا وأمريكا. إلا أن الاستقراء التاريخي يبين أن هناك أسبابا عدة، حالت دون انعقاد المؤتمر في وقت أقرب من هذه الفترة. وبالتالي يمكن إرجاع

ذلك التأخر لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية. وهذه يمكن بيانها باختصار فيما يلي:

أ- الأسباب السياسية:

ألفت المقدمة التاريخية لهذا الفصل بعض الأضواء عن الوضع السياسي الذي نجم عن الحرب العالمية الأولى، وذكر أن هناك شؤوناً داخلية في كل دولة، وظروفاً أخرى خارجية. وتمثلت الحالات الداخلية بالاضطرابات الداخلية، هدفها إسقاط الحكومات أو معاقبتها على سنوات الحرب المفروضة من قبلها، فيما اعتمدت جل الحكومات على القوة العسكرية لقمع هذا الغضب، ولاسيما ضد الجماعات الشيوعية. حتى روسيا نفسها، كانت لا تزال تعاني من صراعات دموية داخلية، وانقسامات سياسية حادة.

وطالت تلك الصدمات حتى الدول الكبرى نفسها، وكانت أشدها في فرنسا، التي استنفرت كل الوسائل القمعية التي قدرت عليها، حتى أخضعت خصومها بالقوة الضاربة. تليها بريطانيا وألمانيا. أما إيطاليا، فاجتمع فيها سوء التنظيم العام، بتغير الحكومات السريع والمتلاحق، مع القمع الشديد للثورات القائمة. ولم يستقر لها الوضع إلا مع مجيء موسوليني^(١) الذي خفف قليلاً من حدة القمع، واستخدم أساليب سياسية صارمة من جهة أخرى. وحصل الأمر نفسه في ألمانيا، رغم أنه أخف من إيطاليا بكثير، ومع ذلك لم تهدأ الأوضاع إلا بمجيء 'هتلر'^(٢)

(١) هو بينيتو موسوليني (١٨٨٣ - ١٩٩٥م) (١٣٠٠ - ١٣٦٤هـ)، هو مؤسس الحزب الفاشي الوطني، واستغل القلاقل والثورات، وزعم على روما في ٢٨/١٠/١٩٢٢م (١٣٤١/٣/٧هـ)، وقدر على التحكم في البلد بقوة فيما بين (١٩٢٢-١٩٤٣م) (١٣٤٠ - ١٣٦٢هـ)، وضم إليها مناطق استعمارية، الأمر الذي سبب له عزلة غربية، فتحالف مع هتلر سنة ١٩٣٩م (١٣٥٧هـ)، ودخل معه الحرب العالمية الثانية، وكان يحلم بإعادة الإمبراطورية الرومانية. وبعد الهزيمة الحربية، حاول الفرار، فقبض عليه وحكم وأعدم رمياً بالرصاص.

Academic American Encyclopedia - Vol13 - p. 684.

(٢) هو أدولف هتلر (١٨٨٩-١٩٤٥م) (١٣٠٦-١٣٦٤هـ)، ولد في النمسا، انخرط في الجيش وشارك في الحرب العالمية الأولى، وتدمر من هزيمة ألمانيا، وحاول القيام بانقلاب عسكري على الحكومة، ففشل وسجن خمس سنوات، وفيها كتب مؤلفه الشهير 'كفاحي'، واشتد عدائه لليهود

وحزبه للحكم، واتخاذ قرارات وإجراءات سياسية وعسكرية صارمة للغاية، وكان ذلك في معظم الأمور الكبيرة منها والصغيرة، الأمر الذي جعل الأمن يستتب رغم عدم الرضا العام.

أما الدول الصغرى، فكانت حالتها أسوأ من الكبرى، إذ تفككت الإمبراطورية النمساوية-المجرية، وانقسمت إلى دول متصارعة، وسقطت النظم الملكية فيها تترى، وظهرت النزعات القومية التي تناحرت على السلطة، ولاسيما في كافة أنحاء أوروبا الشرقية. وهكذا كان الحال في كل الدول الأوروبية كافة، فقد ظهر التنافس على السلطة، وتكاثر الأحزاب والإيديولوجيات السياسية، والنزعات القومية، وكانت أوروبا تعيش غليانا داخليا، لم يستقر نهائيا، وإن خفت انعكاساته قبيل قيام الحرب العالمية الثانية.

أما عن العلاقات بين الدول، فقد كانت متوترة، سواء بين الدول المنتصرة فيما بينها، أو المهزومة مع بعضها، أو بين الدول المنتصرة والمهزومة.

أما الدول المنتصرة، فقد تعاضمت التنافس مرة أخرى بين كل من إنجلترا وفرنسا، وكذلك دخلت الولايات المتحدة الحلبة، وإن كان لا يزال بشكل محدود، وعظم الصراع حول اقتسام مستعمرات دول المحور، وغنائم الحرب، وكذلك التعويضات، فيما تم عزل الاتحاد السوفيتي عن القيام بأي دور عالمي جديد، بل كان الحلفاء يساندون النازيين على الحكم الجديد ويقدمون لهم الدعم المادي والعسكري، ولاسيما دول البلطيق وروسيا البيضاء وأوكرانيا، مما زاد من قمة عداة الروس البلشيفيك للغرب عموما، وكرد فعل على ذلك، تبنت روسيا كل الحركات الشيوعية في البلدان الغربية كافة، وقدمت لها المساعدات والدعم، ومن هنا، استفحل العداة بين الطرفين وتعمق. أما إيطاليا، فقد غضبت من خيانة الحلفاء لها.

أما الدول المهزومة، فقد فرضت عليها حدود جديدة، وتكونت منها دول أخرى. وقامت بين العديد منها صراعات حدودية عدة، ولاسيما بين دول البلقان

والشيوعيين. تزعم الحرب النازي، ووصل بحزبه لسدة الحكم سنة ١٩٣٣م (١٣٥١هـ)، ونكل بأعدائه ولاسيما اليهود والشيوعيين، وأسس حكومة مطلقة. وأدخل بلده الحرب العالمية الثانية، التي نتج عنها انكسار ألمانيا، سنة ١٩٤٥م (١٣٦٤هـ)، فانتصر في ٣٠/٤/١٩٤٥م (١٣٦٤/٥/١٨هـ).

Academic American Encyclopedia - Vol10 - pp. 187 - 188.

واليونان وتركيا وألبانيا، والحدود الرومانية المجرية، كما أن الحدود البلجيكية لم تكن مستقرة مع جاراتها، وهذا الوضع العام أدى إلى قيام معارك وصراعات، ساهم البعض منها في قيام الحرب العالمية الثانية.

أما علاقات الدول المنتصرة مع المهزومة، فتتمثل في المبالغة في الإذلال، واستخدمت الدول الغالبة كل ما تستطيعه من وسائل وأساليب لقهر الآخرين، ولاسيما من جانب فرنسا تجاه ألمانيا. واستخدمت تلك الدول عصبة الأمم لمزيد الضغط، بفرض حدود جديدة عليها، واقتطاع أراض منها لصالح غيرها، وإجبارها على اتخاذ مسارات سياسية معينة، والمبالغة في استخدام حق الفيتو في إهانتها، وكل ذلك زرع في نفوس الدول المغلوبة النقمة الشديدة على دول الحلفاء، والرغبة الجامحة في الانتقام واسترداد الشرف^(١).

هذه الظروف العامة، أجبرت الدول للعودة مرة أخرى لسباق التسلح، إضافة إلى الأزمات الاقتصادية الخائفة، التي شهدتها تلك الحقبة، وجهت الهمم لتطويع السلاح وتعزيز دوره، وبالتالي تكديسه والاستحواذ على الراقي منه. ومن هنا، يتبين أن تمثل هذه الأزمات السياسية الخائفة، والخلافات الدولية المتعمقة، والشعوب المغلوبة على أمرها والمتفرقة، أثرها في صرف الجهود بعيدا عن المؤتمرات .

ب - الأسباب الاجتماعية:

خرجت أوروبا من الحرب منهكة ومفجعة، ودخل الهلع جل البيوت، لكثرة القتلى والمعاقين، وتدهورت اقتصادياتها، وتوالى الهزات الاجتماعية المتنوعة عليها، بسبب المخلفات السياسية أو الاقتصادية. تلك المؤثرات جعلت المجتمعات تعيش حياة غير مستقرة، فكثرت المظاهرات والاحتجاجات والاضطرابات، نكتها النعرات العرقية، في معظم الدول الرابحة والخاسرة، بما فيها فرنسا وبريطانيا. وتعمقت النزعات العنصرية، ولاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي بدت المجتمعات غير متناسقة ولا منسجمة، فظهرت تصنيفات

(١) يمكن الاطلاع على التفاصيل لدى روبرت شنيرب - م - ٦ - ص.

الشعوب والتجمعات السكانية والأجناس العرقية، وطلعت للساحة المنازعات حول ماهية الجنس الأرقى والأدنى، ومن له أحقية التحكم في الشعوب الأخرى.

كما وجدت مجموعات أخرى تحارب الطبقة والفروق الاجتماعية، واختلفت مشاربها الفكرية، فهناك الشيوعيون والاشتراكيون والداعون للعدالة الاجتماعية، والثائرون ضد الفساد ولاسيما في تعيين الوظائف، وتقديم الجديرين واستقطاب المؤهلين، فيما زادت البطالة، التي تعد بالملايين العاطلين عن العمل، المشكلات الاجتماعية استفحالا، وهؤلاء كانوا يطالبون على الدوام بالحصول على أعمال، وبالتالي كانوا يسببون اضطرابات اجتماعية عديدة ومستفحلة.

كل هذه الجوانب جعلت المجتمعات تدخل في دوامة صراعات متنوعة ومتباينة، كل على الناحية التي تمسه مباشرة. وعرفت ألمانيا بانتشار نظرية التفوق العرقي، وتصنيفها لبقية الشعوب حسب صلاحيتها، واشتهرت الولايات المتحدة بالعنصرية ولاسيما ضد السود، وقامت ضدهم اضطهادات، ونما كره اليهود في بولندا والمجر وروسيا وألمانيا، لثرائهم الفاحش وشغلهم المناصب التي لا يستحقونها، وأقلقت البطالة كلا من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا. أما ألمانيا فقد استطاعت بالحزم الشديد والقرارات الإغرائية من ناحية، واستخدام القوة العسكرية من ناحية أخرى، القضاء على البطالة.

ومع ذلك تواصلت الفوضى الاجتماعية، في كافة أنحاء أوروبا طوال الفترة الفاصلة بين الحربين، ولعل الاستقرار لم يستتب بدرجة عالية إلا في ألمانيا، في السنوات الأخيرة قبل الحرب العالمية الثانية. وظلت أوروبا تشكو من التفكك الاجتماعي، ومن انهيار الروابط الشعبية، وانعدام الثقة بين الطوائف حتى في الوطن الواحد^(١). ولا شك أن لعدم الاستقرار الشعبي أثره على المسارات العلمية، ومن ذلك مسار الاستشراف عامة، ومؤتمرات المستشرقين العالمية كذلك، الأمر الذي ساهم في تأخر انعقادها مدة عقد من الزمن.

ج - الأسباب الاقتصادية:

(١) للمزيد من التفصيل، يمكن الاطلاع على ذلك لدى روبرت شليرب - م ٦ - ص .

لعل هذا السبب هو أهم ما أخرج انعقاد المؤتمرات، فإضافة إلى الاستقرار السياسي والمالي، لا بد من توفير الموارد المالية اللازمة من أجل استيفاء المصاريف اللازمة للنفقة على حاجيات المؤتمرات. وأوروبا خرجت تعاني من ويلات اقتصادية، ونقص في الموارد والمواد الغذائية، بسبب تدمير الأسس الاقتصادية، الصناعية منها والفلاحية، وضعف التصدير والتوريد، واتساع الأزمة الاقتصادية الخانقة، وشمولها أنحاء العالم كافة. وتواصل التدهور الاقتصادي حتى سنة ١٩٢٦م (١٣٤٤هـ)، وفيها بدأ الاقتصاد العام ينتعش، وفي هذه السنة تقور انعقاد المؤتمر في العام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ). إلا أن الأزمة رجعت للساحة من العام ١٩٢٨م ذاته، وبلغت أوجها بالأزمة السوداء لسنة ١٩٢٩م (١٣٤٨هـ)^(١). رغم تلك الظروف، يبدو أن تضحيات كبرى عملت من أجل تنفيذ انعقاد المؤتمر في موعده، ولا سيما أن بريطانيا كانت أقل الدول تضررا بالأزمة الاقتصادية تلك. ولعله من حظ المؤتمر الكبير أن كانت الدورة الأولى منه في هذه الحقبة، ستعقد في بريطانيا، بعكس فرنسا التي كانت من أشد الدول تضررا بالأزمة.

د - الأسباب الثقافية:

شهدت الحيات الثقافية نفسها نكسة عميقة، خلفتها ويلات الحرب وأثارها في النفوس. فرغم النشاط الفكري العارم، الذي ظهر من بداية القرن، ازدادت البلبلة في النفوس وعم الغموض الفكر بسبب النظريات العلمية والفلسفية الجديدة، شكك الكثيرون في العقلانية الجديدة، غذاها الصراع المتواصل في أوروبا، والذي ينبئ بإمكان عودة القتال ثانية.

جاءت الفيزياء بنظرية النسبية، الأمر الذي أدخل اضطرابا وتشويشا على مسار الفيزياء، مما أوجد نظرية الحتمية إلى جانب نظرية التفسير الاحتمالي^(٢). تلك النظريات العلمية، أثرت في الفكر الفلسفي، إذ ضعفت مقولة أن التجربة

(١) التفصيل عند روبير شنيرب - م ٦ - ص .

(٢) المرجع نفسه - م ٧ - ص ١١٢ .

والاختبار هما عنصر الإثبات الموصلة لليقين. وجاءت وجهة النظر التي ترى بأن العلم لا يعرف شيئاً في مقدوره أن يتوصل إلى معرفة شيء، عن كنه الأشياء وجوهرها، وأما الذي يستطيعه فهو بيان الروابط والنسب بين الأشياء لا غير. ومن هنا جاءت الفلسفة الذرائعية^(١)، وفلسفة العمل والسلوك، وأن مجرد الملاحظة تكفي للتعرف على الحقيقة. كما ظهر خلال الحرب تيار فلسفي لاعتقائي، ويسرى أن لا هدف أسمى ولا عمل مطلق، وهذا أفضى لظهور الوجودية^(٢)، التي أطلقت على العالم العلمي وتغلغل فيه، ولقيت أذاناً صاغية واعية، ونهضت على المبدأ القائل بأن العالم البشري يخلو تماماً من معيار للقيم المطلقة، ولا معيار له سوى المعيار الذي يعطيه هو نفسه^(٣).

تلك البلبلة الفكرية كان لها أثرها في العلوم الإنسانية، واضطر كل من علم النفس وعلم الاجتماع لأن يعيدا النظر في مناهجهما التي كانا يعتمدانها، فظهور طريقة التحليل النفسي شككت في الطرق المتبعة في علم النفس. فالطريقة الجديدة اعتمدت الشعور واللاشعور، والكبت والإشباع، وتحليل الغرائز، ولاسيما ما يتعلق بالحياة الجنسية في المريض. كما راح علم الاجتماع في دوامة النظريات، واعتمد على الأبحاث النفسية، ليدرس النواميس التي يخضع لها التطور البشري، وظهرت بالتالي نظريات عديدة، حاولت الربط بين تسلسل الأمور وأثر الشمس والأحوال الجوية، وتبحث في الأعراق البشرية العوامل الأصلية في تكوين المجتمعات الإنسانية. وهذه جميعها أدت إلى وجود نظريات متباينة.

هذه الثورة في العلوم أثرت في الأدب والفن، فأضحى كل فرد يعي أن عليه أن يستنبط طريقته التعبيرية الخاصة به، وكذلك لغته الخاصة، لينقل الصورة التي تبدو له عن العالم. وبالتالي، تميزت المواهب بالعمومية والأمية، التي تبحث عن

(١) الذرائعية، وتسمى أيضاً أداتية، وهي ضرب من البراجماتية، قال بها الفيلسوف الأمريكي ديبوي، ومفاده أن المعرفة أداة للعمل ووسيلة للنجاة. يمكن التعرف على المزيد في المعجم الفلسفي - ص ٥.

(٢) الوجودية مذهب فلسفي يقوم على إبراز الوجود وخصائصه، وجعله سابقاً على الماهية. فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة، التي تمكن الفرد من أن يمنع نفسه بنفسه، ويملاً وجوده على النحو الذي يلائمه. عن المعجم الفلسفي - ص ٢١١.

(٣) المزيد من التفصيل يمكن الرجوع لـ"روبير شليرب": تاريخ الحضارات العام - ص ٧ -

إنسانية جديدة، تحاول التعبير عن مشاعره الجديدة في علاقاته الحديثة بالكون. فقد أثرت الحرب كثيرا على الأدب والفن، إذ كانت حدثا جهنميا عندهم، وشرودا للعقل السليم تحت حجة المحافظة على القيم الروحية والوطنية. هذا الأمر أدى إلى التشكيك في كل الموروثات والقيم والتقاليد والأعراف، وانتشر حب الاندفاع نحو الملذات دون تمييز، وتعددت الدعوات نحو التحرر والاعتناق، وعمق ذلك نظرية التحليل النفسي، ورئي أن لا وزن للحياة إلا الجمال السوري، هروبا من الواقع، لأن الحضارة الغربية آيلة للسقوط لا محالة. كما انطلق البحث عن عوالم مجهولة، وكثرت الكتابات الأدبية المعادية للكنيسة. وجاء المسرح يعبر عن مآسي البشرية، وتوج الفن بظهور السريالية^(١)، وتعمق تيارها وسط الفنانين.

وظهر في البلدان المغلوبة أدب وفن التمرد على الدولة، وانتشرت ظاهرة الفوضى والشعور بالتعاسة البشرية، كما انتشرت فيها المذاهب اللاواقعية، كالتى ظهرت في البلدان المنتصرة^(٢).

إن، شهد الفكر والعلم والثقافة اضطرابات وأزمات وصدمات، بعد الحرب مباشرة، بل وأثناءها أيضا، لما خلفته من دمار وتقتيل وخسائر. فقد قامت الحرب على حين غرة، رغم مسعى جل المثقفين لنفادها. وكانت نتائجها أكثر مما كان متوقعا، لذا، أصيب الفكر بتلك المفاجآت، ولزمه زمان حتى يسترد ماضيه. ونعل هذا الذهول الثقافي أصاب المستشرقين أيضا، فتأخرت عودة مؤتمراتهم للانعقاد، شأنها في ذلك شأن بقية العلوم، ولاسيما الإنسانية.

تلك هي أهم الأسباب التي أعاققت سرعة عودة المؤتمرات للانعقاد، إذ إن المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك الثقافية، تأثرت كثيرا بويلات الحرب ونتائجها. أما ما كان في صالح المؤتمرات فهو انطلاقها من جديد في بريطانيا، إذ إنها كانت مؤهلة أكثر من غيرها لاستقبال المؤتمرات، إذ إن أغلب المشكلات والمؤثرات المذكورة، كانت أخف في بريطانيا كثيرا، مقارنة مع غيرها

(١) السريالية، اتجاه معاصر في الفن والأدب، يذهب إلى ما فوق الواقع، ويركز بصفة خاصة على إبراز الأحوال اللاشعورية. المعجم الفلسفي - ص ٩٧.

(٢) التفصيل لدى "روبير شنيرب": تاريخ الحضارات العام - م٧ - ص - ١١٤ - ١٢٣.

من الدول. وقد ساعد ذلك مستشرقى بريطانيا على أنجاح مهمة عودة المؤتمرات للانعقاد.

٢ - مساعي إعادة مسار انعقاد المؤتمرات:

في نهاية المؤتمر السادس عشر الذي انعقد في أثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، تقرر أن ينعقد المؤتمر السابع عشر في أكسفورد، التي استعدت لاستقبال الحدث ذلك سنة ١٩١٥م (١٣٣٣هـ)، تحت رئاسة المستشرق "ماكدونالد"، إلا أن الاستعدادات تلك أعاقها الحرب العالمية الأولى. وبعد الحرب، حاولت "أكسفورد" جهدها لاستئناف انعقاد المؤتمرات، ولم يؤت جهدها أكله، إلا في العام ١٩٢٦م (١٣٤٥هـ)، بعد أن حصلت على تأييد الدول الغربية الأخرى، وجاءتها ضمانات من الهيئات المختصة، على أنجاح الدورة، تولت كلية اللغات الشرقية بجامعة أكسفورد مهمة إتمام الإجراءات على عاتقها، فكونت لجنة عامة تحت رئاسة "مرجليوث"، ومساعدة كل من "توماس Thomas" و"سدون Seddon"، أما المحاسبة المالية فعهد بها لـ"درايقر"، وتواصل عمل هذه اللجنة الإعدادي على مدى سنتين، وبلغ عدد الذين سجلوا أنفسهم خمسين وسبعمائة، من ضمنهم مائتا مندوب حكومي وجامعي ومؤسستي^(١).

أما المؤتمر فقد عقد تحت رئاسة "اللورد تشالمرز Lord Chalmers". وفيما ضمت لجنة المؤتمر العامة العديد من المستشرقين المشهورين مثل "مرجليوث" و"سمبسون Simpson"، و"توماس"، و"كوك Cooke"، وغيرهم^(٢)، فقد أبدى الرغبة في المشاركة العديد من البلدان والمستعمرات، وقد تقرر انعقاده في عام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)^(٣).

(١) Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 7.

(٢) Ibid. p. 8.

(٣) Ibid. p. 7.

هذا وقد شاركت ألمانيا في المؤتمر، وأرسلت أكبر عدد من المندوبين في تاريخها، فقد بلغ إجمالهم اثنين وعشرين مستشرقاً^(١). وفي هذا دليل على تضافر الجهود الغربية، من أجل إنقاذ مؤتمرات المستشرقين العالمية، ولم يكن الأمر قاصراً على البلد المستضيف، بل شمل كل البلدان الغربية. وهكذا انطلقت المؤتمرات من جديد.

٣ - مساعي تطوير أنظمة المؤتمرات في هذه الحقبة:

مر بنا أن مؤتمر أثينا كون لجنة مهمتها مراجعة بنود نظام المؤتمر العام، وكذلك مشكلة انعقاد المؤتمر اللاحق، الذي اتفق عليه بعد ذلك، إلا أن الموضوع الأول لم يتم البت فيه، لذا، فإن المؤتمر السابع عشر كون لجنة من كل من "توماس" و"مرجليوث" و"لانغدون Langdon"، و"زيمرن Zimmern"، و"فوشي Foucher"، و"هورخرونجي"، و"بريستد Breasted"، وعين "سدون" سكرتيراً لها، ووضعت تحت رئاسة "اللورد شالمر"، وسميت "اللجنة الاستشارية"، وحددت وظيفتها في دراسة موضوع بنود نظام المؤتمرات، إضافة إلى استقبال استفسارات ومساءلات المؤتمرين طوال أيام المؤتمر واختيار مكان انعقاد المؤتمر القادم^(٢). إلا أن الطباعة المختصرة لأعمال المؤتمر لم تبين ما تم في الموضوع الأول، إذ لم يذكر سوى اختيار البلد المعين للمؤتمر الثامن عشر، وهي هولندا^(٣)، وسكت المصدر عن النظر في النظام العام، كما لم يفتح الموضوع في المؤتمرين اللاحقين، ولزم انتظار المؤتمر العشرين حتى نرى ظهور الموضوع مرة أخرى. ويبدو أن الاهتمام الأول للجنة انصب على عملية استمرار المؤتمرات وإعادة فاعليتها.

في المؤتمر العشرين سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، ورد في التوصيات والقرارات ما يلي: "يعهد المؤتمر للجنة الاستشارية أخذ كل الترتيبات اللازمة،

(١) Ibid. p. 13, 15, 17, 20 .

(٢) Ibid. p. 16.

(٣) Ibid. p. 104.

لنضع بين يدي المؤتمر الحادي والعشرين مشروعا لمراجعة نظام مؤتمرات
المستشرقين العالمية^(١). لكن هذه المحاولة كسابقتها، لم يكتب لها مواصلة عملها،
بسبب قيام الحرب العالمية الثانية، وتوقف نشاط المؤتمرات مرة أخرى، كما حدث
في الحرب الأولى. ومثلما حدث في أكسفورد، طرح الموضوع من جديد لأخذ
رأي المستشرقين في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م
(١٣٦٧هـ)، لدى أول مؤتمر ينعقد بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنه فشلت هو
الآخر في إحداث تحويلات على النظام، ووجهت الجهود مرة ثانية من أجل إعادة
مسيرة المؤتمرات.

(١) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 -
p. 37.

المبحث الثاني: مسار المؤتمرات العلمي وتطورها

نتم دراسة هذا العنصر تماما كما حصل في الفصل الأول، بعرض جدوليين حول اللجان العلمية التي ظهرت في مؤتمرات المستشرقين العالمية التي انعقدت في هذه الحقبة^(١)، وكذلك الموضوعات المستخلصة من مسميات اللجان واللجان الفرعية^(٢)، وبالتالي استنتاج الملاحظات حول الجداول، ثم تحليلها ومناقشتها.

١- الملاحظات المستخلصة:

من الملاحظات التي يمكن أخذها من الجداول المذكورة، نرى أن الموضوعات في هذه الحقبة كانت محصورة فلم تتجاوز ستة وعشرين موضوعا، فيما لم تتجاوز لجان مؤتمرات هذه الحقبة العشرين. وهو أمر بدهي نظرا لقلّة عدد مؤتمرات هذه الحقبة.

انبعثت في هذه الحقبة الدراسات اليهودية بقوة: فقد كانت العبرية موضوعا في المؤتمر السابع عشر، وظهر العهد القديم في المؤتمرين السابع عشر والعشرين، فيما كان اليهود موضوعا للمؤتمرات الثلاثة الأخيرة من هذه الحقبة. وهذه أول مرة يظهر اليهود موضوعا للمؤتمرات، كما أن "العهد القديم" تحت هذا المسمى لم ينفرد بهذا المسمى إلا في هذه الحقبة، وذلك في المؤتمر السابع عشو، وأدمج مع الدراسات اليهودية، في لجنة تحمل اسم "العهد القديم واليهودية".

أما الملاحظة الثانية، فتتعلق بالدراسات الإسلامية. فإن الإسلام لم يكن شغل في الفترة السابقة سوى ستة موضوعات، لكنه في هذه الفترة ظهر في كل المؤتمرات، وخصصت لجنة تحمل اسم "الإسلام"، في كل دورة، وبعد أن غاب في الحقبة الماضية، عاد القرآن ليشغل هاهنا المؤتمرين السابع عشر والعشرين،

(١) جدول اللجان هذا موجود في الملحق رقم ٣٤ ص ٨٢٦ من الرسالة.

(٢) جدول الموضوعات هذا موجود في الملحق رقم ٣٥ ص ٨٢٧ من الرسالة.

لكن لم تخصص له لجنة مستقلة. كما أن بعض المناطق الإسلامية تواصل وجودها في هذه الحقبة، مثل تركيا وإندونيسيا وإيران وآسيا الوسطى وغيرها. من الموضوعات الجديدة التي انبثقت في هذه الحقبة كذلك، الدراسات المتعلقة بنصارى الشرق، أو الشرق النصراني، وكانت في المؤتمرين التاسع عشر والعشرين، ووردت لجنة خاصة بهم في المؤتمر التاسع عشر بعنوان "النصارى المشرقيون".

طرحت موضوعات تتعلق بالاتحاد السوفيتي وجيرانه، كشمال آسيا في المؤتمر السابع عشر ووسطها الذي شغل كافة مؤتمرات هذه الحقبة، وأرمينيا، إحدى الجمهوريات المتمسكة بالنصرانية، في المؤتمرين السابع عشر والتاسع عشر.

وظهرت موضوعات لأول مرة، منها "سيلان" و"شمال آسيا"، فيما جاءت أرمينيا لتأخذ مكانها من جديد ضمن مؤتمرات المستشرقين العالمية، فبعد المؤتمر الأول لم ترد مرة أخرى إلا في المؤتمرين السابع عشر والتاسع عشر. أما بقية الموضوعات، فمنها ما هو امتداد للحقبة السابقة، مثل إفريقيا والساميات والأشوريات واللغويات والهند وغيرها، ومنها ما كان يظهر أحيانا ويغيب أخرى، مثل الشرق وإيران وتركيا وغيرها. إذن، فاللافت للانتباه في هذه الحقبة هو ظهور الدراسات المتعلقة باليهودية والعهد القديم، وكذلك الدراسات المتعلقة بالنصارى الشرقيين. تلك هي أهم الملحوظات التي تؤخذ من بحوث الحقبة الثانية من عمر المؤتمرات.

٢ - تحليل ومناقشة:

أول ملاحظة تحتاج للتحليل، هي انبعاث الموضوعات المتعلقة بالدراسات اليهودية. ولكي يتم فهم ذلك، يجدر التعرض باختصار للقضية الصهيونية، التي تمكنت من فرض نفسها والوصول إلى إقامة كيان صهيوني، مستخدمة شتى أنواع الضغوط على العالم الغربي كافة.

تربى الفكر الصهيوني ونما على مدى حقبة زمنية عديدة، غذتها النكبات التي لاقاها اليهود على مدى تاريخهم^(١). إلا أن المتفق عليه أن هذا الفكر تقوى خلال القرون الثلاثة الماضية، واتخذ طابعا سياسيا، عظم نفوذه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأثر في النصف الأول من القرن العشرين، وفرض نفسه دولة في فلسطين^(٢).

لاقى اليهود شتى أنواع الاضطهاد والقهر في جل دول أوروبا، وذلك لما اتسمت به شخصيتهم من استغلال للشعوب وللظروف المتاحة، ولأخلاقياتهم التي كانت تنفر منهم كل من عرفهم، ولاسيما في باب المعاملات^(٣). من أجل تلك الأحداث وتطوراتها، سعى الصهاينة لتجنيد كل طاقاتهم من أجل قيام كيان خلص بهم. وانطلق راندو الصهيونية يعملون على واجهتين: التبشير بقرب العودة للأرض الموعودة، حسب معتقدهم، وجمع التأييد العالمي بالبيان والضغطات، وتجميع صوت الصهاينة حول مفاهيم موحدة من أجل تحقيق هذا الهدف. شجع الصهاينة قيام هجرات يهودية لفلسطين، واستخدموا شتى أنواع الضغوط لإجبار الحكومة العثمانية على قبول تلك الأعداد الكبيرة واستقرارهم في فلسطين، كلما أظهرت اعتراضا على ذلك^(٤). وأشهر دعاة الصهيونية "تيودور هرتزل"^(٥)، الذي

(١) يمكن التعرف على المزيد من التفاصيل عند صبري جريس: تاريخ الصهيونية - الجزء الأول - ١٨٦٢م-١٩١٧م - بيروت - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - ١٩٧٧ - ص ٩-١٠.
وسيد فرح راشد: دراسات في الصهيونية وجذورها - الرياض - دار المريخ للنشر - ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م - ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) يمكن التعرف على المزيد من التفاصيل عند صبري جريس - ص ١٤ وما بعدها، وكذلك سيد فرح ص ٦٢ وما بعدها.

(٣) هذا الموضوع طرقة صبري جريس ص ٣٠، وما بعدها.

(٤) فصل في الموضوع صبري جريس - ص ١٠٦ - ١١٤ ، وكذلك وليم فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٤م - ص ٣٥ وما بعدها.

(٥) تيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤م) (١٢٧٦-١٣٢٢هـ)، يعد هو المؤسس الحقيقي للصهيونية العالمية. قدر على استغلال الظروف الدولية العامة، وركز على ما سمي بالمذابح ضد اليهود، والاضطهاد الذي يعيشونه. تمخضت أفكاره عن كتابته الشهير "الدولة اليهودية"، وهو عبارة عن مخطط عمل لسياسة صهيونية يهودية. ذكر المعلومات عنه صبري جريس ص ١٤٣ وما بعدها، وكذلك سيد فرح راشد ص ٨٧ - ٩٥ .

بعد مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية، كانت له جهود جبارة في المناورة السياسية، فقدّر على استخدام كل ما أُتيح له من فرص، واستغلال الظروف العالمية، ليقوي من الضغوط والنفوذ الصهيوني، بعقد المؤتمرات العديدة، ومقابلات الشخصيات العالمية ذات النفوذ، ثم استلم المهمة بعده "حاييم وايزمان"^(١)، الذي تمكن من الحصول على وعد بلفور سنة ١٩١٧م (١٣٣٥هـ)^(٢)، والذي كسب بموجبه موافقة الغرب على إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين.

هذه الحقبة كانت مليئة بالأحداث الساخنة على الساحة الفلسطينية، إذ قامت فيها صدامات عنيفة بين العرب من طرف، والصهاينة والبريطانيين من طرف آخر. فأول مظاهرة حدثت في القدس كانت في غرة نوفمبر سنة ١٩١٨م (١٣٣٦هـ). ثم تلاحت المصادمات، وكان أهمها ثورة النبي موسى سنة ١٩٢٠م (١٣٣٨هـ)، وثورة مايو سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ)، وثورة البراق سنة ١٩٢٩م (١٣٤٨هـ)، وثورة عز الدين القسام سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)^(٣). وفي جميع الأحوال هذه، كان الصهاينة يستعينون بالاستعمار البريطاني، كي ينقذهم من تلك الثورات، وفيما كان الاستعمار يسعى لكبح العرب ومنع أي نوع من أنواع السلاح والعلم والمعرفة لهم، كان يشرف على تقوية اليهود وتسليحهم وتعليمهم وتنقيفهم.

إذن، شهدت الحقبة انطلاقة يهودية صهيونية، عظم شأنها واشتد نفوذها، وكانت تشغل الساحة السياسية العالمية، وبالتالي الساحة الفكرية، ومن هنا وجه لها

(١) حاييم وايزمان (١٨٦٤-١٩٥٢م) (١٢٨٠-١٣٧١هـ)، استغل هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى واتفاق الحلفاء على تقسيم فلسطين، وسعى يستخدم كل الضغوط التي يتدر عليها حتى تمكن من الحصول على وعد بلفور. توجد المعلومات عنه عند سيد فرح راشد ص ١١٤ فما بعدها، وصبري جريس في مواضع عدة، منها ص ٢٨١ فما بعدها.

(٢) تحدث عن وعد بلفور على سبيل المثال سيد فرح راشد ص ١١٣ وما يليها، وصبري جريس ص ٢٨٨ وما بعدها.

(٣) ذكر تفصيلات تلك الثورات والمصادمات إبراهيم فؤاد عباس: البعد الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية: من ثورة البراق... حتى الانتفاضة - جدة - راسم للدعاية والإعلام - الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - ص ٢٥ - ٥١.

المبشرون اهتماما بالغا، ولاسيما أن من بينهم مستشرقين يهودا، فسلطوا الأضواء عليها بعمق في مؤتمراتهم وبحوثهم، وخصصوا للظاهرة اليهودية لجانا خاصة بها.

من الموضوعات الجديدة في هذه الفترة، نصارى الشرق أو الشرق النصراني، فهي موضوعات انطلقت في هذه الفترة. والملاحظ أن هذه الدراسات ظهرت بعد سقوط الخلافة، وانتصارات تركيا على اليونان، وانطلاق حركات التحرر الوطني في المشرق، واشتداد مقاومات الاستعمار. وفي خضم هذه الأحداث، طرحت موضوعات نصارى الشرق على الساحة العالمية، ولاسيما تعاون هؤلاء مع المستعمر، وما يمكن أن يكون عليه مصيرهم بعد الاستقلال تحت حكم الأغلبية المسلمة، ولذا، قامت حملات ثقافية عديدة، تبرز مزايا نصارى الشرق في العالم العربي بصفة خاصة، فأبرز الجانب الثقافي والإبداع الأدبي والفني لهؤلاء، وكذلك الجانب السياسي، إذ إن قادة الحركات القومية أقطاب من نصارى الشرق سواء في منطقة الشام أو العراق أو مصر^(١). كما طرح مصير هذه الفئة السياسي والاجتماعي والقضائي والثقافي، فكان لا بد من حمايتهم وتأمين وضعيتهم وتحقيق هويتهم النصرانية، وإبراز دورهم على جل الأصعدة المعرفية والثقافية والاجتماعية، بل السياسية أيضا، ومن ذلك وجوب عدم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية عليهم، وضرورة إشراكهم في كل القرارات الوطنية. وهذا ما تم عمليا في لبنان مثلا، حيث أعطوا السيادة العليا على الشعب هناك، رغم أنهم أقلية مقارنة بالمسلمين. أما من الناحية الثقافية، فقد أبرز فكر نصارى الشرق سواء الأدبي منها، ولاسيما أدب المهجر، أو غيره من نتاج الفكر والكتابات والفنون. فقد ظهرت منذ بداية القرن العشرين بصفة عالية جدا، حتى إن العديد منهم عدوا من المبدعين العالميين، وكرموا، رغم أن ما قدموه قد لا يقارن بما أعده غيرهم من مبدعي الشرق وأظهروه.

(١) من روادهم ناصف اليازجي وبطرس البستاني، ومن مدعبيها أنطون سعادة وميشيل علق وغيرهم من منطقة الشرق الأوسط. يمكن الاطلاع على تفصيلات الموضوع، على سبيل المثال، عند صالح بن عبد الله العبود - فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام - الرياض - دار طيبة - الطبعة الأولى - ١٩٨٢م - ص ١٤٢ - ٢١١.

هذا الاهتمام العام بالنصارى في المشرق، عم العالم الغربي، سواء بقيادة فرنسا أو بريطانيا أو الولايات المتحدة أو غيرها، وبلغ صدها الساحة الغربية العامة، بما فيها الاستشراق، وظهر منهم مستشرقون أيضا، ومن هنا طرح موضوعهم في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

أما الملاحظة الأخرى، فتتعلق بالدراسات الإسلامية. والمعلوم أن العالم الإسلامي ساعته كان يمر بظروف صعبة جدا: فقد كانت البلدان الإسلامية محتلة جلها، وكان المستعمرون قد وعدوا المسلمين بعمامة، والعرب بخاصة، بالاستقلال بعد مساعدتهم لهم في الحرب العالمية. ثم ما إن توقفت الحرب حتى نكث المستعمر بوعوده، سواء في ذلك الإنجليز أو الفرنسيون. كما أن الاضطرابات كانت تعم العالم الإسلامي، سواء ضد الحكومات المقامة أو المستعمر المحتل، أو الثورة ضد اضطهاد الأقليات مثل الهند والصين والاتحاد السوفيتي. أما النكسة الكبرى التي حاقت بالعالم الإسلامي، فكانت إلغاء الخلافة، وما انجر من نتائج ذلك على الأمة، كذلك قيام حروب ومعارك عدة على أطرافه، أهمها تركيا مع اليونان، والحبشة مع جيرانها المسلمين، واضطرابات الهند وغيرها. ومن هنا طرحت موضوعات العالم الإسلامي وما يتعلق به من مناطق ولغات وآثار وعادات وما سواها.

كان العالم الإسلامي يشهد إذن أحداثا وتحولات سياسية واجتماعية وثقافية عدة، سببتها الأحداث العالمية الكبرى، وظهر أن هذا العالم الذي كان يوما ما قوة عالمية، هو من الضعف بعد هزيمته في الحرب العالمية، بحيث فقد هيئته القديمة، وزاد الطين بلة تفككه إلى دويلات، ثم إن قيام حركات وتجمعات تدعو إلى الوحدة الإسلامية ويعتمدون في مسيرتهم على الأصول الشرعية، الكتاب والسنة، وظهرت انشقاقات فكرية وسياسية داخل الدويلات تلك، والتي لم تكن على وئام مع الحكومات الناشئة، لذا، فلا عجب أن يطرح موضوع القرآن الكريم على ساحة البحث، نظرا لتلك الدعوات الحديثة، التي نادى بالتمسك به، والعودة لتحقيق أحكامه. لذا، شغل القرآن مكانا في مؤتمر أكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وروما سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، ويطرح الدين الإسلامي بقوة في هذه الحقبة.

وإذا نظرنا إلى أندونيسيا، التي طرحت في المؤتمرين الأخيرين من هذه الفترة، فإن ذلك يرجع إلى الأحداث السياسية المتلاحقة، التي تمت في هذا البلد،

ولاسيما مقاومة الإندونيسيين للمستعمر الهولندي، ثم دخول اليابان البلد، وإجلائهم للهولنديين^(١)، واستعمارهم لها. ورغم أن المستعمر الجديد لم يدم طويلا، إلا أنه أتاح للحركة الوطنية أن تتقوى، إذ حرر الزعماء المسجونين، وأعطى السلطات لأيدي أبناء البلد، ولما وجدت اليابان نفسها في مأزق عالمي، سلحت عناصر وفيرة من الإندونيسيين ودربتهم، وجعلتهم تحت قيادة زعماء إندونيسيين، تمكنوا لاحقا من الوقوف في وجه الإنجليز والهولنديين وطردهم من بلدهم^(٢). هذه الأحداث رفعت اسم إندونيسيا في الغرب، وبالتالي ظهرت في مؤتمرات هذه الحقبة، ولاسيما أن المؤتمر الثامن عشر انعقد في هولندا سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، وكانت إندونيسيا ساعتها لا تزال تخضع لها.

أما إيران، فقد تلاحت فيها الأحداث أيضا، من ذلك أن الشاه رضا خان، سيطر على السلطة واستولى عليها سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ)، ثائرا على الحماية الإنجليزية، وسعى إلى أنتهاج سياسة ترمي إلى تحديث البلاد على غرار تركيا، وما عرفت المنطقة باسم إيران إلا سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)^(٣). ورغم أن ثورة تحديث البلد لم تمر دون مشكلات، إلا أنها لقيت حظوتها لدى الغرب، مما رفع اسم إيران إلى ساحة الأحداث العالمية، وبالتالي كان لها صدى على الوضع العالمي، بحيث تأثر بذلك المستشرقون أنفسهم، وبالتالي كانت موضوعا في المؤتمرين السابع عشر والتاسع عشر.

وكانت الشيوعية أكبر تحد يشهده الغرب خلفته الحرب. وبالتالي خصص العالم الغربي كل ما في طاقته لمواجهة هذا الخطر الجديد. لذا، نجد أن المؤتمرات سائرت هذا التوجه، فطرح للبحث عدة موضوعات تتعلق بالاتحاد السوفيتي، فجاءت موضوعات آسيا الوسطى التي عمت كل مؤتمرات هذه الحقبة، ولاسيما أن الاتحاد السوفيتي لم يكن في بداية هذه الفترة الزمنية، قد هيمن عليها كلها، وكان في حروب قائمة معها. كما طرح موضوع أرمنييا، وهي إحدى الجمهوريات المتمسكة بالنصرانية، وذلك في المؤتمرين السابع عشر والتاسع

(١) "روبير شينيرب": تاريخ الحضارات العام - م ٧ - العهد المعاصر - ص ٦٥١ .

(٢) المرجع نفسه - م ٧ - ص ٦٥١ - ١٥٢ .

(٣) المرجع نفسه - ص ٦٧٠ .

عشر. أما موضوع شمال آسيا، فجاء في المؤتمر السابع عشر فقط. وهي موضوعات تتناول مناطق خاضعة للاتحاد السوفيتي الشيوعي، مما يدل على أثر التغيرات الدولية، في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

وكان الشرق الأقصى منطقة مضطربة جداً، ولا سيما بين اليابان والصين، التي كانت الحروب والمعارك لا تكاد تهدأ بينهما، حتى إن اليابان وصلت إلى حدود بيكين. ويبدو أن هذا سبب غضبا على اليابان، فقد دعت بريطانيا سنة ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ) إلى إيقاف العمل بمعاهدة التحالف مع اليابان^(١)، ثم إن اليابان نفسها، انسحبت من جمعية عصبة الأمم سنة ١٩٣٢م (١٣٥٠هـ)^(٢)، وما لبث الأمر إلا برهة، حتى توسعت الحروب هناك، وسيطرت اليابان، ليس على الشرق الأدنى فقط، بل جنوب شرقي آسيا أيضاً، وبنت إمبراطورية يابانية، وما تابع ذلك من أحداث لم تتجل إلا بنهاية الحرب العالمية الثانية. ومن هنا فرضت المنطقة نفسها على الساحة العالمية، بفعل الأحداث الساخنة فيها، ويبدو أن ذلك أثر في جل الهيئات، ومن ذلك المنابر العلمية، ومن ضمنها مؤتمرات المستشرقين العالمية.

وكانت الهند تعيش فترة حرجة من تاريخها، إذ قامت فيها أزمة القوميات المشوية بالطابع الديني إضافة إلى قيام حملات ضد الاستعمار البريطاني، ولا سيما حركة "غاندي"، الفريدة من نوعها على مدى التاريخ، وتلاحق الأحداث فيها، الأمر الذي أدى إلى أنقسام الهند إلى دويلات متنافرة. ومن هنا كان الاهتمام بها قائماً في الساحة العالمية. ولا عجب في طرحها بالتالي في مؤتمرات المستشرقين العالمية.

أما سيلان، فقد كانت مستعمرة بريطانية، ولعل هذا ما جعلها تدرج في المؤتمر الوحيد، الذي عقد في إنجلترا، في هذه الحقبة، وهو المؤتمر السابع عشر سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ).

إن، وعلى غرار مؤتمرات الحقبة السابقة، كان للأحداث الدولية العامة أثرها في المؤتمرات، وذلك لاختيار الموضوعات المطروقة، إضافة إلى

(١) روبرت شنيرب: تاريخ الحضارات العام - ج ٧ - العهد المعاصر - ص ٨٧١ .

(٢) المرجع السابق - ج ٧ - ص ٨٧٤ .

اختيارات الدول المنظمة للمؤتمر، التي لها توجهاتها وحاجياتها تفرضها على اختيارات المؤتمرات، مثل هولندا التي طرحت موضوع إندونيسيا، وبريطانيا التي جاءت بموضوع سيلان. وهذا التوجه نراه واضحا أيضا في الحقبة اللاحقة، وهذا ما سيتم معالجته في الفصل القادم.

**الفصل الثالث: مؤتمرات المستشرقين
العالمية من نهاية الحرب العالمية الثانية
حتى مؤتمر ١٩٧٣م**

**المبحث الأول: المسار الإداري للمؤتمرات
المبحث الثاني: المسار العلمي للمؤتمرات**

الفصل الثالث: مؤتمرات المستشرقين العالمية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى مؤتمر ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

مدخل:

إذا كانت الحربان العالميتان هما اللتين سطرنا حدود الحقبين السابقتين، فإن نهاية الحقبة الثالثة هذه عينتها نقلة كاملة في أنظمة المؤتمرات إذ تم تغيير اسم المؤتمرات، وكذلك نظامه الإداري والعلمي. وجاء هذا التطوير بعد تملل كبير من النظام القديم، وقيام توجه استشرافي جديد، حسب ما يردد المستشرقون، وتوقف الحركات الاستعمارية، ونجاح الحركات الاستقلالية، والتنافس في استقطاب دول العالم، وبروز الحرب الباردة، واتساع نطاقها، مما أدى إلى انقسام العالم الاستشرافي على نفسه إلى قسمين: استشرافي إمبريالي واستشرافي استراتيجي، وقد برز هذا الانقسام في المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ). كما أن تزايد عدد الشرقيين الذين يساهمون في المؤتمرات، ولاسيما الذين لا يسايرون المستشرقين في توجهاتهم الفكرية والتحليلية والاستنتاجية، وظهور دعوات ترفع شعار نهاية دور المؤتمرات، كل هذه الأسباب وغيرها، جعلت المستشرقين يقررون في المؤتمر التاسع والعشرين ببافيا سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، بمناسبة مئوية المؤتمرات، تحويل اسم المؤتمرات ليصبح "المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، وإجراء تغييرات في نظامه الإداري والعلمي.

هذه الإشارات والأسباب جعلت من المناسبات دراسة هذه الفترة كحقبة قائمة بذاتها، وستتم وفق العناصر المذكورة في الأطوار السابقة. لكن قبل تحليل الموضوع، يجدر القيام بإطلالة موجزة على الأحوال العالمية في هذه الحقبة. لقد تسببت الحرب العالمية الثانية في خراب ودمار أشد من الأولى، لشموليتها واتساع ميادينها وتبعيتها جل ما في مقدورها من طاقات. كما عرفت تدمير الآلة الصناعية وتخطيط القطاع المدني. ونج عنها سيطرة قطبين على

العالم، هما الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وتزحزحت الدول الأوروبية عن قيادة العالم. وتكاثرت الدول الفقيرة في أوروبا بعد الحرب، وسقط ما تبقى من إمبراطوريات، وانبعثت القوميات من جديد بقوة، ولاسيما في العالم الشرقي، وعم الخوف من حركة انتفاضة عارمة في العالم الإسلامي، ضد الإمبراطوريات الاستعمارية، ولاسيما فرنسا وبريطانيا.

ونظرا لانقسام العالم إلى معسكرين متنافسين: معسكر غربي وآخر شرقي، سادت الحرب الباردة بين المعسكرين. أما العالم الغربي، أو الحر، فقوده الولايات المتحدة الأمريكية، التي خرجت من الحرب أعظم دولة في العالم، وبات بمقدورها فرض نفوذها وهيمنتها على كافة الدول الأخرى، مستغلة نفوقها الاقتصادي. وقد اعتمدت عليها أوروبا، التي خرجت في حالة يرثى لها، ولاسيما في المجال الاقتصادي. وتحولت هذه الدول التي كانت من قبل دائنات العالم، إلى مستدينة لمبالغ ضخمة، إذ إن مصالحها تجبرها على بناء كل شيء، اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. فقد شهدت أوروبا موجات نزوح كبيرة، وهجرات داخلية، وارتفعت الفروق بين الطبقات، وعمت البطالة حتى بين حاملي الشهادات. وكان على الدول اتباع سياسة إعادة البناء الاقتصادي من جهة، وتشجيع أي مشروع حر. وإعادة البناء هذه، شكلت تحديا كبيرا، لم ييسرها سوى القروض والهبات التي قدمتها الولايات المتحدة بشروط صارمة، تخدم مصالحها، وتحتوي بها الدول المستفيدة، وشمل ذلك البناء ألمانيا الغربية واليابان كذلك، وذلك خوفا من وقوعهما تحت طائلة التيارات الشيوعية ورحمتها.

أما الهاجس السياسي الذي بقي يقض مضجع العالم الحر فهو المارد الشيوعي الذي كان يهددها حتى من داخلها، إذ لا تزال فلول حزبية تسعى جاهدة للانقضاض على الوضع القائم، لذا، استخدمت كل ما أمكن من وسائل لكبح جماحه، داخليا وخارجيا، وفيما أفلحت في الداخل، فشلت في الخارج عموما، واضطرت للاستعانة بأعدائها السابقين من نازيين وفاشيين وبابانين وغيرهم، للوقوف في وجه الشيوعية، وحماية الحدود الغربية من ولوجها أراضيها.

ومع ذلك، شهد العالم الحر أزमत، منها ظهور دكتاتورية الحزب الحاكم، صاحب الأغلبية في البرلمانات، لاستحالة إسقاطه، أو هشاشة الحكومة، إن كثرت الأحزاب وقامت بينها تحالفات. وبرزت ظاهرة الجماعة الضاغطة، صاحبة

المصالح، التي تؤثر على الرأي العام، وسيطر الاقتصاديون محدودو العدد على المواقع الحساسة. وأدى كل هذا إلى سقوط شعار استقلال السلطات. أما اللاتجاه للاتباء، فهو عدم تعرض الغرب للمشكلات الكبرى التي واجهته بعد الحرب العالمية الأولى، ويبدو أن الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة الأمريكية، ساهم بقسط كبير في ذلك.

أما العالم الشيوعي، الذي قاده الاتحاد السوفيتي، رغم الخسائر التي مني بها أثناء الحرب، فإنه لم يحتج إلا لأربع سنوات لإعادة بناء نفسه، بسبب طوق الحصار الذي أقام حوله، واعتماده على قدراته الخاصة فقط. فقد اعتمد نظام التخطيط المركزي لتنمية الاقتصاد والإصلاح السياسي والاجتماعي، فمما الاقتصاد العام، ونما البحث العلمي، وتطورت الصناعة، ولاسيما الحربية.

وكانت دول أوروبا الشرقية قد شهدت أشد ويلات الحرب، وأعظم حالات الدمار، فقد استنفذت فيها المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، استغلقتها الأحزاب الشيوعية، بتشجيع من الاتحاد السوفيتي، وتمكنت من الوصول إلى سدة الحكم، وهذه سارعت بإعادة تنظيم توزيع الأراضي والمشروعات الكبرى والتجارة، وأضحت الدولة تتحكم في معظم الطاقة الاقتصادية. وسعت للنهوض باقتصادها معتمدة على الاتحاد السوفيتي، وفق مشروع شبيه بذاك الذي وضعتة الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدة حلفائها، لكن مشروع الاتحاد السوفيتي كان أخف شروطاً من سابقه. وبهذا تمكنت بعض الدول الشرقية من تجاوز مشاكلها العامة وصارت دولاً صناعية كبرى، مثل بولندا مثلاً.

كما تمكنت الصين من توظيف قدراتها، وفق نظامها الشيوعي الخاص، اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً، وشهدت بالتالي نمواً هاماً، وأضحت من الدول الكبرى في العالم.

أما الحرب الباردة بين القطبين، فانطلقت من الثاني عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٤٧م (العشرين من شهر ربيع الآخر ١٣٦٦هـ)، لما أعلن الرئيس الأمريكي "ترومن"، عزمه على مساعدة الدول الضعيفة، لكبح الشيوعية والنفوذ السوفيتي. ومن هنا نما الصراع والتسابق نحو السيطرة على العالم: فالمشروعان الاقتصاديان لمساعدة الحلفاء، وظهور "الحلف الأطلسي" من جهة، و"حلف وارسو" من جهة أخرى، كما احتدم مباحث التسليح بينهما، وانتشرت مصانع الأسلحة بينهما،

واخترعت أسلحة الدمار في كليهما، وتنافسوا في غزو الفضاء، وهكذا، كما ظهرت من جهة أخرى منظمة دول عدم الانحياز، إلا أنها لم يكن لها التأثير المنشود. ومن سمات الحقبة أيضا، تأسيس منظمة الأمم المتحدة، وهي وإن كانت فعالة أكثر من عصبية الأمم، إلا أن الخلافات التي قامت بين الدول الكبرى، واستخدام حق النقض الذي يلتجأ إليه، وظهورها في الغالب أداة في يد الولايات المتحدة الأمريكية، جعلت أعمالها غير ناجحة.

وتميزت الفترة هذه أيضا بثورة الشعوب المستعمرة، وحركات الاستقلال الوطني، التي انطلقت منذ الحرب العالمية الثانية، وتواصلت فيما بعد بقوة، وضاعت هيبة الاستعمار، واستقلت جل الدول. أما العالم الإسلامي، فكان الاستعمار فيها أشد من المناطق الأخرى، وما خرج منه الاستعمار حتى قسمته دويلات عدة، تركت فيما بينها عداوات ومشكلات عديدة.

إلا أن ذلك الاستقلال، للدول كافة، تحول من الاستعمار المباشر إلى الاستعمار الجديد، بحيث أعطتها حق الحكم الخاص والوطني، مع احتفاظ المستعمر بنفوذه وسيطرته وتحقيق مصالحه، سواء باختيار النخبة الحاكمة، أو تقديم القروض المشروطة أو ترك مشكلات الحدود وغيرها خلفه.

أما أكبر مشكلات الحقبة، فهي بقاء منطقة الشرق الأوسط ساخنة، بسبب الكيان الصهيوني الذي زرعه المستعمر البريطاني في المنطقة، وهيئات له الدول الغربية التأييد والرعاية، وتكفلت له الولايات المتحدة الأمريكية بالرقابة الأمنية والدعم الاقتصادي، والتأييد السياسي، ولاسيما بعد أن وقعت في المنطقة حروب دامية، آلت الكلفة فيها للكيان الصهيوني المزعوم^(١).

تلك هي أهم السمات العامة للعالم في هذه الحقبة من انعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي فترة مليئة بالأحداث والوقائع، كما كان لها أثرها في المؤتمرات كما سيأتي^(٢).

(١) للاطلاع على المزيد من التفصيل في ما سبق من هذه الخلاصة التاريخية، يمكن الاطلاع على

ما أورده روبر شنيبر - م ٧ - ص .

(٢) سيرد ذلك لاحق ص ٤٦٦ من الرسالة فما بعدها.

المبحث الأول: المسار الإداري للمؤتمرات

- تماما كالمرحلة السابقة، كانت مهمة المستشرقين الأولى، هي عودة المؤتمرات للانعقاد مرة أخرى. كما أن الحرب العالمية الثانية، والظروف الدولية الجديدة كان لها أثرها الهام كذلك في مسار المؤتمرات العام، وتلك التطورات الحاصلة، سيتم تحليلها في هذا الموضوع وفق العناصر التالية:
- أسباب عودة المؤتمرات السريعة للانعقاد بعد الحرب.
 - السعي نحو استئناف انعقاد المؤتمرات.
 - التطويرات في أنظمة المؤتمرات.
 - التطوير في مسار اللجان العلمية.
 - مؤتمر باريس التاسع والعشرون وقرار تغيير مسمى المؤتمرات.

١- أسباب عودة المؤتمرات السريعة للانعقاد بعد الحرب:

أول ما يمكن ملاحظته، أن الفترة الفاصلة بين انعقاد المؤتمر الحادي والعشرين ونهاية الحرب العالمية الثانية، كانت ثلاث سنوات فقط، فيما طالبت بعد الحرب العالمية الأولى إلى ثماني سنوات. ويفهم هذا الأمر من دراسة الأحداث العامة، المتزامنة وهذه الحقبة. ففيما كان طول المدة بعد الحرب العالمية الأولى يرجع إلى سوء الأحوال العامة ساعتها، وتفكك المجتمعات سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وحيرة الجانب الثقافي وتشبث الفكر العام، وظهور نظريات فلسفية متباينة، فإن فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية شهدت سرعة العودة إلى الحياة الطبيعية في مدة زمنية قصيرة، كما أن الأوضاع الاقتصادية والروابط الاجتماعية، سرعان ما تمت السيطرة عليها، بفعل مد الولايات المتحدة يد العون إلى حلفائها، لترميم ما دمرته الحرب، كما اعتمدت الكتلة الشيوعية على الاتحاد السوفيتي حليفها، وذلك لجبر انكساراتها، ولو بدرجة أضعف من الكتلة الغربية، لكن المهم أن العالم تمكن من تجاوز مخلفات الحرب في وقت ليس بالطويل.

هذه النهضة السريعة كان لها أثرها في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد تمكنت الدول من تجاوز المشكلات الرئيسية، ولاسيما الداخلية، بدرجة كبيرة، فلم تكن بالحدة والقوة التي كانت ظاهرة وبارزة سابقا: فقد خفت الضغوط السياسية التي كانت بارزة بين الدول الغربية عامة، ولاسيما بعد انقسام العالم الغربي إلى كتلتين متنافرتين، الأمر الذي أدخل في النفوس ضرورة تظافر الجهود من أجل الوقوف في وجه القطب المنافس، وبالتالي تخفيف التوتر بين عناصر كل كتلة، ولا يكون ذلك إلا بجبر كسرها. لذا سارعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، والاتحاد السوفيتي من جهة أخرى، إلى مساعدة حلفائها على الخروج من الانهيار العام الذي وقعت فيه. وعصب ذلك هو الاقتصاد، فقدمت كل دولة ما يمكنها تقديمه. وفي المقابل، كانت الدول التابعة في أمس الحاجة إلى تلك المساعدات فقبلتها بشروطها، وإلا فإن القاعدة الداخلية ستتهار، وستسقط في أيدي أذعياء الكتلة المضادة. ومن هنا انتعش النظام الاقتصادي بنسب كبيرة، وإن لم تحل كل المعضلات، وهذا أدى بدوره إلى المحافظة على العامل الاجتماعي العام، الذي كان أخف وطئا منه بعد الحرب العالمية الأولى، إذ إن محاولات الإنقاذ السابقة كانت بطيئة جدا، بسبب الأزمة الاقتصادية القاسية، التي غابت بدرجة هامة بعد الحرب العالمية الثانية، وما ظهر منها لم يكن تأثيره السلبي بالمستوى السابق، وسرعان ما تم تعديله.

هذه الأسباب الجديدة، والتيسيرات المقدمة، ساهمت في انتعاش النواحي العامة للمكونات الحضارية، بما فيها الجوانب الثقافية، التي بدأت بنفسها تشهد استقرارا وتوجها عقلانيا متزنا، بعد أن شهد نشتنا عاما بين الحربين، وبعدهما بفترة، وسعى لترسيخ فناعاة إنسانية أخرى، تهدف عامة للتقارب بين الشعوب، لنقادي ويلات حرب أخرى، قد تكون أكثر دمارا.

ومن هذه الجوانب الثقافية، للتوجه الاستشراقي، الذي لم يتأخر عن الركب، وسارع حثيثا يتباحث في إمكان استعادة مؤتمراته الاستشرافية. وهذا ما تم له عمليا بعد توقف الحرب بثلاث سنوات فقط، وما كانت الفترة الزمنية الفاصلة بين المؤتمرين العشرين سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، و١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، سوى عشر سنوات، فيما كانت في المرة السابقة ست عشرة سنة.

٢- السعي نحو استئناف انعقاد المؤتمرات:

أوكلت مهمة انعقاد المؤتمر للمؤسسة الآسيوية بباريس، وهذه سعت جاهدة منذ نهاية الحرب لاستئناف المؤتمرات مهامها، وهيأت ظروف الاتصالات مع كل من لجنة تنظيم مؤتمر بروكسيل السابق، واللجنة الاستشارية العالمية، والهيئات العلمية المعنية. ووفقا لأغلبية الآراء، تقرر انعقاد المؤتمر الحادي والعشرين في يوليو سنة ١٩٤٨م (رمضان ١٣٦٧هـ)، وتكون من أجل ذلك مجلس ومكتب تحضيريان سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، ووجهها أولوية جهودهما لدراسة مخطط إعادة تنظيم المؤتمرات، الذي طرح مطلبه في المؤتمر العشرين ببروكسيل. لذلك أرسلت مذكرة إعلامية باسم المؤتمر الحادي والعشرين للهيئات والشخصيات المختصة وفيها: "من المهم التذكير بأن المؤتمر الأخير الذي انعقد في بروكسيل، تبنى المقترح الأول الذي جاء كما يلي: "يعهد المؤتمر للجنة الاستشارية أخذ كل الترتيبات اللازمة لتضع بين يدي المؤتمر الحادي والعشرين، مشروع مراجعة نظام مؤتمرات المستشرقين العالمية، ويهدف ذلك المقترح إلى تقليص وتحديد برنامج أعمال المؤتمرات، سواء في نطاق إطار المؤتمرات العام، أو في إطار كل لجنة. وهذا التنظيم سيزيل السلبات الناتجة عن التوسع الكبير في الموضوعات المطروقة، وفي الإفراط في المساهمات. إلا أن إعداد مخطط إعادة التنظيم هذا، أعاقته الحرب واتساع نطاقها.

- ويواصل التقرير قائلا - "ومن أجل معالجة هذا التأخير، وتيسير مهمة اللجنة الاستشارية القادمة، فإننا نقترح تخصيص جزء من البرنامج لدراسة مشكلات ذات أهمية أكثر عمومية من عمل اللجان العلمي المعتاد. فإن بعض المشكلات يمكن أن نتناولها الميادين القريبة للعديد من اللجان، وأخرى ذات صلة بطرق العمل وبالتعاون المستقبلي المتوافق مع التغييرات المتداخلة في العلاقات العالمية وفي الظروف البحثية. وعلى المؤتمرين الذين لديهم مقترحات لتقديمها في إطار المقترحات هذه، أن يقدموها في أقرب وقت ممكن، وكذلك موضوعات مساهماتهم المقررة للجان. وبذلك نتمكن من تحديد جلسات جماعية، ترتبها لجنة المؤتمر الاستشارية، وتخصص لقراءات حول المشكلات المقترحة. وفي ختام

المؤتمر، ستعلن المقترحات التي تدرس مسبقاً، وسنكون لها أولوية توزيعها في قرارات فعالية⁽¹⁾.

ويبدو أنه لم تتم الاستجابة لهذه الدعوة. وفي هذا التوجه يواصل التقرير تحليله للأمر فيقول: "إلا أنه لم تقدم مقترحات تجديدية سوى إجابتين أو ثلاث، لذا، بدا واضحاً للجنة المؤتمر أن معظم أغلبية مؤتمري المستقبل، لا يرغبون في الوقت الحاضر في إجراء أي تعديل في مؤتمرات المستشرقين العالمية. لذا، فقد انصب اهتمام اللجنة على تنمية المشروعات الأخرى، التي حددتها هي نفسها، والتي تتمثل، حسب مقترحات العديد من أعضائها، في إدراج مناقشة المشكلات ذات الفائدة العامة لكافة التخصصات أو للعديد منها، في البرمجة اليومية للمؤتمر، بعد إرسال تقرير حول وضعية كل تساؤلاته قبل المؤتمر بفترة.

- ويواصل - "لقد تقرر في هذه الأثناء، على أية حال، أن جلسات اللجان الشاملة لغالبية الميادين، ستكون موجودة، كي تسمح للمؤتمرين عرض نتائج أبحاثهم بكل حرية، وكذلك المقترحات التي يودون بسطها. فلقد تبين فعلاً أنه إذا أردنا أن نعطي للاجتماعات أكبر فائدة عامة ممكنة، فليس من المناسب أن نحرم المؤتمرين من فرصة عرض أبحاثهم المتخصصة، وحرمان المؤتمر نفسه بالتالي من التعرف على المكتشفات الجديدة، حيث تشمل توجهات أعمال الباحثين كل التخصصات وكل البلدان.

- ويستخلص قائلاً - والحاصل، ودون اقتراح إعادة التنظيم، التي لم تتفاعل معها أية إرادة، فقد تقرر إعداد برنامج أعمال المؤتمر الحادي والعشرين بتخصيص جزء من الوقت لجلسات اللجان التقليدية، وآخر للجلسات العامة، ولتفاعلات عامة لكافة اللجان ولتجمعات العديد منها⁽²⁾.

مما ذكر، يتبين لنا أن الظروف كانت شبيهة بتلك التي وردت بعد الحرب العالمية الأولى، لما كانت الجهود نشطة من أجل انعقاد المؤتمر السابع عشر

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - pp. 1-2.

(2) Ibid. pp. 2 - 3.

بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)^(١). ففي الحالتين انصب الاهتمام حول إعادة انعقاد المؤتمر مرة أخرى بعد توقفها، حتى بتجاهل ما اتخذ من قرارات في الملتقى السابق، وحتى بالتخلي عن بعض المبادئ التي تبناها المؤتمر.

وهذا أمر بدهي في أساس أي كيان ناشئ، ففي حالة توقف نشاطه لفترة، فهي تجعل من أهداف ذلك استعادة النشاط بعد ذلك، قبل تطبيق التجديد من العمل. فلا يتصور بعد حرب عالمية قضت على الأخضر واليابس في أوروبا، وفقد المستشرقون العديد من أقطابهم وزملائهم، الذين كانوا ماسكين بدفة مسار المؤتمرات، أن يتباحث من أول مؤتمر يعقد بعد توقف طويل، تطوير المؤتمرات كأولوية وأساس في مسار المؤتمر، ولا سيما أن جراح الشعوب لم تلتئم بعد، حتى إن ألمانيا لم ترسل مندوبين عنها للمؤتمر، سواء منهم ممثلو الحكومة أو المؤسسات العلمية، في حين كان عددهم هو الأعلى في مؤتمر أكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، كما أن عدد المستشرقين في مؤتمر باريس هذا كان قليلا جدا بخلاف مؤتمر أكسفورد، إذ كان عددهم مرتفعا جدا، قياسا ببعض الدول الأخرى.

وبالتالي، فقد ناسب أن يوجه المؤتمر اهتمامه لعودة لحملة الانعقاد قبل إحداث تطورات عليه.

٣ - التطويرات في أنظمة المؤتمرات:

مر بنا أن المؤتمر العشرين طرح من جديد قضية إحداث تطورات على المؤتمرات، سواء في ذلك النظام العام، أو طرق مسارها الإداري أو العلمي^(٢). لذا، فإن المؤتمر الحادي والعشرين حاول استئناف دراسة الموضوع واتخاذ القرارات فيه. إلا أنه فشل في إحداث مثل هذا التطوير، إذ إن الاهتمام انصب على استعادة نشاط المؤتمرات. لكن بعد مرور ست عشرة سنة عن المؤتمر هذا،

(١) مر ذلك ص ٣٦٥ من الرسالة.

(٢) سبق التعرض لذلك ص ٣٦٦ من الرسالة.

طرح الموضوع مرة أخرى، وذلك في مؤتمر نيودلهي، سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ)، ليتخذ القرار الحاسم بتحويل نظام المؤتمرات في المؤتمر السابع والعشرين بـ"آن آرور" سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، بالولايات المتحدة الأمريكية. وبالتالي أمكن تحويل هذا النظام الذي صمد أمدا طويلا، وتجاوز أزميتين عميقتين في تاريخ الإنسانية، وهما الحربان العالميتان. وبالتالي، دخلت المؤتمرات منعرجا تنافسيا، لكن هذه المرة بين المستشرقين الأمريكيين، الذين يمثل بلدهم القوة العظمى في العالم، والمستشرقين الفرنسيين، الذين كانوا لا يزالون يعدون أنفسهم أصحاب الفضل الأكبر في انبعاث المؤتمرات. فما إن يعود المؤتمر للانعقاد في باريس، حتى تحدث النقلة الكبرى في تاريخ المؤتمرات، ليس بتغيير نظامها فقط، بل مسماها أيضا. هذه التطويرات، سيتم تحليلها فيما يلي.

أ- مسعى المؤتمر الحادي والعشرين بباريس ١٩٤٨م:

جاء في مقدمة كتاب أعمال المؤتمر ما يلي "اختارت اللجنة الاستشارية، والتجمع العام الختامي لمؤتمر المستشرقين العالمي العشرين، الذي انعقد في بروكسيل في سنة ١٩٣٨م، باريس لتكون مقرا للمؤتمر الحادي والعشرين، والذي عين له عام ١٩٤١م (١٣٦٠هـ)، زمنا لانعقاده. إضافة إلى ذلك، أعطيت اللجنة العالمية الاستشارية، بموافقة التجمع العام، أمر اتخاذ كل الترتيبات اللازمة، لتقديم مخطط إعادة ترتيب نظام مؤتمرات المستشرقين العالمية. إلا أن الحرب منعت، ليس انعقاد المؤتمر فحسب، بل دراسة اللجنة العالمية الدائمة أيضا، التي استحال على أعضائها التواصل فيما بينهم، من أجل المشروع المأمول. إن المؤسسة الآسيوية بباريس، التي وكل إليها مهمة التحضير لمؤتمر باريس، سعت بكل قواها، منذ نهاية الحرب، لاستئناف هذه المهمة التي اتفقت عليها مع لجنة مؤتمر بروكسيل، واللجنة الاستشارية العالمية والهيئات العلمية المهمة، وفقا لأغلبية الآراء، تقرر انعقاد المؤتمر الحادي والعشرين في يوليو ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ). لذا، فإن أعضاء المكتب والمجلس التحضيرى للمؤتمر الذي تشكل في عام ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، وظفوا جهودهم الأولى لبحث موضوع إعادة التنظيم الذي

طلبة المؤتمر العشرون^(١). وحتى تتم الاستفادة من مقترحات الهيئات العلمية والمؤتمرين المتوقعين أو التعرف على مقترحاتهم، أرسل المكتب فسي منشوره الأول من إعلان المؤتمر الحادي والعشرين، الدعوة المذكورة سابقاً^(٢). ويخلص إلى أن مقترح إعادة التنظيم لم يتفاعل معه أي طموح. وبالتالي، فقد أقفل ملف تغيير نظام مؤتمرات المستشرقين العالمية ساعتها. إلا أن ذلك كان مؤقتاً. فلم يمض إلا حوالي ست عشرة سنة أخرى، حتى بدأ طرح الموضوع مرة أخرى للبحث.

ب - مسعى مؤتمر نيودلهي ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ):

يبدو أن الموضوع طرح بقوة في هذا المؤتمر، وقد تبنى هذا الأمر آنذاك بعض رجال الاستشراق الأمريكي، ممثلين لمؤسستين استشرقيتين "الجمعية الأمريكية الشرقية من نيوهافن New Haven، وجمعية الدراسات الآسيوية Association for Asian Studies، بـآن آربر-ميتشغن، Ann Arbor, Michigan.

فقد عرض على الاجتماع العام لدورة المؤتمر السادس والعشرين بنيو دلهي، في عام ١٩٦٤م، المقترح التالي "لتخذ قرار في اجتماع مشترك بين المؤسسة الأمريكية الشرقية، وجمعية الدراسات الآسيوية، يمثل في ضرورة مراجعة نظام مؤتمرات المستشرقين العالمية العام، وقد عينت اللجنة المؤقتة لجنة فرعية أخرى أولية، مكونة من الأساتذة

أبو بكر (الجمهورية العربية المتحدة)	نورمن براون Norman Brown (الولايات المتحدة)
باشام Basham A.L. (المملكة المتحدة)	دياكونوف I.M. Diakonoff (الاتحاد السوفيتي)

(١) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - p.

(٢) سبق ذكر الدعوة تلك ص ٣٨٤ من الرسالة.

أوليفي لاكمب Olivier Lacombe (فرنسا)	إينوكي Enoki K. (اليابان)
بور داوود Poure-Davoud I. (إيران)	مورجونستييارن Moergenstienne G. (النرويج)
دانديكار (الهند)	بول ثيام Paul Thieme (ألمانيا) (العربية)

وتتباحث اللجنة تلك المسألة، وتقدم اللجنة المؤقتة، قبل عرضها في التاسع من يناير ١٩٦٤م، إذ إن اللجنة ترغب في إدراج مقترحاتها في موضعها قبل الجلسة الختامية العامة لليوم التالي^(١).

هذه اللجنة اجتمعت وقررت تكوين لجنة أخرى، من شأنها مراجعة نظام المؤتمر ذلك، وحددت لها مهمتها في ذلك، وورد في الجلسة الختامية ما يلي "إن ضرورة مراجعة نظام مؤتمر المستشرقين العالمي العام، عهد إلى لجنة عالمية، تتكون من سبعة أعضاء، هذه أسماؤهم:

إينوكي (اليابان)	دانديكار (الهند)
يحيى الخشاب (الجمهورية العربية المتحدة)	الأكاديمي زوكوف Zhukov E.M. (الاتحاد السوفيتي)
جون فليوزا (فرنسا)	مورجونستييارن (النرويج)
نورمن براون (الولايات المتحدة)، (رئيساً)	

أما مهمة اللجنة، فتتمثل فيما يلي:

(١) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Vol I - p. 55 .

١ - التباحث فيما إذا كان من المرغوب تأليف لجنة تنفيذية دائمة لمؤتمرات المستشرقين العالمية.

٢ - تحديد مجال مؤتمرات المستشرقين العالمية.

٣ - دراسة المشكلات المتعلقة بنظام انعقاد دورات مؤتمرات المستشرقين العالمية.

وعلى هذه اللجنة أن تبلغ مؤتمر المستشرقين العالمي السابع والعشرين نتائج أعمالها^(١).

هذه المحاولة، أتت أكلها. وفي المؤتمر الذي انعقد في أمريكا لاحقاً، اعتمدت تحويرات على النظام الذي عمر سبعين سنة كاملة، ولم تؤثر فيه حتى آثار الحربين العالميتين.

والمعلوم أن الفترة تلك شهدت ازدهار المدرسة الاستشرافية الأمريكية، وتميزت بتوجهها الخاص الذي يميزها عن غيرها من المدارس، وهي اعتماد دراسة المجتمعات واعتماد المناهج الاجتماعية في دراسة الشرق وموروثاته. هذا إضافة إلى الهيمنة السياسية والعلمية عموماً، وكذلك الهيمنة الثقافية الأمريكية، سواء في داخل أمريكا نفسها أو في أوروبا بخاصة أو في العالم أجمع. ويبدو أن هذه الهيمنة كان لها أثرها في قبول تلك التحويرات الجديدة للمؤتمرات، ولأسيما أنها أول مرة ينعقد فيها المؤتمر في الولايات المتحدة. ومع ذلك، فقد رأينا أن التحوير لم يكن جذرياً، بل لمس جزء من النظام القديم، أما ما سواه، فظل ثابتاً كما هو في الأصل^(٢).

٤- التطوير في مسار اللجان العلمية:

رغم أنه لم يتم التباحث حول تطوير أنظمة المؤتمرات، فإن المؤتمر الحادي والعشرين، أقر تطوير اللجان العلمية، بنفويض شبه عام، ويتمثل في تحديد برنامج عمل المؤتمر ونقله، سواء في إطار المؤتمر العام، أو في إطار

(١) Ibid. Vol1 - p. 60.

(٢) مر بنا ذلك ص ١٩٥ من الرسالة.

كل لجنة، سعياً لتقليد العديد من سبلات التوسع في الموضوعات وكثرة الدراسات. وعملاً بذلك تقرر في هذا الأثناء، أنه مهما كانت الظروف، فإن جلسات اللجان كافة، ستكون موجودة، لترك المجال للمؤتمرين لعرض نتائج أبحاثهم ومقترحاتهم التي يودون عرضها... والحاصل، وبدون اقتراحات إعادة التنظيم التي لم يتفاعل معها أحد، فقد تقرر إعداد برنامج عمل المؤتمر الحادي والعشرين بتعيين جزء من الوقت لجلسات اللجان المعنادة، وأخرى للجلسات العامة، ولإبراز الشخصية الخاصة في كل اللجان أو في معظم التجمعات^(١). وبالتالي، فقد عقدت لأول مرة جلسات جماعية عدة:

- جلسة جماعية بمناسبة مرور خمسين سنة على نشأة المعهد الفرنسي للشرق الأدنى بسايغون سنة ١٨٩٨م^(٢).

- جلسة ثانية، وتعلق بالنقوش المكتشفة حديثاً^(٣).

- جلسة ثالثة، بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة البيروني^(٤).

- جلسة جماعية جزئية، ضمت ثلاث لجان، هي الدراسات المصرية والدراسات السامية والدراسات الآشورية^(٥).

- جلسة جماعية جزئية أخرى تضم اللجان الأخرى، وهي الدراسات التركية والهندية والهند الصينية مع الدراسات الإندونيسية، والدراسات الصينية والدراسات الإسلامية، التي تشمل لجناً فرعية أربع، والدراسات الشرقية-الغربية: الشرق النصراني، والإثنية وما قبل التاريخ والآثار^(٦).

وهذه اللجان تم ذكرها سابقاً، إلا أن سردها هنا، إنما هو لبيان النقلة التي ظهرت على مسار المؤتمرات، إذ هي أولى خطوات إعادة تنظيم الجلسات

(1) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - pp. 2-3.

(2) Ibid. p. 27.

(3) Ibid. p. 27.

(4) Ibid. pp. 28 - 33.

(5) Ibid. p. 28.

(6) Ibid. p. 28.

العلمية. وهذه تذكرنا بالمؤتمرين الأولين، الذين كانت الجلسات الجماعية فيهما الأساس، ثم استعاض عنها بجلسات اللجان والجلسات الجماعية.

٥- مؤتمر باريس التاسع والعشرون وقرار تغيير اسم

المؤتمرات:

سبق الحديث عن هذا الموضوع باستفاضة^(١). لكن نذكره هنا لضرورة بيان أنه من سمات هذه الحقبة، وآخر مطاف المؤتمرات فيها، ولاسيما أن قرار تحويل مسمى مؤتمرات المستشرقين العالمية، وإعادة تنظيم مسارها الإداري والعلمي، كان نقطة تحول هامة في تاريخ مؤتمرات المستشرقين العالمية، إلا أن المنشورات التي صدرت حول المؤتمر، لم تتحدث عن الخطوات التي اتبعت ولا المداولات التي تمت حتى اتخاذ القرار، ولم تسعفا لمعرفة ذلك، ولم تذكر سوى أسماء أعضاء اللجنة التي تولت بحث الموضوع، والتي اتخذت القرار. أما ما عدا ذلك، فلم تنشر سوى محاضرة للمستشرق "فليوزا"، تتعلق بالموضوع، والتي تم تحليل مفاهيمها في موضعها، والإشارة إلى بعض المقطعات منها^(٢).

(١) كان ذلك في ص ١٨٢ من الرسالة فما بعدها.

(٢) يمكن الاطلاع على ذلك ص ١٨٢ من الرسالة.

المبحث الثاني: المسار العلمي للمؤتمرات

لدراسة مسار المؤتمرات العلمي في هذه المرحلة، التي انعقدت فيها تسع مؤتمرات علمية، سيتم حسب الأسلوب السابق المتبع مع المرحلتين السابقتين، بتقديم جداول توضيحية^(١)، واستخلاص ملاحظات حولها ثم تحليلها.

١ - ملاحظات حول الجدولين:

انعقدت في هذه المرحلة تسعة مؤتمرات، انطلق المؤتمر الأول فيها بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، وكذلك كان المؤتمر الأخير بباريس سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ).

أكثر الموضوعات التي درسها المؤتمرون في هذه المرحلة آسيا الوسطى، التي شغلت كل المؤتمرات، ما عدا المؤتمر السابع والعشرين، وآسيا الوسطى شغلت مؤتمرات عدة متفرقة، إلا أنها تعمقت وتكاثرت في المرحلتين الثانية والثالثة. ثم الهند وإيران، وكل منهما تناولته سبع مؤتمرات. فإيران تناولتها موضوعات المؤتمرات بعد الحرب العالمية الثانية بكثافة حتى المؤتمر السادس والعشرين، ثم عادت مرة أخرى في المؤتمر التاسع والعشرين، زمن الفوضى الداخلية الإيرانية. أما الهند، فقد تكثف الاهتمام بها منذ وسط المرحلة الأولى، أي منذ المؤتمر التاسع.

ثم توجد ست موضوعات، ثبت كل واحد منها في ست مؤتمرات. وهي كمل هو موجود في الجدول، موضوعات معنادة، عدا واحدة فقط، هي جنوب شرقي آسيا. فهذه المنطقة، تركز الاهتمام بها انطلاقاً من المؤتمر الرابع والعشرين، وتواصل حتى نهاية هذه المرحلة. كما نلاحظ التركيز على الموضوعات التاريخية، التي برزت لأول مرة في المؤتمر السادس عشر، نراها تعود منذ انطلاقة هذه

(١) تم إيراد جدولي اللجان والموضوعات الخاصة بهذه الحقبة، جدول اللجنين بالملحق رقم ٣٦ ص ٨٢٨ من الرسالة، وجدول الموضوعات بالملحق رقم ٣٦ ص ٨٢٨ من الرسالة.

المرحلة، وتواصلت حتى المؤتمر السادس والعشرين. ثم ظهر الاهتمام بالدراسات الصينية، انطلاقاً من المؤتمر الحادي والعشرين، ثم الرابع والعشرين والخامس والعشرين، ثم المؤتمرات الثلاث الأخيرة من هذه المرحلة. أما الدراسات المصرية فنراها تتوقف بعد المؤتمر السادس والعشرين .

والموضوعات التي ترددت خمس مرات، سبعة، ويلاحظ فيها كثافة الدراسات الإفريقية حتى المؤتمر السادس والعشرين، ثم توقفت بعد ذلك، لتظهر مرة واحدة في المرحلة القادمة. لكن الدراسات الآتية، التي كانت تتعلق بمنطقة من ضمن الاتحاد السوفيتي، فقد برزت بقوة في هذه المرحلة. فالمرحلة الوحيدة التي تمت دراستها فيها، كانت في المؤتمر الرابع، ثم انطلقت من جديد مع المؤتمر الثالث والعشرين حتى المؤتمر السابع والعشرين. كما تكثفت الدراسات التركيبية عن ذي قبل. أما الدراسات الكورية وموضوعاتها، فلم يتم توجيه النظر إليها إلا في هذه الحقبة، باستثناء المؤتمر الثاني عشر، ثم انطلقت لتكون موضوعاً رئيساً في خمس مؤتمرات من هذه الحقبة. أما اللغويات فلم تعد موضوعاً رئيساً في المؤتمرات بعد المؤتمر السادس والعشرين، كما تواصل الاهتمام بنصاري الشرق، وعرض موضوعاتهم، بعد أن انطلقت في المرحلة السابقة، ولم تتوقف إلا بعد المؤتمر السادس والعشرين، ثم عادت في المؤتمر التاسع والعشرين.

أما الموضوعات التي ترددت أربع مرات، فبلغت أربع موضوعات: فالأدب الإسلامي الذي غاب بعد المؤتمرين السادس والسابع، عاد ليشتغل المؤتمرات الأربع الأولى في هذه المرحلة. ولم تعد الدراسات الآشورية في هذه الحقبة، تمثل موضوعاً رئيساً بعد المؤتمر الخامس والعشرين. وفيما يخص الشريعة، فإنها لم تظهر إلا في هذه المرحلة، في المؤتمرات الأربع الأولى. كما تكثفت الموضوعات الفنية خلال المؤتمرات نفسها من هذه الحقبة.

وهناك ستة موضوعات تكرر كل منها ثلاث مرات. فآسيا الشرقية، ظهرت بعد غياب عن المؤتمرات، منذ المؤتمر الثامن، وبرزت عادت بعد المرة الوحيدة التي ظهرت فيها، خلال المؤتمر الحادي عشر، وفي المؤتمرات الثاني والعشرين، والرابع والعشرين والخامس والعشرين. وآخر عهد لموضوع العلاقات بين الشرق والغرب، كان المؤتمر الثالث عشر، وكانت المرة الثانية في تاريخ المؤتمرات، ثم

أثير من جديد في المؤتمرات الثلاث الأولى من هذه الحقبة. كما ازداد الاهتمام بالدراسات القوقازية.

وهناك سبعة موضوعات تكرر كل واحد منها مرتين. ومما يلاحظ في هذه المجموعة، انطلاق موضوعات جنوب شرقي آسيا لأول مرة، في هذه المرحلة، بعد أن كان يعرض عن طريق البلدان، ولاسيما الهند، وبرزت الفلسفة من جديد بعد المؤتمر الثالث، وكانت إحدى موضوعات المؤتمرين الخامس والعشرين والسادس والعشرين. ونلاحظ في هذه المرحلة ضعف الاهتمام بالدراسات الأثرية واليهودية عموما. فهناك قلة اهتمام بالعهد القديم والعبرية، وحتى موضوع اليهودية، لم يرد إلا مرة واحدة، وذلك في المؤتمر الرابع والعشرين الذي انعقد في ميونيخ بألمانيا سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ).

أما ما ورد ليكون موضوعا فريدا في المؤتمرات فكان عددهم سبعة وعشرين، وما يجلب الانتباه إليه يمكن تلخيصه فيما يلي. فأفغانستان كانت موضوعا للمرة الثانية في المؤتمر الخامس والعشرين، أما البربر فلم يكونوا موضوعا رئيسا طوال المؤتمرات إلا في المؤتمر الحادي والعشرين. كما لم تطرح البلدان العربية لتكون موضوعا رئيسا إلا في المؤتمر الخامس والعشرين، وقد عقد في موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، ومنذ المؤتمر الأول لم تظهر السنسكريتية إلا في المؤتمر السادس والعشرين الذي انعقد في نيودلهي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٣هـ). وظهر لأول مرة موضوع الشرق الأقصى، ولم يعرض إلا في المؤتمر الثالث والعشرين الذي انعقد في كامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، كما أن القرآن كموضوع لم يرد إلا مرة واحدة في هذه الحقبة، في المؤتمر الحادي والعشرين ببريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، وكذلك المكتبات، لم ترد إلا في المؤتمر التاسع والعشرين. وآخر مؤتمر يتناول موضوع الهند-الصينية، هو المؤتمر الحادي والعشرين. كما نرى للمرة الثانية والأخيرة عرض موضوع شمال آسيا.

هذا مجمل ما يمكن استخلاصه من ملاحظات على مؤتمرات هذه المرحلة من عمر المؤتمرات، وفيما يلي تحليل ومناقشة لها.

٢- التحليل والمناقشة:

أول ملحوظة تحتاج لتحليل، هي سيطرة موضوعات آسيا الوسطى على جل مؤتمرات هذه الحقبة. والمعلوم أن آسيا الوسطى، ومعظم شعوبها مسلمون، تقع تحت احتلال الاتحاد السوفيتي وسيطرته، وهو الكيان الذي اتخذ الشيوعية أساسا لنظريات حكمه. وبما أن العالم الغربي تبنى معاداة الإيديولوجية الشيوعية بكل ما أوتي من طاقة، مادية ومعنوية، حتى إنه عين موارد خاصة، قصد التغلغل داخل كيان الاتحاد السوفيتي ذاته، وبالتالي محاولة خلخلة نظامه الداخلي، وليس أدل على ذلك من كثرة حوادث الجاسوسية بين القطبين. ومن ذلك التدخل في الشؤون وتحليل المعلومات ودراسة المجتمعات، ولأسيما أن الاتحاد السوفيتي إنما هو عبارة عن خليط من المجتمعات المتنافرة أحيانا، والمتناحرة أحيانا أخرى. ومن شأن تعميق تلك الفروق أن لا يسمح للاتحاد السوفيتي بالخروج من المشكلات الاجتماعية وتنمية قدراته التقنية على المدى القريب، وتفكيك الاتحاد السوفيتي على المدى البعيد، وهو ما تمكنت من تحقيقه في المرحلة الرابعة كما سيأتي^(١). وبما أن المؤتمرات تسير عصرها، فإنها خصصت حيزا هاما من برنامجها لدراسة هذا مناطق العالم السوفيتي. ويبدو أن دراسة الاستشراق وبحوثه وجهت جزءا من جهدها لهذه المنطقة، إذ يظهر أن الأثر السياسي في هذا التوجه لوجود كثافة موضوعات آسيا الوسطى في هذه المرحلة والمرحلة السابقة، أكثر من غيرها في المراحل السابقة، التي لم تكن فيها المنطقة ساعته مخيفة سياسيا. ومن ثم، كان الاهتمام بالدول المحيطة بالاتحاد السوفيتي لا يقل عن العناية بدول الاتحاد نفسه. فقد سبق أن ذكرنا أن الولايات المتحدة خصصت مساعدات هامة للدول المحاذية للعالم الشيوعي، من أجل محاصرة المد الشيوعي. لذا، ليس من الغريب أن يهتم ميدان الاستشراق بهذه المناطق أيضا، وبالتالي المؤتمرات أيضا. ومن هذه المناطق ما اهتمت به المؤتمرات سابقا، لكن تكتفت البحوث حولها في هذه المرحلة، ولأسيما الهند وإيران، ومنها جنوب شرقي آسيا أيضا.

(١) سيرد ذلك ص ٤٠٨ من البحث

من ناحية أخرى، تميزت هذه المرحلة باستقلال البلدان المستضعفة، وانحسار نفوذ الدول الاستعمارية وإمبراطورياتها. لكنها ما غادرت حتى تركت وراءها المناطق مشحونة مشكلات وصراعات. ففيما يخص الهند مثلاً، نجد أن سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، شهدت تمرد الأسطول الهندي على الجيوش البريطانية، وشهدت سنة ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ)، استقلال الهند، وانقسامها لدولتين، الهند من ناحية، والباكستان من ناحية أخرى، بشقيها، وقيام نزاع مسلح بين الهند وباكستان حول كشمير، وقتل غاندي سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، كما قطعت العلاقات بين الهند والبرتغال سنة ١٩٥٥م (١٣٧٤هـ)، بسبب الصراع حول بعض الأراضي، وعقدت معاهدة سنة ١٩٥٦م (١٣٧٥هـ)، مع فرنسا، استعادت على أثرها أراضيها التي كانت تحتلها فرنسا كلها. وكانت الهند تسعى حينئذ لتكوين منظمة دول عدم الانحياز. وإضافة إلى الصراع الخارجي مع المستعمرين والجيران، وجدت صراعات في الهند نفسها، ولاسيما السياسية منها، حتى إن بعض الأحزاب الشيوعية فازت في انتخابات ولايات داخلية. وشهدت سنة ١٩٦٢م (١٣٨١هـ)، هجوماً صينياً على المواقع الهندية على حدود القطاع الشرقي، وعادت الحرب مرة أخرى بين الهند والباكستان حول كشمير سنة ١٩٦٥م (١٣٨٥هـ)^(١).

هذه الأحداث شددت انتباه العالم بأحداثه السياسية، ورجال الفكر بالموروثات الثقافية والحضارية والتركيبات الاجتماعية، ومحاولة التنبؤ بما سيؤول إليه حال كل ذلك، تجاه التحولات المتلاحقة على الساحة الهندية. وهذا هو اهتمام المستشرقين، وبالتالي تعمقت الدراسات الهندية في ميدان الاستشراق، والمؤتمرات بالتالي، لذا، فقد كان للأحداث المتلاحقة أثرها في عناية المؤتمرات بالهند.

أما إيران، فقد شهدت هي كذلك، خلال هذه الفترة أحداثاً سياسية كبرى، جعلتها موضع انتباه العالم، ومن تلك الدول التي ركزت عليها الولايات المتحدة الأمريكية، لتكون سداً منيعاً في وجه النفوذ الشيوعي وتوسعه. ومن أهم الأحداث تلك، نجد أن إيران أملت حقوق البترول سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، وهو ما يعني

(١) يمكن التعرف على تفصيلات تلك الأحداث لدى "روبير شيرب"، تاريخ الحضارات العالم - م ٧

انحسار دور الشركات الغربية في المنطقة، وبالتالي نفوذها، وقطعت إيران علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا، وحدت الحكومة من سلطات الشاه وأعوانه، مما أدى إلى هروب الشاه ولجؤه إلى بغداد سنة ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ). ويبدو أن هذا كان أحد أهداف الولايات المتحدة الأمريكية، التي قدمت مساعدة مالية إلى الحكومة بعد شهر من فرار الشاه. كما شهدت السنة نفسها عودة العلاقات بين إيران وبريطانيا العظمى. وعقدت إيران معاهدة تحالف مع تركيا سنة ١٩٥٥م، (١٣٧٤هـ)^(١). وهكذا تلاحقت الأحداث في إيران، التي ما كادت تهدأ، وتواصل أمرها كذلك حتى ابتدأت نهاية هذه الحقبة مسيرة الثورة الإسلامية. ولا شك في أن هذه الأحداث تجلب الانتباه والاهتمام. ولاسيما أن للغرب مصالح جما في إيران، وبالتالي فهي تستهدف عناية المستشرقين، الذين لم يتخلفوا عن الركب، بل أدرجوا إيران من ضمن تحليلاتهم ودراساتهم.

المثال الآخر هو جنوب شرقي آسيا، الذي كثرت أحداثه كذلك في هذه الفترة. فقد أعلن استقلال الفلبين بعد أحداث ومعارك وتوترات عنيفة، سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، وشهدت سنة ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ) نهاية العمليات العسكرية في جزيرة "جاوا"، كما اعترفت "جاوا" باستقلال يورما. وعقدت هدنة هولندية -إندونيسية سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، لكن ما لبثت هولندا أن قامت في العام نفسه بعمليات عسكرية في جاكرتا برغم المعاهدة المعقودة، وقبضت خلالها على أعضاء الحكومة الإندونيسية، الأمر الذي عمق القضية ومشكلاتها، اضطر الهولنديون إلى الانسحاب بعدها من البلاد بأكمله سنة ١٩٤٩م (١٣٦٧هـ)، ولم تهدأ المشكلات بين البلدين، ففي سنة ١٩٥٤م (١٣٧٣هـ)، تمت القطيعة النهائية بين هولندا وإندونيسيا. وحصلت ماليزيا على استقلالها سنة ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ). كما أن هذه البلدان قائمة قرب الصين وكوريا والاتحاد السوفيتي، لذا قويت فيها الحركات الشيوعية، مما جعل الدول الغربية توجه اهتمامها إليها، ولاسيما في إندونيسيا، التي عرفت تأثير الشيوعيين في رئيسها "سوكارنو"، ثم حاولوا الإطاحة به سنة ١٩٦٥م (١٣٨٩هـ)، مما أدى إلى قيام ثورة ضدهم، وضد الرئيس،

(١) مثل هذه المعلومات موزعة في مواطن عدة من تاريخ الحضارات العام - ٧٢ -

نتجت عنه مذبحه عامة لجل من يعرف له ميول شيوعية. وفي العام ١٩٦٥م نفسه انسحبت سنغافورة من الاتحاد الماليزي.

تلك هي أهم الأحداث في المناطق الثلاث التي شددت انتباه السياسيين والمفكرين الغربيين. وبما أن المستشرقين جزء من المفكرين الغربيين، فقد وجهوا جهودهم العلمية الخاصة، لتشمل هذه المنطقة أيضا. وبالتالي خصصوا لها مكانا في مؤتمراتهم.

أما الصين، فقد شغلت الغرب بتبنيها الأيديولوجية الشيوعية في هذه الفترة، رغم أنها كانت تشغلهم سابقا للتطورات السياسية فيها، والتي تلاهقت على نحو مثير، فما إن تمكنت من الخروج من نير الاستعمار حتى تمكنت من أن تصبح إحدى أقوى الدول، ولاسيما عسكريا وصناعيا، والصناعة الحربية بصفة خاصة، إذ إنها أضحت إحدى الدول التي تملك أسلحة الدمار الشامل، ولاسيما النووي منه^(١)، وبالتالي أضحت من الدول التي يتركز عليها الانتباه، سياسيا واجتماعيا وثقافيا، ولاسيما أنها رفعت شعار الثورة الثقافية، ولا يستغرب بالتالي اهتمام المستشرقين بها، وبالتالي إدراجها إحدى الموضوعات الهامة في المؤتمرات.

وفيما تواصل الاهتمام بالدراسات المصرية، فإنما ذلك لتلاحق الأحداث السريعة في المنطقة، فاستقلال البلد بعد معارك عدة مع البريطانيين، وإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية، وتبني القومية والاشتراكية، وخوضها معارك حربية عدة، سواء ساعة العدوان الثلاثي على مصر، أو الحروب المتلاحقة التي قادتها على الكيان الصهيوني، كانت كلها أحداث مهمة، في منطقة زرع فيها الغرب عصابة من شأنها أن تخلخل أمن المنطقة، وتساهم في تدعيم سيطرة الغرب عليها. وهذه الأحداث فتت انتباه المتقنين وكانت إحدى القضايا العالمية الكبرى التي يهتمون بها، وبالتالي كانت موضوع دراسات وبحوث متعددة الجوانب والتوجهات، بما فيها الدراسات الاستثنائية، وبالتالي المؤتمرات المعنية كذلك.

وعلى غرار مصر، تركز الاهتمام على تركيا أيضا، التي قطعت شوطا كبيرا في تبني العلمانية، وتحوير كتابتها بالأحرف اللاتينية، وإعلان الديمقراطية وظهور الخصومات السياسية والانقلابات العسكرية، والمعارك مع اليونان

(١) للاطلاع على المزيد في الموضوع لدى المرجع السابق - ص ٥٥٨ - ٥٦١ .

ودخلوها قبرص لنجدة الأتراك هناك، وما تركه ذلك من مخلفات سياسية كبرى، كل هذه الأحداث كانت مهمة جدا للعالم الغربي، ولا سيما الدول الأوروبية، التي لم تحمد لتركيا تدخلها العسكري السابق في أراضيها، وعملت ما في جُهدا كي تبسط سيطرتها عليها. والخبراء المتخصصون في ذلك هم المستشرقون، الذين سلطوا أنظارهم بقوة على تركيا والدراسات التركية، وبالتالي عرض بعضها في مؤتمراتهم.

ولا تزال مناطق الاتحاد السوفيتي تجلب انتباه العالم الغربي، الذي لا يزال يحاول التغلغل فيه، وبعد آسيا الوسطى التي تم الحديث عنها، هذه منطقة آلت، والجبال الآطية، يتم التركيز عليها وبحث موضوعاتها، سعيا للتعرف عليها أكثر، بعد أن توقفت الدراسات حولها منذ المؤتمر الرابع المنعقد بفلورنسا سنة ١٨٧٨م (١٢٩٨هـ)، التي كانت المرة الوحيدة التي عرضت فيها، حتى انطلقت في هذه الحقبة من جديد.

وبعد أن درست موضوعاتها لمرات قليلة، عادت الدراسات الكورية بقوة في هذه الحقبة. وإذا ما نظرنا للساحة السياسية، نجد أن الشيوعيين الكوريين تمكنوا من السيطرة على الجزء الشمالي من كوريا، الأمر الذي أدى إلى قيادة الولايات المتحدة لحملة ديبلوماسية ضدها، أدى إلى فرض مجلس الأمن عقوبات ضد كوريا الشمالية سنة ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ)، ثم تدخلت الولايات المتحدة عسكريا في كوريا في العام ذاته، مما أجبر الكوريين الشماليين على القيام بهجوم سريع على كوريا الجنوبية بلغوا فيه أقاصي الأراضي جنوبا في العام نفسه، وتمكنت من السيطرة على سيول العاصمة أيضا. ونتج عن هذا تدخل الصين في كوريا أيضا، لمناصرة حلفائها.

وفيما بدأت الولايات المتحدة هجوما معاكسا في كوريا سنة ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، أدانت الأمم المتحدة الصين كمعتدية. وتمكنت كوريا الجنوبية من استرداد عاصمتها، وواصلت الجيوش الأمريكية مهاجمة الكوريين الشماليين، وبقيت الحرب سجالا بين الطرفين، وقامت في الوقت نفسه فتن ومعارك في فيتنام، ولقيت القوات الأمريكية في كوريا مقاومة عنيفة، رأت على أثرها أنها بصدد خسران العديد من رجالها وعنادها، مما مهد لوقف إطلاق النار في عام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ). ومع ذلك لم تهدأ الأحداث بين البلدين المكونين لكوريا،

وشهدت كوريا الجنوبية اضطرابات في عام ١٩٦٠م (١٣٧٩هـ)، استقالت على أثرها الحكومة. ومع ذلك ظل العداء مستفحلاً بين شطري الجزيرة، ولا يزال قائماً حتى اليوم. هذه الأحداث جلبت كذلك الانتباه، بما فيها اهتمامات المستشرقين والمؤتمرات بالتالي.

كما نلاحظ أن التوجه الشيوعي أثر في الاهتمامات العامة للمؤتمرات، فخصصت جلسات للحديث عن آسيا الشرقية، بعد غياب طويل، فالثورات الشيوعية، في كل من الصين وكوريا وفيتنام كان لها الأثر الكبير في اهتمامات الغرب، ولذلك اهتم بها المستشرقون أيضاً، تماماً كأهل جلدتهم في تخصصاتهم المختلفة، والكلام نفسه يقال عن الدراسات القوقازية، المتعلقة بمنطقة شاسعة في الاتحاد السوفيتي.

أما جنوب آسيا فكان منطقة ساخنة بالأحداث فيها، سواء منها المعارك والحروب بين باكستان والهند، كما مر بنا، أو الأحداث المتلاحقة في المنطقة برمتها، ولاسيما الصراع في أفغانستان، الذي أدى إلى دخول الروس فيها بتاريخ الرابع والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٧٩م (الخامس من صفر سنة ١٤٠٠هـ)، من أجل الحفاظ على النظام الشيوعي الذي تمكن من الوصول إلى السلطة، وقيام حملات تقاومه وتجاهده، وقد ظهرت أفغانستان موضوعاً للدراسة في المؤتمر الخامس والعشرين المنعقد في موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، ولا غرابة في ذلك، إذ إن روسيا كانت أشد اهتماماً بأفغانستان من غيرها.

واستغلت روسيا أيضاً العداء العربي المستفحل ضد أمريكا والصهيونية والغرب المؤيد لهما، لتحاول التقرب من العرب وبسط نفوذها على بلدانهم. لذلك خصصت في المؤتمر السابق موضوعاً خاصاً بالعرب، في لجنة بعنوان تاريخ البلدان العربية.

وفي هذا الخضم من التحولات الدولية، والثورات ضد الاستعمار والأنظمة القائمة، والعداء المستفحل والحرب الباردة بين معسكري الشرق والغرب، كان على الإطار الدولي العام أن يضع ضمن اهتماماته موضوع العلاقات بين الشرق والغرب عامة. وهذا الموضوع ظل الشغل الشاغل للعديد من الإطارات والهيئات والمنظمات، بما فيها الاستشراق، وبالتالي المؤتمرات أيضاً.

ومما يدل على تحول الأبحاث الاستشراقية في المؤتمرات في هذه المرحلة، توقف بعض الأبحاث التقليدية. فلم تعد اللغويات مثلاً موضوعاً رئيساً في المؤتمرات، بعد المؤتمر الخامس والعشرين، كما ضعف الاهتمام بالدراسات الأثرية واليهودية، والعهد القديم والجديد، وكذلك الدراسات العبرية. وبالمقابل، ظهرت موضوعات جديدة، مثل الأبحاث الخاصة بالشريعة والقرآن وشمال آسيا وغيرها، وبعثت موضوعات طرحت قديماً، مثل الأدب الإسلامي، إذ فيما اهتم للمؤتمران السادس والسابع بالأدب الإسلامي القديم، فإن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع حديثاً اهتمت بالأدب الإسلامي الحديث، ويبدو أن التيارات الأدبية الحديثة التي شهدتها المنطقة، ولاسيما بعد استقلال الدول الإسلامية، شددت الانتباه. أما عن عودة الدراسات البيزنطية ثانية، بعد أن كانت وردت مرة واحدة في المؤتمر الحادي عشر، فلعن المصادمات التي وقعت بين تركيا واليونان كان لها الأثر في ذلك. وبالنسبة لعودة الفلسفة من جديد، فيبدو أن ذلك يعود للتيارات الفكرية الحديثة التي ظهرت للساحة على أثر الحروب العالمية، والتي أحييت من جديد النزعات الفلسفية والفكرية القديمة والحديثة، من قبيل المثل والمثاليات^(١)، وموضوعات الوجودية المعاصرة^(٢)، والإستيمولوجيا^(٣) وغيرها.

أما موضوع البربر، فلم يطرح إلا في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس، ولا يخفى أن ارتباط فرنسا المباشر مع شمال إفريقيا، وظهور أمر الظهير البربري، وسعي البربر للحصول على امتيازات، وربما دولة مستقلة، وذلك للإيقاع بين العرب والبربر، لأن من شأن ذلك أن يطيل مقام الاستعمار في شمال إفريقيا، بحيث إنها في امتثالها البربر، تزداد قوة وثباتاً.

(١) المثالية Idealism، هو اتجاه قوامه رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معاني هذا اللفظ. فوجود الأشياء مرهون بقوى الإدراك، وتقابل المذهب الواقعي. رواه في الماضي أفلاطون بنظرية المثل، فيما تعتمد النظرية الحديثة على أفكار "كانت"، الذي يرى أن الظواهر مجرد تصورات لا أشياء في ذاتها. وهي المثالية المتعلقة بالمعرفة. عن المعجم الفلسفي - ص ١٧٠.

(٢) تم التعريف بها ص ٣٦٣ من الرسالة.

(٣) سبق التعريف بها ص ٥٤ من الرسالة.

وازداد اهتمام الغرب بمنطقة الشرق الوسط، ولاسيما العرب، ولذلك وجهوا اهتمامهم لنصارى الشرق من جديد، ولا شك أن الأهداف الكامنة وراء ذلك، إنما هي دينية وسياسية، لارتباط هذه الفئة بالغرب، ودعواها أن الغرب هو أصلها ومعتمدها، ولاسيما فرنسا، فبعد أن توقف البحث في هذا الموضوع على مدى مؤتمرين اثنين، وما إن عادت المؤتمرات لباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، بعثت اللجنة من جديد، أما عن أهداف هذا الاهتمام، فقد سبق الحديث عنها^(١).

ذاك هو أهم ما يمكن الخروج به من تحليلات حول موضوعات هذه المرحلة، وفيها بيان ودليل آخر على أن المؤتمرات لم تكن مطلقة أو حرة في التوجهات والاختيارات، بل كانت مسيرة للتيارات العامة وللأحداث القائمة والمصالح الغربية السارية، والبلد الذي ينعقد فيه المؤتمر بخاصة. وقد أكد لي المستشرق الألماني "شتيفن فيلد" ذلك في لقاء لي معه، فقال إن الدول التي تنعقد فيها المؤتمرات، تؤثر على اختيارات المؤتمرات وتوجهاتها، بحجة المساعدة التي تقدمها للمؤتمر، ولاسيما المالية^(٢).

لكن الالتفات للنظر والانتباه، هو اهتمام المؤتمرات بموضوعات جديدة، مقابل انقراض موضوعات أخرى، وهي تلك المرتبطة بالدراسات التقليدية بصفة عامة، وإحداث موضوعات ذات طابع عصري، مرتبطة بالمصالح الحديثة للمجتمعات الغربية بخاصة، وجاء هذا التحوير استجابة للمناداة التي وجهتها بعض الأطواف من أجل إحداث تطويرات على المؤتمر^(٣)، وسنلمس في المرحلة الرابعة مواصلة هذا التوجه العام من التجديد في اختيار الموضوعات.

(١) سيتم الحديث عنها لاحقاً ص ٨٤ وما بعدها، من الرسالة .

(٢) كان ذلك يوم التاسع من ذي الحجة سنة ١٤١٥هـ، التاسع من مايو سنة ١٩٩٥م.

(٣) سبق الحديث عن هذه التحويرات في أماكن متفرقة من الرسالة، منها ص ٢٢١ من الرسالة .

**الفصل الرابع: مؤتمرات المستشرقين
العالمية بعد ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)**

**المبحث الأول: المسار الإداري للمؤتمرات
المبحث الثاني: المسار العلمي للمؤتمرات**

الفصل الرابع: مؤتمرات المستشرقين العالمية

بعد ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)

مدخل:

تمت الإشارة فيما سبق إلى قرار مؤتمر باريس التاسع والعشرين سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، والقاضي بتحويل مسمى المؤتمرات ليصبح "المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، وتوجيه الدراسات لتتناول الموضوعات المعاصرة، والتي تهتم بالحياة اليومية والشؤون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية كذلك.

إلا أن هذه القرارات لم تدم طويلا، فما لبث الأمر سوى مؤتمرين فقط، حتى نقرر تغييره مرة أخرى. ففي مؤتمر طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، ثاني مؤتمر حمل المسمى الجديد أعلاه، تم تغيير الاسم مرة أخرى، ليصبح "المؤتمرات العالمية للدراسات المتعلقة بآسيا وشمال إفريقيا"، وهو المسمى الحالي لمؤتمرات المستشرقين العالمية، وعقد تحته أربعة مؤتمرات حتى الآن. أما الدعوة لتوجيه الأنظار نحو المشكلات المعاصرة، فلم تدم كذلك، إذ سرعان ما اندمج الواقع الحالي بالتراث الماضي، بل إن الأخيرة أضحت تنافس في الكمية العددية الأولى. وامتازت الحقبة بالوجود الكثيف للباحثين الشرقيين، وكان ذلك نوع من رد الاعتبار لهم، وأضحت الحقبة تحاول التوصل تماما من شعار الاستشراق، بحيث يتحدث العديد من الباحثين عن الاستشراق بشيء من ضعف الاهتمام، على اعتبار أن ذلك أضحى من الماضي الغابر. وهذا ما لوحظ في المؤتمر الخامس والثلاثين، إذ يتحدث عن الاستشراق بشكل عادي دون إظهار التبرم منه، بعكس الحقبة الماضية، التي صرح فيها بالقلق من المصطلح، وقد تبين ذلك بوضوح من خلال محاضرة "جون فليوزا"، التي تم الحديث عنها^(١). كما ظهر تغيير طفيف على نظام المؤتمرات، وذلك في مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين.

(١) مر بنا ذلك ص ١٨٢ من الرسالة فما بعدها.

تعرضت المؤتمرات لمشكلة تنظيمية خارجة عن نطاقها، أعاقمت مسارها مدة سبع سنوات. فقد تقرر أن تستضيف إيران الدورة الحادية والثلاثين من المؤتمر سنة ١٩٨١م (١٤٠١هـ). إلا أن نجاح الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م (١٣٩٩هـ) وجه نكسة للمؤتمرات في هذا الشأن، فاضطر القائمون للبحث عن دولة أخرى لتتبنى الدورة، إلا أن اليابان التي عرض عليها ذلك، اشترطت مهلة سنتين على الأقل، وما كان هناك بد من قبول شرطها.

أما عن الظروف المعيشية لمؤتمرات هذه الحقبة، فإن الفترة عرفت توارى الاستعمار المباشر، وتحوله للاستعمار غير المباشر، ولاسيما في الجانب الثقافي. فقد عرف العالم سرعة انتشار الثقافة الغربية ومثلها وأخلاقياتها، في مواطن عدة من العالم، حتى الشرقي منه.

تنامى الصراع بين القطبين السياسيين الكبار في العالم، في أول هذه الحقبة، وقويت الحرب الباردة بينهما، وتواصل التنافس في سباق التسلح وغزو الفضاء. حتى كان أن تورط الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، التي شهدت صراعا مريرا بين السلط الحاكمة الشيوعية، والمجموعات المناهضة لها والذاعية لقيام حكومة ونظام إسلامي، والتي أطلق عليها اسم "المجاهدين"، ودخل الاتحاد السوفيتي بقضه وقضيضه وحديده، لينصر الحكومات التي شهدت انهيارا أمام المجاهدين، وبعد عشر سنوات، خرجت القوات السوفيتية مهزومة ومنهكة من أفغانستان. وكانت قد استنفدت ميزانية مالية كبرى، إضافة إلى المصاريف المحمومة لمجارات سباق التسلح والتنافس في غزو الفضاء، فكان أن انهيار الاتحاد السوفيتي، بعد مشكلات داخلية عدة، وتفرق إلى دويلات، أعظمها روسيا، التي تورطت مرة أخرى في الشيشان، البلد الصغير المطالب بالاستقلال، وما هي إلا حوالي سنتين، حتى خرجت جيوشه مهزومة. وكل هذه المحن جعلت المنطقة تعتمد اعتمادا كبيرا على العالم الغربي، وأضحت عدة دول من الاتحاد السوفيتي السابق، والدول الحليفة له، تسعى لتحويل تبعيتها للحلف الغربي، ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، التي أضحت القوة العظمى الوحيدة، التي تحاول بسط سيطرتها ونفوذها على العالم.

أدى انهيار الاتحاد السوفيتي إلى تغيير خريطة العالم. فمع انقسامه إلى دويلات، انقسمت دول كانت حليفة له على نفسها، منها ما كان سلميا، مثل تشيكوسلوفاكيا، التي انقسمت إلى دولتين تشيكيا وسلوفاكيا، ومنها ما شهد حروبا

ومعارك دامية، من أجل تحقيق ذلك، مثل ما حدث في يوغسلافيا سابقا، التي أضحت دويلات عدة، وقد شهدت مذابح عنيفة، ومعارك مميتة، ولاسيما ضد المسلمين البوسنيين.

إن فقد انهيار العالم الشيوعي، وتبين فشل النظريات الماركسية، ولم يتبق من الدول المتمسكة به سوى القليل منها، لا تكاد تعد على الأصابع. حتى إن أعظمها، وهي الصين، تدخل على أنظمتها إصلاحات رأسمالية، ولاسيما في الجانب الاقتصادي شيئا فشيئا.

وشهدت ألمانيا التي كانت مقسمة، عودة توحيدها ثانية، لتصبح دولة واحدة، بعد تحطيم جدار برلين، الذي كان يقسم المدينة. كما أن أوروبا مجموعة، تسعى لتكون نوعا من الاتحاد فيما بينها، ولاسيما اقتصاديا، حتى لا تفقد دورها على العالم. وقد قررت دول عدة إزالة إجراءات الحدود فيما بينها، فيما يتم تباعد توحيد العملة الأوروبية.

في المقابل، شهدت إفريقيا حدثا بارزا، تمثل في انهيار النظام العنصري هناك، بل إن رئيس جنوب إفريقيا الحالي، هو أحد المواطنين الأصليين، ومن الزنوج. إلا أن الحياة في غيرها من الدول الإفريقية، لا تزال تشهد أحداثا متلاحقة ومتعددة، منها ما هو كوارث طبيعية، ولاسيما الجفاف والمجاعة، وانتشار بعض الأمراض الخطرة، ومنها ما هو سياسي، سواء مشكلات داخلية، مثل الصومال وليبيريا والجزائر وغيرها، أو ما بين الدول ببعضها، مثل منطقة القرن الإفريقي، التي نتج عنها استقلال إريتريا عن أثيوبيا، ولا تزال المشكلات قائمة ما بين السودان وجاراتها، التي هي على الدوام ما بين مد وجزر. كما تميزت المنطقة بكثرة الانقلابات العسكرية.

ولا تزال المعارك تعصف بعدة دول آسيوية، ولعل أبرزها إثنان، هما نجلح الثورة في إيران، وقدره المجاهدين الأفغان على دحر المارد السوفيتي الشيوعي. أما الثورة الإيرانية، فبعد صراع مرير مع الشاه وأعوان حكومته، تمكنت الثورة الخمينية من تحقيق نجاحها والانتصار وتكوين دولة شيعية، متحدية كل الصعوبات التي واجهت طريقها، حتى الحرب الطويلة التي قامت بينها وبين العراق، فقد تمكنت من الوقوف فيها موقفا صلبا، رغم عزلتها، مقابل التأييد الكبير الذي كان يحظى به خصمها.

ويمكن المجاهدون الأفغان، بعد أن انطلقوا من خطوات ومعدات بسيطة، من دحر القوة العالمية العظمى الثانية المتمثلة في الاتحاد السوفيتي، بعد قتال دام عشر سنوات، الأمر الذي ساهم بقسط كبير في انقسام الاتحاد السوفيتي على نفسه دويلات متعددة. إلا أن هذا الانتصار، انقلب إلى كارثة مريرة بين المجاهدين أنفسهم، وقامت بينهم معارك عدة، طال أمدها، وطغت أحداثها على المعجزة التي حققوها، بدحر إحدى قوى العالم الكبرى.

ولعل أسوأ المعارك شدة في المنطقة، الصراعات المسلحة الداخلية، في كل من بورما و سيريلانكا. كما لا تزال قضية كشمير توجع الموقف بين الهند وباكستان، تصل إلى درجة المصادمات العسكرية، بين الفينة والأخرى.

أما منطقة الشرق الأوسط، فلا تزال مشكلاته قائمة بسبب وجود الكيان الصهيوني، وما وقع بينه وبين الدول المجاورة من صراعات ومعارك. ودخلت لبنان دوامة صراعات داخلية، دامت خمسة عشر سنة ونيف، اشترك فيها الفلسطينيون، ودخلت إسرائيل معتمتها، واحتلت ما سمي بالشريط الحدودي، وتم تهجير الفلسطينيين من لبنان. أما الطارئ الجديد فهو عملية السلام التي تسعى الولايات المتحدة لإقامتها بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين والدول المجاورة له. وشهدت المنطقة أكبر حشد عسكري عالمي في تاريخها، لما غزا العراق الكويت، الأمر الذي أدى إلى خسائر فادحة، ولاسيما الاقتصادية منها والاجتماعية. وكانت المنطقة قبل ذلك شهدت انتعاش اقتصادي كبير، ولاسيما في دول الخليج، بسبب المخزون البترولي الهائل.

وفيما أضحت التحدي العسكري للولايات المتحدة غير بارز على الساحة، فإن الصراع الاقتصادي ضدها سبب لها مشكلات كبرى ولا يزال، ولاسيما من جانب الدول الآسيوية الشرقية، وفي الجنوب الشرقي كذلك. ويأتي على رأسها اليابان، التي تكاد تكون القوة العظمى الأولى اقتصاديا، وكذلك الصين وكوريا الجنوبية وتايوان، وبعض دول جنوب شرقي آسيا، كسنغافورة وماليزيا.

أما الناحية العسكرية، فخفت حدة السباق نحو التسلح بين الدول الكبرى نوعا ما، وأضحى التنافس قائما حول كيفية تسويق السلاح في العالم، ولاسيما في المناطق التي تسمى ساخنة، وهي التي تشهد معارك أو خصومات، أو حتى خلافات. واتحصر سباق التسلح نوعا ما بين الدول الفقيرة والنامية، وتشهد منطقة

الشرق الأوسط أهم مواطن تسويق السلاح في العالم. أما السلاح الذي يصدر للبيع، فهو ما يسمى تقليدي، أما أسلحة الدمار الشامل، ولاسيما النووية منها، فتحتكرها دول معدودة، وتسعى لعرقلة مسار غيرها في امتلاكه، وأشرفت منظمة الأمم المتحدة على اتفاقية وضعت ضوابط تمنع بموجبها انتشار هذا النوع من السلاح، كما قامت دعوات عالمية عدة، تنادي بضرورة التخلص منه عالمياً، ولاسيما بعد شهود العاثم كوارث نووية عدة، لعل أشهرها مشكلة المفاعل النووي الروسي "تشيرنوبل".

وأضحى الإعلام قوة العصر التي لا يستهان بها، وتعددت وسائله، من مقروءة ومسموعة ومرئية، ثم دخلت الإعلامية، وتوحيها شبكات الاتصالات المعرفية "الإنترنت INTERNET"، وما شابهها، كما أن الاعتماد أضحى كبيراً على الأرقام الصناعية، لتكون ثورة كبرى في الاتصالات^(١). تلك هي أهم ميزات الوضع الحالي، الذي قامت فيه مؤتمرات هذه الحقبة الستة، والتي سينعقد السابع منها عام ألفين بمونتريال بكندا.

(١) نظراً لأن الحقيقة قريبة جداً ومعاصرة، لا توجد بعد كتب تؤرخ لها، لذا اعتمدت في سرد الملخص على المعلومات الخاصة.

المبحث الأول: المسار الإداري للمؤتمرات

يبدو أن الأمور الإدارية كانت مستقرة في هذه الفترة، ولاسيما بعد مؤتمر طوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، الذي أحدث بعض التحويرات البسيطة في نظامه ومساره. ولم تبيّن الوثائق المتوفرة حدوث تغييرات أخرى في الأطر الإدارية، وذلك لسببين:

الأول: أن العناية بطباعة أعمال المؤتمرات لم تعد تفصيلية كالماضي، لما كانت تنقل جل أحداث المؤتمرات حتى الدقيقة منها. فما عدا مؤتمر طوكيو، الذي أشار إلى ما تم من تحويرات في إشارات قصيرة للموضوع، لا يتوفر حديث عن مثل هذه الإجراءات في سواه. كما أنه ما أمكن الحصول من وقائع أعمال مؤتمر "مكسيكو" سنة ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، وتورنتو سنة ١٩٩٠م (١٤١١هـ) إلا على بعض المحاضرات التي أُلقيت، وخلت من الشؤون الإدارية ومسارها.

الثاني: عدم نشر وقائع أعمال مؤتمر هونج كونج حتى الآن.

أما مؤتمر همبورغ لعام ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، فلم يصف أو يذكر أعمالاً إدارية جديدة. ويبدو أن جلسات اللجنة التنظيمية والاستشارية، أضحت تغطي عليها السرية بدرجة ما، ولعل دخول المؤتمرات تحت إشراف "الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية"، أسهم في هذا الجانب. فلم تعد توصيات المؤتمر وقراراته وأماله تذكر في الجلسات الختامية. فلم يذكر شيء من هذا بعد مؤتمر طوكيو. فقد خلّت وقائع المؤتمر الثاني والثلاثين، الذي انعقد في همبورغ، من هذه الأمور في الجلسة الختامية. كما أن جلسة مؤتمر بودابست الختامية لسنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، خلّت من أي ذكر للتوصيات تلك. كما لم نر في الجلسات تقديم أية مقترحات أو توصيات، كما كان يحدث في الماضي. إلا أن مثل هذا الأمر يحلج إلى تدقيق بحثي، ولعل ذلك لا يظهر إلا بعد فترة من الزمن.

١ - التطوير في أنظمة المؤتمرات:

للتطوير البارز في هذه الفترة، هو التعديل الجزئي الذي تم في مؤتمر طوكيو

الحادي والثلاثين، سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، ولم توضح أسباب إحداث ذلك التغيير. وهذا الموضوع تم طرقة وتحليله في موضعه^(١). أما ما سوى ذلك، فلم تظهر محاولات أخرى تسعى لتحوير النظام القائم أو حتى تتبرم منه. ولا يتضح السبب من وراء ذلك، أهو الرضا التام بالنظام الموجود، والاعتقاد بصلاحيته، أم أنها فترة هدنة مع النظام لفترة، ثم ستطالب فعاليات لاحقة بتحويره، أم أن شعبية المؤتمرات وفعاليتها بدأت تضعف شيئاً فشيئاً، ولاسيما لدى الغربيين، المسؤولين عملياً عن انعقادها. ففي مؤتمر بودابست الأخير، كان معظم الحضور من الشرقيين والبلدان المنبثقة عن الاتحاد السوفيتي السابق.

٢ - تحوير مسمى المؤتمرات:

انطلقت هذه الحقبة والمؤتمرات تحمل اسم "المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، لكن هذا الاسم ما لبث سوى مؤتمرين، حتى دعا مؤتمر طوكيو إلى تبديله، ليصبح "المؤتمرات العالمية للدراسات المتعلقة بآسيا وشمال إفريقيا"، دون تفصيل أسباب هذا التحوير، كما كان مع المرة السابقة، وقد تم تفصيل الموضوع في محله^(٢). أما الجديد في الأمر في هذه الحقبة، والمرتبطة كذلك بتحويل مسمى المؤتمر، هو العهد بالعديد من مهام اللجان المشرفة على انعقاد المؤتمرات وسيرها إلى "الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية"، ونص على سهره على ربط حلقة التواصل بين المؤتمرين: الأخير المنعقد والذي سيليه. وجاء هذا كذلك في مؤتمر طوكيو كذلك^(٣).

٣ - مسار اللجان العلمية:

(١) سبق طرق هذا الموضوع ص ١٩٦ من الرسالة.

(٢) سبق طرق هذا الموضوع ص ١٩٧ من الرسالة.

(٣) هو بالتحقق رقم ٩ ص ٦٢٠ من الرسالة.

لم يحدث جديد في هذا الإطار، كما لم تصدر قرارات في هذا الشأن أيضا. إلا أن الملاحظ أن التوصيات السابقة بأن تخفف عن الجلسات العلمية كثرة المساهمات، والتركيز أكثر على الجلسات العامة والندوات، يمكن ذكر ملاحظتين عنها، في هذه الحقبة الزمنية:

الأولى: أن المؤتمرات سعت عمليا للالتزام بهذا المسار. فقد ركز كل من مؤتمر مكسيكو سنة ١٩٨٦م (١٣٩٦هـ)، وطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، وهمبرغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، على إبراز العديد من الندوات والجلسات الجماعية، حتى إن مؤتمر مكسيكو ما طبع إلا ما عرض في هذه الندوات والجلسات. ولا يمكن الحكم على مؤتمري تورنتو وهونج كونج، لعدم وضوح الأمر في ما طبع لدى الأول، وعدم طبع أعمال الثاني.

الثانية: أن الازدحام لا يزال كبيرا في أبحاث التي تلقى في اللجان العلمية. وربما تزيد كثافة عن سابقه. ولاسيما بعد إفراح المجال أمام علماء الشرق، ليلقوا محاضراتهم بكل حرية. بل إن المؤتمر الأخير "بودابست" سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، شهد كثافة في البحوث الدراسية، بحيث إنه لم تكن هناك جلسات علمية جماعية. بل إن الندوات، وهي قليلة العدد، كانت تقام في الوقت نفسه الذي تعقد فيه اللجان العلمية جلساتها، فأضحت الندوة شبيهة بالجلسة العلمية. وهو ما ينبئ بعودة المؤتمرات لما كانت عليه في السابق، قبل أن تحدث تحويرات على مسارها العام، الإداري والعلمي.

٤ - طباعة أعمال المؤتمرات:

منذ نشأة المؤتمرات، وطريقة طباعة أعمالها تتغير بين الفينة والأخرى. ودار نقاش مرات عدة حول كيفية الطباعة^(١). وشهدت الفترة أثمانا من أنواع الطباعة كذلك. فمؤتمر مكسيكو مثلاً، طبع أعمال الندوات في ثلاث مجلدات، وقد خلت تلك المطبوعات من أي حديث عن مسار المؤتمرات. أما مؤتمرا طوكيو

(١) سبق طرق هذا الموضوع ص ٢٠٧ - ٢١٠ من الرسالة.

الحادي والثلاثون، وهنبورغ الثاني والثلاثون، فقد سدرت دراساء المؤامر باآصار، كذاآ آعرضآ لمسار أأمال المؤامرات باآصار، لكن أأكن من آلاله الآعرف على مسار المؤامرات.

أما المؤامر الآالآ والثلاثين بنورآقو سآة ١٩٩٠م (١٤١١هـ)، فقد آمت ففاه طباآة أأماله الآراسفاه فف أربأ مآلآات آون الآآفآ عن مسار المؤامر العام. هآه المآلآات آملت اسما آابآ للآمفآ، وهو "Contact between Cultures" آلاآآ الآآآافاآ". وهآه المآلآات آم آوزفعاآ آسب مناطق آآراففاه آلاآ:

١ - المآلآ الأول: West Asia and North Africa غرب آسفا وشمال إفرفقا.

٢ - المآلآ الآانف: South Asia آآوب آسفا.

٣ - المآلآ الآالآ: Eastern Asia: Literature and Humanities آسفا الشرفقه: الأآب والإنسانفاآ.

٤ - المآلآ الآاف: Eastern Asia: History and Social Sciences آسفا الشرفقه: الآارفآ والعلوم الأآآماعفاه.

أما المقالاآ، فقد آم نشرها باآ آصنفها آآآ العففآ من العناصر، الآامآة لمآمومة معفنة من المقالاآ، من آمآ الآارفآ واللغة والأآب والفن والآفن والآآافه والآلسفة والفكر ورفرها^(٥).

أما الآوزفآ الآآرافف للمناطق، فقد ورد كما فلف:

(١) Contact between Cultures: West Asia and North Africa - Volume 1 - Edited by A. Harrek - 33 ICANAS - USA - The Edwin Mellen Press - 1992 .

(٢) Contact between Cultures: South Asia - Volume 2 - Edited by K. I. Koppedrayar - 33 ICANAS - USA - The Edwin Mellen Press - 1992 .

(٣) Contact between Cultures: Eastern Asia: Literature and Humanities - Volume 3 - Edited by K. I. Koppedrayar - 33 ICANAS - USA - The Edwin Mellen Press - 1992 .

(٤) Contact between Cultures: Eastern Asia: History and Social Sciences - Volume 4 - Edited by K. I. Koppedrayar - 33 ICANAS - USA - The Edwin Mellen Press - 1992 .

(٥) In Volume 1 - p. XII.

Volume 2 - p. XI.

Volume 3 - p. XIV.

Volume 4 - p. XV.

- المجلد الأول: ويحتوي على آسيا الوسطى وإفريقيا الوسطى وأناضوليا الغربية واليونان^(١).

- المجلد الثاني: ويحتوي شبه القارة الهندية والباكستان وسيريلانكا^(٢).

- المجلد الثالث: ويحتوي آسيا الشرقية ومنطقة آسيا الشرقية وداخل آسيا وجنوب شرقي آسيا^(٣)، وهذه هي نفسها الموجودة في المجلد الرابع^(٤).

ذاك هو توزيع طباعة أعمال المؤتمرات في هذه الحقبة الزمنية من مسيرة المؤتمرات، أما المؤتمران التاليان، هونج كونج لعام ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، وبودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، فلم يتم نشرها بعد، وسبب ذلك المصاعب المادية التي يعاني منها الذين قاموا على مؤتمر هونج كونج، كما أخبرني بذلك رئيسه، وأما مؤتمر بودابست فلا يزال حديث العهد.

تلك هي إذن سمات الأطر الإدارية في هذه الحقبة من عمر مؤتمرات المستشرقين العالمية، ويمكن القول أن هذه الشؤون الإدارية والتنظيمية للمؤتمرات شهدت نوعاً من الاستقرار، ولاسيما في الأطر الأساسية، رغم أن هناك نوعاً من الإهمال في تطبيق النظم المتفق عليها سابقاً.

(١) Volume 1 - p. XII.

(٢) Volume 2 - p. XI.

(٣) Volume 3 - p. XIV.

(٤) Volume 1 - p. XV.

المبحث الثاني: المسار العلمي للمؤتمرات

في هذه الحقبة من عمر المؤتمرات، شهدت الدراسات العلمية تطورات متلاحقة. فهي من جهة عمدت إلى زيادة عدد الندوات والحلقات والجلسات ذات الصبغة الجماعية، وحاولت من جهة أخرى التركيز على الموضوعات المعاصرة، والتي تتعلق بالتنمية والاقتصاد والاجتماع وغيرها. وهذا ملاحظ بوضوح خاص من خلال مطبوعات الندوات في المؤتمر الثلاثين. إلا أن مؤتمري ميموريغ وتورنتو، في سنتي ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، و ١٩٩٠م (١٤١١هـ)، مزجت بين القديم والحديث. أما في مؤتمر بودابست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، فقد تمت العودة بمسميات اللجان إلى النمط القديم، وترك المجال للدراسات لتكون حرة، تخضع لاختيارات أصحابها. ويبدو أنها مسابرة لدعوة هونج كونج ١٩٩٣م (١٤١٣هـ)، الذي دعا لأن تواصل المؤتمرات مسارها القديم^(١). ومن هنا، فإن المسار العلمي للمؤتمرات، لم يكن ثابتاً مثل المسار الإداري. وحتى يتم تبين ذلك، سيتم طرق الموضوع بدراسة الجانبين، اللجان الدراسية، والندوات العامة.

١- اللجان العلمية في مؤتمرات هذه الحقبة:

عقد في هذه الفترة ستة مؤتمرات. ونظراً لقرب عهدها من وقتنا هذا، ١٩٩٨م (١٤١٨هـ)، فإن هناك بعض المعوقات التي يتعرض لها الباحث للحصول على المراجع المناسبة. فلم يتم إعداد وقائع أعمال المؤتمر الخامس والثلاثين للطبع، كما أن المؤتمر الخامس والثلاثين، والذي تم الاعتماد فيه على الكتيب الخاص ببرنامج المؤتمر، والذي تم توزيعه بداية المؤتمر. أما المؤتمر الثلاثين، فهو لا يكاد يدخل مجال الدراسة، لأنه لم تنشر وقائع أعماله، ولم يتم الحصول إلا على ما طبع من أعمال الندوات فقط. وفيما يخص المؤتمر الثالث والثلاثين، بتورنتو، الذي طبع بطريقة مغايرة للكيفية المتبعة أصلاً، فسيتم الاعتماد

(١) سبق للحديث عن هذه الدعوة ص ٣١٩ - ٣٢٠ من الرسالة.

على ما تم توضيحه في مقدمة كل طبعة، وقد لا تكون بالغة الدقة، لكن ببذل
الوسع فيما توفر، من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله.

ومن هنا، ستكون الدراسة مرتكزة بدرجة كبرى على مؤتمر طوكيو
وهمبرغ، الدقيقين الوحيديين في هذا المجال، لسردهما وقائع الأعمال العامة،
لكن بالاستعانة بالمؤتمرات الأخرى قدر المستطاع. وحتى نتضح الدراسة، سيتم
اتباع الأسلوب المستخدم مع الحقبة السابقة^(١).

ومما يمكن استخلاصه من دراسات هذه الحقبة ما يلي:

- وفقا للتوجهات الجديدة، فقد ظهرت لجان جديدة تماما، وحديثة لم تطرح
من قبل^(٢). والملاحظ أن هذه اللجان الحديثة ورد معظمها في المؤتمر الحادي
والثلاثين، الذي ظهرت فيه ست عشرة لجنة جديدة، ثم اثنان في كل من الثاني
والثلاثين والثالث والثلاثين والخامس والثلاثين.

- الملاحظة الأخرى، تتمثل في غلبة الدراسات المتعلقة بشرقي آسيا على
غيرها من الموضوعات. فقد ذكر انعقاد لجنة بعنوان "شرقي آسيا"، في ثلاث
مؤتمرات، فيما كانت موضوعا دراسيا في أربع مؤتمرات. هذا إضافة إلى وجود
لجنتين عن كل من "الدراسات الصينية"، و "الدراسات اليابانية"، وواحدة عن
"الدراسات الكورية".

- ازداد الاهتمام بجنوب شرقي آسيا في هذه الحقبة، إذ عرضت لجنتين
تحمل اسم "جنوب شرقي آسيا"، في المؤتمرات الثالث والثلاثين والخامس
والثلاثين، فيما كان موضوعا دراسيا في أربع مؤتمرات، فإضافة إلى المؤتمرات
السابقين وجدت ف الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين.

- ورد في هذه الحقبة ما سمي "داخل آسيا Inner Asia"، كما درس وسط
آسيا أيضا وجنوبها، في لجان عدة، فكان دخل آسيا موضوعا في المؤتمرات
الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين، وفيهما أيضا وردت موضوعات وسط آسيا
وكذلك في المؤتمر الخامس والثلاثين. وبذا، تكون المؤتمرات قد تناولت بالتحليل

(١) تم إيراد جدول اللجان الخاصة بهذه الحقبة بالملحق رقم ٣٦ من الرسالة.

(٢) هذه اللجان الجديدة جمعت في جدول بالملحق رقم ٤٠ ص ٨٤٣ من الرسالة.

آسيا كلها، ولاسيما إذا أضفنا إليها الشرق الأدنى والشرق الأوسط، والبلدان الآسيوية المذكورة مثل باكستان وسيريلانكا وغيرها.

- من الملاحظ أيضا أن المؤتمرات لم تلتزم بحدودها الجغرافية التي سطرته لنفسها، بل تجاوزتها لغيرها. فقد عينت لجنة باسم "إفريقيا الوسطى"، في المؤتمر الثالث والثلاثين، وفي المؤتمر الحادي والثلاثين، وردت لجنة تحمل اسم "دور الاقتصاديات في الدراسات الآسيوية والإفريقية"، وتوحي بأنها تشمل كامل إفريقيا، في حين أن المؤتمرات تحدد الجهة الجغرافية لها بآسيا وشمال إفريقيا فقط.

- نلاحظ عودة للحديث عن نصارى الشرق، وذلك في المؤتمر الثاني والثلاثين بجمبورغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، كما نلاحظ عودة العديد من الموضوعات القديمة، منها على سبيل المثال الآثار واليونان والعبرية والعثمانيون والعرب واليابان والصين وغيرها.

- أما الدراسات الإسلامية، فإننا نجد أنها قد طرحت بشكل عام في المؤتمرات الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين والخامس والثلاثين، فيما وردت لجنة تحمل اسم "الحركات الدينية الإسلامية"، في المؤتمر الحادي والثلاثين. هذه هي أهم الملحوظات التي يمكن استخلاصها من خلال اللجان العلمية والموضوعات الدراسية التي تم عرضها في هذه الحقبة الزمنية من حيات مؤتمرات المستشرقين العالمية.

٢ - الندوات العامة والملاحظات المستخلصة منها:

لقد جاءت توصيات ما قبل هذه الحقبة بتكثيف الندوات والجلسات ذات الصبغة العامة. وهذا ما تم العمل به في هذه الفترة من عمر المؤتمرات. أما الدراسات المعروضة في هذه الندوات، فقد تم ذكرها سابقا^(١). أما أهم ما يلاحظ حولها فهو ما يلي:

(١) مر ذكر تلك الدراسات بالملحق رقم ٣٠ ص ٨٠٤ من الرسالة.

انطلقت هذه الدراسات بكثافة في هذه المؤتمرات إلا للمؤتمر الأخير الخامس والثلاثين، الذي تقلصت فيه بصفة لافتة للانتباه. ففي المؤتمر الثلاثين بمكسيكو كان عدد الندوات إحدى عشرة، وفي مؤتمر طوكيو الحادي والثلاثين، كانت عشرة، ثم ستة عشر في همبورغ سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، وهو الثاني والثلاثين. وفي حين لا يتضح الأمر في المؤتمرين الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين، فإن المؤتمر الخامس والثلاثين، شهد تقلصا كبيرا في العدد، فهي ليست سوى خمس ندوات فقط: منها اثنتان خاصتان، تتعلق الأولى بـ"الائتاد العالمى للمكتبيين الشرقىين IAOL"، والأخرى تتعلق بالدراسات العثمانىة CIEPO".

وإذا أردنا تصنيف الدراسات هذه، ما يلى:

- ست جلسات تتعلق بدراسات صىنية، أربع منها فى المؤتمر الثانى والثلاثين وواحدة فى كل من الحادى والثلاثين والخامس والثلاثين.
- أربع تتعلق بالأثار والنقوش، ثلاث فى المؤتمر الحادى والثلاثين وواحدة فى الثانى والثلاثين.
- ثلاث تتعلق بالعلاقات بين آسيا وأمريكا اللاتىنية، وكلها عرضت فى المؤتمر الثلاثين.
- ثلاث تتحدث عن مسائل ريفية، اثنتان منها فى المؤتمر الثلاثين، وأخرى فى الثانى والثلاثين.
- ثلاث جلسات تتحدث عن المسائل الدينىة، واحدة فى المؤتمر الثلاثين واثنتان فى المؤتمر الثانى والثلاثين.
- ثلاث أخرى تتعلق بالفكر والحضارة، وكلها جاءت فى أعمال المؤتمر الثلاثين.
- اثنتان عن اليابان، فى المؤتمر الحادى والثلاثين.
- اثنتان عن أثر الحاسوب فى الشرق ودراساته. وانهقدت كل ندوة فى المؤتمرين الحادى والثلاثين والخامس والثلاثين.
- اثنتان عن التبادل الثقافى بين الشرق والغرب، فى المؤتمرين الحادى والثلاثين والثانى والثلاثين.

- جلسة عن النفط والاستنزاف العالمي، وهي بالتالي عن التخطيط الاقتصادي، وذلك في المؤتمر الثلاثين.

- حلقة ندوات عن التجارة وطرق البحث فيها والتخطيط المركزي لها في المؤتمر الحادي والثلاثين.

- ندوة استشرافية، في المؤتمر الخامس والثلاثين وتعلق بتاريخ الدراسات الشرقية.

- جلسة عن مخطوطات الشرق الأوسط، وذلك في المؤتمر الثاني والثلاثين. دارت ندوة عن النصرانية في آسيا في المؤتمر الثاني والثلاثين.

- ندوة أخرى في المؤتمر الثلاثين، وتحدث عن دور القوات المسلحة، كعامل من عوامل التغيير الاجتماعي.

- تحدثت جلسة أخرى عن الانتحار في آسيا، وذلك في المؤتمر الثاني والثلاثين.

- وعن الدراسات البوذية، تم تناول "مبدأ الفردية في التقليد البوذي في آسيا"، وذلك في المؤتمر الثاني والثلاثين.

- الإيستيمولوجيا الهندية "هيتو"، حقيقة وبديهة، كانت إحدى ندوات المؤتمر الثاني والثلاثين.

هذا وقد ألغيت ندوة عن الشخصيات البارزة في جنوب شرقي آسيا، كانت ستلقى في المؤتمر الثاني والثلاثين.

ومما يمكن ملاحظته عن هذه الندوات ما يلي:

أولاً: أن معظم هذه الندوات تناولت قضايا حيوية معاصرة، وشملت جوانب مختلفة من الحياة اليومية المعاشة في الشرق.

ثانياً: إذا تم تصنيف هذه الندوات وفق الموضوعات الكبرى، فإن معظمها ذات صبغة اجتماعية (تسع جلسات)، ثم المسائل الدينية (ست)، ومسائل الثقافة وتبادلها بين الشعوب (ست)، ودراسة النقوش والآثار، والتقنية الحديثة في ذلك (أربع)، والدراسات الصينية (أربع)، والحضارة والفكر (أربع)، ثم الدراسات الاقتصادية (ثلاث)، والعلاقات السياسية (ثلاث).

٣ - تحليل مسار الجلسات والندوات ومناقشتها:

بالنظر إلى الصورة الإجمالية للجلسات العلمية والندوات الجماعية، نجد تجديدا نوعيا في الدراسات والأبحاث. فقد كان للنقطة الكبرى في تحويل سياسة المؤتمرات، والدعوات نحو إصلاحها وتصحيح مسارها، نتائجها العلمية والتنظيمية عموما، إضافة إلى التوسع البشري، بحيث لم تعد الأنشطة حكرا على الغربيين، بل كان لغيرهم من الشعوب دور هام في المؤتمرات. أما نوعيات التجديد فيمكن حصرها في ثلاثة جوانب أساسية، وهي الثقافة والاقتصاد والتحول الاجتماعي، مع زيادة في الدراسات التاريخية والدينية والسياسية.

أ - التأثير الثقافي في اختيارات اللجان:

دخل المفهوم الثقافي في معمعة الصراعات العالمية، والمنافسات الدولية، ولاسيما بين الثقافة الغربية من جهة والثقافة الشرقية من جهة أخرى، كما ظهر الصراع كذلك بين الموروثات الثقافية التقليدية، وما ظهر من ثقافات معاصرة، وأضحت الثقافة شعار يرفعه العديد من التيارات العالمية، حتى إن الثورة الشيوعية في الصين أسمتها بالثورة الثقافية، ووجدت بالتالي تحليلات دراسية وتنظيرات معرفية، تتعلق بالثقافة والصراع الثقافي، كما ظهرت نظريات صواع الحضارات.

كما ظهرت مصطلحات من مثل الثقافة والتنمية، والثقافة والتطور الحضاري، والثقافة والرفق الاجتماعي... وغيرها من المصطلحات، وكلها ترى أن الثقافة هي أساس تلك المقومات. وأبرزت الدعوة لما تم تسميته "العولمة الثقافية".

والمستشرقون، بوصفهم يسايرون الواقع الذي يعيشونه، كما نبين ذلك في العديد من المرات، طرحوا بالتالي الموضوعات الثقافية المتنوعة، في هذه الحقبة من المؤتمرات، وكان لها نصيب الأسد من الاهتمامات، ودخلوا بذلك في مضمار الصراع الثقافي والحضاري، ربما مساهمة منهم في تحويل نظر المستشرقين إلى الاهتمام بهذا الجانب، وربما صرف أنظارهم عن موروثاتهم الثقافية والحضارية،

والغوص في مقومات الغرب والعب منها، حسب قاعدة البقاء للأصلح وهو القوي لدى العديدين، وبالتالي إعادة تشكيل المجتمع الشرقي، وفق المعطيات الغربية، بعد أن أمكن التعرف الدقيق على الشرق.

وفي هذا المجال ورنبت لجان عدة وموضوعات متنوعة، تتعلق بالثقافة. من ذلك: "دور النخبة الفكرية في المجتمعات الآسيوية الحديث"^(١)، "التحولات الدينية والهيمنة الثقافية"^(٢)، وهما ندوتان أقيمتا في المؤتمر الثلاثين، وعقدت ندوة في المؤتمر الثاني والثلاثين بعنوان "تفاعل الأديين الشرقي والغربي"^(٣)، أما اللجان العلمية الجديدة في هذه الحقبة، والتي تناولت الموضوع بالدرس، "الأدوار التي لعبها المثقفون في القانون والسياسة"^(٤)، و"الصلاة اللغوية والثقافية بين شعوب الشرق وشعوب جنوب شرقي آسيا"^(٥)، و"العلاقات التقليدية والعلاقات القائمة بين الثقافات في الموسيقى والرقص والمسرح"^(٦)، و"العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الشرق والغرب: الطرق البرية والطرق البحرية"^(٧)، في المؤتمر الحادي والثلاثين، وغيرها من الموضوعات المتعلقة بهذا الجانب، وهذه الأمثلة تدل بوضوح المدى المتسع الذي يستخدم فيه مصطلح الثقافة، إذ ربطت بين الثقافة من جهة والمفكرين والدين واللغة والفنون والاقتصاد، وهكذا.

(١) S. N. Ray and Graciela de La Lama: The role of the Intelligentsia in Contemporary Asian Societies - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Colegio de Mexico - Primira ediccion - 1981.

(٢) David N. Lorenzen - Religious Change and Cultural Domination - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) -- El Colegio de Mexico - Primira ediccion - 1981.

(٣) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hamburg - 1986 - pp. 639 - 641.

(٤) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Vol. II - p. 693.

(٥) Ibid. - Vol. II - p. 801 .

(٦) Ibid. - Vol. II - p. 645.

(٧) Ibid. - Vol. I - p. 363 .

ب - التأثير الاقتصادي في اختيارات اللجان:

درست مؤتمرات ما قبل هذه الحقبة بعض الجوانب الاقتصادية. لكن مؤتمرات هذه المرحلة عينت له لجانا وندوات مخصوصة، ولاسيما بعد أن احتدم ما سمي بالحرب الاقتصادية بين الدول، وكلها تبحث عن أسواق لترويج بضائعها، وبخاصة أن جل بلدان الشرق تعد أسواقا استهلاكية. وزاد التنافس بظهور قوة الشرق الأقصى الاقتصادية، ولاسيما اليابان، التي أضحت قوى اقتصادية ذات فلسفة خاصة نافست به أوروبا وشمال أمريكا، حتى في الأسواق الغربية ذاتها. ثم هي حققت فائضا اقتصاديا كبيرا، ثم إن دول آسيوية عدة تسعى لتحذو حذوها، وهذا الأمر شد انتباه الغرب، الذي قام يدعو لعقد معاهدات تدعو لتنظيم التجارة العالمية، وتعددت تلك المعاهدات وتنوعت.

هذه القضية الهامة، التي طرحت على الساحة العالمية جمعا، شددت انتباه رجال الفكر عموما، ومن ضمنهم المستشرقون، الذين أوردوها كذلك لتبحث في التجمع الاستشراقي العالمي، المتمثل في مؤتمراتهم العالمية. ولعل أهم مؤتمر طرحت فيه مثل هذه الموضوعات، هو مؤتمر طوكيو، سنة ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، وفيه بيان لأثر البيئة للمعاشة في المؤتمرات. فالشغل الشاغل لليابانيين هو الاقتصاد والتنمية الاقتصادية، التي دخلت نفوس اليابانيين كافة، وبالتالي، فإن المستشرقين اليابانيين وجهوا المؤتمر هذه الوجهة، ولاسيما أن دراساتهم الاستشرافية ذاتها، تصب غالبا في هذا المجال الاقتصادي.

هذا وقد ورد في هذه الحقبة العديد من اللجان والندوات. يذكر منها ندوة عن "النفط والاستشراف العالمي"^(١)، في المؤتمر الثلاثين، وانهقدت في المؤتمر الحادي والثلاثين حلقة دراسية متخصصة تحمل عنوان "الدراسات التجارية، طرق البحث والتخطيط المستقبلي"^(٢). ومن اللجان الجديدة التي تعلقت بموضوع الاقتصاديات في هذه الحقبة، يمكن ذكر "دور الاقتصاديات في الدراسات الآسيوية

(١) Victor L. Urquidi and Ruth R. Toller: Oil and International Outlook - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Colegio de Mexico - Primera edicion - 1981 .

(٢) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - Vol II - 907.

والإفريقية^(١)، "العلوم التقليدية والتكنولوجيا"^(٢)، "المعادن الثمينة والنقود في المراكز المهنية في شرقي آسيا وجنوبها وجنوب شرقيها"^(٣)، إضافة إلى اللجنة المذكورة أعلاه، وعلاقتها بالثقافة.

ج - التأثير الاجتماعي في اختيارات اللجان:

عم الكون ظواهر جديدة بعد الحرب العالمية الثانية، وبرزت صراعات كونية من نوع جديد، مثل الثقافة والاقتصاد. وامتاز العصر بكثرة المنتجات الكمالية، وعمت ظاهرة الإقبال عليها، وانتشر الإعلام وتقاربت المسافات بين الشعوب بفعل وسائل الاتصالات المتطورة، وتقاربت الشعوب بالتالي. كما قامت ثورات على التقاليد والعادات، وظهرت الغزوات الفكرية والثقافية، وانتشرت وسائل التنقيف والمعرفة، وظهرت بالتالي شعارات عدة تنادي بالحرية العامة، حرية العامل وحرية المرأة وحرية الصحافة والإعلام، وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات وظاهرة التنظيم العائلي، وغيرها من الشؤون الاجتماعية الخاصة بالمجتمعات. هذه المقومات الاجتماعية، أضحت لها أهمية عالمية كبرى، بحيث أضحت تتخذ أسلوب ضغط على الدول، ولاسيما الشرقية منها.

هذه القيم الاجتماعية العالمية، تناولها العديد من المفكرين والمثقفين بالدرس والتحليل، وكثر الحديث حولها، بوصفها إحدى التوجهات الثقافية العالمية، ومسايرة لهذا التيار، تناولها المستشرقون كذلك ودرسوها، وبالتالي ظهرت في مؤتمراتهم. ولاسيما في الحقبة الأخيرة هذه. ففي المؤتمر الثلاثين، عقدت ندوات حول الموضوع، وهي "القوات المسلحة كعامل تغيير اجتماعي"^(٤)، "الهجرات

(١) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Vol. II - p. 779.

(٢) Ibid. - Vol. I - p. 447.

(٣) Ibid. - Vol. I - p. 435.

(٤) Claud Heller: The Military as an Agent of Social Change - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Colegio de Mexico - Primera edicion - 1981.

الآسيوية في أمريكا اللاتينية^(١)، "التحضر، التطور المبكر، النزعات والتوقعات الحالية"^(٢)، الفلاحون والوحدة الوطنية"^(٣)، "الشعوب البدوية والحضرية"^(٤). وعقدت ندوة حوارية تتعلق بـ "التقاليد الاجتماعية-الثقافية في اليابان"^(٥) في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو. وأقيمت ندوة في المؤتمر الثاني والثلاثين تحمل عنوان "الأسلوب السياسي للبدو الرعاة: مسألة القبيلة"^(٦)، وأخرى حول "الانتحار في آسيا"^(٧). كما وردت لجان تتناول الموضوع ذاته، ومما ورد جديداً في اللجان العلمية، "التحولات الاجتماعية والدينية في آسيا"^(٨)، و"الحكومات الملكية والتقاليد الاجتماعية الدينية في الشرق الأدنى القديم"^(٩)، و"المدينة فيما قبل العصور الحديثة"^(١٠)، وذلك في المؤتمر الحادي والثلاثين.

د - تحليلات أخرى للمسار العلمي:

(١) Luz M. Martinez Montiel: Asiatic Migration in Latin America - XXX

International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Colegio de Mexico - Primera edicion - 1981.

(٢) Luis Unikel: Urbanization, Early development, Current Trends and Prospects - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Colegio de Mexico - Primera edicion - 1981.

(٣) Celma Agüero: Peasantry and National Integration - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - El Colegio de Mexico - Primera edicion - 1981.

(٤) Jorge Silva Castello: Nomads and Sedentary Peoples - XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) -- El Colegio de Mexico - Primera edicion - 1981.

(٥) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - Vol II - p. 1041.

(٦) Proceeding of the XXXII International Congress for Asian and North African Studies - Hambourg - 1986 - pp. 617 - 619.

(٧) Ibid. - pp. 633 - 638.

(٨) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - Vol. II - p. 857.

(٩) Ibid. - Vol. I - p. 97.

(١٠) Ibid. - Vol. I - p. 65.

مر بنا غالبية دراسات شرقي آسيا وجنوب شرقيها عموماً على المؤتمرات، سواء من ناحية اللجان أو الندوات. وهذا يرجع بصفة خاصة إلى الأثر الاقتصادي، لوجود اليابان هناك والصين وتايوان وهونغ كونج وكوريا التي ظهرت قوى اقتصادية. كما أن جنوب شرقي آسيا، كانت تحاول شق طريقها في هذا الاتجاه، ومن باب الصراع الاقتصادي، وضعت تلك المناطق تحت المراقبة والاهتمام، ومن هنا كانت العناية بها شاملة، من ضمن هؤلاء المراقبين، المستشرقون، الذين درسوها في مؤتمراتهم.

وتواصلت العناية في هذه الحقبة بدراسة مناطق الاتحاد السوفياتي السابق، ولأسيما بسبب المشكلات التي أضحت تعانيها الحكومة، بعد تورطها في أفغانستان، والنكسات التي لاقتها هناك، وأثر ذلك لاحقاً في سياسة الدولة وإطارها الجغرافي، التي ما لبثت أن انقسمت على نفسها. ثم إن روسيا تورطت مرة أخرى في الشيشان، وخرجت كذلك بعد فشلها، وقد طرحت دراسات حول الشيشان⁽¹⁾ في المؤتمر الخامس والثلاثين الأخير. وبما أن انهيار الاتحاد السوفياتي كان سريعاً جداً، فالمنطقة شددت انتباه العالم السياسي والاجتماعي والثقافي، لتباحث تلك الظاهرة، ولأسيما لانهيار النظرية الشيوعية، وبيان فشلها في قيادة المجتمعات، ولأسيما أنه لم تعد هناك قوة عظمى ثانية بعد، تنافس الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي ما انعكاس ذلك على الساحة العالمية.

أما آسيا، التي غلبت على دراسات المؤتمرات، فهي لا تزال تعاني من مشكلات سياسية شائكة، وصراعات كبرى، داخلية وخارجية، فأفغانستان بعد انتصارها على الروس، قامت صراعات عنيفة بين فرق المجاهدين فيها، ولا تزال كشمير تشعل فتيل المشكلات بين الباكستان والهند، اللتين تسعيان لامتلاك أسلحة الدمار الشامل. كما أن نجاح الثورة الإيرانية، وقيام حرب عسكرية طويلة بين إيران والعراق، وانتشار مقولة خطر الثورة الإيرانية على المنطقة. وتدخل العراق بعدها في الكويت، أثره في مزيد شد الاهتمام بالمنطقة. هذا إضافة إلى المشكلات المتنامية في الشرق الأوسط، بسبب الكيان الصهيوني، وما حصل في

(1) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme - p 61 .

لبنان، من صراعات داخلية، وتدخلات خارجية، ومساعي توحيد البلد مرة أخرى. هذا إضافة إلى المشكلات الأخرى، في كمبوديا وسيريلانكا، وغيرها. كل هذا جعل من آسيا محط انتباه ودراسات وتحليلات، من متخصصين عديدة، ومن هؤلاء المستشرقون، الذين عرضوها في مؤتمراتهم، المتخصصة أصلاً في آسيا، والتي ترى لها أولوية الاهتمام أكثر من غيرها من الفعاليات العالمية، الثقافية والعلمية.

وزاد الاهتمام بنصارى الشرق، ولاسيما الشرق الأوسط، ويبدو أن للحرب الأهلية التي تواصلت على مدى خمسة عشر سنة ونيف، أثرها في ذلك. فقد كان نصارى لبنان أطرافاً مباشرة في ذلك الصراع المسلح، بل كانوا أنفسهم فرقا متعددة، تحدث بينهم معارك، وبينهم وبين غيرهم من الطوائف المسلمة، بل إن بعضهم كان يتحالف مع الكيان الصهيوني، ولأشك أن هذه الطوائف النصرانية تحظى بقدر كبير من الاهتمام الأوروبي، ولاسيما فرنسا، ومن هنا ظهروا على الساحة العالمية، ووجهت دراسات وتحليلات عنهم ومستقبلهم السياسي، ومستقبل وجودهم في المنطقة. ومن هنا، كان اهتمام المؤتمرات بتخصيص لجان دراسية تتناولهم بالدرس والتحليل، من وجهة النظر الاستشرافية ودراسات المستشرقين، كل حسب تخصصه.

ولوحظ نوع من التجديد في الدراسات الإسلامية. فقد أضحت الاهتمام منصبا على الحركات والجمعيات الدينية الإسلامية، وقضايا التطرف، والتركيز على المشكلات والقضايا الإسلامية الحديثة، ولاسيما بعد نجاح الثورة الإيرانية، وقيام حركات وأحزاب دينية إسلامية، تحاول بثنى الوسائل فرض نفسها على الساحة العامة، لدرجة أنها تصادمت مع حكوماتها في أغلب الأحيان، وقد تدخل البلد في دوامة صراعات قد تصل لسفك الدماء أحيانا، ولاسيما بعد الشعبية العارمة التي لقيتها تلك التوجهات، ولعل الجوائر كانت الرمز العالمي الواضح في هذا المجال، بل حتى الغرب نفسه شهد قيام مثل هذه التيارات، والتي قد تصل لحد التهديد، كحزب أمة الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، وما يقوم به رئيسه من مبادرات تزعج الحكومة هناك، أو كما حصل في بريطانيا من قيام حزب سياسي إسلامي، ومسعى المسلمين الحثيث في أوروبا لتكوين هيئة توحدتهم وتنادي بحقوقهم، وتخفف من حدة الخلاف فيما بينهم. ومثل هذه التحديات، توضع تحت

الملاحظة والتحليل، وبالتالي تعرض موضوعاتها في جيل المحافل الدولية، ولاسيما العلمية منها، المتخصصة في المنطقة. ومن ذلك المستشرقون ومؤتمراتهم، حتى إنه وردت لجنة تحمل اسمها، في المؤتمر الحادي والثلاثين، وكانت بعنوان "الحركات الدينية الإسلامية"^(١).

كما لوحظ عودة العديد من مسميات اللجان القديمة، وبالتالي تم مزج ملضي بحوث المؤتمرات، بالدراسات المعاصرة. ومن هنا عادت البحوث المتعلقة بالآثار والنقوش، ولعل ذلك لمكتشفات أثرية متعددة في العديد من نواحي العالم.

ورغم تخصيص القرارات على حصر الدراسات في آسيا وشمال إفريقيا، إلا أن المؤتمرات تجاوزت أحيانا تلك الحدود، مما يدل على صعوبة التزام المؤتمرات بمسار واحد، بل إن الشمولية العامة هي التي تهيمن على مسار الاستشراق. وبالتالي يبدو أن هذه السمة تغلب على المؤتمرات كذلك، ويصعب تجاوز مساراتها الأولى. كما أن المؤتمرات تتبع دائما الأحداث الشرقية المهيمنة على الساحة العالمية، ومن ذلك "إفريقيا الوسطى"، التي تكاثرت الأحداث السياسية والاجتماعية فيها، لدرجة أنها تصدرت قائمة الأحداث العالمية في بعض الأحيان، وبالتالي فرضت نفسها، لدرجة أن تهتم بها المؤتمرات وتخصص لها حيزا من بحوثها ودراساتها.

من الملاحظات الهامة أيضا، عودة التركيز وتبسيط المزيد من الأضواء على إيران. والمعلوم أن إيران كان لها أثر في إعاقة مسار المؤتمرات الطبيعي، إذ إن نجاح الثورة الإسلامية هناك، أوقف مسار المؤتمرات سنة ١٩٨١م (١٤٠١ هـ)^(٢). ففزت إيران بالتالي على مسرح الأحداث، باعتبار الثورة الشعبية العارمة، التي استطاعت الإطاحة بنظام كان يعد من أصلب الأنظمة وأمنعها، ولاسيما أنها رفعت "الإسلام" شعارا للثورة، ومبدأها "لا شرقية ولا غربية". ولم تلبث الدولة الجديدة حتى لترتيب إدارتها، حتى قامت بينها وبين العراق، الدولة المجاورة، حرب طويلة، قدرت على الصمود أمامها رغم عزلتها، فيم كان العراق

(١) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Vol. I - p. 275 .

(٢) سبق الحديث عن الموضوع هذا ص ١٩٦ من الرسالة.

ينلقى مساعدات جما من أطراف عدة. هذا كله جعل إيران محط أنظار العالم، ولاسيما المثقفون منهم، للاطلاع على ما ستكون عليه نتائج هذه الثورة الجديدة، والتي تحدث جل المصاعب التي واجهتها. وبالتالي كان اهتمام المستشرقين بها، وعرضوها حتى في مؤتمراتهم.

تبقي قضية هيمنة الدراسات الآسيوية على حساب الشق الثاني من مسمى المؤتمرات، شمال إفريقيا، فهو لم يكن سوى موضوعاً في كل من المؤتمرين الثاني والثلاثين، والخامس والثلاثين. والملاحظ أن المؤتمر الثاني والثلاثين عقد في العام ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، في فترة شهدت فيها منطقة المغرب العربي مصادمات قوية بين الأنظمة السياسية، والأحزاب السياسية الدينية، في المغرب والجزائر وتونس، وكذلك موريتانيا، فيما تم قمعها بعنف في ليبيا. أما المؤتمر الأخير، والذي انعقد في العام ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، جاء في وقت تمكنت منه الدول من كبح جماح الحركات السياسية الدينية، ما عدا الجزائر، التي أتاح للأحزاب السياسية الدينية هناك لدخول الانتخابات العامة، وتمكنت للوصول لسدة الحكم بأغلبية لم تكن متوقعة، لكن الأحداث تلاحقت، وحل بينها وبين التمتع بنجاحها، وانجرت البلد بالتالي إلى معارك داخلية دامية، جعلت المغرب العربي يتصدر الأحداث العالمية، ولا يزال. وبالتالي كانت هذه الرقعة الجغرافية موضوعاً للدراسات الاستشرافية، ولعل هذه الأحداث وأمثالها هي التي أُنشئت لجنة دراسة الحركات الدينية، التي ظهرت في المؤتمر الحادي والثلاثين^(١).

تلك هي أهم الملحوظات التي تؤخذ عن المسار العلمي للمؤتمرات، والتحليلات الخاصة بها. فهي قد شهدت تحولات نوعية في اللجان الدراسية، وعرفت نمواً في الندوات والجلسات ذات الصبغة الجماعية، وركزت في أبحاثها على قضايا حيوية، جددت بها نشاط المؤتمرات، لتبقي على مسيرتها للأحداث والتطورات العالمية.

(١) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Vol. I - p. 275 .

وبها، تم الحديث عن الحقب الدراسية، التي مرت بها المؤتمرات، وتبين لنا مدى التحديات التي طرأت في مسارها، وكيفية تجاوزها، ومحاولات تطوير المؤتمرات لذاتها، لتتواصل حيويتها، بتزايد أبحاثها ودراساتها.

الباب الرابع: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية وأثرها

الفصل الأول: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية

الفصل الثاني: المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية

الفصل الثالث: آثار مؤتمرات المستشرقين العالمية

الباب الرابع: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية

مدخل:

تعد مؤتمرات المستشرقين العالمية شكلاً ثقافياً استشرافياً قائماً بذاته، استطاع أن يطيل من عمره ويتواصل نشاطه، ويقوم من عثراته التي اعترضته في مساره، ولاسيما الحريين العالميتين، والدعوات التي قامت تدعو لإيقاف نشاطها، وهذه لم تظهر في وقائع أعمال المؤتمرات، لكن لمستها بنفسها أثناء رحلة علمية في كل من ألمانيا وفرنسا، فبعض من لقيتهم، يرون أن زمن هذه المؤتمرات انقضى، ويجب التخلي عنها، ومنهم من قاطعها من زمن طويل، مثل المستشرق "قولف ديتريش فيشر"، كما أُخبرت أن المستشرقين الطلبة، والأساتذة الصغار هم الذين يرغبون في تواصل هذه المؤتمرات.

هذا الكيان الذي استطاع الإبقاء على ذاته، من البدهي جداً أن تكون له خصائص معينة، سواء أكانت إيجابية، أم سلبية، نوعت في مساره الإداري أو ساهمت في تنمية أبحاثه. هذه الخصائص هي التي ستكون موضوع البحث في هذا الجزء الأخير من الرسالة.

هذه الدراسة سيتم تناولها من جوانب ثلاثة:

أولاً: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية: في هذا الجانب، سيتم التعرض لخصائص عامة، وتتمثل في العوامل التي شددت من عضد المؤتمرات ونمت دراساتها، وطورت مسارها. وهذه الخصائص استنتاجية وليست مذكورة ومنصوص عليها.

ثانياً: المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية. هناك جوانب عدة تؤثر في مسار المؤتمرات، دينية ومياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية.

ثالثاً: آثار مؤتمرات المستشرقين العالمية، فقد كانت المؤتمرات تقدم توصيات وتوجيهات متعددة، سواء جماعية، خلال الجلسات الختامية للمؤتمرات،

أو في ثانيا الأبحاث والدراسات المعروضة. هذه التوصيات تتخذ صبغات عدة، إما أن تكون دينية الطابع، أو سياسية أو ثقافية، استشرافية بصفة خاصة. هذا الآثار رغم أهميتها، إلا أنها أقل كثافة من المؤثرات، وذلك لسمة المؤتمرات التي يغلب فيها الجانب البياني على الجانب التطويري غالبا. عدا الجانب الاستشراقي، إذ نجد في مرات عديدة الحكم على ما فات من إنجازات، من أجل التنظير المستقبلي لتلك الدراسات.

تلك هي الموضوعات العامة التي سيتم طرقها وتحليلها في ما يلي.

**الفصل الأول: خصائص مؤتمرات المستشرقين
العالمية**

**المبحث الأول: الخصائص التنظيمية
المبحث الثاني: الخصائص العلمية**

الفصل الأول: خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

بعد هذه الدراسة الشمولية عن مؤتمرات المستشرقين العالمية، يجدر استخلاص خصائص تميزها. فقد صمدت هذه المؤتمرات منذ نشأتها بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حتى آخر مؤتمر انعقد حتى هذه الفترة، صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، وكان ذلك في بودابست بالمجر، وقد تقرر أن يتواصل انعقاد المؤتمرات لتطاً القرن الثالث منذ نشأتها، إذ ستنعقد الدورة السادسة والثلاثون بمونتريال بكندا سنة ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ).

من ناحية أخرى، قدرت المؤتمرات على تخطي العقبات التي اعترضتها، وتجاوزت المشكلات التي حاولت التأثير السلبي في مسارها، سواء النواحي السياسية أو الثقافية. وتمكنت من التأقلم مع الأوضاع المحيطة بها، وكلما تغيرت الظروف حورت المؤتمرات من نفسها حتى تسير الأحداث.

وتميزت دراسات المؤتمرات بالشمولية والتوسع، ورغم محاولات تقليص برنامج عملها اليومي، إلا أن الجهود تلك فشلت في تضيق المسار الدراسي، ولا تزال المساهمات العلمية تتميز بتنوع ميادينها. كما أن الدراسات والأبحاث العلمية، لم تكن صماء، بل كانت فعالة في أحيان عدة، واستفاد منها العديد من الإطارات العامة، سواء السياسية منها أو المعرفية، وحتى الدينية وغيرها.

وفي سبيل النجاح العام لأبحاثها، نوعت المؤتمرات من طرق طرح دراسات، بخلق العديد من الأساليب.

مثل هذه المميزات وغيرها، هو ما سيتم تحليله في هذا الجزء الدراسي الأخير من البحث. وستتم دراستها وفق العنصرين التاليين:

— خصائص المؤتمرات التنظيمية.

— خصائص المؤتمرات العلمية.

المبحث الأول: الخصائص التنظيمية

بعد الاطلاع على النظام الإداري للمؤتمرات والتطورات التي حصلت على مساره، يمكن الخروج بخصائص تتعلق بالمؤتمرات عموماً، نتلخص في العناصر التالية:

- ١- القدرة على الاستمرار.
 - ٢ - التطوير الذاتي لمسار المؤتمرات.
 - ٣ - القدرة على تجميع أعداد كبيرة من الباحثين متعددي التخصصات.
- هذه العناصر الثلاثة، ميزت مسار المؤتمرات الإداري، وفيما يلي تحليلها، لتبين تلك الاتجاهات.

١ - القدرة على الاستمرار:

منذ انطلاق المؤتمرات، ومنذ المؤتمر الأول بباريس، ظهرت مشكلات عدة كان من شأنها أن تعيق استمرارها. لكن هذا المؤتمر تمكن من تخطيها ومواصلة مساره الحديث^(١). وتواصلت الخلافات بين المستشرقين، وبلغت أشدها، وهي تلك التي كانت بين الفرنسيين والبريطانيين خلال المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)^(٢)، أما الخلاف الشامل، فكان في المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ). في هذا المؤتمر انقسم الحاضرون قسمين، وفق التوجهات السياسية العالمية، ما بين الشيوعيين والشرقيين عامة، من جهة، وبقية أفراد العالم الغربي الذي أطلق عليه لقب "إمبريالي"^(٣). وكان يمكن لمثل هذه الحوادث أن توقف عجلة مسار المؤتمرات، لكن القائمين عليه كانوا أكثر حكمة من هذا، وساروا بالتضحية بكل شيء من أجل مواصلة المؤتمرات دورات انعقادها.

(١) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٤٤ من الرسالة.

(٢) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٣٣ من الرسالة وما بعدها.

(٣) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٨٠ من الرسالة.

كانت بريطانيا هي التي استقبلت المؤتمر الثاني سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، وكان لأول مرة يتعقد فيها، وقد كانت تنافس فرنسا تنافساً شديداً إذ ذاك، ولذلك كان النظام الذي اتخذته، ولاسيما نظام الجلسات العلمية، يختلف تماماً عن نظام المؤتمر الأول^(١). بعد أزمة المؤتمر التاسع، جاء المؤتمر العاشر، وكان بجنيف، وانهقد فيها المؤتمر لأول مرة أيضاً، لذا كانت حريصة على أن ينجح نجاحاً كاملاً، ولاسيماً أنها دولة اتسمت بحياديته، رغم أنها كونت لنفسها نظاماً خاصاً بها^(٢). أما المؤتمر السادس والعشرون فقد استقبلته الهند، وهي أول بلد آسيوي ينعقد فيه المؤتمر، إضافة إلى أن علماء الهند كانوا أحد أكبر أطراف الصراع في المؤتمر الخامس والعشرين، إذ كانت هناك مشادات حادة بينهم وبين المستشرقين البريطانيين^(٣)، فكان الوضع يفرض على الهنود استغلال الفرصة لينجح مؤتمرهم هذا، ليثبتوا قدرتهم التنظيمية والإدارية، وقد نجحوا في ذلك، بل إن الدورة تلك اتخذت قرارات حاسمة، ولاسيما في الجانب الإداري منها، وكان لها أثر في تحويل مسار المؤتمرات ليتغير تغيراً كلياً، من حيث النظام والاسم والشكل. إضافة إلى المشكلات الداخلية للمؤتمرات، كانت هناك مؤثرات خارجية عدة^(٤)، ولاسيما السياسية منها. فقد ابتليت المؤتمرات من هذا الجانب مرات عدة، أهمها ثلاثة:

أ — الحرب العالمية الأولى، وقد داهمت مسار المؤتمرات وهي تستعد لعقد دورتها السابعة عشر، التي كانت مقررة للعام ١٩١٥م (١٣٣٣هـ)، لكن الحرب التي انطلقت سنة ١٩١٤م (١٣٣٢هـ)، أخرت مسارها مدة ست عشرة سنة من مؤتمر أثينا السادس عشر، المنعقد سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)^(٥). وفي هذه الحقبة، فقدت المؤتمرات جل مؤسساتها الأوائل، وجل الذين كانوا عيونا مسؤولين عن اللجنة التنظيمية. وقد كان للمستشرقين البريطانيين، وجامعة أكسفورد بصفة

(١) سبق تفصيل الموضوع عن هذه النقطة ص ١٩٢ من الرسالة فما بعدها.

(٢) نظامه الخاص بالملحق رقم ١٢ ص ٢٢٩ من الرسالة.

(٣) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٨٠ فما بعدها من الرسالة.

(٤) تم تناول هذه المؤثرات باستفاضة ص ٤٦٦ من الرسالة وما يليها.

(٥) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٥٤ فما بعدها من الرسالة.

وتوجد بنود هذا النظام بالملحق رقم ١٢ ص ٢٢٩ من الرسالة.

خاصة، الدور الهام في سبيل عودة المؤتمرات للانعقاد. ورغم تلك المجهودات، فقد ظلوا أربع سنوات يعملون من أجل هذه العودة^(١).

ب - الحرب العالمية الثانية: لم يمض على المؤتمرات أكثر من عشر سنوات، حتى توقفت مرغمة مرة أخرى. فقد تقرر بعد المؤتمر العشرين المنعقد في بروكسل، انعقاد الدورة الحادية والعشرين بباريس، سنة ١٩٤١م (١٣٦٠هـ)، وكما سبق في النكسة الأولى، كان مقررا اتخاذ قرارات تحويلية جذرية على نظام المؤتمرات عامة. لكن الحرب قامت ثانية، وأعاقت مسارها مدة عشر سنوات من مؤتمر بروكسل^(٢). لكن تمكن أوروبا من النهوض السريع من تلك الكارثة بسرعة^(٣)، انعكس على عودة المؤتمرات السريعة للانعقاد^(٤)، ومن ثم انبىرى المستشرقون الفرنسيون يعملون قصد ضمان انعقاد المؤتمرات مرة أخرى^(٥).

ج - النكسة الثالثة التي حاقت بمؤتمرات المستشرقين العالمية كانت سنة ١٩٨١م (١٤٠١هـ). وهذه إن لم تكن بالخطورة التي هددت مسارها مثل السابقتين، إلا أنها تسببت في تأخير انعقاد الدورات مدة سبع سنوات. ففي هذا العام، كان مقررا انعقاد الدورة الحادية والثلاثين بطهران. إلا أن أحداث الثورة الإيرانية، أدى إلى حدوث بليلة في مسار المؤتمرات، ولم تكن هناك هيئة قارة وثابتة، لتعالج مثل هذه النكسات^(٦). وعمق ذلك الحرب العراقية الإيرانية، وبالتالي اختاروا اليابان عوضاً عن إيران، وهذه اشترطت مدة سنتين للإعداد، فوافق الساعون على هذا الشرط، وتأجل انعقاد المؤتمرات للعام ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)^(٧). هذه أهم العثرات التي أثرت في مسار المؤتمرات، وهددت دوام استمرارها، لكن في كل مرة تسلم من كافة العوائق، وتنجح في مواصلة سيرها. كما كانت

(١) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٦٥ من الرسالة فما بعدها.

(٢) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٨٤ من الرسالة.

(٣) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٨٢ من الرسالة.

(٤) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٨٢ من الرسالة.

(٥) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٢٨٤ من الرسالة.

(٦) من أجل ذلك قرر مؤتمر طوكيو وضع المؤتمرات تحت إشراف الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية، وقد سبق للعرض للموضوع هذا ص ١٩٦ و ٢٠٤ من الرسالة.

(٧) سبق للعرض للموضوع هذا ص ١٩٦ من الرسالة.

هناك مشكلات يسيرة تعيق مسارها، فكثيراً ما انقضت دورة دون اختيار مكان انعقاد الدورة اللاحقة^(١)، حتى إن الموضوع طرح للمناقشة^(٢). لكن لا ينبث الأمر أن يوجد له حل.

إضافة إلى هذا، وجدت دعوات عدة تسعى لتخطي الساحة العلمية كافة عن هذه المؤتمرات، بدعوى أنها تحمل ثقل الماضي الاستشراقي، أو أن زمانها انتهى، أو أنها لا فائدة علمية ترجى من ورائها، لكثرة الحضور فيها التي تسبب زحمة بشرية، أو لزخم المساهمات المتعددة فيها، وأن مثل هذا هدر للطاقات ليس إلا^(٣). ورغم ذلك، واصل المؤتمرات مسارها، وستدخل القرن الثالث، كما هو مقرر لها، في مونتريال بكندا، صيف عام ٢٠٠٠م (١٤٢١هـ)، إلا أن يشاء الله أمراً آخر.

٢ - التطوير الذاتي لمسار المؤتمرات:

عاشت المؤتمرات حقبة زمنية وصلت قرناً وربع قرن من الزمن حتى الوقت الراهن. وقد مرت على العالم أحداث عدة، سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية، ودينية أيضاً. ولم تكن المؤتمرات مستقلة بذاتها، بل كان المحيط بها يؤثر فيها تأثيراً مباشراً، ولاسيما السياسي والثقافي. ومن هنا، كان عليها أن تتفاعل مع التغيرات الحاصلة على الساحة العالمية، وتواكب نشاطه، وبالتالي لم تبق بمعزل عن تلك الأحداث.

كما أن ظروف المؤتمرات نفسها، كانت تجبر القائمين على إحداث تحويرات في مسارها الإداري العام بين الفينة والأخرى. فالمعلوم أن المؤتمرات انطلقت من

(١) منها على سبيل المثال ما ذكر مثلاً من اختيار المقر اللاحق للمؤتمر أثينا، ص ٣٣٧ من الرسالة.

(٢) منها ما ذكر ص ٣٣٣ من الرسالة، في المؤتمر التاسع بلندن، بعد أن فشل المؤتمر الثامن بكريستيانيا في اختيار البلد المستضيف للمؤتمر التاسع.

(٣) مثل هذه الأكوال لا توجد في وقائع أعمال المؤتمرات، لكن تردت من أفواه المستشرقين الذين قابلتهم أثناء جولتي العلمية بألمانيا: فيشر وفيلد وشولتز وفان آس، وهذا الأخير بدرجة أقل من غيره، ولعل أشدهم هما فيشر وفيلد.

مبادرة فردية ثم إقليمية، قبل أن تدخل مجال العالمية، لذا مرت بحقبة تجارب عدة لتطوير مسارها الإداري والعلمي.

ففيما يتعلق بنظام المؤتمرات العام، مر بنا أنه تعاقبت عليه عدة حقبة في تاريخه؛ فالنظام الأولي تم بمبادرة فرنسية، قبل انعقاد المؤتمرات، بتاريخ الرابع من مارس سنة ١٨٧٣م (الخامس من محرم ١٢٩٠هـ)^(١)، وهذا النظام تم تغييره بعد توسيع دائرة أبحاث المؤتمر، وهذا تم عرضه لاحقا على المؤتمرين، وتمت الموافقة عليه، واعتمد نظاما عاما للمؤتمرات اللاحقة^(٢).

لكن كانت هناك حيثيات لم تسمح لهذا النظام بمواصلة عمله، إذ ظلت فيه عدة ثغرات^(٣)، كما أن للتنافس الذي كان على أشده بين الدول الغربية ولاسيما بين بريطانيا وفرنسا، دورا في هذا التحوير، فقد استغل البريطانيون أول ثغرة نتجت عن قصور في النظام الباريسي، بحيث إنه لم يتوصل المؤتمرين نهاية المؤتمر الثامن بكريستيانيا سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، لاختيار البلد الذي سيستضيف المؤتمر الموالي. ثم تم اختيار لندن، التي، وحوار مستشرقوها النظام العام تحويوا جزريا لأول مرة^(٤)، رغم أن نظام باريس كان أكثر دقة وفاعلية منه. وما تم ذلك إلا بعد مشادات شديدة مع المستشرقين الفرنسيين^(٥).

لكن هذا النظام لم يكن فعالا، إضافة إلى أنه جاء بطريقة قسرية، ولاسيما على المستشرقين الفرنسيين، الذين استغلوا أول دورة تنعقد في باريس بعد ذلك، وجاؤوا بالنظام الذي عمر أطول من غيره. والحقيقة أنه كان مدروسا دراسة معمقة، وبالتالي جاء قصيرا في بنوده شاملا في محتوياته، ودقيقا في معانيه^(٦)، ويمكن من إنقاذ المؤتمرات من العديد من الأزمات.

بعد المدة الطويلة التي قضاها المؤتمر سائرا وفق النظام السابق، تغيرت ظروف سياسية، فقد انقضت حقبة الاستعمار، وانتشر الوعي في العالم الشرقي،

(١) بنود هذا النظام بالملحق رقم ١ ص ٥٩٦ من الرسالة.

(٢) بنود هذا النظام بالملحق رقم ٤ ص ٦٠٠ من الرسالة.

(٣) تم للتعرض لها ص ١٩٠ - ١٩١ من الرسالة.

(٤) بنود هذا النظام بالملحق رقم ٥ ص ٦٠٦ من الرسالة.

(٥) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٣٣٣-٣٣٤ من الرسالة.

(٦) بنود هذا النظام بالملحق رقم ٦ ص ٦٠٩ من الرسالة.

ونبغت في هذا المجال المدرسة الاستشرافية الأمريكية، التي سيطر مستشرقوها على المسار الاستشرافي العام. وهؤلاء دخلوا في منافسة على المؤتمرات أيضا، ويبدو أنهم أرادوا ترك بصماتهم على المؤتمرات، فسعوا لتغيير نظام المؤتمرات العامة^(١)، وتم ذلك نهائيا بمؤتمر آن آر بور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)^(٢).

وبعد مؤتمرين فقط، دخل المستشرقون اليابانيون دائرة المنافسة، واستغلوا مشكلة انعقاد المؤتمر بإيران، وحوروا النظام مرة أخرى^(٣)، واستقر المؤتمر على هذا النظام حتى المؤتمرات الحالية.

إن، لم تكن أنظمة المؤتمرات جامدة، بل كانت مرنة، تتغير بتغير الظروف، وتساير المتغيرات الراهنة، وهذه المرونة، إحدى مميزات المؤتمرات.

وإذا انتقلنا للإطار الإداري للمؤتمرات، فهو شهد تطورات على مساره وفي نوعية الإطار البشري كذلك. فقد كان المستشرقون محتكرين المناصب الإدارية كافة، ولا سيما خلال الحقتين الأولى والثانية، وجل الثالثة، حتى في المؤتمر الرابع عشر بالجزائر، كان كل الإطار البشري حكرا على الغربيين^(٤)، وفي المؤتمرين الثاني والعشرين^(٥) والسادس والعشرين^(٦)، كان الغربيون مشتركين في الإطار البشري الإداري، مع ميل الكفة تجاههم، وفي المؤتمر الحادي والثلاثين، كان الإطار الإداري كله ياباني^(٧). وهذا تم بعد التغيرات الكبيرة التي حولت النظرة الاستشرافية للشرقيين، وأصبح ينظر إليهم نظرة فيها اعتدال أكبر من ذي قبل، ولاسيما بعد المؤتمر الخامس والعشرين^(٨)، وتأطرت بقرارات

(١) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٩٥ من الرسالة.

(٢) بنود نظام المؤتمر هذا بالملحق رقم ٧ ص ٦١٣ من الرسالة.

(٣) بنود هذا النظام بالملحق رقم ٩ ص ٦٢٠ من الرسالة.

(٤) سبق بيان الموضوع هذا ص ٢٩٨ من الرسالة.

(٥) سبق بيان الموضوع هذا ص ٣٠٥ من الرسالة.

(٦) سبق بيان الموضوع هذا ص ٣١٠ من الرسالة.

(٧) سبق بيان الموضوع هذا ص ٣١٣ من الرسالة وما يليها.

(٨) سبق بيان الموضوع هذا ص ١٨٠ وما بعدها من الرسالة.

المؤتمر التاسع والعشرين^(١). ومن ذلك الحين أضحي الشرقيون يشاركون للمستشرقين في جل فعاليات المؤتمرات ويساهمون في كل اللجان التي تشرف على مسارها^(٢).

من ناحية أخرى، كانت المؤتمرات تسعى دائما لتنظيم أمورها قصد تجاوز كل النقائص والتخطي عن العوائق التي تعيق مسارها. فكانت كلما حاقت بها مشكلة كونت لذلك لجنة تبحث هذا الموضوع. وكانت مهام هذه اللجان محددة، بحيث تقدر على تنفيذها، ومعالجة المشكلة تلك. فهناك لجان تكونت لتتواصل مهامها^(٣)، وهناك لجان مؤقتة لتغيير المسار الإداري^(٤)، ولجان وقتية استثنائية كونت لحاجة معينة، تتم فيها إنجاز مهام آنية مثل تكوين اللجان التي تبحث مكان الدورة اللاحقة كلما تعذر الاتفاق العام، ولجنة ما بين الدورتين، ولجنة المتابعة وأخرى لتباحث كيفية نشر أعمال المؤتمرات، كما كونت لجان لمراجعة بنود نظام المؤتمرات^(٥)، وغيرها من اللجان التي تفرضها الضرورة الإدارية والتنظيمية الملحة.

ولما تعددت المشكلات التي تتعرض لها المؤتمرات، والتي تحتاج دائما إلى نظر وبحث وتكوين لجان، وبعد تكوين "الاتحاد العالمي للدراسات الشرقية والآسيوية"^(٦) اتخذ المؤتمر الحادي والثلاثون قرارا يقضي بوضع المؤتمرات تحت إشراف هذا الاتحاد، ومن إذ ذاك والمهمة موكولة إليه، ولا يزال الأمر مستقرا إلى حد الآن، نظرا للفترة القصيرة التي تبناها فيها، ويلزم الانتظار زمنا لمعرفة مدى الاستقرار الإداري للمؤتمرات.

فيما يتعلق باسم المؤتمرات، حافظت المؤتمرات على مسماها الأصلي "مؤتمرات المستشرقين العالمية" مدة قرن ميلادي كامل، من ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، حتى ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ)، وكانت انطلاقته وترعرعه في فترة هيمنة الاستشواق

(١) سبق بيان الموضوع هذا ص ١٨٢ فما بعدها من الرسالة.

(٢) يمكن الاطلاع على ذلك مثلا ص ٢٦٠ من الرسالة.

(٣) منها مثلا ما ذكر ص ٢٠١ من الرسالة.

(٤) منها مثلا ما ذكر ص ٢٣٩ من الرسالة.

(٥) سبق بيان الموضوع هذا ص ٣٣٨ من الرسالة.

(٦) سبق الحديث عن هذا الموضوع ص ١٩٦ و ٢٠٤ من الرسالة.

على الساحة المعرفية التي تتناول الشرق بالتحليل، يساعدها في ذلك الوضع الراهن إذ ذاك، ولاسيما الاستعمار والحملات الاستعمارية، والمساعي التصيرية، والتي شغل فيها المستشرق منصب الخبير والسياسي والجاسوس والمخطط. كما غلبت على أبحاثه المناهج المادية والوضعية، ولاسيما النفسية منها والاجتماعية والاقتصادية، لكن ما لبث الاستعمار المباشر أن انهار، والحملات التصيرية منيت على نحو عام بفشل كبير، ولاسيما في الوسط المسلم، والمناهج البحثية تعرضت للنقد، وتعرض الاستشراق بالتالي لحملات قوية، بدأت متفاوتة ثم أضحت مركزة، وأضحى مكشوفاً أمام الشرقيين. فبعد دفاع مستميت عن ميدانهم، خضع المستشرقون للواقع، وسعوا حثيثاً للتخلص من كلمة مستشرق واستشراق، ومحاولة تحسين صورتهم. ومما عملوه في سبيل تحقيق ذلك، مسارعهم لتغيير اسم مؤتمراتهم، فأطلقوا عليها اسم "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، وذلك في المؤتمر التاسع والعشرين بباريس، بمناسبة الذكرى المئوية لمؤتمرات المستشرقين العالمية^(١).

هناك دافع آخر لاختيار هذا الاسم بالذات، وفيه تأثر بالمحيط العلمي المعاش كذلك، ألا وهو التركيز على العلوم الإنسانية، فسيأتي أن الأمور الإنسانية والاجتماعية هي التي هيمنت على الساحة المعرفية عموماً^(٢)، ولاسيما المعارف الاجتماعية، وساهمت المدرسة الاستشراقية الأمريكية في تنمية هذا المجال، وبالتالي كان من المناسب اختيار الاسم ليكون متناسقاً والمسار الاستشراقي العام الذي كان مهيمناً إذ ذاك.

لكن يبدو أن هذا الاسم لم يرق بعض المستشرقين، ولاسيما اليابانيون منهم، لذا، فقد تم تحويله مرة أخرى في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو، ليصبح "المؤتمرات العالمية لدراسات آسيا وشمال إفريقيا"^(٣). ويبدو أن الاسم لا ينطبق على الاسم، ومن هنا جاء التغيير، ومهما يكن السبب، فهذا الاسم الأخير أكثر تطابقاً على مسار المؤتمرات من الاسم السابق.

(١) سبق الحديث عن الموضوع بتوسع ص ١٨٢ من الرسالة فما بعدها.

(٢) سيرد ذلك ص ٤٦٠ من الرسالة.

(٣) سبق الحديث عن الموضوع ص ١٨٧ من الرسالة وما بعدها.

هذه التحويلات المتلاحقة لمسميات مؤتمرات المستشرقين العالمية، تبين بوضوح أن المؤتمرات كانت تعمل دائماً على إحداث تغييرات على ذاتها، تحت تأثير الواقع المحيط بها، حتى تتمكن من متابعة مسارها ولا تتخلف عن التركيب العلمي والسياسي والاجتماعي المعاش.

٣- القدرة على تجميع أعداد كبيرة ومتنوعة من الباحثين:

من الخصائص الأخرى التي تميزت بها مؤتمرات المستشرقين العالمية، قدرتها الخاصة على جمع مجموعات كبيرة من الباحثين المتخصصين، وتجميعهم في مكان واحد، يتعارفون فيه ويتبادلون المعلومات والخبرات، ويناقشون الموضوعات، ويستفيدون من الخبرات.

فرغم صعوبة المواصلات، وقساوة الظروف المحيطة حينئذ، تمكن المؤتمر الأول من تجميع أربعة وستين وألف مشارك^(١)، فيم كان العدد حوالي أربعة وعشرين وثلاثمائة في المؤتمر الثاني بلندن سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، وما يقرب من سبعة وستين وأربعمائة في المؤتمر الثالث بسان بترسبورغ سنة ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ)، وبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، كان عدد الحاضرين ثمانية وأربعين وسبعمائة عضو، وذلك في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، وفي المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، شارك حوالي أربعة وثمانين وستمائة باحث فعاليات المؤتمر، الذي انعقد بعد الحرب العالمية الثانية .

أما أقل المشاركات فكانت في المؤتمر الرابع بفلورنسا سنة ١٨٧٨م (١٢٩٨هـ)، إذ بلغ العدد ثمانية عشر ومائتين. وبين الحربين ما كاد العدد يقل عن خمسمائة شخص، وما نقص بعد الحرب العالمية الثانية عن ستمائة. أما قمة

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troisieme - pp. 42 - 43.

وكذلك الملحق رقم ٤١ ص ٨٤٤ من الرسالة، وفيه صورة لبيان إحصائي عن المؤتمر.

المشاركات فكانت بالمؤتمر التاسع والعشرين، إذ تجاوز العدد ثلاثة آلاف مشارك، ولم يكد العدد يقل في مؤتمرات الحقبة الرابعة عن الألف.

إن قدرة مؤتمرات المستشرقين العالمية على تجميع مثل هذه الأعداد الكبيرة من المشاركين، ميزة من مميزات، إذ إن مثل هذا التجميع من شأنه أن يؤدي إلى التعارف في أقل درجاته، إذ كثيرا ما يسمع بعض الدارسين بأسماء باحثين غيرهم دون التعرف إليهم عيانا، فتكون المؤتمرات فرصة لتلافي هذا النقص، وأما ثمرتها فهو ما يتم فيها من تلاحق الأفكار ومناقشتها، والخروج بفوائد علمية.

لو أخذنا على سبيل المثال أقل عدد من الحضور، مائتين ونيّف، فهو عدد ليس بالقليل، بل إن الاستفادة في هذه الحالة قد تكون أعمق مما لو كان العدد أكبر من هذا. فإمكان التلاقي وفرص الحوار أوفر من غيرها، وكذلك إمكان تبادل المعلومات والنتائج العلمية، لأنه في مثل هذه الحالة، قد يحتاج المرء لأن يرى نظيره مرات عدة. وقد عاينت هذا بنفسني في مؤتمر بودابست، إذ يلتقي المرء بشخص، ويحاول رؤيته ثانية، لكن قد يعجز عن ذلك. فلا يعد العدد ضئيلا، مقارنة بغيره، وقد اشتكى حمد الجاسر من الزخم البشري لمؤتمر باريس التاسع والعشرين، ولذلك ما كاد يحضر فعاليات المؤتمر إلا نادرا^(١)، كما اشتكى من عدم قدرته ملاقة بعض معارفه إلا بصعوبة، أو تجمعه المصادفة به^(٢).

ومهما كان الأمر هذا، فالمؤتمرات تمكنت، من تجميع أعداد كبيرة من المشاركين، منضوين تحت لوائها. والميزة الملحقة بهذه، هو أن جل هؤلاء الحضور، يقصدون المؤتمرات بتلقائية من أنفسهم، رغم أن هناك رسوما مفروضة على المشاركين منذ انطلاق أول مؤتمر، كما أن التنقل من بلدانهم لمقر المؤتمر على حسابهم الخاص، وكذلك السكنى والتنقل، وما تساعدهم به المؤتمرات هو تأمين مقر السكن، ومحاولة الحصول على أسعار مخفضة للنقل^(٣).

(١) كثيرا ما تعرض حمد الجاسر لهذا في مذكراته عن المؤتمر، من ذلك مثلا: "على هامش مؤتمر المستشرقين: أيام في باريس - ١- - الأديب - ج. ٥ و ٦ - ١٣٩٣م - ١٩٧٤م - ص ٤٦٨، ٤٧١...

(٢) مثال ذلك ما ورد في مقالته: "على هامش مؤتمر المستشرقين: أيام في باريس - ٣- - الأديب - ج. ٩ و ١٠ - ١٣٩٤م - ١٩٧٤م - ص ٦٥٨.

(٣) سبق للعرض لذلك ص ١٤١، ١٩٩، ٢٩٦ (الحاشية) من الرسالة.

تلك هي أبرز الخصائص التنظيمية، التي تمكنت على أثرها المؤتمرات من مواصلة عملها ودوام نشاطها حتى الوقت الراهن، ولا يزال المستشرقون حريصين على مواصلة مؤتمراتهم لنشاطاتها، وساعدهم في ذلك تلك الخصائص الثلاث، التي جعلت المؤتمرات تسير بحبوية دائمة، ولم تكن صماء في سيرها، بل كانت متفاعلة مع الأوضاع المعاصرة لها، تسعى لتكييف إطارها الإداري، وتنمية قدراتها التنظيمية، ولاسيما أنها ترى أعدادا هامة من الراغبين في تنميتها وتعزيز مسارها وإثراء اهتماماتها. وهذه السمات ساعدتها في النهوض من العوائل التي وقعت فيها أثناء الحربين العالميتين، ويسرت لها الوقوف على العوائل الأخرى التي هددت مسيرتها، وفي وجه الداعين للتخلي عنها لانقضاء زمنها وانتهاء مهامها. وسيتبين المزيد عن هذا التأييد عند الحديث عن خصائص المؤتمرات العلمية.

المبحث الثاني: الخصائص العلمية

مثلاً كان للمؤتمرات خصائص إدارية، كانت لها مميزات علمية كذلك، إذ هي أساس مؤتمرات المستشرقين العالمية، والتي من أجلها أنشئت. وهذه الخصائص يمكن تقسيمها إلى العناصر التالية:

- ١ - شمولية الدراسات العلمية وتنوعها.
- ٢ - تأقلم المسار العلمي مع الأوضاع المحيطة.
- ٣ - الحرص على تنمية المسار الاستشراقي.

١ - شمولية الدراسات العلمية وتنوعها:

مع انطلاق المؤتمرات، قرر المنظّمون الأوائل تخصيص كل دورة بموضوع معين، واختاروا اليابان ليكون موضوع دراسات الدورة الأولى، لكن الاعتراضات على ذلك، سببت نقلة نوعية في مسار مؤتمرات المستشرقين العالمية، فأضحت هذه تتسم بالشمولية في موضوعاتها. فقد تم تحويل الجدول لتحفظ اليابان بنصيب الأسد من الدراسات، وتخصص لها خمس جلسات، مقابل جلستين للصين، التي كانوا يعدونها امتداداً للدراسات اليابانية، وجلسة لكل من الدراسات التتارية والهند الصينية، والمحيطية، والمصرية، والأشورية والفنون السامية، والدراسات السامية، والإيرانية، والدرافيدية، والسنسكريتية، والبوذية، والأرمينية والهلبية الجديدة، وجلسة عامة حول الاستشراق^(١).

أما إذا تناولنا المؤتمر الأخير حتى هذا التاريخ، وهو الذي انعقد في بودابست، فقد كانت لجانه ولجانه الفرعية كالاتي: آسيا الوسطى والعصور المتأخرة، البوذية، تاريخ آسيا وشمال إفريقيا المعاصر والحديث، جنوب آسيا، جنوب شرق آسيا، الإسلامية، الإيرانية، التاميلية والدرافيدية، التبتية، التركية، السنسكريتية، العثمانية والتركية، القوقازية، الكورية، المانشاوية-التتغوسنية،

(١) سبق تفصيل الموضوع ص ١٤٥ وما بعدها من الرسالة.

المنغولية، اليهودية والعبرية، شرق آسيا، الشرق وآسيا في العصور القديمة، الهند والدراسات الهندوسكانية، اليابان^(١).

من هذا العرض، يتضح أن التنوع كان سمة المؤتمرات منذ انطلاقتها. ومن ثم اتخذت هذا التوجه، وتواصل هذا المسار العام حتى المؤتمرات الأخيرة. تلك هي عينة من اللجان واللجان الفرعية التي عرضت في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي دليل واضح على أن الاهتمامات كانت متنوعة جداً، ويمكن الاطلاع على كل اللجان واللجان الفرعية المختلفة التي انقسمت إليها المؤتمرات، التي تم سردها بالجدول المخصص لها^(٢). فقد وصل عددها إلى الآن تسعاً وعشرين ومائتين^(٣)، بمعدل يتراوح ما بين ست إلى سبع لجان لكل مؤتمر.

أما من جانب الاختصاصات الدراسية والتوجهات المعرفية للمقالات والبحوث المعروضة في المؤتمرات، فهي كذلك متنوعة جداً. تلك الدراسات أكثر تنوعاً واتساعاً من دلالات مسميات اللجان، وأكثر عمقاً، وبالتالي أكثر شمولاً. وحتى يتبين الأمر أكثر يمكن ضرب الأمثلة التالية، التي تزيد هذا الأمر وضوحاً: — لو تفحصنا المؤتمرات من خلال العناصر التي احتوت عليها مسميات اللجان، نجد أن هناك ثلاثة وخمسين ومائة موضوع^(٤)، ترددت في مجموعها العام سبعة وتسعين وخمسمائة مرة، أي أن معدل تردد هذه الموضوعات حولي أربع مرات للواحد، بحيث أن كل موضوع يمكن أن يكون طرح في حوالي سبعة عشر مؤتمر. وهذا أيضاً من الناحية الإجمالية. لكن موضوعاً يطرح في سبعة عشر مؤتمر، فيه دليل على أن هناك بحثاً جديدة في المجال ذاته، وتتناوله من جوانب أخرى، وبالتالي فهذا دليل على أن أبحاث مؤتمرات المستشرقين العالمية ذات طبيعة شمولية.

— إذا تصفحنا المساهمات الإسلامية، التي عرضت في المؤتمرات، وهي أقل بكثير من مساهمات المستشرقين، نجد أن ما تم إحصاؤه إحدى وخمسون

(١) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme.

(٢) هذا الجدول وورد في الملحق رقم ١٤ ص ٦٣١ من الرسالة.

(٣) هذه اللجان المتعددة، يمكن الاطلاع عليها بالملحق رقم ١٤ ص ٦٣١ من الرسالة.

(٤) يمكن الاطلاع على ذلك بالملحق رقم ١٧ ص ٦٨٨ من الرسالة.

ومستمائة دراسة^(١)، وهذه تناولت عشرين وخمسمائة موضوع تفصيلي^(٢)، بمعدل مساهمة ورّبع لكل موضوع، وفي هذا دليل كذلك على التوسع والشمولية، وتنوع الموضوعات المطروقة، في دراسات المسلمين وحدها، فالحال مع مساهمات المستشرقين يكون أكثر شمولاً واتساعاً من هذه.

- مساهمات المستشرقين الصهاينة، نجد أنهم قدموا أربعاً ومائة دراسة،

شملت ثمانية وتسعين موضوعاً، بمعدل قريب من دراسة لكل موضوع.

- المثال الأخير، في البيانات التي قدمت، وتتعلق بالمساهمات التي قدمت

في اللجان المتعلقة بالإسلام والعالم الإسلامي في كل من مؤتمر الجزائر^(٣) وتركيا^(٤) ونيو دلهي^(٥) وطوكيو^(٦)، يمكن الاطلاع بكل يسر على تنوع الدراسات وشمولها لموضوعات متعددة، مما يبين أن الصبغة العلمية لدراسات المؤتمرات تنسم بالشمولية والتنوع.

من هذه الأمثلة، يمكن تبين أن المؤتمرات تتخذ الصورة الموسوعية في

دراساتها وأبحاثها. وإذا كان هذا في موضوع الدراسات الإسلامية، وإذا قسنا الأمر على بقية اللجان، والتي كما سبق بلغت تسعاً وعشرين ومائتين، يمكننا أن نستنتج مدى الاتساع الذي بلغته دراسات المؤتمرات، وبالتالي مدى الشمولية التي غطتها تلك الدراسات.

ولا تزال المؤتمرات تسير على الطريقة نفسها، ولعلها في الصورة

الإجمالية، هي التي لا تزال تحافظ على صورة المستشرق والاستشراق الموسوعي، رغم أنها تقسم أعمالها إلى لجان متخصصة ومتعددة، لكن مكان المؤتمر يمكن فيه تتبع صور علمية عدة، إذ إن أي موضوع استشراقي يحتاجه المرء يلقى متخصصين لديهم الإجابة عن تساؤلاته. كما أن نشر وقائع الأعمال

(١) يمكن الاطلاع على ذلك بالملحق رقم ١٧ ص ٦٨٨ من الرسالة.

(٢) يمكن الاطلاع على ذلك بالملحق رقم ١٧ ص ٦٨٨ من الرسالة.

(٣) هذه الدراسات موجودة بالملحق رقم ٢٨ ص ٧٩٨ من الرسالة.

(٤) هذه الدراسات موجودة بالملحق رقم ٢٩ ص ٨٠٠ من الرسالة.

(٥) هذه الدراسات موجودة بالملحق رقم ٣٠ ص ٨٠٤ من الرسالة.

(٦) هذه الدراسات موجودة بالملحق رقم ٣١ ص ٨١٢ من الرسالة.

كلها في مصنف واحد من شأنه أن يثري الثقافة الاستشرافية الشمولية في ميادينها كافة، ومجالاتها عامة.

من هذا الطرح البنياني، يتضح أن الدراسات العلمية في مؤتمرات المستشرقين العالمية، كانت تنقسم بالشمولية والتنوع، وهي ميزة من مميزات، وخصيصة من خصائصها، تميزها عن جل المؤتمرات غيرها.

٢ - تأقلم المسار العلمي مع الأوضاع المحيطة:

شهد مسار دراسات مؤتمرات المستشرقين العالمية العلمية تحويرات جوهرية على مدى مسارها، هذا المسار الذي أثرت فيه أمور، تمكنت دراسات المؤتمرات من التأقلم معها، وتحوير مسارها كلما تغيرت الظروف المحيطة بها، وهذا التأقلم قد يتم بصورة طبيعية دون الانتباه وقد تحصل مشادات عدة قبل أن يتمحور الوجه الجديد للمؤتمرات في دربها العلمي.

هذا التأقلم، تم بصفة خاصة من وجهات ثلاث، حسب المؤثر الذي يدعو لذلك. وهذه الوجهات هي: التأقلم مع التوجهات السياسية، والتغيرات الثقافية، والظروف الاجتماعية.

هذه المؤثرات الثلاثة، كان لها دور كبير في سعي جل المستشرقين لتعديل نوعيات أبحاثهم، وسعت المؤتمرات لتحوير المسعى العام لمسار دراساتها، التي تتناسب وأهدافها التي ترمي إليه، هذه الأهداف التي كانت تتغير كذلك وفق الوضع الراهن لكل مؤتمر. ومن هنا كانت الدراسات أيضا تتغير وفق الظروف، تماما كالجانب الإداري للمؤتمرات، الذي رأينا أنه هو نفسه كان يتأقلم مع الظروف المحيطة به.

أ - التأقلم مع التوجهات السياسية:

أما عن التأقلم مع التوجهات السياسية، فمن المعلوم أن مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأت في فترة تشهد فيها أوروبا صراعات متعددة، سببها التنافس الدولي. هذا التنافس انعكس كذلك على مسار المؤتمرات العلمي. بل إن نشأة المؤتمرات

تبدو جزء من هذا التنافس، إذ لما رأى المستشرقون أن كل الفعاليات العلمية تعقد مؤتمرات أرادوا هم كذلك تكوين نواة يجتمعون خلالها ويتدارسون موضوعاتهم^(١) لئات اللجان، كانت تخضع في اختيارها غالبا لمصلحة الدولة المستقبلية للمؤتمرات^(٢). ومع ذلك، كانت المؤتمرات تواصل سيرها دون تـوان، وتدرس موضوعاتها وفق ما سطر لها، فلما فرضت المدرسة الفرنسية الموضوعات اليابانية، حضرها المستشرقون وتناولوها بالدرس، ولما فرضت بريطانيا الموضوعات الهندية، تم تحليلها، ولما وجه مؤتمر الجزائر الدراسات لإفريقيا والدراسات اللغوية، درس المؤتمر تلك الموضوعات وهكذا..

من ناحية أخرى، عاشت المؤتمرات حقبة طويلة من عمرها الفترة الاستعمارية. وفي هذا المجال، توجهت المؤتمرات تقدم دراساتها وأبحاثها، فيما يخدم مصالحها ومصلحة الاستعمار والاستشراق، وتدار مناقشات تؤيد هذا المسار، وتحاول توجيه الجهات التي من شأنها أن تخدم الاستعمار والاستشراق. وفي هذا المجال، عد الاستعمار في أحيان عدة واجبا وطنيا وأوروبيا تجاه الشعوب الأخرى، وربطوا ذلك بعملية التنقيف والتحضر، والتطور الاجتماعي^(٣)، وهي حاجات نصب المستشرقون أنفسهم مسؤولين عن تحقيقها، وربطوا مصيرهم بها، لدرجة أن أضحي بعضهم يعد الاستعمار واجبا وطنيا^(٤). بل إن بعضهم رجع بأصول الاستعمار إلى عهد مترام في القدم^(٥). كما انتشرت بين المستشرقين ظاهرة التفاخر بالاستعمار^(٦). من ثم، سيطر الفكر الاستعماري على العديد من المستشرقين^(٧)، ومن ثم ربطوا بين الاستعمار والمؤتمرات، وطالبوا بضرورة

(١) هذا ما أخبرني به المستشرق "شتيفن فيلد".

(٢) وقد سبق بيانه ص ٢٠٦ - ٢٠٧ من الرسالة.

(٣) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٩٥ وما بعدها من الرسالة.

(٤) Adresse de Kuenen - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie - p. 44.

(٥) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٩٨ وما بعدها من الرسالة وما بعدها.

(٦) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٩٥ من الرسالة فما بعدها.

(٧) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٩٥ من الرسالة.

التناصح بين الطرفين، لأجل الحاجة والمصلحة المتبادلة^(١). وبذا، تبرز مجسرة دراسات المؤتمرات للوضع السياسي، وتأقلم دراساتنا مع التوجهات السياسية، وقدمت موضوعات عدة تتعلق بالاستعمار. وفي هذا دليل آخر على قدرة المؤتمرات العلمية على مسيرة الواقع السياسي، وتعايشها معه.

بعد انقضاء فترة الاستعمار، ووسط حمى صراعات الاستقلال، حصلت خلافات وسط المؤتمرات، بين مواصلة تأييد الاستعمار أو التشجيع لحركات التحرر. وبرزت قمة الصراع الداخلي ذاك في المؤتمر الخامس والعشرين بموسكو^(٢). فقد نعت هذا المؤتمر بأنه سجل طورا جديدا في تاريخ الاستشراق عموما^(٣)، وبالتالي المؤتمرات. وفي هذا المؤتمر، سيطر الاشتراكيون سيطرة تكاد تكون مطلقة على الفعاليات، واستطاعوا كسب الشرقيين لفهم، وأعطوهم مكانة أكبر مما كانت لهم من قبل، حتى قيل إنها المكانة نفسها التي أعطيت للاشتراكيين^(٤)، وتم شبه تحالف لمحاصرة الغربيين، وحصلت مشادات عنيفة بين الشقيين،^(٥) أما خلال انتقاد الاحتلال، فقد اتحد علماء البلدان الاشتراكية مع علماء البلدان المشرقية، الأمر الذي أدى إلى شبه عزلة للمعشرقيين ذوي الأفكار الرجعية^(٥).

ذاك المؤتمر كان فعلا الحد الفاصل للدراسات الاستعمارية في المؤتمرات، ودخلت بالتالي مرحلة جديدة، غلب عليها التأثير الثقافي. أما الجانب السياسي، فقد تحول كثيرا عما كان عليه من قبل، إذ تغير الميزان السياسي، وانحدرت الهيمنة الأوروبية، وانحصرت سياستها في توفير حاجياتها وتحقيق مصالحها، وسيطر الجانب الاقتصادي على المؤثر السياسي، وبالتالي، جاءت دراسات المؤتمرات في هذا الجانب تتعلق بالجانب الاقتصادي، سواء التجارية منها أو الصناعية ولاسيما

(١) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ٤٩٥ من الرسالة.

(٢) سبق تفصيل الموضوع هذا ص ١٨٢ من الرسالة.

(٣) سبق ذكر ذلك ص ١٨٢ من الرسالة.

(٤) سبق التعرض لذلك ص ١٨١ من الرسالة.

(٥) "Le XXVeme Congres International des Orientalistes, Moscow, 9 - 16 Aout 1960" - Studia et Acta Orientalia - III - Bucarest - 1960 - p. 333.

البترول^(١)، وازداد الاهتمام بهذه الجوانب السياسية-الاقتصادية بعد تحويل اسم مؤتمرات المستشرقين العالمية، وبالحرركات السياسية التي تقوم في العالم الشرقي، ولاسيما تلك التي قد تتسبب في تهديد المصالح الغربية، من مثل الحركات الإسلامية، أو الثورة الإيرانية، أو غيرها من الحركات التي تجاهر بمعاداتها للغرب، وركزوا على ما يطلقون عليه التطرف والمتطرفين، وظهرت بعض هذه الدراسات في المؤتمر الأخير ببودابست بالمجر سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)^(٢). وهكذا، مرة أخرى، استطاعت دراسات المؤتمرات التأقلم مع كل تيار سياسي جديد فاعل على الساحة العالمية.

ب - التأقلم مع التيارات الثقافية:

وعن التأقلم مع التيارات الثقافية، تعاقبت على مؤتمرات المستشرقين العالمية بحقب ثقافية عدة، سببتها الصراعات الداخلية التنافسية، والتي أدت هي ذاتها لقيام صراع ثقافي أيضاً، وظهرت بالتالي النظريات والمناهج الفكرية، التي تكون متعارضة أحياناً، ومتكاملة أحياناً أخرى، ومقاربة حيناً آخر. وأدرك هذا الصراع الثقافي النمو السريع للعلوم والتقنية، وتطورها المتلاحق. فهذه العلوم أدت إلى اكتشافات جديدة، سواء مجرات عظمى أو كائنات متناهية الدقة، وكل هذا نشر في الساحة المعرفية ظاهرة التساؤلات ومحاولات تفسير كل شيء.

هذه الظواهر التي أثرت في الرسالة الثقافية عامة، كان لها انطباعها على مسار المؤتمرات العلمي، وكل ظاهرة ثقافية تروى لها انعكاساً في دراسات المستشرقين وفي إطار المؤتمرات. ومن هنا، سيتم بيان الكيفيات التي سارت على ضوئها المؤتمرات لتتأقلم مع الواقع الثقافي والتي يمكن إجمالها في عناصر ثلاثة: - تفاعل المؤتمرات مع التيارات الفكرية العنصرية.

(١) يمكن التعرف على ذلك بكل يسر من خلال XXXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) . بعده، سواء في طوكيو أو هامبورغ.

(٢) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - p. 7, 8...

- تفاعل المؤتمرات مع المناهج والتيارات العلمية.

- المؤتمرات وهيمنة التيارات الإنسانية والاجتماعية.

هذه العناصر، التي سيتم بيانها بإيجاز، هي التي حاولت مسابقتها أكثر من غيرها، أما التطور التقني، فكان أثره البارز في استخدامها لتيسير أعمال المؤتمرات، ولا تؤثر في نوعية الأعمال أو طريقتها.

- تفاعل المؤتمرات مع التيارات الفكرية العنصرية: رغم أنها لم يكن لها

تلك الدعاية الكبرى، كغيرها من المسارات الفكرية، إلا أنها كان لها تأثير هام في توجيه المسارات العلمية للمؤتمرات. ولبيان حقيقة هذه التأثيرات، يمكن الاستدلال على ذلك من أوجه ثلاث: توجيه الدراسات للمصلحة الغربية، وظاهرة المركزية الغربية، وأثر الاستعلاء العنصري.

طغت المصلحة الغربية على دراسات المؤتمرات في فترات طويلة من الزمن. وانطلقت منذ المؤتمر الأول. ففي هذا المؤتمر، تمت دراسة اليابان مثلاً، دراسة خبير مدقق، يميز مواطن الاستفادة عن تلك التي لا فائدة منها. لدرجة أن أحدهم يبين الأماكن الثرية بالمعادن، عن تلك التي تقتقر إليها^(١). وليس هذا فقط، بل إن الدراسات سعت لبيان إمكان الاستفادة من اليابان لتحقيق المصالح الغربية السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية^(٢). وما توجهت تلك الدراسات لتحقيق تلك الأهداف إلا للنزعة القومية والعنصرية التي كانت تعيشها أوروبا، والتي استحوذت على قناعاتهم، حتى إن من العلماء من كان يبحث عن طريق الكيمياء، ما يؤكد له سمو العرقيات الآرية على غيرها^(٣).

وما يزيد الموضوع وضوحاً وبيانا، الظاهرة الاستعمارية، والتي لم تجمع حولها دراسات وبحوثاً فقط، بل حتى الرجال أنفسهم وفكرهم وحساسهم، وما سبق الإشارة إليه في المؤتمر الخامس والعشرين، من مساعي العديد من المستشرقين الغربيين لتبرير الاستعمار، ووقوف الشرقيين بمساندة الروس والاشتراكيين،

(١) سبقت الإشارة إلى المقولة تلك ص ١٣٤ من الرسالة.

(٢) سبق تحليل هذه الموضوعات ص ١٨٠ من الرسالة وما بعدها.

(٣) روبرت شتيرب: تاريخ الحضارات العام ... - ٦ م - ص ٥٦٥.

تجاههم لخير دليل على ذلك^(١). وإذا علمنا أن الاستعمار كان قد اتخذ عقيدة، يجب على الغربيين القيام به والسعي لتحقيقه^(٢)، علمنا أن هذه الدراسات توجّهت لما يخدم المصلحة الغربية.

كما أن الدراسات الموجهة حالياً، لتناول المسائل الاجتماعية والاقتصادية، والعلاقات بينهما وبين الثقافة، ودراسة الجماعات الشرقية التي تهتد مصالح الغرب^(٣)، تصب كلها في هذا الجانب، ألا وهي خدمة المصلحة الغربية.

تتمثل ظاهرة المركزية الغربية في المعتقد الغربي الذي يرى أن أوروبا، ومن ورائها الغرب عموماً، هي مركز العالم وسيدته، وأن كل ما سواها تبع لها، وإن لم يكن معها فهو ضدها، وبالتالي من حقها وحدها قيادة العالم والتحكم في مصيره. هذه العقيدة هاجمها المستشرق الفرنسي "جون فليوزا"، ووصفها بالمركزية الضيقة، التي ترى أن الحضارة الغربية القديمة هي الحضارة المثلى، ويعجب المستشرق من تقبل الشرقيين للأمر ذاك وخضوعهم له بكل يسر^(٤).

إلا أن الشرقيين لم يكونوا كلهم على هذا الدرب، فقد كان العديد منهم يهاجمون هذه المركزية، ولعل أعمق من هاجمها، من خلال المؤتمرات، هو المستشرق الياباني "ياماموتو"، الذي ربط بينها وبين الاستشراق الغربي، قائلاً: "لأن كلمة "مستشرق" تتضمن الدلالة على فكرة المركزية الأوروبية"^(٥). ونص على ضرورة مراجعة الكتابات الاستشراقية فقال: "علينا التأكيد على أهمية الانتقادات الموجهة للدراسات الشرقية، المشوبة بالمركزية الأوروبية والاستعمار"^(٦).

(١) سبق للتعرض لذلك ص ١٨٠-١٨٢ من الرسالة.

(٢) تم التعرض هذا ص ٤٩٤ - ٤٩٥ من الرسالة.

(٣) يمكن التعرف على هذا التوجه بكل يسر بالاطلاع على الندوات المعقودة، بالملحق رقم ١٨ ص ٦٩٣ فما بعدها من البحث.

(٤) سبق الحديث عن هذا الموضوع ص ٢٠٦ من الرسالة.

(٥) Discours de Yamamoto Tatsuro - Presedent - Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 - Tome I - p. 30.

(٦) Ibid. p. Tome I - p. 30.

هذه الأقوال من المستشرقين، تبين أن دراسات المؤتمرات شابتها المركزية الأوروبية، وبالتالي سارت هذه الأبحاث في طريق الهيمنة الغربية على أفكار العديد من المفكرين الغربيين.

أما عن أثر الاستعلاء العنصري، فكتيرا ما يتعامل المستشرقون مع غيرهم بتعال وعظمة، بل عبروا عن ذلك بصراحة أثناء المؤتمرات^(١). ويتبين أثر هذا الاستعلاء العنصري من خلال ظواهر عدة، يمكن الاستدلال منها بثلاث، إخضاع المجتمعات الأخرى للدراسة والتحليل، وتنصيب الذات الغربية مسؤولة عن الشعوب سواها، وتحويل حروف كتابة الشعوب الأخرى.

فوضع الشعوب غير الغربية للدراسة والتحليل، مثلهم مثل أي ظاهرة طبيعية أخرى مؤشر واضح على الاستعلاء العنصري هذا^(٢). وفي هذا تقسيم لشعوب العالم قسمين، فوقية، وهي الغربية، وسفلية، وهي بقية العالم ككل. وفي هذا الحال، فإن جل دراسات المستشرقين في المؤتمرات، ولاسيما في فترة ما قبل تغيير اسمها، وانقلابها على نظام الدراسات الاستشراقية السابقة، تدخل تحت هذا التلار، وشابها التوجه العنصري، وبخاصة ما يتعلق منها بالنواحي الاجتماعية والعرقية والإنسانية، ففي جل هذه الحالات تجعل الدراسات من السمات الغربية محورا تقاس عليه موروثات الشرق ومميزاته.

وعن تنصيب الذات الغربية مسؤولة عن الشعوب الأخرى، فمثاله الدعوات التي أطلقها العديد من المستشرقين، سواء المؤيدون منهم للاستعمار والمنادون به، أو المبررون له أو الموجهون، فهؤلاء كانت معظم دعواهم أن على الغرب واجبا منوطا بعهدته، يفرض عليه استعمار الآخرين من أجل تنقيفهم وتنمية فكرهم والأخذ بأيديهم لساحة الحضرة العالمي^(٣). كما أن المعايير التي يستخدمونها في الحكم على الشعوب، تختلف حسب ميول الباحث. من ذلك ما رأيناه من رأيين

(١) تم التعرض لهذه المسألة في مواضع عدة من الرسالة، يمكن الاطلاع مثلا على ص ١٨٣ - ١٨٤

من الرسالة.

(٢) ستم التعرض لمثل هذا التمثيل ص ٤٩٦ من الرسالة.

(٣) سيتم التعرض هذه الأفكار ص ٢٠١ من الرسالة.

مختلفين عن رجال من قبيلة الداياك المالوية، ففينا وصف المشركون منهم بأفضل السمات الأخلاقية، تلقى المسلمون منهم أشنع الصفات وأقسى النعوت^(١).

من المثاليين السابقين، وغيرهما موجود كثيرا في دراسات المؤتمرات ، يتبين أن المؤتمرات ساهرت التيارات التي تضع من نفسها مאלكة زمام التحكيم الدولي، قصد قيادة البشرية وتوجيهها والحكم عليها بما يروق الحاكم.

تحويل حروف كتابة الشعوب الأخرى: لنتكتب بالحرف اللاتيني، فهو هدف من أهداف مؤتمرات المستشرقين العالمية، وانتشرت الدعاية التي ترى أن الحرف اللاتيني هو أساس التطور والتحضر، وأنه أدق وسيلة أكيدة للتقنيق ونشر التنوير^(٢)، كما عدوه أيضا، "متناسقا وأعلى أشكال اللغات الإنسانية، وهو يساعد على أنتشار الأفكار بدرجة عالية"^(٣). هذه بعض أقوالهم في المجال، وقد ورد غيرها عند تحليل الموضوع هذا بصفة أعمق^(٤). كما عدت هذه المهمة واجبا من واجبات الغربيين أيضا. فقد صرح أحدهم فقال: "إن المسارعة إلى تخصيص اليابان بكتابة أبجدية، كان أحد واجبات علماء الغرب العالمية"^(٥).

لكن الواقع بين أن هذه الأقوال ليست صحيحة البتة، إذ إن شعوبا ممن تغير أسلوب كتابتهم للحرف اللاتيني، فقدوا العديد من مقوماتهم الحضارية، وهوياتهم الثقافية، فيما دول أخرى تختلف كتاباتهم جدا عن الحرف اللاتيني، فاقوا الدول الغربية نفسها ثقافة وتقنية وعلماء. والحقيقة أن هذه العملية تمت، كما صرح بذلك مستشرقون آخرون، لأن المصلحة الغربية أجبرت المؤتمرات والحاضرين فيها على البحث عن طرق تحويل تلك الحروف لتيسير الدبلوماسية الغربية والمبادلات التجارية والثقافية وفق الحاجيات الغربية أيضا. بل إن الغاية النهائية هي عولمة الحرف اللاتيني في إطار سيطرة كاملة لأصحابه^(٦).

(١) يمكن التعرف على ذلك ص ٧٥ من الرسالة.

(٢) A. Lefebvre: Le premier Congrès International des Orientalistes ... p.7.

(٣) Ibid. - p.7.

(٤) تم ذلك في مواضع عدة من الرسالة، من ذلك مثلا ما ورد ص ١٥٧ من الرسالة.

(٥) Lucien Adams: Congrès International des Orientalistes -... p.7.

(٦) سبق التعرض للموضوع ص ١٠٩ فما بعدها من الرسالة.

فالحرف اللاتيني إذن، ومحاولة إحلالة مكان الحروف الأخرى، صورة من صور التكبر والاستعلاء العنصري الغربي، وانطباع كذلك لصور الدراسات ذات الطابع العنصري الذي سارته مؤتمرات المستشرقين العالمية. من هنا، ومن هذه العناصر الثلاثة، يمكن استنتاج أن إحدى سمات المؤتمرات اتباع التيار العنصري الغربي، الذي عايش المؤتمرات حقبة طويلة من عمرها، وهو ما يوضح تأقلمها مع هذا المسار الفكري.

- تفاعل المؤتمرات مع المناهج والتيارات العلمية: ظهرت المؤتمرات في حقبة تنوعت فيها التيارات الفكرية العديدة، وتركزت مناهج بحثية متنوعة^(١). هذا الثراء الثقافي كان له أثره أيضا في المسار العلمي الاستشراقي في مؤتمرات المستشرقين العالمية. ومن هنا نجد تنوعا كبيرا في دراسات المستشرقين المعروضة. فهناك على سبيل المثال الموضوعات الأدبية، والموضوعات الدينية، والموضوعات الاجتماعية، وكذلك السياسية والاقتصادية، كما نجد بحثا كثيرة انبنت على المنهج التطوري، وأخرى على مناهج التحليل التاريخية، وهذان النوعان يغلبان على جل الدراسات، كما اتبعت دراسات أخرى المناهج الاقتصادية، وتوفرت مناهج التحليل الأدبي، ولعل منهج التحليل التاريخي للدين كان موجودا في جل المؤتمرات، ولاسيما في تحليل النصرانية والعهد القديم والحديث^(٢).

والغالب على هذه الدراسات الناحية التجريدية، إذ إن المستشرقين غالبا ما يتناولون هذه المناهج قوائم صماء، تطبق على الظواهر التي يبحثونها، بحيث قد يطوعون الأحداث للنهج الذي يتبعونه، دون النظر للمؤثرات الأخرى التي قد تكون أثرت في الظاهرة المدروسة، والتي لا تدخل في منظور المنهج الذي يتبعه الباحث، من ذلك ما مر بنا من نتائج في المؤتمر الرابع عشر بالجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، لما قدم المستشرق "فولرس" دراسته عن اللغات العربية الأدبية واللهجات في الجزيرة العربية القديمة، ومقصوده السابقة عن الإسلام،

(١) سبقَت الإشارة لهذا الموضوع ص ٤٨ وما بعدها من الرسالة.

(٢) سبق بيان نوعيات من هذا التوجه، من ذلك مثلا ما ورد ص ٥٦ من الرسالة وما بعدها.

"وذهب مبدئياً اعتقاده أن في بعض سور القرآن الكريم المنزل بلسان عربي مبين، ألفاظاً بل جمل عامية"^(١)، الأمر الذي أحدث خلاقات في المجلس، وحصلت مشادة بين هذا المستشرق والحاضرين من المسلمين، منهم عبد العزيز جوايش، الذي بين أن "العامية تعني اللهجة البعيدة عن الفصحى المملوءة لحناً، لم تكن إلا بعد ما استعمل العجم لغة العرب وحرفوها وأفسدوها، لعجزهم عن النطق ببعض الأصوات كما ينبغي النطق بها، ولجهلهم بقواعد اللغة"^(٢).

فهذا المستشرق اتبع منهجه الذي أراد أن يوصله لوجود لهجة عامية في القرآن، جرد هذا التوجه عما سواه من المؤثرات، الأمر الذي أدى إلى ردة فعل ربما ما كان يتصورها، إذ لم يرد عليه جوايش فقط، بل غيره أيضاً، من ضمنهم محمد أبو شنب، أحد المتقنين الجزائريين إذ ذاك^(٣). فهذا مثال عن تجريد المناهج واتباعها كما وردت، إذ إن تلك الفترة شهدت ما يشبه نقديس المناهج والتبيارات، كالوجودية والديالكتيكية التاريخية، والمنهج التطوري بصفة خاصة.

كما وجد التلاعب بالمناهج كذلك، بحيث يضع الباحث هدفه، ويستخدم ما يقدر عليه من المناهج ليصل للنتيجة التي يريدتها. ومن ذلك دراسة "جوستاف ويل G. WEIL"، بعنوان "هل عرف محمد القراءة والكتابة؟" Mohamet savait-il lire et ecrire ؟، وقد ألقاها المستشرق في مؤتمر المستشرقين العالمي الرابع، الذي انعقد بـ"فلورنسا"، في العام ١٨٧٨ م (١٢٩٥ هـ). فاستخدم ما أمكن من القواميس اللغوية، والمقارنات الفيلولوجية، والأساليب التحليلية، وقرن بين دراسات العديد من المستشرقين والفيلولوجيين، ليثبت ببراعة أن النبي ﷺ كان أمياً وليس قارئاً ولا كاتباً، حتى إنه يوهم أنه يدافع عن هذه الحقيقة ويفند ما سواها. لكن الحقيقة، أنه طرح دراسته لا ليستغلها لتفنيد ذلك الزعم الذي يدعي كتابته (ﷺ) للقرآن، لكن ليستنتج في خاتمة بحثه ما يلي: "فيما تبقى، يكفيكم سادتي أن تقطعوا القرآن قراءة من الدفة إلى الأخرى بتمعن، حتى تعلموا أن مدون هذا الكتاب إنما هو رجل غير متقف، فيمكن تكلمهم سوء التنظيم الذي يسوده،

(١) إسماعيل العربي: الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي - ص ٧٤.

(٢) المرجع نفسه - ص ٧٤.

(٣) المرجع نفسه - ص ٧٥.

والتناقضات والتكرار المزدحم فيه، وذلك بتقبل أن محمداً كان يرتجل أقواله وأنه لم يكن يملئ إلا جزءاً يسيراً منها، وأن الجزء الكبير كان يحفظ بصفة تتفاوت في دقتها في أذهان الصحابة. كما أننا لم نستطع تفهم كيف سمح محمد (ﷺ)، بأن يبقى ما زعمه أقوالاً ربانية تحت رحمة عدد محدود من الأشخاص... وهذا يؤدي إلى التكهّن بأنه من الصعب تكوين نسخة منه متكاملة وصحيحة... لكن لو كانت له المعارف الضرورية بهذا الأمر، لاحتفظ لنفسه، للضرورة، بنسخة حررها بنفسه، ولترك للأجيال القادمة، بعد موته، كتاباً يكون النقص فيه أقل من ذلك الذي نقل إلينا عن طريق أبي بكر وعثمان (رضي الله عنهما)...^(١).

لا شك لدى المسلمين في أن النبي ﷺ أمي. ولا شك لديهم في أن قرآنهم وحي موحى به، بعكس المستشرقين الذين يضعون هذا الأمر موضع شك، ورفض أحياناً. وهذا المستشرق، انطلق من مرتكز صحيح، ليصل إلى القول بأن القرآن مزيف، حسب معتقده، وأنه ليس من وضع النبي ﷺ. بل خضع لعمل الصحابة من بعده. ولا نفوت الملاحظة أنه حصر نفسه في البحوث الفيلولوجية، وتجاهل الجانب التاريخي، كما أنه لم يعتمد أي كتب إسلامية متخصصة في هذا المجال ولم يتعرض للطريقة التي جمع بها القرآن لا نقداً ولا حتى تحليلاً، ويصعب الاعتقاد بأنه لم يطلع عليها، لكن بدعة ضرورة مراجعة التراث وفق مناهج غربية جديدة، والتي صدع بها المستشرقون وتلقفها أناسي كثير، إضافة إلى التفوق العرقي والعنصري والفكري، والنظرة الدونية للكتاب المسلمين قديمهم وحديثهم، هي التي أثرت تأثيراً كلياً في توجه هذا المستشرق البحثي. وواضح اعتقاده بعدم نبوة محمد ﷺ، كما أن هناك اتهاماً بأن هذا الوحي ألقى لرجل جاهل يتلاعب به. وحاصل الأمر أنه يشكك في مصداقية العقيدة الإسلامية، ومن ثم انطلق متجاهلاً ما كتبه المسلمون موثقاً معتقده على مدوناتهم، فما دامت العقيدة باطلة في نظره، فما كتب حولها كذلك. لكن كان عليه على الأقل مناقشة تلك الدراسات حول تدوين الوحي مناقشة داخلية في إطار معتقدات المسلمين، ليبين إن استطاع ما يراه غير

(١) WEIL G.: "Mohamet savait-il lire et ecrire?" – Atti del IV Congresso Internazionale degli Orientalistici-Florence-1878 - Volume primo- pp. 365 –366.

صحيح، ويبسط أدلته على ذلك، لكنه ما فعل هذا. فهو حرف المنهج العلمي الدرامي، مستخدماً ما يتناسب وقناعته الرئيسية، تاركاً جانباً ما سوى ذلك.

من الأمثلة المتقدمة، يتبين أن المؤتمرات واكبت تيار انتشار المناهج والتيارات الفكرية، التي سادت في الغرب وانتشرت فيه من قبل نشأتها، وصاحبها لفترات عدة، وكانت الأبحاث فيها تستخدم في العديد من المرات المناهج التي من شأنها أن توصلها للغاية التي ترغب فيها.

- المؤتمرات وهيمنة التيارات الإنسانية والاجتماعية: ظهرت التيارات الإنسانية والاجتماعية على الساحة المعرفية قبيل انطلاق مؤتمرات المستشرقين العالمية، وما لبثت أن هيمنت على المسارات العلمية، وزاد من قوتها ما حصل في أوروبا من دمار نتيجة الحروب الداخلية ثم الحربين العالميتين، هذه المآسي ساهمت في بروز هذا التيار بأفكاره واتجاهاته ومدارسه ومذاهبه، وبالتالي سيطرت مناهجه على جل الفنون الأدبية والفنية والعلمية. وطرح موضوع الإنسانية للدرس في مؤتمرات المستشرقين العالمية. من هؤلاء "ريمون شواب"، الذي سبق التعرض لأفكاره تلك^(١).

كما عدت مؤتمرات المستشرقين العالمية جزءاً لا يتجزأ من الدراسات الإنسانية. وعبر عن هذا في مرات كثيرة ومتعددة، وعدت أعماله إنسانية، ودراساته للمجتمعات خدمة إنسانية، بل حتى دعواته لتغيير الحروف الشرقية للحرف اللاتيني عدت من باب العمل الإنساني، ودعواته المؤيدة للاستعمار إنسانية، بما أنهم يدعون أن الاستعمار عمل إنساني.

ولما تم الكشف عن حقيقة العمل الاستشراقي، وأضحى مصطلح "مستشرق" و"استشراق" مكروهين في الشرق ومنبوذين في الغرب، سارعت المؤتمرات لتغيير مسماها، واختارت لفظ الإنسانية ليحل محلها، وأصبحت تدعى "المؤتمرات العالمية للعلوم الإنسانية بآسيا وشمال إفريقيا"، ومن ثم حاولت المؤتمرات أن ينصب اهتمامها على هذا الترجمة الإنسانية.

ارتبطت الدراسات الإنسانية، بالأبحاث الاجتماعية كذلك. فقد تعددت المدارس الاجتماعية، وانتشرت مناهجها، وتنوعت مياديتها، وانتشرت في

(١) ص ٥٥٦ فما بعدها من الرسالة.

الدراسات الاستثنائية عامة. وكان رواد المدرسة الاستثنائية الاجتماعية، المستشرقين الأمريكيين، ولاسيما مستشرفي الولايات المتحدة الأمريكية. وهؤلاء استطاعوا بسط نفوذهم على الساحة المعرفية، بعد أن تمكنت بلادهم من بسط نفوذها السياسي والاقتصادي، وتوفرت لهم إمكانيات البحث والدراسة والنشر. كما أنها قدرت على استقطاب العديد من الباحثين العالميين، الذين تبنوا أفكارهم.

من ثم، كان لهذه النوعية من الدراسات مكانتها في أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية، وتأثرت بحوث عدة بذلك التوجه الجديد في الموضوعات الاستثنائية^(١). ولا ريب في ذلك، بما أن المؤتمرات تدرس مجتمعات متعددة في عمومها، لكن بعد أن كانت تدرس وفق وجهات نظر شخصية، تم تأطير تلك البحوث وفق المناهج الاجتماعية في البحث. وينضح هذا التوجه بكل يسر إذا ما نظرنا في مسار الندوات العلمية مثلا، إذ كان للموضوعات الاجتماعية نصيب الأسد فيها^(٢).

وهكذا عدت مؤتمرات المستشرقين العالمية من باب الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وتخضع بحوثها نظريا، لمناهج العلمين وتفسير وفقهما في أغلب الأحيان، إضافة إلى المبادئ الأخرى، التي يتم ربطها عادة بهذين الجانبين، كالاقتصاد والتقنية التي كثيرا ما يبحث أثرها في المجتمعات، وما تحدثه فيها من تحويرات وتحولات اجتماعية وثقافية^(٣).

من كل ما سبق، يتبين أن المؤتمرات كانت قادرة دائما على التأقلم وفق المسارات الثقافية التي تعيش فيها. وكل ظاهرة ثقافية ما، تنطبع على مسارات دراسات المؤتمرات. فالمؤتمرات مفتوحة أبوابها لكل المشاركين، ولكافة المشاركين. ولا ريب في أن جل المدارس الثقافية تجد لها مشايعين بعرضون دراساتهم فيها. وبالتالي تظهر تلك البحوث حاملة جل التوجهات الموجودة على الساحة المعرفية، ومن باب تلاقح الأفكار، لا ترد تلك النوعيات. وقد كانت

(١) تم التعرض لهذا التيار ص ٥٥٤ من الرسالة فما بعدها.

(٢) تم عرض هذه الندوات بالملحق رقم ١٨ ص ٦٩٣ من الرسالة وما بعدها.

(٣) مثال ذلك ما تم ذكره بالملحق رقم ١٨ ص ٦٩٣ وما بعدها من الرسالة.

المؤتمرات من قبل تختار الدراسات التي يتم عرضها، لكنها ما لبثت أن أصبحت تجمع كل ما يقدم إليها من دراسات، ولا ترد في الغالب أي منها. ومن هنا، تجد كل التوجهات عادة، آثارها مرسومة في أعمال المؤتمرات.

٣ - الحرص على تنمية المسار الاستشراقي:

هذه الخصيصة، تعد أهم خصائص المؤتمرات. فقد أنشئت المؤتمرات أساسا من أجل المحافظة على المسار الاستشراقي وتنميته، ومن ثم سعت جاهدة لتشجيع أعمال استشراقية جديدة، والتتظير لأخرى تحتاج اهتمامات خاصة، ببيان جوانبها المتعددة، كما أنها كانت تسعى لتقديم توصيات من شأنها جلب الاهتمامات لإنجازات استشراقية تحتاج للدعم المادي والسياسي والعلمي^(١).

في مجال تنمية الدراسات الاستشراقية، حرص المستشرقون من خلال المؤتمرات على تنمية الثقافة الاستشراقية في الغرب، والتشجيع على التوجه نحو هذه الميادين، وفتح مجالات أخرى، وتكوين جمعيات ومؤسسات، ودعوة الجامعات لفتح معاهد وأقسام متخصصة في هذا المجال، ودعت للناية بالفلكلور الشرقي ونوهت بقيام جمعيات متخصصة في ذلك، وكذلك دعت للنناية بالآثار والمعالم الأثرية، ورحبت بهيئات متخصصة فيها، كما دعت لتجميع الأعمال الاستشراقية وطباعتها ونشرها. وشجعت فهارس وقواميس وببليوغرافيات، وشجعت كل ما يخدم المسار الاستشراقي^(٢).

كما كانت تقدم بطاقات لبيئات علمية وسياسية من أجل النهوض بالأعمال الاستشراقية، وتهيب بهيئات أخرى المحافظة على ذخائر شرقية، كالأثار والمخطوطات والأوراق والمسكوكات والظواهر الفلكلورية وغيرها من المقومات الشرقية. وكثيرا ما كانت توجه رسائل شكر في هذا المجال^(٣). كما أنها عادة ما تساير السياسة والسياسيين من أجل خدمة الهدف هذا. بل إنها رغم تأييدها

(١) حال هذا الموضوع ص ٥٤٣ من الرسالة فما بعد.

(٢) تحليل كل هذه الموضوعات ص ٥٥٠ وما بعدها من الرسالة.

(٣) تم تحليل الموضوع ص ٥٦٠ من الرسالة.

للاستعمار، فقد كانت هي ذاتها تتبادل المنافع معه لمصلحة الاستشراق وخدمة البحوث الاستشرافية وتنميتها^(١)، إذ كانت الفرصة إذ ذاك مواتية لمعايشة الشرقيين والقيام ببحوث تجريبية مباشرة، عوض الاكتفاء بالبحوث النظرية ودراسة الكتب والمخطوطات التي حصلوا عليها من الغرب، أو الاكتفاء بكتابات من وإنتهم الفرصة منهم لزيارة الشرق والكتابة حوله.

من جهة أخرى، تبنت المؤتمرات نفسها أعمالا استشرافية، تم إنجاز البعض منها، مثل دائرة المعارف الإسلامية^(٢)، في حين بلغت موضوعات أخرى درجات أقل منها في سلم النجاح، مثل نقل الحروف الشرقية للحرف اللاتيني، فيما بعض المقترحات الاستشرافية لا يكتب لها النجاح وقد ترد.

هذه الخصيصة، وكما سبق، هي الأهم من غيرها. وهي المحور الذي دارت حوله معظم الدراسات الاستشرافية في المؤتمرات. وخلال البحث هذا تم التعويض لهذه المسألة بإطناب في مواطن عدة: فكان لها الموقع الكبير في عملية تأثير المؤتمرات، في الجوانب السياسية والثقافية، كما أنها كانت إحدى أهدافها.

تلك إذن هي أهم خصائص مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي كانت تنقسم بها، سواء من الناحية الإدارية التنظيمية، أو من ناحية المسار العلمي. هذه الخصائص تميزت بها المؤتمرات عن غيرها، وقدرت بالتالي على أن يستمر نشاطها طيلة هذه الحقبة الطويلة من الزمن. فقد استطاعت المحافظة على مسارها طوال قرن وربع من الزمن، ولا زالت تخطط لمواصلة عملها ونشاطها، للمؤتمرات التي تمتاز بها، ولقدرتها على تجميع أعداد كبيرة من الباحثين العاملين من حولها. كما أن نشاطها العلمي، وحرصها على تنمية قدراتها المعرفية، وتمكنها من التعايش مع كل الفعاليات والتيارات العلمية، وربطها بنشاطها ذلك بتطور المعارف الاستشرافية، كلها تساهم في تجديد نشاطها، وتمديد عمر عملها لحقبة زمنية أخرى، إلا أن يشاء الله أمرا آخر.

(١) سبق تحليل الموضوع ص ٥٧٤ من الرسالة.

(٢) سبق التعرض للموضوع بالتحليل ص ٥٧٥ من الرسالة.

بهذا يتم الحديث حول خصائص المؤتمرات بصفة عامة. فقد كانت فعالة جدا، بحيث إنها كانت متأثرة بالعوامل المحيطة بها، ولا عجب في ذلك، إذ إنها مفتوحة لكل التيارات والفعاليات الثقافية، مهما كانت توجهاتها وميولها وقناعاتها، والمهم أن الموضوع الرئيس لها هو الشرق والدراسات الشرقية، وكل ما يتعلق بالدراسات الاستشرافية، كما أنها كانت مؤثرة في الوسط المحيط بها، ولا سيما حرصها على تنمية القدرات الاستشرافية، والمساهمة من جانبها في تطوير البحث الاستشرافي. كما كانت تساهم في النمو بمحيطها والرقى به، وفق نظرة العصر الذي تعيش فيه، ومن ثم أيدت المصالح العليا لديني جنسها، وكسبت دعمهم لها هي أيضا، بحيث هينوا لها التأييد والمساعدة، كما وافقوها على تبني بعض توصياتها، المتعلقة بالرقى بالميدان الاستشرافي.

هذه المقرة، هيأت خصائص عدة، كان لها الفضل في الرقي بأعمال المؤتمرات، وأنشطتها، وساعدتها على تأطير فعاليتها، وعلى الإيمان برسالتها، ومواصلتها القيام بدورها. كما أن هذه الميزات، مكنت للمؤتمرات، إذ ساعدتها على تخطي العقبات التي حاولت عرقلة مسيرتها، وأنقذتها من عثراتها التي صادفتها في طريقها، ولازالت المؤتمرات تواصل عملها، وتظهر المؤشرات المحيطة بها أنها ستواصل نشاطها، إلى ما شاء الله.

الفصل الثاني: المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية

المبحث الأول: المؤثرات الدينية

المبحث الثاني: المؤثرات السياسية

المبحث الثالث: المؤثرات الثقافية

المبحث الرابع: المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية

الفصل الثاني: المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

من خلال تناولنا للمؤتمرات بالدرس والتحليل، تبين وجود مؤثرات عدة في الجانب العلمي للمؤتمرات. فالمعلوم أن الهدف من نشأة المؤتمرات هو البحث العلمي الاستشراقي، والذي كان ينحصر في الفيلولوجيا اللغوية والتحليلات الثقافية، من تاريخية وأدبية ودينية وفنون، ودراسات اجتماعية من بحوث عرقية وإثنولوجية وعادات وتقاليد وغيرها. لكن ما لبث الأمر أن تدخلت المصالح الغربية العليا، من دينية وسياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية، لتحول توجه المؤتمرات الأساس، وانطلق ذلك منذ المؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ). . يجسم مثل هذه المؤثرات، والتي قد تكون متناقضة أحيانا المستشرق الياباني "ياماموتو تاتسورو"، رئيس المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، وذلك في المؤتمر ذاته فقال: "إن العديد منا يملك فرصة حضور المناقشات المتعلقة بنظريات مختلفة تماما، مثل الاستعمار ومقاومة الاستعمار، الرأسمالية والشيوعية، الحرية والجبرية، أو المزيد من الأمور النظرية، والسلوكية والعقلانية، وهكذا. لكن تجربتنا تبين أن هذا النوع من مزيد تبسيط المقابلة والمقارنة للأفكار المتباينة، لا يؤدي إلى نتائج مثمرة"^(١).

من جهة أخرى، من المفيد التخصيص على أن المقصود بالمؤثرات هي الخلفيات الثقافية اللاتينية، والأفكار السابقة الغربية، والموروثات الحضارية اللاتينية، والمقومات الاجتماعية والمصالح الضيقة الغربية. وبالتالي، لن يتم الحديث مثلا عن المؤثرات الدينية الشرقية، كالإسلام وغيره، بوصفها ليست من

(١) Yamamoto Tatsuro – Address – Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 – T1 – p. 30.

الخلفيات الثقافية الغربية، بل هي إحدى الميادين التي يتم تناولها بالدرس. كذلك
المعتقدات الثقافية والاجتماعية والشخصية الشرقية، للسبب ذاته.

من الناحية الدينية، أخذت النصرانية الحظ الأوفر من ترك آثارها في
المؤتمرات، واتضح قوة الأثر ذلك منذ المؤتمر الأول، سواء من ناحية نشر
الديانة، أو البحوث المتعلقة بالكتاب المقدس. كما نجد لليهودية أثرها كذلك، من
خلال البحث عن الأصل الشرقي اليهودي، أو تحليل طبعهم وحياتهم، كما كان
للمستشرقين الصهاينة الإسرائيليين أثرهم ودورهم الفعال، ولاسيما منذ فرض قيام
الكيان الصهيوني في فلسطين.

أما الناحية السياسية، فما يعقد مؤتمر إلا تحت رعاية أكابر الحكومة، كما أن
الساسة يرسلون ممثلين عنهم، وهناك مهام عدة لا يمكن أن يقوم بها إلا الساسة أو
بدعم منهم، كما أن للظروف السياسية أثرها في المؤتمرات. وكان الفكر
الاستعماري مسيطرا على المؤتمرات والمستشرقين، ولاسيما في الحقبين الأولى
والثانية.

من الناحية الثقافية، سعت المؤتمرات، لمسايرة التوجه الثقافي العام،
ولاسيما مفاهيم الحضارة والثقافة، وتفاعلهما بين الشرق والغرب.
للجانب الاجتماعي أثره في البحوث، وذلك بالتركيز عليها، والبحث عن
أصول تغيرها. كما جعلت القيم الغربية المقياس الذي توزن به حياة الشرقيين
اليومية، مثل شؤون المرأة والعادات والعلاقات الاجتماعية.

وللجانب الاقتصادي دوره الرئيس من التأثير في مسار المؤتمرات، منذ
المؤتمر الأول كذلك، وبالنسبة كثيرا ما ركزت دراسات المستشرقين وأبحاثهم
حوله، ولاسيما في المؤتمرات الأولى والأخيرة، ودرست الموارد الاقتصادية
والتوجهات الاقتصادية وعلاقاتها بالتحولات الاجتماعية.

هذه هي المؤثرات الرئيسة في مؤتمرات المستشرقين العالمية، والتي من
شأنها أن تتضح من خلال تحليلها وبيانها فيما يلي من الدرس. والمعلوم أنه لا
يمكن تناول كل هذه المؤثرات والتأثيرات المتنوعة لذا، سيكتفى باعتماد عينة منها
فقط في كل عنصر من العناصر المتناولة.

المبحث الأول: المؤتمرات الدينية

كانت الكنيسة تسير كل تحول وتوازيه في الممارس، وتلاحق كل تطور وتستغله، حتى لا تفوتها تلك المبادر، وهذا التناقص يجسمه "أريزي" قائلا: "بينما كان للتاجر يسعى في تحصيل النفع المادي من علاقاته بالشعوب الشرقية، إن بالمنصر الإنجيلي يسبقه تارة أو يتبعه حثيثا تارة أخرى، وقد امتلأ حماسة شريفة أن يحقق أمر معلمه المسيح بالذهاب إلى كل العالم والتبشير بالإنجيل إلى كل مخلوق... وهكذا يكون هناك دلالة رمزية في أنه بينما كان مؤسس أول كرسي للعرية في كامبردج سنة ١٦٣٢م (١٠٤١هـ) رجلا علمانيا هو "السر توماس آدمز"، كان مؤسس الكرسي المنقسط له بأكسفورد سنة ١٦٣٦م (١٠٤٥هـ)، رئيس الأساقفة "لود" نفسه^(١). وتواصلت هذه المنافسة في المسارات مع الانتشار الاستعماري ونمو الدراسات الاستشرافية.

ولما بدرت فكرة عقد مؤتمرات للمستشرقين، كان أرباب التصراعية من الأوائل الذين وقفوا مع الخطوة ساعين لإتجاحها. وكان لهم دورهم الإداري، والعلمي، وهذا الأخير كانوا يعلنون فيه مبادئهم ونتائج أعمالهم ومخططاتهم وقناعاتهم دون وجل. ومن ثم اتخذوا المؤتمرات منبر دعاية وتعريف لهم.

من جهة أخرى، كان للكتاب المقدس دوره الهام في مؤتمرات المستشرقين العالمية، فقد أخذ حيزا كبيرا من دراساتها، سواء من المنصرين والكنسيين، أو من العلمانيين والمعارضين للكنيسة، وكل يوجه طريقة دراساته الوجهة التي يراها مناسبة وقناعاته وتوجهاته، وساعد في ذلك المكتشفات التي تتوالى عن مصادر جديدة تتعلق بالكتاب المقدس أو أجزاء منه أو دراسات عنه.

ومر بنا أن الغربيين ضاقوا ذرعا من اليهود، وهؤلاء أحسوا بذلك، ولاسيما بعد أن تعرضوا للعديد من الحركات المقامة ضدهم، لأسباب عدة ليس هذا مجالها، تتعلق بصفة خاصة بالانفسية اليهودية والتركيبة العنصرية التي يعيشونها وسط الأقوام الآخرين، ومن هنا انبروا يبحثون عن مكان تجمع لهم، سواء من

(١) أريزي أ. ج.: المستشرقون البريطانيون - ص ١٤ - ١٥.

قبلهم حتى يتحرروا من الضغوط والكرامية الموجهة نحوهم، أو من قبل الغربيين الذين يودون التخلص منهم، ومن هنا طرحت المسألة اليهودية في العالم الغربي، وكانوا يستغلون أي منبر أو تجمع أو فرصة حتى يتم تناول موضوعهم بالتحليل. وبالتالي كانت مؤتمرات المستشرقين العالمية، ولا تزال إحدى تلك المنابر. فقد استغلت منذ نشأتها لدراسة اليهود عموماً، أما الأخباريات فبرز فيها العنصر اليهودي بقوة، ولاسيما الصهاينة الإسرائيليين الذين احتلوا حيزاً لا بأس به من المساهمة في المؤتمرات، وتلقت دراساتهم، وكونوا مدرسة استشرافية صهيونية-إسرائيلية في فلسطين.

هذان المؤثران النصرانية واليهودية، هي التي تبيين الأثر الديني في المؤتمرات، وسيتم تحليلها فيما يلي.

١ - الأثر النصراني في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

يمكن تحليل الأثر النصراني في مؤتمرات المستشرقين العالمية، من خلال العناصر التالية:

- أ - وسائل المنصرين في نشر النصرانية.
- ب - تحليل أزمة العقيدة النصرانية.
- ج - العلاقة بين السياسة والتتصير.

أ - وسائل المنصرين في نشر النصرانية:

فيما يتعلق بهذا الجانب، نجد للمنصرين عموماً، والمستشرقين منهم خاصة، وسائل وأساليب عدة في استغلال المجتمعات قصد نشر ديانتهم. ومن هذه الوسائل والأساليب تعلم اللغات ونشر الكتب وطبعها، والتعليم والتتقيف، ومخالطة الشعوب، وشغل المناصب الشاغرة من النصاري، وإيجاد مراكز تنصيرية.

— تعلم اللغات: من أهم ما عرض له المستشرقون المنصرون في المؤتمرات. فقد كانوا يشيدون بتفاني المنصرين في تعلم لغات المجتمعات التي ولجوها قصد التنصير، بل كانوا سباقين في أحيان عدة لطرق هذا الموضوع

وتحليله، إذا ما قارناهم بالمستشرقين. وقد سبق الحديث عن هذا^(١)، لكن يمكن إضافة بعض الشواهد. فعند حديثه عن اللغة الصينية، يتحدث "ليون دو روسني" في المؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) قائلا: "...يمكننا القول بأن الدراسات هذه ظلت قابعة في ميدان مقصور على المنصرين، ولا سيما الفرنسيين..."^(٢)، ويؤيد القول، ما ذكره "فون كريمر"، حول اللغة الصينية ذاتها التي يقر بصعوبتها، ولذا "لم يقدر أي عالم أوروبي على فهمها ما عدا بعض المنصرين"^(٣).

ومن اهتمامهم باللغات، سبقهم لمحاولة نقل الحروف المحلية لتكتب بالحرف اللاتيني، دلل على هذا المستشرق "ليون فير"^(٤) عند كلامه عن إحدى كلمات اللغة التبتية التي يدرسها، وبين هذا السابق بوضوح أدق، المستشرق "لوي دو زيلنسكي"^(٥)، لما تحدث عن نقل الحروف اليابانية للحرف اللاتيني، من جهة أخرى، كان للدافع التصوري دوره البارز في تعلم لغة الشعوب التي يبتون فيها دعوتهم، من هؤلاء المستشرق "هنري بارتود"، لما كان ينصر بإفريقيا^(٦). كما يرى المستشرقون أن الفضل يعود للمنصرين في إبراز بعض اللغات، من ذلك لغة التزونجا^(٧).

(١) ثم ذلك ص من الرسالة.

(2) Leon de Rosney: Stanislas Julien - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premier partie - Huitieme Seance - p. 385.

(3) Von Kremer - Die Eeffrungstizung des Congress - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol1 - T1 - p. 38.

(4) Leon Feer: Etymologie, histoire, orthographe du mot Tibet - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T3 - p. 64 .

(5) Louis de Zelinsky: Transcription Europeenne des textes japonais - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie - Neuvieme seances - p. 392 .

(6) Henry Berthoud: " Quelques remarques sur la famille des langues barntou et sur la langue Tzonga en particulier " - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes- Geneve -1894 -Quatrieme partie - Quatrieme section - p. 170

ويركز المستشرقون كذلك على اللهجات في أثناء دراساتهم اللغوية، وهذا ميدان يهتم به المستشرقون اهتماما كبيرا، من ذلك ما نص عليه "والتر إليوت" عن اللغات البنغالية، وفيه: "نشر العديد من المنصرين نتائج دراساتهم للعامية..."^(٧).

— طبع الكتب ونشرها: يهتم المستشرقون والمنصرون منهم بخاصة، بنشر الكتب، سواء منها الموجهة للتصوير، أو تلك التي تتعلق بدراسات تصنييرية أو استشرافية. فقد سبق ذكر جمعيتي إخوة "سان جوريس"، التي عرضت سستا وثلاثين عنوانا من منشوراتها في معرض المؤتمر السادس بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، و"M. R. N. Crist"، قرابة سبعة وعشرين عنوانا^(٨). وقد كان العديد من المنصرين يدعو لطبع الكتب ويحث عليه. من ذلك ما ذكره الممتشوق "دسوف" في المؤتمر الثامن، بستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، في أثناء حديثه عن أعمال النصاري في أرمينيا^(٩).

إلا أن هذه الكتابات المنشورة لا تكون دائما سليمة، بل قد يوجد فيها خلل أو أكثر. وهذا ما أخذه المستشرق المنصر "بارتود"، على الأب "ج. توراند J. Torrend" من الإرسالية الكاثوليكية بزمبار^(١٠).

— التتقيف والتعليم: أظهرت مؤتمرات المستشرقين العالمية، بعض أساليب المنصرين في تعليم الشرقيين وتتقيفهم، ووصف مدى حماسهم ومثابرتهم على مثل هذا العمل، ولاسيما في المناطق الجاهلة. من هؤلاء "لأنجنهوف"، المهتم

(٧) Carlos Conti Rossini: "Rapport sur le progres des etudes Ethiopiennes depuis le dernier congres" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T3 - section IV - p. 169 .

(٨) Ibid. - Quatrieme partie - Quatrieme section - p. 171.

(٩) Walter Elliot - Address - The Turanian section - Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p 59 .

(١٠) Listes des Ouvrages offerts au 6eme Congres - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 190 - 191.

(١١) Ibid. troisieme partie - - pp. 77 - 78 .

(١٢) Henry Berthoud: " Quelques remarques sur la famille des langues bamtoug et sur la langue Tzonga en particulier " - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - Quatrieme partie - Quatrieme section - p. 170.

بالدialeك^(١). كما أن استغلال الأماكن الجاهلة بكل ثقافة وتعليم، من رغبات المنصرين، إذ يتفانون في سبيل استغلال عامل المعرفة، من أجل تيسير أمر التتصير. ويذكر في هذا المجال مداخلة "جريمال دو جويرودون" فسي المؤتمر السابع بـ"قيانا" سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ) الذي بين تفاني المنصرين في هذا المجال الذين لا يكتفون بالتعليم المجرد، بل يستغلون جهل المجتمعات فيغيرون حتى طريقة كتابتهم الأصلية، لتكتب بالأحرف اللاتينية^(٢)، كما يدرسونهم اللغات الأوروبية الحية^(٣).

من جهة أخرى، يسعى المنصرون لتخريج أكبر عدد ممكن من الطلبة على أيديهم، حتى يحلوا محلهم ويقوموا بعملهم نيابة عنهم. من ذلك ما ذكره القديس "لانجهوف" عن التجربة التي تمت على أسرة مالايوية حديثة بدون أولاد، ثم عينوا معلمين في مدرسة "حتى يتقفا مواطنيهم وينصرائهم"^(٤)، ومن هذا يتبين أهمية تجهيز منصرين من المجتمع العاملين فيه.

— النضحية والمغامرة ومواجهة المخاطر: لا ينتظر المنصرون أن تأتي المجتمعات والناس إليهم، بل إنهم يبادرون بمواجهة المخاطر ومجابهتها. وأشهر ما مر في المؤتمرات، مغامرة القديس "لانجهوف" مع قبائل الداياك المالايوية^(٥). ومن هذه القصة يتبين أن المنصرين يهتمون بالمواطنين الذين يريدون كسبهم ويغامرون بمخاطبتهم والتقرب إليهم، ويتجشمون المصاعب من أجل مهمتهم.

(1) Labbe Langenhoff: L'interieur de Borneo - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie - onzieme seance - etudes Oceaniennes - pp. 530 - 531.

(2) Th. Grimal de Guiraudon: "Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 93 .

(3) Ibid. - Vol 2 - T2 - p. 93 .

(4) Labbe Langenhoff: "L'interieur de Borneo" - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie - onzieme seance - etudes Oceaniennes - p. 507.

(5) Ibid. p. premiere partie - p. 505 ...etc.

— شغل المناصب الهامة: في هذا المجال يمكن ذكر مثالين هامين، الأول هو قصة الزوجين الإندونيسيين الذين نصرنا ثم ثقفا وأرسلا إلى موطنهم لنشر التنصير والثقافة الجديدة^(١)، إذ دأب المنصرون بمساعدة المستعمرين على تولية أتباعهم مناصب شاعرة ومواطن مهمة خاوية، ولاسيما التربية والتعليم والتنقيف، وذلك لما لها من أهمية غير هينة في أي مجتمع من المجتمعات. أما المثال الآخر، فهو ما ذكره "كارل بيا"، ويتعلق بالمستشرق المتخصص في الدراسات الفرعونية، بحيث إنه "خصص لتلك اللغة مصريين نصارى"^(٢). حتى تكون اليد العليا في علم المصريات، وهو علم حديث، للنصارى المصريين، وجعله مقصورا عليهم.

— البحث عن مراكز تنصيرية رئيسية: إن إيجاد أي مركز تنصيري يشرف على تنظيم ما يناط بعهدته من شأنه أن ينظم الحركة التنصيرية العالمية. في هذا المجال يمتدح المستشرق "مهرن" مدينة "فيرونا" الإيطالية، خلال انعقاد المؤتمر الرابع قائلا: "إن هذا البلد الجميل الذي قدم لنا اليوم ضيافة كبرى كان منذ قرون مركز الدراسات التنصيرية. ومن هذا المنطلق كانت له إشعاعاته على البلدان المجاورة رويدا رويدا نحو الشمال..."^(٣) فالمستشرق يذكر هنا بأيجاد هذه القلعة التنصيرية القديمة، عسى أن يبيت الروح فيها من جديد، فتعود لإشعاعها الماضي.

ب. تحليل أزمة العقيدة النصرانية:

يدعي المستشرقون المنصرون أنهم يسعون كغيرهم من أتباع الكنائس لنشر عقيدتهم من فكرة توحيد جميع الطوائف البشرية، تحت الراية الكنسية. يقرر هذا

(١) Ibid. p. 507.

(٢) Karl Piehl: "Quelques mots sur la vie et les œuvres de J. D. Akerblad" - Actes du Huitième Congrès International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Quatrième section - p. 64 .

(٣) A. F. Mehren: "Correspondance philosophique d'Ibn Sab'in avec l'empereur Frederic II" - Atti del IV Congresso Internazionale degli Orientalisti - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 371 - 372 .

"ماكس ميللر" أثناء حديثه عن النصرانية في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ) فيقول: "هذه الديانة تعد من الشرائع القليلة التي تسعى إلى إعادة توحيد جميع أفراد العالم الإنساني المتناثرين في الشرق والغرب، في إطار أخوة عالمية موحدة"^(١). إلا أن هذا الأمر لم يكن ميسورا على النصرانية تطبيقه، الأمر الذي جعلها تسقط في أزمت عديدة أثرت في مفهوم العقيدة عندها، فتسعى إلى تطوير نفسها بين الفينة والأخرى، وترى أنها مستهدفة من قبل قوى خارجة عنها. يسعى المستشرقون في مؤتمرات المستشرقين العالمية بحث قضية عقيدة التوحيد في الفكر النصراني، ومحاولة تنقيتها من العادات والتقاليد الدخيلة عندها. فهي تعاني من دخول العقائد الوثنية إليها. فكثيرا ما كان المنصرون الجدد يستصحبون معهم عقائدهم الوثنية، ومن ذلك ما ذكره "ليون دو روسني" في المؤتمر الأول سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) عن اليابانيين الذين اعتنقوا النصرانية، لم يتخلوا عن عقيدة الإيمان بـعفاريت سبعة، السابغ منهم وزوجه يعندهما بطريقة ما أباهم وأمههم الأولين... فإن اليابانيين الذين اعتنقوا النصرانية، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، يسمونها آدمهم وحواهم"^(٢).

ومن ذلك أيضا، مقارنة النصرانية بغيرها من العقائد، ولاسيما الوثنية منها. فهذا المستشرق "إيشهوف Eichhoff"، يقارن بين النصرانية والبراهمية في المؤتمر الأول، فيقول: "لقد تهيأت لي فرص عديدة لإثبات أن البراهمية كانت في أساسها ديانة موحدة، بحيث لم يفقها شرفا وعظمة في ذلك إلا النصرانية"^(٣). أما المستشرقة "كليمانس روجر Clemence Roger"، فقد قامت بمقارنة النصرانية باليهودية، وانطلقت من أصول التوحيد اليهودية واستخلصت أن مطاف التوحيد هو النصرانية، وذلك في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م

(١) Max Muller: Inaugural address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 33 .

(٢) Leon de Rosny: Les origines de la monarchie Japonaise - Atti del IV Congresso Internazionale degli Orientalisti - Florence - 1878 - Volume seconde - p. 327.

(٣) Eichhoff: La cosmogonie vedique - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris- 1873 -deuxieme partie - p. 105.

(١٣٥٧هـ)، فبعد تحليلها لمفهوم التوحيد قالت: "وبالفعل، فإن هذا هو التوحيد العبري خلال الحقبة الأخيرة، انطلاقاً من مدرسة الأنبياء وحتى العصر النصراني، بل حتى أيامنا هذه حيث لم تزل تحافظ على نقائها من أي نوع من أنواع الشرك، إلا النصرانية وحدها"^(١).

ولا تتجاهل المؤتمرات الدين الإسلامي، وبيان أن النصرانية تسعى بكل جهدها لمناقصته من جهتها أيضاً، ولا يبدو أنها لا تخاف أي دين آخر غيره. فهذا "لانتجهوف" الخائف من تحقيق المسلمين نجاحاً ملموساً وسط القبائل الوثنية المالوية، يلزم الدايك المسلمين بأنهم "أصبحوا وسائل عمياء ومتعصبة في أيدي المحمديين، وفقراء الدايك هم أغلبية المتحولين"^(٢). هذا رأيه في الدايك المسلمين، في حين أنه وصف غيرهم من الطوائف الوثنية، رغم القسوة التي يتسمون بها في طباعهم وعاداتهم التي وصفها هو نفسه، باللطيف والرفقة وأثنى عليهم أيضاً ثلثه^(٣). ويستغل لانتجهوف هذا الخلل في الموازين فيدعو لضرورة قيام التوازن الديني بين الطرفين، فيقول "الدايك الذين سيتحولون إلى النصرانية، سيكونون ثقلاً مضاداً لحماس السلاطين، ويزيلون مفعول أثرهم وصخبهم الضار"^(٤). ومن هنا يظهر القلق من مزاحمة الإسلام للنصرانية.

من كل هذا يتضح أن النصرانية تعيش أزمة هوية في عقيدتها ومسارها التنصيري، ومعاملاتها المزدوجة مع الظاهرة الواحدة.

ج. العلاقة بين السياسة والتنصير:

عن العلاقة بين السياسة والتنصير، أثبتت بعض الدراسات في مؤتمرات المستشرقين العالمية أن هناك علاقات ربطت بين النصرانية والسلطة السياسية

(١) Mme Clemance Roger - Etude Indienne - Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 407.

(٢) Ibid. p. 531.

(٣) تم هذا في جل دراسته التي قدمها، من ذلك على سبيل المثال Ibid. p. 505...etc.

(٤) Ibid. p. 531.

منذ القرون الأولى من نشأة النصرانية، وأن المصالح هي التي كانت تميز هذه العلاقات. فقد تعمل السلطة السياسية على تقوية النصرانية وقد تعمل على تقويض سلطانها، وقد تتدخل في بعض شؤون الكنيسة والمنصرين.

فمن عمل السياسة على تقوية النصرانية، ما ذكره "ليون فير" حول قيام النصرانية على سوقها، إذ يقول: "إن انتصار النصرانية في القرون الأولى، لم يقرر إلا اليوم الذي أصبح فيه قسطنطين أمير الإمبراطورية ورئيسها نصرانياً، وجعل من دينه الجديد، الديانة الرسمية للدولة الرومانية"^(١). ويمضي المستشرق متحدثاً عن تاريخ العلاقة بين النصرانية والسلطة السياسية في العصور الوسطى فيقول: "إن قادة الكنيسة لم يستطيعوا طوال العصور الوسطى القيام بمهامهم دون مساعدة السلطة المدنية، أي القوة"^(٢).

ومع كل ذلك، تبقى القوة هي العامل المميز في كل تاريخ النصرانية "ونلاحظ دائماً أنه في تاريخ الكنيسة تكون القوة سندا في بعض الأحيان بدلا عن الإقناع"^(٣). وفي هذا إقرار من مستشرق غربي باستخدام أبناء جنسه القوة في سبيل نشر ديانته وثقافتهم. وهو ما يدل على أن ديانته ونفوذهما تتقوى بقوة السلطان وتضعف ما تضعف.

إلا أن الوثام بين السلطة السياسية والنصرانية كان يضعف أحيانا، بحيث تضطر الحكومة إلى التضييق على النصرانية، يبدو أن النصارى تمكنوا من السيطرة على "يزدجرد" ووجدوا عنده حظوة، يذكر ذلك المستشرق "درمشتيتر"، في المؤتمر الثامن بستوكهولم سنة ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ)، فما كان من الأخبار النصرانية إلا أن "تكلمت عنه بصيغة مختلفة تماما وذلك بتسميته "الصالح والرحيم، يزدرج، النصراني، مبارك هو بين الملوك"^(٤). إلا أن ما خفي على

(١) Leon Feer : La propagation du Bouddhisme hors de l'Inde - Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 406.

(٢) Ibid. p. 406.

(٣) Ibid. p. 406.

(٤) James Darmesteter: "La reine Shasyan Dokht"- Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - troisieme Partie - p. 195.

النصارى أن "يزدجرد" يرفض أن يكون لعبة في أيدي النصارى، ففي أواخر عهده، اعتقد النصارى أنهم تمكنوا منه، فأحرقوا معبد نار في الأهواز، فأمرهم بإعادة بنائه ثانية، مهدداً بإحراق كل الكنائس بفارس، وأمام رفض الكاهن ذلك، أمر بإعدامه، وارثه العديد من النصارى^(١). فالصفاء بين الجانبين لا يدوم، وكما تكون السلطة والقوة في صالح النصرانية فإنها يمكن أن تنقلب ضدها.

تلك نقاط هامة تتعلق بالأثر التصيري في مؤتمرات المستشرقين العالمية. وتكمن أهميتها في أنه لا يكاد يخلو مؤتمر من نوعية هذه الدراسات. فقد شاركوا في مؤتمرات المستشرقين العالمية منذ انطلاقتها، ودخلت مساهماتهم الدراسية فيها من أول مؤتمر أيضاً، وما طرح هنا ما هو إلا عينة بسيطة عن الموضوع.

٢ - الأثر اليهودي في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

للإهود أثرهم في دراسات مؤتمرات المستشرقين العالمية، سواء أكانوا هم موضوعاً لها أو ما قدموه هم أنفسهم من مساهمات. أما ما يخص الأمر الأول، سيتم التركيز في هذه الفترة على الدراسات التي تناولت اليهود واليهودية بالدرس والتحليل، وهذه الدراسات تبحث في عمومها في، تاريخ اليهود ومسارهم الحياتي. أما فيما يتعلق بمساهماتهم المباشرة في المؤتمرات، فقد تمّ التعرض لعينة هامة منها، عند الحديث عن الاستشراق الصهيوني-الإسرائيلي في المؤتمرات، وتمت دراسة الموضوع ذلك كما ونوعاً^(٢). وأما ما عداها، تمّ تسليط أضواء على جوانب عديدة تتعلق بتاريخ اليهود ومسار حياتهم اليومية والعامة. وسيتمّ التعرض لبعضها باختصار لبيانها وإيضاحها، وفق نقاط محددة، أمكن توزيع المشاركات وفقها.

أ - البحث عن أصل اليهود وتاريخهم.

ب - الجانب الديني من حياتهم وعلاقتهم بالأديان الأخرى.

(١) Ibid. p. 194.

(٢) تم ذلك في ص ٢٧٩ فما بعدها من الرسالة.

ج - معاناة الشتات والجهل والخيال.

د - عناية اليهود بحياتهم اليومية وحياتهم الذاتية القومية.

هـ - استغلال الظروف العامة وكيفية تعامل اليهود مع أعدائهم المهزومين.

أ - البحث عن أصل اليهود وتاريخهم:

يمثل أصل اليهود، إحدى المشكلات التي اهتمت بها المؤتمرات. وتكمن المعضلة في انعدام الثقة في المصادر اليهودية نفسها، ويرجع السبب في ذلك لاحتكار المتقنين لمثل تلك الأحداث التاريخية ومثيلاتها، وللجهل الثقافي في عامة الشعب اليهودي، وهذا ما أدى إلى تشويه الحقائق التاريخية، إذ إن الأصل في الأمم أنها اعتمدت الكتابة والتدوين للمحافظة على أحداثها التاريخية. إلا أن اليهود لم يتبعوا هذه المنهجية، بل هم اعتمدوا التلقي الشفوي لتعاليمهم، وهذه الطريقة لها مساوئ عدة، إذ إنها تعتمد "زيادة بعض الإضافات الكلامية، وتضخيم بعض التفاصيل الحقيقية، الأمر الذي يتيح الفرص لتكوين أساطير"⁽¹⁾. وفي هذا المسار نفسه، يصرح المستشرق "دانون" في المؤتمر الحادي عشر أيضاً، أنه برغم العناية الفائقة بدراسة التراث، الذي كتبه اليهود، تبقى المصادر اليهودية يشوبها الغموض⁽²⁾، إضافة إلى ذلك هناك تعدد لتزوير الحقائق التاريخية وتزييفها.

وفي حديثه عن التحليلات اليهودية لأعياد اليهود ومناسباتهم، الموجودة في "مجلة تانيث"، سواء في متنها أو حاشيتها، يقول "مويس شواب": "ويندر جداً أن يجد النقد التاريخي تسلسلاً متيناً وثابتاً بين البيانات الأولية، والحاشية..."⁽³⁾،

ويدعو الكاتب إلى إعادة النظر في تاريخ اليهود بعد السبعينية، ولاسيما الحقبة التاريخية الممتدة من احتلال بابل حتى استحواذ سلطات روما العسكرية النهائي

(1) Ibid. - T3 - Section IV - p. 202.

(2) M. Danon: "Les Superstitutions des Juifs ottomans" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T3 - Section VII - p. 236.

(3) Moise Schwab: "La Megillah Taanith ou "Aniversaire Historique"-Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T3 - Section IV - p. 205.

على يهودا^(١)، إذ هم بسبب المعاناة التي ذاقوها في الشتات، انطلقوا يوسعون معارفهم "حتى يطلو للأجيال القادمة تذكر ما أنجزه أجدادهم"^(٢)، بل يقرر أنهم إن حدث شرح أو انقطاع في التسلسل التاريخي أكملوه وسدوه بطرقهم الخاصة^(٣).

من أجل انعدام الثقة بهذه المصادر اليهودية، يسعى المستشرقون لإمعان البحث في الآثار الأخرى، حتى يتمكنوا من معرفة تاريخ اليهود^(٤)، من ذلك خصوصاً تل العمارنة "لأنها أصيلة لا شك فيها"^(٥). فيما يرى المستشرق "إدوارد مونتي"، في المؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٨م (١٣١٦هـ)، البحث في الترجمات العربية من جهة، وفي الدراسات المقارنة للغات السامية^(٦)، ومن ذلك النقوش الأثرية السامية^(٧). ولهذا الأمر ذهب المستشرق "مونتي"^(٨) أيضاً، وأضاف إليها العادات العربية^(٩). كما نحى هذا النحو "ماكس ميللر"^(١٠). إذن يجب أن لا يقتصر البحث في التاريخ اليهودي، على مصادر اليهود فقط، حسب رؤية هؤلاء المستشرقين، بل يجب تتبع الآثار المكتوبة والمنقوشة كي تساعد في ذلك. وصرح هاليفي بأن اليهود لا يعدون أحدا سواهم ساميين^(١١).

ومن هنا يتضح لنا أن اليهود كانوا يوجهون أحداث تاريخهم وأصولهم العرقية، وفق ما يخدم مصالحهم، ولا سيما تلك التي لم يتم تدوينها، ومن ثم ضاعت حقائق تاريخهم الدقيقة.

(١) Ibid. - T3 - Section IV - p. 206 .

(٢) Ibid. - T3 - Section IV - p. 202 .

(٣) Ibid. - T3 - Section IV - p. 202 .

(٤) Ibid. - Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 145.

(٥) Ibid. - Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 144.

(٦) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - p. CLXVII .

(٧) Ibid. - Partie I - T3 - p. CLXVII .

(٨) Ibid. - Partie I - T3 - p. CLXVII .

(٩) Ibid. - Partie I - T3 - p. CLXVII .

(١٠) Max Muller: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 27.

(١١) J. Halevy: "L'etat de la Palestine avant l'Exode" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - pp. 145 - 146.

ب - الجانب الديني من حياتهم وعلاقتهم بالأديان الأخرى

تطرقت دراسات في مؤتمرات المستشرقين العالمية إلى الحياة الدينية لليهود، ولاسيما عنايتهم بالكتاب المقدس، الذي يميز حياتهم الدينية، ويسعون دائماً للمحافظة عليه كلما تعرضوا للشتات أو الاضطهاد أو الطرد. ومن ذلك ما ذكره "هنري هوورث" في المؤتمر التاسع، حول كتاب عزرا وإسدراس الأول Esdras I، إذ تطرق إلى دراسة تاريخية لبعض هذه المحاولات، فذكر أن أفضل المتقنين اجتمعوا، وقسموا مواردهم المالية إلى قسمين رئيسين، أحدهما للمحافظة على سلامة السلالة اليهودية، والأخرى للمحافظة على ديانتهم، وبالذات لإحياء الكتاب المقدس، الذي ما كان مستخدماً، حسب المستشرق، إلا في إدارة الكنيس^(١). ومن ثم، فإن اليهود يكثر من الزيادات والحواشي في مدوناتهم^(٢). ويرى أن هذا السبب هو الذي جعل من جاء بعدهم يحاولون الكشف عن الأخطاء في التتقيحات التي تمت على السبعينية^(٣).

إضافة إلى ذلك، اتخذت كل طائفة من الطوائف اليهودية، نسخة من الكتاب المقدس خاصة بها. فالأرثوذكس مثلاً اتخذوا نسخة يونانية تمت مراجعتها ومقارنتها بالنسخة العبرية. إلا أن المستشرق يرى أنها نسخة غير ملائمة لميدان علم نقد الكتاب المقدس لصعوبتها. بل يستحيل، حسب رأيه، التأكد من المصادر التي انحدرت منها نصوص المخطوط اليوناني^(٤). كما يتعرض المستشرق إلى نقطة أخرى، ليدلل على أن الترجمات اليونانية، سوى السبعينية، حادثة^(٥).

(١) ذلك ملخص حول الموضوع من: Sir H. Howorth: The Books of Ezra and Esdras I

- Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - pp. 70 - 72 .

(2) Sir H. Howorth: The Books of Ezra and Esdras I - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - p. 72 .

(3) Ibid. - Vol2 - p. 72.

(4) Ibid. - Vol2 - p. 72 .

(5) Ibid. - Vol2 - p. 72 .

وعن علاقة اليهودية بغيرها من الديانات، تعرض "دانون" Danon إلى إشارتين لعلاقة اليهود الأتراك بالإسلام وبالنصرانية. فيما يتعلق بالإسلام، يرى أن اليهود تأثروا به، واتضح ذلك عليهم، فهم تقبلوا الاعتراف بقداسة يوم الجمعة، من خلال تطبيق القواعد الدينية فيه، كما يقدرّون الملكية الخارقة لأماكنه المقدسة، ويدخلون كلمات عربية في صيغ رقياتهم^(١). أما مع النصارى، فالأمر كان معاكساً تماماً، إذ فرضت النصرانية نفسها عليهم قسراً، الأمر الذي أدى، إلى جعلها صيغة إحدى لعناتهم، وأصبح الأحد المقدس ذو خصيصة مشؤومة^(٢).

وفي إشارة أخرى، للعلاقة بين اليهود والنصارى، يتحدث "هوورث" في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠ هـ) عن الكيفية التي يتم بها مناقشة اليهود الذين يعدّون أنفسهم الحراس الطبيعيين للنص، فيرى أنه من المعقول أن تبدأ مناقشتهم بأن نسخة كتابهم المقدس، السبعينية، صحيحة، وجديرة بالثقة، من تلك التي دأب النصارى على استخدامها^(٣). وفي هذا القول إشارة لقوة اليهود وسلطتهم المعنوية على النصارى منذ زمان، إذ قيلت هذه الكلمات في ١٨٩٢م (١٣١٠ هـ)، الأمر الذي جعل المستشرق ينادي بمهادنة النصارى لليهود، من فوق منبر مؤتمرات المستشرقين العالمية.

أما "كوال" Cowell، فقد عقد مقارنة بين عقائد الهنود والديانة اليهودية، فذكر أن باحثي السنسكريتية جمعوا نصاً يروي حكاية الملك الذي جال في غابة، حيث وجد أتباع طوائف فلسفية، جالسين ينصتون إلى عقائدهم التي يؤمنون بها، والكل يدافع عن اتجاهه وتوجهه الفكري بكل حماسة، ويعلق قائلاً: "فكل من ينظر في التلمود، سيعرف الظاهرة نفسها، من الحجة والنقاش"^(٤). إلا أنه يوضح أن هناك بالطبع اختلاف بين الديانتين كبير، فإن كانت المناقشات الهندية فلسفية

(١) M. Danon: "Les Superstitions des Juifs ottomans" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T3 - Section VII - p. 264.

(٢) Ibid. p. T3 - Section VII - p. 264.

(٣) Sir H. Howorth: The Books of Ezra and Esdras I - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - p. 71.

(٤) E. B. Cowell : Inaugural Address - Aryen Section . Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Voll - p. 393 .

منطقية برهانية تدور بين مجهولين، فالأمر في التلمود مختلف، إذ إن كل رأي أو اعتراض موثق^(١).

ج - معاناة الشتات والجهل والخيال.

وعن معاناة الشتات والجهل والخيال، فقد ذهب المستشرقون إلى أن بني إسرائيل جاؤوا أصلاً من أور، ثم نزحوا إلى كنعان، بعدها هاجروا إلى مصر، ثم قطنوا بفلسطين. وقد تعرضوا للطرد والغزو والإبعاد ثم التشييت. وكان لهذا الواقع أثره الكبير على الحياة اليومية لبني إسرائيل. ونتيجة لذلك الاضطهاد، عم الجهل الوسط اليهودي العام، حتى لغتهم الخاصة. فقد اضطر علماءهم لترجمة الكتاب المقدس للمرة الثانية، من العبرية إلى اليونانية، وفي هذه النسخة، راعوا اللهجات اليونانية المختلفة، وذلك "نظراً للعدد الكبير لليهود الأرثوذكس بمصر، وجهلهم بالعبرية، مع معرفتهم اليونانية فقط"^(٢).

لقد بلغ الأمر باليهود إذن أنهم نسوا لغتهم الأم، واستخدموا لغات أخرى تتماشى والمكان الذي أقاموا فيه. وفي حديثه عن الموضوع نفسه، يذهب "هوورث" إلى أن اليهود البابليين كانوا يستخدمون الآرامية التي ترجمت إليها بعض فقرات وأجزاء من التوراة^(٣). وهذا يدل على أن الآرامية في بابل، واليونانية في مصر، تمثل كل واحدة منها لغتهم الثقافية.

ويبدو أن ضياع اللغة الأم لم يكن محدوداً أو محصوراً في الطبقة العامة، بل بلغ الأمر معظم رؤساء اليهود. وفي هذا المجال يصرح "هوورث" بأن الترجمة اليونانية هي التي كانت مستخدمة حتى لدى العلماء، وليسست النسخة العبرية الأصلية^(٤). فحتى رجال الدين، أصبحت النسخة المترجمة هي المعتمدة لديهم،

(١) Ibid. - Vol1 - pp. 393 - 394 .

(٢) Sir H. Howarth: The Books of Ezra and Esdras I - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol2 - p. 71.

(٣) Ibid. - Vol2 - p. 71.

(٤) Ibid. Vol2 - p. 71 .

عوضا عن النسخة العبرية الأم، مما يوضح بجلاء نقشي الجهل اليهودي بلغتهم الأصلية.

ومن هنا نلاحظ أن اليهود يتأقلمون دوما مع الظروف التي تحيط بهم، ويندمجون في الثقافة التي يعاشونها، فإن كانوا في وسط بابلي، أصبحوا بابليي الثقافة، وإن كانوا في مصر اعتنقوا الثقافة اليونانية.

بسبب الجهل الثقافي داخل الوسط اليهودي، اختلطت لديهم المفاهيم الثقافية، بل الدينية أحيانا. من ذلك ما ذكره "ماكس ميلر" عنهم حين يقول: "كانوا يتكلمون عن "قورش Cyrus"، أحد المؤمنين بأرمزد Ormazd، على أنه مكرس من "يهوه"، بل كاهن له أيضا، لأنه سمح لهم بالعودة من بابل إلى بيت المقدس. أما "داريوس Darius"، وهو كذلك أحد أتباع "زرادشت"، فكانوا ينظرون إليه على أنه أحد سادتهم، لأنه أجاز إعادة بناء الهيكل ببيت المقدس"⁽¹⁾. فضيق الأفق اليهودي بسبب ما عانوه، جعلهم ينظرون إلى مستعبيهم المشركين على أنهم مؤمنون وسادة لهم.

ومع ذلك، كان اليهود يعيشون أحلاما وآمالا، قد تصل إلى أن تكون غير منطقية، فقد عمهم الجهل وأغرقهم في الخيال، حتى إن المستشرق "ماكس ميلر" قدم دراسة حول مؤلف يهودي من القرون الوسطى، يصف مملكة إسرائيلية خيالية في وسط إفريقيا⁽²⁾.

هـ- استغلال الظروف العامة وكيفية تعامل اليهود مع أعدائهم المهزومين

ويسعى اليهود دائما لاستغلال الظروف العامة، السائدة على الساحة العالمية، ولاسيما القوى العظمى. فهم يسعون دوما للتقرب منها والانضواء تحت رايتها، قصد تحقيق مصالحهم وحماية أنفسهم، واستغلالها لتحقيق مآربهم، وهذه الخصيصة منطبعة فيهم منذ بداية ظهورهم على مسرح الأحداث العالمية. فقد كان

(1) Max Muller: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 27 .

(2) Meeting of sections - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. XXXVII .

العالم منقسما بين قوتين، الأولى هي المصرية، ويقول عنها هاليفي: "... من وجهة للنظر السياسية، لا بابل ولا سوريا كانت تكون مملكة مستقلة... فسوريا وضمناها فلسطين، لم تكن مستقلة أيضا، بل كانت تكون مقاطعة ملحقة بمصر، مع المحافظة على حكم ذاتي، تحت نفوذ ملوك أو رؤساء قبائل، يدينون بالولاء للفرعون"^(١). ويستدل على ذلك ببعض الرسائل التي كان يتبادلها ملوك المنطقة إذ ذلك، ويتحدثون فيها باسم فرعون مصر. وكانت مصر هي الحامية الرئيسة لكل هذه المقاطعات. لذلك، لما هاجم العبرانيون الكنعانيين، استنجد هؤلاء بحاميهم مصر التي خذلتهم.

أما الذي منع مصر من نصره الكنعانيين إذ ذلك، هي القوة العالمية الثانية في ذلك الوقت، وهي قوة الحثيين، وقد لمح إليها هاليفي قائلا: "لقد تطرقنا في موضع آخر، للسبب الذي منع مصر من نجدة الكنعانيين، الذين هم تحت حمايتها، فوجدنا أن السبب هو قوة الحثيين، التي تزداد يوما بعد يوم"^(٢).

أمام هذا الأمر الواقع، استغل العبرانيون الظروف أيما استغلال، وبرعوا في ذلك، واستطاعوا هزيمة الجبارين، الذين كانوا يخافونهم من قبل. وهؤلاء الكنعانيون كانوا جبارين ظاهريا، لكنهم اعتمدوا في أمنهم على قوى خارجية. وهذا الاتكال أوصلهم إلى الوهن، وما شعروا بذلك إلا لاحقا. لقد انطلقوا لتلبية رغباتهم والتمتع بشهواتهم، متكئين على حاميتهم مصر، "إن حروب الإبادة المزعومة، ضد الكنعانيين... لم تكن مبررة باختلاف السلالة، لكن انحلال أخلاق المهزومين وفساد عقيدتهم"^(٣).

إذن، تمكن اليهود من استغلال الظروف العالمية بصفة عامة، وظروف الكنعانيين بخاصة، حتى ينفذوا داخل المجتمعات الأعداء، وافتكك أراضيهم. ومما عايشه اليهود، الظروف السياسية المعاصرة لهم. وكانت السياسة، تسير وفق الأسلوب الذي يرى أن "أنجع طريقة لتمكين الحكم، تكمن في القمع الدائم لكل

(١) J. Halevy: "L'état de la Palestine avant l'Exode" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Deuxieme Partie - T2 - I: Section Semitique B - p. 145.

(٢) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - pp. 148 - 149 .

(٣) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 146 .

محاولة تخالف النظام القائم... فلم يكن تعذيب المجرم وقتله شافيين، بل إنهم يبحثون عن طرق يطيلون بها آلامه أكثر ما يمكن من الزمن، وبكيفية تجعل كل العالم يشهد ذلك وتتمثل هذه العقوبة الشنيعة في بتر عضو أو أكثر من الجسم... هذا الاعتراف الذي وضعه مؤلف التوراة على لسان أدونيبسك Adonibesc^(١)... سبعون ملكا، أصابع أيديهم وأرجلهم مقطوعة، يلتقطون بقايا طعامي، إن الرب قد أذاقني مما عملت^(٢).

هذا الاستبداد، أثر في العبريين اليهود، الذين يبدو عليهم استصحاب هذا الصنيع، وأصبح أحد مميزات خلقهم. "فهذا يوشع قد داس رقباب الملوك المهزومين، وهامهم المتهودون قد قطعوا أصابع يدي ورجلي أدونيبسك^(٣) لكن المستشرق نفسه يعذر اليهود في ذلك، فيقول: "إن هذا لفظي، ولكنه من عرف ذلك العصر"^(٤)، ويقول أيضا "فهؤلاء قد تخلقوا بأخلاق عصرهم"^(٥). تلك صورة عامة عن الحياة العامة واليومية لليهود، كما وردت من خلال أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية.

تواصل الأثر اليهودي في المؤتمرات، وكان ذلك يزداد وينمو شيئا فشيئا، ومن ذلك أن المستشرق "بيزر Peiser"، قدم مساهمة في المؤتمر الرابع عشر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، تتعلق بمصادر آشورية، تحتوي أسماء يهودية^(٦). وفي المجال نفسه قدم "جنزبارك Ginzberg"، في المؤتمر الخامس عشر سنة

(١) هو أحد الأمراء المستبدن المعاصرين للعبرانيين، يمارس أقصى العقوبات ضد رؤساء الجهات التابعة له. فهو عند أول محاولة تمرد أو حتى أدنى شك عصيان من قبلهم. بل حتى يخيف الآخرين، كان يقرض عليهم التسلل عند باب قصره. لما غلب عليه العبرانيين، أذاقوه من الكأس نفسها التي كان يفعلها بخيره.

Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(2) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(3) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(4) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(5) Ibid.- Deuxieme Partie - T2 - I:Section Semitique B - p. 151 .

(6) Compte rendu des seances - Langues semitiques - Actes du XIV^{eme} Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - p. 57.

١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) مساهمة تتعلق بأهمية اكتشاف أجزاء من تلمود أورشليم^(١). ودرس "أمزالاك Amzalak" القواعد اللغوية للعبرانية البرتغالية، واهتمامات اللغويين بها، في المؤتمر السابع عشر بأكسفورد سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)^(٢)، فيم تحدث "روث سميث" عن الشعب المختار في المؤتمر نفسه^(٣). كما نجد بحثا عن إقامة الإسرائيليين في مصر، قدمها المستشرق "هارولد راولي Harold Rowley"^(٤) في المؤتمر العشرين، ببروكسيل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، وفي المؤتمر نفسه، قدمت دراسة حول "فلسطين وهضبة الجولان في الألفية الثانية قبل الميلاد والأصول الإسرائيلية"، عرضها "رولان دو فو Roland de Vaux"^(٥). تلك مجموعة مختارة عما قدم قبل نشأة الكيان الصهيوني، وهذا التوجه تواصل لاحقا عن طريق غير الصهاينة الإسرائيليين، وبعضها من لدن يهود على ما يبدو، منها ما يتعلق بالشعوب اليهودية خارج الكيان، مثاله 'صول ليفان Saul Levin'، الذي تحدث عن كيفية إنشاء يهود اليمن ومصر وتونس للتوراة^(٦)، كما قدم "حاييم زفراني" دراسة عن لغة يهود المغرب، وهي تؤكد ما سبق ذكره من التأقلم اليهودي في المجتمعات التي يعيشون فيها، فهناك يهود "عربو- فونيين"، ويهود "بربرو- فونيين"، إضافة إلى تركيزهم على اكتساب اللغة الفرنسية كلغة ثقافية، مع نوع من الضعف في معرفة اللغات الخاصة باليهود^(٧). هاتان المساهمتان قدمتا في المؤتمر السابع والعشرين بأن آربور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ).

(1) Seances des sections - Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p. 65.

(2) Proceeding of sectional meeting - Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 82.

(3) Ibid. p. 83 .

(4) Seances des sections - Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - p. 91 .

(5) Ibid. pp. 250 - 253 .

(6) Saul Levin: The traditional Chronomy of the Hebrew scriptures - Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 106.

(7) H. Zafrani: Les langues juives du Maroc - Ibid. pp. 90 - 91.

وكان هناك اهتمام بشؤون اليهود الخاصة، فثمة أبحاث كثيرة تتعلق باللغة العبرية والدراسات المتعلقة بها، مثاله ما قدمه "رافائيل لوف Raphael Louve"، في المؤتمر الثالث والعشرين بكامبردج سنة ١٩٥٤م (١٣٧٤هـ)، وتتعلق بالدراسات العبرية في إنجلترا خلال القرون الوسطى^(١)، وقدمت دراسة أخرى عن التطويرات في العبرية الحديثة، قدمها "كلاربارج Klarberg"، في المؤتمر الثامن والعشرين بكنبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)^(٢)، كما كانت هناك عناينة بالفكر اليهودي، ومن ذلك ما جاء في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، إذ قدم "تيشر Teicher" دراسة عن الفلسفة اليهودية في القرون الوسطى، ومكانتها في التاريخ الفكري^(٣)، وللصراعات والتيارات الدينية دورها في الدراسات اليهودية، من خلال مشاركة "ونفيلد Weinfeld" عن التيارات الدينية في إسرائيل نهاية الحقبة الملكية، في المؤتمر السابع والعشرين بأن آربور سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)^(٤).

وهناك أبحاث تريد إثبات الحق المزعوم لليهود في الأراضي الفلسطينية، ومنها دراسة "موشى جرينبارج Moshe Greenberg"، وتتعلق بقياس أراضي المراعي التابعة لمدن اللاويين، حسب سفر العدد، وعرضت في المؤتمر السابع والعشرين أيضا^(٥). هذه عينة عن الأثر اليهودي في مؤتمرات المستشرقين العالمية، وتبين مدى الاهتمام الذي سلط على اليهود فيها.

(١) Raphael Louve: "Hebrew studies in Medieval England" - Proceeding of the Twenty-Third International Congress of Orientalists - Cambridge - 1954 - pp. 358 - 359.

(٢) M. F. Klarberg: "Some developments in modern Hebrew" - Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra-1971 - pp. 76-77.

(٣) M. J. L. Teicher: "The place of Jewish Medieval Philosophy in the history of thought" - Seances des sections - Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p 340.

(٤) M. Weinfeld: Theological trends in Israel at the period of Monarchy - Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 85.

(٥) Moshe Greenberg: "Measuring the pasture land of the Levitical cities: Numbers 35:4-5" - Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 111.

المبحث الثاني: المؤتمرات السياسية

للسياسة آثار واضحة في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فالساسة هم الذين يشرفون على هذه المؤتمرات، وهم الذين يرعونها، ويعينون مندوبين عنهم فيها. كما أنهم قد يساهمون بدراسات فيها. فهناك سياسيون مستشرقون، وهناك تعاون بين المؤتمرات والساسة، إذ إن المؤتمرات كثيرا ما تلجأ لأرباب السياسة قصد تحقيق بعض المشروعات العلمية أو الثقافية. وكثيرا ما يكيل المؤتمرون المديح والثناء للساسة وينوّهون بهم وبعض أعمالهم في الميدان الاستشراقي، ولاسيما عند تحقيق رجاء ما توجهت به المؤتمرات.

كما كان للاستعمار أثره الهام في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد حاولت المؤتمرات بيان رؤيتها للاستعمار، بتوضيح وجهة نظرها في مفهومه وأهدافه، وتقويمه، بتوضيح أصوله وأساليبه، ولاسيما العسكرية والثقافية والاجتماعية، وكذلك السياسية، كما أنه ورد فيها بيان لحقيقة العلاقة بينها وبين الاستعمار، والدعوات لتبادل الخبرات والنصائح بينهما، وحثها على مساندة الاستعمار، وكذلك بيان مدى انتشار الفكر الاستعماري بين المستشرقين الذين كانوا يحضرونها وافتخارهم وتحمسهم لقيام الحملات الاستعمارية وتوسعها.

ومما يدل على هيمنة التأثير السياسي على المؤتمرات والمؤتمرين مقولة لـ"ياماموتو تاتسورو"، في المؤتمر الحادي والثلاثين إذ قال: "إني أفتهم أننا وطينا العزم بالإجماع على التخلص من الموقف السياسي بين الباحثين، حتى عندما نؤيد موضوعا لدراسة المشكلات ذات الطابع السياسي. ذاك هو سبيل الحلولة دون تقسخ المبادئ الأكاديمية بسبب الإغراء القوي للاعتبارات السياسية"^(١).

ومن هنا، سيتم بحث الأثر السياسي في المؤتمرات من جانبيين، أثر السياسة في المؤتمرات، وكذلك الأثر الاستعماري فيها.

(١) Yamamoto Tatsuro – Address – Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kioto - 1983 – T1 – p. 31.

١- أثر السياسة في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

للساسة والسياسة أثرها في مؤتمرات المستشرقين العالمية. فالساسة هم الذين يقومون على رعايتها وتبنيها، كما أنه لا يخلو مؤتمر منها من مدعويين سياسيين، ولا سيما أن لهم دور في تنمية مؤتمرات المستشرقين العالمية والدراسات الاستشرافية كذلك.

فعن رعاية الساسة للمؤتمرات، فإن دورات انعقاد مؤتمرات المستشرقين العالمية توضع عادة تحت رعاية كبار الساسة، كما تسند لهم رئاستها الشرفية. فقد وضع المؤتمر الأول الذي انعقد في باريس سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ)، تحت رعاية لجنة سميت "لجنة الرعاية Comite de Patronage"^(١)، ومن ضمنها الوزيرين اليابانيين "تيرازيما مونينوري Terasima Munenori" و"وزير الشؤون الخارجية، و"ساميزيما ناوو-نوبي Samesima Nao-Nobi"، الوزير المفوض مطلق الصلاحية^(٢). وفي المؤتمر الثالث بـ"سان بطرسبورغ" سنة ١٨٧٦م (١٢٩١هـ)، كان إمبراطور البرازيل "دون بيدرو الثاني Don Pedro II"^(٣)، من

(١) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - T3 - pp. CIII - CIV .

(٢) Ibid. p. CIV .

(٣) دون بيدرو الثاني (١٨٢٥ - ١٨٩١م) (١٢٤٠ - ١٣٠٨هـ)، ثاني وآخر إمبراطور برازيلي (١٨٣١ - ١٨٨٩م) (١٢٤٦ - ١٣٠٦هـ)، ليبيرالي الثقافة، وكان لغويا وباحثا علميا. صرفت حقبة ثورات وفتن كثيرة. ختمت بانقلاب عسكري، بالتعاون بين الجيش والجمهوريين، وسقطت الإمبراطورية سنة ١٨٨٩م (١٣٠٦هـ)، ونشأت أول جمهورية برازيلية. قضى الإمبراطور بقية حياته بصحبة عائلته في أوروبا.

Academic American Encyclopedia - Vol15 - pp. 131 - 132 .

ضمن الأعضاء الشرفيين فيه^(١)، كما كان الإمبراطور نفسه من رعاية المؤتمر السادس بـ"لندن" سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ)^(٢).

وفي المؤتمر السابع بـ"فيانا" سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، كان ملك السويد والنرويج، أوسكار الثاني عضوا شرفيا لهذا المؤتمر^(٣) وكذلك إمبراطور البرازيل، كما وضع تحت رعاية "الأرشيدوق ريني Archiduke Reiner"، وكذلك، "الأرشودوق شارل لوي Charles Louis"^(٤).

وذكر "ماكس ميللر"، في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، أن المؤتمر الثامن كان تحت رعاية ملك السويد والنرويج إذ قال: "...ملك السويد والنرويج، الراعي الملكي لمؤتمرنا السابق"^(٥)، أما المؤتمر التاسع نفسه، فقد كان تحت رعاية "دوق يورك Duck of York"، كما تولى الرئاسة الشرفية للمؤتمر أيضا^(٦). أما نواب الرئاسة الشرفية والرعاة الآخرين للمؤتمر ذاته، فهم أوسكار الثاني ملك السويد والنرويج، وملك رومانيا، والأرشودوق "ريني"، والأمير فيليب، أمير "ساكس كوبورج جوتا Prince of Sax-Coburg Gotha"^(٧).

وهكذا تواصلت رعاية كبار السياسة للمؤتمرات، ونرؤسهم لها شرفيا. وفي كامبيرا سنة ١٩٧١م (١٣٩٠هـ)، كان السير "بول هاسلوك"، الحاكم العام

(١) Travaux de la Troisieme Session du Congres International des Orientalistes - Sts Petersburg - 1876 - T2 - p. XI .

(٢) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Conte rendue des seances - p. 5 .

(٣) Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 1 - T1 - pp. 48 - 49.

(٤) Ibid. Vol 1 - T1 - p. 102.

(٥) Frederick Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 1 .

(٦) Ibid. Vol1 - p1 , and p. IX .

(٧) Ibid. Vol1 - p. 5 .

للكومنويلث الأسترالي، الرئيس الشرفي للمؤتمر الثامن والعشرين^(١)، فيما تولى المنصب نفسه الأمير الياباني "تاكاهيتو ميكازا"، وذلك خلال المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)^(٢). أما المؤتمر الأخير إلى حد الآن، وهو الخامس والثلاثين سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ) ببودابست، فقد كان هناك ستة من الرعاة له، وهم: "أرباد جونكر Arpad Goncz"، رئيس الجمهورية المجرية، والأمير "الحسن بن طلال"، ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية، والأمير الياباني "تاكاهيتو ميكازا"، و"نارايانان N. R. Narayanan"، نائب الرئيس الهندي، و"سوهارتو" رئيس الجمهورية الإندونيسية، والأمير "سعود الفيصل" وزير الشؤون الخارجية في المملكة العربية السعودية^(٣).

من هنا، يتبين أن الساسة هم رعاة مؤتمرات المستشرقين العالمية. ولا يتضح الأمر كثيرا حول الكيفية التي يكونون فيها رعاة ورؤساء شرفيون لمؤتمرات المستشرقين العالمية، إلا ما جاء في مقولة جراف لاندبيرج Graf Landberg، مندوب السويد والنرويج، في المؤتمر السابع، عن ملك السويد والنرويج، أوسكار الثاني أنه "تقبل بكل سرور رجاءكم الذي أرسلتموه إليه ترحون منه التكرم بأن يكون عضوا شرفيا لهذا المؤتمر. لذا فقد أمرني أن أعبر لكم عن شكره الجزيل لهذه اللفتة الكريمة من جانبكم... لقد قبل بكل ترحاب منحنا أعلى درجات رعايته..."^(٤)، مما يعني أن هناك دعوة قدمت لملك السويد والنرويج "أوسكار الثاني" كي يكون رئيسا شرفيا، والتي قبل على أثرها أن يكون راع للمؤتمر، فالمبادرة جاءت من القائمين على المؤتمر. أما عن أهمية هذه الرعاية، فلم ترد حولها سوى مقولة "شيفر Shefer": "لقد دفعت الشخصيات الشرفية

(١) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p. 5.

(٢) Proceeding of the Thirty-First International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - Tokyo-Kyoto - 1983 - p. 5.

(٣) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - Programme - no number of pages.

(٤) Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 1 - T1 - pp. 48 - 49.

للمؤتمر درجة النجاح، بما لديهم من مراكز نفوذ وقبول متميز، يحفظون به دراساتهم، هو بالنسبة لنا جائزة وتشجيع أيضا^(١). فكمسب راع سياسي سام يؤدي لضمان مساعده في تنمية الدراسات الاستشرافية.

من جهة أخرى، تعين الحكومات مندوبين عنها يمثلونها في أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية. ويتمتع هؤلاء المندوبون عادة بالمهام السياسية إضافة إلى المهام العلمية، ويتحدثون إضافة إلى الجانب العلمي باسم ساستهم وحكوماتهم. ولا يكون هؤلاء عادة من الساسة فقط، بل قد يكونون من المستشرقين أو من العلماء البارزين. فمن هؤلاء الأخيرين نجد مثلاً المستشرق الأسباني "غلان روبلس Guillen Robles"، وذلك في المؤتمر الخامس ببرلين سنة ١٨٨١م (١٢٩٨هـ). يقول هذا المستشرق، بعد عرضه لمجموعة من أهداف المؤتمرات وبيان دور المستشرقين فيها، تعرض لدوره المزدوج، الذي ربطه ربطاً مباشراً مع رغبة الحكومة التي يمثلها، فقال: "فإنني لا أظنني قادراً على القيام بواجبي كما ينبغي، هذا الواجب الذي ألزمتني به الحكومة الأسبانية، التي انتدبتني لهذا التجمع العلمي، إلا إذا عرضت عليكم جدول التحركات الحالية للدراسات العربية في أسبانيا...^(٢). وهذا المستشرق "جراف لاندبرج"، مندوب حكومة السويد والنرويج، يكيل المديح لملك بلاده في المؤتمر السابع بفيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، بسبب كونه تقبل أن يكون راعياً للمؤتمر^(٣)، ويضيف متحدثاً عنه قائلاً أنه "يحمل أكبر دعم للدراسات الشرقية، المصدر السليم للتاريخ العام، لكل الحضارات"^(٤). وفي ثنائها على الملوك والأمراء الذين رعاؤ المؤتمر السابع نفسه، تحدث "شيفر" عن خديوي مصر^(٥) فقال: "أما سعادة خديوي مصر، فبإرساله بعثة

(١) Ibid. Vol 1 - T1 - p. 102.

(٢) F. Guillen Robles: "De l'état actuel des études arabes en Espagne" - Verhandlungen des Fuften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881 - V2 - p. 29.

(٣) Discour de Graf Landberg , delegue de la Suide et Norvege - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol.1 - T1 - pp. 48.

(٤) Ibid. - Vol 1 - T1 - pp. 48 - 49.

(٥) لم تذكر المراجع لسمه. لكن الخديوي المعني هو "محمد توفيق".

إلى فيانا، وعلى رأسها أكابر الموظفين الإداريين، يعطينا دليلا دامغا على استعداده لتنمية الرغبة الملحة في تطوير الدراسات الأدبية في مصر^(١). وهذا أمر رأى شيفر أنه يحتاج إلى تنويه.

وفي المؤتمر التاسع بلندن، سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، أثنى ماكس ميللر "على" أوسكار الثاني، "ومما قاله: 'لقد قدم جلالته دليلا جديدا على استمرار اهتمامه بالموضوع الرئيس لمؤتمراتنا، ودفع صوت دارسي الشرق إلى الأمام. لقد انتدب جلالته أفضل أصدقائه، 'الكونت لاندبرج'..."^(٢).

وفي المؤتمر الثالث عشر بـ"همبورغ" سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، قال "هنري كورديي"، ممثل الحكومة الفرنسية "إن الحكومة الفرنسية، بتعيينها مندوبين عنها في مؤتمر المستشرقين العالمي الثالث عشر... أرادت أن تعطي دليلا مرة أخرى، على الدعم الكبير الذي تقدمه للدراسات الشرقية، ويبرز هذا الدعم في تكوين هذه السلسلة الجديدة من المنشآت الدراسية، مثل "المعهد الفرنسي للشرق الأدنى"، الذي يتوقع له أن يلقى نجاحا باهرا... وإن سعادة وزير المعارف العامة، تفضل فحملني بعض المنشورات المتعلقة بنتائج أواخر البعثات الفرنسية بآسيا، وكلفني بتوصيلها باسمه لمدينة "همبورغ"^(٣).

أما "أويار Huart"، مندوب وزارة الخارجية الفرنسية في مؤتمر المستشرقين العالمي الرابع عشر بالجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، فيقول: "إنه لشرف عظيم لي أن تكلفني وزارة الخارجية بأن أحيي باسمها مؤتمر المستشرقين المنعقد حاليا في مدينة الجزائر الجميلة"^(٤).

(1) Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 1 - T1 - pp. 48 - 49.

(2) Frederick Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 4.

(3) Henry Cordier (Discours) - Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - pp. 422 - 423.

(4) M. Huart (Discours prononcés à la séance d'ouverture du congrès) - compte rendu des séances - Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie - pp. 79 - 80.

وهكذا يتضح لنا أن من أساليب رعاية الساسة للمؤتمرات وأثرهم فيها، تعيينهم مندوبين عنهم يتحدثون باسمهم ويوضحون وجهات نظرهم وبيان أفضالهم على المؤتمرات وعلى الدراسات الاستشرافية عموماً.

٢ - أثر الاستعمار في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

تزامنت نشأة مؤتمرات المستشرقين العالمية مع واحدة من أهم وأنشط الحركات الاستعمارية . وبما أن هذه المؤتمرات اتخذت صبغة عالمية، فكان البحث عن العلاقة بينها وبين النشاطات الاستعمارية ذا أهمية خاصة، لمعرفة موقف المستشرقين ومؤتمراتهم من هذه الظاهرة. ويمكن تحليل هذه الظاهرة من زاوية رؤية مؤتمرات المستشرقين العالمية للاستعمار.

- مفهوم الاستعمار وأهدافه:

تعرضت مؤتمرات المستشرقين العالمية للاستعمار دراسة وتحليلاً ونقداً. وقد درسته من جوانب عدة. واتضح أن معظم المستشرقين يرون أن الاستعمار مرادف للعمل الحضاري والتنقيف الشعبي والتطوير العلمي، ولا يكاد أحدهم يخرج عن هذا المعنى أو أحد أجزائه. يقول المستشرق "كوينن"، رئيس المؤتمر السادس المنعقد في العام ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، بليدين: "ما يمكن أن نسميه الجزء المعنوي للواجب المنوط بالدولة الأصلية تجاه مستعمراتها، و يتعلق بالعمل الحضاري والتنقيف الشعبي، هو أمر يبدو موثقاً به. لكني رأيت في هذه الأثناء واجباً آخر يجب أن تكون له الأولوية، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا الواجب الحضاري، ألا وهو واجب احتلال المستعمرات لصالح العلم...^(١). ينيط كوينن في هذه المقولة بالاستعمار ثلاث مهام هي: العمل الحضاري، والتنقيف الشعبي، والمصلحة العلمية.

(١) Adresse de Kuenen - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie - p. 44.

أما مساعد رئيس بلدية ليدن، "بول Bool" في المؤتمر السابق للذكر، يرى أن الغرب هم ورثة الحضارة ويجب عليهم نشرها، إذ يقول بعد أن بين أن أصول الحضارة نبتت في الشرق مواصلا حديثه عن الحضارة التي تحتاج دوما لطروف ملائمة لم تجدها في أحضان الشرق المعاصر "إن كان هؤلاء اليوم يحاملون بطريقة أفضل مما كانت عليه من قبل... ينتقون بطريقة من شأنها أن تضمن خروجهم في النهاية من دائرة الأفكار الضيقة، ومن الاستلاب الذي قبعوا فيه منذ عدة قرون، فما ذلك إلا نظرا للتأثيرات المنفعية التي مارسناها عليهم..."^(١). فحسب هذا البيان يعد التنقيف الحضاري أحد مهام الاستعمار.

كما يوضح الوزير الفرنسي "بيانفوني-مارتن Bienvenu-Martin" هذه الصورة عمليا، في المؤتمر العالمي المنعقد في الجزائر عام ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، حين قال، بعد مدح بلاده لأعمال قامت بها بالجزائر والمستعمرات: "هذا دون الحديث عن الثقافة التي يتم تعريفهم محاسنها... فتبني ما يوجد في حضارتنا، من شأنه أن يجعل حياتهم أكثر يسرا وسعادة"^(٢). كما يوضح في مكان آخر أن تجمع المستشرقين ذاك، مهد لممثلي الشعوب الأجنبية المسؤولين استخلاص النتائج العلمية والثقافية لفرنسا في إفريقيا^(٣). إذن، فإن الاستعمار عملية تنقيفية للشعوب المغلوبة، حسب ما يعلن من أعلى منابر مؤتمرات المستشرقين العالمية. بل إن المستشرقين خير من كان شاهدا أو حتى مساهما في هذه العملية التنقيفية المزعومة، ففي الموضوع ذاته، يخاطب "جسال Gsell"، مدير المتحف فيها وأستاذ الآداب بالجزائر قائلا: "وأخيرا، فإنكم أأنتم الذين تحبون العلم، وتعملون ما يمكنكم عمله في التنقيف الذهني للشعوب، وإنكم ربما، تتابعون بكل

(١) Discours de Bool - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie - pp. 224 -225.

(٢) Discour du Bienvenu-Martin, Minstre de l'Instruction Publique et des Cultes - Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - Premiere Partie - p. 77.

(٣) Ibid. - premiere partie - p. 75.

لطف، جهود زملائكم الأقررة...^(١)، لذا فالمستشرقون مدعون أيضا للتعاون مع الاستعمار في مثل هذه المهام الثقافية، وسيرود التفصيل في هذا الأمر لاحقا^(٢). في سبيل تبريره للهدف العلمي، يماثل "كوينن" بين الطبيعة الصماء والطبيعة البشرية، إذ يقول بعد رؤيته حتمية استعمار الشعوب من أجل العلم: "إنكم تعلمون كيف أن شلايرماخر Schleiermacher أدخل المهمة التي يستوجب على الإنسانية عملها، ألا وهي مماثلة الطبيعة بالحقيقة... هناك الاحتلال البلاستيكي للطبيعة، وهو التحرك الذي يجعل الإنسان يصنع الطبيعة... لكن هناك أيضا عاملا ضروريا، وهما بنفس الدرجة، ألا وهو الاستعمار الفكري لهذه الطبيعة... فإن "سان مارتن St. Martin" قال: "تجاهل الطبيعة، يعني التذلل لها، ويعني الخضوع لها والاستسلام لمعنوياتها القائمة. أما معرفته لها، يعني الانتصار والترفع عليها". وهذه الكلمات لا تنطبق على الطبيعة فقط، بالمعنى اللفظي للكلمة، بل على الإنسانية أيضا. وهذه الأخيرة، حتى يمكن الترفع عليها لا يمكن رغم ذلك إلا اعتبارها جزءا من الطبيعة^(٣)، فالمستشرق إذن، طابق بين الطبيعة والإنسانية. فدراسة السكان واللسان والتقاليد، يعني دراسة المجتمع ككل، وفهمه فهما دقيقا. يمكن التعامل معه حسب الظروف كما يتم التعامل مع الطبيعة^(٤).

إلا أن مجرد التحضر ليس هو الغاية، بل السيطرة الثقافية أساس من أسس الاستعمار. ومن أدلة ذلك، مقولة "ف. ديأتريسي F. Dietrich"، في المؤتمر الرابع المنعقد بفلورنسا سنة ١٨٧٨م (١٢٩٥هـ)، التي يحل فيها دخول "نابليون" لمصر، والتي جاء فيها: "عندما قام "بونابرت Bonaparte" بتنظيم كتيبته في سفح الأهرام سنة ١٨٩٨م (١٣١٤هـ)، وجه إليهم كلامه قائلا: "من أعلى قمة هذه الأهرام، التي ظلت تتألمكم طوال أربعين قرنا... لكن هناك معنى عميقا جدا في كلام نابليون، لأنه يمكن أن يقال إنه منذ تلك الأيام، ومع انتصارات هذا القائد الفذ

(١) Ibid. - premiere partie - Discours de Gsell, directeur du Musée et professeur de Lettre - p. 75.

(٢) ورد هذا ص ٥٤٧ من الرسالة فما بعدها.

(٣) Adresse de Kuenen - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie - pp. 44 - 45.

(٤) Ibid. - Premiere partie - p. 45.

العظيم، فتحت أبواب الشرق للحضارة الغربية... لقد فهمت الأمة الفرنسية مهمتها. ومع الحملة العسكرية أرسلت فرقة من العلماء، من أجل الكشف عن الكنوز العلمية في الشرق^(١). فإضافة إلى المهمة العلمية هناك مهمة السيطرة الثقافية، وإحلال الثقافة الغربية مقام الثقافة الشرقية، إذ إن بونابرت تجاهل كل الحضارات التي تعاقبت على مصر خاصة، والشرق عامة، منذ تشييد الأهرامات، التي جعلها جائمة تنتظر وصول الجيش الفرنسي بفارغ الصبر.

من كل ما تقدم، يتبين لنا أن الاستعمار يرى نفسه أداة لنشر المعرفة والحضارة والثقافة، كما أن الهيمنة السياسية والتوسع الجغرافي والسيطرة الاقتصادية أهداف لا تنفك عن سابقتها. هذا ما بينته مؤتمرات المستشرقين العالمية ووضحته عن مفهوم الاستعمار وأهدافه، وأيدته في الغالب، وباركته.

ب - تقويم المؤتمرات للاستعمار:

من ناحية أخرى، وردت في مؤتمرات المستشرقين العالمية محاولات تقويمية للاستعمار ومنجزاته. فقد تمت محاولة البحث عن الأصول الاستعمارية الغربية، ودرست الأساليب العسكرية الاستعمارية، وجوانبه الثقافية والسياسية والاجتماعية.

تناول مسألة الأصول الاستعمارية الغربية "ماكس ميللر"، في المؤتمر التاسع، المنعقد في لندن، في العام ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، وعاد بالأصول الاستعمارية إلى الإسكندر، "مع الإسكندر، دخلنا في حقبة تاريخية عالمية جديدة، حقبة انطلقت من أول ردة فعل غربية قوية ضد الشرق، التي بدأت في القرن الخامس قبل الميلاد..."^(٢). ويصرح بعد ذلك بكلمتي "احتلال" و"استعمار"، لما

(١) F. Dietrich: "Sur les études philosophiques des Arabes aux 10^{ème} siècle" - Atti del IV Congresso Internazionale degli Orientalisti - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 385 - 358 .

(٢) Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 31.

تحدث عن اكتشاف أوراق للإسكندر، قائلاً: "لقد قيل إنه من خلال أوراق الإسكندر، وجد لديه مخطط عن كيفية توحيد تلك الأمم التي احتلها، ضمن الإمبراطورية الإغريقية، وذلك عن طريق مزج العائلات والعادات، وعن طريق الاستعمار وكذلك السعي إلى الرقي بالإنسانية..."⁽¹⁾. والملاحظ أن الاستعمار الغربي الحديث، لم يبتعد عن هذا الخط المرسوم.

إلا أن الإسكندر فشل في ذلك المخطط، بل إنه جعل تلك الأمم تكثر من الحكايات الفخرية عن عقائدها القديمة⁽²⁾. رغم فشل الإسكندر، لا يرى 'ميللر' أن المخطط مخطئ، ويستشهد على ذلك بإنجلترا، رابطاً الأصل الاستعماري الإسكندري، بالحملة الاستعمارية المعاصرة له، فقد قال: "إن إنجلترا اليوم هي أعظم إمبراطورية شرقية، لم يشهد العالم لها مثيلاً أبداً... لقد أنجزت بريطانيا، بل إنه أعظم من إنجاز، حلم الإسكندر، ألا وهو تزاوج الغرب والشرق، فقد تمت شمل أهم الأمم العالمية مع بعضها بإحكام دقيق، أشد مما لم يحصل من قبل أبداً"⁽³⁾. وهكذا يربط ميللر بين الاستعمار الإسكندري قديماً، والاستعمار الإنجليزي حديثاً، وأن بريطانيا حققت حلم الإسكندر القديم، وترجمته على أرض الواقع حديثاً.

الاستعمار إذن حلم غربي قديم، وقد سعت أوروبا إلى إخراجه للواقع المعاش مرات عديدة. لذا فقد حاول ذلك 'بونابرت' ورجع بالاستعمار إلى عشرات القرون، تجاوزت بكثير عهد الإسكندر⁽⁴⁾. فالهدف الاستعماري إذن، أمر ضارب في القدم، يخلج في نفوس الغرب، حتى تم لهم تحقيق ذلك. إلا أنهم فشلوا أيضاً في تحقيق حلم الإسكندر والأهرام، كما أراد بونابرت، إذ لم يلبثوا أن خرجوا من المناطق المستعمرة، بقوة السلاح والسياسة.

(1) Ibid. - Vol1 - p. 32 .

(2) Ibid. - Vol1 - p. 32 .

(3) Ibid. - Vol1 - p. 32 .

(4) F. Dietrici: "Sur les etudes philosophiques des Arabes aux 10^{eme} siecle" – Atti del IV Congresso Internazionale degli Orientalistic - Florence - 1878 - Volume primo - pp. 385 – 358 .

وعن الأساليب العسكرية الاستعمارية، فإن القوة العسكرية هي وحدها التي جعلت أوروبا تهيمن على الشعوب. صرح بذلك "فون كريمر" في المؤتمر السابع بفيينا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، إذ قال: "مبدئياً، وضع الشرق بفعل التفوق العسكري الأوروبي، وفرض عليه أن يقبع تحت تأثير الحضارة الغربية. لقد وضعت بلدان شاسعة تحت الهيمنة الأوروبية، وأينما كان الأمر كذلك، مارست أقطار أوروبا وأمريكا ضغطاً مادياً ومعنوية عظيمة، بل إنها لا تزال تقوى...^(١) فالأسلوب العسكري هو الأداة الرئيسة للسيطرة والهيمنة، وفرض الأمر الواقع. لذلك كان المستثمرون الاستعماريون يشيرون وينصحون بكيفية استخدام القوة العسكرية. ومن هؤلاء "لوتروي دو رانس" الذي أشار على الحكومة الفرنسية أن تدخل إحدى المعارك بقوة ضاربة ولا تكفي بإرسال حملات صغيرة، غير متناسقة مع المساحات الممتدة^(٢).

من جهة أخرى تبين أن الشعوب المهزومة، يمكنها أن تخدم القوى الاستعمارية، وتحفظ لها هيبتها العسكرية بل تكفل لها الراحة أيضاً، من ذلك حكم الهولنديين لإندونيسيا. يصف ذلك "هوم" قائلاً: "إننا نعلم أن الحكومة الهولندية بتدبير وتحكم الشعب الجاوي، بواسطة المسؤولين المحليين، إنه دابل على الذكاء الفياض. إن تأثير الرؤساء المحليين، بنوب عن القوة الوطنية المستعمرة، والتي بدونها، كان يتحتم اللجوء، ربما، إلى قوة عسكرية كبيرة حتى يمكن التماسك"^(٣). لذا، لو لم يكن هناك مسؤولون وطنيون محليون يملكون زمام الأمور، لكان للحل العسكري الصوت الأعلى لحسم الأمور، لكن هذا الأسلوب الاستعماري، كما سماه "هوم" حال دون تدخل قوى العسكر والجيش.

أما إذا فشلت القوات العسكرية في مهامها، ينتج عن ذلك فشل القوى السياسية الاستعمارية هذا ما أكدته "غلان روبلس" مبينا أنه كان يمكن لموطنه أن

(١) Afreihier Von Kremer - Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol1 - T1 - p. 36.

(٢) Charle Maunoir: "Deutrenil de Rhins" - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - Deuxieme partie - 7eme session - p. 42.

(٣) Discour de Humme - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - p. 158.

بينهد ففزة عملاقة نحو حياة فياضة، إضافة إلى أنها تكفل لهم ثناء أجيال متعددة، إلا أنه يتأسف قائلا: "إلا أنها قذفت بنا، مع كل الأسف، في مغامرات فضيعة، شجاعة بلا شك، لكنها غير مثمرة أيضا، بل دموية في أحيان أخرى"^(١)، ولعلّه يقصد النكسات التي تعرضت لها أسبانيا في أمريكا الجنوبية وآسيا^(٢). ففشل اقتحام المناطق، أدى إلى فشل قيام مستعمرات أسبانية.

إذن، يعتمد الاستعمار اعتمادا يكاد يكون كليا، على الجيش والقوى العسكرية، يستخدمها متى ما لزم الأمر لذلك، ويعدّها أداة فصل في هيمنته الاستعمارية على الشعوب.

يرى الاستعمار أن الثقافة مفهوم من مفاهيمه، وهدف من أهدافه. ويفخر كل من وزير التثقيف الشعبي والديانات، الفرنسي، ومدير التعليم العالي بالجزائر، بقوة الهيمنة الثقافية الفرنسية، التي مورست على الجزائر. فقد أخذ الوزير للكلمة في المؤتمر العالمي الرابع عشر بالجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، وبين أهمية المؤتمر، ثم ذكر أن هذا التجمع لممثلي الشعوب الأجنبية، المسؤولين، يمكنهم من استخلاص النتائج العلمية والثقافية لفرنسا في إفريقيا، ويرر الاستعمار هناك ببعض الجوانب الثقافية^(٣). أما الثاني وهو "بايت Bayet" فقد قال: "إنه ليسعدني أن أحبي العلماء الذين يمثلون، لا أقول شعوبا أجنبية، بل شعوبا صديقة... وأتمنى أيضا أن يقتنعوا بالتأثير الخصيب والتثقيفي الذي تفخر فرنسا بممارسته على هذا البلد العظيم"^(٤).

إلا أن مثل هذه النتائج لم تكن تلقائية. يبين ذلك "فون كريمر" في المؤتمر السابع، محللا كيفية نشر ثقافة المستعمر. ومنها يظهر بوضوح الأسلوب العسكري الذي يتبعه الاستعمار من أجل نشر أفكاره وإرادته، وأنه لولا ذلك، لما

(١) F. Guillen Robles: "De l'état actuel des études arabes en Espagne" – Verhandlungen des Fufften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin - 1881 – T2 – p. 31.

(٢) روبرت شنيرب - تاريخ حضارات العالم - القرن التاسع عشر - م - ٦ - ص ٤٥٠.

(٣) سبق ذكر بعض آراء الوزير ص ٤٩٥ من الرسالة.

(٤) Discours de "Bayet" Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – premiere partie – p. 102.

تمكن الغرب من تحقيق مراده^(١). إلا أن الأمر الذي أذهله، هو تقبل الشعوب الخاضعة لمثل هذه الثقافات والأخلاقيات، إذ يقول: "إن أخلاق ولغات الأوروبي القادم، تهدد الثقافة المحلية، وتفرض نفسها بسهولة، لا يمكن تبريرها بعد"^(٢).

أما خطر تهديد الثقافة الخاصة، فقد لفتت المستشرقة الروسية "ألجا دو ليبيدو" الأنظار إليه، ولا سيما المرأة المسلمة. فبعد أن تحدثت في مؤتمر الجزائر عن إقبال المرأة الجزائرية على التعلم والتثقف، وأصلت تحليلها قائلة: "لكن الثقافة تشبه سلاحا ذا حدين. فهل يمكن أن تصبح مزعجة، ما لم تكن مرتكزة على تربية القلوب وعلى المبادئ الأخلاقية السامية"^(٣). لقد كانت تخشى التيار الجارف للحضارة الغربية، التي تراها قد تم تثقيفها مرات عدة، وتحذر المرأة المسلمة من قسورها قائلة: "أرجو من كل أخواتي الشرقيات المحبوبات جدا، في سبيل مصلحتهن الخاصة، أن لا يدعن لأنفسهن سبيل التغاوية مطلقا، بالجوانب النافهة والوهمية لحضارة تم تكريرها مرات عدة، والتي لا تجلب لهن، على العكس من ذلك، إلا الألم وخيبة الأمل، إذ إنها لا تتناسب ومثاليتهن"^(٤). وتضيف قائلة: "لأرجو أن يكون لها من الفطنة ما يجعلها لا تحتفظ إلا بالأمثلة الطيبة، وأن تجهد نفسها بالخصوص لتطورها الفكري الخاص"^(٥). هذه المستشرقة، بعيدة النظر في تحليلها لمسألة تطور المرأة المسلمة، الذي أرادت أن يكون "في الحدود التي سطرها نبيهم، الذي أسس^(٦) شريعة مطابقة تماما مع التطورات العصرية،

(١) Afreihier Von Kremer – Verhandlungen des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 – Vol1 – T1 – p. 36.

(٢) Ibid. – Vol1 – T1 – p. 36.

(٣) Discour de Mine Olga de Lebedow – Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – premiere partie – p. 42.

(٤) Ibid. – premiere partie – p. 42.

(٥) Ibid. – premiere partie – p. 42.

(٦) تذكر المستشرق لفظ تأسيس، وذلك لأنها لا تؤمن بالإسلام على أنه دين، ويبدو أنها من القائلين باصطناع النبي ﷺ لهذه العقيدة، التي يرونها مثالية، لذلك تعبر بلفظ التأسيس، رغم اعتقادها في أن معالجة الإسلام لشؤون المرأة مثالية، لذا فهي عبرت بقولها الحدود التي سطرها أما بالنسبة للمسلمين، فمعتقدتهم ثابتة في أن ما جاء به النبي ﷺ وحي يوحى، وأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى.

شريطة أن تحلل وتفهم بصدق وإخلاص^(١). هذه المستشرقة تحذر المرأة المسلمة، وبالتالي كل القايعين تحت الاحتلال، من الانحدار الحضاري بلا وعي. وتدعو للمحافظة على أنسانية البشر، مهما اختلفت الحضارات والثقافات. فالثقافة إذن، هي سلاح فتاك ذو حدين، ويفهم من هذا، أن عملية التحضر التي يدعيها الاستعمار، فقد تكون تدميرا لا تعميرا.

من كل ما مر بنا، يتبين أن الغالب على المؤتمرات، تبنيتها للفكر الاستعماري، وسعيها الحثيث لمساندته وتبرير موافقه و تصرفاته، مع تقويمها له عند الضرورة. فقد تبين أن مؤتمرات المستشرقين العالمية تؤيد الاستعمار القائم، ولا تمنع قيام حملات استعمارية، وتتعاون معه حتى يتمكن من تحقيق أهدافه. بل قد يرون وجوب احتلال البلدان الضعيفة سعيا وراء زعم التنقيف و التحضير، مبطنين الهدف الأساسي، الذي يريدون تحقيقه، ألا وهو هيمنة كل ما يتعلق بشؤون الغرب، سواء عسكريا أو ثقافيا أو أخلاقيا أو غيرها. فالعلاقة إذن، علاقة تكامل، وتحقيق مصالح مشتركة.

(١) Ibid. – première partie – p. 42.

المبحث الثالث: المؤثرات الثقافية

تعد المؤتمرات رغم كل المؤثرات الخارجية فيها، منبرا ثقافيا في أساسها، وبالتالي تشغل الثقافة جل شأن المؤتمرات، فلا غرابة أن تكون لها تأثير كبير في مجريات أعمالها، وفي جل المقالات والبحوث والدراسات التي تعرض في مؤتمرات المستشرقين العالمية. هذا التأثير سيتم التعرض له بإيجاز في هذا المبحث، ومع ذلك لا يمكن إعطاؤه كل حقه، لحاجة القيام فيه بدراسة شاملة، وإنما هو هنا من باب التعريف به وبيان بعض الجوانب الثقافية التي تم تناولها في المؤتمرات، سواء كانت ذات علاقة مباشرة بالاستشراق أم لا.

هذا وسيتم تحليل الموضوع وفق العنصرين التاليين:

- ١- مفهوم الحضارة وأصولها في مؤتمرات المستشرقين العالمية.
- ٢ - التبادل الثقافي والحضاري خلال العصور الوسطى الأوروبية.

١- مفهوم الحضارة وأصولها في مؤتمرات المستشرقين العالمية:

درست جوانب من مفهوم الحضارة وأصولها في مؤتمرات المستشرقين العالمية، طرقها مستشرقون عديدة، وكل له فيه رأي وتوجه.

تناول هذا الموضوع "فون كريم"، في المؤتمر السابع، المنعقد بـ"فيينا" سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، فقال: "إن الحضارة المعتبرة في عمومها، ليست مهمة شعب واحد، إنما نتاج التبادل الهادئ للأفكار، تماما مثل البضائع، وهو تبادل، لا يتم في الحقيقة، إلا بعد معارك عنيفة"^(١). يبدأ المستشرق ببيان رأيه في حقيقة تكون الحضارة، وهو رأي مقبول في حد ذاته. إلا أنه يختمه بكلام غير صحيح في عمومها، إذ يجعل تبادل الحضارة مقرونا بضرورة قيام حرب تسبقه. وتلك هي

(١) A. Freiherr Von Kremer - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Tl- Vol 1 - Die Eröffnungssitzung des Congresses - pp. 35 - 36.

الحضارة المعتمدة كما عبر عنها. لكنه لم يبين رأيه في الحضارة التي لا تستلزم قيام صدام.

لا ينفرد المستشرق "كريم" بهذا التوجه العام الذي يرى أن التبادل الثقافي لا يحصل إلا بالقوة، بل نجد المستشرق "سيورات الجيني"، في المؤتمر التاسع بلندن، سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، يقرأ ورقة حول "أصول الحضارة"، وجاء فيها مفهوم غريب للحضارة، فهو يرى أنها نتاج الصراع بين الجنس الراقي (الأبيض)، والجنس السفلي (القاتم)، وأن هناك برهانا على ذلك في بابل ومصر، فقد كانت الثقافة نتاجا للتurf المؤمن للجنس الراقي...^(١). وهذا الكلام، غير مسلم به. كما أن المستشرق لم يحدد بالضبط مقصوده من كلمة "أبيض" لكن لو أخذنا المعنى العام لها، ألا وهو أن الجنس الأبيض هم الغربيون فقط، فيظهر بوضوح أن هذا الكلام تردده الحضارات الصينية والهندية والإسلامية. أما إذا أخذنا من استشهاده ببابل ومصر، أنه يقصد بكلمة "أبيض"، كل ما لم يكن قاتما يميل للسواد، فالحيشة مثلا، بلغت أوجا لا بأس به في سلم الحضارة، في حقبة زمنية قديمة. كما نجد الحديث عن حضارة الهنود الحمر.

لكن المتخصص في كلام هذا المستشرق، يمكنه أن يستخلص نسمة العنصرية، وعقدة التفوق العرقي الغربية. ويبدو أن هذا التوجه، ما هو إلا موروث من الأصوليين اللذين يراهم الغربيون أساس حضارتهم، الإغريق والرومان. يذكر ذلك "ماكس ميلر"، في المؤتمر ذاته، ويعرب عن خوفه من آثارها ومخلفاتها المستقبلية، إذ يقول: "...ثم إن معظم أوروبا نجحت في سيرها وراء الموروث الثقافي الروماني - الإغريقي".^(٢)

في المؤتمر ذاته، حدد "ماكس ميلر" النطاق الجغرافي لمنابع الحضارة، وجعل نشأتها متوسطة، إذ قال: "أما معظم التاريخ الشرقي، فيبدو أنه صنع على يد المتوسطيين، وهذا ما جعل "إيwald يتجه نحو إدراج كل الآريين تحت

(١) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Meeting of sections - Vol1 - p. xxxvi.

(٢) Max Muller : Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 8.

اسم المتوسطيين^(١). يمكن أن نسلم بهذا الكلام جدلاً، إذ قوله معظم دليل على النسبية المتفاوتة. لكن معظم الأوروبيين أيضاً ليسوا متوسطيين. ثم إن المتوسطيين منهم لم يكن لهم شأن كبير، ما عدى الإغريق والرومان.

يزيد مسألة الحضارة وضوحاً، المستشرق الروسي "توفال" في المؤتمر العالمي الحادي عشر في العام ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، فقد بدأ بتحليل مفهوم الحضارة وكيفية المحافظة عليها: "إن الحضارة، لا يمكن إلا أن تكون متولدة الحياة، وبالتالي، فإنه من شأنها أن تنتشر وتتطور"^(٢). أما بعد تحليله هذا، فإنه يتحول للمقارنة بين الأثر الحضاري في كل من الشرق والغرب، مبيناً التفوق المطلق للغرب على الشرق، إذ يقول مواصلاً كلامه السابق: "هذه الملاحظات تنطبق على الشرق بالخصوص. إنه للشرق بالتحديد، أين تعود على الدوام المهمة الأولى من بقاء الأسس. إن مهمته لا تصل إلى هذه الدرجة من الدقة، والتي من شأنها أن تخرج النتيجة النهائية الصحيحة. ومن هنا، لا يتم وجودها إلا بموازرة الغرب. إن الشرق غارق في التأمل، ولا يهتم كثيراً بالجانب العلمي والتطبيقي... لكن الغرب هو الذي يرفع المؤشر... إن الشرق بطيء ثقيل، لا يقبل من يزعجه. إنه يركب الجمل الوقور المهيب، أما الغرب فإنه يغلي ويطير. إنه الآن على الحصان البخاري، وسيركض غداً على الكهرباء. إن الشرق هو الطريقة، والغرب هو الهيئة. الشرق هو التجريد، والغرب هو الاستثمار. وهذان الفرعان من الحضارة يمكنهما، بل عليهما أن يتكاملا ويتعاونوا. فالشرق يلقي البذور، ثم يأتي دور الغرب لجعلها تثمر. إذن، على أوروبا، أو بمعنى أدق، على النصرانية أن تقدم للدراسات الشرقية هذا التوجه التطبيقي والنفعي، الذي يوجد في قاعدة كل العلوم القابلة للحياة."^(٣)

يمكن أن نناقش كلام المستشرق هنا من وجهين، أحدهما فيه مغالطة، والآخر فيه صواب. أما المغالطة، فتكمن في أنه يرى الشرق عجيبة طرية عاجزة كسلى، تحتاج الغرب كي يحدث فيها أشكالاً وحيوية ويبث فيه الروح، لأن منهج

(١) Ibid. - Vol I - p. 8 .

(٢) Discours de Nauphal - Actes du Onzième Congrès International des Orientalistes - Paris - 1897 - Partie I - T3 - p. cxxiv-cxxv .

(٣) Ibid. - Partie I - T3 - p. cxxv .

الشرق مثالي، فيم المنهج الغربي والكنسي بالذات مادي نفعي. هذا هو تحليل المستشرق للعلاقة الحضارية بين الشرق والغرب.

هذه الأحكام العامة، يردها التاريخ وأحداثه ردا مطلقا. فالفينيقيون وامتدادهم، القرطاجيون، مثلا، طافوا العالم المعروف إذ ذاك كله تقريبا، لقد وصلوا بتجارهم إلى بريطانيا شمالا، وجنوب إفريقيا جنوبا. أما حوض البحر المتوسط، فكاد يكون ملك يمينهم. ثم إن حملتهم على أوروبا، كان لها صداها الكبير في وقتها، وهي دليل دامع على الحركة الشرقية الدائبة، فقد اندحر أمامهما القوط الأسبان، وكل إمارات بلاد الغال وأطراف الجرمان، ثم هزمت الإمبراطورية الرومانية في عقر دارها، إلا أن تخالفا للقادة في إفريقيا حال دون أن تغير الحملة تلك وجه العالم. كما أن الآثار التاريخية القديمة في مصر وبابل والصين وغيرها، دليل واضح على حيوية عوامل الحضارة محليا دون الحاجة إلى مساعدة من الغربيين.

هذا من العصور القديمة. أما في العصور القربية، فقد دخل المسلمون الوسط الأوروبي واستوطنوه، وكونوا تطورا حضاريا، كان الغربيون يفخرون بتعلمه منهم. كان ذلك في الأندلس مثلا، التي كان الغربيون يتفاخرون بعضهم على بعض بتعلمهم على أساننتها العرب. ومن الشرق وصل العثمانيون حدود "قينا". هذا الشرق الذي يراه المستشرق بطينا، فيم الغرب بطير، يرده تطور العلوم التي يطول الحديث عنها، ولا تخفى حقائقتها على المستشرقين، حتى إن أول من حلول الطيران، وجرب ذلك عمليا، العالم الأندلسي المسلم "عباس بن فرناس"^(١).

أما اليوم، فنجد بعض الدول الشرقية تفوقت في المجال العلمي العملي على الغرب كله، وسببت له أزمات واكتسحت الأسواق العالمية، بل نافستهم حتى في أسواقهم الداخلية في بلدانهم، وهي اليابان، التي خصص لدراستها أول مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية. أما سياسيا وعسكريا تقف الصين حجرة عثرة في

(١) هو أبو القاسم عباس بن فرناس. توفي سنة ٢٧٤هـ، الموافق لـ ٨٨٧م. مخترع أندلسي من أهل قرطبة، من موالى بني أمية. عاش في عهد الخليفة عبد الرحمن الثاني بن الحكم. كان فيلسوفا ومبشرا أيضا، له علم بالفلك. أول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة بالأندلس، وصنع الميقات لمعرفة الأوقات. أراد أن يطير، فكسا نفسه الريش، ومد له جناحين، طار بهما مسافة بعيدة، ثم سقط فتأذى في ظهره، لأنه لم يعمل له ذنبا. وبالتالي يحد أول طيار اخترق الجو.

وجه الغرب وعتاده. وهذه أيضا لا يخلو مؤتمر من إدراجها ضمن مجالات دراسته. كما بدأ يبرز نجم الكورييتين.

ليس المجال موطن سرد لمآثر الشرق العملية في مجال الحضارة، لكنها أمثلة لإبطال الحجة المزعومة. فالمستشرق استغل ضعف الشرق زمن إلفاته دراسته ليورد تحليله ذلك. فحقا كان الشرق مستضعفا. وهذا هو الوجه الثاني من مناقشة كلام المستشرق. وهو الإيجابي من كلامه. لقد أهتم الشرق ببعض الجوانب الفكرية، وغفل في فترة من الزمن عن الأخذ بزمام المبادرة، فكان أن امتلك الغرب ملكة الاختراع، ولاسيما أسلحة متطورة جدا عن الشرق، وابتدع التقنية البخارية، فالكهربائية، وتم الأمر بسرعة كبيرة، ولما انتبه الشرق وجد نفسه بعيدا عن الواقع المادي، وعجز عن اللحاق بالركب، فأصابه انهيار حضاري، ساهم فيه الغرب بالسيطرة والتهديد والتخويف، ثم الاحتلال وتفتيت الشرق إلى دويلات متقاربة الحدود، متباعدة النفوس، متباغضة متنافرة، إذ أذكى جذوة الفرقة بينها.

رغم ذلك، يوجد من الغربيين من يعترف بضرورة التعرف على الموروثات الثقافية والحضارية الشرقية، قصد معرفة الذات والموقع الحضاري. من هؤلاء "غلان روبلس"، المستشرق الأسباني، الذي نادى في المؤتمر الخمس، ببرلين في العام ١٨٨١م (١٢٩٨هـ) بضرورة دراسة القرون الإسلامية في الأندلس، لإثبات الذات الأسبانية، وفصل الحاجات الدراسية الضرورية، لفهم حضارة المسلمين البائدة، في الأندلس، وبين أدق الخصوصيات من ملابس وحلي وخزف، والمعالم الأثرية البارزة، إضافة إلى الشخصيات التاريخية المرموقة، في مختلف الفنون المعرفية^(١). وما ذلك إلا لأنها أساس النهضة الأسبانية، وأساس من أسس التفوق الغربي الحضاري لاحقا.

إن، ترى مؤتمرات المستشرقين العالمية أن الحضارة والثقافة طاقتان حيويتان. للمحافظة عليهما لا بد من عمل دؤوب، وحركة نشيطة تعمل من أجل

(١) F. Guillen Robles: De l'etat actuel des etudes arabes en Espagne - Verhandlungen des Fufften Internationalen Orientalisten-Congress- Berlin- 1881 - V2 - p. 30 -31.

بقائهما، كما أنها تذهب إلى حد ضرورة نشرهما بالقوة. أما عن أصولها، فهي شرقية، وما دور الشرقيين فيها إلا المحافظة على سبل نقلهما وإيصالهما للغرب، الذي يعلم كيفية استغلالهما والمحافظة عليهما، لأن الشرق غير مقدر لقيمتيهما، ويحتاج الغرب لتدريسه أصول ذلك. وبما أن الشرقي عندها كسل ومتخلف، وجب تحضيره ولو بالقوة. تلك هي نظرة المستشرقين في مؤتمراتهم العالمية.

٢- التبادل الثقافي والحضاري خلال العصور الوسطى

الأوروبية:

تناولت مؤتمرات المستشرقين العالمية، موضوع الثقافة والحضارة وأمور تبادلها بين الشرق والغرب زمن العصور الوسطى الأوروبية. ويمكن بحثه في عناصر عدة، توضح جوانب من الموضوع.

أ - الأثر الحضاري الشرقي في الغرب في القرون الأوروبية الوسطى:

تحدث عن هذا الموضوع 'لوي براهي' Louis Brehier، في المؤتمر العالمي الثالث عشر، المنعقد بمدينة همبورغ في العام ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، في مساهمة له بعنوان "أثر الشرقيين في الحضارة الغربية عند بداية العصر الوسيط (من القرن الخامس إلى القرن الثامن)"، وبين أن الأثر الشرقي هو أحد العناصر التي كونت الحضارة الغربية، إلا أن هذا العنصر لا يزال يحتاج لتحديد، كما صرح بذلك. أما عن كيفية هذا التأثير، فإنه يرى أنه تم عن طريق المستعمرين اليونانيين والمصريين والآسيويين^(١).

هذا وقد علق المستشرق "فرانز كومونت Franz Cumont"، ونص بإصرار على دور الحروب بين الشرق والغرب وأثر الرق في التأثير الحضاري

^(١) Ibid. : p. 365 .

الشرقي، إضافة إلى تدفق السوريين^(١).

نستنتج من كل ما مر، أن التأثير الحضاري والثقافي للشرق في الغرب، تمتد أصوله إلى أرمان سحيقة جدا. وأنه بفضل هذه المؤثرات، نبذ الغرب بربريته التي كان يتخلق بها، وابتعد عن ظلمة التخلف التي قبع فيها لسنين مديدة، وبدأ يتلمس نور الثقافة والحضارة من الشرقيين، الذين، على العكس من ذلك، تعاقبت عليهم حضارات متعددة، عايشوها ونهلوا من معينها، الأمر الذي سما بهم في فضاء الثقافة والحضارة، وأصبحوا بالتالي أساتذة للغرب في هذا الميدان، قبل أن يتبنى الغرب حضارة مادية، سار بها حثيثا، وقيد الشرق بقوانينها، وغير الأحكام الفكرية والتربوية التي أسداها له الشرق من قبل.

ب - استكشاف الشرق ونشأة أناشيد الملاحم.

تناول هذا الموضوع بالتحليل المستشرق "جون ريشار Jean Richard"، في مؤتمر المستشرقين العالمي الخامس والعشرين، المنعقد في موسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، في دراسة له بعنوان "شهرة الشرق في الأدب الغربي خلال العصور الوسطى". وفيها تحدث المستشرق عن كيفية بروز الشرق وانتشار مفهومه وسط الطبقات الشعبية الأوروبية. فقد أعلن أن الشهرة التي حازها الشرق في البلدان الغربية في القرون الوسطى، لم تكن محدودة في الدائرة الضيقة للعلماء والمتقنين، بل انتشر ذلك عند القاعدة الشعبية عامة^(٢). ثم تحدث عن أقدم أنشودة ملحمة فرنسية، "أنشودة رولان"، التي تسرد قتال "شارلمان" ضد المسلمين، وقال إنها أضفت بعض الشخصية على أعداء الفرنج، وأن الشاعر بحث عن أسماء دقيقة للأشخاص وأماكن البلد، الأمر الذي يؤكد، حسب رأيه، وجود بعض الاطلاع الغربي على الشرق^(٣). وهذه الأنشودة لقيت حظوة خاصة عند الطبقة

(١) Ibid. : p. 366.

(٢) Jean Richard: " la Vogue de l'Orient dans la litterature Occidentale du Moyen Age" -25 eme Congres International des Orientalistes - Moscow - 1960 - T1 - p. 458.

(٣) Ibid. - T1 - p. 458.

الشعبية الغربية، التي أقيمت عليها بشغف، معرفة وحفظا ورواية، ومن خلال ذلك بدأ توسع انتشار مفهوم الشرق في الغرب عامة.

تحول بعد ذلك الحديث عن أناشيد الملاحم الصليبية. وذكر أنها نشأت مع أولى الحملات الصليبية، وهدفها الأساس رواية أحداث الحملة الصليبية، مثل أنشودة بيت المقدس، وأنشودة أنطاكية. وقال إن هذه الأغاني عرفت بالضرورة بعض الشيء عن الشرق حيث تدور الملحمة^(١). إلا أنها قد تتخذ صيغة أسطورية، تدخل فيها الخوارق وعمليات السحر. ففي هزيمة الصليبيين في أنطاكية، ظهرت "أنشودة البؤساء"، تتحدث عن أسر المسلمين لبعض الصليبيين، اتخذت صيغة رواية مغامرات، يأخذ الخارق فيها مكانة كبيرة. وتعلن في مقدمتها أن الشرق هو بلد الخوارق والعجائب^(٢).

كما أن عدة أناشيد كانت أحداثها تدور في فلك الشرق، أما موضوعاتها، فتكاد تكون واحدة، إذ إنه يوجد عادة بطل غربي، فارس مقدام، يقتل أميرة كافرة^(٣)، وهو ذريعة لاستحضار عجائب الشرق^(٤)، أما روايات عهد صلاح الدين، فتتبع الأحداث نفسها: إغواء عن طريق الشجاعة، مع التتصيص على استقامة البطل الكردي الذي اتخذوه بصفته الفارس المثالي، لدرجة أن الكتاب تخيلوه ابن أميرة فرنسية، اختطفها القراصنة، وتزوجها ملك سرزاني^(٥). وهذا يدل على أن الغرب كان عارفا ببعض الشخصيات الشرقية.

كما أن عجائب الشرق، كما يرى المستشرق، سردت في روايات عدة، مثل أنشودة الإسكندر، وأنشودة "رسالة القديس يوحنا Lettre du Pretre Jean"، التي تصف عجائب الهند. واستخلص أن هذا يؤكد مدى عظمة الشغف الذي يكنه الغربيون للشرق نهاية القرن الثاني عشر^(٦).

(١) Ibid. - T1 - p. 458.

(٢) Ibid. - T1 - p. 458.

(٣) من عادة كتاب أناشيد الملاحم أنهم يصمون بالكفر كل من لم يكن نصرانياً.

(٤) Ibid. - T1 - p. 458.

(٥) Ibid. - T1 - p. 458 .

(٦) Ibid. - T1 - p. 458 .

أما في القرن الثالث عشر، فإن المستشرق يرى أن الغربيين اهتموا بسرد معلومات أكثر صحة^(١). فقد ساعدهم نصارى الشرق على كسب معلومات جغرافية في آسيا وإفريقيا^(٢). كما أن العلاقات مع المغول أوجدت للغرب فرائد، رغم أنها امتزجت بالأحزان في أولها، كذلك في علاقاتهم مع التتار فيما بعد. كل ذلك، وسع أفق الغربيين في معرفتهم بالشرق وأحداثه^(٣). أما القرن الرابع عشر، فقد تميز بقيام رحلات استكشافية للشرق. وأهم هؤلاء الرحالة، "ماركوبولو" و"باردينون Bardinone"^(٤). ويعلق قائلا إن الشرق يبقى الأرض التي تزدهر فيها العجائب، وأن الرحالة جلبوا لقراءهم معلومات قيمة، وأنه لا يستحيل وجود آثار معلومات صحيحة جاءت عن طريق الحجاج، أو من كتابات أدبية علمية^(٥).

سعى المستشرق في هذه المداخلة إلى بيان التدرج في اطلاع الغربيين على الشرق. إلا أنه تجاوز النفاط السلبي التي أوجدها شعراء العصر الوسيط في قصائدهم وبالتالي في القراء والسامعين. إن أناشيد الجساء، إنما وضعت لحشد الرأي العام الغربي ضد المسلمين، الذين أطلقوا عليهم اسم السرزانيين، التي ترادف عندهم الكفرة البرابرة الهمج. كما أهمل غايات الرحلات الاستكشافية التي قام بها 'ماركوبولو' وغيره. لقد بين أن صورة الشرق كانت تتعاضد مع مرور الأيام، لكنه لم يبين حقيقة تلك الصورة. لقد كانت تحمل عن الشرق كل أنواع السخف والاحتمار والحق. أما الصورة الجمالية أو الواقعية، فما نشأت إلا مع نهاية القرن السادس عشر، وما يليه. إذ ذاك هب المستكشفون والباحثون يرغبون في التعرف على أسرار الشرق وكنهه.

ج - التأثير الأدبي بين الشرق والغرب.

تحدث عن هذا الموضوع "ج. دو غوية J. de Goeje"، عند حديثه عن

(١) Ibid. - T1 - p. 459 .

(٢) Ibid. - T1 - p. 459 .

(٣) Ibid. - T1 - p. 459 .

(٤) Ibid. - T1 - p. 459 .

(٥) Ibid. - T1 - p. 459 .

رواية "الرحلة البحرية La Navigatio". كان ذلك في المؤتمر الثامن بـ"ستوكهولم وكريستيانيا"، في العام ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ). تتحدث هذه الرواية عن رحلة بحرية، جعل بطلها قديسا أيرلنديا من القرن السادس، هو القديس "براندان". أما سبب الرحلة، فهو البحث عن الجزيرة التي يزعم أنها موعودة للقديسين، وقد اصطحب معه أربعة عشر قديسا آخرين، ودامت رحلتهم سبع سنوات. يناقش المستشرق محتوى هذه الرحلة، لبيان أصولها الثقافية.

يلاحظ المستشرق قبل كل أمر، أن الرقم "سبعة" يوجد أصلا في أسطورة سابقة، تمثل قاعدة "الرحلة البحرية"^(١). ثم يقول: "اقد لاحظنا منذ زمن، أن التركيبة هذه، ليست سوى تنقيح رهباني لموضوع معروف مسبقا، إن التشابه مثلا بين "الرحلة البحرية"، المتضمنة لحكاية الحوت العظيم الذي حسبه البصارة جزيرة، والذي بدأ في التحرك، ثم الغوص في البحر عندما أشعلوا النار، وما نجده في رحلة السندباد الأولى، الموجودة في "ألف ليلة وليلة"، مذهشة جدا، لدرجة أننا لا نشك في وجود أصل واحد بين هذا وذاك. لكننا لم نقدر بعد على تقرير ما إذا كانت هذه الرواية تم نقلها من الشرق إلى الغرب، أو أن الشرق هو الذي استقاها من أيرلندا"^(٢). لكن "دو غوية" يرى أن الرأي الأخير غير مقبول، رغم أن هناك من قبله^(٣).

ثم ينتقل المستشرق لتحليل بعض القرائن الأخرى، أكثر دقة من هذه. فيقول: "في الجزيرة الأولى، حيث نزل سان براندان، يرتفع قصر عظيم، لم يجد الرهبان فيه أحدا. إنها تماما جزيرة القصر في الرحلة الثالثة للسندباد. لكن الأسود المتوحش، الذي ظهر على أنه المواطن الأصيل عند السندباد، أصبح عند براندان شيطانا على هيئة أسود صغير"^(٤). ثم يتحدث عن نبعي ماء في جزيرتين من جزر "براندان" نهى مرافقيه عن الشرب منها، ويستنتج قائلا: "إنه مما لا شك فيه أن

(١) J. De Goeje: " La legende de Saint Brandin" - Actes du Huitieme Congres International des Orientalistes - Stockholm and Christiania - 1889 - Deuxieme Partie - Section Semitique A - p. 46.

(٢) Ibid. p. 46.

(٣) Ibid. pp. 46 - 47 -

(٤) Ibid. p. 52.

هذين النبعين هما صدى لتلك التي ارتوى منها السندباد في بداية رحلته الثانية، ونام بعد أن شرب منها، ولم يستيقظ إلا بعد أن أبحرت السفينة بعيداً^(١). ينتقل بعد ذلك للحديث عن جزيرة العسافير. فرغم أنه لا يرى أنها قد استعيرت من الرحلة السابعة من رحلات السندباد، إلا أنه يعتقد أن هناك بعض الشبه بينهما^(٢). كما أن هناك أمر الشيخ الذي يجب عن كل تساؤل بالإشارات، يقول: "لقي القديس "براندان" شيخاً يجيبه عن كل تساؤلاته بالإشارات... إذا تعمقنا فيه، نجد أنه قد تمت استعارته من الرحلة السندبادية الخامسة^(٣).

يواصل المستشرق المقارنة بين رحلة "براندان" ورحلات السندباد. يقول: "أما جزيرة العنب، فيمكن أن تكون صدى للعنب الذي وجده السندباد في جزيرة الشيخ... أما الطائر المخليبي العظيم الذي هدّد القديس "براندان" وأصحابه، فهو بلا شك الرخ المذكور في الرحلة الخامسة للسندباد... والعمالقة الذين سعوا لتحطيم السفينة بصخور عظيمة، أو بأشلاء معدنية، فتبدو أنها نقلة عن العمالقة المتوحشين في الرحلة الثالثة من رحلات السندباد^(٤).

ينتقل المستشرق بعد ذلك محاولاً تدعيم رأيه بأمر فنية منطقية، استقامها من خلال مقارنته للروايتين. فيتحدث مثلاً عن تسلسل الأحداث فيقول: "إن كنا قبلنا ضمناً حتى هذه اللحظة أن كاتب "الرحلة البحرية" هو الذي استعار من السندباد وليس العكس، فإنما ذلك راجع إلى كون كل شيء متطابق مع القرائن عند السندباد، أما عند براندان، فإن المغامرات عرفت انقطاعاً في تسلسل الأحداث، وتظهر بالتالي الصفات الدالة على الاستعارة^(٥).

ثم يقارن بين الاسمين، "سندباد" و"براندان" فيجد هناك تقارب وتشابه، ويستخلص: "ويمكن أن نتقبل دون معاناة كبيرة أن بحاراً أو راهباً أيرلندياً جالاً

(١) Ibid. p. 52.

(٢) Ibid. p. 53.

(٣) Ibid. p. 53.

(٤) Ibid. p. 53.

(٥) Ibid. p. 53.

المشرق، سمع من يروي رحلات السندباد، ويتكبره في "سان براندان"، فقد ظن أن هذا الأخير هو بطل الرواية^(١).

مصدر ثالث أثر في هذه الرواية، هو كتاب الإدريسي، الذي نشر في العام ١١٥٤ (٥٤٨هـ)^(٢). يذكر المستشرق أنه جاء عند الإدريسي، أن ثمانية شبان أندلسيين من لشبونة، سعوا لاكتشاف خبايا ما وراء المحيط. وبعد أن أبحروا مدة أحد عشر يوما تقريبا، متجهين للغرب، وصلوا إلى بحر متلاطم الأمواج، تنبعث منها رائحة كريهة، ويخفي بين أمواجه صخورا كثيرة، إضافة إلى أن الرؤيا لم تكن واضحة، الأمر الذي جعلهم يخشون من التيه، فانقلبوا تجاه الجنوب. وبعد أحد عشر يوما، وصلوا إلى جزيرة، أطلق عليها "جزيرة الغنم"، إذ وجدوا هناك قطعانا عديدة من الأغنام. كما وجدوا مصادر مياه عذبة. استراحوا وارتووا، وذبحوا بعض الأغنام، إلا أنهم وجدوا مرارة في لحمها منعهم من الأكل، ولم يحتفظوا إلا بجلودها. ثم اتجهوا لتقاء الجنوب على مدى اثني عشرة يوما، ووصلوا إلى بلد معمر سجنهم أهلها ثم رحلهم إلى منطقة مهجورة بإفريقيا. كما جاء أنه توجد قرب جزيرة الغنم، جزيرة "راكا Raca"، سماها الإدريسي بجزيرة العصافير^(٣).

هاتان الجزيرتان توجدان في بحر أمواجه عاتية عند "براندان" أيضا. إلا أنه توجد بعض الاختلافات بين المصدرين، الإدريسي و"الرحلة البحرية"، وأن هذه الاختلافات لا يمكن عزوها إلا إلى تحويرات في النقل الشفوي. فالأغنام عند القديس عظيمة، عكس ما عليه عند الإدريسي، لأنه لا يؤخذ شيء من حليها، كما أن لحمها طيب للأكل. كما أن العصافير هي أرواح شيطانية لا تتجسم بهيئتها الحيوانية إلا في الأيام المقدسة^(٤).

من ناحية أخرى، يبحث المستشرق عن زمن قيام الإشبيلييين برحلتهم تلك. ويرجح أنها تمت خلال القرن العاشر، كما أن روايات السندباد كتبت حوالي العام

(١) Ibid. p. 55.

(٢) Ibid. p. 56.

(٣) Ibid. p. 57.

(٤) Ibid. p. 58.

٩٠٠ م (٢٨٧هـ)^(١). وبالتالي فهي سابقة عن "الرحلة البحرية". وهو دليل على أن الكاتب الأيرلندي هو الذي تأثر بوقائع الرواية الإشبيلية وحكايات السندباد. من المصادر التي ترجع لها أصول الرواية الأيرلندية، يقول "دو غوية": "ورواية الحوت العظيم الذي اتخذ الرهبان غذاء أياما عديدة، يمكن أن يكون الكاتب قد استعارها من الشرق. إننا نعلم أنه في العام الثامن الهجري، تمكن الجوع الشديد من مجموعة من الصحابة. إلا أن حظهم كان كبيرا، إذ سعدوا بحوت عظيم قذفه البحر على أحد جانبيه، فكان لهم غذاء، وذخرا للمستقبل أيضا"^(٢). فالسيرة والتاريخ الإسلامي مصدر أثر في توجيه أحداث "الرحلة البحرية".

مما مر، يتضح أنه كان هناك تبادل ثقافي أدبي، وتأثير حضاري في جانب التراث والأساطير، بين الشرق والغرب. إلا أن التصدير كان من الشرق إلى الغرب. فالأدب الشرقي كان مؤثرا في الأدب الغربي. يدل على ذلك أيضا قضية التأثير الإسلامي في مكونات كل من "الكوميديا الإلهية" لـ"دانتي"، و"الكوميديا الإلهية" الصينية، التي تناولها بالتحليل "ج.ج.ل. دايفونداك J.J.L. Duyvendak" في المؤتمر العالمي الثاني والعشرين، الذي عقد في إستانبول سنة ١٩٥١ م (١٣٧٠هـ)، في مساهمة له بعنوان "كوميديا إلهية صينية". ففي إشارة له لهذه المؤثرات المتداخلة، قال: "إن مسألة التأثير الإسلامي في مكونات الكوميديا الإلهية، هي أحد أجزاء المشكلة الكبرى للعلاقات مع العالم الآخر في الشرق والغرب، بما فيها الهند والشرق الأقصى... يدل على ذلك دراسة نص صيني يرجع تاريخه إلى العام ١٥٩٧ م (١٠٠٦هـ). هذا النص لا يقدم خليطا متكونا من المفاهيم البوذية والطاوية"^(٣) والكونفوشسية، لكنه يحتوي أيضا على بعض المميزات المتوازية مع المشهد الذي يصف "معراج" و"حجيم" دانتي. كما يبدو أن ثمة بعض الشبه المباشر مع "دانتي"، التي لم يوجد لها بعد أي نص وسيط يدلل

(١) Ibid. p. 65.

(٢) Ibid. p. 63.

(٣) هي فلسفة دينية مبنية على تعاليم "لاوشي"، و تعد بالإضافة إلى الكونفوشسية و البوذية إحدى أديان الصين الثلاث.

على ذلك^(١). في هذا الكلام، هناك تأثير وتأثير ثلاثي في الوقت نفسه بين المشرق والغرب والشرق الأقصى، حسب هذا المستشرق.

كما أن معرفة بعض التركيبات الحضارية، قد تؤخذ من الطرف الآخر. من ذلك التعرف على التركيبة الحضارية والعمرانية لمدينة ما. وقد حصل في المؤتمر الثاني عشر بروما، سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، أن تحدث المستشرق "كريسبو مونكادا Crispo Moncada" حول وصف لروما من خلال مدون لرحالة عربي من القرن الثاني عشر، ويرى أن الوضع لا يختلف عن ما يوجد لدى الإدريسي، وبعض الكتاب العرب الآخرين، لكنه يقر بأنها مصحوبة ببعض المواقف التاريخية الهامة، لقد قال الكاتب أنه وجد مدينة روما محصنة، وتحدث عن زواج أخت البابا المنصب مع أخ ملك المجر^(٢). فهذا المستشرق، حصل على بعض المعلومات التوثيقية عن تاريخه، من المدونات الإسلامية.

إذن، لقد كان الأدب الغربي متأثراً بالأدب الشرقي. وكان ينحو أسلوبه وطريقته في الكتابة والتفاصيل والوصف أيضاً. بل قد نكون الأحداث متطابقة أحياناً. كان ذلك لما كان المجتمع الشرقي يملك أصول القوة والحضارة والمعرفة. فقد كان الشرق هدفاً يؤمه الغربيون، للتتلمذ أو للتعرف أو للاطلاع أو للعمل. كان الشرق يومها هو المعطي، في حين كان الغرب هو المتقبل والمتأثر.

من هنا، يتبين أن للثقافة والحضارة، عموماً، تأثيراً هاماً في مؤتمرات المستشرقين العالمية. ولا عجب في ذلك باعتبار المؤتمرات إحدى المؤسسات الثقافية العلمية الغربية، وتركز دراساتها وموضوعاتها العامة حول الثقافة. وما قدم أعلاه ليس سوى عينة مما عرض في المؤتمرات، بما أن موضوع الثقافة واسع جداً، يشمل العلوم والفنون والدراسات المتنوعة.

(١) J.J.L. Duyvendak : "A Chinese "Divina Commedia" - Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istanbul - 1951 - Vol1 - p. 122 .

(٢) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - p. clxxxviii.

المبحث الرابع: المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية

وجئت المؤتمرات أنظارها كذلك للجانبين الاجتماعي والاقتصادي. أما الجانب الاجتماعي، فهي تدخل مباشرة في عمل المستشرقين، الذين يهتمون به كثيرا عند دراساتهم التحليلية للمجتمعات الشرقية، هذا إضافة إلى أن علم الاجتماع ومناهجه المتنوعة هي المستخدمة عادة في مثل هذه البحوث.

وإذا كانت الدراسات الاجتماعية لا تنفك عن بحوث المستشرقين، فإن الجانب الاقتصادي لا يدخل عادة إلا في جوانب ضيقة، أو في مرات عابرة، إلا أن تأتي دراسة اقتصادية عامة، أو منهج اقتصادي معين تحلل به ظواهر شرقية، تاريخية أو معاصرة. لكن أن تكون المصالح الاقتصادية من الميادين الاستشرافية المعلنة، فهذا لا يظهر عادة من توجهات المستشرقين. لكن ما وجد في هذه المؤتمرات أساسا، هو تأثير الجانب الاقتصادي المصلي في بحوث المؤتمرات، سواء في الماضي القريب أو الحاضر، حيث غلبت المصلحة الاقتصادية على الأبحاث المعروضة في المؤتمرات.

١ - المؤثرات الاجتماعية:

خطط منظرو المؤتمرات للعناية بالجانب الاجتماعي في الدراسات المعروضة ومنذ المؤتمر الأول، الذي ظهرت فيه التوجهات الاجتماعية تلك. فمن خلال المنشور الرابع، وفي عرضه لمخطط دراسة المجتمع الياباني، وردت التساؤلات التالية معبرة عن التوجه الاجتماعي في الدراسات الاستشرافية: "كيف كانت التركيبة السياسية والدينية والاجتماعية في اليابان قبل الثورة الأخيرة؟

- ما الخصائص السياسية والفلسفية والاجتماعية لهذه الثورة؟

- ما نتائج هذه الثورة الاجتماعية من وجهة نظر العلاقات الدبلوماسية والحياة الاجتماعية والثقافية في اليابان...؟

- ظروف النساء اليابانيات وثقافتهن؟^(١)

وفي تناولهم لهذه الموضوعات في المؤتمر الأول، يعجب المستشرقون من الانقلاب الاجتماعي الذي حدث في اليابان، فـ"لوفابر" يسعى لبيان هذه الحيرة فيقول: "أما بالنسبة للحالة الاجتماعية، فلا يمكن استنتاج أي شيء"^(٢). كما انبهروا من السرعة التي يتم بها التحول الاجتماعي، لدرجة عدم توقع ما يمكن أن يحصل نتاجا لذلك: "إن النكهن بما سيحدث يعد هذا الانقلاب الاجتماعي أمر مستحيل من جميع الجوانب. فماذا يقال علميا في شعب يتخلى مسرورا عن كل التقاليد وعن كل مؤسسات آباءه، شعب يبيع بالمراد العلني معابده وآلهته، شعب يفخر بالإعلان عن الهوس بالسياسة الغربية"^(٣)، ونتاجا لذلك، سمى "دو روسني" الشعب الياباني بقوله: "هو شعب خارق بكل تأكيد"^(٤). كما عبر بعض المستشرقين عن انبهارهم ببعض الظواهر الجالبة للانتباه، والمحدثة للحيرة في الوقت نفسه، ومن هؤلاء "دو بوسكي" الذي صرح فقال: "ألم نصدم فعلا لرؤية... الرغبة في معرفة كل شيء عند هذا الشعب الغريب، هذه المحبة للحوار الحر، وهذه السهولة في تمثيل كل ما يمليه عليه فكره وتبين له ضرورة أن يكون فوق كل ما يملك"^(٥).

وتواصلت الموضوعات الاجتماعية في المؤتمرات، حتى الأخيرة منها. وتنوعت الموضوعات المدروسة اجتماعيا. ولبيان ذلك، يمكن تناول موضوعين باختصار، لإلقاء بعض الضوء على تحليلات المؤتمرات الاجتماعية، وهي نظرة على دراسة المجتمعات عامة، وعن الدراسات المتعلقة بالمرأة بخاصة.

(1) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. XVIII .

(2) Lefebvre A.: Le premier Congres International des Orientalistes - pp. 6-7 .

(3) Julien Duchateau: Une creation scientifique francaise - p. 10 .

(4) Discours de Lion de Rosney - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 143 .

(5) Ibid. - Tome premier - Les religions et le neo Bouddhisme au Japon - Discour de de Bousquet - p. 150 .

أ - دراسة المجتمعات الشرقية:

فيما يتعلق بالمجتمعات عامة، نجد المستشرقين يهتمون بالشعوب ذاتها، للبحث في أصولها العرقية، وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، وعلاقاتها الاجتماعية. ففي البحث عن الأصول العرقية مثلا، التي سعى المؤتمرون لبحثها منذ المؤتمر الأول. وعن الشعب الياباني، إذ كانت اليابان هي محور المؤتمر الرئيس، حيث أشكل عليهم تمييز أصول الشعب الياباني العرقية، فليس ثمة مصادر قديمة توضح ذلك^(١)، لكنهم قسموا الشعب الياباني إلى قسمين السكان، الأصليين، وسكان دخلاء غزاة، فالأوائل لا يعدون من اليابانيين، الذين تمثلهم الفئة الثانية^(٢). كما أقروا بأن العرق الياباني الأصل لم يعد موجودا، وأن الموجودين كلهم من الجنس الهجين^(٣). وتواصلت البحوث العرقية لبعض المجتمعات الشرقية، ونجد من بينها دراسة للمستشرق "فيليكس فون لوشان" Felix von Luschan عن أنثروبولوجية غرب آسيا^(٤).

فالأصول العرقية للشعوب، تعد من الموضوعات التي اهتم بها المستشرقون اهتماما خاصا، ولاسيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وخلال النصف الأول من القرن العشرين. وهذا كان مساهمة للظاهرة العامة التي كانت توجد على الساحة الغربية، كما تم توضيحه سابقا عند الحديث عن البيئة التي نشأت فيها المؤتمرات^(٥).

يهتم المستشرقون في المؤتمرات كذلك، بالصفات الاجتماعية الخاصة بالمجتمعات، وفي هذا المجال تحدث "دو بوسكي" منبها عن مميزات تبين ذكاء

(١) Ibid. - Tome premier - Les plus anciens monuments Japonais - Discour de Leon de Rosny - p. 62 .

(٢) Ibid. p. 62.

(٣) Ibid.-Tome premier - Origine et migration du peuple Japonais - Discour de Mme Clemence Roger - pp. 180 - 181; and Ibid. - Discours de Leon de Rosny - p. 173; and Ibid. - La politique chez les Japonais - Discours de Madier de Montjau - p. 135.

(٤) Felix von Luschan: "Anthropologie de l'Ouest de l'Asie"- Congres International des Orientalistes- XVIeme Session -Athenes - 1912 - pp. 43 - 44.

(٥) تم ذلك ص ٥٢ من الرسالة وما بعدها.

المجتمع الياباني وفطنته^(١). وفي الاتجاه نفسه يزيد "مادي" الأمر وضوحاً فيقول: "مع حسن الحظ، وكما أعرف، فإن اليابانيين هم أقل وفوقاً وأقل سذاجة، بالدرجة التي يبدو أنهم عليها. إنهم معتدون بأنفسهم، لكنهم يعرفون بالضعف، فهم ليسوا أقوىاء، لكنهم لينون، ولا يمكن حزمهم، وهم عارفون لمواطن الضعف التي تخفي وراءها عمق تفكيرهم، ولديهم حذر كبير"^(٢). كما بين المستشرق "توتاي" في المؤتمر ذاته الطبقة الموجودة لدى الشعب الياباني، مبيناً أن أطبقها طبقة الدباغين، وأن كل طبقة لها حدود في التعامل لا يتجاوزونها "حتى لا يخسروا طبقتهم، ويصابوا بالفزع، أو بالأحرى الدناءة التي تفسد طبقة الدباغين، فهي طبقة مدمنة ومحتقرة، ويعد مجرد الاتصال بها رجساً"^(٣).

ومن ذلك أيضاً، الطريقة التي تمكن الهولنديون بها من بسط سيطرتهم على أندونيسيا، وما ذلك إلا لخصائص شعبية، يقول "كوين" في ذلك، خلال المؤتمر السادس بلبين سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)^(٤). تلك الصفات استغلها الهولنديون أحسن استغلال من أجل بسط نفوذهم على المجتمع كافة، وتواصل الاحتلال.

من ناحية أخرى، تهتم المؤتمرات بالعادات والتقاليد الشعبية في دراساتها الاجتماعية. ومن الأمثلة الموضحة لذلك، ما نقله المستشرق "أراكليان Arakelian"، في المؤتمر الثالث عشر المنعقد في هامبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، عن المجتمع الكردي في فارس، فيبدأ ببعض الخصائص وينقل لوصف بعض عاداتهم فرأى أن الأكراد، شعب متوحش وبدائي، موهوبون بعزيمة ثابتة وحازمة. ولهم روح انتقامية، ويهيجون بيسر، وشغل الرجال الأساس هو سباق الخيل واستعمال السلاح والرحلات وقطع الطريق والسرقة. ومن السمات كذلك، تمسك الكردي بمبدئه العام، فرغم الجهل والأمية التي كانوا فيها، إلا أنهم

(١) Les religions et le neo Bouddhisme au Japon - Discours de de Bousquet - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - pp. 4 - 5.

(٢) La politique chez les Japonais - Discours de Madier de Montjau - Ibid. - Tome premier - p. 138.

(٣) La Science medicale au Japon - Discours du Duteuil - Ibid. - Tome premier - p. 304.

(٤) Discours de Kucnen - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere Partie - pp. 155 - 158.

متعصبون جداً، ولا ينسون القيام بأداء صلواتهم، وذلك حتى أثناء ذهابهم إلى السرقة وقطع الطريق^(١).

كما يتناول المستشرقون عادة، علاقات الشعوب بغيرها من المجتمعات الأخرى. من ذلك ما ذكره المستشرق السابق عن الأكراد، ففي حديثه عن علاقة المجتمع الكردي بالحكومة الفارسية يقر أن الحكم الفارسي لا يتدخل في شيء من إدارة الشعب الكردي. فكل قبيلة كردية لها رئيس، وهذا الرئيس هو سيدها المطلق، والحاكم المستبد والقاضي الوحيد. ورؤساء القبائل هؤلاء يدفعون إلى الحكومة الفارسية مبلغاً مالياً معيناً كل سنة، كخراج وضريبة، وهذه هي كل المصاريف وعنوان الولاء، أما مع الضيوف، فهم مضيفون. وإذا دخل كافر خيمة كردي، أو حتى عدوه اللدود، فإنه سيمُنّضِفه ويحميه من كل إساءة. ويمكن للمسافر أن يسير أياماً كاملة بين الأكراد دون أن ينفق شيئاً، لأنه يجد في كل خيمة حسن الرفاة له ولخدمه وأحصنته^(٢).

وفي هذا المسار نفسه، تحدثت المستشرقة "جول نيميث Jules Nemeth"، في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، عن طريقة اختيار الأتراك لأسماء أبنائهم، ومما جاء في تلك المحاضرة أن هناك أسماء متعلقة بالعوامل الجغرافية، وأسماء أخرى متطابقة مع الظروف والخصائص الخارجية، المؤثرة منها بصفة خاصة، وأسماء تدل على المناصب أو طريقة العيش، وأسماء أخرى متعلقة بأصول الشعب، وأسماء تعني "السهم"، "القبيلة"، أسماء شعبية منحدره من أسماء التكوين العسكري، وأسماء تدل على قوى معهودة كأسماء شعبية، مثل أسماء تعني "القوة"، "الزوبعة"، "الجروف الثلجية"، "الغنى"، "المشهور"، "المتعجب"، أسماء شعبية منحدره من أسماء شخصيات وشعوب طولونية، وأسماء تدل على الأرقام، وأخرى لواقع في أسماء الشعوب^(٣).

(١) Arakelian H.: "Les Kurdes en Perse" – Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Hamburg - 1902 - pp. 148 – 149.

(٢) Ibid- pp. 148 – 150.

(٣) Jules Nemeth: "Le système des noms des peuples Turcs" – Actes du XXIème Congrès International des Orientalistes - Paris - 1948 – p. 174.

ومن دراسة المجتمعات الإسلامية أيضا، الاهتمام بمعتقد طوائف عدة بالأولياء. ففي المؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، وصف المستشرق "وسترماركي Westermacke" عقيدة الأولياء في المغرب، محاولا بيان الآثار الخفية لديانات ما قبل النبي محمد (ﷺ)، فيقول: "أشياء وأشجار وأحجار مقدسة، تتجمع عادة قرب قبور الأولياء. يكون المكان عادة مقدسا في الأصل، وتتدخل المخيلة الشعبية لتعيين قبر ولي"^(١).

وحول الموضوع ذاته تحدث في المؤتمر الثالث عشر بهمبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، المستشرق "مونتي" فقال مبينا جهل القوم، الأمر الذي أدى لعبادة الأولياء كما يرى: "ولا يوجد تعليم كبير حتى بين العلماء... وبصفة عامة، إن المغربي قليلا ما يمارس واجباته الدينية، ونادرا جدا ما يحج إلى مكة. وعبادة الأولياء والانضمام إلى جمعيات دينية، يكونان أسس الدين المغربي... وثلاث أرباع السكان، الذكور والكهول، هم في عداد الجمعيات الدينية. والجمعية الأكثر نفوذا حاليا، هي جمعية "العيساوية". وهذه الجمعيات تقوم بعمل كبير من الناحيتين الدينية والاجتماعية، ولكنها ليس لها أي تأثير سياسي حاليا"^(٢). هذه التعبيرات، رغم أن فيها مبالغة لفظية، إلا أن ظاهرة تقديس الأولياء هي واقع اجتماعي، ولاسيما خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وبداية القرن العشرين، وإن كان الغلو في التقديس فاق الدرجات العادية، إلا أنه لا يصل لدرجة العبادة، ولا يقر حتى الجاهل الذي يقدسها بأنه يعبدتها، لكن الجهل الديني والثقافي هو الذي ساهم في التلبس على الناس، وما يدل على ذلك أن هذه الظاهرة خفت بدرجات عليا، رغم أنها لم تنقرض، وذلك نتيجة لانتشار الوعي والمعرفة والثقافة بأنواعها.

ومن الموضوعات الاجتماعية المعاصرة، تناول المستشرق الياباني "ياسومازا كورودا Yasumasa Kuroda"، الشباب الفدائيين الفلسطينيين من منظور السياسة الاجتماعية، مركزا على الطريقة التي يتعلمها الأطفال لتحديد

(١) Resume des Bulletins (Westermarcke) - Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - T3 - section I - p. CLXXXIII.

(٢) Montet E.: "Une mission Scientifique au Maroc: l'Islam Marocain" - Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten - Kongress - Humberg - 1902 - p. 301.

هويتهم الوطنية، رغم أنهم لم يشاهدوا ذلك الوطن أمام أعينهم، ويقول: "عندما يسأل اللاجئون الفلسطينيون عن بلدهم، فهؤلاء يجيبون بكل ثبات "أنا من القدس"، أو حيفا أو أي مدينة أخرى، أو قرية، تخضع الآن للهيمنة الإسرائيلية"⁽¹⁾، ويقارن ذلك بالمثل عن اليهود الذين كانوا يعيشون في أوروبا إبان الحرب العالمية الثانية الذين كانوا يقيمون في المعسكرات الأوروبية فهم يرددون "أنا يهودي من إسرائيل"⁽²⁾. ويعلق قائلاً: "ولا أحد من الأطفال في الملاجئ الفلسطينية أو المعسكرات اليهودية بأوروبا، شاهد مرة فلسطين"⁽³⁾.

ب - المرأة في دراسات المؤتمرات:

كثرت الموضوعات المتعلقة بالمرأة وشؤونها منذ المؤتمر الأول كذلك، وتواصلت حتى المؤتمرات الأخيرة. فقد تم عرض موضوع المرأة اليابانية للدرس في المؤتمر الأول، وبعد الحديث عن التطورات التي أحدثتها الثورة على المستوى العام، وقف "مادي" عند المرأة، فقال: "إننا ننتظر رؤية ما ستقدمه الثورة للمرأة اليابانية، دراستها وحريتها وأخلاقيها وكرامتها. لكن، حالياً، يمكننا القول أن هذا البلد هو أول البلدان الشرقية، حسب مقياسنا، الذي تعامل المرأة فيه برقة، أكثر من كل البلدان الشرقية الأخرى... فلننتظر بعض الوقت قبل أن نحكم. لكنني لا أحمل جهود المتقنين اليابانيين محمل الجد إلا إذا رأيت انطلاقة تدريب للنساء بقوة، وحريةهن المقرونة بكرامتهن"⁽⁴⁾.

ولعل الجانب الأخلاقي للمرأة، بقي موضع خلاف وتعارض في الآراء حوله. ففي حين يحمل المستشرق البولندي "بومفال Baumfeld"، على أخلاقيات

(1) Yasumasa Kuroda: "Young Palestinian Commandos in Political Socialization Perspective" - Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p. 72.

(2) Ibid. p. 72

(3) Ibid. p. 72.

(4) La politique chez les Japonais - Discours de Madier de Montjau - Congrès International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 138.

المرأة اليابانية، ويستنتي النصرانية منها^(١). لكن قوله هذا يردده عليه العديد من المستشرقين. ومن هؤلاء "دو بوسكي"، وهو أكثر العارفين بشؤون اليابان، يبين أن هناك شعورا عميقا بالعزة والكرامة يستحق كل احترام، سواء عند الرجال أو النساء^(٢). أما "الأميرال روز"، فيساهم بالدفاع عن أخلاق المرأة اليابانية، ويختم قوله: "ليست سيئة مطلقا، إنها حواء قبل الخطيئة"^(٣).

وغير بعيد عن اليابان، يتحدث المستشرق "جوستاف شلاجل Gustave Schlegel"، عن المرأة الصينية، وذلك في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، فبيدا بالحديث عن البنت منذ الصغر، ويرد على من يسم المجتمع الصيني بعدم رغبته في إنجاب البنات، فيقول: "صحيح أن الأولاد مرغوبون أكثر من البنات. لكن هل الأمر عندنا مختلف؟... هلا نسمع البنات أيضا يرسلن عادة تهديدات حارة ويصرخن "آه! كم أتمنى لو كنت ولدا". وفي العموم إن الصينيين يحبون أبناءهم، ورغم أنهم يفضلون ولدا، يقدر على مواصلة تقديم القرابين عن أجدادهم، وتكوين مجد للعائلة، فإنهم لا يكرهون مع ذلك بناتهم"^(٤).

ويتناول موضوعا آخر، يتعلق طبقات المجتمع العليا، ويقول: "لم تكن ظروف المرأة محتملة دائما، بل إنها في بعض الأحيان في ظروف أحسن من الرجل. فالأميرات بصفة خاصة، كن نساء صعبة المراس، فقد كن يجعلن حياة أزواجهن غير محتملة عادة... ومن هنا نفهم كيف أن الخادמות اللاتي كن شاهدات

(١) La femme chez les Japonais – Discours de Baumfeld – Tome premier - p. 159.

And Julien Duchateau – Une creation Scientifique Francaise - p. 13.

(٢) La femme chez les Japonais – Discours de de Bousquet – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier – pp. 159 – 160 .

And Julien Duchateau – Une creation Scientifique Francaise... - p. 13.

(٣) La femme chez les Japonais – Discours de de Bousquet – Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier – pp. 160 – 161.

ينسب "دو شاتو" في مرجعه السابق الذكر في الصفحة ١٣، مقولة "إنها حواء قبل الخطيئة"، لـ"دو بوسكي"، ولعله وهم أو خلط.

(٤) Gustave Schlegel: "La femme Chinoise" – Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 – 4eme partie – 5eme séance - p. 124.

يوميًا على هذه الحالات، يدخلن العادات تلك إلى بيوتهن، وما هي إلا أن يضعن أزواجهن، من أهم واحدة حتى أقلهن درجة، تحت الخف كأزواج الأميرات^(١). أما عن الطبقات الأخرى، فإن الونام بين الزوجين نادراً ما يتكرر، وإنه بصفة عامة يسود الأسرة نوع من الأمن والوفاق القلبي، أكثر مما عندنا. وعندما يوجد في العائلة شعور بالألم، فذلك من قبل الرجل أكثر مما هو لدى المرأة^(٢). والمستشرق، في مقارنته بين المراتين الصينية والغربية، ينزع دائماً لتفضيل الصينية، سواء منها البرجوازية أو غيرها^(٣).

وتناولت المؤتمرات المرأة المسلمة بالدرس، ولعل أهم ما اهتمت به، حركات تحرير المرأة التي ظهرت في المجتمعات الإسلامية. هذه الحركات، اهتم بها مستشرقون عديدون، ولعل أبرزهم المستشرق الروسية، "ألجا دو لبيدو Olga de Lebedew"، التي تناولت الموضوع في مؤتمري، الثالث عشر والرابع عشر. ومع ذلك نجد نوعاً من التناقض بين دراستها، ولعلها في المرة الأولى كانت تتكلم نظرياً دون معاناة، فلما وطقت قدمها الجزائر، وعالمت المرأة الجزائرية وما عليه من إقبال لا محدود على الحضارة الغربية المادية، حاولت التلطيف من عباراتها وآرائها الأولى.

أما دراستها الأولى، فكانت في المؤتمر الثالث عشر بدمبرغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، وخصصتها لمساعي قاسم أمين بخاصة، ومن ثم أتباعه، من أجل إقرار حقوق جديدة للمرأة المسلمة، تقول: "أريد أن أتحدث عن محاولات قاسم أمين باي"، الذي أصبح اسماً كبيراً... والذي يعمل للهدف الذي نسعى إليه نحن أيضاً، أعني تحرير المرأة المسلمة^(٤). وكلامها هذا يوحي بوجود نوع من التعاون بين الداعين الغربيين لتحرير المرأة وقاسم أمين.

ويبدو أن المستشرقة متحاملة نوعاً ما على الشريعة الإسلامية، فهي لا تكاد تذكر الإسلام بالاسم في دراستها هذه، إلا إذا ربطته بالتشريع، بل تصرح

(١) Ibid. pp. 125 – 126.

(٢) Ibid. p. 128.

(٣) ورد ذلك في جل دراسته، ص ١٢٧، ١٢٨، وغيرها.

(٤) Ibid. pp. 314 – 315.

بالمحمدية والمحمدي وهي من الصفات الراجعة للقرون الوسطى الأوروبية، والمسار الاستشراقي البدائي، وهو ما لا نراه في المقالة انقادمة، التي سيرد ذكرها، كما أنها كثيراً ما تعبر عن المسلمين المتمسكين بالدين والملتزمين به بـ"الأرثوذكس"، وعند الترجمة تركتها كما هي، قصد إبرازها، ومن هنا فهي متحمسة لدرجة ربما حملت معها آراء قاسم أمين أكثر مما تعنيه في الأساس. فنراها تقول: "تعهد قاسم أمين باي بتحرير المرأة من العبودية والجهل الذين تقبّع فيهما الآن، وتقريب التصور المحمدي للأسرة من تلك المختلفة عنها، والتي كونها الأوروبيون"^(١)، وتقول في موضع آخر: "هذا يعني لقاسم أمين باي أن القانون الإسلامي لم يعرف الأسرة البتة، بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولم يفهم البتة الدور الهام الذي يجب أن تلعبه في المجتمع وفي الدولة"^(٢)، كما قالت: "قصب رأيه، تعود مكانة المرأة المحزنة للتشريع الإسلامي، الذي لا يكاد يعترف لها بأي حقوق إنسانية، فالمرأة المتزوجة — مثلما تعرفون جميعاً — تابعة لزوجها، والفتاة ليست سوى مخلوق مستعبد لأبيها أو أخيها الأكبر.... لقد جعلها المشرعون المسلمون أمة، وظللت قابعة في ذلك الوضع"^(٣).

ومهما يكن من أمر، فإن "الأحداث أدت بقاسم أمين باي إلى استخلاص أن التشريع الأوروبي النصراني المتعلق بالأسرة، وأن العائلة الأوروبية نفسها، توجد في مستوى مرتفع لا يقارن مع الأسرة والتشريعات الإسلامية، وأن الأسرة الأوروبية المعاصرة هي المثال الذي يجب أن نتضافر له كل الجهود إن أريد الحصول على الاستقلال في المستقبل"^(٤). كما تضيف قائلة "لكنه لا يتوقف هاهنا، فإنه يزعم أن التشريع الإسلامي لم يفهم شيئاً حول دور المرأة، وأنه، فيما تبقى، قليس من المدهش أن عاملها بهذه القسوة، بما أنه لم يفهم بدقة بعض الجوانب الحيوية الأخرى للحياة"^(٥). أما أساس الدعوة تلك، فتتمثل في أنه "يجب قبل كل

(١) Ibid, p. 315.

(٢) Ibid. p. 315.

(٣) Ibid. p. 315.

(٤) Ibid. pp. 316 – 317.

(٥) Ibid. p. 317.

شيء، إعطاء المرأة ثقافة أوروبية، وإزالة الحجاب عنها، والذي هو عبارة عن كفن، وعلامة على العبودية^(١).

وليس المجال مناقشة أفكار قاسم أمين، فقد نوقشت ودرست كثيرا. لكن الظاهر أن المستشرقة بالغت في سردها لفكر قاسم أمين. ومع ذلك، نراها في المؤتمر اللاحق، بعد ثلاث سنوات فقط، تحدث تغيرا كبيرا لدعوتها هذه. فعند قدومها الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، لحضور المؤتمر الرابع عشر، يبدو أنها لطفت أفكارها في الموضوع، فهي ذاتها تصرح: "أما بالنسبة لي، أنا التي كنت متفانية في سبيل مبدأ تحرير المرأة المسلمة، في الحدود التي سطرها نبيهم، الذي أسس شريعة متطابقة تماما مع التطورات العصرية، شريطة أن تحل وتفهم بصدق وإخلاص"^(٢). أما ما يبين تغير دعوتها السابقة وحماستها الفياضة، فهي تقول مخاطبة المرأة الجزائرية: "إنه في هذا البلد أين بدأت المرأة المسلمة اللطيفة، والموهوبة جدا، ولوج سبيل الثقافة، سالكة أثر أختها الكبرى في أوروبا، والتي لن تلبث أن تلتحق بها، فنرجو أن يكون لها من الفطنة ما لا تحفظ به إلا الأمثلة الطيبة، وأن تجهد نفسها بالخصوص لتطورها الفكري الخاص، إذ من شأن ذلك أن يجعلها قادرة على تربية أولاد صالحين للوطن، وبنات فاضلات مؤهلات لأن يصبحن مؤهلات مخلصات، وزوجات فطنات... أرجو من أخواتي الشرقيات، المحبوبات جدا، في سبيل مصلحتهن الخاصة، أن لا يدعن لأنفسهن سبيل الغواية مطلقا، بالجوانب للتافة والوهمية لحضارة تم تكريرها عدة مرات، ولا تتناسب ومثاليتهن، والتي لا تجلب لهن، على العكس من ذلك، إلا الألم وخيبة الأمل. وأخيرا، أرجو رجاء حارا، أن يكون لديها من التعقل ما يمكنها من الصمود في الوسط الطيب المتناسب كثيرا مع طموحاتهن المشروعة، في سبيل الوصول إلى ظروف سامية، حتى يواصلن على اللوام وبطريقة أفضل، دورهن كزوجات

(١) Ibid. p. 317.

(٢) Olga de Lebedow (deleguee de la Societe Russe des Etudes Orientales) (Discours) - Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - Premiere Partie - p. 41.

وأنيسات للرجل، وهو الدور الذي خلق له، والذي يجب أن يبقى الدور السامي للمرأة، مهما كانت أماكنهن، ومهما اختلفت الحضارات التي ينتمين إليها^(١).

والملاحظ أن كلامها هذا لم تلقه في دراسة مخصصة، بل في كلمة بوصفها مندوبة المؤسسة الروسية للدراسات الشرقية. ولا يتبين سبب تغييرها رأيها، لكن مهما كانت الأسباب، فهي عدلت تعديلا كبيرا من أفكارها الأولى التي كانت تبنتها في المؤتمر السابق.

أما الحركة القائمة من أجل تحرير المرأة المسلمة في الشرق، فتبين المؤتمرات أنها أخذت صيتها واسعا في أوروبا. ففي المؤتمر الرابع عشر نفسه، وضح المستشرق الفرنسي "ميرنت"، درجة تحمسه الغربية لهذا التوجه^(٢).

وليست هذه النظرة السلبية هي المسيطرة دوما على الفكر الغربي عموما، والاستشراقي بخاصة، بل قد يوجد من يدافع عن القيم الشرقية، ولاسيما الإسلامية. فقد تكفل المستشرق "روسيي" Roussier بتبني صيغة عقد الزواج الذي يتم عند زواج رابط بين مسلم ومسلمة، ويرد بقوة مقولة كون العقد عبارة عن بيع وشراء، وأن المهر هو ثمن المرأة، فيقول في المؤتمر ذاته: "إن التأكيد الذي تزعم هذه النظرية وجوده في تصورات عرب ما قبل الإسلام، هي هشة تماما. ووجود وحي ألهي، تجعل كل هذه الاستنتاجات التي توصلت إليها هذه الأبحاث باطلة. فالنصوص القرآنية لا تتضمن أي تماثل للزواج بالبيع. والأمر نفسه بالنسبة للأحاديث. وإذا كان العلماء القدامى قارنوا بين النظامين، فلا أحد منهم كتب أن الزواج هو بيع... فإنه من غير المعقول بصفة خاصة، ادعاء أن ضرورة المهر لا يمكن تبريرها إلا إذا عدنا أن الزواج إنما هو بيع...^(٣). وهذا الرد على الدعوى التي ذكرها، تعد من أفضل الردود التي يمكن أن يذكرها شخص غير مسلم، من فوق منبر جامع لأقطاب المستشرقين.

(1) Ibid, p. 42.

(2) Mirante: "La presse periodique arabe" – Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 – p. 202 .

(3) Roussier J.: "De la nature juridique du mariage musulman" – Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti - Rome - 1935 – pp. 533 – 534.

ولا يكتفي المستشرقون بذكر المرأة الشرقية، بل قد ينطرقون للمرأة الغربية أيضاً. ومن الأمثلة الطريفة في ذلك، موضوع نظافة الجسد، الذي تعرض له "شلاجل" في مقارنة بين النظافة عند المرأة الصينية والغربية فذكر ما يلي عن المرأة الغربية، في دراسته المذكورة أعلاه فقال: "مثلما تلمسون جميعاً، كان الرومانيون القدامى يعتنون عناية خاصة بنظافة أجسادهم، وبالتالي كان يوجد في روما، وفي كل مكان يتركز فيه الرومانيون، حمامات عمومية. ومع انحطاط الإمبراطورية الرومانية، تقلصت تلك الحمامات مع طول الزمن، لتصبح أماكن ضرب المواعيد والدعارة. وأضحت كل امرأة ترتاد هذه الحمامات تخسر ممة شرفها. وكان أوائل قديسي النصرانية، ينذرون المنصرين الجدد ويمنعونهم من التردد على الحمامات العمومية، لا لأنهم يكرهون نظافة الجسد، ففقيدة التعميد تنقض ذلك، بل لأن الحمامات العمومية هذه كانت سمعتها شنيعة، هي جديرة بها. مع النصرانية، دخل النهي عن استخدام الحمامات العمومية في بلاد الغال وفي ألمانيا، وبالتالي نسي سبب هذا المنع، لدرجة أن الإكليروس ظن أن عادة الاستحمام والاغتسال هي في حد ذاتها خطيئة ذات طبيعة شهوانية. ونتج عن ذلك أن القذارة ارتفعت يوماً بعد آخر، لدرجة أنه في عهد لويس الرابع عشر، كانت نساء البلاط لا يغتسلن البتة بالماء النقي، بل هن يقتصرن على ذلك أيديهن ورقبتهن ووجوههن بقطعة من القماش، تغمس في غسول معطر. ويخبرنا المؤرخون أن قذارة السيدة "مونتسبان Montespan"، كانت درجتها عالية بحيث إنه تصل في بعض الأحيان أنها تنبعث منها رائحة. ونتيجة هذا المفهوم الخلطى، يصعب جداً أن نجد الآن في مدننا بأوروبا، عدا العواصم، حماماً أو مغسلة شعبية. ولما جاءت بعثة يابانية سنة ١٨٧٤م (١٢٩١هـ)، إلى البلدان المنخفضة، أعرب أحد أعضائها عن دهشته ألا يوجد في "لاهاي" سوى حمام شعبي واحد"^(١). من هذه البيانات، يتبين أن الهالة التي تحاط بها المرأة الغربية تحتاج إلى إساطة للثام، وأن لها إيجابياتها وسلبياتها، بل مقولة كهذه تبين أن المرأة الغربية قد تكون في درجات حضارية مدنية جداً عما عليه الشرقية.

^(١)Gustave Schlegel: "La femme Chinoise" -- Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes-Geneve - 1894 - 4eme partie - 5eme séance - p. 122.

إذن، كان للمرأة أثر هام في المؤتمرات. وكما سبق التنبيه إليه ما هذه إلا عينة. وإلا فموضوع المرأة منتشر جدا في أثناء المؤتمر، حتى المؤتمر الأخير ببودبيست سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، جعل للنصف الأول من السابع من يوليو (الثاني من ربيع الأول)، لإقامة ندوة عن المرأة في الخلافة العثمانية، وذلك في لجنة الدراسات العثمانية والتركية^(١)، كما خصص يوم الخميس الحادي عشر من يوليو (السادس من ربيع الأول)، من لجنة الدراسات العربية، للموضوعات المتعلقة بالمرأة^(٢)، هذا سوى المحاضرات المنشورة في بواطن المؤتمر.

من هنا يتبين لنا مدى الأثر الذي كونهت الدراسات الاجتماعية في أعمال مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي أخذت حيزا هاما في مؤتمرات، ولا سيما في المتأخرة، بعد تغيير الاسم الرئيس، وإقرار إحداث تغييرات في موضوعات الجلسات، والثورة على ما أطلق عليه الاستشراق القديم، وتوجيه النظر للدراسات الإنسانية، وبالتالي الاجتماعية.

٢ - المؤثرات الاقتصادية:

يمثل العنصر الاقتصادي حيوية خاصة في العلاقات الإنسانية، ولا سيما العلاقات التجارية منها. هذه الروابط التي يراها البعض هي أساس تكوين الحضارات. ومن هؤلاء المستشرق "فان تيننوفن" Van Tinnhoven، الذي ذكر في المؤتمر السادس بلندن سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، أن تاريخ الأمم منذ الأزمن المتزامنة في القدم، حتى أيامنا هذه، علمنا أن العلاقات التجارية التي تربط الإنسان بالإنسان، كانت تكون روابط بين الأمم القديمة جدا، كانت ولا تزال، أساس كل حضارة^(٣). كما أن العلاقات الاقتصادية، من شأنها أن تساهم في تنمية

(١) 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - p. 18.

(٢) Ibid. p. 14.

(٣) Van Tinnhoven (Bourgmestre d'Amsterdam) - Discours -- Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie -- p. 215.

المعارف العامة. ذكر هذا "هينسكارك" وزير داخلية البلدان المنخفضة، في المؤتمر ذاته فقال: "هناك سبب آخر نمت بسببه ظاهرة تعلم اللغات الشرقية وأخصبت، إنها التجارة الشرقية...إنهم يستغلون علاقاتهم التجارية لتنمية معارفهم"^(١).

مما تقدم ، نتبين لنا الأهمية التي كانت تراها المؤتمرات للاقتصاد والبحوث الاقتصادية. وقد مر بنا في المقدمة التاريخية أن العامل الاقتصادي؛ من أهم العوامل التي يتم التنافس حولها^(٢)، ومن هنا كان الغرب يتعامل مع بقية الدول وفق ما يتناسب ومصالحه الاقتصادية. وتبين الاستعدادات للمؤتمر، ومن بعدها أعماله، الأهمية الكبرى التي يعطيها المستشرقون للعامل الاقتصادي، ولاسيما مع البلدان الثرية. ولننظر في هذا المجال كيفية دراسة البلدان الشرقية اقتصاديا، متمثلة هنا في دراستهم لليابان، باعتبار أن البلد هذا كان هو المحور الرئيس لدراسة المؤتمر الأول.

إذا تأملنا تحضيرات المؤتمر الأول مثلا، نجد أنه ورد في المنشور الرابع أن من بين المشاركين في المؤتمر: "اقتصاديون، أصحاب رؤوس أموال، تقنيون، تجار، فلاحون..."^(٣)، كما أن من بين الموضوعات المقترحة:

"- التعليم الأوروبي لليابان، بالنسبة للجيش والتجارة والصناعة ...

- الصناعة والتجارة الأوروبية وممثلها في اليابان.

- تربية دودة القز في اليابان، والبحث في وسائل الحصول على أفضل بذرة لدودة القز في أماكن الإنتاج وفي الأسواق المفتوحة للأوروبيين"^(٤).

من هذا البيان، يتضح أن الاقتصاد عامل قوي في دراسات المؤتمرات، حيث ينظر في الأعمال من قبل بدايتها، ويدرج ميدانا للبحث من قبل انطلاقها. وإذا ما أريد إدراك هذه الأهمية التي تعطى لهذا العامل، يمكن الاستشهاد بقول

(١) Heenkerk Az - Discours - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie - p. 37.

(٢) سبق التعرض للموضوع ص ٨٥ وما بعدها من الرسالة.

(٣) Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome troixieme - p. XVII .

(٤) Ibid. p. XVIII .

المستشرق "بلاز Blaise" في هذا الأمر الذي يتحدث عنه في تحليله لثراء اليابان رابطا بينه وبين الثقافة، مبينا أنهما أمران لا ينفكان عن أي مجتمع ويصرح قائلاً: "إن شعبا بلا ثقافة يقبع في الظلمات، وشعب بلا صناعة أو تجارة ينمو خاملاً في أصقاع النسيان... لكن اليابان، هذا البلد صاحب المنتوجات الغنية والمتنوعة... يتميز كثيراً اليوم بصناعته وتجارته على كل دول الشرق الأقصى"^(١).

من هذا التوجه، انبرى الغرب يبحث عن مصالحه هناك. يوضح ذلك "ماديي"، مشيراً إلى بعض ثروات البلد وتهيئها للمصالح الغربية فيقول: "هذا البلد، الذي حبه الطبيعة، يوفر في أيامنا هذه إنتاجه الثري، الأرضي منه والصناعي، للتجارة مع القارتين، وعقد علاقات متتالية مع كل البلدان التجارية"^(٢). هذه الرغبة الغربية، قابلتها رغبة يابانية مماثلة، مما يجعل الساحة مؤهلة لكي يتعامل معها الغربيون، بل ويحققون مصالحهم لأن حركة التطور الاقتصادي اليابانية ابتدأت، "صيارفة وتجار وموظفون جدد من كل الدرجات. لقد انطلق التطور. القروض، حاجيات الإدارة الجديدة، التجارة الخارجية التي أنشأتها المعاهدات، التجارة الداخلية التي أنشأتها بتحويل العشور إلى ضرائب مالية، يوشكون على إتمامها"^(٣)، وكانت الفرصة مواتية، إذ الأمور لا تزال في منطلقها، "قيماً لا تزال البنوك والتجارة والصناعة، كلها، متخلفة"^(٤)، ومن عادة الغرب انتهاز مثل هذه الفرص والظروف، قصد احتكارها واستغلالها أيما استغلال لصالحهم. ومن أهم ما توجه إليه المستشرقون تربية دودة القز، ففي هذا الجانب يذكر "دو رافيزي" "إنها التطبيق المنطقي والعملية للراغبين العديدة في إنتاج حرير دود القز الخام وصناعة الحرير"^(٥).

(١) Ibid. p. Tome premier – Discours du professeur Blaise – pp. 132 – 133 .

(٢) Ibid. – "La politique chez les Japonais" – Discours de Madier de Montjau – p. 135.

(٣) Ibid. p. 135.

(٤) Ibid. p. 136 .

(٥) Le Baron Textor de Ravisie: Le premier Congrès international des Orientalistes – p. 3 .

إضافة للاهتمام بدودة الفز، وجه المؤتمرون اهتمامهم للمعادن. فقد لفت الثراء الكبير في المناجم انتباه المستشرقين. منهم 'بول أوري Paul Orey'، الذي قال: "اليابان بلد غني جدا بالمناجم المختلفة الأنواع، فيوجد الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس، والمادة التي توجد في الإقليم بأكمله هي النحاس. أما الأماكن الغنية جدا، أكثر من غيرها، هي بيتو، نان بو، أكيتا. أما الأماكن الفقيرة جدا، فهي جيزان، تايا، تاكو"⁽¹⁾. فهذا المستشرق لم يكتف بتعداد أنواع المعادن وأشهرها، بل عين حتى الأماكن التي تشهد ثراء وتلك التي لا حاجة ترحى من ورائها.

وبما أن النحاس هو المعدن الشهير في اليابان أكثر من غيره، فقد لاقى اهتماما خاصا. وتبدو سهولة الحصول عليه لكثرتة، ولوجوده على أنواع وأشكال عدة، فقد ذكر المستشرق نفسه فقال: 'كثير من هذه المناجم تستهلك في الهواء الطلق، لأن هذا المعدن يوجد أحيانا في أزهار ثبر أرضية في باطن غير عميق، وأحيانا هي خيوط نحاسية نقية في شكل صحائف معدنية خالية من الشوائب المعدنية، وأحيانا أخرى، هي حبيبات صغيرة مشتتة، وأحيانا حبيبات مختاطة بالكوارتز، وأخرى هو قطع عادية'⁽²⁾. إذن، فيسرة التنقيب في المناجم وتكاثر المعادن، حافز للغرب للاهتمام باليابان. ومن هنا كان التوجه العام للمؤتمر الاهتمام باليابان عموما.

ومما يدل على المصلحة الغربية البحتة في هذا الموضوع، نجد "مادي" يقول: "ستقدم التجارة لليابان، أو بالأحرى ستأخذ منه ثرواته، لكن لن يكون ملاحونا المغمورون ولا تجارنا الساعون لتكوين ثروات بسرعة، هم الذين يحملون له التطور، بما في هذه الكلمة من معنى"⁽³⁾.

أما في المؤتمرات المتأخرة، فتوجد موضوعات ودراسات عدة تتحدث عن المشكلات الاقتصادية، وعادة ما تكون لها جانب مهم من اهتمام المؤتمرين. ومن

(1) Ibid. "Le minerai de cuivre au Japon" – discours de Paul Orey – p. 339.

(2) Ibid. p. 340.

(3) Ibid. "La politique chez les Japonais" – discours de Madier de Montjau – pp. 139 – 140.

ثم، فإن المطلع على الندوات مثلا، يجد العديد منها تحدثت عن هذا الجانب^(١). كما أن في دراسات المستشرقين الصهاينة^(٢)، واليابانيين^(٣)، طائفة من هذه الموضوعات المخصصة، وهي عينة تبين بوضوح هذا التوجه البحثي.

تلك هي المؤثرات العامة في مؤتمرات المستشرقين العالمية، سواء منها الدينية أو السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية. وهي تأثيرات كما تبين، هامة جدا. وليست وحدها هي المؤثرة، بل هناك مؤثرات أخرى، كالجوانب العسكرية مثلا، لكنها ليست بالعمق التي بلغته هذه المذكورة أعلاه، والتي ليست سوى عينة بيانية على أن المؤتمرات لم تكن مستقلة بذاتها تماما، بل أثرت فيها عوامل عدة، أساسها المصلحة الغربية الضيقة.

(١) توجد في الملحق رقم ١٨ ص ٦٩٨ من الرسالة.

(٢) توجد في الملحق رقم ٤٤ ص ٧٧٩ من الرسالة.

(٣) توجد في الملحق رقم ٢٦ ص ٧٩١ من الرسالة.

الفصل الثالث: أثر مؤتمرات المستشرقين العالمية

المبحث الأول: الآثار الدينية

المبحث الثاني: الآثار السياسية

المبحث الثالث: الآثار الثقافية

الفصل الثالث: أثر مؤتمرات المستشرقين العالمية

توطئة:

تمت دراسة المؤثرات في مؤتمرات المستشرقين العالمية، واتضح أن هناك مؤثرات عدة تؤثر في مسار مؤتمرات المستشرقين العالمية. وفي هذا المكان سيتم التعرض للاتجاه المعاكس، وهو تأثير المؤتمرات في محيطها العام. والمطلع على الجانبين يلحظ ببسر أن الاتجاه الأول، وهو دخول المؤثرات في المؤتمرات أكثر بكثير من تأثير المؤتمرات فيها، وذلك لكون المؤتمرات ليست حرة في فعاليتها وقد كانت تستغل للمصلحة الضيقة للبلد المستضيف، ففيما كان المؤتمر السادس بلندن سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ) مثلاً، اتجاه سياسي استعماري، كما اتضح لنا في أماكن عدة من البحث^(١)، كان المؤتمر الخامس والعشرون بموسكو سنة ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)، يحمل صبغة سياسية اشتراكية، مناهضة للإمبريالية والاستعمار^(٢). كما أن التناقض بين المدرستين الاستشراقيتين الفرنسية والإنجليزية اتضح من خلال المؤتمر التاسع المنعقد بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)^(٣). وبالتالي كانت المؤثرات الخارجية أكثر عمقا وبيانا من التأثيرات المتأنتية من المؤتمرات. رغم ذلك، كان للمؤتمرات تأثيرات عميقة وجوهرية في جوانب مختلفة، أهمها الدينية والسياسية والثقافية، وهذه الجوانب الثلاثة هي التي سيتم التطرق إليها تحليلًا وبيانًا، كأمثلة بارزة عن أثر المؤتمرات في محيطها. وفي هذا الصدد يجدر تقسيم هذه الجوانب قسمين: يضم الأول الدينية والسياسية، والآخر الثقافية. أما الشق الأول، فلا ترد التأثيرات فيها مباشرة بحيث تنبأها المؤتمرات، بل يتم استنتاجها من خلال الدراسات والأبحاث التي يتم إلقاؤها، وتتمثل في توجيهات

(١) يمكن التعرف على ذلك مثلاً ص ٤٩٤ من الرسالة وما يليها.

(٢) تم التطرق لهذا ص ١٨٠ من الرسالة وما يليها.

(٣) سبق الحديث عن هذه النقطة ص ٣٣٣ - ٣٣٤ من الرسالة وما يليها.

أو توصيات أو إشارات يبينها صاحب المقال. أما المؤتمرات ككل، فلا تتبنى من ذلك إلا ما يكون له علاقة مباشرة بالدراسات الاستثنائية منها، كأن تتوجه للساسة بتبني بعض الأعمال الاستثنائية، أو تدعو لدراسة معلم ديني لغايات فيلولوجية أو تاريخية أو غيرها من الميادين التي تهتم بها المؤتمرات والمستشرقين كذلك.

أما الشق الآخر، وهو تأثير المؤتمرات في الجانب الثقافي، فالغالب فيها أن المؤتمرات تتبنى التوصيات والقرارات، ولا سيما ما يتعلق منها بالجانب الاستثنائي، إذ كثيرا ما تسعى المؤتمرات للنظر في وسائل تنمية البحوث الاستثنائية، ومحاولة تعديل مسارها وإثراء مؤسساتها. كما أن هناك دعوات قد لا تتبناها المؤتمرات، لكن يراها أصحاب الدراسات.

كما توجهت المؤتمرات لدراسة بعض الظواهر الثقافية المتعلقة بالعالم الشرقي، ومحاولة الحكم عليها وتقويمها. ومن ذلك الصحافة العربية مثلا. تلك الجوانب الثقافية، يتناولها بعض المستشرقين في دراساتهم، ونادرا ما تتبناها المؤتمرات.

هذه الدراسة، يمكن إجمال عناصرها وتحليلها بدراسة آثار المؤتمرات في الجوانب الدينية ثم السياسية ثم الثقافية، عسى أن يتضح الموضوع ويستبين.

المبحث الأول: الآثار الدينية

المتأمل في دراسات المؤتمرات يجد في مواطن عدة تدخل الباحثين والدارسين، وبالتالي المؤتمرات، في شؤون دينية، ويبرز ذلك في المتعلقة النصرانية، ونادرا ما نلقى أمورا أخرى تتعلق بالديانات الأخرى. لذا، ليس من العجب أن يدور البحث في هذا الموضوع على النصرانية والتصير.

في مواضع عدة من هذا البحث، تم التعرض لبحوث متعددة تتعلق بالنصرانية والتصير، وأنه كان للمستشرقين المنصرين أدوار فعالة في المؤتمرات. وكما قدرنا على إثبات وجودهم في المؤتمرات، تمكنوا كذلك من توجيه دعوات وعرض آمال متعددة ومتنوعة.

تشعر النصرانية دائما بأنها مستهدفة، وما إن يبرز منافس أمامها حتى ترسل استغاثات سريعة، من أجل الوقوف تجاهه. من ذلك شعورها بمزاحمة الإسلام لها في كل مكان، وبأقل الجهود، ولا تدع موضعا مناسبا إلا وتنبه لذلك. برزت مثل هذه الاستعاضات وهذا الخوف منذ المؤتمر الأول نفسه. فهذا "لانجنهوف" مثلا، الذي كان ينصر بين قبائل "الداياك"، يطلقها مدوية: "التعجيل والإسراع، فإن كل عام يمر، تحقق بعثات السلطان المحمدي نجاحات مهمة لديانة القرآن، وسيخضع الداياك للجهود المتواصلة لأتباع النبي على مدى طويل"^(١).

وفي المجال نفسه، يهول المستشرقين المنصرين أي جهد قليل يبذله المسلمون للقيام بتتقيف أنفسهم وأبنائهم ونشر دينهم. من تلك المجهودات اليسيرة، الزوايا، التي لم تغفل من مهاجمة النصارى لها. وفي هذا المجال، يدعو "جرimal" في المؤتمر السابع بفيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، إلى إعادة ترتيب أمور التصير وإيجاد أساليب أخرى، من شأنها أن تؤدي إلى تخطيط ناجح، "فتبني نظام يستخدمه المنصرون سيكون إذن أفضل أسلوب للتوصل إلى تحطيم، أو على الأقل

(١) L'Abbe Langenhoff: "L'interieur de Borneo" - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - Tome premier - p. 530.

إضعاف التأثير السياسي والديني للزوايا^(١)، وهذا أمر مستغرب، إذ إن الكنيسة ومن ورائها النصرانية عموماً، تدعو إلى النظر في نظامها بمجرد النظر إلى الزوايا وعملها الذي يتسم عموماً بالتلقائية والعشوائية، فلو كان أمر الزوايا مرتبطاً تقوم عليه هيئة منظمة لربما سبب أزمة داخل النصرانية.

من جهة أخرى، تعد الانشقاقات الكنسية والفرق النصرانية من مسببات ضعف العقيدة النصرانية. هذا الأمر جعل "ماكس ميللر" يدعو إلى تطعيم هذه العقيدة بأفكار تطورها، وداعياً إلى إعادة النظر في المسلمات النصرانية "وذلك ببحث روح فلسفية آرية رفيعة، وبإضفاء المزيد من التوضيح للفكر اليوناني"^(٢). فالنصرانية إذن تحتاج على الدوام إلى تطوير، الأمر الذي يجعل التدخلات فيها واردة في أي وقت، وربما هذا ما يفسر تكاثر الأناجيل والكتب والشخصيات القيادية التي أطلقت عليها الكنيسة لقب "أبوكريفية".

أما عن الحلول لمثل هذه القضايا، فيورد المستشرق "أورت Oort"، مجموعة القواعد التالية، سعياً منه للمحافظة على سلامة الكتاب المقدس^(٣):

— يمكن أن تضع في الملاحظات، الكلمات الصوتية، حسب ما وردت في المازوريتية، أو بحسب الاستنتاجات المختلفة.

— إخضاع النص القانوني لكل ما يطبق، بحسب أفضل المخطوطات، وذلك في أفضل إخراجات ناقدة، أي أن يترك ذلك النص سليماً في كل مرة لا يوجد أي داعٍ لتحويله.

— في كل مرة يتم فيها تعويض النص القانوني بآخر، يجب أن يتم نقله حرفياً، كما يمكن نشره مع النص بصفة تميزه، ما لم يتطابق مع النص المازوريتي.

(١) Th. Grimal de Guiraudon: "Notes de linguistique africaine - Les Puls -" Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 2 - T2 - p. 94.

(٢) Max Muller: Inaugural address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol 1 - p. 33.

(٣) Discours de Oort - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seances des Sections - p. 84 .

— لا يكفي أن يذكر في الملاحظات الأدلة لصالح النص المعدل الذي تم قبوله، لأن هناك احتمالاً أن لا يكون كامل الوضوح، ولكن التخمينات التي لم يتم التسليم بها، لم تكن واضحة بما فيه الكفاية، وتبقى مجردة من أي احتمال.

— وأخيراً، يجب أن يرفق معه نصوص المقاطع التي يحتمل أنها تشير لأمر ظنية.

هذا بعض ما ورد في المؤتمرات ويتعلق بمشكلات نصرانية وكنسية.

المبحث الثاني: الأثر السياسية

لمؤتمرات المستشرقين العالمية، أثرها في الشؤون السياسية. ويمكن إجمال تلك المؤثرات فيما يلي:

- ١ - أثر استضافة دورات مؤتمرات المستشرقين العالمية.
 - ٢ - دعوة الساسة للمساهمة في تنمية الدراسات الاستشرافية.
 - ٣ - تبادل النصح بين المؤتمرات والاستعمار.
- وفيما يلي تحليل هذه العناصر المختلفة، التي من شأنها أن تبين الموضوع وتوضحه وتبين مجموعة من آثار المؤتمرات في الأمور السياسية.

١ - أثر استضافة دورات مؤتمرات المستشرقين العالمية:

كثيرا ما يظهر الساسة تشرفهم بانعقاد المؤتمرات على أراضيهم، أو اتخاذ بلدانهم موضوعا للبحث والدراسة، ولاسيما البلدان الصغيرة. برز من هؤلاء الهولنديون مثلا. فقد أظهروا ترحيبا مبالغا جدا بانعقاد المؤتمر السادس سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ) في "لیدن". صرح بهذا رئيس المؤتمر ذاته فقال: "نحن في غاية الامتنان لكم..."^(١). مينا فخر الهولنديين لامنتضافتهم المؤتمر والمؤتمرين.

ويؤيد ذلك رئيس المؤتمر نفسه مرة أخرى، حين قال: "إن اجتماعا كاجتماعنا، مهما كانت درجة الفائدة فيه، والتتقيف للمشاركين فيه، فمن الممكن ألا يتقطن له أحد، تقريبا، في إحدى العواصم الأوروبية الكبرى. لكنه يملأ صفحة كاملة من تاريخ "لیدن"..."^(٢). إذن ، فانعقاد مؤتمر المستشرقين على أرض ليدن شرف وفخر كبيرين. وهذا أيضا رأي عمدة "لیدن" حين صرح في الجلسة الختامية

(١) Actes du Sixième Congrès International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - seance de cloture - p. 184.

(٢) Ibid. - premiere partie - p. 42 .

للمؤتمر "إن قراركم بتعيين ليدن مكان انعقاد مؤتمر السادس أفرحنا كثيرا وأسعدنا"^(١). إذن، فمدينة "ليدن" تفخر بانعقاد المؤتمر على أراضيها.

في المؤتمر ذاته، وفي الجلسة الختامية، جاء ما يلي: "أكد "بوهلو Buhler" مفوض الحكومة النمساوية، أن وزير الثقافة والمعارف العامة، كلفه أن يبلغ المؤتمر بأن حكومة الإمبراطور ستكون سعيدة جدا، إن تم اختيار النمسا مقرا لانعقاد المؤتمر المقبل"^(٢). فهذه النمسا أيضا، تعبر عن شرفها بانعقاد أحد مؤتمرات المستشرقين العالمية على أرضها، وهذا دليل آخر على أن انعقاد المؤتمر على أرض ما، له بعد سياسي ودعائي هام.

من جهة أخرى، لا يقتصر الفخر بانعقاد المؤتمرات على الأراضي فقط، بل في محتويات المؤتمر كذلك. فهذا سفير اليابان بفرنسا مثلا، يصرح في مؤتمر المستشرقين العالمي الأول قائلا: "...ليس من وجهة نظري الخاصة فقط، أقدم لكم بالتعبير عن امتناني، بل إنني أهديكم ذلك باسم بلدي. إن الأعمال التي تقومون بها سادتي، سيكون لها صدى في اليابان ... إنني متأكد من أنها ستساعد بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، في التطوير الوطني، الذي تتبعه حكومتي بكل حزم. إن حضوركم اليوم يعد أول معاينة شعبية في أوروبا، عن دخول اليابان في تجمع هادف ومستقبلي مع الدول الغربية. فإلى الآن قامت بيننا علاقات سياسية واقتصادية. أما اليوم فإننا نقيم ولأول مرة علاقة ثقافية...إن بلدي ستستفيد من هذا العمل أكثر من أوروبا لأننا في حاجة ماسة لنجدتكم أكثر مما تحتاجونها أنتم"^(٣). ومن هنا يتضح مدى فخر السفير الياباني بأن كانت بلده موضوعا رئيسا في مؤتمر المستشرقين العالمي الأول.

كما أن رومانيا، رغم أنه لم يعقد أي مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين العالمية على أراضيها، إلا أنها تسعد بأنها جعلت محورا لبعض دراسات المؤتمرات. صرح بذلك المستشرق "حاسدو Hasdeu"، في المؤتمر السابع المذكور آنفا فقال: "لرومانيا الحق في أن تفخر بأنها كانت محور المباحثات في

(1) Ibid. - premiere partie - Seance de cloture - p. 185.

(2) Ibid. - premiere partie - pp. 181 - 182.

(3) Discours de Samesima Nanobu - Congres International des Orientalistes - Compte rendue de la premiere session - Paris - 1873 - premiere partie - pp. 60-61.

مناسبتين في مؤتمرات المستشرقين العالمية. وهذا صواب. لأن الغرب ينتهي في فينا، لكن الشرق يبدأ من بوخارست، وبين هاتين المدينتين، فينا وبوخارست، منطقة متقلبة...^(١)، ومن هذا الكلام، فإن المؤتمرات لم يكن لها بعد سياسي وطني فحسب، بل إقليمي ودولي أيضا. لقد كان له أثر في التقسيم الدولي والتوزيع الإقليمي. فبوخارست ورومانيا من ضمن بلدان الشرق، فيما فينا من الغرب، وما بينهما فتارة شرقي وأخرى غربي.

من هذه الأمثلة، يتضح لنا مدى تأثير انعقاد مؤتمر ما في إحدى البلدان الغربية، أو اتخاذ المؤتمرات بلدا من البلدان موضوعا لدراساته، وأثر ذلك على البلد المعني بالأمر ذلك.

٢- دعوة الساسة للمساهمة في تنمية الدراسات الاستشرافية

كثيرا ما يبحث المؤتمرين موضوعا ما، وبعد تحديده يطرحون القضية على الساسة، ويأملون منهم المساعدة، والمساهمة في إنجاح المشروع، ولاسيما من خلال الدعم المادي.

من ذلك، تدارس المستشرقين قضية تكوين قاموس "صيني-إنجليزي"، وإنجليزي-صيني"، وذلك ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين العالمي السادس بليدن سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ). صاحب الاقتراح هو المستشرق "شليجل" Shlegel". جاء في هذا الموضوع: "قرأ 'شليجل' ورقة عمل حول أهمية استخدام اللغة الهولندية، في تحليل اللغة الصينية... وأنهى قراءته باقتراح أن تتولى اللجنة إبلاغ أمانة تتمثل في أن يتصل المؤتمر بحكومة... ملكة إنجلترا، يرجو منها رجاء حار، أن تتكرم بتكوين لجنة متخصصة، تتكون أفرادها من متخصصين بارزين في الدراسات الصينية، سواء في أوروبا أو أمريكا، أو حتى من الصين نفسها. وهؤلاء يتقاسمون مهمة تكوين قاموس 'صيني-إنجليزي، وإنجليزي-صيني' متكامل، مماثل للقاموس السنسكريتي الضخم. هذا وقد سارع الحاضرون إلى

(١) C. P. Hasdeu (discours) - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol 1 - T1-p. 85.

اعتماد المقترح وتمت الموافقة عليه بالإجماع^(١). فهذا حث من المؤتمر للملكة، ورجاء منه أن تتدخل لإنجاز مشروع المستشرقين الضخم ذاك.

من المقترحات في المؤتمر ذاته، مشكلة المراجع المتفرقة في مختلف الأقطار الغربية، وصعوبة الاستفادة منها، صاحب الاقتراح هو المستشرق "دور غوبه"، وذلك في جلسة المؤتمر الجماعية الأولى، وختمه بأمل يتمثل في "أن يكاف الاجتماع الختامي، المجلس الإداري، إبلاغ هذا الرجاء إلى السادة محافظي المتحف البريطاني، يرجو منهم باسم المؤتمر أخذه بعين الاعتبار مأخذاً جاداً، وأن يستخدموا كل ما لديهم من قدرة للتدخل لدى الحكومة البريطانية من أجل تحقيق هذا الرجاء"^(٢)، ثم انتفقوا على عرض المقترح في الجلسة الختامية^(٣)، وفيها قرأ رئيس المؤتمر "كوبين"، الأمل التالي: "إن المؤتمر يعبر عن رجائه منح العلماء الذين لا يقدرون على التحول شخصياً إلى المتحف البريطاني، من الآن فصاعداً، الوسائل اللازمة للاطلاع على المخطوطات التي يحتاجونها في بلدانهم، مع التقيد بالضمانات التي يرى الأمناء ضرورتها، وأن يسمح المجتمعون لمجلس المؤتمر بعرض هذا الرجاء على أمناء المتحف البريطاني، ويسألوهم باسم المؤتمر أخذه بعين الاعتبار، ويلحوا عليهم كي يحققوا هذا الرجاء"^(٤)، واعتمد القرار.

من الأمور الأخرى التي استدعت المؤتمرات الساسة للقيام بها، فتح معاهد تعليمية، فقد قرأ "الكولونيل بلانكيت" في المؤتمر التاسع ورقة عمل حول دراسة الأوروبيين للعربية، مؤكداً على ضرورة فتح معهد تعليمي بمصر يعنى أساساً بتدريب المواطنين هناك على فن تدريس العربية للأوروبيين^(٥).

فهذه دعوة للتعاون بين الإدارة السياسية البريطانية والمؤتمر قصد تحقيق هذا الرجاء المتمثل في استغلال الطرف الراهن للتمكن من معرفة اللغة العربية، من خلال اللهجة المصرية، التي يعدها المستشرقون عربية حديثة.

(١) Ibid. - premiere partie - p 180.

(٢) Ibid. - premiere partie - p. 61.

(٣) Ibid. - premiere partie - pp. 176 - 178.

(٤) Ibid. - premiere partie - p. 180 .

(٥) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol II - p. xxxviii.

من الأمور الأخرى، التي تبين درجة تأثير المؤتمرات في السياسة، الدعوة للمحافظة على الآثار القديمة، من ذلك الآثار البيزنطية. فقد جاء في المؤتمر السادس عشر ما يلي "تحدث أدامنتيو Adamantio"، الخبير المحكم في آثار القرون الوسطى، عن قضية المحافظة على الآثار البيزنطية في اليونان. وقدم اقتراحا يتمثل في إنشاء متحف بيزنطي لذلك الغرض"^(١). وفي جلسة أخرى تم تبني الموضوع، وبعد نقاش قصير شارك فيه مجموعة من المستشرقين، تم تبني المقترح، وصيغ الرجاء التالي: "إن لجنة الدراسات البيزنطية، من مؤتمر المستشرقين العالمي السادس عشر، نظرا لمعرفتها بالعناية التي توليها الحكومة الهلنكية للمحافظة على آثار العصر اليوناني الوسيط، ونظرا لرغبتها، من جانبها في المحافظة على آثار بيزنطة الفنية الوسيطة، تعبر عن رجائها أن يتم إنشاء متحف للفن البيزنطي بأثينا، حيث يتم جمع تلك الآثار وتصنيفها، لما في ذلك من كسب وفير للدراسات البيزنطية"^(٢). فهذه دعوة صريحة من المؤتمر للحكومة اليونانية للمزيد من العناية بالآثار البيزنطية، مما يؤكد تأثير المؤتمرات في التوجه المياسي المعرفي تجاه الدراسات الشرقية.

كما أن هناك دعوات أخرى للمساهمة في مشاريع علمية، فقد جاءت في المؤتمر الثاني عشر بروما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، دعوة لتكوين ببلوغرافيا هندية، وفيها: "وبما أن هذا العمل يكلف مصاريف كبيرة، ويحتاج مدة زمنية لا تقل عن ستة أشهر، فإن اللجنة ترغب بكل حماسة في العهد بها للحكومات وللجهات العلمية التي لها مصلحة في الدراسات الهندية"^(٣). وفي المجال نفسه، قدم المستشرق "كوهن" اقتراحا يتمثل في تقديم دعم مالي لصالح ببلوغرافيا استشرافية، جاء ذلك في المؤتمر الرابع عشر "لقد طلب "كوهن" من الحكومات المختلفة أن تمنح محرري هذا المنشور مساعدة مالية"^(٤).

(1) Actes du XIV^e eue Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - deuxieme partie - p. 151.

(2) Ibid. - deuxieme partie - p. 151 .

(3) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - p. CCLXII.

(4) Ibid. - Troisieme partie - p. 71.

مما سبق، يتضح مدى أثر مؤتمرات المستشرقين العالمية في دفع الساسمة إلى تنمية الدراسات الاستشرافية.

من جهة أخرى، تتولى المؤتمرات توجيه شكرها لكل حكومة قامت بعمل إيجابي لصالح الدراسات الاستشرافية. ففي مؤتمر المستشرقين العالمي التاسع بالندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، من ذلك توجيه "ماكس ميلر" بالشكر والتقدير إلى سكرتارية الحكومة في الهند لسهرها على تنمية الدراسات الهندية^(١).

كما وافق مؤتمر المستشرقين العالمي الثالث عشر في هامبورغ سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، على قرار توجيه شكر خاص لحكومة الهند الصينية، لتأسيسها المعهد الفرنسي للشرق الأدنى^(٢). كما شكرها المؤتمر الخامس عشر بكونينهاجن سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، على محافظتها على آثار قديمة هناك، كما وجه لها رغبته في مواصلة حصول المعهد الفرنسي للشرق الأدنى على دعم الحكومة الذي يحتاجه لمواصلة مسيرته العلمية^(٣). وقد فوه المؤتمر التاسع بالأمير النمساوي "ريثي"^(٤)، والمؤتمر العاشر بخديوي مصر^(٥)، وذلك لمساهمتهما في المحافظة على كنوز مصر الأثرية.

وفي المؤتمر السادس والعشرين بنبو دلهي، ورد قرار يتعلق بدراسة المجتمع التبتى، ووجه إلى اليونسكو والحكومات عامة، وحكومات الاتحاد الهندي، كي تساهم بصفة خاصة في تمويل تكوين دائرة معارف تبتية^(٦).

(1) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 2.

(2) A. Foucher: "Notes sur les travaux de l'Ecole Francaises d'Extreme Orient (1899 - 1902)" - Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - p. 90.

(3) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhagen - 1908 - p. 53.

(4) Muller, Frederick Max - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 4.

(5) Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - T2 - p. 30.

(6) Proceedings of the Twenty-Sixth International Congress of Orientalists - New Delhi - 1964 - Vol1 - p. 56.

في المؤتمر التاسع والعشرين ببساريس، وردت مقترحات عدة تتعلق بالمحافظة على آثار الهند ومخطوطاتها، موجه كذلك للحكومات المختلفة^(١).

٣ - تبادل النصح بين المؤتمرات والاستعمار:

يتبين مما سبق، وجود علاقة قوية تربط بين المؤتمرات والاستعمار. ومن نتاج هذه العلاقة، أن المستعمرين، من جهة، والدعاة إلى الاستعمار من المستشرقين من جهة أخرى، يوجهون الدعوات قصد مساندة أو مساعدة المستعمرين. من ذلك دعوة رئيس مبنى المستعمرات الهولندية المؤتمرين إلى الموافقة على ما أنجزه الاستعمار الهولندي، لما قال: "برؤيتكم داخل مبنى المستعمرات الهولندية،... ويتقدم شكرنا لكم بإخلاص، من أعماق قلوبنا، فإننا نشعر بسعادة عظمى، ونحن نراكم محيطين هذه اللحظات، يمثل هذه الشهرة، ومجبتكم من كافة أنحاء العالم لتزوروا متحفنا ومجموعتنا الأثرية العظيمة، التي تعود لكافة الشعوب، وفرصة الاستفادة من توجيهاكم، وكذلك سعادتنا بموافقتكم على أعمالنا"^(٢)، إذ في رضاهم ما يوحى بالمساندة والدعم لما يقوم به الاستعمار من أعمال، وهذا يعطي المستعمرين دفعة وشحنة جديدة، تلفعهم إلى الأمام.

في جلسة احتفالية، تحدث مساعد رئيس بلدية ليندن عن أسلوب من أساليب تنقيف المواطنين الشرقيين، ألا وهي التأثيرات المنفعية التي مارسها عليهم المستعمرون، ويخاطب المستشرقين قائلا: "والتي تمارسها بين الفينة والأخرى، دراساتكم وبحوثكم... أقترح عليكم الشرب على شرف التأثير المستمر، التأثير المتنامي للدراسات الشرقية"^(٣). هذا الرجل هو أحد أرباب الاستعمار، يقر بتأثير

(١) Le XXIXeme Congres International des Orientalistes - Paris - Juillet 1973 - p. 38.

(٢) Pels M.S. - president du Batiment des Colonies Neerlandaises - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - pp. 212 - 214.

(٣) Discourt de Bool - Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - Premiere partie - p. 225.

دراسات المستشرقين في المستعمرين الشرقيين هذا إضافة إلى مؤثرات الاستعمار المباشرة.

ويؤيد هذا التوجه أيضا، المستشرق المستعمر "جسال"، الذي تحدث عن بعض الأعمال الاستعمارية في إفريقيا، ثم أنهى حديثه قائلا: "وأخيرا فإنكم، أنتم الذين تحبون العلم، وتعلمون ما يمكن عمله في التنقيف الذهني للشعوب، وإنكم ربما تتابعون، بكل لطف جهود زملائكم الأفارقة"^(١). فهذه دعوة أخرى للمستشرقين للإدلاء بدلوهم فيما أطلق عليه اسم التنقيف.

إذن، تعد المساهمة في مثل هذه العملية التنقيفية الاستعمارية، واجبا حضاريا وطنيا مقدسا، لا مفر للمستشرقين من القيام به، ولا قدرة للاستعمار للاستغناء عنه.

(١) Discour de Gsell , directeur du Musee et professeur - Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - premiere partie – p.75.

المبحث الثالث: الآثار الثقافية

تعد الأمور الثقافية هي الاهتمام المميز الخاص بالمؤتمرات. لذا ليس من العجب أن تأخذ حيزاً هاماً في اهتماماتها، وسعيها الدائم للعناية بهذا الجانب المعرفي، قصد تحسينه وتطويره، والعناية بجوانبه ونوعياته. ومن هنا ظهرت مقترحات عدة في هذا الشأن، يمكن إجمالها في العناصر التالية:

- ١ - أثر المؤتمرات في تنمية الدراسات الاستشرافية.
 - ٢ - الحكم على أعمال استشرافية أنجزت وتقويها.
 - ٣ - التنظير المستقبلي للأعمال الاستشرافية.
 - ٤ - دائرة المعارف الإسلامية ومؤتمرات المستشرقين العالمية.
 - ٥ - الصحافة العربية وأثرها في الاستغراب.
- هذه العناصر توضع التفاعلات الثقافية العامة، التي وجهت المؤتمرات اهتماماتها لها، إيجاباً وسلباً.

١ - أثر المؤتمرات في تنمية الدراسات الاستشرافية:

إن مؤتمرات المستشرقين العالمية، بوصفها أحد الأساليب الاستشرافية، تبحث أعمالها عصب الدراسات الاستشرافية، سعت في نطاق اجتماعاتها وندواتها إلى دراسة أسس تقويمها وتنميتها، قصد إثرائها وتطويرها، بالبحث عن اقتراحات من شأنها أن تقوي نشاطها أو تعدل مسارها أو توجه دراسات. وإذا تناول هذا العنصر دور المؤتمرات فيما تم من عمليات إثراء للموضوعات الاستشرافية، فقد أمكن تحديد نقاط التحليل، ينتبعا من خلال أعمال المؤتمرات، في الموضوعات التالية:

- أثر المؤتمرات في تنمية الثقافة الاستشرافية في الغرب.
- أثر المؤتمرات في تكوين جمعيات ومؤسسات وهيئات استشرافية.
- أثر المؤتمرات في تجميع الأعمال الشرقية والاستشرافية وطباعتها.

- أثر المؤتمرات في تكوين فهارس وقواميس وبليوغرافيات شرقية واستشرافية.

من خلال هذه الجوانب، يمكن استخلاص مدى مساهمة المؤتمرات في تطوير الدراسات الاستشرافية وتنميتها.

أ- أثر المؤتمرات في تنمية الثقافة الاستشرافية في الغرب:

بدأت اهتمامات المؤتمرات بتنمية الثقافة الاستشرافية في الغرب، منذ بداياتها الأولى. وما نشأت المؤتمرات نفسها إلا من أجل تطوير هذا النوع من الميادين العلمية. وقد صرح بذلك "ماكس ميللر" في ختام مؤتمر المستشرقين العالمي التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، فقال: "أظن أنه بمقدوري أن أقول إن مؤتمرنا سيسجل قيام عهد دائم يهدف إلى تطوير الدراسات الشرقية^(١). فقد كانت الساحة الاستشرافية تشكو من ضعف انتشار الثقافة الاستشرافية، لعدم اهتمام المجتمعات الاهتمام الذي يليق بقيمة تلك الدراسات، ولقلة الميادين المتخصصة في هذا المجال على الساحة، ولتخلف الميدان عن مواكبة التطورات في المجتمع أحياناً. وسيتم التعرض لهذا القصور بالتفصيل فيما يلي.

لقد كانت المؤتمرات تشكو من قلة المتخصصين وضعف الاهتمام بهذا الجانب العلمي. لذا، نجد المستشرق "كوينن"، يتساءل في المؤتمر العالمي السادس بـ "لندن" في العام ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ)، فيقول: "هل يستطيع الجيل الجديد أن يحدد بداية أساس جديد في العام ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ) هذا؟ إنه رجاء لا نعتقد أنه وهمي...^(٢). لقد كان ضعف التوجه العلمي للدراسات الشرقية يشغل مؤتمرات المستشرقين العالمية، منذ انطلاق نشأتها. من هؤلاء "ماكس ميللر" الذي شكّا في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، من الأفكار التي تُحمل عن

(١) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol 1 - Concluding Meeting. - p. liv.

(٢) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seance d'ouverture du Congres - p. 49.

دارسي الاستشراق فقال: "في إنجلترا، بصفة خاصة، ما يزال ينظر للدراسات الشرقية على أنها من اهتمامات المتخصصين فقط، والبعض يجعلها مقصورة في عمومها على المهتمين ممن هم في مثل سننا"^(١). كما عبر عن خوفه من المستوى المتدني لدارسي الشرقيات فقال: "إنني لمنزعج جدا من رؤية دارسي الشرقيات يقدمون بعض الحوافز المادية لعامة رجال المعرفة العاديين، الأمر الذي يؤدي في الواقع، إلى فصل جديد تماما، من تاريخ العالم، لكنه عقيم أيضا أمام الصورة الحيوية من الفكر الإنساني والخوف البشري والآمال الحياتية"^(٢). أما ما يريده ماكس ميللر فهو أن يرى متخصصين مبدعين في الدراسات الشرقية، وهم أولئك الذين يقدرّون في النهاية على نشر نصوص لم يتم نشرها من قبل، أو ترجمة نصوص لم تتم ترجمتها من قبل أبدا^(٣)، ويؤكد كلامه هذا نفسه في الجلسة الختامية للمؤتمر ذاته^(٤). إذن فالإبداع في الدراسات الشرقية، هي السمة المطلوبة في عالم الشرقيات.

هذه المشكلة، تطرح نفسها أيضا حتى المراحل المتأخرة من دورات المؤتمرات. فلقد برزت الشكوى من ضعف الاهتمام بالدراسات الشرقية، وبضيق أفق المتخصصين فيها، يشخصه المستشرق الفرنسي "موري More" في المؤتمر السابع عشر بـ "أكسفورد"، سنة ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ)، فقد قال: "العلم اليوم، أكثر من أي وقت مضى، ليس هو شخصيا ولا وطنيا، بل هو نتيجة عمل عالمي. اليوم ينير اللغوي المؤرخ، الذي يطلب مساعدة عالم الآثار والأنثروبولوجي، الذي يرجع للجيولوجي والباليونولوجي، الذين يركزون على علوم عديدة أخرى..."^(٥)، وبعد تحليله لمعطيات العصر العلمية يقول: "على كل مستشرق اليوم، معرفة كيفية

(١) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol I - p. 34.

(٢) Max Muller: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol I - p. 9.

(٣) Ibid. p. 6.

(٤) Ibid. p. liii.

(٥) Proceeding of the Seventeenth International Congress of Orientalists - Oxford - 1928 - p. 95.

النظر في الميادين القريبة، سواء الفيلولوجي أو الفني أو المؤرخ...^(١). فهي إذن دعوة لمواكبة علوم العصر، وتوسيع أفق المستشرقين الثقافي والعلمي.

يؤكد هذا الرأي المستشرق "ريمون شواب Schwab Raymond"، فإنه يشكو من ثبات المناهج على نهجها القديم، الأمر الذي أدى إلى ضيق أفق المعرفة لدى المتعلمين ورجال التعليم أنفسهم^(٢). ويرى ضرورة الخروج من أزمة عدم الاهتمام بدور الاستشراق، وجعله معلوما لدى أغلبية المثقفين.

أما عن ضعف الاهتمام بالدراسات الشرقية، فنجد وزير الثقافة البلجيكي "ديبراكس Dierckx"، في المؤتمر العشرين المنعقد ببروكسل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، يتمنى أن يجلب انعقاد المؤتمر ذلك، وجوها شابة لحمل راية الاستشراق^(٣). ويفهم من كلامه قلة وجود المواهب الشابة. وإن وجدت، فهي تنقصها الدقة. والمؤتمر يمكنه المساهمة في زيادة عددها وتنمية قدراتها العلمية.

يعترف المستشرقون في مؤتمراتهم بقضائل من سبقوهم في الكشف عن ميادين استشرافية عدة. ويسعون هم أيضا لكي يفتحوا آفاقا أمام الباحثين الحاضرين أو الذين هم بصدد التكوين، حتى يتأهلوا لمواصلة الدراسات الاستشرافية بدقة وبعمق. يقول ماكس ميلر في هذا المجال، في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، "لقد حاولت مرارا أن أبين لكم ما الذي عمله دارسو الشرقيات لنا، إذ ساعدونا كي نوجه نظرة صحيحة للتطور التاريخي للجنس البشري الموجود في شبه القارة الآسيوية، التي نسميها أيضا أوروبا... ويرجع الفضل لدارسي الشرقيات في إزالة الغشاوة عن التاريخ القديم..."^(٤). ومواصلة لهذا النماء في الدراسات الاستشرافية، جاءت في المؤتمر ذاته عدة دعوات للاهتمام ببعض الجوانب من العلوم الشرقية فقد دعا "أ. هـ. سايس A. H. Sayce" إلى العناية

(١) Ibid, p. 97.

(٢) Ibid, p. 337.

(٣) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - Chronique - p. 17.

(٤) Max Muller: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 33.

الخاصة والمكتفة بالدراسات الآشورية، وتخصيص لجنة بها في أعمال المؤتمرات^(١).

كما عرضت دعوة ملحة ثانية، تتعلق بمجتمع بنمامه يحتاج إلى الدراسة الكاملة من جميع الجوانب. جاء مثل هذا الأمر عن لجنة الدراسات الأسترالية في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ). وهذا هو رجاؤها: "ترغب لجنة الدراسات الأسترالية في التعبير عن شعورها بالضرورة الملحة لمباشرة البحث في الصفات الفيزيائية واللغوية والفنون والتقاليد والديانة في غينيا الجديدة"^(٢). فالظروف مهيئة إذن للقيام بهذه المهام الخاصة بهذا الشعب؛ ولا ينقص إلا الإقدام. دعوة تثقيفية أخرى، تتمثل في الحاجة الماسة لتعلم اللغة العربية، صرح بها الكولونيل "ج. ت. بلانكت T. Plunket. G" في المؤتمر التاسع نفسه^(٣). فقد قرأ ورقة عمل تتعلق بـ "دراسة الأوروبيين للعربية"، مؤكدا على ضرورة فتح معهد تعليمي بمصر، يعنى أساسا بتدريب المواطنين هناك على فن تدريس العربية للأوروبيين، وطالبت اللجنة باتخاذ الخطوات اللازمة لإقناع الحكومة بأهمية تشجيع دراسة العربية الحديثة. واعتمادا على ورقة الكولونيل "بلانكت" وجه المؤتمر دعوة إلى الحكومة الإنجليزية مبينا ضرورة التعجيل بتدريس اللغة العربية^(٤).

أما "أ. فوكر"، فإنه لفت الانتباه إلى الدراسات الماليزية، ولا سيما لغتها، قد أهملها الغرب عموما، رغم المصالح العديدة التي له فيها. كان ذلك في المؤتمر الثالث عشر، في العام ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، الذي انعقد في هامبورغ. فعدا هو لندا (ليندن وغيرها)، وفرنسا (باريس) ليس ثمة شيء في إنجلترا ولا في ألمانيا ولا

(١) A. H. Sayce: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol I - p. 171.

(٢) Transaction of the Ninth International Congress of Orientalists - London 1892 - Vol. I - Concluding Meeting - p. li.

(٣) Transaction of the Ninth International Congress of Orientalists - London 1892 - Vol. I - Meetings of Sections - p. xxxviii.

(٤) Ibid. - Concluding Meeting - p. li.

حتى في أمريكا، رغم أن لهذه مصالح في البلدان الماليزية، ونتمنى أن يتحقق مستقبلا رجاءه في العناية بلغة المنطقة وموروثاتها^(١).

وتشكو المؤتمرات من ضعف الاهتمام بالدراسات الصينية في الغرب. لذا، فقد دعا مؤتمر المستشرقين العالمي الثامن عشر، المنعقد في لندن سنة ١٩٣١م (١٣٥٠هـ)، إلى ضرورة تكثيف الدراسات والأبحاث الصينية^(٢).

مما سبق، يتبين لنا أن المؤتمرات كانت تتعادي بضرورة نشر الثقافة الاستشرافية في الوسط الغربي، لما في ذلك من فوائد تعود على البحوث الاستشرافية ومسار الميدان الاستشراقي.

وفي هذا التيار، تسعى المؤتمرات لمواكبة العلوم الحديثة والتيارات الفكرية المستحدثة. وكان هذا الأمر يشغلها منذ انطلاقتها. ويحترز المؤتمرون من أن يفوتهم ركب أي انطلاقة فكرية. يعبر عن ذلك تعبيرا واضحا "البارون كريمر Baron Kremer" في المؤتمر السابع، المنعقد في فيينا Wien في العام ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ). فهذا المستشرق يدعو إلى ضرورة الاهتمام بما يوجد في محيط المستشرقين من تيارات فكرية، وأن يتم تقويمها وتوجيهها في المسار السليم، حتى لا تؤثر سلبياتها على المسار العلمي العام، وأن يبادر المستشرقون كي يكونوا روادا في هذا النشاط، ولا يكونوا تبعاً^(٣).

من الممارسات العلمية التي عاصرتها المؤتمرات مثلا، العلوم الإنسانية، التي تعد آخر العلوم استقلالا عن الفلسفة. وكان ذلك في العصور المتأخرة. ولقد اهتمت المؤتمرات بهذا النشاط العلمي، ووردت مساهمات تدعو إلى تطهير الدراسات الاستشرافية، حتى تتسجم وهذا المسار العلمي، وأن تعتمد هذه العلوم وتستخدم في الدراسات الاستشرافية.

(١) A. A. Foker: La signification du Malais - Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - p. 155.

(٢) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931 - p. 29.

(٣) Baron Kremer: Die Eröffnungssitzung des Congresses - Bericht des VII Internationalen Orientalisten Congress-Wien - 1886- VI-TI- pp.116 - 117.

في كلمته أمام مؤتمر بروكسل العشرين، في العام ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، تعرض "جون كابار" لموضوع العلوم الإنسانية، وربط فيها أعمال المستشرقين بمهمة الإنسانيين. ويرى أن المهمة واحدة في أصولها، بل إن دور الاستشراق أعظم من مهمة الإنسانيين، إذ يتواصل دور المستشرق ويتجاوز الموضوع الذي توقف عنده الإنساني. فإن كان هدف الإنساني الكشف عن مناهج وأساليب للتفكير، وقوانين أخلاقية ومراكز بحثية، يستغل المستشرق تلك المادة المتوفرة كلها، من أجل استخدامها وترجمة آثارها عمليا^(١)، بحيث يتم مسح كل ما وجد أو يوجد من أفكار وتيارات فكرية لا تتماشى والتوجهات الأوروبية، وإعادة تشكيلها وفق ما يأملونه، ويواصل قائلا: "فسنرى بأية سهولة يمكن أن نرجعها لمكانها في أنظمتنا الكبرى"^(٢)، فلا خوف، حسب رأيه، من الإقدام ولا من الفشل، فنجاح المهمة، المبنية على قوانين ومناهج العلوم الإنسانية، مضمونة وميسورة. كما قارن بين المهمة الحالية والطريقة السابقة، فبين أن الدور الحالي ذو أثر جامع لكافة المجتمعات، بما أن الهدف واحد، وهو إحلال الثقافة الغربية مكان أي ثقافة أخرى، يختلف عن الدور السابق الذي يدرس كل مجتمع على حدة^(٣). ويمكن أن يتم ذلك حسب رأيه كما يلي: "فإنه من الضروري توصل أبحاث علماء لا حصر لهم إلى بيان وإعلان وحدة الطبيعة البشرية"^(٤). فإقناع غير الأوروبيين بأن الطبيعة البشرية واحدة، من شأنه أن ييسر عملية مسح الثقافات المحلية وإحلال التوجهات الغربية مكانها، بما أن الفكر الأوروبي هو الأرقى.

ظهر الربط القوي بين العلوم الإنسانية والاستشراق، في بيان المستشرق لماهية الاستشراق، التي يرى أنها "يمكن بيانها في الجواب التالي: تمحيص القوانين الإنسانية الثابتة في الحضارة من خلال حقول التجارب المترامية أطرافها"^(٥). فهذا حصر من المستشرق لمهمة الاستشراق، في تغيير الروابط

(١) Actes du XXeme Congres International des Orientalistes - Bruxelles - 1938 - Chronique - p. 25.

(٢) Ibid. p. 25.

(٣) Ibid. p. 26.

(٤) Ibid. p. 26.

(٥) Ibid. p. 26.

الإنسانية الفارة والمميزة للحضارات. ومما يستخلص من هذا التعريف، أن الاستشراق وليد بيئته، يتشكل وتتوحد مجالاته حسب ما يتولد من حوادث علمية. كما أن المجتمعات عدا الأوروبية منها، هي مبادئ إجراء تجارب ميدانية ومخبرية. وهذا أمر نشأ مع بروز الاستشراق. مما يدل على عدم تخلي الاستشراق قطعيا عن الطرق القديمة في التعامل مع المجتمعات الشرقية. وأن الاستعلاء العنصري مركب ثابت في الباحثين الغربيين.

يتحدث عن الإنسانية أيضا "ريمون شواب" في المؤتمر الحادي والعشرين المنعقد في باريس سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧هـ)^(١) أيضا، ويقابل بينها وبين الاستشراق، فيراها بخلاف الفيلولوجيا، لا تختص إلا بمفهوم الإنسانية فقط. وأنها لا تعرف إلا في محيط حوض البحر الأبيض المتوسط، وميدانها شاسع غير محدود. تماما كالاستشراق، الذي يملك نوعين من الميادين، ميدان شاسع يسمى كلاسيكيا، وآخر بمعناه الضيق، ويمتد من يهودا — هكذا — حتى الصين فقط. فهو يدعو إلى ضرورة العناية بالاستشراق مثل الاهتمام بالدراسات الإنسانية. ويبين في موضع آخر أن للاستشراق أثره في الدراسات الإنسانية، فيرى أن المكونات العلمية للاستشراق، منذ مائة وخمسين سنة، غيرت تماما مفهوم الإنسانية، وأن الإنسانية الكلاسيكية القديمة، التي ظلت محصورة في الحضارات المتوسطية، أصبحت إنسانية كاملة، تشمل كل الشعوب^(٢). لكنه يتحسر أن المناهج الدراسية، سواء في المعاهد أو الجامعات، التي تتناول موضوع الإنسانية بقيت تلك القديمة. وأن هذا الأمر، أدى إلى ضعف معرفة جمهور الناس بمهمة الاستشراق^(٣).

يتعرض "شواب" لمستقبل الدراسات الاستشراقية، رابطا إياها بالدراسات الإنسانية فيقول: "إن الأعمال ستتركز بالضرورة على قواعد فيلولوجية صلبة، لكن سيكون من المهم شدا حول محور الإنسانية، وإظهار التوافق، ليس بين المدارس المختلفة أو الأقسام المتنوعة فقط، بل بين جميع أنواع المعارف والأفكار المتبادلة،

(١) Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1949 - Compte rendue des seances - p. 189.

(٢) Ibid. p. 337.

(٣) Ibid. p. 337.

والتعارض في حب الاطلاع وفي المناهج وفي المشكلات...^(١)، وبالتالي فإن كلا من الاستشراق والعلوم الإنسانية، يؤثر أحدهما في الآخر. هكذا إذن، يتبين لنا مدى اهتمام المؤتمرات بتطوير الدراسات الاستشرافية، والعناية بتدعيمها، والدعوة لتعميقها وإدخالها في المناهج الدراسية، وضرورة مساهمتها واستغلال ما يولد حوالها من أفكار وتيارات ومناهج علمية.

ب - أثر المؤتمرات في تكوين جمعيات ومؤسسات وهيئات استشرافية:

من جهة أخرى، تسعى المؤتمرات إلى تجميع الصف الاستشرافي إلى أقصى حد ممكن. ومن الأساليب التي تساعد في الوصول إلى هذه الغاية، تكوين جمعيات وهيئات استشرافية. فقد دعت إلى تأسيس معاهد وجامعات دراسية متخصصة، وهيئات ومؤسسات ولجان ومجالس ولجان عالمية.

لقد نوه المؤتمر السادس، الذي انعقد في لندن في العام ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ). بنشأة الجامعة الأنجلو - شرقية Anglo Oriental University في البنجاب التي أسست هناك بعد صراع مرير دام مدة سبعة عشر عاماً، قام به مجموعة من المتقنين الهنود والأوروبيين، وعلى رأسها المؤسسة الملكية الآسيوية^(٢).

في المؤتمر التاسع أيضاً، تحدث "ماكس ميلر" عن نشأة "معهد الدراسات الشرقية الحديثة School of Modern Oriental Studies" فقال: "لقد قمنا مؤخراً بقطع شوط في الطريق الصحيح. فتحت الإشراف الشخصي للأمير ويلز، أنشئ مؤخراً معهد الدراسات الشرقية الحديثة، في المؤسسة الملكية. إنما هذا كان تنفيذاً لمخطط جاهدت من أجله طوال أربعين سنة مضت"^(٣). لكنه بين الحاجة للمساعدة المالية، "يجب أن نحصل من تجارنا الأغنياء على هذا الدعم المالي الذي نريده"^(٤). وبين أنه إضافة للفوائد العلمية، فإن للمعاهد والجامعات مردودات

(١) Ibid. p. 188 - 189.

(٢) Address of Dr. Leitner - Actes du XXIeme Congrès International des Orientalistes - Leide - 1883. Première Partie- Seance d'ouverture du congrès.

(٣) Ibid. vol. I - p. 36.

(٤) Ibid. vol. I - p. 36.

إيجابية، بتكوينها خبراء في الاقتصاد والإدارة والسياسة، ولا سيما عن طريق الثقافة اللغوية وإتقانها، فذلك مما ييسر إنجاب شخصيات شابة قادرة على عقد الصفقات وحسن القيادة السياسية في المستعمرات^(١).

وفي المؤتمر الثالث عشر، تمت الدعوة إلى تأسيس معهد للدراسات المصرية Institut Egyptologique ببودابست، وأن يتم جمع الأشياء المصرية المبعثرة في المتاحف المختلفة في المجر، وتوضع فيه^(٢).

لقد أدرك المؤتمر الفوائد الجمة التي تعود عليه من تأسيس معاهد وجامعات. فمن شأنها أن تأنطد العلوم الشرقية وتعمقها وتوجهها، إضافة إلى مساهمتها في نشر الثقافة الاستشرافية في الأوساط الغربية، وفهم الشعوب المدروسة فهما دقيقا، يساهم في بسط السيطرة الاستعمارية والثقافية عليها، وتحويل وجهتها الثقافية وفق ما يراه الغرب يتمشى ومصالحه. لذا، فقد كانت تنادي وتؤيد وتنوّه بتأسيسها.

في المؤتمر التاسع أيضا، دعم المؤتمر اقتراحا بتكوين هيئة لنشر الفلكلور الشرقي Comite pour la Publication du Folklore Oriental. صاحب الاقتراح هو "أنجلو دو جويارناتيس". وبعد أن قدم المبادئ العامة لهذه الهيئة^(٣)، تعرض لبيان جسامته المهمة، ووضع أن عملا من هذا القبيل، والخاص بالهند، لوزع على ثلاثين عالما، يجهز كل واحد منهم مجلدا في العام، لن ينتهي العمل إلا خلال عشر سنوات. لكن بعد الانتهاء منه، يكون نموذجا لكل المجموعات الفلكلورية الأخرى، وتمكن في النهاية من تكوين تاريخ فلسفي تام للتقاليد الشعبية^(٤).

(١) Ibid. vol. I - p. 36.

(٢) Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 2eme partie - p. 183.

(٣) Angelo de Gubernatis: " Le folk-Lore asiatique " - Ibid - 2eme partie - pp. 820-821.

(٤) Ibid. p. 821.

هذا المقترح، صادقت عليه "لجنة الميثولوجيا"^(١) والأنثروبولوجيا"^(٢) في المؤتمر، وتبنت مبادئه"^(٣). وتبنى المؤتمر المشروع في جلسته العامة، وطالب بتنظيمه بحيث تأسس كل جمعية استثنائية في كل دولة، هيئة تهتم بتجميع مواد الفلكلور الشرقي"^(٤).

كما طالب كل من "لوفافر Lefevre" و"الأمير Lemire" بأن تتكون لجنة من متخصصين في الهند الصينية، بهدف البحث عن مواقع العواصم والمدن القديمة، والمعالم الأثرية، المدنية أو الدينية، والقصور والمعابد والأبراج والمقابر"^(٥).

وأعلن المؤتمر الثالث عشر الذي عقد في هامبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ) عن قيام "الجمعية العالمية لاستكشاف تاريخ آسيا الوسطى والشرق الأقصى وأثارهما ولغوياتهما وإثنوجرافيتهما Association Internationale pour l'Exploration historique, archeologique, linguistique et ethnologique de l'Asie Centrale et de l'Extreme Orient"، وحدد لها برنامج عملها بالتفصيل"^(٦).

(١) الميثولوجيا: علم الأساطير، وتطلق كذلك على كل مجموعة من الأساطير صدرت عن أمة متجانسة، أو إقليم عرف بثقافة متجانسة.

عن الموسوعة العربية الميسرة - ص ١٧٩٧.

(٢) الأنثروبولوجيا: علم دراسة الجماعات البشرية القطرية، أو التي لا تزال أقرب إلى القطرية، حيث كونها جزء من الطبيعة، أو من حيث كونها كانت ذات عقل وثقافة.

عن المعجم الفلسفي - ص ٢٤.

(٣) Ibid. vol. II - p. 820.

(٤) Ibid. vol. I - p. xlviii - xlix.

(٥) Lefevre-Pontalis et Lamire: "La preservation des monuments historiques anciens en Indo Chine" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T.1 - p. 274.

(٦) Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Humburg - 1902 - pp. 387 - 389.

وأعلن قيام لجنة دائمة للدراسات الإنسانية الشرقية. صاحب الفكرة هذه، هو المستشرق ريمون شواب. وكان ذلك في المؤتمر الحادي والعشرين. كان سبب الدعوة هذه، ضعف الاهتمام بالدراسات الشرقية، وتطور العلوم الإنسانية. " لقد تساءل ريمون شواب إن كان الوقت لم يحن بعد لإتمام عملية انتشار الاستشراق في الثقافة العامة. وأن المؤتمر لو قبل هذه الفكرة، سيكف عن استخدام سلطة لتدعيم مقترح من شأنه أن يحقق ذلك. هذا المقترح، يقضي بإنشاء لجنة دائمة للإنسانية الشرقية Comite Permanant d'Humanisme Oriental ، مكلفة بمهمتين اثنتين:

- أخذ المبادرات اللازمة من أجل وضع التاريخ والثقافة الشرقية ضمن المناهج والكتب في جميع المراحل الدراسية.

- تكوين وإعداد تاريخ عام للاستشراق، بالاجتهاد في تكوين فرق عمل من ضمن علماء الأقسام المتخصصة في كل البلدان، وهؤلاء، يمكنهم بالأحرى، إعداد إسهاماتهم عن طريق تدريس تاريخ الإنسانية الشرقية^(١).

وهكذا، يتضح لنا، أن المؤتمرات اقترحت ونوهت ودعمت قيام تنظيمات استشراقية، من شأنها أن تثري الدراسات الاستشراقية. وهو ما يبين الأثر الواضح للمؤتمرات في المسار الاستشراقي.

ومن الأدلة الواضحة على أثر المؤتمرات في تكوين مثل هذه المراكز العلمية، ما ذكرته في المؤتمر الحادي والثلاثين بطوكيو سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، المستشارة المكسيكية "جراسيالا دو لاما Graciela de la Lama"، سفيرة المكسيك لدى الهند، ورئيسة المؤتمر الثلاثين الذي انعقد بمكسيكو سنة ١٩٧٦م (١٣٩٠هـ)، عن إنجازات استشراقية في أمريكا اللاتينية، تمت مباشرة بعد استضافة المكسيك للدورة الثلاثين فقالت: "إن أهمية دور المؤتمر، على أنه حافز لتطوير التفاهم بين آسيا وشمال إفريقيا من جهة، وبقية المناطق العالمية من جهة أخرى، أمر بدهي تماما. وفي الماضي القريب أعطى دفعة كبرى لدراسات أقطار أمريكا اللاتينية، وفي الفترة الفاصلة بين هذا المؤتمر وسابقه،

(١) Raymond Schwab: " Pour l'enseignement d'un humanisme oriental " - Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie -p. 338.

الذي انعقد في مكسيكو، حدثت تحولات عدة في منطقتنا. فقد تأسست كراسي عدة للدراسات الآسيوية والإفريقية في جامعات عدة بفنزويلا وكولومبيا والبيرو والبرازيل والأرجنتين ومكسيكو، وغيرها من البلدان^(١).

ج - أثر المؤتمرات في تجميع الأعمال الشرقية والاستشرافية وطباعتها:

تنبهت المؤتمرات إلى ضرورة العناية بتجميع الدراسات المرتبطة بالاستشراف ونشرها، سواء الشرقية منها أو الغربية. ونادت عدة مرات عدة بذل الأمر هذا. ففي المؤتمر التاسع، تحدث "السر م. أ. جرانت ديف M. E. Grant duff" عن فلسطين، ودعا لتكوين عدة مؤسسات تهدف لنشر الكتابات القديمة المتعلقة بفلسطين وما يتصل بها^(٢). أما "هنري بارتود Henri Berthoud"، فقد تحدث عن اللغات الإفريقية في المؤتمر العاشر، الذي انعقد في جنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، وكان مما قال: "ويبدو أن الوقت قد حان لكي يوجد مصنف دوري، يكون محورا لتجميع كل ما يتعلق باللغات الإفريقية، وتقبل كل الأعمال والمذكرات والمساهمات، التي، بدونها، لا تتقدم دراسة هذه اللغات إلا بصعوبة بالغة"^(٣).

أما المؤتمر الخامس عشر بكونهاجن، في العام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) فقد تلقى بكل تقدير، الإعلان الذي أصدرته جامعة كلكتا، نعان فيه تشجيعها المهتمين بالبحوث الهندية، وذلك بنشر مجموعات أمهات سنسكريتية في الرياضيات والفلك معاً، مع ترجمة إنجليزية لها^(٤). وحول الهند أيضاً، في المؤتمر عينه، "تم اعتماد الرجاء التالي: إن اللجنة الهندية تعبر عن أملها في أن يتم نشر الكتابات حول الفن

(١) Graciela de la Lama - Mexican Ambassador to India, president of the XXX International Congress of Human Sciences in Asia and North Africa - (Mexico 1976) - T1 - p. 26.

(٢) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol 1 - p. 378.

(٣) Henri Berthoud: "Quelques remarques sur la famille des langues bantou - et sur la langue tzunga en particulier" - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - 4eme partie - 4eme section - p. 170.

(٤) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - p.52.

المعماري والنحتي ونقلها^(١). كما أن لجنة الدراسات الصينية واليابانية في المؤتمر نفسه، وافقت بالإجماع على مقترح نترجى فيه من جمعية الأكاديميين العالمية، أن تقر اعتمادات من أجل نشر ترجمات للكتابات المتعلقة بتاريخ الشرق الأقصى^(٢).

و في أثناء، خلال انعقاد المؤتمر العالمي السادس عشر، سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، عهد للجنة البحث في مسألة نقل اللغات الهندو - صينية، كي تنشر نشرًا تفصيليًا اللغات الكبرى باسم المؤتمر^(٣). وعبرت لجنة الدراسات البيزنطية، في المؤتمر ذاته، "عن رغبتها في أن يتم التحضير لعمل منظم من شأنه أن يجمع مواد الفلكلور الهليني المحفوظ عند الكتاب البيزنطيين، أو في الآثار"^(٤). كما توجه لسكربتارية المؤتمر العامة، مجموعة مقترحات، منها رجاء يتمثل في مواصلة لجنة برئاسة زكي باشا، طبع النصوص التي يرغب في دراستها^(٥)، ودعت لجنة الدراسات المصرية البلدان المختلفة إلى أن تحذو حذو فرنسا، في تجميع الأعمال المختلفة في مجال الدراسات المصرية، التي نسبت لنصوصها أو ضاعت، لأنها تفرقت في المنشورات، وأنه من الصعب، أو من المستحيل الحصول عليها ثانية^(٦)، كما وجهت رجاء يرغب في أن يتم جمع الأشياء المصرية المبعثرة في المتاحف المختلفة في المجر، وحفظها في معهد الدراسات المصرية الذي اقترحت إقامته ببودابست^(٧).

يتضح من كل الشواهد التي مرت، دور المؤتمرات في الدعوة الملحة، والتشجيع الصريح، لتجميع الدراسات والمواد الشرقية والاستثنائية، ودعوته إلى نشر الدراسات والبحوث المتعلقة بها. ولبيان عناية المؤتمرات بالبحوث والنشر، أنها حددت في المؤتمر الثالث عشر بيمبورغ سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، خمس

(١) Ibid. p. 56.

(٢) Ibid. p. 62.

(٣) Congrès International des Orientalistes - XVème Session - Athenes - 1912 - 2ème partie - p. 111.

(٤) Ibid. - 2ème partie - p. 161.

(٥) Ibid. - 2ème partie - p. 183.

(٦) Ibid. - 2ème partie - p. 183.

(٧) Ibid. - 2ème partie - p. 183.

سنوات لمن يكشف عن معلم أثري كأقصى حد للتمتع بأحقية نشر دراسة علمية عنه. أما بعد ذلك، فيصبح أمر دراسة المعلم ونشر ما يتعلق به، مشاعاً للجميع، دون تمييز^(١)، مما يدل دلالة واضحة على العناية الفائقة بأمر التجميع والنشر.

د - أثر المؤتمرات في تكوين فهارس وقواميس وببليوغرافيات

شرقية وإسبانية:

من هذه الاهتمامات كذلك، عالجت المؤتمرات قضية تكوين فهارس وقواميس وببليوغرافيات، منذ بدايات المؤتمرات الأولى. فقد سعت المؤتمرات إلى توجيه العناية لمثل هذه المصنفات من فوائد على الدراسات الاستشرافية، ولما لها من أثر في تيسير أعمال المستشرقين ودراساتهم وأبحاثهم.

بدأت دراسة هذا الموضوع بلندن، في المؤتمر الثاني سنة ١٨٧٤م (١٢٩٣هـ). فعند حديثه عن تكوين لغة عالمية، تكتب بها جميع اللغات الشرقية، تعرض المستشرق "صمويل بيرتش Samuel Birch" إلى الحاجة إلى قواميس في هذا الشأن فقال: "إنها خطوة أولى سواء للغات العالمية، أو اللغات الضعيفة، وربما الخطوة الوحيدة المستخدمة دائماً"^(٢). إذا، فهذه النوعية من القواميس، من شأنها أن تساهم في تشييد لغة عالمية، كما أن أهميتها لدى المستشرقين، تكمن في كونها إحدى الوسائل لتبادل الأفكار.

أما في المؤتمر التاسع، فقد تحدث "شلاجل"^(٣) عن عدم وفاء القواميس الصينية - الإنجليزية والإنجليزية - الصينية بالواجب، وعن الحاجة الضرورية لإتمامها حتى تكون في مستوى الحاجيات العلمية والعملية.

(١) Verhandlungen des XIII Internationalen Orientalisten-Kongress. Hamburg - 1902 - p. 389.

(٢) Samuel Birch: Inaugural Address - Transactions of the Second Session of the International Congress of Orientalists - London - 1874 - p. 7.

(٣) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seance des sections - p. 147.

ثم إن المؤتمرات لا توجه أنظارها للغات المعاصرة فقط، بل هي تهتم حتى باللغات البائدة، فتدعو لإعداد قواميس لها. ففي المؤتمر نفسه، وجه المستشرق أ. هـ. سايس A. H. Sayce "الأنظار لهذا الأمر، عند حديثه عن الآشوريات فقال: "إنها تحتاج لفك رموزها، كما تحتاج لفيلولوجي... لكن القواميس، صاحبة المعنى الصحيح لا تملك منها ولو قاموسا واحدا..."^(١). فلا تكمن أهمية القواميس عند المستشرقين في اللغات الحية فحسب، بل المنقرضة أيضا. لذا صدح هذا المستشرق برجائه هذا. ولولا ضرورتها في الدراسات الشرقية لما كان نادى بضرورة تكوينها.

حول اللغة الكورية، تحدث المستشرق "موريس كوران Maurice Courant" عن كيفية تكوين قاموس لغوي خاص بتلك اللغة، في المؤتمر الحادي عشر، الذي انعقد في باريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، فقال: "يجب الآن، لعمل القاموس، تجميع أكبر عدد ممكن من الكلمات وتقديم أمثلة غريبة جدا، وتقسيم المعاني المختلفة... تلك هي المهمة التي تفرض نفسها أولا، والتي إن أنجزت سنؤدي إلى طرق المسائل اللغوية في ظروف حسنة"^(٢). فهذا بيان للطريقة التي يجب أن يتم على أساسها طرق أي قاموس لغوي، وإن كان مخصصا هنا باللغة الكورية، إلا أنه مقياس ينطبق عليه غيره من القواميس في اللغات الأخرى. و تناول المستشرق "كيرت هسارت Kurt Hassert" موضوع الألبان المسلمين، الذين يراهم متخلفين عن الألبان النصاري مرجعا سبب ذلك إلى خضوعهم التاريخي للترك، وشدد على ضرورة الاهتمام بدراساتهم، ولا سيما لغتهم، التي ألح على ضرورة إعداد قاموس لها، لعدم وجودها حتى ذلك الحين. وقد تحدث عن ذلك في روما سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، عند انعقاد المؤتمر الثاني عشر^(٣). أما مؤتمر كوبنهاجن في العام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، فقد تعرض لمشروع "القاموس اليدوي الببليوغرافي الهندي-الآري Manuel of Indo-

(١) A. H. Sayce: Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Voll - p. 171.

(٢) Maurice Courant: Notes sur les etudes coreenes et japonnaises - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T1 - p.78.

(٣) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - Resume des bulletins - p. cxxxii .

"القاموس اليدوي الببليوغرافي الهندي-الآري Manuel of Indo-Aryan Bibliography"^(١).

أما المؤتمر السادس عشر المنعقد بأثينا سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، فقد اهتم بشأن قاموس متعلق باللغة الإغريقية الحديثة، تمت الموافقة عليه "نظرا لإدراك الأهمية الفائقة التي يقدمها المعجم الإغريقي الحديث، لا لدراسة اللغة الحية فقط، بل لمعرفة اللسان الإغريقي عموما"^(٢)، ورجت من الحكومة اليونانية المساعدة المالية من أجل تحقيق هذا الأمل^(٣).

إذن، لقد اعتنت المؤتمرات بالحاجة الماسة لإنشاء قواميس للغات شرقية، لما لها من دور في تفسير الدراسات الاستثنائية، وتنمية الثقافة اللازمة لذلك.

واهتمت مؤتمرات المبعثرفين بأمر الببليوغرافيات. ووجهت ناحيتها عناية خاصة، لما فيها من ربح للوقت والجهد، ولما تيسره من معرفة للمعلومات والدراسات التي يرغب في الحصول عليها لإتمام الأعمال والبحوث. يبين هذه الأهمية المستشرق "جوفروا - دومونبين Gaudefroy-Demonbines"، في مساهمته التي ألقاها بعنوان "مخطط إعداد ببليوغرافيا شرقية" *Projet de Bibliographie Orientale* في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ). فقد قال: "من بينكم شباب لا يعرفون كم كنا نتحسر نحن كبار السن عن الوقت، كلما أسعفتنا في بحثنا "ببليوغرافيا شرقية"... لذا، فقد تهيأ لبعضنا أنها ستكون مهمة قيمة لمؤتمر ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، لو أنشأ ببليوغرافيا شرقية، وذلك بأن يضمن لها إمكان الظهور السريع، مع أمل تكوين منظمة عالمية مخصصة لذلك"^(٤).

(١) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - Seances des sections - pp. 51 - 52.

(٢) Congres International des Orientalistes - XVIeme Session - Athenes - 1912 - 2eme partie - p. 184.

(٣) Ibid. p. 184.

(٤) Gaudefroy - Demombynes: "Projet de Bibliographie Orientale" - Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 273.

هذا الاهتمام بالبيبلوغرافيا، شغل المؤتمرات منذ بداياتها، وتمت المصادفة بتكوين منظمة مشرفة على الأعمال الببليوغرافية منذ مؤتمر روما ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، عن طريق المستشرق "م. ج. بورجس M. J. Burgess"^(١). وهذا دليل على الأهمية البالغة التي توليها المؤتمرات للعمل الببليوغرافي، حتى ينادى فيها بمركزة الشؤون الببليوغرافية.

أما عن كنه هذه الجمعية وتكوينها وأهدافها، فقد قدمها "دومونين" في المؤتمر الحادي والعشرين بباريس سنة ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)^(٢). ويوصي المؤتمر بإجراء تجربة حول الموضوع فيقول: "إن لجنة المؤتمر العالمية، يمكنها إعداد تجربة قبل التفريق، وذلك بأن تطلب من المجالس الوطنية، التي سيتم تأسيسها، إعداد ببليوغرافيا لأهم الكتب والمقالات التي ظهرت من ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، إلى ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، وهذه التجربة الأولى، التي يمكن للجنة العالمية البدء فيها انطلاقاً من العام القادم، ستبين بكل وضوح العوائق، وتيسر التدقيق العملي في تطبيق ما يلزم إزالته بالضرورة..."^(٣).

وقرر المؤتمر إذ ذاك أن تجهز اللجنة العالمية نفسها في دراسة المخطط والبحث عن وسائل تنفيذه، بمساعدة الشرائح العلمية المهمة. وكإجراء مؤقت، يمكن لكل دولة إعداد ببليوغرافيا مخصصة لها^(٤).

هذا وقد سبق أن قدمت المستشرقة "جين جوبو-ثوميني M^{me} Jeane Gobeaux - Thominet" في المؤتمر العشرين ببروكسيل سنة ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ)، دراسة بعنوان: "ملاحظات حول الكتابات الببليوغرافية المتعلقة بالعرب والفرس والترك، المنشورة خلال القرنين الأخيرين"، وناقشت أمر

(1) M. J. Burgess: "Proposal for a classified catalogue of the literature of oriental research" - Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - p. 3.

(2) Gaudefroy - Demombynes: "Projet de Bibliographie Orientale" - Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - Seances des sections - p. 274.

(3) Ibid. p. 274.

(4) Ibid. p. 38.

الببليوغرافيا الشرقية، وتناولت بالنقد الأعمال الببليوغرافية المنشورة على الساحة^(١).

أما عن الدعوة لأعمال ببليوغرافية مخصصة، فقد تحدث "موريس كوران" عن ما يخص الدراسات اليابانية والكورية، في المؤتمر الحادي عشر بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)^(٢). واقترح "ناشود Nachod"، في المؤتمر الخامس عشر في العام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، رجاء يتمثل في أن تنشر الصحافة العلمية الأوروبية، تقريراً مفصلاً حول النشريات الدورية للمعهد التاريخي الياباني Institut Historique de Japon، وأن يقدم المؤتمر الدعم لها^(٣).

نظراً لأهمية الببليوغرافيات هذه، فقد كانت المؤتمرات تتألم لأي عائق يحول دون ترجمة تلك الأعمال إلى الواقع^(٤). وما هذا إلا للحرص الشديد الذي توليه المؤتمرات قصد إنجاح وتطوير هذا النوع من الأعمال التي يساهم في تبسيط المعرفة بالعالم الشرقي والاستشراقي. كما أن المؤتمر ذاته دعا لعمل ببليوغرافيات، أهمها تلك المتعلقة بأوراق البردي^(٥).

وفي المؤتمر السابع والعشرين بأن آربر سنة ١٩٦٧م (١٣٨٧هـ)، ورد المقترح التالي: "يسجل المؤتمر بكل أسف الانقراض إلى النقطة الكاملة في ببليوغرافية المجالات المتخصصة في ميادين الدراسات الشرقية المتنوعة. يجب حث الجامعات والمكتبات ومؤسسات البحوث العليا الأخرى إلى عد نشر مثل تلك الدوريات الببليوغرافية من أهم الضرورات المطلوبة، في الدراسات الهندية، ودراسات جنوب آسيا (عدا البوذية)، ودراسات جنوب شرقي آسيا، والدراسات الصينية

(١) Mme Jeane Cobeaux - Thominet: "Notes sur les ouvrages bibliographiques publiés pendant ces deux derniers siècles et relatif aux Arabes - Persans et Turques". Actes du XXIème Congrès International des Orientalistes - Paris - 1948 - première partie - pp. 332 - 333.

(٢) Maurice Courant: "Notes sur les études coreennes et japonnaises" - Actes du Onzième Congrès International des Orientalistes - Paris - 1897 - T.1 - p. 68 - 69.

(٣) Actes du Quinzième Congrès International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - séances des sections - p. 59.

(٤) Actes du XVIIIème Congrès International des Orientalistes - Leiden - 1931 - Programme general - p. 30.

(٥) Ibid. - Séances des sections - p. 247.

ودراسات شرقي آسيا الحديث، ودراسات الشرق الأوسط غير الإسلامي... وهذا المؤتمر يود التأكيد على أهمية مثل تلك القوائم، والتي من خلالها يرغبون في أي وسيلة، تعويض الببليوغرافيات المعلنة سابقا، على أن تكون ذات أهمية كبرى، ولاسيما بالنسبة للمكتبيين⁽¹⁾.

وبذلك، يستبين مدى اهتمام المؤتمرات بأمور الببليوغرافيا، ومقدار أهميتها في الدراسات الاستشرافية. وهو دور آخر تلعبه المؤتمرات في السعي لتطويع بحوث المستشرقين.

تيسر الفهارس أمور البحث العلمي، وتساهم في الرجوع للمطلوب بيسر، كما أنها وسيلة لربح الوقت وكسب الجهد. لذا، تعرض المستشرقون لبحث أمور توفيرها في مؤتمراتهم. فقد تطرق المؤتمر الثامن عشر لجانب من هذا الموضوع، يتعلق بالدراسات الصينية⁽²⁾.

أما المستشرقة "جين جوبو-ثوميني"، فقد تطرقت في نهاية مساهمة لها في المؤتمر العشرين، إلى أثر الفهارس في تحسين الصنعة الببليوغرافية قائلته: "...إننا نظن أنه من المناسب، أن يجهد الببليوغرافيون أنفسهم لعرض فهرست لكل الكتابات الشرقية الموجودة في المستودعات الشعبية، وفي مكتبات المؤسسات العلمية، لأن تلك الفهارس تعد الخطوة الأولى نحو الببليوغرافيا الشاملة"⁽³⁾. فالمستشرقة ربطت ربطا محكما في المسار العلمي ما بين الببليوغرافيا والفهارس. بل إنها تلح وتصر على رأيها هذا، بتأكيدا للدعوة لقرن العاملين لما قالت: "من جهة أخرى، إن سمح لي، أقدم الرجاء التالي، وهو أن يتولى ناشرو "Neue

(1) Proceedings of the Twenty-Seventh International Congress of Orientalists - Ann Arbor - 1967 - p. 38.

(2) Actes du XVIIIeme Congres International des Orientalistes - Leiden - 1931 - Programme general - p. 30.

(3) Mme Jeane Cobeaux - Thominet: "Notes sur les ouvrages bibliographiques publiés pendant ces deux derniers siècles et relatif aux Arabes - Persans et Turques". Actes du XXIeme Congres International des Orientalistes - Paris - 1948 - premiere partie - p. 333.

"*Folge der Orientalischen Bibliographie*، وهم مكتبيون، أي بيبليوغرافيون محترفون، التفكير في اعتماد فهرس تحليلية لنشرياتهم^(١).

ولعل أهم الدعوات المنادية بتكوين فهرس، ما جاء في المؤتمر الثامن والعشرين بكانبيرا سنة ١٩٧١ م (١٣٩٠ هـ)، فقد جاء في القرار الأول من قرارات المؤتمر ما يلي: "حيث إن الحضارة الإسلامية وسط البلدان الناطقة بالعربية وخارجها، تحتفظ بمآثرها، وتلفظ شخصيتها الخاصة، المتمثلة في التراث النفيس إلى أبعد حد، من المخطوطات العربية... تبقى جهود الفهرسة الفردية بعيدة عن التمام ... فقد تقرر في جلسة مؤتمر المستشرقين العالمي الثامن والعشرين العامة، أن يبين مدى إدراك المؤتمر للحاجة الماسة لفهرسة سريعة لكل المخطوطات العربية، التي لم يتم بعد تبويبها وشرحها بطريقة جيدة^(٢).

تلك صورة عن مساعي المؤتمرات للنهوض بالدراسات الاستشرافية، لما لها من مساهمة فعالة، ومن آثار في تنمية الدراسات الاستشرافية. مما يدل على دور المؤتمرات في توجيه العملية الاستشرافية وتسييرها.

٢- الحكم على أعمال استشرافية أنجزت وتقومها:

تحليل الأعمال الماضية ونقدها، يؤدي إلى تقويمها وتعديل مسارها. لذا، كثيرا ما كان المستشرقون في مؤتمراتهم، يحاكمون المسار الاستشرافي الذي انقضى. ولقد لخص كريمر هذا بقوله في المؤتمر السابع بفياننا، سنة ١٨٨٦ م (١٣٠٤ هـ) فقال: "فلنلق نظرة على الماضي، حتى يمكننا تكوين فكرة عن

(١) Ibid. p. 333.

(٢) Proceeding of the Twenty-eight International Congress of Orientalists - Canberra - 1971 - p. 24.

المستقبل^(١). لقد كان منهاجا تعتمد المؤتمرات بحيث كانت تنتقد الأعمال
الاستشرافية السابقة عن انعقاد جلسة من جلساتها، ويبرمج لمستقبلها.

تحدث المستشرق "جريسال دو جويرودان" عن اللغويات الإفريقية، في
المؤتمر السابع نفسه، فقال عن المحاولات الأولى لدراستها: "من المؤكد أنني لن
أعامل باحتقار أعمال المنصرين اللغوية، كما عوملت ببعض التمييز غالباً. لقد
سبق أن قلت إن عددا كبيرا من بينهم، قد قدموا خدمات جليلة، قصد معرفة لغات
إفريقيا...^(٢)".

ينتهي المستشرق "ماكس ميللر" على بحث في الدراسات الهندية، ثم على
جهود المدرسة الاستشرافية الفرنسية في هذا المجال، وذلك في المؤتمر التاسع
بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، ويقول: "وهذا يدل مرة أخرى على أنه إن كانت
هناك حجج يراود التعلل بها، فلننظر تلك التي اتخذتها الحكومة الفرنسية، وكيف أن
تزايد الدارسين الحقيقيين يرجع الفضل فيه إلى توجه المستشرقين الفرنسيين
الصادق، وكذلك إلى تقنياتهم التي لا تعرف الكلل^(٣). فالمستشرق حكم على جهود
مدرسة استشرافية كاملة، بالثناء عليها من خلال بحث علمي واحد، لكنه يراها
دراسة واعدة بظهور نخبة دارسة عاملة، لا يدخل الملل بين أضلعها.

كما تطرق "ماكس ميللر" في الموضوع ذاته إلى جهود الفيلولوجيين
والمؤرخين، لكشفهم عن الرباط القارن بين الشرق والغرب، في العصور القديمة.
ومن ثم أثنى المستشرق على تلك الأبحاث، مبينا أنها تسير في النهج الذي عقدت
من أجله مؤتمرات المستشرقين العالمية، وهي بيان الوحدة الإنسانية، وما دام ينحو
هذا النحو، فهو التوجه السليم^(٤).

(١) Von Kremer: "Die Eröffnungssitzung des Congresses"-Berichte des VII
Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 -
Vol1 - T1 - p. 37.

(٢) Th. Grimal de Guiraudon: "Notes de linguistique africaine - les Pals"-
Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im
Jahre - 1886 - V2 - T2 - pp. 60 - 61.

(٣) Max Muller: Inaugural Address- Transactions of the Ninth International
Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol1 - p. 4.

(٤) Ibid. p. 9.

وفي مجال اللغويات أيضا، يقول "ماكس ميللر" في المؤتمر ذاته: "كم كانت تلك الحقائق العلمية قيمة، تلك التي جاءت بها المواد اللغوية جملة، وتمت تقويتها عن طريق التقنية وإبداعات أشخاص مثل "بوب" و"كوهن"، و"بنفي Benfey"، وأخيرا وليس آخرا الدكتور "شريدن Schrader" الذي رسم صورة الحضارة الآرية القديمة، بدقة متناهية"^(١). فهذا تقدير لأعمال لغوية، ولا سيما تلك التي قام بها الأساتذة المعينون. ويبدو أن دأب المستشرق هذا، الثناء على كل العاملين والدارسين السابقين، ولو كان عملهم ضعيفا. فهو يقول: "سأضل أحتج ضد كل محاولة للتقليل من شأن المؤسسين الحقيقيين لعلم اللغات ما دمت حيا. فإن أخطاءهم العديدة، التي تظهر بين الفينة والأخرى، لشيء أعظم نبوغا من التصحيحات التي قام بها تابعوهم"^(٢). وهذا نوع من الوفاء للأقدمين والاعتراف بالجميل للعلماء السابقين. وليس من أبدع كمن حسن ونوع.

يأتي ماكس ميللر أيضا على الدراسات اللغوية، لدرجة أنه يجعلها مفتاح العلوم الاستثنائية التي تمت. فهو يواصل قائلا: "ويمكن القول أن هذا الاكتشاف العظيم لكل أعمال المترجم العالمي، وللوجود الحقيقي لكل ما كان مجهولا لدى أسلافنا، يرجع الفضل فيه لدراسات علم اللغات، أكثر مما يعود لدارسي الشريقات. ... فإنني أشك على أية حال أن يكون أي واحد هنا ينكر أن ذلك يعود بالدرجة الأولى لدارسي الشريقات، أمثال السير و. جونز Sir W. Jones، كولبروك Colebrooke، شلاجل، بوب، بيرنوف Burnouf، لاسن Lassen وكوهن"^(٣). فالمتششرق هنا، يربط ما بين الدراسات اللغوية ودارسيها. فمع أنها مفتاح العلوم حسب قوله، فالفضل الأول في ظهور متفرغين مهتمين بها يعود لدارسين غير متخصصين، قاموا بالجهود الأولى في هذا المجال.

و ناقش "بارتود"، في المؤتمر العاشر بجنيف سنة ١٨٩٤م (١٣١٢هـ)، موضوع دورية توقفت عن الصدور فقال: "هذا هو رجائي الثاني، لقد مضت سبع سنوات على ظهور دورية صدرت في برلين، هي دورية تلمس الحاجة الماسة

(١) Ibid. p. 16.

(٢) Ibid. p. 17.

(٣) Ibid. p. 17 - 18.

إليها. إنها دورية حول اللغات الإفريقية، أصدرها "بوتنر Buttner". وليس بآسبب أو لآخر، لم تشهد هذه الدورية إلا حياة قصيرة، ثم اختفت خلال أربع سنوات، ويبدو أن الوقت قد حان لكي يوجد مصنف دوري يكون محور تجميع كل ما يتعلق باللغات الإفريقية، وتتقبل كل الأعمال والمذكرات والمساهمات التي بدونها لا تتقدم دراسة هذه اللغات إلا بصعوبة بالغة^(١). فهذا المستشرق يدعو إلى بث الحياة من جديد في هذه الدورية الخاصة باللغات الإفريقية، للحاجة الماسة لنشاطها.

أما موريس كوران، فإنه خطأ العديد من كتابات الرحالة الغربيين عن كوريا، وذلك في المؤتمر الحادي عشر بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، فقال "إن ما يورده العديد من الرحالة ويتعلق بأداب الكوريين، عادة ما يكون غير صحيح"^(٢). فالملاحظ أن المستشرق قدم حكما عاما يرفض فيه معظم كتابات الرحالة حول كوريا^(٣). بل حتى الدراسات التي كتبت حول الموضوع يشكك فيها قائلا: "بل الأعمال المنشورة هي ذات قيمة متفاوتة جدا، وكثيرا ما وضع الكتاب الثقة الحسنة كأساس مسلم به عن دقة الكتاب والمثقفين الكوريين، ونسوا أهمية النقد للبلدان الشرقية وضرورته"^(٤). فالمستشرق يحاكم البحوث الخاصة بكوريا، فيعلن أنها قليلة، ورغم قلتها فهي غير دقيقة، بضعف فيها العامل النقدي والشك في كل ما يدور من موضوعات حول البلد.

إذن، لقد كانت المؤتمرات تقوم الأعمال البحثية التي تتم حول الموضوعات الشرقية، وتحاول تقييمها وتقييمها، إما حثا لها على المزيد من دقة البحث، أو تعديل مسارات أخرى، أو تطوير غيرها، لأن النقد الذاتي من الأسس التي تؤدي إلى الرقي بالعمل حتى يسير مسارا يليق والنهج العلمي المطلوب اتباعه.

(١) Henri Berthoud: "Quelques remarques sur la famille des langues bantou - et sur la langue tzunga en Particulier" - Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - 4eme partie - 4eme section - p. 170.

(٢) Maurice Courant: " Notes sur les etudes coreenes et japonnaises" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T.I - p. 74.

(٣) Ibid. - T1- pp. 75 - 76.

(٤) Ibid. - T1- pp. 75 - 76.

٣- التخطيط المستقبلي للأعمال الاستشرافية:

تعد معظم أعمال المؤتمرات تخطيطا للمستقبل البحثي الاستشرافي. فجل ما مر بنا في دعوة المؤتمرات لتنمية الثقافة الاستشرافية في الغرب، وتكوين جمعيات ومؤسسات وهيئات استشرافية وتجميع وطباعة الأعمال الشرقية والاستشرافية، وتكوين فهارس وقواميس وببليوغرافيات شرقية واستشرافية، وتكوين دوائر معارف، كل ذلك من التخطيط المستقبلي للمسار الاستشرافي. وسمة التخطيط المستقبلي، تنطبق على مسار المؤتمرات عموما. منها ما قد تحقق فعلا، ومنها ما لم يظهر لحيز الوجود، ومنها ما نفذ جزء منها. وهذه نماذج مما جاء في المؤتمرات من أمور التخطيط المستقبلي، يزيد المسألة إيضاحا وبيانا.

من المشكلات التي عانى منها المستشرقون أنهم كانوا يجدون صعوبات كثيرة في الحصول على المراجع التي يرغبون في الاستناد إليها، وقد نوقشت القضية في المؤتمر السادس بـ"لندن" سنة ١٨٨٣م (١٣٣٠هـ)، في جلسته الافتتاحية والختامية، وتناولت بصفة خاصة، المراجع الموجودة في المتحف البريطاني، وتمت المصادقة على المقترح في الجلسة الختامية، بصيغة قريبة من السابقة^(١).

أما 'كارلو لمبارج' Carlo Lamdberg فقد دعا في المؤتمر نفسه، إلى الإسراع في التخطيط لبحث بقايا الحياة الاجتماعية الشرقية العتيقة، قبل مدامسة الحضارة الغربية لها، مدعيا أن المؤرخين الشرقيين أهملوا هذا الجانب. فقد صرح قائلا: "كل ما علينا هو أن نسارع، لأنه منذ بضع خمسينات من السنوات، لم تعد الحياة الشرقية ثابتة"^(٢). أمام هذا العائق، إن لم يمكن تنفيذه، يطرح المستشرق حلا آخر: "نظرا لهذه الصفة من الأشياء، ليس لنا إلا التوجه للشرقيين أنفسهم، نرجوهم أن يوفروا لنا المراجع التي نحتاجها. لكن حتى تكون هذه المصادر مناسبة لأن يأخذها العلماء الأوروبيون في الاعتبار، فإنه من الضروري جدا أن يتولى

(١) Actes du Sixieme Congres International des Orientalistes - Leide - 1883 - premiere partie - Seance d'ouverture du Congres - p. 61 and p. p. 180.

(٢) Ibid. p. 4.

زملأونا في الشرق القيام بأبحاثهم باستخدام أكثر عدد ممكن من الانتقادات أكثر مما يجرونها في العادة^(١). إذن، هذا المستشرق يدعو للتباحث في تاريخ الشرق الإثنوجرافي. وهذا الأمر يصعب البحث عنه في المراجع، لذا، يلج على المسارعة لدراسة ما تبقى في المجتمعات الشرقية من موروثات التاريخ الماضي. وهذا يتطلب أن يقنع الباحث في الوسط الشرقي. أو أن يلجأ لفئة معينة من الشرقيين المتلمذين على الغربيين، كي يمدوهم بالمدونات الضرورية لهذا الأمر.

و في المؤتمر السابع بفيانا سنة ١٨٨٦م (١٣٠٤هـ)، ذكر "فون كريمر" بعض ما يراه واجبا على المؤتمرات لاحقا فقال: "هذه إذن خطة العمل الراقية، لأعمالكم الدقيقة في المستقبل، أن نخرج من مكتبتنا وأكاديمياتنا خباياها، ومن جامعاتنا روح البحث والدراسات النزيهة والنقد السليم ومحبة الحقيقة والتطوير، حتى يتم بثها وسط الشعوب الشرقية وبذلك نقضيه دينهم المتخلد بذمتنا"^(٢). نرى المستشرق هنا يوجه التخطيط المستقبلي لمسار تنقيفي علمي تأثيري، وهذا يراه من مهمات المؤتمرات وكذلك الاستشراق عموما.

أما "أنجيلو دو جوبارناتيس"، فإنه ينبه المستشرقين إلى ضرورة العناية بالفلكلور الشرقي قائلا: "علينا نحن الغربيين أن نبدع اكتشافا آخر للفلكلور"^(٣). كان ذلك في المؤتمر التاسع بلندن سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ). وفيه أيضا، حث "بلانكيت" على ضرورة تعلم اللغة العربية، وأن لا تكون مقصورة على أصحاب المصالح، معللا رأيه قائلا: "إن العربية ليست هي لغة الجزيرة العربية والعراق وسوريا ومصر وكل شمال إفريقيا حتى المحيط الأطلسي، بل إنها تمثل نصف التعامل مع زنجبار في الموانئ البحرية والأنهار والطرق التجارية من القارة

(١) Ibid. p. 4 - 5.

(٢) Von Kremer: Die Eröffnungssitzung des Congresses - Berichte des VII Internationalen Orientalisten-Kongress. Gehalten in Wien Im Jahre - 1886 - Vol1 - T1 - p. 47.

(٣) Angelo de Gubernatis: "Le Folk - Lore Asiatiques"- Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol. II - p. 820.

الإفريقية ككل^(١). وذهب المؤتمر لتبني مثل هذا الرأي لما "دعى الحكومة (أي البريطانية) إلى ضرورة التعجيل بتدريس العربية الحديثة"^(٢).

وفي المؤتمر عينه، وجه "ماكس ميللر" دارسي الشرق لمحبة الشرق حتى يمكنهم قطف ثمار بحثية هامة. لقد تحدث في المؤتمر التاسع فقال: "حتى يمكن احتلال وإدارة البلدان الشرقية، يجب علينا شيء واحد، هو فهمهم فهما دقيقا. وحتى نفهم البلدان الشرقية، يجب علينا في بعض المعاني أن نكون شرقانيين، دارسين للشرق، محبين للشرق. بهذا النقيض سيتم تنفيذ العديد من المآثر"^(٣). فالمستشرق يضع سبل النجاح في محبة الدارسين للشرق، ويوجههم لذلك، ويربط أسس نجاحهم بالأمر ذاك.

أما "لوفافر والأمير"، فإنهما وجها المؤتمر الحادي عشر بباريس سنة ١٨٩٧م (١٣١٥هـ)، للعناية بالهند الصينية وسيام وبرمانيا^(٤) وجاوة، بأن تتم دراسة مقارنة للمعالم الأثرية البراهمية والبوذية فيها، ثم أشارا إلى ضرورة إنهاء المهمة سريعا "حتى لا تتمكن الثقلبات والدمار الذي يقوم به السكان من إتلاف تلك الآثار الهامة للشعوب والحضارات"^(٥).

لأن كانت نماذج تبين طروحات مستقبلية لأعمال استشرافية، سعى المؤتمر لصياغتها وعرضها حتى تكون وحدة عمل مستقبلية، يعنى بها المستشرقون ويبنون على أساسها دراساتهم.

(١) Lieut-Colonel G. T. Plunkett - R. E.: "On the study of Modern Arabic by Europeans". Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol. II - p. 164.

(٢) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol I - Concluding Meeting - p. li.

(٣) Max Muller - Inaugural Address - Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol. I - p. 36.

(٤) هي بورما حاليا.

(٥) M. Lefevre - Pontalis et Lamire: "La preservation des monuments historiques anciens en Indo Chine" - Actes du Onzieme Congres International des Orientalistes - Paris - 1897 - T.1 - p. 274.

٤-دائرة المعارف الإسلامية ومؤتمرات المستشرقين العالمية:

انطلقت فكرة تكوين دائرة معارف إسلامية من مؤتمرات المستشرقين العالمية، وحازت بالتالي على حيز هام من اهتماماتها. ففي المؤتمر التاسع، وباقتراح من رئيس لجنة الدراسات السامية العامة، المستشرق "روبارتسون سميث Robertson Smith"، ويتأييد من الأساتذة المستشرقين هـ. ميللر H. Muller، وجولدتسيهر و"السر هـ. هـ. هوورث" تقرر عقد اجتماع خاص في المؤتمر، لتكوين لجنة مؤقتة تهدف إلى تجميع عدد من الباحثين ضمن هيئة من شأنها أن تتولى تأليف دائرة معارف إسلامية. وفي هذا الاجتماع، تم تعيين قائمة بأسماء اثني عشر باحثاً من مختلف الأقطار الأوروبية، لتكون اللجنة المؤقتة المذكورة^(١). يرأس هذه الجمعية روبرتسون سميث نفسه^(٢). وفي المؤتمر العاشر، بما أن المستشرق سميث، رئيس اللجنة قد قضى نحبه قبل انعقاد المؤتمر، "ذكر "جولدتسيهر" بالمقترح الذي تمت الموافقة عليه في مؤتمر لندن، حول نشر دائرة معارف إسلامية، نتناول تاريخ البلدان الإسلامية وجغرافيتها وديانته وعلومها وفنونها. وبما أن القيمة العظمى لهذه النشرة لا تخفى على أحد، فقد اقترح جولدتسيهر تنصيب "دو غويه De Goeje"، على رأس اللجنة التي تم تعيينها في لندن، خلفاً للفقيد "روبارتسون سميث". وبما أن "دو غويه" أعلن أن هناك ظروفًا تمنعه من قبول هذا التعيين، رجت اللجنة الثالثة من "جولدتسيهر" أن يأخذ هذه المهمة على عاتقه، وأن ينظمها. أما المؤتمر فقد صادق على مقترح اللجنة الثالثة، ووجه رجاءه بأن يصل هذا المشروع إلى نهايته المأمولة^(٣).

وفي المؤتمر الثاني عشر^(٤)، قرأ "جولدتسيهر" تقريره حول خطة "دائرة المعارف الإسلامية"، وقدم عينة من هذه الدائرة طبعست بدار

(١) Transactions of the Ninth International Congress of Orientalists - London - 1892 - Vol I - Meeting of Section - p. xxxviii .

(٢) Ibid. - Vol I - p. li.

(٣) Actes du Dixieme Congres International des Orientalistes - Geneve - 1894 - premiere partie - Premiere Partie - Seances de Cloture - pp.130 - 131.

(٤) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - Resume des Bulletins - p. clxxix.

"ستوبيلار Stoppellar" (دار "بريل" القديمة Ancienne Maison BRILL) في لندن. وأعلن أخيراً أن اللجنة العالمية قد اقترحت "كارل فولرس Carl Vollers"، من "إيانا Tana"، ليعوض التقيد "صوسان Socin" في مجلس إدارة هذه المؤسسة. ووافقت اللجنة على الاقتراح هذا بالإجماع.

أما تقرير جولدتسيهر حول خطة دائرة المعارف الإسلامية، كما أدرج في المذكرة التاسعة للمؤتمر فهو كما يلي: "إنكم تذكرون ولا شك أنني تشرفت بأن قدمت بمناسبة المؤتمر السابق في القسم الإسلامي (حصة ٧ سبتمبر ١٨٩٧م (١١ ربيع الآخر ١٣١٥هـ)) تقريراً حول الأعمال التحضيرية لدائرة المعارف الإسلامية، وباقتراح من "دو غوية" أسس مجلس لبحث خطة هذا المشروع.

وفي جلسة تالية من جلسات اللجنة، قدم المجلس اقتراحاً — اعتمد بالإجماع — بطالب بعرض القرار في الجلسة العامة للمؤتمر وهذا هو نصه:

"قرر مؤتمر المستشرقين الحادي عشر، المجتمع في باريس، تكوين لجنة دائمة مهمتها القيام بالمساعي الضرورية لكي يتأكد نجاح خطة تحرير دائرة المعارف الإسلامية ولاسيما الإحراز على مشاركة الحكومات والشركات العلمية وكذلك على مساعداتهم المالية.

وقد وافقوا على هذا القرار في الجلسة العامة وتأسست اللجنة الدائمة على النحو التالي — وسميت أعضاء هذه اللجنة وهم الآتي ذكرهم:

بريبي دي ماينار، Barbier de Meynard	عضو الجمعية (باريس)
براون،	أستاذ بالجامعة (كامبردج).
جولدتسيهر،	أستاذ بجامعة (بودايست).
دو غوية،	أستاذ بجامعة لندن.
جويدي، Guidi	أستاذ بجامعة روما.
المرشد البلاطي كاراباتشك Carabachec	أستاذ بجامعة فينا.
الكونت س دي لندبارج (توفزن).	
البارون ف. دي. روزن Baron F. D. Rosen	أستاذ بجامعة سان بترسبورج.
صوسن، Socin	أستاذ بجامعة ليزيج.

إن قراءة هذه القائمة تذكرنا بالخسارة الشديدة التي تكبتهما الدراسات الشرقية، وبخاصة هذه اللجنة منذ اجتماعنا الأخير. فقد مات صومس الذي كان شديد الاهتمام بإنشائها الأبدي والذي كان يقدم لنا مساعدة قيمة، لقد وافاه الأجل في ٢٤ يونيو ١٨٩٩م (١٦ صفر ١٣١٧هـ).

لقد خسرننا فيه المسند المتين. وقد ساعدنا كثيرا تجرعه وتجربته وحماسته للعمل في إنتاج نتائج الأدبي. ويجب على لجنتنا أن نعين مع كل أسف، وحسب اختيار المؤتمر أحد زملائنا كي يملأ الفراغ الذي سببه موت زميلنا الفقيد. ولقد شرفني أعضاء القسم بأن شجعوني على تولي إدارة المؤسسة المقرر تكوينها. ولكن وأنا أتابع عدة الدائرة اقتنعت أكثر فأكثر أنه علاوة على واجباتي المهنية والتي تشغلني كثيرا فإن بعدي عن مركز الإدارة والطباعة وكذلك صعوبة تكوين علاقات متواصلة مع المساعدين، كل ذلك يمنعي من أن أقوم بمهمة كهذه على أحسن وجه، وقد أجبرتني هذه الاعتبارات، مع الأسف الشديد، أن أناشد الرئيس وأعضاء اللجنة أن يعفوني من هذه المهمة رغم أنها تشرفني كثيرا. و باتفاق مع أعضاء اللجنة الآخرين، طلبنا من "هوتسما"، الأستاذ بجامعة أوترشت والذي تعرفون كفاءته العالمية أن يقبل بتعويضتي ويتكفل بإدارة الدائرة. ينبغي قبل كل شيء أن يكون لدينا مدير يستطيع أن يقدم ضمانات حقيقية لمؤسستنا، لأنه بدون هذه الضمانات لا يكون للجنة حق القيام بالمساعي الضرورية لدى الحكومات والشركات العلمية من أجل الحصول على مساعداتهم المالية الضرورية.

وقد كان اختيار "هوتسما" مرغوبا، ولاسيما أن "بريل" هو الذي سيشرع في نشر دائرة المعارف بـ"بلدين" بحيث يكون المحررون على صلة مباشرة بالناشر والمطبعة. وارتحنا كثيرا لما أبدى "هوتسما" استعدادة لقبول هذا التكليف شريطة أن تحتاط اللجنة كي يكون لديها اعتماد كاف لمكافأة عمل المساعدين والمترجمين الخ... ولدفع كل المصاريف الضرورية، ما عدا مصاريف الطبع لأن دار "بريل" تكفت بذلك. وبصدد هذا الإعلان طبعت اللجنة منشورا تنوي أن توصله إلى الحكومات وإلى الشركات العلمية وأخيرا إلى كل الذين يهتمون بتقديم دراسائنا، بإذلة كل جهودها كي تحظى بقبول إيجابي. ونسمح لأنفسنا بأن نأمل منكم،

سادتي، الانضمام إلى هذه الجهود باستخدام تأثيركم إزاء أصدقائكم، وبصفة عامة إزاء كل الذين يستطيعون المساعدة في تحقيق هذا الإنتاج.

هل يجب التأكيد مرة أخرى على أهمية دائرة المعارف الإسلامية ؟

أظن أن ذلك غير ضروري بعد كل الذي قيل في الدورات السابقة لمؤتمرنا، وأسمح لنفسي فقط بأن ألح على نقطة: "إننا نتذمر غالباً، وطبعاً لنا الحق في ذلك، من أن تحظى أفكار خاطئة عن الشرق الإسلامي، خاصة عندما تنشر في كتب تتمتع بصيت عال، بثقة الجمهور العريض، بينما من الممكن الحصول على أحسن المعلومات من خلال مؤلفات عديدة سابقة ولكنها ليست سهلة المنال.

أليس هذا خطأنا ؟ إننا نكتب في أغلب الأحيان في دوريات أو في بحوث المجمعيات العلمية والتي ليس لها قراء خارج دائرة ضيقة من الاختصاصيين. وتستمر الأخطاء إذن، رغم كل جهودنا، وتعاني دراستنا من جمهور لا مبال.

إن نتائج علمنا في حاجة، مثل كل العلوم الأخرى، لأن تصل إلى الجميع. وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا بنشر جدول حقيقي يشمل كل ما يمكن أن نعرفه عن الشرق الإسلامي. ويكفي تعيين المصادر التي نستطيع أن نستعلم منها بوفرة، عن مادة خاصة، لجعل دائرة كهذه نافعة، سواء للذين أَلَمُوا بمعرفة اللغات الشرقية أو الذين يجهلونها.

وأسمح لنفسي إذن باسم "هوتسما"، والذي، مع كل أسف، لا يستطيع أن يحضر شخصياً اجتماعنا، بأن ألفت انتباهكم إلى النموذج الموجود بين أيدي أعضاء اللجنة، والذي أعده "هوتسما" بمساعدة زملاء كثيرين. لقد جمع "هوتسما" مجموعة مقالات تتعلق بمواد مختلفة من شأنها أن تجعلكم تقومون العقل الذي يوجهنا ومخطط العمل الذي نريد أن نؤديه، وإلى درجة معينة، طريقتنا في التنفيذ. وإذا كانت مسألة اختيار اللغة وتفاصيل تطبيقية أخرى لم تقرر بعد، وإذا كانت الخرائط والرسوم منعقدة، فهذا يمكن تفسيره بكل يسر. كل هذه المسائل هي رهن الوسائل التي ستكون تحت تصرف اللجنة وسندج لها حلولاً طبيعية، بمجرد أن تسوى حالتنا المادية.

و مع ذلك أكرر هنا أمنية "هوتسما" في مقدمته، وهي ما يلي:

إن كل الذين لديهم ملاحظات يريدون تقديمها أو أمنيات يريدون التعبير عنها، فليفضلوا ويخبروه بذلك، وسوف يتم مراعاتها عند التحرير النهائي. و إننـ

نأمل أن تكون بعض المسائل الأولى من الدائرة بين أيديكم في الدورة القادمة للمؤتمر. وستواصل الأعمال التحضيرية بنشاط، حالما يحصل المحرر على الوسائل الضرورية، وستنتهي بنجاح في أقرب وقت ممكن. آنذاك سنبدا في النشر حالا والذي سيدوم بالضرورة بضع سنوات.

إننا لا نستطيع في الوقت الراهن تقدير طول المؤلف كاملا، وبطريقة دقيقة، ولكننا نظن أن ثلاثة مجلدات بحجم "الموسوعة الكبيرة" أو "قاموس الأحاديث" الألماني، كافية لتسع المادة. وعند الاقتضاء، من الممكن أن نضيف تذييلا، لأن تأليفنا من هذا النوع لا يكون شاملا أبدا. ولكن هذه المسألة سيتم النظر فيها لاحقا. و الآن، وأنا أسلم هذا النموذج الأول من إنتاجنا المشترك، أرى أنه يبقى واجب، علي القيام به. يمكنكم سادتي أن تشاهدوا من خلال التقرير الذي تشرفت بتقديمه إليكم، من خلال هذا الكراس النموذج الذي قدم إليكم، بأي حماسة وبأي تقان عكف "هوتسما" على المهمة التي أراد أن يكلف بها لفائدة دراساتها. أدعوكم إذن إلى أن تقدموا له شكرنا الجزيل وأن تظهروا له تعاطفكم وذلك بمساعدته في هذا المشروع الصعب والذي ستكون له فائدة فائقة وأكيدة ⁽¹⁾.

وفي المؤتمر الخامس عشر، عرض "بلتنبورج Peltenburg" دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الألمانية-الفرنسية-الإنجليزية المجلدين الأول والثاني ⁽²⁾.

ثم في المؤتمر الثاني والعشرين، جاء الحديث عن الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية. فقد "ج. هـ. كريمر J. H. Kremers"، صورة للطبعة الجديدة من دائرة المعارف الإسلامية. لقد وجهت دعوات لكل الأكاديميين الممثلين للاتحاد الأكاديمي العالمي Union Academique International، كي يرسلوا مندوبين لعقد ندوة تحضيرية، وقد تمت في ليدن، في إبريل ١٩٤٩م (جمادى الثانية ١٣٦٨هـ)، وفيها نصب أعضاء الندوة أنفسهم أعضاء الهيئة

(1) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes - Rome - 1899 - Partie I - T3 - Resume des Bulletins - pp. clxxix - clxxxii.

(2) Actes du Quinzieme Congres International des Orientalistes - Session de Copenhague - 1908 - Seances des sections - p. 68.

الاستشارية (أو اللجنة الإدارية)، للطبعة الجديدة. كما تكونت لجنة تحرير من: هـ. أ. ر. جب H. A. R. Gibb (أكسفورد)، وج. هـ. كريمر وأ. ليفي بروفنسال B. Levy - Provinsal، ولجنة مالية، أعضاؤها هم أعضاء لجنة التحرير، إضافة إلى ممثلين عن "الأكاديمية الملكية الهولندية Royal Netherlands Academy". كما تم عقد اتفاق مع شركة "أ. ج. بريل" كي تطبع دائرة المعارف هذه في طبعتين إنجليزية وفرنسية، مع اعتبار أن سعر الطباعة ومستحقات المحررين سيتم تسديدها عن طريق المساعدات المالية.

وفي مايو ١٩٥٠م (رجب وشعبان ١٣٦٩هـ)، اتفقت لجنة التحرير مع أصحاب "أ. ج. بريل"، على مقدم يخول ابتداء الأعمال الأولى، ويضيف قائلا: "وكان لنا حظ سعيد، أن حصلنا على خدمات الدكتور "س. م. شسترن S. M. Stern"، ليشغل منصب السكرتير العام. ولقد بدأ الدكتور "شسترن"، عمله في لندن منذ نهاية نوفمبر. وتحت رعاية لجنة التحرير، وبحضور عدد كبير من المختصين، تم تجهيز تفاصيل بطاقة فهرست الطبعة الجديدة. وفي اجتماع ثان للجنة الإدارية، انعقد في شهر مايو من هذا العام، تمت مراجعة العمل بالتفصيل، وتمت الموافقة على مخططات لإعداد وتجهيز المجلد الأول. وفي الاجتماع نفسه، تم توسيع مجلس الإدارة بتعيين أعضاء زملاء من الدول الإسلامية. لقد كان من المؤمل أن يتم الحصول على الدعم الكافي قانونيا بمساهمة الأكاديميين، ويخول بداية طبع النشرة الجديدة خلال العام ١٩٥٣م^(١)، وختم "كريمر" تقريره بالتعبير عن شكر لجنة التدوين كل علماء الأقطار الذين قدموا دعما فعالا وسخيا في أعمال التحضير، وتتمنى أن تكون الطبعة الجديدة شاهدا على حقيقة الروح التعاونية العلمية^(٢).

هكذا تبين لنا دور المؤتمرات في تكوين دائرة المعارف الإسلامية، فقد انطلقت الفكرة منها، وابتدأ العمل التنظيمي والتطبيقي منها أيضا، وكانت ساهرة على تيسير الظروف اللازمة لذلك، وسأيرت الدائرة حتى اكتمالها، ثم حتى بداية

(١) J. Kramers: "New edition of the Encyclopaedia of Islam". Proceeding of the Twenty Second Congress of Orientalists - Istanbul - 1951 - Vol1 - p. 59.

(٢) Ibid - Vol1 - p. 59.

عمل النسخة الجديدة منها، ومن هنا يتضح أثر المؤتمرات فيها، وبالتالي في الحركة الاستشرافية.

٥. الصحافة العربية وأثرها في الاستغراب:

تحدث عن هذا الموضوع المستشرق ميرانت^(١)، في المؤتمر الرابع عشر، المنعقد في الجزائر سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ)، في مساهمة له بعنوان "الصحافة الدورية العربية".

بدأ المستشرق ببيان المصدر المعين للصحافة العربية وبيّن أن الصحافة الغربية تمثل مصدراً أساساً للصحافة العربية^(٢). فأول درجات استغراب الصحافة العربية إذاً، هو اعتمادها الصحافة الغربية مصدراً ونهجاً. ويبدو أن هذا هو ما كان يهدف إليه الغربيون عامة والمستشرقون خاصة، فمن شأن هذا الأمر أن يؤدي إلى تيسير بث القيم الغربية في المجتمع الإسلامي، إذ يواصل المستشرق قائلاً: "يجب أن نهني أنفسنا بهذا التقليد الذي سيؤدي إلى اتصالات طيبة بين الشرق والغرب، وهذا ما نستشفه منها، دون عناء. إن نتائج الحداثة الأوروبية التي يتم بثها بالتالي بعمق، من شأنها أن تواصل عملية التحول البطيء في العالم الإسلامي، بتأثيرها في الوقت نفسه على اللغة العربية وعلى الأفكار"^(٣).

إن اللغة العربية تستهدفها المخططات الغربية استهدافاً خاصاً، ويتم ذلك عن طريق وسائل عدة، من بينها الصحافة. وعن دور هذه الأخيرة في المهمة عينها، يقول المستشرق: "لا شيء ثابت البتة في العالم الإسلامي، ولا يمكن للغة العربية أن تستثنى نفسها من هذه القاعدة العامة. ومهما كانت قوتها وكمالها، فإنه يستحيل عليها أن تبقى ثابتة للأبد. إن العلاقات مع أوروبا، والكشوفات والغزوات المعاصرة، والتطور المتواصل للتقنية والعلم، ستفرض على العالم الإسلامي إدخال عدد كبير من المصطلحات في اللغة العربية، تتماشى والأفكار الحديثة. لكننا يمكن

(١) Mirante: "La presse periodique Arabe" - Actes du XIV eme Congres International des Orientalistes - Alger - 1905 - deuxieme partie - pp. 199 - 200.

(٢) Ibid. p. 200.

أن نقول إن هذه المهمة قد أنجزتها الصحافة، فهي التي خلقت، بدرجة ما، لغة عصرية وليدة، كاملة ومنسجمة مع العصر، ومختلفة جدا عن لغة الكتاب الأقدمين، ويمكن لنا أن نتأكد من ذلك. لقد أراد بعضهم أن يبقى على هذه المصطلحات الجديدة، باستعارتها من اللغات الأجنبية، ونقلها للغة العربية فقط. وإذنا نشجع هذا الأسلوب بقوة^(١). فهذه دعوة من المستشرق لتحديد الوجهة الصحفية، لتغيير النمط الاصطلاحي للعبارة المتولدة حديثا، حتى تدخل أكثر عدد ممكن من الألفاظ الغربية الغربية في اللغة العربية. وهذا أحد الأدلة على دور الصحافة الاستغرابي. كما يرى المستشرق أن أحد أهداف الصحافة، هو إدخال المسلمين ضمن إطار الحضارة المادية الغربية. وهذا قوله: "إن انتشار الأفكار والعلوم الأوروبية عن طريق الجرائد العربية، ينمي شيئا فشيئا ميدان الفكر لدى المسلمين، ويقربهم دون شعور من حضارتنا بتتوير تفكيرهم. إن هذا هو ما فهمته معظم الدوريات العربية، للقيام بدورها التثقيفي للشعوب، وعليها أن تعد نفسها مساهمة في مهمة التجديد الفكري للمجتمع المسلم"^(٢). يتضح من هذا الكلام الدور التغريبي للصحافة العربية، فهي أداة لإعادة تشكيل الفكر الإسلامي وتوجيهه. وهي تستخدم أساليب فنية، بحيث تقوم بمهمتها دون إثارة الرأي العام.

من جهة أخرى، يدعو المستشرق هذه الصحافة إلى العمل بكل فطنة ونباهة، حتى لا تولب الرأي العام ضدها، وأن لا تسعى لنيل كل موروثاتها التاريخية ولا سيما الدينية، بل عليها التمييز بين ما هو صالح، وما هو منبوذ. يقول المستشرق: "لا يمكننا أن نتجاهل أنه بسبب الوسط الاجتماعي نفسه، أين تمارس نشاطها، وأيضا لعدة أسباب أخرى، منتشرة، فإن الصحف العربية مطالبة بأخذ الحذر الكبير والتخلي عن الإثارة غير المفيدة للشعور الحساس للمتدينين. إن واجبها إذن، يتمثل في الكف عن تبني الأفكار الجديدة بكل براعة، مقابل العقائد الإسلامية التي لا ترفض البتة التقدم، مهما قيل فيها... وعليها التوجه شيئا فشيئا إلى جانب الروحانية، كي تترك للفكر حريته وللعقل استقلاليته"^(٣). فكان المستشرق يدعو إلى

(١) Ibid. p. 200.

(٢) Ibid. p. 200.

(٣) Ibid. p. 201.

ضرورة رواج الصحافة أولاً، ثم بعد أن يتعود الشعب عليها، أو يحبها، يمكنها تمرير ما لديها دون وجل. وأن عليها مساهمة الواقع ومهادنته.

إلا أن لهذه الصحافة حدوداً لا يجب تجاوزها، حسب المستشرق ومن ورائه الغرب كله. فليس عليها أن تعبر لميدان انتقاد الغرب وتحليل توجهاته، وليس لها تأييد كل ما يمس من الشؤون الغربية، ولا ما يهدد مصالحها. كما أن الغرب يرى نفسه صاحب نعمة على الصحافة العربية، لذا، يجب على الصحافة العربية عدم نكران هذا الجميل، أو أنها قد تقع تحت طائلة العقوبات. من ذلك، انتقاد المستشرق لتوجه الصحافة نحو تأييد قيام "الجامعة الإسلامية"، وهذا قول المستشرق حول هذا الموضوع: "لا يمكن إلى الآن قياس النفس الصحفي العربي، ومقارنته بالأوروبي. بل إن الصحافة العربية تحتاج إلى انتقادات. تظن الكثيرون منها أنها مجبرة على بث دعوات لتكوين "جامعة إسلامية"، كأنما تريد أن تعطي لنفسها سمات وطنية متصلة، من شأنها أن تغرر بحب المسلمين الحقيقي. وإن نقوم تجاههم بأي شتيمة، بحيث ينسب إليهم سذاجة انتظار نتيجة عملية ما لهذه التصرفات الأفلاطونية الصرفة. إننا لا نعلم شيئاً أكثر حقاً من هذه الجامعة الإسلامية، التي احتج ضدها اثنا عشر قرناً من التاريخ الإسلامي. إن الفكر الديني، مهما كانت قوته، لا ينجح أبداً في إزالة الفوارق الاجتماعية التي تفرق الشعوب عن بعضها البعض، لأنه ليس من الضروري أن تتبادل المحبة، حتى يعبد الله⁽¹⁾. إن المستشرق، يندد في هذا الكلام بسعي الصحف نحو الدعوة إلى تكوين الجامعة الإسلامية، ثم يتبعها بتوجيه انتقادات لمثل هذه الدعوة، وللمؤسسة المدعو لتكوينها. فالمعلوم أن الغرب استمات في العمل دون قيام هذه الجامعة، خوفاً على مصالحه الخاصة. فكان رافضاً رفضاً باتاً لقيامها. وما دامت الصحافة ناقضت هذا التوجه الغربي، فهي تعد عاقبة لأصحاب النعمة في نظر المستشرق، لذا، فإنها تستحق الانتقاد.

مثل هذا التوجه، وضع الصحافة العربية في موقع الشك والالتهام. قال المستشرق: "ليس باطلاً أن الصحف العربية المهيئة لمثل هذا العمل، تترك المجال لنفسها أحياناً الذهاب إلى التتويج بدرجة قوة الأوروبيين، بالمقارنة مع مشكلات

(1) Ibid. p. 203.

المسلمين، إلا أنها تخفي وراء ذلك سوء نية جلي⁽¹⁾. يبدو من هذا الكلام أن المستشرق يحذر من أن تكتسب هذه الصحافة ثقة الغربيين. فهي ليست أملا لذلك مهما حاولت التقرب والتتويج بشؤون الغرب. وحتى يؤكد رأيه، يضرب أمثلة لذلك، فيقول: "إحدى منشورات القاهرة، في حديثها بصفة عامة عن المسلمين الموجودين في أقطار أوربية، كان ذلك منذ زمن، فكان مما قالت: "إن الرجال نساء معاملتهم، وتسلب أملاكهم، والأطفال ينصرون بالقوة، والنساء يغتصبن، وقد عدن إلى العبودية...". وقد قدمت أخرى جدولا مخيفا حول المسلمين، وفيه موضوعات حول الهولنديين في الجزر الهولندية والأقطار التركية والبوسنة والهرسك التي احتلتها النمسا، وتلك التي توجد تحت روسيا القازية... إلخ. وهذه أخيرا، صحيفة عربية تتحدث عن الجزائر "أربعة ملايين مواطن، يوجدون في هذا البلد، يرزحون تحت نير خمس وعشرين ألف فرنسي، يعاملونهم بآزدراء، كما تعامل بضاعة حقيرة..."⁽²⁾. يورد المستشرق هذه المقطعات مؤيدا رأيه السابق، محذرا من مثل هذه المنشورات، ثم حاول تنفيذ قولها عن الجزائر، مستخدما عبارات الاستعطافية، لا تخدم الباحث العلمي بشيء فقال: "ماذا هذا التظاهر بمثل هذا الدور الأخاذ؟ وبما أننا في الجزائر، هل يمكن لنا منطقيا التحدث بمثل هذه العبارات عن الدور الإنساني العظيم الذي تتبعه فرنسا في هذا البلد؟ ألا يجني المسلمون في ظل الراية الفرنسية كل منافع الحضارة؟ ألا ينعمون بتسامح كامل فيما يخص ديانتهم؟ أليسوا يعاملون بالعدل والرفق؟ أليسوا طرفا في الإدارة صاحبة الرعاية الأبوية، وهو ما لم يعرفوه أبدا في تاريخهم السابق، وهو ما يمكنه أن يعيد لهم روحهم التي يحسدهم عليها كثيرا أصحاب الديانات الأخرى"⁽³⁾. بهذا الكلام يناقش المستشرق كلام الصحافة، كأن ما ذكرته الصحافة لا يستحق نقاشا وفيما لحالة الجزائريين الواقعية والحقيقية، وظروفهم تحت نير الاستعمار الفرنسي. ثم يلجأ المستشرق إلى تهديد الصحافة العربية فيقول: "... إن مقالات تحملي مثل هذه النزوات، تزعج الدول الأوروبية، وتمس كرامة الصحافة العربية... إنه

(1) Ibid. p. 204.

(2) Ibid. p. 204.

(3) Ibid. p. 204.

قد تنتج حركة عدوانية ضد الصحف العربية، فقد يمنع انتشارها أحيانا في الأقطار المحتلة^(١). هذا التهديد تم نتاجا لكشف حقائق لا يريد المستعمر إثارتها. لذا، فهو يرى ضرورة وضع حد لمحاولة الصحافة للتقريب عن ذلك، لكنه لا يريد أن يعترف بهذا الأمر. لذا فهو يورد حججا أخرى، يقول في شأنها: "يخشى أن تشط همهمات ذات صبغة تدعو إلى الجهاد المقدس، ويكون لها صدى يؤسف له عند أصحاب الأفكار الساذجة من المواطنين. وتؤدي لعمليات دينية جنونية"^(٢). إن هذا أشد ما يخشاه الغرب، وهو أن تقوم ضده حرب جهادية دينية، لأن لها مبدأ يصعب عليه شقه. ثم إن مثل هذا الشأن تأصيلي وليس تغريبي. فهو سير في الاتجاه المعاكس لمراد الغرب. وما دام كذلك، يؤدي إلى إعادة غرس الأصول للشرقية، وبالتحديد الإسلامية، فهو مسار عدواني عند الغرب، ويجب إيقاف تياره.

في مثل هذه الحالة، تكون الصحافة قد خرجت عن الخط المرسوم لها. وهذا ما يبينه المستشرق صراحة في قوله الذي بدأه بنزعة إغرائية استعطافية، وختمه بالتهديد والوعيد: "نحن للذين نحب الصحافة العربية، ولنا تعاطف مع دورها التقني، نأسف لرؤية بعض الصحف تخرج عن دورها المناط بعهدتها، بمنحها، بكل سر، تأييدها للكذابات المعادية للسلطة التي قد تؤدي إلى نتائج أخرى أشد من الحذر من الصحافة العربية كلها، ألا وهو تأجيج نار الحقد العرقي والديني، وتقوية أصول الحرية المتبادلة بين المسلمين والأوروبيين"^(٣). من كلام المستشرق هذا، كأنما الغرب هو الذي وضع الصحافة وكأنما هو الذي يبين لها الطريق التي يجب عليها أن تسلكه، وبالتالي فهو المحكم والمهين عليها. وحتى إن لم يكن الأمر كذلك، فهو يسيطر لها يد السيطرة بحيث يوجه نقتها حسب مراده.

من ناحية أخرى، نرى المستشرق يركز كلامه على الدين الإسلامي والجهاد، خوفا من قيام حملات مقاومة للاستعمار، تسير على هذا السبيل، ولم نره وجه انتقادات للصحافة إلا من هذا الجانب. ولم يحمل على الصحافة إلا لتطرقها لهذه الموضوعات. إن في هذا دليلا على أن الغرب، لا يهتم بجميع التوجهات

(١) Ibid. p. 205.

(٢) Ibid. p. 205.

(٣) Ibid. p. 205.

الفكرية مهما كان منهجها، إلا التي تتخذ من الإسلام شعارا وأساسا لتحركاتها، لأنها هي التي تمثل الخطر الحقيقي على مصالحه، أما ما عداها فهي ستنبص في معين الغرب نفسه، لأنها ستتخذ نهجا سبق تبلوره في الغرب، لذا، فلن تمثل أي خطر على مراد الغرب.

أما الخطوط العريضة التي يرسمها المستشرق للصحافة العربية، فيبينها في خاتمة انتقاداته قائلا: "يجب على الصحافة العربية أن تكف عن هذه التظاهرات السخيفة والخطرة التي لا تعطيهم إلا مظاهر مخزية من الهوى وسوء النية. إنها بهذا الشرط فقط، تستحق تعاطف الشعوب المتحضرة وتشجيعها، التي تملك ما يلزمها من منافع لأدوارها التنقيفية، وسط الشعوب الإسلامية وأن يساعدوا في الوقت نفسه، المصالح العليا للمجتمع المسلم، والإنسانية أجمع، بالعمل من أجل التقريب ومن أجل المصالحة النهائية بين الشرق والغرب"⁽¹⁾. يستخدم المستشرق أسلوب الأمر والنهي، قصد إجبار الصحافة على التخلي على الأسلوب الذي اتبعته. أما دورها فينحصر في التقريب بين الشرق والغرب. وبما أنه لا يجب المس من الغرب ومميزاته، فإن مهمة الصحافة هي إيصال الشرق إلى داخل الحدود الغربية، وهو ما يعني إذابة الشرق في الحضارة الغربية، وتلك قمة المصالحة بين اللودين، وتكون الصحافة مرضي عنها عند الغربيين لأنها تكون قد قامت بدورها الذي يريده خير قيام، حتى إن تخلت عن كل موروثاتها وقيمتها، بل حسب المستشرق، عليها التخلي عمليا عن شخصيتها ومثلها الحضارية.

تلك إذن أبرز الجوانب التي تمثل أثر المؤتمرات في الشؤون الثقافية، ولاسيما منها تلك المتعلقة بالدراسات الاستشراقية، والثقافة الغربية. فقد كانت المؤتمرات حريصة على تطويرها وتنميتها، ونشر متعلقاتها التي يتبناها المستشرقون، للاطمئنان عليها في مواصلة مسارها وتنمية أبحاثها ونشر دراساتها. وبهذا، اكتمل الحديث عن خصائص المؤتمرات العامة.

(1) Ibid. p. 205.

الغائمة

١- الغائم

٢- التوصيات

الخاتمة

الحمد لله ميسر الأمور، الذي أعان على إتمام هذه السطور، والصلوة والسلام على النبي المبرور، على مدى الأيام والعصور. هذا العمل المتمثل في تقديم صورة إجمالية عن مؤتمرات المستشرقين العالمية، قضى الباحث معها أياماً وأوقات، خرج منها بفوائد حول المؤتمرات، وتبينت له عنها حقائق ومعلومات، يمكن إجمالها فيما يلي من الخطوات، متوازية وما عرض في البحث من فصول ودراسات، ثم يختم البحث بتقديم بعض التوصيات.

نتائج البحث

أولاً: عند الحديث عن نشأة الاستشراق، وبعد دراسة المؤتمرات، أمكن استخلاص مدى اتساع مفهوم الاستشراق، لدرجة أنه يصعب تقديم تعريف محدد له. فالبحوث الاستشرافية شملت العالم كافة، ما عدا أوروبا الغربية، وأمريكا الشمالية التي تم تناول لغات سكانها الأصليين بالدرس، واتضح أن الاستشراق هو باختصار "ميدان دراسي إنساني يتناول فيه الرجل الغربي أصيل الثقافة اللاتينية بالدرس كل ما سواه في كافة أنحاء العالم"، فأسبانيا مثلاً، إن درست تاريخها، فهي تدرس من وجهة نظر استشرافية، على أنها تابعة للشرق، أما إذا درست آنياء، فهي تدرس على أنها أوروبية، وبالتالي مستشرقة وليست شرقية. بل إن المطلع على البحوث الاستشرافية المعاصرة في أوروبا، يجد دراسات عدة تتناول المسلمين والشرقيين المقيمين في أوروبا بالدرس والتحليل، حتى المثقفين منهم ثقافة أوروبية يخضعون للدرس كذلك، بل حتى المسلمين من الغربيين تتم دراساتهم دراسات متخصصة، والواقع المعاش اليوم دليل على ذلك. ومن ثم، من الصعوبة بمكان تقديم تعريف للاستشراق. وجل ما يعرض على أنه تعريفات، إنما مفاهيم، قد تكون عامة، أو تتعلق بمجال محدد. ومن ثم، فإن القول بأنها مفاهيم، أبلغ من تسميتها تعريفات.

من ناحية أخرى، لا يزال الاستشراق بمعناه القديم موجودا على الساحة العلمية الاستشراقية، كما أنه خلال حضوري للمؤتمر الخامس والثلاثين ببودبست صيف ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، لاحظت وجود مثل هذا الاتجاه الذي يدعي المستشرقون أنه انقضى وفات، من ذلك أن المستشركة آنا زلكينا Anna Zelkina^(١) تحدثت عن الشيشان الحالية، سئلت عن طبيعة الإسلام في الشيشان أجابت عن أي إسلام تسألون أهو الإسلام السعودي أو السوداني أو الليبي.... ومثل هذه المقولة من موروثات الاستشراق الذي يريدون التخلص منه، ولذا، لما ناقشت المستشركة بأن مثل هذا الكلام تجاوزته الأبحاث الاستشراقية الحالية، وجدت موافقة على ذلك من جل الحضور، وحاولت المراوغة. أما خلاصة القضية، أن الاستشراق لا يزال موجودا، لكن كل ما تغير هو المنهجية والطريقة، ولا سيما التخصص، الذي احتج عليه العديد من المستشرقين. والاستشراق الذي أسموه عتيقا لازلنا نجده في العديد من الكتب والمقالات، والمطلع اليومي على الصحافة الغربية مثلا، يمكنه التعرف على ذلك بلا جهد كبير.

ثانيا: الأمور الكبرى، التي قد يكون لها فوائد، يمكن أن تنطلق من فرد أو مجموعة قليلة من الأفراد. والمهم في هذه الحالة هو الإيمان بحقيقة ما يخطط المرء له، وقيمه العلمية، وفائدته المستقبلية. وهذه مؤتمرات المستشرقين العالمية كانت كذلك، فمنطلقها فرد واحد، أزره من آمنوا بفكرته، وتخلت عنه جل القوى الفاعلة والمؤثرة في عصره، حتى القوى السياسية، وصادفته مشكلات عدة قبل انعقاد أول مرة، اضطر على أثرها إلى تغيير زمن المؤتمر مرات ثلاث، كما اضطر لتغيير جدول العمل مرات عدة، ومع ذلك، وأصل مسيرته، ووجه جهوده كلها لينجح المؤتمر الأول، وفيه كذلك صادفته عقبات، تمكن من السيطرة عليها. وهامي المؤتمرات لا تزال عاملة، ويستقطب العديد من الباحثين، وتمكنت في بعض الأحيان من جمع ما يزيد عن ثلاثة آلاف باحث. بل قد فرضت المؤتمرات ليكون لها بعد سياسي، تتنافس البلدان على استضافته.

(١) Anna Zelkina - "Islam in Contemporary Politics in Chechnya" - 35th International Congress for Asian and North African Studies - Budapest - 1997 - p. 61.

ثالثاً: دقة التنظيم، وحسن الإدارة، وسلامة التصرف، عوامل ثلاثة من أسس النجاح. فقد نجح المؤتمر الأول بحسن تعامله مع الأمور الثلاث هذه، وبها تمكنت المؤتمرات من الانطلاقة. ولو كان هناك خلل في إحداها لربما توقف نشاطها منذ انطلاقتها. ولعل عامل النجاح الأساس، وأخطرها على الإطلاق هو العامل الثالث، الذي تحلى به رئيس المؤتمر الأول، ولا سيما عندما حصلت مشادات قوية عند انطلاق المؤتمر.

رابعاً: النظرة الدونية، التي ينظر بها بعض الشرقيين لأنفسهم، أمام رؤية الغربيين مثلاً يصعب إدراكه، وحتى يصلون إلى مستواه لا بد من تقليده أو تسليم زمام قيادتهم إليه، نظرية خطأها مؤتمرات المستشرقين العالمية. فقد أثبتت المؤتمرات التي عقدت في البلدان الشرقية، أن الشخصية الشرقية لا ينقصها سوى الإرادة، والإيمان بالقدرة الذاتية، فقد كانت المؤتمرات التي عقدت فيها من أنجح المؤتمرات، سواء في الإدارة، أو في التأثير في المسار الاستشراقي، وحتى في المؤتمرات نفسها ومسارها.

خامساً: للمؤتمرات سلبيات كما لها إيجابيات، ولعل من أعمق هذه السلبيات، عدم قدرتها على استقلاليتها الذاتية، وبالتالي خضعت للمؤثرات الخارجية المتنوعة، ومن ثم كانت تتكيف مع كل نمط فكري أو ثقافي أو سياسي.

سادساً: من الأمور الطريفة، والتي تثير التساؤل، هو تأثير المؤتمرات بالمتغيرات من حولها، وتأقلمها مع محيطها، سواء أثر عليها سلباً أو إيجاباً، وقد كان هذا التأثير عاملاً من عوامل دوامها واستمرار نشاطها. ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأنها تدع الفرصة مفتوحة أمام كل التيارات والاتجاهات تعرض ما تراه وفق قناعاتها الشخصية. ويبدو أن هذا التفتح العام هو الذي هيا سبيل الدوام.

سابعاً: من فوائد هذه المؤتمرات، أنها تبين للمراء مسار التطور الفكري الغربي على مدى هذه الحقبة الطويلة من عمرها، ومن ثم مراحل تطور الفكر الاستشراقي. فالمؤتمرات شاهدة على ذلك، وجل الدراسات والمناقشات مدونة ومحفوظة. وما هذا البحث إلا محاولة لإبراز جوانب هامة ومتعددة منها، تحتاج إلى المزيد من التحليل والبحث والدراسة.

ثامناً: فشلت مؤتمرات المستشرقين في المحافظة على أهدافها المرسومة، ومن ثم اخترقها أهداف أخرى ثانوية، ربما لم تحسب لها حسابها. أما إن كان

ذلك من غاياتها، فتكون استخدمت الدراسات الاستشرافية، لتحقيق مصالح أخرى أعمق من الفوائد العلمية التي تأسست من أجلها.

تاسعا: بينت المؤتمرات أن التعاون بين المستشرقين والمنصرين، قائم منذ زمن طويل. فإضافة إلى المجال الكبير الذي احتله المستشرقون المنصرون في عرض دراساتهم وتوسيع نشاطهم، تعاون الجانبان لتحقيق برامج ثقافية عدة، منها تحويل الكتابات الشرقية، وجمع المخطوطات ودراستها، ووصف المجتمعات في الشرق وتحليل ظواهرها الاجتماعية وخصائصها الثقافية ومميزاتها العقديّة، وغيرها من المعارف التي تصب في المصالح المشتركة. وتعاون معهم السياسيون في مرات عدة. ومن ثم، يتبين أن خدمة المصلحة الغربية العليا، هي أساس الأنشطة كلها.

عاشر: معايير المؤتمرات في تعاملها مع الشرق، تختلف حسب المصلحة الغربية العليا. اتضح ذلك من خلال تفاعلها مع نوعيات الدراسات التي تتناول الشرق بالتحليل والدراسة، فأساليب تحليلاتهم للمجتمعات الشرقية النصرانية، غير تلك المتبعة عند اهتمامهم بالمجتمعات المسلمة مثلا. كما أن تعاملهم مع الباحثين الشرقيين النصاري، ومع كتاباتهم، غير ما يقابلون به أنشطة المسلمين مثلا. بل إن الوثنيين محبين عندهم في أحيان عدة، أكثر من المسلمين.

التوصيات

يمكن الاقتصار في هذا المجال على ثلاث، أمكن لمس أهميتها من خلال تحليل الموضوع.

الأولى: تتمثل في استغلال نفّح مؤتمرات المستشرقين العالمية على جميع الفعاليات الفكرية. فهذا يجعل منها منبرا لإيصال القنوات، والمعلومات، ويعطي الفرصة لتبادل الأفكار والمناقشات. هذه الميزة، يمكن التعامل معها لإثبات الحقائق، ومنها الأخطاء التي يقع فيها المستشرقون عند دراساتهم للعالم الشرقي، كما أن المشاركة فيها ميسورة جدا، فلا يجب إهمالها، بل الأولى المشاركة فيها وتقديم ما أمكن من عروض وأبحاث، وفتح علاقات معرفية مع الآخرين، ومهما

كانت السلبيات فيها، فهي لا تخلو من فوائد، يستحسن الاستفادة منها، وذلك بالمشاركة الفعالة فيها، ولا يجب إهمالها.

الثانية: دراسات المؤتمرات، ومقالاتها، تحتاج اهتمامات عميقة، وتحليلات دقيقة. وهذه الدراسة بوصفها بيانية، فقد أدت إلى بيان موضوعات وجوانب عدة، تحتاج للدراسة والتحليل، وتنتظر من يقوم بالكشف عن حقيقتها، وتمحيص إيجابياتها عن سلبياتها، وبخاصة أنها تغطي قرناً وربع قرن من الزمن، بوصفها شاهدة على تطور الدراسات الاستشرافية على مدى هذه الفترة كلها، وكذلك النمو الدراسي للمدارس الاستشرافية، ومن ثم فهي محكمة عليها، والأهم من ذلك هو معاشتها المسار الفكري الغربي والاستشراقي والتطورات التي طرأت عليه، وقد مرت الساحة الغربية بتطورات متلاحقة، سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية، وعسكرية وتقنية وصناعية، كما أن التفاعل بينها وبين المؤتمرات يحتاج إلى مزيد من التعمق والتحليل. فإنا حبذا لو وجهت الهمم لتناولها بالدراسة والفهم.

الثالثة: من خلال الدراسة، يبدو هناك حاجة لأن تقام مؤتمرات عالمية في الاتجاه المعاكس، بحيث تهتم بالفكر الغربي بصفة عامة، وتتولى مهمة تحليله، وبالدراسات الاستشرافية بصفة خاصة، وتتولى بيانها وتقويمها. وهذه المؤتمرات يديرها شرقيون، وقبل انطلاقتها في دراساتنا، يجب التفكير الدقيق في الكيفية التي تكون عليها هيكليتها، وتستفيد من مؤتمرات المستشرقين العالمية، التي بلغت أوج الخبرة في ذلك، لكن يجب عليها تلافى سلبياتها تماماً.